1917



مجلة علمية أدبية اجتماعية ــ شهرية

تعنى بوجه خاص بالابحاث العربية والاسلامية والشرقية

لمنشئها

محب الدين الخطيب

المجلد الثالث

١٣٤٥

الاشتراك السنوي

خمسون قرشاً مصرياً في المملكة المصرية وستون قرشاً في الخارج

تنشرها إدارة

المطبعة السلفية ــ ومكتبتها

صاحبيهما : محب الدين الخطيب وعبد الفتاح قتلان

الإدارة

في دار المطبعة السلفية ومكتبتها

بشارع الاستئناف (بجوار المحافظه) فى القاهرة

رقم التلفون العنوان التلغرافي

١٥-٧٣ بستان القبول

فهرس

المجلد الثالث من مجلة «الزهراء»

﴿ ث ﴾

﴿ ج ﴾

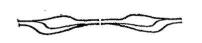
(غ)

(ف)

﴿ ق ﴾

﴿ ك ﴾

﴿ ل ﴾



الزهراء

ج ١ : م ٣ القاهرة ١٥ المحرم ١٣٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اهدنا اللهمَّ الصراطَ المستقيم : صراطَ الذين أنعمتَ عليهم بالسيادة والهُدَى ، والجلادة والتقوى ، من آبائنا البررَة الأكرمين ، وأسلافنا الحكماء المُفلحين ، الذين اضطلَعوا بكلّ ما بلغتْه مَدارِكُ البشر لعهدِهم مِنَ المعارف النافعة في سبيل الحياة ، والفضائل التي ترقَى بها النفس في مَعارج العفَاف والصفاء ، حتى نكون أقوياء بالفضيلتين ، أملياء بالسعادتين . ويسّرْ لنا اللهمَّ وَصْلَ ما انقطعَ من سلسلة أعمالهم ، كِفاءً لما أحسنوا به إلينا خاصةً ، والى الانسانية عامة ، بجهودهم ومبرّاتهم التي يفنى الدَّهر ولا تفنى آثارُها . وأداءً لأمانةٍ حملناها عن خير سَلَف ، الى قَرارة الحميَّة والوفاء من أفئدة الخَلَف . ولن يضيعَ مجدٌ يتوارثُ أمانتَه الشبابُ الوفيّ ، والنسلُ الأبيّ

وبعدُ فاني أحمدُ اللهَ على أن وفّقني الى الشروع بالمجلّد الثالث من ﴿ الزهراء ﴾ ، وأرجو أن يكون أكثرَ نفعاً وأغزرَ فائدة من أخوَيْه السالفَين ، جرياً مع سُنّة التقدّم * واللهُ المعين

محب الدين الخطيب

محافظون ...

مَثَلُنا ومَثَلُ دُعاة التجرُّد - ولا أقول التجدُّد - كَمَثَلِ إخوةٍ ثلاثة، نشأُوا من القرية في أرومة عزّها، وبيت سيادتها. وقد تركَ لهم أبوهم قصراً شامخَ الذُّرَى، فسيحَ الأرجاء، متينَ الدَّعائم: ادَّخر فيه الأجدادُ الأمجاد كلَّ ما حصَّلوه في أدوار الغِنَى والفقر من سَمِين وغَثّ، وما جمَّعوه في الأيّام البيض والسود من أنيقٍ ورثّ. ولـكنّ غفلةَ أصحاب هذا القصر القديم عن تعهُّده دائمًا بالخدمة والاصلاح، وجهلَهم بقيمة ما فيه من دقيق الفنون الأثرية القائمة منه في بروج القوة ودعائم الخلود، انتهى بالقوم إلى أن صارت محاسنُ قصرهم محجوبةً بطبقات الغُبار، وفنونُ بدائعه مَستورةً ببيوت العَناكب . . .

وكان قد قام الى جانب هذا القصر العظيم القديم - في تلك الغفلة من أهله - منازلُ حديثة الطراز، ذات مَرافقَ للخير وأُخرى للشرّ، جمعت جميعَ مظاهر الزخرف ووسائلِ الاغراء؛ لـكنَّ شوامِخَها الغرّارة ارتفعت على دعامتين من حِرمانٍ لا حدَّ له، تستعبده شهواتٌ لا حدَّ لها؛ لذلك كانت حياة ساكني تلك المنازل الفتّانة بعيدةً كل البعد عن طمأنينة السعادة

فلما صار القصر القديم الى هؤلاء الاخوة الثلاثة اختلف رأيهم فيه باختلاف البيئات التي اتصلوا بها، والجماعات التي عاشروها، والميول التي نشأوا عليها، والمعارف التي تغذَّت مَدارِكُهم بألبانها

كان أحدُ الاخوة قد ألِفَ الانزواء في قصر آبائه لا يبرحه قطُّ، ولا يقع نظرُه على ما حدث في جواره؛ فهو - لذلك - يأبىَ أن يجاريَ جيرانه في شيء مما عندهم من مستحدثاتٍ نافعة، كأبائِهِ ما انغمسوا في حمأته من المستحدثات الضارَّة. بل إنَّ نُشوءَه في دور الفقر والانحطاط من أدوار ذلك القصر جعله

يستأنس بآثار ذلك الدور ، ويستوحش من جميع الأساليب والوسائل التي بلغ بها أجداده قمة مجدهم ، وأوج سيادتهم . فهو لا يرى من الصواب أن تمتد يد الى هذا القصر بالاصلاح : سواء كان هـذا الاصلاح من طريق الرجوع الى وسائل الأجداد أيام عظمتهم واعتلائهم ، أو باقتباس ما عند الجيران من أساليب القوة ودواعي التفوّق

والأخ الثـاني زَهِدَ بقصر آبائه ـ لسبب من الأسباب ـ فالتحق بمنازل الجيران ، وانغمس الى أُذنيه بمـا فيها من وسائل الإغراء المتنوعة . وما زال سمعُه يأنس بما يسمعه من ذمّ قصر آبائه ، ووصفِ المنازل التي قامت الى جنبه بجميع المحامد ، حتى أخذ المِعْوَلَ بيده ، وشرع يضرب أسوار القصر بفأسه مرة وبرأسه مرة اخرى ، ثم رجع عنها في المساء بلا طائل ؛ لأن الفأس والرأس لم يخلقا لتقويض دعائم الخلود . . .

بين هذين الاخوين أخٌ ثالثٌ من دأبه التنقلُ بين محاسن قصر أجداده ، واستعراضُ ما يتجسّم فيه أمام ناظرَيه من ذكريات العزّ ، ومناقب المجد . فاذا استعصى عليه تحليـل أسباب الانحطاط في القصر القديم ، قام يطوف بين منازل الجيران باحثاً عن أسـباب الاعتلاء في البناء الجديد . وما زال هـذا دأبه : لايحجب الغبارُ ونسيجُ العناكب محاسنَ بيت آبائه عن عينيه ، ولاتحُولُ عداوةُ جيرانه له دون أن يرى بواعثَ نشأتهم وأسبابَ قيام دولتهم ؛ الى أن تكوّنت عنده عقيدةٌ راسخةٌ كرسوخ أبراج ذلك القصر بأنّ من الواجب أنْ تُصان دعائمه عن عبث العابثين بها ، وأن يَكُفَّ مِعْوَلَ أخيه عن محاولة التهديم الذي لا نتيجة له غير إضاعة ذلك المجهود كالهَباء . ثم أن يحمل أخاه الآخر بكل وسائل الاقناع الحكيمة على السعي لتجديد شباب ذلك القصر ، وإزالة ما يحجب محاسنه ويشوّه جمال بدائعه ، وأن يعملوا جميعاً ـ كأنّ أيديهم كلها يدٌ واحدة ـ

على مجاراة اولئك الجيران في أحدث أساليب العظمة والقوة والتقدُّم ، مع الاحتفاظ بتقاليد القصر النافعة ، وشعائره التي تبقى له معها شخصيته الممتازة في مِضمار الحياة

ذلك مَثَلُنا ومَثَلُ دُعاة التجرُّد : أنهم يريدون إزالة ذلك البناء الشامخ من أساسه اذا استطاعوا ... وإقناعَ الصديق والعدوّ بأن محاسنَه سيئات ، ومحامدَه دنيئات ... وأنَّ جميعَ ما فيه من ذكريات العظمة والفضائل لم يكن شيء منه ...

وهذا ما نسميه نحن « تجرُّداً » ، ونفتخر بمقاومة الجانحين له ، وبيان ما يسيئون به الى الحق بذاته ، والى العلم النزيه ، والى الاجداد في قبورهم ، والى الجامعة القومية بكل مفاخرها

وإذا دعوناهم الى التعاون على نشر جميع ضروب المعارف النافعة ، بشرط أن لا يسيئوا الى الامة في عقائدها وشعائرها بما لا طائل تحته ، ولا دخلَ له في تقدُّم الامة نحو الغاية المنشودة من القوة والثروة والتفوُّق في الصناعة وفنون العمران ، قالوا : انكم محافظون . . .

وإذا دعوناهم الى التعاضد في تسهيل أساليب تعليم هذه اللغة وتوسيع دائرة بيانها وإحسان التأليف في مادّتها وفنونها وآدابها ، بشرط أن لا نخرج على قواعدها الثابتة وأساليبها الجَزْلة البديعة التي قام عليها تأليف ملايين الكتب ، واتُّبعتْ في ثمرات قرائح عشرات الالوف من الشعراء ، واحترمها الناطقون بالضاد في جميع أنحاء الوطن العربيّ الاكبر ، وتكون اللغة بالشذوذ عنها لغة أخرى ، قالوا : انكم محافظون . . .

واذا دعوناهم الى أن نكون جميعاً متخلقين بخلق الأمانة والانصاف والوفاء

فيما نستنبطه من مادة التاريخ العربي والاسلامي التي تركها لنا السَّلف ، فلا نَعمى عما هنالك من فضائل تبهر الأنظار بأشعتها ، ولا نطير فرحاً بالهنة الصغيرة التي زلت بها قدمُ فردٍ من أفراد هذه الامة فنصِم الامة كلها بها ؛ قالوا لنا : انكم محافظون ...

واذا قلنا لهم جنّبونا طريق الذلّ والخنوع الذي تريدون من الامة أن تسلكه : فتذوبَ في هؤلاء الافرنج ، وتفنى شخصيتها بشخصيتهم ، ووجودَها في وجودهم ، فتزداد بذلك ضعفاً على ضعفها ، وذلاً على ذلها ؛ قالوا لنا : انكم محافظون ...

نعم ، اننا محافظون . ولكن على كِياننا ، وعلى حياتنا المعنوية ، وعلى شخصيتنا القومية ، وعلى لغتنا التي أُعجب جميع المستشرقين بعجائب أسرارها وبدائع جمالها ، وعلى ديننا الذي كنا أقوياء وأعزّة يوم كنا متمسكين به ، وصرنا ضعفاء وأذلةً يوم ضللنا عن هدايته ، ومنذ تمسكنا بالخرافات التي سَطع نوره لتبديد ظُلماتها الحالكة

أما التجدُّد . . .

التجدُّد الذي نبقىٰ معه مسلمين حقّاً . . .

التجدُّد الذي ينمّي في نفوسنا فضيلة الوفاء لأجدادنا . . .

التجدُّد الذي يزيدنا قوَّةً وثروة ومِنعة ، ويرفع عنا ذلَّةَ الخنوع لنير الأجانب ونزعاتهم ونزغاتهم . . .

فذلك التجدُّد نحن دعاته ، والمرحّبون به ، والحاضُّون عليه : فاذا علمنا بإقدام رجل من بني قومنا على فتح مَصنع ميكانيكي يغنينا عن شيء من صناعات الأجانب ، وإذا علمنا بأن شركة من بني قومنا عوَّلت على إنشاء باخرة تغني نفراً من قومنا عن السفر تحت راية الأجانب ، وإذا علمنا بأن حكومة من

حكومات وطننا الاكبر أخذت في تنظيم جنديتها وإحداث تحسين في ألمحتها ، وتوسيع دائرة معارف بلادها ؛ كان ذلك كله روحاً لنا وريحاناً ، واستقبلناه بالبشر والترحيب والتشجيع . أما انصرافُ مَدارك اخواننا الآخرين ومَواهبهم الى تشويه محاسننا الاسلامية والقومية ؛ حتى تبلغ بهم آدابهم، وفهمهم المعكوس لروح التاريخ الاسلامي ، الى زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجاهد لأجل الدنيا ، وأن أبا بكر رضي الله عنه كان يقاتل لأجل الملك ؛ ومحاولتهم صبغ تاريخنا ـ بوجه خاص ـ بلون اسود قاتم خلافاً للحق وافتئاتاً على الواقع ؛ فذلك شيء ليس من التجدُّد في شيء ، وما بهذا تسير الامم في طريق القوة والحياة

اذا كان الفوز كل الفوز عندهم في أن يزلزلوا عقيدة الشابّ من شبابنا بدينه وقوميته ، ويبعدوه عنهما الى جهة هؤلاء الافرنج ولو بالظواهر التي لا يتوقف عليها نهوض ولا تقدم ، ثم يريدون منا أن نعدَّ ذلك إصلاحاً وتجديداً ، فذلك مما لا يسلّم به رجل في قلبه ذرَّة من إيمان ، ولا يستطيع السكوتَ عليه فتى تجول في عروقه قطرة من دم القومية الطاهر

أيها الإخوان ،

إن كنتم تريدون التجدُّد حقاً ، وإن كنتم تعرفون قيمة الوقت وتضنون به أن يذهب في السفاسف ، وان كنتم ترون السرعة التي يندفع بها أعداؤنا في طريق القوة ؛ فدعونا من القشور التي توسع الهوَّة بينكم وبين جمهور الامة ، وألقموا من لا يدرك هذه الحقائق من إخوانكم حجراً يمنعهم من الهذيان بما يؤذي الناسَ في عواطفهم ومقدَّساتهم . صحّحُوهم ولا تتردَّدوا ، أو أسكتوهم إن كان ذلك في استطاعتكم ، وتعالوا نعمل معاً في سبيل التجديد ، فان الطريق واسع ، وكل من سار على الدرب وصل .

الى المتجردين...

لكمْ ما أردتمْ من يقينٍ وضدِّهِ فلستُ على خُلْفِ العقيدةِ أحنقُ
ويا طالما قد كنتُ للفكر ناصراً وما زلتُ مَنْ يرضاهُ حرٌّ مُحققُ
لكم دينكم أو أيُّ دينٍ ومذهبٍ فانَّ فخارَ العصرِ بالفكرِ مَوثَقُ
ومنْ رُتبةِ الإنسانِ حُرِّيّة الحجا وما هان قومٌ في مدى البحثِ أخفقوا
ولكنْ بحقِّ العلمِ والفضلِ هل لكم صيانة ميراثٍ هو المجدُ يُشرِقُ ؟
وفيمَ ابتغاءُ الهدْمِ في كلِّ وثبةٍ كأنَّ النهوضَ الحقَّ هدمٌ مُحقَّقُ ؟!
وأيُّ رجاءٍ في غدٍ حين أمسُكم يُذالُ بما يأباهُ علمٌ ومنطقُ ؟
اذا ماقطعتمْ ذلك الجذعَ ضلَّةً فكيف الغدُ المأمولُ ينمو ويُورقُ ؟
وانْ كان ذنبُ الأمسِ آثارُ دينِهِ أليس له تاجٌ من الفنِّ يُعشَقُ ؟!
فلا تحسبوا انَّ الفلاحَ تجرُّدٌ ولكنَّهُ علمٌ متينٌ مُوفَّقُ
وأخذٌ بأسبابِ العظائمِ كلِّها ومن بينها الأمسُ العزيزُ المحلِّقُ!
لعَمْريَ ما يطفي الجواهرَ عُمْرُها ولكنْ على مَرِّ الزمانِ تألَّقُ!
وتَبقى مثالاً للجمالِ مُهذَّباً يُصاغُ على إشعاعِها ويُنمَّقُ!

أبو شادي

﴿ قِدَم الشعر العربي ﴾

جاء في المقتطف (١٤ : ٢٨٣) في معرض بيان قِدَم الشعر العربي : «وقد شاهدنا صورة قصيدة وجدت منقوشة بالقلم الغادي على احدى الخرائب القديمة ببلاد اليمن ، ويُظن أنها نقشت قبل التاريخ المسيحي بأكثر من الف سنة ».

علم ابي العلاء (*)

لم يكن بيته من العلم مجدبا ، بل كان جنابه بالأدب مُخصبا . فقرأ أولاً النحو واللغة على أبيه بالمعرّة وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوىّ بحلب. وغيرهما من بنى كوثر وأصحاب ابن خالويه ، ومنهم أبو القاسم المبارك بن عبد العزيز صديق النُسكّى الذى بعث إليه أبو العلاء رسالته ال ٢٧ . وسرد ابن العديم فى الباب الرابع من (العدْل والتحرّي) أسماء شيوخه بالمعرّة وحلَبَ وبغداد ، ولعل هذا وهم منه . فانه لم يتلمذ ببغداد لاحد كما سنبحث عنه .

وأما علمه بالحديث فانه يحدث عن أبيه وجده (١) . وسمع بالمعرة عاليا من يحيى ابن مِسعَر (٢) التنوخيّ صاحب أبي عَروبة الحرّانىّ وجزءاً من أبي الفتح (٣) محمد بن الحسين صاحب خَيْثمة فى صِباه (٤) . قال السِلَفىّ (٥) حدثنا الخليل بن عبد الجبار بقزوين وكان ثقة حدثنا أبو العلاء التنوخى بالمعرّة حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين حدثنا خيثمة فذكر حديثا . وروى السيوطى في ختام بُغيته (٦) بطريقه حديثاً مسنداً يتعلق بغرض لصاحبنا ونُلمُّ بذكره في محلّه فأحببنا إيراده هنا . قال « شافهنى أبو الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي بالمدينة الشريفة عن والده عن الشرف البارزيّ أخبرنا الكمال بن العديم حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي المعالى بن البنّاء البغداديّ بدمشق أنبأنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر

(*) بقلم العلامة المحقق الاستاذ عبد العزيز الراجكوتي فى كتابه (ابو العلاء وما اليه) الذي يطبع في مطبعتنا السلفية

(١) بغية الوعاة ١٣٦ (٢) لا مصير كما هو فى ذكرى أبى العلاء ١٤٤ ولعل هذا التصحيف من اتكاله على المآخذ الافرنجية — (٣) الازدى الموصلى الحافظ الف فى علوم الحديث . ترجم له ابن حجر في لسان الميزان ٥ : ١٣٩ ومات سنة ٣٧٤ هـ

(٤) تاريخ الاسلام للذهبى ١٣٠ ولسان الميزان ١ : ٢٠٤

(٥) انظر الذهبى ١٣٢ (٦) ص ٤٥١

الزاغوني حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الخطيب الأنباري من لفظه أنبأنا أبو العلاء المعري قراءة عليه بالمعرة حدثنا أبو زكريا يحيى بن مسعر التنوخي المعري حدثنا أبو عروبة بن أبي معشر الحراني أنبأنا هوبر حدثنا محمد بن عيسى الخياط عن أبي الزناد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وان الصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنة من النار » وقال في الغفران [1] بعد أن نقل عن أبي معشر المدني في كتاب المبعث حديثاً في ذبحه عليه السلام ذبيحة للأصنام ثم إنه ألقاه بمنع زيد بن عمرو « وفي حديث آخر وقد سمعته باسناد أن تميم بن أوس الداري كان يهدي الى النبي ﷺ في كل سنة راوية من خمر ، فجاء بها في بعض السنين وقد حرمت [2] الخمر فأراقها. قال السلفي [3] قرأ القرآت بروايات ، وسمع الحديث بالشام على ثقات . وقال السمعاني سمع الحديث اليسير وحدث به . وقد عقد الصاحب ابن العديم بابا وهو السادس من (العدل والتحري) في ما وقع اليه من حديث أبي العلاء [4] مسنداً وروى منه شيئاً غير يسير

وأما علمه باللغة والنحو والأدب فهو الغاية القصوى . قال الصفدي وعدد من رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها « وأبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة » . ولا يكاد يقضي العجب من تبحره من طالع الغفران لاسيما [5] تفننه في قوافي بيتين للنمر بن تولب العكلي حتى أتى على جل

(١) ١٧٦
(٢) في الاصل حرخت ؟
(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ١٣٥ لسان الميزان عدد ٦٤٢
(٤) الغيث المسجم ١ : ١١٨
(٥) ص ١٤

حروف المعجم . ونقل المجد في البُلغة (١) عن محمد بن رادة اللغوي قال كان بالمشرق لغويٌّ وبالمغرب نغويٌّ في عصر واحد لم يكن لهما ثالث وهما أبو العلاء وابن سِيْده اهـ ـ وروى ابن العديم عن تلميذه التبريزي أنه قال « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرّيّ »

وأما تبحره فى علمى العروض والقوافي فبحسبك فيه مقدّمة اللزوم ورسالة له إلى النُكتيّ وهي الـ ٢٧ ، وله تآليف فيهما .

وله إلمام بالفقه والفروع والمذاهب قال صدر الافاضل في شرح قوله في سقط الزند :

في معشر كجِمار الرمى أجمعها ليلا وفي الصبح أُلقيها إلى القاع

« في هذا البيت ماينبّهك على أن أبا العلاء كان قد ضرب فى الفقه بنصيب . وذلك أن كثيراً من الفقهاء يتوهمون أن الإفاضة من المزدلفة إلى مِنيً ورَمْيَ جَمْرة العقبة بعد طلوع الشمس من يوم النحر . والصواب أنهما بعد إسفار الفجر من ذلك اليوم . فلذلك جعل أبو العلاء رمى الجمار في الصبح . فلله دَرّه من نحرير لايغيض بحره » اهـ . ومما يدلّ له من اللزوم :

زكّوا على مذهب الكوفي (٢) أرضكم وجانبوا رأيه في مسكر طُبخا

وأما علمه بالملل والأديان وفِرَق المسلمين فإن صفحات الغفران مُترَعَة به وكذلك الفرائض قال في لزوم مالا يلزم :

هي الدنيا إذا طُلبت أهانت وعالت والفريضة ذات عوْل

وكان يعرف شيئاً من الحساب أيضاً على عماه قال في لزوم مالا يلزم :

---

(١) فى أئمة اللغة (خط)

(٢) أبي حنيفة رحمه الله

وتداني الأيام يحدث نقصا وازديادا ، والجسم للنفس رِبْعُ
خمسة في نظيرها خمس خمسا تِ تنمّتْ والنصف في النصف رُبْعُ (١)
سما نفر ضربَ المئين ولم أزل بحمدكَ مثل الكسر يضرَبُ في الكسر (٢)

وأما النجوم فإنه مع عدم ايمانه باحكامها يعرف مالا بد للأديب منها قال في لزوم مالا يلزم :

والمال خِدْن النفس غير مُدافَع والفقر موت جاء بالإِهمال
أو ماترى حكم النجوم مصوّرا بيت الحياة يليه بيت المال

وكان آية في معرفة الأخبار والتاريخ الماضي والحاضر، وهذا غفرانه ذكر فيه جميع الزنادقة والملاحدة ومستظرفات اخبارهم ومستطرفات آثارهم حتى إنه نقل في خبر فتح محمود الغزنوى للهند ما هو معلوم من إِحراق المرأة نفسها على زوجها الميت ويسمّى بلسانهم سَتِيْ الى غيره من أخبارهم وآرائهم وهذه رسالته في وفاة أبي بكر الى خاله أبي القاسم ، تطرّف فيها بذكر أكثر ملوك الأمم ، ومصيرهم للبِلى والرِمَم . وصيرها مُثلةً وأُسوة ، ولمن أتى بعده من نحو ابن عَبْدون قُدوة . ومن شعره في المعنى (من اللزوميات) :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعنديَ من اخبارهم طَرَفُ

وهذا كله على أنه كان في صِباه ظريفًا يدخل في كل فنّ من الجِدّ والهزْل . وكان يلعب بالشطْرَنج والنرد على ما حكاه أبو الحسن الدُلَفِيُّ وكان رآه في عنفوان شبابه بالمعرة على ما حكاه الثعالبي عنه في تتمّة اليتيمة (٣) . ومن شعره الى

---

(١) اي يحصل ٢٥ بضرب ٥ في ٥ في الزيادة و $\frac{1}{4}$ من ضرب $\frac{1}{2}$ في $\frac{1}{2}$. ولم يفهم المعنى محشي اللزوم ـ

(٢) معناه كالسابق

(٣) نسخة باريس الخطية ٠ وزعم مرجليوث ٣٠ أن هذا في زمن عزلته وهذا غلط منه

لاعب في سقط الزند [1] :

أيها اللاعب الذي فرس الشطْـ ـرَنْج همَّت في كفّه بالصَّهيل
من يُباريك والبياذق في كفّـ ـك يَغْلِبْن كلَّ رُخّ وفيل
تصرع الشاه [2] في المجال ولوجا ء مردَّى بالتاج والإكليل
أنت فوق الصُولى [3] في هذه الخلّـ ـة مُزْرٍ في غيرها بالخليل

ومن لزوم مالا يلزم في الدنيا :

في بُقعة من رُقعة يَسَّرت للبيذق الفتكَ بفرزانها
إن لم تُحَوَّل فرازينا بياذقُهم فالشاهُ فيل وذاك الفيل فرزان

قال الصفدي [4] وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصاً متجنداً يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطْرَنْج مع العوالى ويحطُّهم ويغلبهم وما راعني فيه إلا أنه يقعد ويتحدث وينشد لنا الاشعار . الى آخر ما حكى من أمره ثم قال « وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لايكاد يجهله من يلعب بالشطرنج » ثم ذكر رجالا يلعبون وهم غُيَّبٌ أو على عِدَّة رِقاع فى وقت . وظنى

ولعله لم يتامل عبارة التتمة . على أنا نربأ بصاحبنا ان يذهب عمره ادراج الرياح . وهو يقول في سقط الزند ٢ : ١٤١ :

جنيت ذنبا وألهى خاطري وسن عشرين حولا فلما نبه اعتذرا

واما ابو الحسن فقد افرغت مجهودي في التطلب عنه فوجدته والحمد لله على ذلك في الصبح المنبي ١ : ٤٢٤ وهو ابو الحسن محمد بن عبد الله بن حمدان الدلفي العجلي النحوي شرح ديوان المتنبي فى عشر مجلدات قال صاحب البغية ٥٢ نقلا عن ياقوت « انه كان من أصحاب الرماني وكان فاضلا بارعا ومات بمصر سنة ستين واربعمائة » أقول كذا فيها وهو يورث الاختلاج مع قول الثعالبي انه لقيه قديما وحديثا فى مدة ثلاثين سنة الا أن يكون بلغ من العمر ٩٠ سنة

(١) ٢ : ٢٢٣ (٢) بالهاء بدون النقطتين

(٣) في التنوير هو ابو اسحق ولعل هذا وهم فالمعروف به في الناس أبو بكر الصولى الشطرنجى صاحب أدب الكاتب

(٤) الغيث المسجم ٢ : ٥١

أن صاحبنا أضرب عنه فيما زهد فيه من زهرات هذه الحياة على انه يشدّد الإنكار على من يضيع ساعة من عمره فيما لا يعنيه

والظاهر انه لم يكن يعرفُ غير العربية من اللغات الا ان واعيته البديعة حفظت له كل مامرّ بسمعه من كلمات غير العربية فتراه يَنْفُثُ بها نفثا قال :

لا يُبْصرِ القومُ في مَغْناك غِسلَ يد على الطعام إلى أن يُرفع السُّورُ

إذا قيل لك اخش الله مولاك فقل آرا !

والسور : دعوة الوليمة وكل سُرور . وآرا : نعم . وكلاهما من الفارسية [١]

فياقَسّ وقِّعْ برزق الخطيـ ب وانظر بمسجدنا يا مُنَشْ

قالوا هو الناظر بالعبرية :

وقفتَ على كل باب رأيت حتى نهاك أبو ضابط

قالوا هو كنية الموت بالحَبَشيَّة :

وأما طلبه فقد انقضى قبل بلوغه عشرين سنة كما صرّح بنفسه وصدع به في رسالة له [٢] الى خاله أبي القاسم « وانصرفت (عن بغداد) وماء وجهي في سقاء غير سَرِب . وما أرقت منه قطرة في طلب أدب ولا مال . [٣] ومنذ فارقت العشرين من العمر ما حَدَّثتْ نفسي باجتداء علم من عراقيّ ولا شآمٍ » ولم يتكثر بالشيوخ والانتساب اليهم قبل العشرين أيضاً . ونقل القفطي [٤] عن التبريزي أنه لما قرأ عليه إصلاح المنطق طالبَه بالسند فقال له : ان كنت تريد العلم فخذه عني ولا تَعْدُني وإن كنت تريد الرواية فاطلبها عند غيري . قال القِفطي

(١) وذكر في الغفران لفظ الباسنة والجمع بواسن بمعنى الاناء ١٦٩ وهى هندية فيما أحسب — (٢) ص ٣٢ —

(٣) وأمامرجليوث وكل من قلده من أبناء جلدته ففهم انه لم يطلب العلم ولا المال بعد العشرين وهذا لايصح فانه لم يطلب المال قبل العشرين أيضا كما هو ظاهر من العبارة

(٤) ذكرى أبي العلاء ٣٠٤

فهذا يدلّ على أن أبا العلاء كان يثق بنفسه ويعتقد أنه أدرك اللغة وإنها في عصره لأنضج منها في عصر ابن السكّيت. أقول وكأن أبا الفداء لاحظ هذا المعنى حيث قال : لم يتلمّذ أبو العلاء لأحد أصلا . على أن الملك المؤيّد رحمه الله وهو بلديُّه لم يمنحه استياءً بإلحاده كبيرَ جانبٍ من الالتفات . فتراه يأتي [1] في ذكره وهو نحو تسعة أسطر بالأقوال المرغوب عنها.

هذا وفي الضرام أنه تلمّذ على عبد الوهاب بن نصر المالكي [والظاهر ببغداد أو بعد الرجوع] الذي أرسل اليه أبو العلاء ثلاثين درهما مع قطعة [2] في الاعتذار وذكره في اخرى [3] إلى التنوخي الصغير أيضاً . ولعله اغترّ بقوله في الاولى :

وما أنا الا قطرة من سحابة ولو أنّني صنّفتُ ألف كتاب

وفي الاسعاف [4] والبُغية [5] أنه سمع من عبد السلام بن الحسين البصري [ببغداد] . ولعله اغترّ برواية المعري عنه بلفظ « حدّثني » حكايةً [6] جرت في مجلس السيرافي وكانت سبباً لتجرّد ابن السيرافي يوسفَ في طلب العلم. ولكن فيها « وكان لي صديقاً صدوقا » ولا يقال مثل هذا في الشيوخ ، فكلا الرجلين إمّا غالط أو مغالطٌ . وكان الرجل أعمى لا يستطيع أن يقرأ بنفسه شيئاً . فان قرأ له أحد أو ذاكره بشيء لا يتدرج الى استاذيته وإلا فجُملة تلامذته أساتذة له . نعم إن عبد السلام كان أسنَّ منه ونذكره في رحلة أبي العلاء الى بغداد .

عبد العزيز الراجكوتي

---

(١) ٢ : ١٧٦ . وقال ابن الوردي في مختصر أبي الفداء : وقد طالت هذه الترجمة فاني رأيت المؤلف (ابا الفداء) سامحه الله غض من الشيخ فاحببت أن انبه على ذلك اه

(٢) سقط الزند ٢ : ١٣٨ و ١٣٩ (٣) سقط الزند ٢ : ١٤٠

(٤) في شرح أبيات الكشاف للخضر الموصلي ١٦٣ من نسخة حيدر آباد . وقد زاد صفته على ابالة حتى سماه عبد الله اه (٥) ١٣٦ (٦) الوفيات ٢ : ٣٥٠

الامة والوطن

الامة عبارة عن فريق من المجتمع : خاضع لجوامع حقيقية أو اعتبارية تصلح لأن تكون مدار التعريف والتميز له عما سواه

ويختلف معنى « الامة » باعتبار الجوامع التي تجتمع بين أفرادها : فقد تطلق « الامة » ويراد بها « النوع » ، كالانسان بالاضافة الى ما يشاركه في الجنس من الحيوان . وقد تطلق ويراد بها « صنف من النوع » ، وذلك قد يكون باعتبار العرق ، أو اللغة ، أو الدين ، أو الاقليم

ولما كان الباعث على التجمع في الأصل هو « التعاون » كان أشد الجوامع أمسَّها بذلك وألصقها به . لهذا كانت جامعة العرق واللغة والدين في مقدمة الجوامع

أما **العرق** ؛ فلتحقق الجزئية ، وتجلي معنى العصبية ، بوحدة الدم المتنقل في العروق جيلاً بعد جيل . فبارك الله في الوشائج والأرحام

وأما **اللغة** ؛ فلأنها وسيلة التفاهم والتخاطب اللذين يتعسر ـ بل قد يتعذر ـ التعاون دونهما ، حتى ربما يستوحش عند فقدهما الأخ من أخيه ، ولا يوالي حميم حميماً

وأما **الدين** ؛ فلابتنائه على أساسات متينة تقرّب بين أبنائه ، كأنما تربطهم بسلك كهربائي . وأي سلطان أقوى من المعتقدات الراسخة ، والعادات المتبعة ، والتقاليد الموروثة ؟ وهل الدين الا عبارة عن هذا القدر المشترك بين ذويه والمنتسبين اليه ؟

وحاصل البحث أن مناط التجمع والتآلف بين أفراد البشر إنما هو القدر المشترك بينهم مما يمهد لهم طرق التعاون ، ويسهّل عليهم سبل الانتفاع ، ويمكّنهم

من قضاء المصالح . وعلى نسبة نصيبهم من ذلك تتفاوت بينهم درجات التآلف والوئام : قوة وضعفاً ، ونقصاً وازدياداً . فالمصالح والمنافع أشدّ الروابط وأكبر الجوامع . ان المنفعة ناموس من نواميس الطبيعة كبير ، تخضع له رقاب وتخفق له قلوب .

وعلى هذا البساط ـ بساط المصالح والمنافع ـ تمخضت السياسة فولدت للامة معنى آخر اعتبارياً لا حقيقياً . . فالامة بهذا المعنى تطلق على فريق من المجتمع ربما كان مزيجاً من أمم متباينة في العرف واللغة والدين ، ولكنه خاضع لجامع اعتباري أوجدته السياسة ، ثم مثلته على مسارح كيدها تمثيلا . وهذا الجامع هو خرقة اصطنعتها أمة غالبة على شكل خاص من الالوان والنقوش رمزاً لتمثيل مجدها وشرف استقلالها ، ثم دعت تلك الخرقة « عَلَماً » وأطلقت لفظ الامة على مجموع ما انضوى تحت تلك الراية من أبناء عرقها ومن كل من نشبت فيهم أظفار قهرها من الأمم المستضعفة ، وان كانت مباينة لهم في العرف واللغة والدين .

أما باعتبار **الاقليم** (١) فلا تطلق الامة الا مجازاً . وهذا أيضاً من مختلقات السياسة وألاعيب الساسة ، وما إخاله إلا من مفتريات العصر الحديث . وفيه ـ من إضاعة الانساب ، وهضم جانب اللغة ، والتلبيس على عنعنات التاريخ ـ ما يجدر بالمفكر أن يحجم دون الاقدام على قبول مثله . ولكن السياسة ضرب من السحر المبين ، ولا يخدع من وراء مثل هذه الأستار الا الاقوام الجاهلة ، والامم المستضعفة . فوارحمتاه للمستضعفين ، ويا سوء عاقبة الجاهلين ! . .

---

(١) أى كما تحاول الامة الناطقة بالضاد أن تتفرق الآن باسم «مصرى» و « عراقي » و« سورى » و « حجازى » نسبة الى الارض التى ينزلها كل فريق من الامة العربية (الزهراء)

ان الانسان ابن التراب ، ولكنه لا ينتسب اليه إلا اذا جهل عمود نسبه الذي ينتهي الى التراب

اجل ، نحن لا ننكر تأثير وحدة الاقليم ، وما ينشأ عن ذلك من الروابط الاجتماعية من وجوه شتّى ، ضرورةَ احتكاك البشر بعضه ببعض إذا ما حُشروا في صعيد واحد . ولكنّا نقول : هذا شيء ومعنى « الامة » شيء آخر . وان معنى الوطن أوسع من أن يفسّر بعنصر التراب ، وأن يحصر بمواطيء الأقدام . ألا وان الامة تكوّن الوطن ، وان الوطن لا يكوّن أمة ؛ هي تكون مرآة وجوده ، وهو لا يكون مرآة وجودها ؛ فكم من أبناء وطن هم تحت سماء وطنهم غرباء . . .

وما يدريك أن منشأ تقديس الوطن التباسه بالجامعة القومية . ان الاصل في الامة أن تلتحم بسدَى أبنائها في صعيد واحد . فذاك المجموع هو الامة ، وذاك الصعيد هو الوطن . ولكن كم من فروع تغلبت على اصولها ، وكم من مجاز ضاعت الحقيقة بين ثنايا اشتهاره . وقد اشتهر الوطن بغير حقيقة معناه على لسان أمم يجهلون : اولئك الذين تخدعهم الألفاظ وهم عن تدبر المعاني غافلون . . .

لا شيء فوق الوطن ، ومن دونه ترخص المهج وبراق دم الحياة ؛ ولكن لا بالاضافة الى أحجار حُزونه ورمال سهوله ، بل بالاضافة الى ما يتمثل في هاتيك الأحجار والرمال من آمال الحياة ، وحياة الآمال ، مما لو أفضنا في شرحه لاحتجنا الى مجلد ضخم . ولكنا نكتفي ـ لتنبيه الأفكار الى شيء من ذلك ـ بذكر فقرات سارت مسير الأمثال ، وربما كنا نحفظها ، ولكنا نتلوها بالألسن من غير تدبّر وإمعان

فمن ذلك قولنا « شرف المكان بالمكين »

ومثله قولنا « الأرض تشقى وتسعد »

وأوضح منهما وأعذب قول مجنون عامر :

« أمرّ على الديار ، ديار ليلى اقبّل ذا الجدار وذا الجدارا »
« وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا »

ومما نحن فيه قول الشاعر :

« واذا الديار تنكرت عن حالها فذرِ الديارَ وأسرعِ التحويلا »
« ليس المقام عليك حتماً واجباً في بلدة تدع العزيز ذليلا »

ويقابله قول البحتري :

« وأحَبُّ آفاق البلاد الى الفتى أرض ينال بها كريم المطلب »

ومما يلمُّ ببعض المقصود قول الآخر :

« اذاما ذكرتُ الدار فاضت مدامعي وصار فؤادي نُهْبةً للهماهم »
« حَنيناً الى أرض بها اخضرّ شاربي وحلَّت بها عني عقودُ التمائم »

ومثله قول الآخر :

وحبَّبَ أوطانَ الرجال اليهمُ مآربُ قضَّاها الشباب هنالكا »

ويُومِيء الى سرّ الموضوع – من طرف خفي – قول علي بن الجهم :

« يارحمتى للغريب في البلد النا زح ماذا بنفسه صنعا »
« فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده وما انتفعا »

وبالجملة فان للوطنية أسرارا غامضة ترجع الى أسباب متنوعة وبواعث شتى وهي ترياً بالمفكر الناقد أن يقصر معناها على أغوار وأنجاد وأحجار ، فضية ورمال ذهبية . وكيفما كان فالوطن شيء والامة شيء آخر والاقليم لا يكون مرآة الاجتلاء لامة ، ولا علاقة للتراب بالانساب

هذا ، وقد تلخص لديك من مجموع ما مرّ بك أن للامة معاني متعددة

حقيقية ومجازية : فهي بحسب الوضع واقتضاء الطبع سلسلة فروع تنتهي إلى أصل واحد هو عمود النسب . وأما على لسان الشرع فهي من انفرد عمن سواه بدين فرداً كان أو جمعاً . وأما في قاموس السياسة فشيء اعتباري تحدده القوة وتفسره الاهواء على لسان الساسة ، حتى ربما جرَّ بعضُ فصول الرواية الى مجازات لاحقائق لها ، ولكن أكثر الناس لايفقهون ...

ومن نكد حظ البشر وسوء طالعه أن الحكومات التي نسميها « ملح الارض! » و« ظل الله الممدود ! » لاتريد أن تفقد من معاني الامة إلا ما كان مجازياً ، فأقامت عروشها على تلك الدعائم . ولو افتكرت أنَّ ماقام على دعائم المجاز لابد أن ينهار ، على تعاقب الليل والنهار ، لفضّلت الحقيقة على المجاز ، وتركتْ كلَّ أمة وشأنها ، فاستراحت وأراحت ، ثم أمنت من غدر الدهر وتقلب الايام . . . ولكن هي سنّة « تنازع البقاء » وخمرة الغرور إذا عبثت بلبّ الأقوياء . فرحماك ربي ! هل في الامكان أن يصحو بنو الانسان ! ...ومتى تنتصر الحقيقة على المجاز ، وينادي مناديها برفع الخطوب ، وتحرير الامم والشعوب ؟ يومئذ يستعمل لفظ « الامة » بمعناه ، ويستريح كل شعب من عناه ...

السيد
محمد حبيب العبيدي
مفتي الموصل

﴿ وحدة اللغة ـ في الوطن السامي ﴾

« في العصور القديمة »

استنتج الاستاذ سايس من قراءة الكتابات الاثورية التي وجدت سنة ١٨٨٩ في تل العمارنة بين المنيا وأسيوط أن اللغة الاثورية كانت لغة العلماء والسياسيين في مصر والشام والعراق قبل خروج بني اسرائيل من مصر

فتى العرب

ـ شكاةٌ مرسلة الى العالم العربي ـ

قضيتُ شبيبتي وبذلت جهدي فلم تكنِ الحياةُ كما اريدُ
الى كم أستحثُّ النفسَ عزْماً وكم أسعى ، وغيري يستفيد ؟
نهضتُ ، فقيل أيٌّ فتى ! فلمّا خبرتُ الأمرَ أعجبني القعود
وإني ـ بعد مجهدةٍ ـ وقومي كضاربةٍ وقد بردَ الحديد
وحيدٌ بينهم ، ولعلّ يوماً عصيباً فيه يفتقد الوحيد

***

لنا في الشرق أوطانٌ ، ولكن تضيقُ بنا كما ضاقت لُحودُ
تنازعَ أهلُها فلكلّ حزبٍ حِمًى ، ولكلِّ مملكةٍ عميد
نقيم بها على ذلٍّ وفقرٍ ونظمأ لا يَسوغُ لنا الورود
أ كاذيبُ السياسة بيّناتٌ تكيد بها الحكومةُ ما تكيد
وعودٌ كلها كذبٌ وزورٌ فكم وإلامَ تخدعنا الوعود ؟
اذا ما الملكُ شِيدَ على خِداع فلا يبقى الخداع ولا المَشيد
ومن لم يتخذْ مُلكاً صحيحاً فلا تغني الممالكُ والحدود
وقالوا دولةٌ نشأت حديثاً تؤيدها السياسة والعهودُ
كذبتم ما لنا في الأمر شيءٌ فقولوا إننا شعبٌ عبيد
وقالوا أمة نهضت تُداعي بحقٍّ كاد طالبه يَبيد
تفرّق أهلها ، ومضى بنوها ، وفي أرواحهم عزمٌ عتيد

***

ألا ما للمشارق في اضطرابٍ وما بالُ النوائب تَستعيدُ

أعادتْ كرّةَ التاريخ طوراً فدان من الأُلى سادوا المسودُ
ودالتْ دولة جرّتْ وبالا عليه وعاقها الجهد الجهيد
تمخّضت الحروبُ فكان يومٌ عليه حوادثُ الآتي شهود
وما بال الجزيرة لا نظام يتمُّ بها ولا رأى سديد
تضجُّ بها الحواضر والبوادي وتختلُّ الحزونة والنجود

***

أرى الأمل الذي نحيا عليه أضاء من الصباح له عمودُ
خذوا بنفوسكم طُرُق المعالي فدهرُكُم عِصاميٌّ عنيد
وجرح الشرق يضمده بنوه وهل يتلاءم الجرحُ الفصيدُ
نيامٌ أغرقوا في النوم حتّى أشيع بأنهم شعبٌ بليد

***

أرى الحرّيةَ اختضبتْ دماءً وقد خفقت لطالبها بنودُ
وأقسمُ أنّ عاشقها زعيمٌ بخطبتها ولو قُطع الوريد
رخيصٌ كلُّ ما بذلوه فيها ولا تغلو النفوسُ ولا النقود
اذا جُعلتْ لها الأرواحُ مهراً فانّ لمجدها كُتِبَ الخلود
يسوم المجدُ طالبَه بغالٍ ولا يطغى به الثمنُ الزهيد
اذا سهُلَ النزولُ الى حضيضٍ يشق اذاً الى القمم الصعود

بغداد محمد الهاشمي

قال عبد العزيز بن زُرارة الـكلابيّ :

لقد عجبتْ منه الليالي لأنه صبورٌ على عضْلاء تلك البلايِل
إذا نال لم يفرَحْ ، وليس لنكبة ألمَّتْ به بالجاشع المتضائل

الطربوش

بحث في لفظه وتاريخه

اقترحنا في صحيفة (الفتح) على علامتنا المحقق الجليل صاحب السعادة أحمد تيمور باشا — بمناسبة مازعمه أحد أطباء القاهرة من أن الطربوش يوناني — أن يتفضل بكتابة شيء في تاريخ الطربوش فأنشأ حفظه الله هذا الفصل المتع :

الطربوش لفظ فارسي الاصل محرّف عن « سَرْبُوش » ومعناه غطاء الرأس ، بتقديم المضاف اليه على المضاف كقاعدتهم ، لأن معنى « سَرْ » بفتح فسكون : الرأس ، و« پوش» بضم الباء الأعجمية الغطاء وعرّبه المولدون بلفظ «شَرْبُوش » بالشينين والباء العربية ، وأطلقوه على قلنسوة خاصة بالجند كانت تلبس بلا عمامة . ثم لما حدث هذا النوع الاحمر ذو الذؤابة سمّته العامة أيضاً بذلك ، إلا أنها أبدلت شينه الاولى طاء فقالت فيه « طربُوش » وخصت الشربوش بغطاء قارورة التدخين المسماة بالشيشة وبالنرجيلة

وقد ورد الشربوش بالشينين في عبارات للمؤرخين وأشعار للمولدين لاتحصى كثرة ، كقول (المقريزي في خططه) عن أولاد شيخ الشيوخ « وأما فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين فان الملك الكامل جعله أحد الامراء وألبسه الشربوش والقباء » . و كقول (أبي شامة في الروضتين) عن مدبر أمر الموصل لسيف الدين ابن أخي نور الدين الشهيد « فجاء ودخل على سيف الدين وألقى شربوشه بين يديه » . وفي (الكامل لابن الأثير) أن الكندهري(1) الفرنجي صاحب صور كان عاقلا كثير المداراة والاحتمال ، ومن ذلك أنه أرسل الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله ويطلب منه خلعة ، وقال :

(١) اسمه عند الافرنج الكونت هنرى

أنت تعلم أن لبس القباء والشربوش عندنا عيب ، وأنا ألبسها منك محبةلك .
فأنفذ اليه خلعة سنية منها القباء والشربوش ، فلبسهما بعكا

ولم نقف على تغيير لفظه الا في ترجمة نجم الدين أبى الفضـائل الفقيه الحنفى التركي من (المنهل الصـافي لابن تغري بردي) في قوله عنه نقلا عن تاريخ حلب لابن العديم «فقيه حسن عارف بالفقه والاصول ، وكان يلبس لبس الاجناد : القباء [1] والتربوش » هكذا في النسخة بالمثناة الفوقية ، فان لم يكن تحريفاً من الناسخ وكان عن لغة محكية فيه عندهم فهى أصل قول العامة الآن طربوش بالطاء . ولكنه ورد في مواضع أخرى من (المنهل الصافي) بالشينين على المشهور، منها قوله في ترجمة الملك الناصر داود ـ صاحب حماة ـ لما مثل بين يدى الخليفة المستنصر العباسى ببغداد وحباه بانعامه « وخلع عليه خلعة سنية ، وعمامة مذهبة سوداء ، وجبة سوداء مذهبة . وخلع على أصحابه ومماليكه خلعاً جليلة ، وأعطاه مالا جزيلاً . وبعثَ فى خدمتـه رسولا مشربشاً من أكبر خواصه الى الملك الكامل يشفع فى الناصر المذكور » . وورد « الشربيش » بالياء فى أبيات لابن حجاج رواها له المحبى في كتاب (ما يعوَّل عليه) في كلامه على « شؤم القز » وفسره أنه طائر يُتشاءم منه . قال : وكثيراً ما كان يتمثل به ابن حجاج في شعره كقوله :

باسيدي دَعوة ذي حرفةٍ أقدمُ فى الشؤم من القزّ
عمامتى كانت أميرية مليحةَ الشَربيشِ والطَرْز
ولست بالباكي على فقدها فالخزيُ أولىٰ بى من الخزّ

وقد يتبادر أنه تغيير آخرفي لفظه بقلب واوه ياء ، ولكننا نرجح أنه أراد

(١) كان القباء خاصا بالجند وامرائهم أي كالمعروف اليوم بالسترة العسكرية وكان الصاحب ابن عباد يلبسه بعد توليه الوزارة انتسابا منها الى الجندية

به حِلية مذهبة أو مرصعة كانت تزين بها العمائم ، معرّب (سرپيچ) بالباء والجيم الاعجميتين

وصفة الشربوش على مافى خطط المقريزى أنه كان شيئاً يشبه التاج : كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بلا عمامة . وفى (تاريخ ابن الفرات) ان أول من زاد فى طوله الامير عز الدين مسعود ـ صاحب الموصل وحلب ـ المتوفى سنة ٥٢١هـ ابن قسيم الدولة آق سنقر البرسقى ، ونص عبارته « وهو أول من جعل القباء يُزَرُّ على الصدر ، وكان قديماً يُزرُّ تحت الابط على جانب . وأول من استخرج الشربوش المطاول [1] » . ومما يدل على شيوعه بهذا الطول بعد ذلك ـ حتى كانوا يشبهون به الشيء الطويل ـ قول ابن الناسخ في (مصباح الدياجى) فى ترجمة الخبوشانى « وكان من عاداته اذا درس بالعجم يخرج وعلى رأسه شيء كالقلنسوة المرصعة . فلما وصل الى مصر وجدهم بخلاف ذلك فلبس لبسهم . فجلس يوماً يطالع والقلنسوة على رأسه ، وهى طويلة كالشربوش ، فلما توسط الحلقة ورآه أهلها لم يبق فيها إلا من تبسم » . والخبوشاني هذا كان في زمن صلاح الدين الايوبي والظاهر أنهم تبسموا لانهم رأوه في زي غير زى العلماء المألوف لهم فى ذلك الزمن فاستغربوه منه .

ثم بطل استعمال الشربوش في الدولة الجركسية ، وأحدثوا نوعاً من القلانس سموها بالطواقي [2] ولبسها رجال الدولة وجنودها . قال المقريزي « وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ، ويمرون كذلك في الشوارع والاسواق والجوامع والمواكب ، لايرون بذلك بأساً ، بعد ما كان نزع العمامة عن الرأس عاراً وفضيحة . ونوّعوا هذه الطواقي ما بين أخضر وأحمر وأزرق

(١) « المطاول » بمعنى الطويل من كلام العامة كما في شرح القاموس للزبيدي

(٢) يطلق العامة « الطاقية » الآن على كمة خفيفة لاصقة بالرأس تعمل من البز وغيره

وغيره من الالوان . وكانت أولا ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل أعلاها مدوّراً مسطحاً ، فحدث في أيام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع وأعلاها مدور مقبب ، وبالغوا في تبطين الطاقية بالورق » الى أن قال « إنهم جعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقاً من الفرو الاسود في عرض نحو ثمن ذراع يصير دائراً بجبهة الرجل وأعلى عنقه ، وانهم بقوا على استعمال هذا الزى الى زمنه ، وهو من أسمج ما عانوه »

ولم يكن الشربوش أول ما أطيل من القلانس في الدول الاسلامية ، بل كان لهم قبله «الطويلة » وكان الخلفاء وغيرهم يلبسونها ويعتمون عليها . ويذكرون في كتب الاوائل أن أول من لبس القلانس الطوال هشام بن عبد الملك . وقد لبس الامام مالك رضى الله عنه الطويلة واعتم عليها، قال ابن فرحون في الديباج قال مالك قلت لأمي : أذهب فأكتب العلم . فقالت : تعال فالبس ثياب العلم . فألبستنى ثياباً مشمّرة ، ووضعت الطويلة على رأسي ، وعممتنى فوقها . ثم قالت : اذهب فاكتب الآن» وذكر في موضع آخر ان الامام كان اذا خرج للتحديث اغتسل وتطيّب ولبس ثياباً جدداً وتعمم ووضع على رأسه الطويلة وخرج الى الناس خاشعاً . انتهى . وفي خلافة أبي جعفر المنصور زاد فيها سنة ١٥٣ هـ فجعلها مفرطة الطول ، على ما في (الكامل) لابن الاثير . وذكر الذهبى في تاريخه أنه ألزم رعيته بلبسها هذه السنة ، فقال أبو دلامة :

وكنا نُرجي من إمام زيادة فزاد الامامُ المصطفى في القلانس [1]
تراها على هام الرجال كأنها دنانُ يهود جلّلت بالبرانس

(١) هي رواية ابن الاثير ومحاضرة الاوائل. والذى في الاغانى :
فجاد بطول زاده في القلانس

وفى (الاغاني) انه امر اصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ؛ وان يعلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزي ، فقال ابو جعفر : ماحالك ؟ قال : « شر حال ، وجهي فى نصفي ، وكتاب الله وراء ظهرى » . فضحك منه واعفاه وحده من ذلك . وفى (الكامل) لابن الاثير أن المتوكل لما أُحضر ليبايَع بالخلافة ألبسه القاضي أحمد بن أبي دُواد الطويلة ، وعمّمه عليها ، وقبّل مابين عينيه وقال « السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » . وذكر المسعودى فى (مروج الذهب) أن المستعين أول من صغر من طولها بعد أن كانت كاقباع القضاة ، وأول من وسع الاكمام فجعل عرضها ثلاثة أشبار

وبعد فقد تبين من وصف الشربوش أنه لم يكن يشبه طربوش اليوم فى الهيئة والحجم ، وان وافقه فى الاسم والغاية . أما اللون فلم نقف على شيء عنه فى الشربوش ، وانما ذكروا عن الطواقي الجركسية أن بعضها كان أحمر كما مر .

وذكر ابن فضل في مسالك الابصار عن الكلوتات[1] انها طواقٍ صغيرة

---

(١) « الكلوتة » بضم الكاف واللام المخففة : لفظة فارسية تطلق عند الفرس على نوع من أغطية الرأس التي للصبيان . ويدل على استعمالها بعد ذلك بالتخفيف ورودها به في الشعر كقول محيي الدين بن قرناص :

تبدى في الكلوتة والعمامه   كبدر تحت برق في غمامه

وضبطها (على باشا مبارك في خططه) بتشديد اللام على خلاف المعروف فيها . ويقال لها « الكلفتة » أيضا بالفاء . وكانت صفراء من لباس الدولة الاتابكية بالموصل والشام ، فلما غير صلاح الدين الايوبى رسوم الفاطميين لبسها . وهو بدء اتخاذ اللون الاصفر شعارا للمملكة المصرية فى اللباس والاعلام . ثم احدث الاشرف خليل بن قلاوون الاهتمام عليها فجاءت فى غاية الحسن . فقول ابن فضل الله انها كانت حمراء يحمل على ما كان يلبسه غير أمراء الدولة .

غالبها من الصوف الملطي الاحمر . وفي (زبدة الصحائف في سياحة المعارف) لنوفل بن نعمة الله الطرابلسي ان السلطان عثمان الاول كان يعتم على بُرك خراساني من الجوخ الاحمر ، فلما تولى ابنه أورخان جعل عمامة السلطان وعظماء الدولة على برك ابيض ، وخص الاحمر بطوائف الجند . والذى فى التواريخ التركية أن قلانس السلاطين ورجال الدولة وجنودها كانت بيضاء ، وكذلك لما أحدثوا طائفة اليكيچرية جعلوا على رؤوسهم قلنسوة بيضاء سموها بالبورك أو البرك بضم الاول وسموا بورك ضباطهم « الاسكوف » ثم أضيف الى البورك ذيل طويل نيط باعلاه متدليا من الخلف . ولكن حدث أيضا الباس الجنود والضباط في بعض الفرق قلانس حمراء فكان اغا اليكيچرية يعتم على قلنسوة بيضية من الجوخ الاحمر ، ومثلها عمامة رئيس المائة الملقب أوقتئذ بالچورباجي الا أنها كانت مدورة . وكان رئيس فرقة الحراس بالقصور والحدائق المسمين بالبستانيين (بوستانجيلر) يلبس قلنسوة حمراء طويلة تنثني من اعلاها الى خلف . ورئيس السكبان كان يعتم على قلنسوة حمراء . وكان لرئيس النقابين (اللغمجية) قلنسوة حمراء من المخمل (القطيفة) . وكان القواسة ـ وهم حرس الوزراء ـ يعتمون على فس (أى طربوش) أحمر بذؤابة زرقاء ، ويلبسه أيضا چاويش غلطة وفرقة من عساكر البحر تسمى (قاليونجيلر) انشئت سنة ١٠٩٣ هـ وأخرى تسمى (چيلاقلر) الا أن هذه كانت لا تعتم عليه [1]

وفي كتاب (الالفاظ الفرنسية الدخيلة من العربية والفارسية والتركية) لبهان المطبوع بباريس سنة ١٨٦٦ م أن الكلوتة (بفتح فضم) كمة من النسيج الموصلي تلف عليها العمامة عند الامم الشرقية ويسميها الاتراك بالطربوش وأن لفظة كلوت Calotte التي يطلقها الفرنسيس على كمة صغيرة خاصة برجال الكنيسة تستر ذروة الرأس دخيلة من العربية (أى المولدة) في رأى كترمير É. M. Quatremère . وقد أورد حجته على ذلك فلتراجع فيه

(١) شاهد (الجبرتي) هذا الطربوش بعمامته على رؤوس جنود البحر العثمانيين ووصفه

وغير ذلك مما تركنا ذكره . وكل هذا في الجيش القديم قبل احداث النظام الجديد . وقد راجعنا صور هذه القلانس في كتاب (عثمانلى تشكيلات وقيافت عسكريه سى) الذي ألفه محمود شوكت باشا في تاريخ الجندية العثمانية ، وألحقه بصور ملونة لطوائف الجند وملابسهم الى زمن السلطان عبدالحميد الثانى ، فرأينا بورك رئيس البستانيين الاحمر الطويل المنثني من أعلاه الى خلف هو عين الطربوش القديم الذى كان بهذه الصفة . والظاهر أن الجنود اختصوا بلبسه بعد ذلك وسُمي بالطربوش على ما يؤخذ من قول الجبرتي في حوادث سنة ١٢٣٠ « قلد الباشا عبد الله أغا المعروف بصارى جله وجعله كبيراً على طائفة الينكجرية [١] أيضا وجعل على رأسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره كما هى عادتهم هو وأتباعه » وقال في حوادث سنة ١٢٠٠ « وركب قائد أغا بعد صلاة الجمعة وعلي أغا خازندار مراد بك سابقا وصحبتهم جملة من المماليك والعسكر وهم بالطرابيش وبيدهم مكاحل البندق [٢] ولكنه لم يتعرض هنا لطوله . وأول ذكره للطرابيش في تاريخه قوله في الفتنة التى وقعت بمصر مدة باكير باشا المتولي عليها سنة ١١٤٧ « ففتحوا الخزانة وخرج منها جماعة بطرابيش وهم شاهرون السلاح » وقال في ترجمة الحاج صالح الفلاح المتوفى سنة ١١٦٧ « وكان يركب

في مواضع من تاريخه ، منها قوله عن ملابس حسن باشا القبطان الواصل الى مصر سنة ١٢٠٠ لتأديب أمراء الجراكسة « وفى يوم الاربعاء ركب حسن باشا وذهب الى بولاق وهو بزي الولاة وعلى رأسه هيئة قاووق من جلد السمور ولابس عباءة بطراز ذهب وكان قبل ذلك يركب بهيئته المعتادة وهي هيئة القباطين وهى فوقانية جوخ صاية بدلاية حرير على صدره وعلى رأسه طربوش كبير يعمم بشال احمر »

(١) الصواب « اليكيجرية » . والكاف ينطق بها نونا ومعناها العسكر الجديد لان معنى يكي (ينى) الجديد وجري العسكر . وهي طائفة من الجند أحدثها السلطان أورخان وأبادها السلطان محمود الثانى والعامة تسميها الانكشارية

(٢) المكاحل جمع مكحلة وهى المسماة اليوم بالبندقية

حماراً ويعتم عمة لطيفة على طربوش »

وتذكر التواريخ التركية أن العمامة المسماة بالمجوزة عند العثمانيين كانت قلنسوتها تكسى من الظاهر في أطرافها الثلاثة بكسوة حمراء تشبه الفس (أي الطربوش) وكانت لا تختلف عن السليمية الا بهذه الكسوة . والسليمية عمامة أحدثها السلطان سليم الاول محاكيًا بها تاج كيخسرو ملك فارس ، فلبسها السلاطين من بعده الى زمن الغاء اليكيجرية . وفي عصر السلطان سليم المذكور حدث بفارس إلباس الجند قلانس حمراء من الجوخ ، ففى (قلائد العقيان) للعبيدى ان الشاه اسماعيل (الصفوي) ملك فارس ألبس عساكره تاجًا أحمر فسموا لذلك (قِزِلْ باشْ)[1] .وفي (السنا الباهر للشلى) ان الذي فعل ذلك الشيخ حيدر أبو الشاه اسماعيل لما قتل أبو الشيخ جنيد واجتمع أصحابه عليه وحسنوا له الجهاد ، فألبسهم تيجانًا حمراً من الجوخ ، وسماهم الناس لذلك (قزل باش)

وقد لبس أهل الأندلس القلانس الملوّنة من الصوف ومنها الحمراء وكانوا يسمونها بالغِفارات بكسر الاول وتخفيف الفاء قال المقّري فى (نفح الطيب) عن زيهم « ولا تجد فى خواص الاندلس وأكثر عوامهم من يمشى دون طيلسان الا أنه لا يضعه على رأسه منهم الا الأشياخ المعظمون . وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والصفر مخصوصة باليهود » . وجاء في (معجم الملابس لدوزي) عن الغفارة أن أهل الاندلس فيما يظن كانوا يريدون بها ما يسمى الآن في المغرب بالشاشية (أى الطربوش) لانها مثلها تعمل من الصوف الاحمر وتلف عليها العمامة عادة . وقال في كلامه على الطربوش إنه

---

[1] معنى « قزل » بكسرتين أو « قزيل » بالياء : الاحمر فى التركية ومعنى « باش » الرأس . والمراد ذوو الرؤوس الحمراء

يسمى في مصر والمغرب بالشاشية (١) وكانوا يسمونه فى الاندلس بالغفارة

فيعلم من هذا أن القلانس الحمراء على اختلاف أسمائها وهيئاتها كانت من لباس الامم الاسلاميـة شرقاً وغرباً ، منـذ زمن قديم . وأن الكلوتة عند العراقيين والشاميين والمصريين هى ما يسميه الاتراك بالطربوش على ما نقلناه عن پهان في الحاشية المتقدمة . وان البورك الاحمر الطويل المنثنى من أعلاه الى خلف ، أو الطربوش كما يسميه الجبرتي ، كان من لباس الجنود العثمانية . ويفهم من سكوت المؤرخين عن أصله أنه من ابتداع العثمانيين أو وليد تلك القلانس بالتغيير فيها والتهذيب . ولكن المشـهور على الالسنة اليوم أنهم اقتبسوه من اليونان ، وقد يكون كذلك غير أننـا لم نعثر فيما اطلعنا عليه على نص تاريخي يؤيده بالتصريح أو الاشارة . وقد تعدى هذا القول الى الطربوش الآخر ذي الذؤابة فزعم بعضهم أن السلطان محموداً الثاني لما غير ملابس الجند اختار لهم الطربوش اليونانى ، وهو زعم يشهد التاريخ ببطلانه . و سنرى في النصوص الآتية أنه ألبسهم الطربوش التونسى ، وأن أول صنعه كان في فاس

واذا رجعنا الى المعاجم الافرنجية نرى دوزي لا يتعرض لاصل الطربوش في (معجم الملابس) ولكنه يقول عن الفس ــ وهو اسم الطربوش عند الترك ــ انه سمى باسم مدينة فاس . ونرى لاروس يعرّف الطربوش (Tarbouche) بقوله « قلنسوة للترك واليونان : حمراء اللون ذات ذؤابة من الحرير الازرق » ولا يزيد على ذلك . ثم نراه يقول في لفظ (فس) إنه سمى باسم مدينة فاس بالمغرب لصنعه بها ، وهو قلنسوة من اللبد الاحمر قد تكون لها ذؤابة غليظة من الحرير أو الصوف ، شاع استعمالها عند الاتراك رجالا ونساء . [والذي في المعْلَمة

(١) « الشاشية » اسم الطربوش عند جميع المغاربة الى الآن ، نسبة الى شاش العمامة الذى يلف عليه . وقد استعملت هذه اللفظة فى بعض العصور بمصر أيضاً

(دائرة المعارف) الفرنسية الكبيرة عن الفس أنه نوع من القلانس الحمراء أو الزرقاء [١] يصنع من اللبد أو الجوخ ويقال له القلنسوة التركية واليونانية لانه خاص بالمشرق [٢] ولاسيما البلاد التركية ، وقد سمى باسم أول مدينة صنع بها وهي مدينة (فاس) بالمغرب ، وكانوا يصبغونه بالقرمز الذي يجنى من ضواحيها . ولما كثر استعماله صنعوه أيضا بالبلاد التركية والفرنسية والايطالية وحمل منها الى البلاد الشرقية ، ثم قل صنعه أخيراً عند الترك ولم يبق له الا بضعة معامل بالقسطنطينية وانتقلت صناعته الى النمسا ومنها كثر تصديره الى بلاد الترك واليونان ومصر وتونس ومراكش . انتهى . وقال بهان فى (معجم الالفاظ الفرنسية الدخيلة) ان الفس سمى باسم فاس قاعدة مملكة مراكش ،لانه يصنع بها ، وله سوق نافقة في البلاد التركية وامارة تونس، وهو على نوعين : أحمر للرجال ، وأبيض للنساء . وعرّف ليتريه الطربوش في معجمه الاشتقاقي الفرنسي بأنه قلنسوة حمراء تصنع في تونس. وقال عن الفس : انه سمى باسم فاس لصنعه بها .ولعل القاريء يرى معي ان قولهم قلنسوة للترك واليونان أو القلنسوة التركية واليونانية لا يفيد بوجه من الوجوه يونانية أصله بعد ما ثبت ان أول صنعه كان في فاس ، وانما قُصارَى مافيه أن اليونان لبسوه كما لبسه الاتراك

وكذلك اذا رجعنا الى المعاجم التركية نراها تقول عن الفاس أو الفس ـ بفتح فسكون ـ انه سمي بذلك لانه صنع في الاصل في مدينة فاس بالمغرب الاقصي ، وهو لباس للرأس أحمر اللون عم استعماله فى المملكة العثمانية وبعض بلاد اسلامية أخرى . وجاء عنه في (القاموس العثمانى) المصور أنه لباس للرأس

(١) هذا وهم خلط فيه الكاتب بين لون الطربوش ولون ذؤابته

(٢) لايخفى أنه مستعمل أيضا بالمغرب مكان صنعه ، فكان الاولى أن يقال : لانه كثير الاستعمال بالمشرق

يغده العثمانيون من مفاخرهم

والخلاصة أن الطربوش الطويل القديم المنثنى الى الخلف تركي الاصل كغيره من القلانس العثمانية على مايؤخذ من سكوت المؤرخين عن أصله ، وقد يكون مقتبسا من اليونان على ماتتداوله الألسنة استنتاجاً من كونهم لبسوه لا اعتماداً على نص تاريخي فيما نعلم . وأن الطربوش الآخر ذا الذؤابة المسمى عند الترك بالفاس أو الفس مغربي الاصل بُدِيء بصنعه في مدينة فاس فسماه الترك باسمها . وانه كان يصنع أيضا بتونس على مايقول ليتريه [1] وكان يصدر من المغرب الى البلاد الشرقية فنفقت سوقه في المملكة العثمانية ولبسه رعاياها وبعض جنودها ، الا أنه لم يعم ويصبح لباس جميع رجال الدولة وجنودها الا في عصر السلطان محمود الثاني ، فانه لما غير ملابس (العساكر المنصورة المحمدية) وهم جنود النظام الجديد الذي احدثه ، ألبسهم الطربوش التونسي ولبسه هو ورجال دولته فاقتدى الناس به في لبسه . قال محمود شوكت باشا في كتاب (عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكريه سى) : إنه لما البس الجنود الاقبية والسراويل الضيقة نظر فيما يلائمها من البسة الرأس فوقع الاختيار على الطربوش التونسي ذي الذؤابة الزرقاء ، ولكن لما كان اعلاه أوسع من أسفله جعلت له بطانة من المقوى تقيه من التكسر والتهدل

احمد تيمور

(١) بل لم يزل يصنع بها الى الآن . وذكر العلامة الشيخ محمد بيرم التونسى فى رحلته (صفوة الاعتبار) ان معول الصناع في حاضرة هذه المملكة كان على صناعته فقال « واما صناعة الشاشية (الطربوش) فانها كانت هي عيال اكثر أهل الحاضرة . ومنذ صنعت الشاشية بالمعامل فى أوربا رخصت ولا زال صناعها في تونس متمسكين بالآلات القديمة وهي تكلفها غالية فلا زالت فى تناقص الى أن كادت أن تكون مقصورة على اهل القطر وقليل من غيرهم وبقي من حوانيتها نحو ثلاثين أعنى الذين يخدمون حقيقة بعد أن كانت حوانيت هذه الصناعة تبلغ نحو ألف . وبسبب ذلك بقي أكثر الناس فى الحاضرة بلا صناعة »

ماضي لبنان وحاضره

﴿ حقيقة الاستقلال ﴾

ماذا نعيتَ إليَّ من أحوالهِ   يا أيها الباكي على استقلالهِ
إن الذي أجرى على لبنان مِن   فردوسه الأعلى أخصَّ جماله
أعطاه ما تَهِنُ الدواهي دونَه   وحباه ، الا مطمعٌ بزواله
روحي فِدى الجبل الذي لا أرتضي   أن يدفنوا عظمي بغير ظلاله

* * *

أحببتُه ودياره مأنوسةٌ   وأحبُّه في وحشة من آله
اما القطين فلا تسلْ عنه سوى   ريب الزمان يجبْكَ عن أحواله
فالعاديات تصرَّفت بشئونه   ومضت ببهجة عيشه وبماله
من لم تُمكَّنْ من نواصيه يدُ الـ   تركيِّ جرَّته النوى بقذاله
ثم انجلت تلك الخطوب فلم يكن   ماضيه أدعى للأسى من حاله
ردّي الى يده زمامَ اموره   باريسُ ، تلك حقيقة استقلاله

ظهور بحنس (لبنان)

وديع عقل

﴿ السياسة ﴾

يقول غاندي الزعيم الهندي : « ليست السياسة ذلك اللهو كما يفهمها الناس ، وانما هي توسيع دائرة الفضائل المنزلية حتى تشمل الوطن ، وهي – في الوقت نفسه – وسيلة لتجديد الروح في الوطنيين »

على منبع نهر بردى

في وليمة بدوية

لما زار سعادة الاستاذ العلامة احمد زكى باشا ديار الشام في الصيف الماضى ، فتنقل بين رباها واوديتها : من اقصى الجنوب فى فلسطين الى اقصى الشمال على ضفاف الفرات ، كان يقيد ذكريات تلك الرحلة فى مفكرات خاصة ليعتمد عليها عند تدوين رحلته

وقد اراد — بين (رحلة الشام) التي قام بها فى الصيف الماضى و (رحلة اليمن) التى ابتدأها فى هذا الشهر — ان ينشر من مفكراته على صفحات (الزهراء) ذكرى وليمة بدوية اقامتها له مدينة دمشق على ينبوع نهرها الفردوسى الصافى . ومثل هذه الوليمة من شأنها ان تكون مظهر الاطلاق واطراح القيود ، فجاء وصفها هذا مرآة لها في هذا الاطلاق واطراح القيود ، حتى كأن القارىء مشارك للكاتب فى مشاعره ومشاهده يومئذ

— ١ —

عدتُ منذ يومين (١) ، الى دار اصطيافي بالزَّبَداني ، بعد أن اكثرتُ التجوال في سورية الشمال ، وواليت الرحيل فى جنوبي الاناضول ، وأمعنت في التطواف حتى بلغت أطراف الفرات ، ورويّت الصدر والقلب من مائه العذب الفرات . وكنت ، وأنا أقطع المراحل وأرِدُ المناهل ، أواصل التحقيق الدقيق بنفسي وقلمي ، وبقلبي وقدمي ، في موضوعات تاريخية ومباحث جغرافية وشؤون عمرانية ، مما له علاقة وارتباط بعصر وبدولة العرب والاسلام . وكنت حيثما سرت وأيان حللت ، القى من صنوف الحفاوة مالا أستحقُّ منه عُشر المعشار . ولكن هو الكرم الشرقي ، ولكن هي العاطفة العربية ، فحدّث عن البحر ولاحرج !

فما هو إلا أن ألقيتُ عصا التسيار — على نية معاودة الترحال — حتى أصبح القصر الذي اتخذته مَصيفاً (٢) لي في هذه الناحية (الزبدانى) ، وهي اكبر من

(١) كتبت هذه الرسالة قبل حوادث حماة بيوم واحد (٢) هي بكسر الصاد ، وعجبت

قرية وأصغر من قصبة ، كعبة للزائرين من أعيان هذه الربوع وما اليها ، ومن رجالات الشام (دِمَشْق) وما حواليها . أقبَلوا متفضّلين بالتسليم على هذا العاجز الضئيل ، ومهنّئين بعودتي من رحلتي الطويلة ، في تلك الارجاء القاصية البعيدة حيث الخوف ضارب رواقه ، وحيث الاضطراب بالغ منتهاه ، وحيث الامان مهدد بالغزو [1] من العربان ومن غير العربان ، حتى على أبواب المدائن والامصار كما حدث في حَلَبَ الشهباء وفي نفس دمشق الفَيْحاء . وليس يمضي يوم أو بعض يوم ، دون أن تطلع علينا الجرائد السيارة والبلاغات الرسمية ، بحدوث كثير من وقائع السطو هنا وهنا ، وفي كل مكان . فلا السيارات المسلحة ، ولا الدبابات المدرعة المصفحة ، ولا الطيارات التي تمطر الويل بدل الوبل ، والعيث بدل الغيث ، وماء النار بدل ماء الحياة ، بواقيـة لمن فيها أو لمن يسير تحت حمايتها الاسمية الوهمية . بل كثيراً مايصاب رجال الحكومـة فيها والضباط والجنود بالتشريد والتجريد ، والتنكيل والتقتيل . وما حوادث دمشق وحلب وغيرهما ببعيدة العهد . وكأنها تقول لهؤلاء الجنود المجندة : « أينما تكونوا يُدْرِككم الموتُ ولو كنتم في بُروج مُشيَّدة » ، حتى ولو كانت هذه البروج متحركة على أديم الارض ، أو محلقة في كبد السماء . أما هذا الفقير الحقير ، فقد كتب له الله السلامة ، مع ماطواه من الفدافد والسباسب ، ومع ما اختلف اليه من

لاهل فلسطين والشامات ، ولا سيما المتأدبين منهم . فهم ينطقونها بسكون الصاد وفتح الياء ، واهمين أنها على وزان « مربع » وذلك خطأ . فهي من صاف مثل مضيق من ضاق . والافصح مصطاف مربّم في نظير مرتبع بضم الميم وفتح الباء

(١) الغزو في اصطلاح الشامات هو العصابة المسلحة من قطاع الطريق أو الثائرين على الحكومة . يريدون به المغازية أي جماعة الغزاة فيقولون : غزو مؤلف من ٥٠ فارسا أو من ٢٠٠ راجل ، أو راكب هجين الخ . وليس له اصل معروف في اللغة ، بل هو منقول عن المعنى الاصلي من باب التوسع

القرى والدساكر والامصار والمدائن . ولذلك سأعود [1] ... فانه « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » . لذلك ، كان السلام ، ولذلك كانت التهنئة . فللقوم شكر يعجز عن بيانه لساني ، ولايفي بتسطيره بناني .

– ٢ –

كنت ، وما زلت ، آخذ المذكرات وأدوّن المفكرات ، عسى ان تنفعني هذي وتلك في يوم من الايام ، فيما لو حاولت كتابة الرحلة أو تحقيق شيء من المباحث التي وقفت روحي على خدمتها ، لمجد العرب ولفخار الاسلام .

لكنني رأيت بالامس مادعاني الى الخروج عن هذه العادة وعلى هذه القاعدة

فذلك اليوم المحبوب ، الذي لن انساه ، كان ميعاداً للوليمة الحافلة التي أقامها الحسيب النسيب السيد احمد الحسيبي ، نقيب أشراف الشام ، تكريماً لصديقه هذا العاجز الذي يرجو ان تتحقق تكنية السيد له بانه **صديق العرب وخادم الاسلام**

تلطف نقيب الاشراف ، فاراد ان تكون حفاوته بهذا المسلم التائه في بلاد الاسلام على رابية فوق مشارف الشام ، وفي مظهر يخالف ماحباني به سادات القوم في هذه الديار من أنواع الكرامات . ولقد بلغوا فيها مبلغا يعجز عن شكره أهل اليراعة من ارباب البراعة

كانت حفلة السيد ، سيدة الحفلات : فقد جعلها على طراز يهواه فؤادي ، وتحنّ اليه جوانحي . فكانت في شكل قافلة بدوية ، بخيوشها الاعرابية القحة ، فوق رابية تطلّ على البحيرة التي يصدر عنها ذلك النهر البسّام نهر بردى ، وفيه ومنه وبه حياة الشام .

(١) كتبت هذه الرسالة قبل التهاب نار الثورة بيوم واحد بكل مكان ، بحيث أصبح البقاء غير مفيد ، وصار السفر متعذرا على طالب البحث والتنقيب .

- ٣ -

أما كرائم السيدات ، وعقائل البيوتات ، ففي خيشة ممتدّة الرواق بأعلى الرابية وأما المطابخ والتنانير والافران ففي خيشة أخرى منصوبة تحت ثنية تقيها مهبّ الرياح ، بحيث لا يصلها شيء من الغبار أو العجاج . وفيما بين هذه وتلك ، خيشة ثالثة : قد قامت ، مثلهما ، على أربع قوائم من الاخشاب . يدخلها النسيم بسلام ويتسلل منها باحترام . وقد اجتمع فيها على انخاخ بدوية وحصائر قفرية جبلية جم غفير من ذوي الحيثيات من أهل الحواضر والبوادي . وقد التفُّوا بقضّهم وقضيضهم حول هذا المسلم التائه في بلاد الاسلام . لا أذكر منهم الآن ، سوى أصدق صديق لقيته في ربوع الشام ، وهو صادق افندى شورى الصيدلي وعضو المجلس البلدي . وأثنّي بشقيق صديقي القديم علامة الشام ، وأعني بهذا الشقيق السيد احمد كُرْد علي . أما الثالث ، فهو فتى الفتيان ، السيد سعد الدين نجل التاجر السيد عبد القادر الجارودي من أكبر البيوت في بيروت . وانما أذكره اليوم ، لانه مع ما تحلّى به من فضائل العلم ونباهة الذكر وجميل السجايا وكرم الشمائل ، له خصلة خاصة به ، وهي أنه كان في هذا الاجتماع ، عند حسن ظني به في كل احتفال حضرْتُه فوق صَياصي الجبال وفي روابي الوديان. كان «جارودة» الطعام ، قوّاه الله وعافاه. فهو من مفاخر الشباب . فاما الباقون من الضيفان ، فكلهم أعلام الفضل ، وحاملو رايات النبل . ولو رحتُ أذكرهم واحداً واحداً لفاتني العد والاحصاء ، وفوق ذلك فانني نسّاية في الاسماء .

وكان عند كل خيشة حارس أمين ، ومعه زميله الذي يلازم الصائدين . وهما في الفيافي والقفار لازمان متلازمان : أحدهما من بنات سلوق التي تسبق الرياح ، وهي آفة على ذوات الظلف والخف والجناح . وأما الثاني فهو الذي تخشاه سباع البر ، وتخافه شياطين الانس . وهو الذي ينبح الطرّاق حول ساكني المضارب

والخيام . وحولنا ، من هنا ومن هنا ، قطعان الانعام : فهذا « سِحِت [١] » الاغنام تسرح بين الصخر والجلمود ، وهذا « طَرْش [٢] » الماعز تمرح فوق الاكمات وفي ثنايا النجود . وفيما بين الطائفتين ، أسْرابُ الابقار ، لها خُوار يعجب الزرّاع . هي صغيرة الجسم ، على خلاف عهدنا بصُوَيحباتها في لبنان وفي وادي النيل . ولكنها صبورة على جر المحراث في هاتيك الارضين الكثيرة الاحجار و « البَحْص [٣] » و « القلاقيل [٤] » . أما الاباعر والنياق ، فكانت جاثمة ذات اليمين وذات الشمال ، وهي ترغي وتزبد في رزانة ورصانة ووقار

لم يكن في هذا القفر الصخري اثر من آثار الحضارة والعمران ، مما يلزم للركوب والانتقال ، سوى ما خلقه الله من الخيل والجمال والحمير والبغال . وفيها كل الخير ، واليها تنتهي البركات . وسل سكان الجبال والفلوات ، فعند جهينة الخبر اليقين !

– ٤ –

كان الاعراب قد تخيروا حجرين كبيرين ، فنصبوهما على فجوة في الارض ثم أجَّجوا النار بينهما ، فكان لها لهيب قد اجتمعت فيه ألوان الطَّيف كلها مع تغلّب الازرق على الاحمر . واما الرائحة فكبريتية . وحدث عن البعر ولا حرج . فما كان وقودها – وحق ابي لهب – سوى بعرات البعران ، كما هو شأن البدو في « الجول » والحماد والبادية والصحراء . أما الحطب ، وأما الفحم الشجري

(١) بكسر أوله وثانيه وهذا اصطلاح خاص في الشامات والبادية عن قطيع الغنم . وليس له أصل في اللغة المعروفة (٢) وهذا شأنهم أيضا في تسمية قطيع الماعز . وقد يطلقونه على مايكون معه من الغنم . ولا أصل له في اللغة المعروفة

(٣) هذه كلمة شائعة عندهم . وهي مقلوبة عن اللفظ الفصيح « الحصباء »

(٤) هذا اصطلاح خاص بمصر وله أصل في اللغة قال في التاج : القليقل مصغرا قطعة من الطين (أقول : ونحن نعني في مصر القطع من الطين التي تجف بحرارة الشمس ، فتشقق عنها الارض وتكون يابسة جاسية)

والحجري ، واما البترول وروح الـكحول ، وما الى ذلك من سائل ناري وسيال كهربائي وغيرهما من مستحدثات الحضارة ، فلم يكن لها هناك وجود.

بهذه المثابة ، تناولنا القهوة البدوية مراراً وتكراراً،من يمين الخادم البدوي بينما كانت يده الاخرى تداعب اشداقه الواسعة بلفافة السجارة المشتعلة.وهكذا هكذا تكون المساواة الحقة التى جاءت بها شريعة الاسلام

وما زال القوم في انبساط واغتباط ، وحديث هو السحر الحلال ، حتى صفّرتْ عصافيرُ البطون ، وتوثبت للطيران حول المـائدة . ولـكنهـا بقيت تزقزق ، حتى شاركتها العيون وهي تحملق . وحتى تفتَّحت الافواه والاشداق، نحو الصحاف والجفان والاطباق ، الى ان صدق علينا قول الرسول « نحن قوم لا نأ كل حتى نجوع » أما الشطر الثاني من الحديث الشريف ، فقد خالفناه . وسيأتيك نبأه عن قريب ، وهو حديث طريف ، فاصبر كما صبرنا حتى صدرت الاشارة من السيد المضيف

ـ ٥ ـ

صدرت الاشارة ، فلبينا سامعين طائعين ، وهرولنا مُهْطِعين مسرعين ، الى خيشة الاوانس والعقـائل . وقـد كنَّ ذهبن أترابًا وأسرابًا الى شواطيء البحيرة والى ما يحف بها من الاكمات . فزادت البحيرة جمالا على جمال ، بما طاف بها وحولها من طوائف الرشاقة والدلال . أما انا فقد أرسلت رائد الطرف ـ من بعيـــــــــــــد ـ الى تلك الجمال والى ذاك الجمال . فذكرت شيخ المعرة (رحمه الله ! وقاتله الله !) حين قال :

لغيري زكاة من جمال . فان تكن زكاةَ جمال ، فاذكري ابنَ سبيل .

ألستُ أنا ابن السبيل ! أو عابر سبيل ! وليت شعري ، من هو أحق من الزكي اسما ، بهذه الزكاة فعلا ؟ وقد وقفتُ على قبر المعري منذ أمد قليل ! بيَدَ

أنني مالبثت أن انتقلت مع طائر الفكر ، الى بغداد حيث الرصافة وحيث الجسر وإذا بلساني يردد بيتاً مشهوراً من الشعر :

عيونُ المها بين الرصافة والجسرِ جلبنَ الهوى من حيث ندري ولا ندري

وإذا بالمعري ، يعاودني بالتأنيب على هذا التجري :

فيا دارَها بالخيف ، إن مَزارها قريبٌ ، ولكن دون ذلك أهوالُ !

كل ذلك كان من وسوسة الجوع في هذه الربوع وبين تلك النجوع . أما الهوسة الوقتية ، فسيبقى لها حنين يتردد بين الجوانح والضلوع . ولقد صدق الفيلسوف : اذا لم يكن ما تريد ، فأرد ما يكون .

— ٦ —

من أجل ذلك ، رجعتُ بالنظر الى السماط الممدود على أرض الله ، كما خلقها الله . وهي ما زالتْ على عهدها القديم ، منذ الخليقة والتكوين . فهي الآن كما كانت يوم فطر الله السموات والارضين .

هنالك ، كان السماط البدوي بأبدع مبانيه ومعانيه ، وفي أجمل مشاهده ومجاليه . حوى من فاخر المأكول ما تقر له العيون ، وتقرقر من أجله البطون .

ولست أريد أن أغيظ القاريء المسكين المحروم ، بذكر ما حواه من مطايب الفاكهة وأطايب اللحوم ، وما اشتمل عليه من أصناف شهية شائقة ، وألوان لذيذة مشوقة ، لئلا يتلمظ فتكون بين أسنانه جعجعة بلا طحن ، ولئلا يسيل لعابه من الاشداق بدون مضغ .

وحسبي أن أقول ان الضيوف الكرام — وفي مقدمتهم هذا المسلم التائه في بلاد الاسلام — قد هجموا على المناسف فنسفوها ، وعلى المثارد فثردوها بعد أن جردوها ، وعلى الحلل فاحتلوها ، وعلى القدور فقدروها حقَّ قدرها ، وعلى الصحون فصحنوها وطحنوا ما بها ، وعلى الاطباق فتطابقوا على الاطباق عليها

وعلى اللحمان فحملوها الى البطون في أسرع من لمح البصر. وهكذا شأن سائر الاصناف ، فانها ما لقيت منهم شيئاً من العدل ولا الانصاف

أما الرميس ، فقد دخل الرموس ، ولكن بعد أن صار مضغة في الافواه. فما اغنى عنه خلاصه من الذئاب ، فقد وقع منا بين الظفر والناب . ولا تسل ياصاح ، عما أصاب جيوش الخبز وفيالق الرز ، فقد طوّقها جنود التتر والمغول والغز ، في زى أعراب متحضرين ، وآخرين على بداوتهم الفطرية باقين. وكيف لا يصير العرب أشد فتكا ، وأكثر بطشاً من هؤلاء العجم ، وقد فعل بهم الجوع ما فعل ، وهم في بر أقفر ، وقد حضر لهم من الطعام ما تيسر وفوق ما تيسر . وما زال الضيفان في هذا المعمان ، يقبضون على مافي الاطباق ويبعثون به الى ماوراء الاشداق . وكلما انهزمت فرقة من الجيوش المائدة على هذه المائدة ، وصارت في عداد الانواع البائدة ، خلفتها جيوش رادفة ، فتحل بها الراجفة ، وتدفعها الى قرارة تلك الاجواف الواجفة . حتى أمسى الغالب مغلوبا على أمره ، حينما خارت الايدي ، وانطبقت الشفاه على الافواه ، واصطكّت الاسنان بالاسنان ، واضربت البطون عن الامعان في معاناة هذه الحرب العوان.

حينئذ طلب الضيفان الأمان ، واضطروا بعد هذا البلاء الحسن الى التراجع بسلام .فكان هذا أول يوم تشبّه فيه بنو قحطان بأبناء يونان ، في التقهقر بانتظام . لكننا - والحق يقال - جرينا على عادة العرب ، فامتدت أيدينا الى البطيخ والتفاح بالسّلب ، وبالنهب الى التين والعنب . وعلى ذلك انتهى الفصل الاول من قتال الرجال .

- ٧ -

أفرأيت يا سيدي ، أننا (بغير عار) قد انهزمنا ، ولا غبار علينا . ولذلك تركنا الميدان لمن هنّ أقدر منا وأعز من أنفسنا

فقد عادت بعدنا السيدات الى تلك الخيشة الكريمة . ولاشكّ أن الحرب الضَروس دارت على رحىٰ الضُروس . ولم أكن ــوا أسفاه ــ مشرِفا على المعمعة حتى أصف لك تلك الحملات على هاتيك الحملان . ولا ما فعله البنان، حينما انشب باللحمان . ولا ما قامت به الاظافر المخضوبة ، فيما تضمنته الاواني المرصوفة المصفوفة

ورحمة الله على الامام البوصيري ، فقد صدق في قوله المحكَمِ : « إن الطعام يقوّي شهوة النَّهِم » فكيف ظنك بالنهمات من ساكنات التهائم والنجود: وقد جمعن بين المزيتين اللتين عرفناهما عن العليم الخبير ، أبي الطيب المتنبي :

حسنُ الحضارة مجلوبٌ بتطرية   وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب

وأكبر ظني أنه كان لهن نصيب كبير من الفوز ، فقد سبقتهن طلائع الرجال في دفن الشيء الكثير من تلك الجيوش الجرارة . وجاء من ورائهن الرديف في شكل كتيبة من الاعرابيات البدويات لا تبقى ولا تذر وتلتهم اليابس والاخضر

لقد رأيت عجبًا مذ أمسا   عجائزاً مثل السعالي خمسا !

يأكلن مافي رحلهن همسًا ،   لا ترك الله لهن ضرسا !

ووراء الاعرابيات ، جيش كثيف من مغاوير البدو . قد ضمنوا لبني الانسان تمام الفوز على ما كان فوق الرابية من روابي الطعام . فلم تبق منه بفضلنا وفضلهن وفضلهم باقية . وتمت كلمة ربك والحمد لله

– ٨ –

في أثناء هذه الواقعة الطاحنة ، كان الرجال قد عادوا الى خيشتهم الاولى هنالك سكرنا بخمر الانتصار ، ثم سكرنا ــ لا ببنت العنب ــ بل ببنت البنّ قد طبخها العرب . وهي طيبة حلال .

لكنني رأيت أثراً وحيداً فريداً ، بل يتيما لطيما ، من آثار الحضارة في هذا البر الاقفر . فقد أحضروا لي من باب المبالغة في الاكرام ، أركيلة عليها

فحم البعرات ، وهي الارجيلة وهي النارجيلة المعروفة في مصر باسم الزجاجة والقارورة في لغة الاتراك أعني (الشيشة) فكأني بهذه الاداة الهندية الاصل ، قد جاءت (بعد أن استفرست واستعربت ثم استتركت ثم تمصّرت) بمثابة تعويذة لدفع العين ، وقد أرسلها لحمايتنا « رب الفَلَق من شرّ ما خلَق ومن شرّ غاسقٍ اذا وَقَب ومن شر النفّاثات في العُقَد ومن شر حاسد اذا حَسد »

وكيف لا يحوطنا الله بصنوف الالطاف ، ونحن في ضيافة نقيب الاشراف

- ٩ -

بعد أن أخذنا حظنا من القهوة ، وبعد أن عمَّرتُ (كيفي) من التمباك ، قمنا للسيران (كما يقولون هنا بفتح السين والياء بمعنى التمشي والتسيار) على حفافي البحيرة البديعة ، الممتدة في هذه البقعة على شكل اهليلجي

وفيما كنت واقفاً على شاطيء البحيرة ، وأنا غارق في تلك المشروعات الاصلاحية العمرانية وفي تلك الخيالات الكاذبة الشعرية : اذا بشمس الاصيل قد آذنت بالافول

تحوَّل القرصُ الناري النوراني الى ماوراء الجبل الغربي ، وأرسل الى ناحية الجبل المصاقب له في جهة الشرق سهاما من نار مختلفة الاضواء والالوان. فتلألأ الشعاع في سماء القاع ، وكان للضياء بهجة طريفة من الوضائة والرواء

حينئذ قامَ الحادي ينادي ، بصوت تردَّد صداه في جنبات الوادي :

حَيَّ على الرحيل ! حيَّ على الرواح !

فاقبل الرعيان ، على لم شمل القطعان : من الغنم والنعم والبعران . وتبادر الغلمان الى شد السروج والبراذع والرحال ، فوق ظهور الخيل والحمير والبغال كانت طليعةَ القافلة في رجوعها ، سيدةٌ قد امتطت صهوة الجواد ، وأرخَت له

العنان . فانطلق بها وحدها كأنه السهم المارق، أو الكوكب الطارق ، أو الشهاب المنقض على المارد السارق . كان ينهب بها ومعها الارض نهبا ، وما هي أرض بل صخور وجلاميد وحصباء . وكان الهواء يعبث بمعاطفها ، وهى لاتعبأ به ولا بنا . لذلك أخذنى العجب من إقدامها ومن فروسيتها . ولكننى حينما عرفت السبب ، بطل العجب . انها كردية قد استعربت حتى أصبحت من أشجع بنات العرب . فرحمة الله عليك ياصلاح الدين ، وهنيئاً لك ياصديقي صادق افندي شورى !

خبرونى . خبروني . عن هاتين الفتاتين اللتين تجريان وراء الاولى حتى أصبحتا منها قاب قوسين أو أدنى . إنهما من آل الجارودي ، وهما من أمهر القنّاصات فوق قلل الجبال . فعجبت من طائر الارض يصطاد طائر السماء ، ومن غزال الازار يقنص غزال القفار

وقد علمت أن أباهما السيد عبد القادر الجارودي قد راضهما مثل فتيانه على ممارسة السلاح لتكون الفتاة قادرة على الدفاع عن نفسها في هذه الايام التى اختل فيها الامن بفضل حكومة الانتداب . . .

* * *

ولما جاء الدور للرجال ، تقدم لنا الاعرابيات البدويات بتحية الوداع

فقد اجتمعن على شكل نصف دائرة ، كان في رأسها بدوي رقاص ، اسمه (هزّاع) . في وسطهن بدوي آخر قد تناول المزمار بيديه فيما بين شدقيه بينما كان النسيم يعبث باحيته المسدولة المرخاة (واللى يزمر ما يخبيش دقنه) .

هزّ ياهزّاع !

تمايلت الخصور ، وانحنت الرءوس ، وارتجّت الاقدام بما فوقها ، فكانت الرقصة المعروفة عند الاعراب باسم (الدبكة) على نغمات المزمار

هزّ ياهزّاع !

صفقت الايدي وتحركت الارجل بحركات رشيقة ، وتواثبت الاجسام الى الامام ثم تدافعت الى الوراء في أشكال أنيقة .

هزّ ياهزّاع !

زاد الزمار في تطريبه ، وزادهزاع في تأويبه ، وزادت حماسة البدويات . فكان لهن حركات ، يالها من حركات ! ولكنها كلها وقار واحتشام . فلله ذلك الرقص البدوي ، ما أحلاه ! وما زلنا في ارتياح وانشراح ، حتى شاركتنا الكواكب وطلع البدر علينا .

وحينئذ تقدّمنا لهزّاع ومن حوله ومعه من أعراب وأعرابيات ، بالشكر والتحية والسلام . وكان هذا مسك الختام .

من الزبدانى (بسورية الجميلة الشهيدة) فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٢٥

المسلم التائه فى بلاد الاسلام

احمد زكى باشا

« الكلديون والمقاييس »

روى المقتطف (١٤ : ٢٧٩) أن الكلديين ـ سكان العراق القدماء[1] ـ سبقوا الناس أجمع الى استعمال الحساب العَشْري في المقاييس والموازين ، كما استعملوا الحساب الأثنى عشري في قسمة السنين والأيام ، والستيني في قسمة الدائرة والساعة والدقيقة. واشتقوا المكيال من مكعب الذراع كما اشتق الفرنسيون الكيلو غرام من مكعب الدسي . ومن الغريب أن المتر الفرنسوي أقصر من مضاعف الذراع الكلدية السلطانية بنحو عقدتين فقط ، والكيلو غرام أثقل من المنا الكلدي السلطاني بنحو قمحة أو قمحتين لاغير

(١) أنظر بيان أصل الكلديين في الزهراء ص٢٢٣ من السنة الثانية

حديث مع الدكتور محجوب بك ثابت في لباس الرأس

ـ من الوجهتين الطبية والقومية ـ

الطبيب النطاسي الشهير الاستاذ محجوب بك ثابت حجةٌ ثَبْتٌ فيما يُبديه من رأي في لباس الرأس لهذه الشعوب الاسلامية الناهضة : فهو استاذ بجامعة بروكسل الدَّوْلية ، وكان مدرّساً لعلمي الادواء والبكتريولوجيا بمدرسة الطب المصرية ومستشفى قصر العيني ، كما كان استاذ الطب الشرعي بالجامعة المصرية . وهو من اعرف الناس بمصر والسودان فضلا عن رحلاته الاخيرة في الديار الشامية وغيرها . زد على ذلك بلاءه الحسن في حركة الاستقلال المصرية بامانة نادرة المثال ترجع الى نزعة قومية راسخة في نفسه . وقد اختارته جمعية الرابطة ـ التي كان أحدَ مؤسسيها ـ عضواً في لجنة المميزات الشرقية فكانت له في اجتماعها العام وقفة مجيدة أسدى فيها خالص النصح الى بني قومه بأن لا يفنَوا في هؤلاء الافرنج . وقال لهم ان الكوفية والعقال من أجمل ما تزدان به رءوس الشرقيين فضلا عن فائدتهما الصحية في الحر والقر

وقد اجتمع به منشيء الزهراء ، وكان له معه في هذا الموضوع الحديث الآتي :

المحرر ـ أريد يا أستاذ أن أقف على رأيكم في مسألة لباس الرأس باكثر تفصيلا مما قرأنا في الصحف أنكم قلتموه منذ أيام في الرابطة الشرقية

الدكتور ـ ان الذي قلته هناك كان أوسع وأكثر بيانا مما نشروه في الصحف . ومما آسف له أن بعضها ـ كالسياسة ـ تعمدَ إغفال أقوالي بتاتا

وتجاهل وجودي في ذلك الموقف، كأن هذا الاغفال وهذا التجاهل مما يخفت صوت الحق الصارخ من اعماق قلوب ثلاثمائة مليون نسمة في هذه الدنيا مقبحاً دعوة الشرقيين الى لبس البرنيطة . ولقد سئلت عن رأيي في هذه المسألة يوم كنت في فلسطين فاجبتهم بما لعلكم قرأتموه في صحيفتي (الصراط المستقيم) و(فلسطين) وغيرهما . فقد قلت لهم : ان لباس الرأس هو العقال ، فليعدلْ اليه شبابنا إذا كانوا نابذين الطربوش لامحالة . والعقال كان لباس مملكة اليمن السبأية كما دلت عليه التماثيل التي وجدت حتى الآن في جنوب الجزيرة وفي اعماق بلاد اليمن . وكان لباسُ الرأس عند قدماء المصريين شبيهاً به . وكذلك الحال في شمال الجزيرة العربية . ولولا أن هـذا الزيّ ذو حظّ من الجمال والهيبـة والحشمة لما رأينا بعض الافرنج في فلسطين وسوريا يتزينون به هم وصغارهم مع أنهم قادمون من بلاد عريقة في التبرنط . وقد راقني منظر مفتش الزراعة الانكليزي يوم رأيته أثناء تطوافي في نابلس ، والعقال على رأسه والعبـاءة مسدولة على بذلته . اما غير المسلمين من الوطنيين في تلك الديار فحدّث عن عقالاتهم ولا حرج . وكل الذين اجتمعنا بهم من مسيحيي شرق الاردن رأيناهم تتوج رءوسهم هاتيك العقالات مابين مفضّض ومذهّب ومسوّد . وكان ذلك زيّهم حتى في الكنيسة ليلة عيد الفصح ويوم سبت النُّور. فزاد بهاء الكنيسة بعقالاتهم الجميلة ـ وبعمائم بني وطني الاقباط الناصعة البياض ـ نوراً على نور. وكان هناك الى جانبهم نساؤهم بأزيائهن الوطنية المزركشة التي تضيف بحشمتها جمالا الى جمالهن ، فأذكرني ذلك قول شاعرنا العظيم أبي الطيّب في قصيدته البدوية :

من الجآذِرِ في زِيّ الاعاريبِ ... حُمرَ الحِلىٰ والمطايا والجلابيبِ
ماأوجُهُ الحَضَرِ المستحسنات به ... كأوجهِ البدويات الرّعابيب
حسنُ الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ ... وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب

أين المعيزُ من الآرام ناظرةً وغيرَ ناظرة في الحسن والطيب
أفدي ظباءَ فلاةٍ ماعرفنَ بها مضغَ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلةً أوراكهنّ صقيلات العراقيب

نعم ، ولا جزن من رؤوسهن غدائر تزين المتون في مثنّى ومرسل ، كما نرى من نساء اليوم ، حتى بتنا نخشى أن ينطبق علينا وصف الحريري للرجال يتبرقعون ببراقع النساء وللنساء يظهرون بمظاهر الرجال، فنمسى ولنا من الرجال أشباه النساء ، ومنهن أشباه الرجال

انني إذا تصوَّرتُ في عالم الخيال رجالاً من رجالنا سائرين في طريق التأنّث ، يتوارون وراء القبعة خجلا من جنسيتهم الشرقية ، واذا تصوّرتُ النساء المترجلات وقد عرّضن أقفيتهن لأنظار الناس ، لا ألبث أن أروّح عن نفسي اشمئزازاً من تلك الغمّة برؤية الرجولية المهيبة بادية على كوفيات هؤلاء الكرام ومتجلّية في عمائم مواطنيَّ المصريين من أقباط ومسلمين. فيترك هذا المشهد الثاني أعمق أثر في نفسي وأبهى منظر لعيني . وقد أذكرني هؤلاء النصارى ليلة عيد الفصح ويوم سبت النور بأسلافهم من نصارى العرب قحطانيين وقيسيين ، وبالاخطل داخلا على عبد الملك بن مروان الخليفة العظيم ، ورأسه متوج بهذا الزي الفخيم . كما خيَّل اليَّ صورة قسِّ بن ساعدة الايادي وأمية بن أبي الصلت وامريء القيس الكندي وهو قاصد ملوكَ غسان في طريقه الى القسطنطينية ليحمل وصية ابن مارية الكريم المفضل ، الى قيصر بزنطية الملك المؤمَّل. ثم تذكرت مجامع العرب مدة بني أمية ،وأسواقهم في عكاظ ومجنة وذي المجاز من قبل . ان تيجاناً كهذه تزين مثل هذه الرءوس لاأرى مسوّغاً لتقويضها وتنكيسها والاستعاضة عنها بتلكم القبعات عديمة الطعم الاسطيطيقي (الجمالي) حاجبة شمس الرواء والبهاء

المحرر – عندنا يا دكتور نفر قليل يحضّ على لبس البرنيطة باعتبار انها لباس المتمدنين ، ويدافع عن الكماليين فيما ينتهكونه من حرمة الحرية في عقائد الناس وما يختارونه لانفسهم من لباس ، باعتبار أن هذا الانتهاك لحرمة الحرية انما هو في سبيل التمدن . ومن هذا الباب ارهاق الكماليين شعبهم بالعقوبات في جميع الولايات لحمله على نبذ الطربوش الى اقصى مدى ، واجباره على لبس البرنيطة . فما هو رأيكم في عمل هؤلاء المجددين (!) هنا وهناك ؟

الدكتور — أنا لا أدافع عن الطربوش لذاته ، فاللباس القوميّ للناطقين بالضاد في كل مكان هو العمامة والعقال الذى كان لباسَ الاجداد من قدماء المصريين أيام جابوا بهوادى التيه وصخور سلع وحماد الشآم حتى وصلوا الى الفرات. أما أن البرنيطة لباس المتمدنين ، فالمتمدن ليس بالبرنيطة ، ولكنه بالمعارف العملية التي جعلت للابسي البرنيطة (الاصليين) هذه المكانة في الدنيا . وما لم نتحلَّ بعلوم القوة والثروة والعمران لاتنفعنا البرنيطة ، بل تكون على رءوس لابسها لطخة خزي وعنوان ضعف وتقليد و «تقرّد» ، ولا ننسَ أن البرنيطة شعار أمم تحاول استلاب استقلالنا ، والاستيلاء على قلوبنا وديارنا ، واحتقارنا في أوطاننا وتاريخنا . وعلى ماذا نحمد الكماليين في قضية البرنيطة بعد أن سجنوا لاجلها من سجنوا ، وشرّدوا من شرّدوا وشنقوا من شنقوا وانتحر للخلاص منها ومنهم من انتحروا ، وما حادثة شيخ المولوية عنكم ببعيدة ... فواحسرتاه للحرية على ماتلقى من امتهان وانتهاك ! وكان في امكان الترك – وهم الذين صنعوا الانورية لجيشهم ابان الحرب الطرابلسية وابلائه البلاء الحسن في ذلك الميدان – أن يدخلوا على الطربوش تعديلات اذا شاءوا ، ليكون أكثر ملاءمة للصحة ، خصوصاً للنفر القليل

الذى يرتديه دون تاج العمامة كما هى الحال في البوليس المصري والجيش المصري في السودان ، بل اذهب الى تحسين صحى أتم من ذلك وقت التعرض لاشعة الهجير

المحرر — ويقولون يادكتور ان الترك أخذوا الطربوش من اليونان في القرن الماضي، وأنه لم تتوافر فيه الشروط الصحية

الدكتور — اليونان كانوا تبعاً للترك ، فليس معقولا أن تعمد دولة كالدولة العثمانية — على ماكانت عليه في ذلك الحين — الى ان تقلد شعباً كالشعب اليوناني على ما كان عليه من الانحطاط والتأخر من قرن ونصف . وفي التاريخ ما يفهم منه أن الطربوش تحول عن أشكال له كانت مستعملة في دول الكرد فالترك بل كان ذلك فى قديم الدهر عند الاشوريين فى ربوع الموصل وخرسآبادو نينوى وبابل، واستعمل فى مصر عند اتصالها بالاشوريين . أما هذا الطربوش الحديث فنحن نعلم انه من مرا كش ، ولذا يسميه الافرنج والترك بلفظ (فس) على اسم مدينة فاس عاصمة المغرب الاقصى. وكما تحولات أشكاله في أدوار التاريخ فانه لامانع — اذا لم تتوافر فيه الشروط الصحية على مايقولون — أن يدخلوا عليه تحسينات تقتضيها المصلحة العملية كما فعل اخواننا السوريون في الفيصلية مثلا ، وهي ذلك الغطاء الجميل للرأس الاكثر موافقة للصحة بما دخل عليه من تعديل في اللون والنسيج والشكل، وترتديها الآن فرقة الموسيقى بشرق الاردن على ماشاهدناهم عليه في موسم النبي موسى بالقدس ، وما أجمله للجند ومن في حكمهم من لابسي الازياء الغربية من الشرقيين ان كان جماعة المطربشين عادلين عن الطربوش وتعديله . ومثل هذا مانحن نحاوله الآن فى لجنة الازياء بالرابطة الشرقية

﴿ الوجهة الطبية ﴾

المحرر ـ فهل ترون يادكتور أن لبس البرنيطة ضروري للوقاية من ضربة الشمس كمازعم ذلك الطبيب في جمعية الاطباء ؟

الدكتور ـ يريدون بضربة الشمس مايسمىَّ الرَّعن Sun Strock أو Siriasis وفي معاجم اللغة العربية : رَعَنَتْه الشمس أي آلمت دماغه فاسترخى لذلك وغشي عليه .

قال الشاعر :

* كانه من أوار الشمس مرعون *

وأزيد على مافي القاموس من الوجهة الطبية أن هذا الغشيان يكون مصطحباً بارتفاع في حرارة الجسم الداخلية واحتقان شديد للرئتين

ان وادى النيل ليس من البلاد التى يصاب أهلها بهذا المرض إلا نادراً ، والنادر لاحكم له . لان أبدانهم ألفت حالة الجو ، فكان لهم من هذا الالف ـ مع تطاول الازمان ـ مناعة ثابتة Immunity . ألا ترى كيف أن البشارية والهَدَنْدَوَة باسوان والسودان الشرقي ، والشُلُك والدِنكة بأعلى النيل ، وغيرهم من زنج السودان وأعرابه الاحرار ، يعيشون كلهم حاسرى الرءوس ولا نسمع بان الشمس رَعَنَتْهُمْ ، لما أشرنااليه من المناعة ولان لشعرالسودانيين الطويل ـ الملطخ بالدهون ـ تأثيرا كبيراً في منع الاشعة البنفسجية وفوق البنفسجية التي تسبب ضربة الشمس كما سيأتى . وكذلك الحال في المناعة لفلاحي مصر : ريفها وصعيدها ، حارثين ودارسين ومشذّبين ، تحت أشعة الشمس العمودية وهي في سمت الرأس وفي أشهر القيظ لايستر رأسهم في بعض الاحايين الا لبدة بسيطة أو طاقية خفيفة . وليس ضرورياً لتأثير الرعن أن

تكون الحرارة مرتفعة ، بل قد يصاب الانسان بضربة الشمس بعد بزوغها بقليل في الساعة السادسة أو السابعة صباحاً ، وتتجلى علامات الاصابة بعد ثلاث ساعات . وللمادة الملونة (Pigment) الداكنة لبشرة السمر والسود مناعة خاصة تجاه الرعن كما هو مقرر فى علم الادواء والفسيولوجيا الباتولوجية

أما بيض الالوان وزرق العيون وذهبيو الشعور من أبناء الجنس السكسوني ، وسائر الشعوب الآرية الساكنين في أقطار أوربا ، فقد عمدوا الى برنيطة المستعمرات Casque Colonial لأنهم ليس عندهم ماعندنا من المناعة. وسترى أن مافي ديارهم من الثلوج والبحار قد يكون من دواعي الرعن. اننا نجد ضباطهم وبعض فرق جيوشهم متزيية بالزيّ الشرقي رءوساً وأبداناً فيعتمّ ضباط الانكليز بعمائم رمّاحة السيخ من أهل الهند كما يعتم الضباط الفرنسويون وضباط الصف بزى فرق الصباحية ويرتدون برانسهم وعباءاتهم ويمشون بها الخيلاء في شوارع باريس ، ويحضرون بها أكبر الحفلات مرموقين بالانظار ، حتى ان مبتدعي الازياء قلدوا هذا التاج العربى الجميل فيما ابتدعوه لفاتنات باريس. وقد رأينا ورأى الكثيرون من اخواننا المصريين كيف كان المستشرق الانكليزي الشهير مستر بلنت Blunt صاحب المذكرات والمؤلفات والمقالات الكثيرة عن مصر والاسلام والبلاد العربية يتوج رأسه بالكوفية والعقال في منزله بعين شمس

وفي مَعْلَمَة الامراض الباطنية [١] لرُوجِه وتِسْيِه وڤيدال Roger - Teissier - Widal المطبوعة للمرة الثانية في باريس سنة ١٩٢٤ أبحاث مهمة في هذا الباب انظرها في فصل العوارض المسببة عن الرعن (في خ ٧ ص ١٨٥) فقد جاء فيها : « اثبتت التجربة ان الرعن ليس نتيجة ارتفاع حرارة الشمس فقط ، بل سببه تأثير أشعة ضوئية

(١) المعلمة : دائرة المعارف

في الجزء الاكثر انعكاساً من الطيف الشمسي، وهي الاشعة ذات الموجة الضوئية القصيرة الطول البنفسجية وفوق البنفسجية . وان المشاهدات اليومية مكّنتنا من مواجهة الاسباب التي تساعد على الرعن : فهنالك رعن يصيب المسافرين في البحر بتأثير الضوء المنعكس من الماء ، وهنالك رعن يصيب المتسنمين الجبال الثلجية بتأثير الضوء المنعكس من سطح الثلج . ومن جهة أخرى فان الرعن يصيب الناس بتفاوت خاص بقابلية كل فريق منهم إذا تعرضوا للشمس . فذوو البشرة السمراء يظهر الطَفْح عندهم خفيفا ، لكن لفحة الشمس Hâle تكون سريعة الفعل وشديدة . وعلى العكس من ذلك ذوو البشرة البيضاء ، فان الطفح يظهر على جلودهم شديداً ، ولكن اللفحة لاتنتشر فيهم كما تنتشر في السمر ، بل تنحصر فى نقط ورَسِيَّة اللون »

ويميل السر پترك مَنْسُون Patrick Manson في كتابة (أمراض الاقاليم الحارة) المطبوع فى لندن سنة ١٩١٧ ص ٣٩٣ الى رأي الاستاذ سمبون Sambon من أن « الرعن ينشأ عن جراثيم غير مكتشفة بعدُ كجراثيم الدنج والحمى الصفراء . وتتجلى حيوية هذه الجراثيم وافرازاتها السامة اذا اشتدت حرارة الجو وساعدتها مؤثرات موضعية غير مقررة الآن تماماً » كأن يكون تحت تأثير غذاء غليظ وملابس ضيقة وانهاك فى القوى وعدم استيفاء الجسم حظه من النوم كما لاحظه كثيرون من علماء حفظ الصحة للاقاليم الحارة

ومما نستطيع تقريره علمياً أن الرعن أو ضربة الشمس وضربة الحرارة مما لا يجوز أن يهوّل به في أثناء الكلام على الطربوش في هذه الاوطان ، لان ضربة الشمس نادرة التأثير على أهل بلادنا ، ولا تكون إلا باجتماع بعض العوامل التي أشرنا اليها آنفاً

ولما كنتُ مندوبَ مجلس الصحة البحرية الدولي في الحجاز عام ١٣٢٩ ـ

١٣٣٠ ه لم أشاهد أنا ولاجميع أطباء موسم الحج في ذلك العام غير حادثة واحدة بالرعن في جمع عظيم بلغ عدده ربع مليون من البشر حاسري الرءوس في موقف عرفة ، فما بالك بشوارع القاهرة ودمشق وبغداد والرءوس مستورة بالطرابيش أو بغيرها . ان الرعن مما لا يجوز أن يذكر في هذا المقام

المحرر — اذن فما هو رأيكم يادكتور بهذه الحركة ؟

الدكتور — انهم يريدون بهذه الحركة أن يكونوا غربيين وليسوا بغربيين ويريدون أن يبقوا في الوقت نفسه مصريين أو شرقيين وماهم بمصريين ولا شرقيين . فهنالك أزياء تضاربت ، وأهواء تغلبت، ولغة عربية فصحى تبلبلت واستعجمت : بما دخل عليها من متنافر الدخيل ، وبما أصيبت به من جهل أدعياء التعريب للمناحي التي نحاها فيه السلف الصالح من علماء الشام ومصر والعراق والاندلس . فهم – ويا للأسف – يريدون أن يكونوا كالغراب لما أراد أن يتشبه بالطاووس: فلاهو احتفظ بمشيته، ولاهو أشبه الطاووس بشيء . أوهم كما قال جرير:

« فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا »

ان للباس الشرقي الفضفاض ميزةً صحية على الملابس الافرنجية الضيقة . ومع ذلك فنحن لا نمنع أي تطوّر يقضي به القانون الصحي أو القانون الادبي أو تدعو اليه مصلحة عمليه ، بشرط واحد لاهوادة فيه وهو الاحتفاظ بالفارق القومي والميزة الشرقية ، وذلك ما اتفقنا عليه أخيراً في لجنة الازياء ، حتى تجمع ملابسنا الى مظاهر الحشمة والجمال شروط الصحة والمصلحة . أنظر ما فعله الامريكيون من توسيع (البنطلون) ، ألم يصر أشبه بسروال الدمشقيين ؟ وما أحسنه لباساً لمن شاءه عندنا ولاسيما ممتطي صهوات الجياد ، وراكبي الدراجات ، ففيه كل الفوائد العملية فضلا عن سهولة العبادة به وانطباقه على دواعي الراحة في مجالسنا الوطنية وفي أشغالنا العملية

ولقد رأينا في القاهرة نوعاً جديداً من لباس الرأس عند السيدات الافرنجيات أشبه شيء بالعمامه اللطيفة ذات العذبة ، فهل مال ذوق هؤلاء الغيد الى هذا الشكل من لباس الرأس الا لمعنى من معاني الجمال والفائدة الصحية أدركته أفهامهن وسلائقهن ، واندفعن اليه بمثل ما اندفع اليه نساؤنا يوم اتخذن هذا النوع من العمائم المتفرنجة وهو مايسمونه « التوك ! » مما هو معروف عند السيدات المصريات والغربيات

قلت ان النوع الجديد من لباس الرأس عند السيدات الافرنجيات أشبه بالعمامة اللطيفة ذات العذبة . وناهيك بما في العذبة من الوقاية الصحية للنخاع الشوكي من الرعن ، وهو مالا نجده في البرنيطة . وان السرّ في وجود قطعة من القماش مسدلة على الظهر تحت المعطف عندلا بسي قبعة المستعمرات (الهملت) في الجيش الانكليزي أن تكون واقية للنخاع الشوكي وهل هذا إلا اقتباس من عذبة عمائمنا وعمائم الهنود ومن القسم المسدول على الظهر من كوفيات عقالاتنا ؟ فالمعاني الصحية التي ينشدونها موجودة فيما ندعو اليه من تعميم الكوفية والاحتفاظ بالعمامة التى من أنواعها الصحية العمامة المحنّكة التي تقي الحرّ والبرد فضلا عن منعها الغبار وعوارض الجو. وقد ورد في كتب الشرع ذكر الكثير من فضائلها . واني احيلك في هذا ــ وفيما جاء عن لبس البرنس والقباء والثياب البيض مما يوصي به العلم الصحي الحديث ويفضله على باقي الالوان للاقاليم الحارة ــ احيلك في ذلك على كتاب غذاء الالباب شرح منظومة الآداب للشيخ محمد السفاريني النابلسي (ج ٢ ص ١٥٥ ــ ١٥٦ و ٢٠٤ ــ ٢١٠) ولما كنت بنابلس كانت لي عند مرقد هذا الامام ، وقفة إعجاب وإحترام

وبعد فان لباس الرأس للملايين العديدة من اهل هذا الوطن المصري من اقصى الوجه البحرى الى اعالى الصعيد هى العمائم . ومما يعجبنى من اهالى الصعيد

تلك الاغاني والاهازيج في وصف العمائم البيض والتغني بها . ومن اجمل الايام ايامي بهذه الارجاء الصعيدية إبان رحلتي الوفدية سنة ١٩٢٠ والسنة التي تليها ، فكانت تتمثل لي مظاهر الجلال المصري في العهدين الفرعوني والاسلامي وفي ماضي العرب على عهد العز والقوة ، يوم كان العربي يفتخر بالعمامة تاج قومه ، ويزين بها راسه في اشرف مواقفه ، وعقب بلوغه الثار لتراته فينشد :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

نوح العندليب

نقلا عن « Arabische Dichter der Gegenwart »
تأليف الاستاذ Georg Kampffmeyer

دعِ العنْدليبَ على غصنهِ يردّدْ على الغصن احزانَهُ
فلم أر في لحنـــه كلفةً تهجّنُ ـ ان ناح ـ ألحانه
لئن دوَّن الناسُ أشعارَهم لقد جعـــل الروضَ ديوانه
وإن قيَّد الوزنُ أفكارهم لقد أطلق الشدوُ أوزانه
كتمتَ الشجونَ عن العندليب فراح يبثُّكَ أشجـــانه
وأخفيتَ عنه دموعَ الجفون وقد بلَّل الدمعُ أجفانه
فهل شطَّ عن وكره جارُه فأصبح يندب جيرانه
أم البازُ أودى بخلاّنه فودَّع بالنوح خلاّنه
أم الريحُ هبّتْ بأفنانه فزلزلتِ الريحُ أفنانه
فيالكَ من مُمعنٍ في الحنين ألم يشهد النـاسُ إمعانه

***

أتبكي العنادلُ أوطانَهـــا ولا يندب المرءُ أوطانَهُ

دمشق شفيق جبري

ويجب أن تبقيا كذلك ...

قال الشاعر الهندي رابندرانات تاغور للكاتب الايطالي ألدو سوراني :

«أعتقد دائماً أن المدنيتين - الشرقية والغربية - تستطيعان أن تبقيا متميزتين الواحدة عن الاخرى ، ويجب أن تبقيا كذلك . وبالوقت نفسه يجب أن تُكمل كلٌّ واحدة منهما ما في الاخرى من نقص ، وأن تتلاءم معها

« اذا كانت مصيبة الحرب كافيةً لتغرّب للغرب عن عواقب القلق الداخلي والخارجي الذي لا يدوم الى الابد ، فسيأتي يوم تدركون فيه أن هذا الميل للمنافع الخارجية ، وتكديسها ، لافائدة منه - فضلاً عن كونه خطراً - وحينئذ تشعرون بحاجتكم الى السلام الحقيقي ، والى تنظيم ما في بلادكم وبيوتكم ونفوسكم من اضطراب . . .

« حينئذ تشعرون أن كثيراً مما كنتم تحسبونه صالحاً هو في الحقيقة غير صالح ، بل هو قذارة الاجيال المتراكمة ، فتنهضون لتطهيرها ، وتستريحون مما يضايقكم ويعرقل مساعيكم اليوم . ومتى بلغتم تلك الدرجة انتقلتم الى أفق من آفاق نفوسكم - في داخلها وفي خارجها - هو أرض الميعاد الحقيقية ، فتبنون عليها ، وتزرعون فيها بذور المواسم السعيدة المقبلة ، وتبلغون مدنيةً أرفع شأناً وحياةً أسعد حالاً لانفسكم ولمن تجاورونه

« ان أمريكا أبعد جداً من أن تكون مصدر المعونة في العمل الضروري للتطهير والتجديد ، لأنها فريسة المساوىء التي تهيج أوربا : وهي منهمكة بملاذّ هذا العالم ، ويمكن أن يصدق على غناها قول السيد المسيح عيسى عليه السلام . لأنْ يدخُلَ الجملُ من سُمّ الخِياط أهونُ من أن يدخلَ غنيٌّ ملكوتَ السماء

«ان أمريكا ليست حرّة . ونحن في الهند - وان نكن تحت سيطرة أجنبية - أكثر حرّية من الامريكيين ، لأننا نتمتع بحرية الرُّوح . . . »

شغف الاوربيين باللغة العربية

هي المحاضرة التي القاها يوم ٢٨ ذي الحجة الماضي الاستاذ الفاضل السيد محمد بدرالدين العلوي مدرس العربية في الكلية الوسطى من الجامعة الاسلامية في عليكر (الهند) في حفلة اقامتها (اللجنة العربية) بتلك الكلية وشهدها أصدقاؤه وخاصة تلاميذه

اخواني العظام ، وتلامذتي الكرام ،

اخترتُ الآن هذا الموضوع لانّ بُغيتي تَشويقُ إخواني المسلمين الى تعلّم اللغةالعربية ـ التي هي كافلةلجميع أمورنامن اصلاح المعاش والمعاد ـ بذكر نبذة من خدمة الاوربيين لها ، وهم الذين ليس لهم بها علاقة دينية ولا دنيوية ، ولايحملهم على الاشتغال بها الا مافطروا عليه من الرغبة في المعرفة

ان ما وصل اليه الاوربيون من البراعة فى العربية أمر بديهي لايحتاج الى دليل ، وقد اعترف لهم بهذه المنزلة أفاضل مصر ومن ذلك قول العلامة الشيخ حمزة فتح الله في رسالته المسماة (باكورة الكلام) : «نحن فى اللغة العربية كالعائلة عليهم » . فاذا كان هذا اعتراف الشيخ حمزة فتح الله بفضلهم فكيف نستطيع نحن أهل الهند أن ننكر عليه ذلك . ومن الامور الجلية انهم بلغوا في العربية هذه المنزلة مع ماهنالك من البعد بينها وبين لغاتهم ، وعلى خلاف ذلك حالنا نحن (مسلمي الهند) ، فاننا نقرأ القرآن العربي المجيد في صلواتنا خمس مرات كل يوم وليلة ، زد على ذلك ما تضمنته لهجتنا من الكلمات العربية الكثيرة

﴿ العربية في لغات أوربا ﴾

دخلت اللغةُ العربيةُ أوربا حين فتح العرب صقلّيـة والاندلس ، وتردّد صداها في الانحاء الجنوبية . ولا يزال فى الاسبانية والبرتغالية كثير من الكلمات العربية ، وقد جمعها العلاّمتان دُوزي Dozy وأنغلمان Englmann في كتاب

سمّياه (مفردات الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية) وقد طبع في لَيْدِن سنة ١٨٦٩ م . ثم دخلت الكلمات العربية في لغات أوربية أخرى كالفرنسوية والالمانية والانكليزية ، وقد التزم أصحاب المعاجم الانكليزية بيان أصل كل كلمة ومن أية لغة أخذت ، والذي يرجع الى هذه المعاجم يرى أن كثيراً من الكلمات الانكليزية مأخوذ من العربية

***

﴿ اربنيوس Erpenius الهولندي ﴾

أما ابتداء الاوربيين بتعلّم العربية فهو منذ القرن السادس عشر للميلاد وأول من شرع في ذلك رجل من هولندة اسمه اربنيوس ولد سنة ١٥٨٤ وفيما هو يتلقى علومه الدينية توجهت همته الى الالسنة الشرقية باشارة رجل اسمه ساليجر Scaliger فسافر الى انكلترا ثم الى فرنسا وفيها تلقى العربية عن رجل مصري ثم عاد الى ليدن سنة ١٦١٢ م فعين أستاذاً للعربية في مدرستها الجامعة . ومالبث ان طار ذكره وانتشر اسمه في أقطاع أوربا وتحبَّب اليه بعض ملوكها وأمرائها مظهرين له رغبتهم في أن يصير اليهم فأبى الا الاقامة في وطنه . ومات في ١٣ نوفمبر سنة ١٦٢٤ وهو يترجم القرآن المجيد الى اللاتينية ، فلم تتم هذه الترجمة ولم تطبع . ومن اعماله كتاب في صرف العربية ونحوها طبع مراراً

﴿ غوليوس Golius الهولندي ﴾

ثم جاء بعده تلميذه الارشد غوليوس المولود سنة ١٥٩٦ وهو هولندي أيضاً . تعلم العربية ولغات شرقية أخرى في جامعة ليدن . وفي سنة ١٦٢٢ رافق الوفدَ الهولندى الى المغرب الاقصى ، وبعد رجوعه سنة ١٦٢٤ ــ وهي سنة وفاة اربنيوس ــ حل محله . ثم بعد سنة سافر الى الشام وبلاد العرب وعاد سنة ١٦٢٩ وهو متمكن من العربية فأ كمل مدة حياته في ليدن الى ان مات سنة ١٦٦٧

﴿ ابتداء العناية بالعربية فى رومة ﴾

وفي سنة ١٦٢٢ انشأ البابا غريغوريوس الخامس عشر Gregorius XV جمعية في مدينة رومة سماها (جمعية نشر العقائد المسيحية)، فكانت سبباً لاعتناء الاوربيين بالعربية. ولما تولى البابا أربينوس الثامن Urbenus بعد خمس سنين صارت لهذه الجمعية مدرسة يتعلم فيها طلبة العلوم الدينية اللغات الشرقية؛ واختاروا لها الاساتذة من أهل الشرق لتعليم اللغتين السريانية والعربية. وشرعت الجمعية المذكورة في طبع الكتب بهاتين اللغتين. وما لبث أن زاد ميل الاوربيين الى درس العربية، واُطلق على الطائفة المشتغلة بدرسها ودرس غيرها من اللغات الشرقية اسم (المستشرقين Orientalistes) فطفقوا يتكبدون المشاقّ لتعلمها وجمع كتبها من ديارها وتقديم هذه الكتب هدية الى الجامعات والمكاتبات الموجودة في بلادهم فكان لهم من مجموع ذلك خزائن كبيرة من كتب اللغات الشرقية

﴿ دور الكتب الشرقية فى أوربا ﴾

وفى أوروبا الآن ست عشر خزانة للكتب فيها الالوف الكثيرة من نفيس الكتب العربية والشرقية خطاً وطبعاً:

الاولى فى برلين عاصمة المانيا

الثانية في قصر (الاسكوريال Escorial) على مقربة من مجريط Madrid عاصمة اسبانيا

الثالثة في (فلورنسا) قاعدة توسكانيا من اعمال ايطاليا

الرابعة في (غوطا Gotha) قاعدة ويمار Weimar بأواسط ألمانيا

الخامسة فى كوبنهاغن عاصمة الدانيمرك

السادسة في ليبسيك من بلاد سيكس في الشمال الشرقي من المانيا

السابعة في ليدن من بلاد هولندة

الثامنة في المتحف البريطاني British Museum بلندن

التاسعة في الديوان الهندي India Office بلندن أيضاً

العاشرة في لندا Lunde من جنوب السويد

الحادية عشرة في أُبسالة Upsala في السويد أيضاً

الثانية عشرة في اوكسفورد

الثالثة عشرة في باريس

الرابعة عشرة في رومة

الخامسة عشرة في لينين غراد (روسيا)

السادسة عشرة في ڤينه عاصمة النمسا

﴿ عناية المستشرقين بنشر الكتب العربية ﴾

وأكثر الكتب بل جلها في هذه الخزائن مخطوطة ، وما برح المستشرقون عاملين على نشر مايختارونه منها : فاما أن يقتصروا على طبع المتن العربي ، أو ينشرون معه ترجمته باحدى اللغات الاوربية . ولهم عناية بضبط المتن وتصحيحه اعتماداً على معارضة نسخه الخطية المتعددة بعضها ببعض ، ويلحقون به الفهارس النافعة ، ويعلقون عليه الحواشي ان أرادوا . وقد كثر عدد الكتب العربية التي عُني المستشرقون بنشرها ، ولا تزال على ازدياد

وقد يقوم المستشرق بتحقيق كتاب من الكتب العربية ونشره منفرداً ، ومنهم من يعمل تحت إشراف الجامعة التي تخرج فيها ، ومنهم من يعمل تحت ادارة جمعية علمية . والجمعيات المتصدرة في اوربا لنشر العلوم الشرقية كثيرة العدد ، وأعلم منها ثلاثاً في انكلترا :

الاولى الجمعية الاسيوية الملكية Royal Asiatic Society

والثانية شركة الـكتب الشرقية Oriental Translation Fund

والثالثة لجنة تذكار جب Gibb Memorial Trust

وهذه اللجنة الثالثة أنشئت لاحياء ذكرى شاب سري كان محباً للالسنة الشرقية وكان يرغب في طبع الـكتب الشرقية على نفقته ، فلما مات في ريعان الشباب أنشأت أمه هذه اللجنة مؤلفة من مشاهير المستشرقين ، ورصدت لها الاموال لتحقيق أمنية ابنها باحسن شكل ، فنشرت حتى الآن كتباً قيمة

ادورد بوكك Edward Pococke

ولنرجع الآن الى القرن السابع عشر للميلاد . فمن مشاهيره ادورد بوكك الانكليزي ولد في اوكسفورد سنة ١٦٠٤ ونشأ بها وتلقى الالسنة الشرقية اولا على المستشرق الالماني ماتياس باسور Mathias Passor ثم تلمذ في جوار لندن على العلامة وليَم بدْولْ William Bedwell الذي وضع أساس تعليم العربية في انكلترا . ثم سافر بوكك الى (حلب) وأقام فيها خمس سنوات تمكن فيها من التكلم بالعربية ، وجمع منها مخطوطات عاد بها الى انكلترا . ومن هذه الـكتب (مجمع الامثال للميداني) وقد ترجمه بالانكليزية لـكنه لم يطبع . ثم عهد اليه بتدريس العربية في جامعة اوكسفورد ، وهناك خطب في بيان أهمية اللغة العربية. وعني بطبع (لامية العجم للطغرائي) في مطبعة الجامعة با كسفورد ، ولا أعلم أنه نشر كتابا آخر . مات سنة ١٦٩١

ادورد وليَم لَيْن Edward William Line

ان الوقت ليضيق الآن عن استيعاب ذكر جميع المشهورين من المستشرقين فسأ كتفي بذكر بعضهم على سبيل المثال :

فمن كمَّل مشاهيرهم في القرن التاسع عشر (ادورد وليم لَيْن) ولد سنة ١٨٠١

في هرفرد . وكان في بدء أمره من طلاب العلم الرياضي ، وكان يرغب في اتمام دراسته في كمبريج ، لكنه ـ لامر ما ـ تحول عن ذلك الى لندن ليتعلم صناعة الحفر فلم يلائم هواء لندن صحته . وقد أصيب بمرض اضطره الى سكنى بلد حار فنشأت عنده فكرة تعلم الالسنة الشرقية وعزم لذلك ـ ولرجاء أن يعين قنصلا ـ على التوجه الى مصر ، فأبحر الى الاسكندرية سنة ١٨٢٥ . وأراد أن يؤلف كتابا يبسط فيه الكلام على مصر، فجمع مواده ووضع مسوداته في ثلاث سنين تمكن فيها من التكلم بالعربية ، ثم عاد الى وطنه فلم تتيسر له النفقة اللازمة لطبع كتابه لان فيه مائة صورة وصورة ، وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني. ثم سافر الى مصر ثانية فأقام بالاسكندرية في حي المسلمين منتحلا اسم (منصور افندي) . وبعد رجوعه الف كتابا في مجلدين سماه (ذكر معاشرة أهل مصر الحديثة وعاداتهم) وطبع هذا الكتاب مراراً

ثم ترجم كتاب (الف ليلة وليلة) بالانكليزية لكنه لم يتمه

ثم ألف (منتخبات القرآن المجيد) .

وكان يرغب في تأليف معجم عربي لم يُسبق الى مثله ، فقصد مصر للمرة الثالثة . ومما قوّى عزيمته على وضع هذا المعجم ما رآه من تقصيرات في المعجم العربي اللاتيني الذي وضعه العلامة دوزي ، فأراد لاين أن يعتمد في معجمه على أساس المعاجم التي ألفها علماء العرب ، وكفل نفقة نشره دوك نورثومبرلند Duke of Northumberland ، ثم لما توفي هذا الامير استمرت زوجته في ذلك الى أن تم طبع المعجم

اخواني ،

ليكن هذان الانكليزيان عبرة لنا : عالمهما لعلمائنا وغنيهما لأغنيائنا. انظروا الى (لاين) لما بلغ القاهرة للمرة الثالثة ومعه زوجته. وأخته وابنا أخته فقد أخذ

في عمله فكان يشتغل فيه من اثنتي عشرة ساعة الى أربع عشرة كل يوم ، وكان لا يلقى أحداً الا يوم الجمعة . عكف على العلم فلم يخرج من بيته مدة ستة أشهر . واستمرت اقامته في القاهرة سبع سنين لم يفارقها الا ثلاثة أيام ذهب فيها الى الاهرام . ولما تم له جمع مواد كتابه قفل راجعاً الى انكلتره باسرته ، ولم يأل جهداً في اتمام عمله مدة تزيد على ربع قرن كان يعمل فيها كل يوم من الصبح الى الليل لا ينصرف عن عمله الا الى حوائجه الضرورية . واختص أيام الآحاد بالعبادة وامتنع عن مقابلة الناس . ولم يزل هذا شأنه الى أن أتم تأليف معجمه فطبع المجلد الاول منه سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٨٧٦ وهذا المعجم نال ثناء جميع المستشرقين وعندي أنه كتاب جليل لا غنى عنه للطلاب .

❁ هنري بالمر Henry Palmer ❁

ومن مشاهير القرن الماضي هنري بالمر ، ولد في كمبريج سنة ١٨٤٠ ولما أتم دراسته دخل في خدمة خمار بلندن ، فمرض وعاد الى كمبريج فشفي وقد بقي فيها الى أن تيسر له الاجتماع بالسيد عبد الله بن السيد محمد خان بهادر الأودهي في أواخر سنة ١٨٦٦ فكان اجتماعه به سبباً لاشتغاله بالالسنة الشرقية ، وساعده على ذلك نزلاء كمبريج من الشرقيين ولاسيما النواب إقبال الدولة الاودهي فبرع سريعاً بالفارسية والعربية والاوردية وتمكن من نظم أبيات عربية بعد سنتين من دراسته هذه اللغة فعرضها على الاستاذ توماس برستون Thomas Preston مدرس العربية في جامعة كمبريج ويقال ان بالمر كان يشتغل بالمطالعة ثماني عشرة ساعة كل يوم

ومن أعماله نشره ديوان بهاء الدين زهير الشاعر المصري الظريف ، وقد ترجمه بالانكليزية نظماً وزينه بمقدمة وحواشي . وهذه الترجمة من أتم أعماله وأحسنها وترجم القرآن الكريم أيضاً

وألف كتاباً في صرف العربية ونحوها يعد في اوربا كتاباً عجيباً لانه اتبع فيه طريق نحاة العرب .

﴿ العلاّمة وليَم رايت William Wright ﴾

ومن مشاهير القرن الماضي أيضاً العلامة وليم رايت . ولد في ثغر نيفال سنة ١٨٣٠ وكان ابوه في خدمة الجمعية الشرقية الهنديه ، وأمه بنت حاكم البنغالة ، ولها مشاركة في عدة من الالسنة الشرقية فحملت ابنها على تعلمها . فلما فرغ من أخذ مبادئها ذهب الى جامعة هلّى Halle لتلقي اللغة السريانية ، فنزل في بيت الاستاذ روديجر Rodiger وتسنى له أن يبرع بجميع اللغات السامية ولاسيما العربية وتعلم — غير ذلك — اللغة السنسكريتية ، ثم سافر الى ليدن ليطلع على مخطوطات مكتبتها فأخذ هناك عن العلامة دوزي ونال منه شهادة العالمية وكان عمره اذ ذاك ثلاث عشرة سنة . وبعد رجوعه الى وطنه عين استاذاً للعربية في عدة مدارس، ثم شغل عن التعليم ودخل في خدمة قسم المخطوطات من المتحف البريطاني لانه كان راغباً في الاطلاع على نفائسه . ثم عاد الى التعليم وثابر عليه الى ان مات.

ومن أعماله نشره رحلة ابن جبير سنة ١٨٥٢

وعنايته العظمى بنشر الكامل للمبرد سنة ١٨٦٤

وألف كتابا في صرف العربيه ونحوها في مجلدين طبع اولها سنة ١٨٥٩ وكان في هذه الطبعة مأخوذاً من كتاب العلامة كسباري Caspari ثم هذبه في الطبعة الثانية ووسعه حتى صار كانه كتاب مستقل ، وهو نافع جداً

﴿ طائفة من افاضل المستشرقين ﴾

منهم العلاّمة دوزي Dozy الهولندي مؤلف (تتمة المعاجم في اللغة العربية) المطبوع في ليدن بمجلدين

ومنهم العلاّمة أرنولد Arnold الالماني ناشر المعلقات ، وهي أجود الطبعات

ومنهم العلاّمة فريتاج Freytag الالماني أيضاً طابع حماسة أبي تمام بشرح التبريزي في مدينة بُنّ سنة ١٨٢٨ ومعها الفهارس المستوفاة، وطابع كتاب أمثال العرب مع ترجمة لا تينية في ثلاث مجلدات في المدينة المذكورة سنة ١٨٣٨

ومنهم العلاّمة اهلوارت Ahlwardt الالماني أيضاً ناشر مجموعة (العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين) وهم النابغة الذبياني وعنترة العبسي وطَرَفة بن العبد وزُهير بن أبي سُلمى وعلقمة الفحل وامرؤ القيس الكندي. طبعها طبعاً مضبوطاً مصححاً في لندن سنة ١٨٧٠ وكان العلامة درانبورغ Derenbourg قد ترجم ديوان النابغة بالفرنسوية وطبعه في المجلة الاسيوية الفرنسوية سنة ١٨٦٨ ثم طبعه في باريس سنة ١٨٩٩. وكان قد طُبع ديوان طرفة في مدينة غرايسفوالد سنة ١٨٦٩ ثم طبع الكونت لاندبرغ Landberg ديوان زهير في ليدن سنة ١٨٨٩ وطبع ديوان علقمة في ليبسيك باعتناء العلامة زوسين Socin وطبع ديوان امرئ القيس في باريس سنة ١٨٣٩ مع ترجمة فرنسوية للعلامة دو سلان De Slane الذي ترجم بالانكليزية وفيات الاعيان لابن خلكان في ٤ مجلدات وترجم بالفرنسوية مقدمة ابن خلدون في ٣ مجلدات

ومنهم العلاّمة بادغر G. P. Badger كان في الهند وألف معجماً انكليزياً عربياً طبع في لندن

ومنهم العلاّمة نُلْدِكه Noldeke الالماني صاحب المختارات من الشعر العربي القديم Beitrage zur kenntnis der Poesie der alten Araber المطبوع في هانوفر سنة ١٨٦٤ وطابع ديوان عروة الصعاليك في غوتنجن سنة ١٨٦٣

ومنهم كارليل G.D. Carlyle صاحب (انموذج الشعر العربي من العهد القديم إلى زوال الخلافة) اختار فيه حسنات الشعراء من كل طبقة وترجمها بالانكليزية

ومنهم N. S. Howebl كان من موظفي حكومة الهند ألف كتاباً في صرف

العربية ونحوها في سبع مجلدات

ومن مشاهير القرن الحاضر السر تشارلس ليل Sir Charles Lyall كان من موظفي حكومة الهند في البنغالة ، وهو عالم جليل استفدتُ من كتبه كثيراً واني معجَبٌ بسعة اطلاعه في اللغة العربية . له كتاب بالانكليزية عنوانه (الشعر العربي القديم) افتتحه بمقدمة وجيزة في ماهية الشعر العربي ، ثم أورد تراجم اشعار مختارة من ديوان الحماسة والمفضليات وديواني لبيد والنابغة الذبياني والمعلقات . وله عليه حواشي . وهو كتاب لا يستغنى الطلاب عن فوائده . وهو طابع القصائد العشر بشرح الخطيب التبريزي في مدينة كلكته[1] وعني بطبع ديواني عَبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل وترجمهما بالانكليزية وقدم لكل منهما مقدمة مهمة ، طبعت هذه المجموعة في مجلد واحد سنة ١٩١٣ . ومن اعماله الجليلة اعتناؤه بطبع المفضليات بشرح الانباري في مجلد عظيم ببيروت وترجمها بالانكليزية مع الحواشي المهمة وطبعها في مجلد آخر بمطبعة الجامعة في اكسفورد سنة ١٩٢٠ . مات هذا العالم من عهد قريب مأسوفاً على فضله وتحقيقه

ومن المستشرقين الموجودين الآن الاستاذ بيفان A. A. Bevan مدرس العربية بجامعة كمبريج وهو الذي عني بطبع نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة معمر بن المثنى في مجلدين بليدن يتبعهما مجلد ثالث للفهارس وحل الكلمات العويصة . ووضع مجلداً لفهارس المفضليات التي نشرها تشارلس ليل وحل عويصها

ومنهم الدكتور مارغليوث D. S. Margeliouth مدرس العربية بجامعة اكسفورد . عني بنشر كتب كثيرة كرسائل المعري وترجمتها بالانكليزية والتعليقات عليها وديوان ابن التعاويذي ومعجم الادباء لياقوت واشترك مع

(١) وقد اعيد طبعه بالمطبعة السلفية بتعليقات جليلة جداً للاستاذ العلامة السيد محمد الخضر ابن الحسين التونسي

الفاضل هـ . ف . امدروز Amedroz في ترجمة القسم الاخير من (تجارب الامم) لابن مسكويه الذي طبع في القاهرة سنة ١٣٣٢ ـ ١٣٣٤ مع ذيله لابي شجاع في ثلاث مجلدات . ولما مات آمدروز أوجب الاستاذ مرغليوث على نفسه اكمال الترجمة تنفيذاً لوصية زميله . وهذه الترجمة مع الفهارس طبعت بمطبعة جامعة أكسفورد في أربع مجلدات

ومنهم الدكتور نيكولسون Dr, R. A. Nickolson مدرس الفارسية بجامعة كمبريج - ألف تاريخ آداب العرب ، ونشر عدة كتب

ومنهم الاستاذ وير J. H. Weir بجامعة غلاسكو له كتاب في الانشاء العربى.

ومنهم العلامة الاستاذ أرنولد I. W. Arnold الذي كان في كليتنا السابقة (M. A- College) وهو الآن من مؤلفى المعلمة (دائرة المعارف) الاسلامية

* * *

وقبل أن أختم الكلام أريد أن أذكر ثلاثة رجال لاثنين منهم علاقة بكليتنا السابقة وثالثهم لايزال بين ظهرانينا الآن :

الاول الدكتور يوسف هارووز الالماني الذي اعتني بتصحيح جزءين من الطبقات الكبير لابن سعد

والثانى الفاضل ستوري C. A. Storey مصحح كتاب (الفاخر) للمفضل ابن سلمة الكوفي

والثالث الدكتور ايريتون Dr. A.S. Iritton الذي رتب فهرس كلمات الحديث النبوي على طريقة (نجوم الفرقان) بحيث اذا شئنا أن نبحث ـ مثلا ـ عن كلمة الطهارة فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلنا هذا الكتاب على جميع الاحاديث التى ورد فيها ذكر الطهارة والكتب التي توجد فيها هذه الاحاديث . ولا يخفى ان ترتيب مثل هذا الفهرس عسير جداً . وقد وفقه الله

للنجاح فيه، وباشر طبعه في أوربا فهو يستحق الشكر على عمله هذا من جميع المسلمين.

السيد
بدر الدين العلوي
مدرس العربية في الكلية الوسطى

عليكرة (الهند)

بني يعرب!

أَجِئْتم ركوداً : فأين الهِمَمْ ... وأين الحِفاظ وأين الشمم
وأين الإباء إباء الجدود ... وأين الوفاءُ وأين الشيم
ألستم إذا الخيلُ ضاقت بها ... صدورُ الفَيافي لدى المزدَحم
ليوثَ شرىً صهواتُ الجياد ... مَرابضُها والعوالي أُجم
نهوضاً الى العزّ حيث القنا ... تميسُ وبيضُ الظبا تبتسم
نهوضاً الى العزّ في مقنبٍ ... يَرفُّ على حافتيه العَلَم
فلا صبر أو تنجلي ، والرءوس ... كأن على الارض منها أَكَم
ولا صبر أو تنجلي ، والدماء ... تسيل على الارض سيل العرم
وحتى تدين رقابُ العدى ... لاسيافنا أو تطيرَ القمم
فهل نختشي عُدداً في العِدَى ... وشملُ الوفاق بنا ملتئم

* * *

يفوت العزائمَ خوضُ الغمار ... الى العز ما لم تثرها الهمم
وينبو حسامُك في غمده ... فان نُزِع الغمد عنه حسم
قفوا تحتَ ظلّ القَنا موقفاً ... جيوشُ المنايا به تزدحم
على ضُمَّرٍ تتخطّى الرءوس ... بغير الكواكب لاتعتصم
وخوضوا الى العز لجَّ الردى ... فإما الحياةُ واما العدم

- سوري -

الرسائل الصلاحية

كتاب مخطوط عثرتُ عليه في مكاتب الاستانة أثناء زيارتي لها في زمن الحكومة العثمانية ، لاني كنت مشغوفا بالتردد على تلك المكتبات النفيسة لاقف على آثار السلف الصالح ، وأقتبس من مشكاة أنوارهم . وبينما كنت أقلب صحائف سجلاتها عثرت على اسم كتاب (الرسائل الصلاحية) فخلته من آثار السلطان صلاح الدين الايوبي رحمه الله . ولكن لما اطلعت على الكتاب وأمعنت النظر فيه تبين لي أنه الملك الامجد مجد الدين أبو محمد الحسن بن الملك الناصر صلاح الدين من الاسرة الصلاحية ويقع هذا الكتاب في مائتين وأربعين صحيفة بقطع الزهراء ، وهو عبارة عن مجموعة رسائله وأشعاره . أما رسائله فهي في غاية البلاغة وحسن الاسلوب ، وأما أشعاره فهي من السهل الممتنع ؛ تكاد تذوب رقة و لطافة . وقد هممت يومئذا أن أنسخ هذا الكتاب إبّان فراغي ، فكتبت منه بضع صحائف ، ثم أُقفلت المكتبة ـ وأظنها مكتبة جامع أيا صوفيا بسبب قدوم أشهر التعطيل . وعدت بعد ذلك الى دمشق دون أن أتمكن من أتمام نسخه

ولما كان هذا الكتاب من الكتب الحرية بالنشر أردت أن أذكر في (الزهراء) بعض ما اشتمل عليه . وهاك ماجاء في صدره ، ومما زدان به مشرق نحره

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المولى الملك الامجد مجد الدين أبو الحسن ابن مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي المفاخر داود ابن مولانا السلطان المعظم شرف الدين ابي المظفر عيسى ابن مولانا السلطان الكبير الشهيد الملك العادل سيف الدنيا والدين أبي بكر محمد ابن الملك الافضل نجم الدنيا والدين والد الملوك والسلاطين أبي سعيد أيوب تغمدهم الله برحمته ورضوانه وجعلهم من اهل النعيم ورزقهم الله النظر الى وجهه الكريم :

« الحمد لله الذي شرّفَ الفصاحة ورفع شأنها ، وشيَّد باعجاز كتابه الكريم قواعدها وأحكم بنيانها * وصلى الله على رسوله محمد الذي بصّر بكلمه الجامعة عيونا عميا واسمع آذانا صما ، ونوّه بقدر البيان بقوله « ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما . . » الخ

وقد كنت نقلت منه بعض أشعار للمؤلف. فمنها ما مدح به الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ولكنها قليلة أنشأها معتذرا ، واقتصر لما تيقن أن مادح محمد صلى الله عليه وسلم لايزال مقصراً . وقد قام بين يديه صلى الله عليه وسلم وفرائصه ترتعد ، ولسانه العضب بلجلجة المهابة ينشد :

عليك سلامُ الله ياخيرَ مُرسَلِ   أتاه صريحُ الحقّ من خبر مرسِلِ
إليك امتطينا اليَعْمَلاتِ رواسماً   يَجُبن الفلا ما بين رضوَى فيذبُلِ
إلى خير من أطرته بالمدح ألسن   فصدقها نصُّ الكتاب المنزَّلِ
لديك رسولَ الله قمت مُجمجما   وقد كلَّ عن نقل البلاغة مِقْوَلي
وأدهشني نورٌ تألّق مُشرقا   يلوح على سامي ضريحك من عَلِ
ثنتني عن مدحي لجدِك هيبةٌ   يُراع لها قلبي ويَرعد مِفْصلي
وعلمي بان الله اعطاك مِدحةً   مفصَّلها في محكَمَات المفصَّلِ
فماذا يقول المادحون بمدحهم   لمن مَدْحه يعلو على كل معتلِ

ولما زار ضريح سبط الرسول سيدنا الحسين الشهيد رضى الله عنه وأرضاه وحشرنا في زمرته وتحت حماه سنة ٦٥٣ هجرية قال يمدحه بابيات هي من أحاسن الشعر : تكاد تأخذ بمجامع القلوب لرقتها ، وتسحر العقول ببلاغتها . قال :

فلما تبدت كَرْبَلا وتبيَّنتْ   قبابٌ بها السبطُ الزكيُّ المكرَّم
وأصبح لى دون البرية شافعا   إلى من به معوَجُّ أمري يقوَّم
أنختُ ركابي حيثُ أيقنتُ أنني   بباب أمير المؤمنين مخيِّم

وذكر في ذلك الكتاب أنه مدح المستعصم أمير المؤمنين بقصيدة ، وذلك سنة ٦٣٦ ، ولكنني لم أعثر عليها في ذلك المجموع

ومما جاء فيها أنه اجتمع هو وصاحب حمص الملك المنصور ناصر الدين شيركوه ابن ابراهيم الملك المجاهد أسد الدين شيركوه في قصر (القابون) الذي انشأه الملك الناصر ولم ير الراءون مثله . وأنشده هناك من شعره الرقيق مبينا فيه مذهبه في الحب بأنه عربي محض يعشق القيان ، ويمقت من يميل الى الولدان

أحبُّ الغادةَ الحسناءَ ترنو بمقلة جُؤذر فيها فتورُ
ولا أصبو الى رشأ غرير ولو فتن الورى الظبيُ الغرير
وأنى يستوي شمس وبدر ومنها يَستمدُّ ويستنير
وهل تبدو الغزالة في سماء فيظهر عندها للبدر نور

و (القابون) هو اليوم قرية كبيرة تبعد عن دمشق نحو ساعة ، جيدة الهواء يختلف اليها المصطافون

وقد اذكرتني هذه الابيات ماذكره المؤرخون من أن أحد الشعراء أنشأ قصيدة يمدح بها الامير مَعْن بن زائدة الشيباني رحمه الله . فسأله الامير ماذا يريد من الجائزة ، فقال له الشاعر : احملني أيها الامير أصلحك الله . فقال الامير لغلمانه احملوه على كل ما يُحمل عليه . وأمر له بفرس وناقة وبغل وحمار وجارية حسناء . قال راوي هذه الحكاية : فلما ذُكرتَ في مجلس الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى ضحك وقال : يرحم الله مَعْناً ، لقد كان عربيًّا مَحضاً ، ولو كان أعجميًّا لأمر له بغلام أيضاً

فرحم الله اسلافنا الكرام ، وسقى ايامهم الزاهرة مدى الايام . وعسى أن يوفق الله أحد من يهمهم نشر آثار السلف لان ينشر هذا الكتاب بالطبع لابناء العربية فيفيد ويستفيد

دمشق محمد علي ظبيان

حَرَكَةُ النشرِ وَالتأليفِ

﴿ الامالي ، والذيل والنوادر — لابي عليّ القالي ﴾

﴿ وكتاب التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه ـ لأبي عبيد البكري ﴾

مطبعة دار الكتب المصرية ، المكتبة السلفيه بالقاهرة ٥ ٤ ج (١٠٥٨ صفحة) ثمنه ٦٠ قرشاً

أعاد حضرة الشيخ اسماعيل يوسف بن دياب طبع كتاب الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي (٢٨٨ — ٣٥٦هـ) مع الذيل والنوادر طبعاً نفيساً على ورق جيد ، وضم اليهما كتاب التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٣٢—٤٨٧هـ) وألحق به فهارس باسماء الاعلام والقبائل والاماكن وقوافي الابيات وغير ذلك . وقد تولى خدمة هذه الطبعة والتعليق عليها ووضع فهارسها الاستاذ الفاضل الشيخ محمد عبد الجواد الاصمعي .

وكتاب الامالي وذيله أشهر من أن نعرفهما الى قرائنا، فهما من أمهات كتب الادب واللغة : قال أبو محمد بن حزم « كتاب نوادر أبي علي مُبارٍ لكتاب الكامل الذي جمعه المبرّد . ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً ، فان كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً » وسماه (الامالي) لانه أملاه من حفظه في (قرطبة) ومسجد (الزهراء) كما جاء في مقدمته ، وهما في ٨٣٤ صفحة كبيرة. والقالي حجة في اللغة وهو مؤلف معجم (البارع) في ثلاثة آلاف ورقة

أما كتاب (التنبيه) فقد تصدى فيه البكري لنقد ما آه من غلط في كتاب الامالي دون الذيل والنوادر [1] وقد سبقت لنا الاشارة اليه في الزهراء وهو من نفائس مخطوطات خزانة العلامة صاحب السعادة أحمد تيمور باشا، والمظنون أن

(١) وللبكري كتاب في شرح معاني النوادر . قال في الوجه الثاني من الورقة ٥ من (التنبيه) : « ... وهذا مما أهمله أبو علي ولم يفسر معناه والمراد به . وكثيرا ما يشغله تفسير ظاهر اللغة عن تفسير غامض المعاني . وقد أفردت لشرح معاني نوادره كتابا غير هذا »

هذه النسخة هي الوحيدة في الدنيا ، وقد كتبت في القاهرة سنة ٦٦٢ بعنـاية وتدقيق . وكان بعضهم عزم على طبعها في مطبعة اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢١ وعهد الى الاديب الضليع الاب انطون صالحاني بكتابة مقدمة لها وتعليق الحواشي عليها ، وبعد الشروع في جمع حروفها عدل صاحب فـكرة الطبع عن تحقيق فكرته فـكان من نصيب هذا الـكتاب أن يطبع الآن مع الامالي وذلك اتم له وأ كمل. وقد جاء مع مقدمة الاب انطون صالحاني وحواشيه في ١٣٢ صفحة . وفي النسخة المخطوطة خرم بين الورقة ٦٧ والورقة ٦٨ ولعل هذا الخرم ورقتان أو أكثر .ومما يحسن الاشارة اليه أن نسخة الامالي المطبوعة خالية من بعض الاغلاط التى نبه اليها أبو عبيد البكري وهذا يدل على أنها صححت إما في أثناء طبع الـكتاب للمرة الاولى سنة ١٣٢٢ أو في النسخة المخطوطة التي كان الاعتماد عليها يومئذ

وبعد فان هذا الـكتاب مما لا يستغنى الاديب العربى بغيره عنه ، وهذه الطبعة الثانية لاتغنى عنها الطبعة الاولى . فنشكر للطابع والواقف على الطبع عنايتهما بهذا السفر النفيس ، ونرجو له من القراء الاقبال الذى يستحقه

أدب الحجاز

مما يبهج القلب ويشرح الصدر ويملأ النفس غبطة أن الحياة الادبية في الحجاز خرجت من طور العـدم الى طور الوجود في العشر السنوات التى تلت نزوح الترك عن تلك الديار فبعد ان لم يكن فيها — من أقصاها الى أقصاها — من يحسن كتابة الاملاء بلا خطأ (ولا أستثني منهم أحداً قط) صار الآن فيها ناشئة من حملة الاقلام ذات ذوق في تحبير منثور القول ومنظومه . تشهد لذلك مختارات آثارهم التى جمعها الفاضل المـكي السيد محمد سرور الصبان بعنوان (أدب الحجاز) في نحو ٩٠ صفحة مع تعريف وجيز بكل أديب من مواطنيه . ولا ريب أن هذا من ثمرات الاستقلال . سدد الله خطاهم وجزى المؤلف خيرا

﴿ المجموع ـ شرح مهذَّب الشيرازي ـ للنووي ﴾
﴿ وفتح العزيز للرافعي * وتخريج أحاديث شرح الوجيز لابن حجر ﴾

مطبعة التضامن الاخوي * المكتبة السلفية : ١٥ مجلدا كبيرا (ثمن المجلد ٣٠ قرشا)

لقد كاد الناس ييأسون من تجدد الهمة في مصر وسائر بلاد الشرق لنشر الكتب الاسلامية الكبرى ، بسبب انصراف العدد الاكثر من القراء الى مطالعة الروايات والصحف السياسية ، وتسابق الطابعين الى ارضاء هذا الجمهور بنشر ما يلذ له دون ما ينفعه في دينه أو دنياه ، لولا نهوض كثير من أهل الفضل في جهات متعددة الى ملء هذا الفراغ باحياء الكتب القديمة الجليلة أو نشر الكتب العلمية العصرية النافعة . ومن هؤلاء الافاضل جماعة من العلماء وفي مقدمتهم فضيلة الاستاذ الشيخ عيسى مَنُّون شيخ رواق الشاميين في الازهر فقد ألفوا شركة الغرض منها طبع ثلاثة كتب تعد دائرة معارف في الفقه الاسلامي :

اولها (المجموع) الذي شرح فيه الامام محيي الدين النووي (المتوفى سنة ٦٧٦) كتاب (المهذَّب) لامام الشافعية أبي اسحاق الشيرازيّ (٣٩٣—٤٧٦)

ومما امتاز به هذا الشرح ان الامام العظيم أبا زكريا النووي أراد أن يغني من يطالع كتابه من طلاب الفقه عن مراجعة أي كتاب آخر، فاذا استشهد بآية أورد تفسيرها على أحسن وجه . واذا استدل بحديث استوفى ماورد في بابه وبين صحيحه وحسنه وضعيفه ومرفوعه وموقوفه الخ . واذا عرضت له لفظة لغوية أغنى القارىء عن مراجعة كتب اللغة . ولم يفته تعريف اسماء الصحابة وغيرهم من العلماء والنقلة والرواة مبسوطاً في وقت ومختصراً في وقت بحسب المواطن والحاجة حتى ان تراجم المشاهير الواردة فيه تملا كتابا وحدها . اما الاحكام الفقهية فقد بالغ في ايضاحها باسهل عبارة لانها هي المقصودة من الكتاب وضم الى مافي الاصل فروعاً وزوائد وقواعد وضوابط تشفي الصدور ، ولم يقصر في انتقاد أبي اسحاق

الشيرازي اذا وجد في كتابه مواضع جديرة بالنقد . وفي الكتاب ذكر مذاهب السلف من الصحابة والتابعين بأدلتها ، أخذ أكثرها من كتاب (الاشراف والاجماع) لابن المنذر النيسابوري . قال النووي : وهذا الكتاب ـ وان سميته شرح المهذب ـ فهو شرح للمذهب كله بل لمذاهب العلماء كلهم .وقد بلغ النووي الى كتاب (الربا) وفي عزم ناشريه أن يتموه بتكملته للعلامة السبكي

والكتاب الثاني (فتح العزيز) شرح به الامامُ المحقق ابو القاسم الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣ كتاب (الوجيز) للغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ . والوجيز ثالث كتب ثلاثة لابي حامد في الفقه ، وهو عمدة الشافعية . وبلغ من عناية العلماء به انهم ألفوا في شرحه اكثر من سبعين كتابا ولا غروَ فقد قيل « لو كان الغزالي نبياً لكان معجزته الوجيز » . وأهم تلك الشروح شرح الرافعي الذي نحن في صدده ، قال صاحب كشف الظنون « هو الذي لم يصنَّف في المذاهب مثله »

والكتاب الثالث لشيخ علماء الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ سماه (تلخيص الحبير) وخرَّج فيه أحاديث (فتح العزيز)

وبين يدينا الان المجلد الاول من هذا المجموع العظيم في ٥٤٠ صفحة من القطع الكبير الى (باب الاحداث) . والمجلد الثاني في ٦٢٠ صفحة الى أول (كتاب الصلاة) . وهو مطبوع بحروف جميلة على ورق جيد . وسيكون الكتاب في خمسة عشر مجلداً ضخماً ، ثمن كل جزء ٣٠ قرشاً .فنلفت الانظار اليه

﴿ مجلة لغة العرب ﴾

عاد العلاّمة المحقق الأب انستاس ماري الكرملي الى نشر مجلة (لغة العرب) البغدادية التي أصدرها ثلاث سنوات قبل الحرب فكانت لها بين أهل العلم مكانة رفيعة بما تناولته من المباحث ولا سيما الخاصة بالعراق . وقد جاءتنا الطبعة الجديدة من جزئها الاول للسنة الرابعة وهو مليء بالابحاث النافعة . فنتمنى لهذه الرصيفة البقاء والنماء

﴿ انهاض تربية النحل في مصر ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها : ٦٥ ص بقطع الجاير ثمنه ٣ قروش

للاستاذ الدكتور أحمد زكي أبي شادي - فضلا عن نشاطه وتقدمه فى علوم الطب وفنون الشعر - يد طولى في تربية النحل والفنون المتصلة بها . وهو يحرر المجلة الانكليزية عالم النحل The Bee World التي يصدرها معهد نادى أبيس The Apis Club الدولي في انكلترا . ورسالة (انهاض تربية النحل في مصر) خطبة علمية اقتصادية ألقاها الاستاذ الدكتور ابوشادي فى مدرسة الزراعة العليا بالجيزة (القاهرة) قبل ثلاث سنوات لافتاً بها الانظار الى اهمية هذا الفرع من العلم الذي لايزال العمل به في الشرق محصوراً في ايدي العامة ، فتكلم الدكتور فى محاضرته على ضرورة اصلاحه وادخال أحدث الاساليب العلمية فى تربية النحل ، وحث المتعلمين على قضاء أوقات الفراغ في هذه الرياضة اللذيذة النافعة . وقد طبعت هذه الخطبة مزينة بالصور فى مطبعتنا السلفية بعناية الاستاذ محمد عبد الغفور وهي مفيدة في بابها

﴿ ديوان الثورة ﴾

المطبعة العربية ، المكتبة السلفية : ثمنه ٥ قروش

عنى حضرة الغيور الفاضل السيد ياسين عرفة الدمشقي بجمع ماقيل من الشعر في وقائع الثورة الاستقلالية السورية في خلال العام الاول من نشوبها ليكون منها « صفحات خالدة تبقى مابقي لسورية اسم في عالم الوجود »

وقد اشتمل « ديوان الثورة » على نحو أربعين قصيدة لفحول شعراء العرب في العصر الحاضر ، وهي من خيرة الشعر العربي ديباجة وحماسة وشرف مغزى . قال ناشرها « وكما استمد شعراء الثورة ديوان الثورة من أرواح شهداء الثورة ، يُهدى هذا الكتاب الى أرواح الشهداء : شهداء الحق في دفع الباطل ، شهداء الحرية فى خلع أنيار العبودية ، ليكون حاملَ ذكراها ومردد صداها . فالى أطهر الارواح يُهدَى ، وعلىَ اسم الشهداء يتلى »

﴿ الجامعة ﴾

مجلة علمية تاريخية فلسفية أدبية تصدرها (جامعة آل البيت) التي أسستها وزارة الاوقاف العراقية في بغداد . وهي شهرية في نحو مائة صفحة من القطع الكبير تحتوي محاضرات أساتذة المدرسة : السيد محمد سعيد الراوي في شرح مجلة الاحكام الشرعية . وعبد الجليل افندي آل جميل في أصول الفقه . والسيد طه الهاشمي في تاريخ الاديان ، والمحاكمات التاريخية . وصبيح بك نشأت في علم الاجتماع . والشيخ عبد العزيز الثعالبي في الفلسفة الاسلامية . فنشكر لجامعه آل البيت هذه العنايه ، ونرجو لعملها التقدم والنجاح

﴿ شعراء العرب في العصر الحاضر ﴾

عزم المستشرق الفاضل الاستاذ الدكتور ج. كامبفماير G. Kampffmeyer على اصدار كتاب عن « شعراء العرب في العصر الحاضر » يحتوي شيئا من آثارهم مترجمة بالالمانية ليكون مرآة تتجلى فيها الروح الشرقية لمن يحب النظر فيها من علماء الالمان وأدبائهم . وقد جاءنا منه نموذج جمع فيه نزراً من أفاضل شعراء السوريين وهم شفيق بك جبري ، وخليل بك مردم ، والزعيم الدكتور عبد الرحمن بك شهبندر ، وفارس بك الخوري ، وشفيق أفندي معلوف ، والسيد احمد عبيد . مزيناً بصور بعضهم وتراجمهم . فنثني على عمله ونرجو له التمام

﴿ حول سرير الامبراطور ﴾

مطبعة الهلال * المكتبة السلفية : ١٢٨ ص بقطع الجاير ، ثمنه ٨ قروش

للدكتور كابانيس Cabanés طريقة في كتابة تراجم المشاهير اقتباساً من درس ما كان يعرض لهم من الامراض والاحوال الصحية والوراثية وما لها من التأثير في الاخلاق . ومن ذلك كتابه عن نابليون بونابرت (حول سرير الامبراطور) وقد ترجمه الكاتب الشاعر الدكتور نقولا فياض ونشر مزيناً بالصور

أنباء اجتماعية

الامير سعود في مصر

زار المملكة المصرية سمو الامير سعود كبير أنجال الملك العربي الموفق صاحب الجلالة عبد العزيز بن سعود ولايزال منذ نزل أرض النيل محل الكرامة والاجلال من حكومة صاحب الجلالة المصرية ومن جميع طبقات الشعب، فدلت هذه الزيارة على ان في العالم الاسلامي استعداداً جديداً للتقارب والتضامن ، نزولاً على الحكمة المحمدية في أن يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً

في سبيل الابحاث الاسلامية

كرستيان سنوك هرغرونجه من كبار المستشرقين الآن ، وهو مستشار الحكومة الهولندية في الشئون الاسلامية . وكان أقام في مكة سنة ١٨٨٥ باسم عبد الغفار وجاور في الحرم الشريف بغية درس أحوال المسلمين . ثم عاد من مكة الى بلاده وأصدر المؤلفات المهمة عن العالم الاسلامي الى أن بلغ الآن السبعين من عمره فقرر أصدقاؤه الاحتفال به وتقديم مائة الف فلورين يوم الاحتفال . فوافق هو على ذلك ، واشترط أن ينفق هذا المال في عمل دولي يتعلق بابحاث اسلامية شرقية. وقد اشتركت جمعيات المستشرقين ومجامعهم في هذه الهدية . واكتتبت وزارة المعارف السورية — باسم المجمع العلمي العربي بدمشق — بمائتين وخمسين ليرة سورية

الماء في بيت المقدس

ليست لمدينة بيت المقدس أنهار كأنهار دمشق تجري مياهها في منازلها ، ولا عنيت حتى الآن شركة من الشركات بايصال المياه اليها بمواسير كما هي الحال في القاهرة ، فكانوا يشعرون ولا سيما أيام القيظ بالحاجة الى الماء حيث يكون عزيزا فيها . وفى الخامس من المحرم (١٥ يوليو) تم انشاء خزان في تلك المدينة أجريت اليه مياه (عين فارة) فى مأسورة قطرها ٢١ سنتيمترا من مسافة ثلاث ساعات (٨ أميال) بين العين والخزان ، وبلغت

نفقة ذلك ٥٢٣٠٠ جنيه ، وسيحول هذا الخزان بين المقدسيين وضائقة المياه

حرب الريف

ما برحت حرب الريف مستمرة كما كانت قبل استسلام الزعيم المجاهد محمد بن عبد الكريم . ومن أشد العاملين على مواصلة القتال واستمالة القبائل التي كانت موالية للفرنسويين ودفعها في طريق الجهاد الزعيم صديق الذي تنقاد له القبائل من بني زروال

سرقات الاتحاد والترقي

اعترف الدكتور ناظم بك ـ كبير مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي ـ بأن هذه الجمعية سرقت من يلدز الالماس والجوهرات التي تركها نساء السلطان عبد الحميد عند اعتقاله . وأن أنور باشا وحده أخذ من الالماس ماقيمته ٤٥٠ الف ليرة عثمانية ذهباً . وأن ماسلبوه من هذا القصر اتخذوا منه صندوقاً لاموال جمعية الاتحاد والترقي واستعانوا بهذه الاموال على توطيد مركزهم في السلطنة العثمانية

أرخص من الفجل !

نشرت جريدة (اكسلسيور) مقالا احصائياً عن المانيا وممالكها السبع عشرة وسكان كل مملكة ومالها من وزراء ونواب وشيوخ ، ثم قالت بلسان التهكم ان هذا الشعب مقداره ٦٢ مليوناً وله جيش من النواب عددهم ٢٥٠٠ وله ٧٠ وزيرا فلكل ٢٥ الفاً من السكان نائب ، ولكل مليون وزير !

وقد قارنت جريدة (الاصمعي) الدمشقية بين هذا الاحصاء وبين مايماثله في ديار الشام المؤلفة من دولة سوريا ودولة لبنان ودولة جبل العلويين ودولة جبل الدروز والادارة الخاصة في الاسكندرونة وانطاكية فقالت : ان لدولنا السورية قصب السبق في ذلك على المانيا التي هزأ بها الكاتب الفرنسوي . فاذا كان لكل مليون من النفوس وزير واحد في المانيا فلكل ربع مليون منهم وزير في حكومة دمشق ، ونصف القيمة في بيروت ! أما في بقية الدول السورية فالوزراء أرخص من الفجل .



ج ٢ : م ٣ — القاهرة — صفر ١٣٤٥

الوهابية

مقدمة ـ نظرة عامة الى حالة الوهابيين : التقوى والاخلاص ـ الوهابيه :
أسباب التنفير منها ، مذهب أهلها في الفقه ، مذهبهم في العقائد ،
الدعاء ، الاستغاثة ، التوسل ، زيارة القبور
الاسلام ودعوة التوحيد
الشكوى من الوهابيين

﴿ مقدّمة ﴾

كان الناسُ في أمر الوَهّابيَّة ـ منذ عهد السلطان محمودٍ الثاني العثماني الى الماضي القريب ـ تحتَ تأثير الدعاية السياسيَّة التي اقتضتها حروبُ العثمانيين والمصريين في الديار الحجازية والربوعِ النَّجدية (١٢١٧ ـ ١٢٣٤ هـ) . فكان كثيرٌ مما يُذاع عنها ويُقال فيها مَشوبًا بمختلف المقاصد والأغراض ، وإن تكنْ حقيقتُها غيرَ خافية على كثيرين من خاصةِ علماء مصر والشام والحجاز واليمن والهند وغيرهم من الناظرين الى الامور بعين الانصاف . أما الآن ـ والقومُ قد صاروا على صِلة بجميع المسلمين في عاصمة الاسلام وينبوع هدايته ـ فقد آن لأشعَّة الفجر الكاذب أن تخبو وتزول ، فتتبلَّج من افق الفجر الصادقِ أنوارٌ يعقبُها وَضحُ النهار ، وحينئذ تَستبين جماهيرُ الناس حقائقَ الأشياء كما هي ، لا كما أرادت السياسةُ أن تقرِّره في الأذهان إيهامًا وتغليطا

﴿ نظرةٌ عامة الى حالة الوهابيين ﴾

إنَّ من يُطيل النظرَ في السيرة الطاهرة النبوية ، وينتقل بفكره ونفسه الى ذلك العهد المحمَّديّ الشريف ، ويتفهَّم الدينَ الاسلاميَّ من مَصادِره الاولى : كتابِ الله الحكيم ، وما ثبت من سُنَّةِ نبيِّه الكريم ، وما كان عليه الصدْرُ الأوّل من السَّلَف ؛ ثم يطوفُ أقطارَ العالم الاسلاميّ باحثًا عن ديارٍ تُقام فيها الشعائر الاسلامية اليومَ كما كانت تُقام في الصدر الاوّل ، ويتمسَّك أهلُها بالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والخوف من الله كما كانت عليه الحال في زمن الفِطْرَة ، لا يكاد يجد قُطراً إسلامياً يُداني الديارَ النجديةَ في هذه الفضيلة : فهنالك تُقْفَل أسواق المدائن والقُرَىٰ ويَترك الناسُ ماهم فيه من حركة أو سكنة اذا نودِيَ الى الصلاة الجامعة — في أي وقت من أوقاتها الخمسة — فتكتظُّ المساجدُ بالناس لا يتخلَّفُ عنها أحد منهم ، الا لمانع من مرض أو سفر أو ما أشبه ذلك

هنالك شَعْبٌ يحترم حقَّ الناس على الناس ، ويحترم حقَّ الله على عباده : اذا حدَّثك أحدُهم تطمئنُّ الى صدقه ، واذا ائتمنته على الغالي من أعراض الدنيا كان عنده في حِرْزٍ حَريز ، حتى تستردَّه منه فيؤدّيه إليك سالمًا مَصونا [1] . واذا اختلفتَ معه في حُكم من أحكام الدين رضي بكتاب الله ومتون السنَّة الصحيحة

(١) يعامل تجار الشام والعراق عملاء لهم من النجديين ، فيتسلم البدوي النجدي مئات الجنيهات من عميله الشامي أو العراقي بلا مستند ولا كتابة ، وماذا تنفع المستندات مع ابن البادية اذا لم يكن أمينا بفطرته . فيذهب فيشتري بها خيلا أو ابلا أو غنما ، ويتجر بها وبنتاجها ويعود في السنة التالية فيدفع الى شريكه نصيبه الذي اتفقا عليه شفاها لا ينقصه شيئاً من حقه. وهذه الاخلاق قلما توجد في فريق آخر

ـ المعتبرة عندنا وعندهم على السواء ـ حَكماً بينك وبينه ، ويرجع إلى الحقّ اذا تبيّن له

على هذه الطريقة من التقوى والتزام الشرع كانوا في الحروب التي قامت بينهم وبين الذين حاربوهم في القرن الهجري السالف [1] (١٢١٧ ـ ١٢٣٤ هـ) وكذلك هم في يوم الناس هذا في جميع مدائنهم وقراهم

ولا تزال أساليب عبادتهم ، وإقامة الشعائر الاسلامية في ديارهم ، شبيهة بما كانت عليه الحال في الصدر الاول من التجرّد عن كل هذه الزيادات التى وُجدت عندنا في العصور المتأخرة والتى لو عاد الينا أحد من الصحابة أو التابعين رضوان الله عليهم لما عرف شيئا منها ، كالطرق وشاراتها ومظاهرها ، وككثير مما يجري في التكايا والزوايا والأضرحة والموالد وما الى ذلك مما لم يكن موجوداً زمن التشريع

وكما أن جمهور الامة هناك جارٍ على ما تقدّم وصفه ، فان حكّام نجد فى مقدّمة العاملين بأحكام الشرع : في العبادات وقسمي المعاملات من عقود وقصاص ، لا تفريق في ذلك بين رفيع ووضيع ، وأمير وفقير . وبلغ من تأثير ذلك على الناس مبلغا لا يحتاج الحكام معه الى تنفيذ كثير من الحدود ، لاجتناب الناس أسباب الحكم بها . فالسرقة والزنا وشرب الخمر وعدوان

---

(١) نقل الجبرتي في تاريخه (ج ١١ ص ٣٨ بهامش تاريخ ابن الاثير المطبوع سنة ١٣٠١) عن أحد أكابر قواد المصريين الذين كانوا يحاربون الوهابيين سنة ١٢٢٧ قول هذا القائد: « أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع فى عرضينا (أي فى معسكرنا) أذان ، ولا تقام به فريضة ، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين . والقوم (أي النجديون) اذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع . واذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة اذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف ، فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الاخرى للصلاة ، وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته »

الناس بعضهم على بعض ، كل ذلك مما يندر وقوعه في نجد إن لم تقل انه غير موجود فيها ، ولاريب أن تلك البقعة من أرض الله أكثر أمناً وطمأنينة - في حاضرتها وباديتها - من كبريات العواصم الاوروبية والامريكية ، كما سترى في مقال آخر

﴿ الوهّابية ﴾

كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه يستعيذ بالله من السياسة ومن كل ما يتصرّف منها ، لأنها اذا احتاجت الى قلب الحقائق واظهار الشيء بخلاف ما هو عليه اتخذت لذلك جميع الاسباب ، واستعانت على ذلك بمن لهم منافع شخصية من وراء اعانتها (١) فتنجح الى حين في تعمية الحقّ على كثير من الخلق . ومن هذا القبيل ما كان يطرق آذان الناس في مصر والشام والعراق وسائر بلاد الشرق الأدنى في المائة السنة الماضية من تسمية الدعوة التى

(١) في مكة والمدينة جماعات كثيرة تلتمس الرزق - أيام موسم الحج - من تحت القباب التي ينكرها الوهابيون ويمنعون ما يحصل حولها من بدع مخالفة لما جاء به الاسلام ولم تكن معروفة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة والتابعين . فلما انقطعت أرزاق هؤلاء زمن الحكم الوهابي في الحجاز في القرن الماضي (١٢١٨هـ) انقلبوا أعداء للدعوة الوهابية وانطلقت السنتهم بالتشنيع عليها بلا حق . قال الجبرتي في تاريخه (٨ : ٢٣٣ - ٢٣٤ هامش ابن الاثير) في حوادث المحرم سنة ١٢١٨ : « وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة هروبا من الوهابي . ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه : فمنهم من يجعله خارجيا وكافراً وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم ، ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه » ثم نقل نص رسالة من رسائل الوهابية المتضمنة عقيدتهم وقال « أقول : ان كان كذلك فهذا ماندين الله به نحن ايضا . وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا من المارقين المتعصبين . وقد بسط الكلام في ذلك الحافظ ابن القيم في (اغاثة اللهفان) والحافظ المقريزي في (تجريد التوحيد) والامام اليوسي في (شرح البكري) و (شرح الحكم لابن عباد) وكتاب (جمع الفضائل وقمع الرذائل) وكتاب (مصايد الشيطان) وغير ذلك » انتهى

دعا بها الشيخُ المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله باسم (الوهّابية) إيهاماً بأنه مذهب جديد لم يكن يعرفه المسلمون من قبل ، مع أن علماء القوم وأئمتهم لاغرض لهم غير رجوع المسلمين الى فطرة الاسلام وينبوعه الصافي على ما كان عليه في بدايته

والحقيقة التي عرفتها بنفسي من المحاورة معهم والاطلاع على الكتب المعتبرة عندهم منذ سنة ١٣٢٠ هـ الى الآن هي أن أهل نجد ـ الذين أطلقنا عليهم اسم الوهّابيين ـ مقلّدون في الفروع الفقهية لمذهب الامام الأورع سيدنا أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه : يعملون في صلاتهم وصيامهم وسائر عباداتهم ومعاملاتهم بما ثبت عنه وعن علماء مذهبه من الأحكام المقرّرة في كتب المذهب المعتبرة ، ولا ينكرون على أحد من مقلدى الأئمة الثلاثة ـ أبي حنيفة ومالكٍ والشافعي رضى الله عنهم ـ كما هى الحال فى نظر أهل كلّ مذهب من هذه المذاهب الاربعة الى مقلّدي المذاهب الثلاثة الاخرى . قال علامة العراق السيد محمود شكرى الآلوسي في تاريخ نجد(١) : « وأنهم لا يستحقون مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا أحد يدعيها عليهم ، غير أنهم في بعض المسائل إذا صحّ لهم نصٌّ جليٌّ من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصّص ولا معارَض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الاربعة ، أخذوا به وتركوا المذهب . كإرث الجدّ والإخوة فانهم يقدمون الجدّ بالارث وإن خالف مذهب الحنابلة » الى أن قال (ص ٤٦) : « ولا مانع عندهم من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ، فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق . وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الاربعة الى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين لتقليد صاحبه »

(١) صفحة ٤٥ . وهو مطبوع في مطبعتنا السلفية

وهم في العقائد على مذهب جمهور (السَّلَف) من اثبات ما ورد في صريح القرآن وصحيح الحديث من صفات الله تعالى : يعتقدون بذلك من غير تحريف ولا تعطيل ، وبلا تكييف ولا تمثيل ، كما قال الامام مالك رضي الله عنه للذي سأله عن معنى قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ فقال الامام مالك كلمته المشهورة « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » وقد جاء بعد السَّلَف فريقٌ من علماء الاسلام يُسَمَّوْنَ (الخَلَف) يؤوّلون الصفات الواردة في الشرع خوفاً من أن يتبادر الى أذهان الجاهلين معنى التشبيه – تعالى الله عن ذلك – فرأى أكثرهم أن يفسّر « الاستواء » في الآية المذكورة آنفاً بالاستيلاء ، ويفسر قوله تعالى ﴿ يد الله ﴾ بنعمة الله أو قدرته ويفسر قوله تعالى ﴿ فانك بأعيننا ﴾ بالحفظ والرعاية . أما المتبعون لمذهب السلف – ومنهم الوهابية – فيقولون من أين لنا أن هذا التأويل هو مراد الله دون غيره من المعاني التي يحتمل اللفظ تأويله بها ؟ فخير لنا أن نتبع أهل الصدر الاول في الاعتقاد بما ورد في الشرع بلا تعطيل ولا تكييف[1]. قال أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري في الجواهر الكلامية[2]: « مذهب السَّلَف أرجحُ لأنه أسلم وأحكم ، وأما مذهب الخَلَف فانما يسوغ الأخذ به

(١) وهذا ما كان عليه الصحابة جميعاً ، ثم التابعون : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وطلحة بن عبد الله ، وسليمان بن يسار
ثم مجاهد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن البصري ، وابن سيرين ، وعامر الشعبي ، وجنادة بن أبي أمية ، وحسان بن عطية
ثم علي بن الحسين ، وعمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن مسلم الزهري ، ومالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، وابن الماجشون ، وحماد بن المبارك ، وابو حنيفة ، والشافعي ، واسحاق بن ابراهيم ، واحمد بن حنبل ، والبخاري ، ومسلم
وعلى علم هؤلاء – وما تمسكوا به من اصول الدين – قام بنيان الاسلام

(٢) آخر المبحث الاول . ص ١٣ من طبعة المطبعة السلفية

عند الضرورة وذلك فيما إذا خُشيَ على بعض الناس ـ إن لم تؤوّل لهم تلك الكلم ـ أن يقعوا في مِهواة التشبيه ، فيؤوّل لهم ذلك تأويلاً سائغاً في اللغة المشهورة[1] »

ومما يعنى به الوهّابية أشدَّ العناية إخلاص التوحيد والعبادة لله وحده ، والتوقي من كل شائبة تشوب هذا الإخلاص ، لأن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه ، وأساليب الشيطان قلّما تفطن لها الدّهماء

ويرى القوم أن من شوائب الاخلاص في التوحيد والعبادة :

١ ــ دعاء غير الله ، أو دعاء أحد مع الله * فاذا دعا رجلٌ وليّاً من الأولياء الصالحين الذين انتقلوا الى رحمة الله كالشيخ عبد القادر الجيلاني[2] أو السيد الرفاعي فقال « ياعبد القادر » أو « يارفاعي » فهم يرون أن في هذا الدعاء معنى العبادة ، وأنه ليس لمخلوق أن يدعو مخلوقاً الى كشف ضر أو جلب خير ، مهما كانت نية الداعي ومهما كان مقام المدعوّ ، لأن الله تعالى قال ﴿ له دعوةُ الحقّ ، والذين يَدْعونَ مِن دُونه لا يَستجيبون لهم بشي الا كباسِطِ كفّيه الى الماء ليبلُغَ فاهُ وما هو ببالِغه ﴾ ولأن النبي ﷺ قال « الدعاء مُخُّ العبادة » فمن دعا الله في الشدائد أو رغبة في جلب الفوائد فهم يرونه بين أمرين : إما أن يكون جاهلاً ما في ذلك من مخالفة كتاب الله وسنّة رسوله فيرشدونه الى حكم الله طالبين منه أن لا يعود الى ذلك قطُّ ، وإما أن يكون دعاؤه لغير الله بعد علمه

(١) وعلى ذكر شيخنا الشيخ طاهر الجزائري رحمة الله عليه أقول ان اجلاله لمذهب السلف وحرصه على احيائه ومحبته البليغة لصدر الاول من هذه الملة حدا به الى النصح لنا عند ما عزمنا على تأسيس مكتبة في القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ على أن نسميها باسم (المكتبة السلفية) فكان لنا بها وبه اليمن والبركة

(٢) وهم يجلونه ويحترمونه ، وهو من كبار علماء مذهبهم الحنبلي .

بحكم الشرع في ذلك فيرون في عمله معنى الشرك والله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقد قال الله تعالى ﴿ والذين تَدْعون من دُونه ما يملكون من قِطمير . إنْ تدْعوهم لا يَسْمَعوا دُعاءكم ، ولو سَمعوا ما استجابوا لكم ، ويومَ القيامة يَكفرُون بشِرْككم ، ولا يُنبّئكَ مِثلُ خبير ﴾

٢ — والاستغاثة اخت الدعاء * روى الطبراني في معجمه الكبير أن منافقاً كان يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر : قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق . فقال له النبي ﷺ « إنهلا يُستغاث بي ، وإنما يُستغاث بالله » . وفي دعاء موسى عليه السلام « اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث » وقال أبو يزيد البسطامي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . وقال أبو عبد الله القرشي : استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون . فالاستغاثة بالغائبين أو بالمائتين عند قبورهم أو بعيداً عنها محرّمة قطعاً ومخالفة لروح التوحيد الخالص الذي جاء الاسلام به

٣ — والتوسل بالنبي ﷺ هو أصل الايمان اذا كان بمعنى التوسل بالايمان به وبطاعته ، واذا كان طلباً لدعاء النبي ﷺ وشفاعته فذلك نافع مطلوب . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في قاعدة (التوسل والوسيلة) ص ٩ من الطبعة الثانية : «ومن أنكر التوسل به بأحد هذين المعنيين فهو كافر مُرتدّ » . فالتوسل الأول بالايمان به وبطاعته هو أصل الايمان والاسلام ، والتوسل الثاني توسلٌ بدعائه وشفاعته لا بذاته . ولهذا قال أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب في محضر جمع عظيم من كبار الصحابة رضي الله عنهم وقد أقرّوه على مقاله : « اللهم انّا كنا إذا أجدبنا توسّلنا اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعم نبينّا فاسقنا » فعدل عن التوسل به صلى الله عليه وسلم الى التوسل بعمه لأن ما كان مايفعل في حياته ــ وهو الدعاء ــ

قد تعذر بانتقاله إلى الرفيق الأعلى. وهذا بخلاف التوسل الذي هو الايمان به والطاعة له فانه مشروع دائمًا. قال شيخ الاسلام ابن تيمية « فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معانٍ: أحدها التوسل بطاعته، فهذا فرض لايتم الايمان إلا به. والثانى التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة إذ يتوسلون بشفاعته. والثالث التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لافي حياته ولا بعد مماته، لاعند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم. وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لايجوز، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يُسأل بمخلوق، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك [1] »

٤ — الاستعاذة * ومن لوازم إخلاص التوحيد والعبادة لله أن لا يُستعاذ إلاّ به وبأسمائه وصفاته. وقد كان من الحجج التي احتجَّ بها الامام احمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه على أن القرآن كلام الله غير مخلوق حديث « أعوذ بكلمات الله التامَّات » ومن المقرَّر الذي لم يكن يختلف فيه أحد يومئذ أنه لا يُستعاذ بمخلوق فلو كان كلام الله مخلوقًا لما استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات الله التامات. وقد عاب الله تعالى ما كان يفعله بعض كهان الجاهلية من التعاويذ والتعازيم فقال تعالى « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ». ومن هنا يُطارد الاسلام بأيدي الوهابيين ـ ومن كان على مشربهم ـ ماهو شائع في طبقاتنا المنحطة من خرافات التعازيم ومخاطبة الدجالين للجن في معالجة المصروع. فانظر كم فى الرجوع الى فطرة الاسلام من حكمةٍ ومصلحة

(١) انظر ما نقله ابو الحسن القدوري الحنفي في كتابه الكبير المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة

٥ — الحلف بغير الله * ومن مقتضيات روح الدين الحنيف في اخلاص العبادة لله أن لا يحلف مخلوق بمخلوق . وهذا من الامور المقرَّرة في الاسلام ، الوهابية تتمسَّك به وتدعو إلى سلوك سبيل الشرع فيه ، ولكن البلوى به عامَّة في الاقطار الاسلامية ، حتى إنك لو نهيت مسلماً عن الحلف بنبي أو ولي لأساء بك الظن . مع أنه قد ورد في السنن عن النبي ﷺ أنه قال « مَن حلف بغير الله فقد أشرك » صححه الترمذي وغيره ، وفي لفظ « فقد كفر » وقد صححه الحاكم . وثبت في صحيحي البخارى ومسلم عن النبي ﷺ « من كان حالفاً فليحلف بالله » وقال « لا تحلفوا بآبائكم فان الله ينها كم أن تحلفوا بآبائكم » قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف ـ صاحب أبي حنيفة ـ قال قال أبو حنيفة : لا ينبغي لاحد أن يدعوَ الله إلاّ به ، وأكره أن يقول « بمعاقد العزّ من عرشك » أو « بحق خلقك » . قال أبو يوسف « بمعقد العز من عرشك » هو الله فلا أكره هذا ، وأكره أن يقول « بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحقّ البيت الحرام ، والمشعر الحرام » قال القدوري : المسألة بخلقه لا تجوز لانه لا حقّ للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقاً . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور ، وهو مذهب أبي حنيفة ، وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد ، وقد حُكي اجماع الصحابة على ذلك . وقيل: هي مكروهة كراهة تنزيه ، والاول أصح ، حتى قال كل من عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) : لأن أحلف بالله كاذبا أحبّ اليّ من أن أحلف بغير الله صادقاً

٦ — زيارة القبور * هي مشروعة في الدين الاسلامي إذا جاءت على شرطها . فللمسلم أن يزور قبور الانبياء والصالحين ، وقبور عامّة الناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين . فزيارة قبور غير المسلمين مباحة لمن يريد بها الذكرى

والاعتبار ، وزيارة قبور المسلمين خاصتهم وعامتهم سنّة مرغوبٌ فيها لمن أراد الدعاء لصاحبها [١] . والوهابية لا ينكرون زيارة القبور ، لأنها ثابتة فى السنة وهم من أشدّ الدعاة الى إحياء السنة ، وانما الذى ينكرونه البدع التي يرتكبها الناس عند القبور مخالفين فيها روح الاسلام ومَرامى دعوته الى التوحيد . ولنضرب لذلك مثلا بالمأثور عن السلف فى زيارة قبر النبي ﷺ ، فقد كان الصحابة جميعاً والتابعون من بعدهم وجميع الائمة المتبوعين بحقّ في الاسلام إذا أراد أحدهم أن يزور قبر النبى ﷺ يأتيه فيسلم عليه السلام المسنون ، ثم اذا أراد أن يدعو الزائرُ لنفسه بالخير ذهب الى جدار القبلة فاستقبل جهة الكعبة من مسجده ﷺ ودعا الدعاء المشروع . قال نافع : كان عبد الله بن عمر بن الخطاب يسلم على القبر : رأيته مائة مرة او أكثر يجيء الى القبر فيقول « السلام على النبي ﷺ السلام على أبي بكر ، السلام على أبي » ثم ينصرف . ونقل القاضي عياض في (المبسوط) عن مالك رضي الله عنه قال « لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ، ولكن يسلم ويمضي [٢] »

فزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم للسلام عليه ، وزيارة قبور جميع

---

(١) فى سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وقف على قبر الميت يقول لاصحابه « سلوا له التثبيت ، فانه الآن يسأل » . وكان يعلم أصحابه أن يقولوا اذا زاروا القبور « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله تعالى بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا منكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم »

(٢) أما الحكاية التي ذكر محمد بن حميد الرازي انها دارت بين الامام مالك وأمير المؤمنين ابي جعفر المنصور فانها من الاخبار المنقطعة ، والصحيح عن مالك يعارضها . ومحمد بن حميد لم يجتمع بمالك لان مالكا توفي سنة ١٧٩ ومحمد بن حميد توفي سنة ٢٤٨ ولم يخرج من بلده حين رحل فى طلب العلم الا وهو كبير مع ابيه . وقد كذبه ابو زرعة وابن وارة . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال صالح بن محمد الاسدي : ما رايت احداً اجرأ على الله ولا أحذق بالكذب منه

المسلمين ـ خاصتهم وعامتهم ـ للدعاء لهم ، و زيارة قبور غير المسلمين للذكرى والاعتبار ، كلّ ذلك مما لا يمنعه الوهابية لان الاسلام لم يمنعه ، وإنما يمنعون أن يقصد الزائر القبورَ لطلب الحوائج من أصحابها أو طلب دعائهم أو شفاعتهم أو يقصدها ليدعو الله عندها ظناً منه أن ذلك أجوبَ للدعاء . فهذه الأحوال وأمثالها يمنعها الوهابية لانها تخالف روح الاسلام ولم تكن معهودة زمن الرسالة ولا أيامَ الصحابة والتابعين لا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند قبر غيره . وقد يظن بعض الاغبياء أن النهي عن البدع التي ترتكب عند الحجرة النبوية لا يتفق مع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس هذا بصحيح . فانّ من المقرر في الاسلام أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ، وتوقيره وتعظيمه ، لازم كما كان حال حياته ، نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، ونبه عليه جميع علماء الوهابية . ولكن الحرمة والتوقير والتعظيم يجب أن لا تتجاوز ما يحل في شرع الله الى ما نهى عنه ، والا فهي ليست من الحرمة في شيء

واذا كان المسلم منصفا فيكفيه أن يتعرّف مقاصد الدين الاسلامي في هذا الباب من الحديث الذي رواه الامام مسلم في صحيحه عن جندب عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس « إنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون القبورَ مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وقال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد : اشتدّ غضبُ الله على قوم اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد » الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة المشهورة . قالت عائشة رضي الله عنها «ولولا ذلك لابرز قبره ، ولكن كره أن يُتخذَ مسجداً » ومما ينبغي معرفته أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدفَنْ في مسجد المدينة ، وانما دُفن في بيت عائشة رضي الله عنها ، ولكن لما زيد فى المسجد بعد ذلك توسعةً على

المصلين دخل فيه بيت عائشة والحجرة الشريفة التي هي فيه ، ثم اضيفت اليه بيوت كثيرة . وانما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد لئلا تكون ذريعة الى قصد المسجد لاجل صاحب القبر ودعائه أو الدعاء به أو الدعاء عنده، وكل ذلك منهيٌّ عنه في الاسلام . وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الاسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب « أني لابعثك على ما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألاَّ تدع تمثالا الا طمستَه ، ولا قبراً مُشرفا الا سوَّيته » وروى ابنُ عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنَ زائراتِ القبور والمتخذين عليها المساجدَ والسُرُج »

وشدُّ الرحال لزيارة الانبياء والاولياء منهي عنه بالحديث الصحيح ، ماخلا المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى ، فان السفر الى الأول بقصد الحج واجب على شرطه ، والسفر الى المسجدين الآخرين للصلاة فيهما مستحبٌّ . فلو نذر مسلم أن يُسافر الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبر غيره من الانبياء أو الصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره ، بل ينهى عن ذلك . لأن هذا السفر مخالف لنص الحديث الصحيح فهو معصية ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿ من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه ﴾ . والقاعدة في العبادات أن من تعبَّد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة وهو يعتقدها واجبة أو مستحبةً فهو ضالٌّ مبتدع مسيء باتفاق أئمة المسلمين

﴿ الاسلام ودعوة التوحيد ﴾

ترَى مما تقدَّم أن المسائل التي كانت موضع المناقشة والتشويش فيما يسمَّى ﴿ الوهابية ﴾ هي المسائل التي لها علاقة باخلاص التوحيد والعبادة لله ، وعناية القوم بحمل أهل الملَّة على اجتناب ما يشوب صفاء ذلك الاخلاص بقصد أو بغير قصد

ومن الخطأ الذي سوف لا يغتفره تاريخ الاسلام لكثير من الناس تعمُّدُهم تسمية القائمين بهذه الدعوة باسم ﴿ الوهابيـة ﴾ لايهام العامة بأنهم فرقة جديدة جاءت بمعنى من المعاني الدينية لم يكن معروفاً في الاسلام[1]، فصدُّوا جماهير الناس ـ مدةً غير قليـلة ـ عن تفهم حقائق كثيرة من حقائق الدين الاسلامي الثابتة بصريح السنَّة النبوية وفصيحها والظاهرة ظهور الشمس رَأْدَ الضحى

والحقُّ أن معنى (التوحيد) هو سرُّ الاسلام ورُوحه ومَرماه . ولا نزال الى اليوم نستخرج من سيرة الاسلام وأسراره آثاراً له في معنى التوحيد ـ حتى في غير الدين ـ قلَّما انتبه النـاس لها . وقد أشرت في مقالة « سلطان اللغة العربية[2] » الى معجزة لم يذكرها العلماء في جملة معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي أنه أعاد للشعوب الساميَّة (وحدتها) القومية واللغوية بعـد أن فرَّق بينها كرُّ الزمان ، وترامي الاوطان ، فأصبحت اللغة العربية لغة جميـع الساميين كما كانت اللغة السامية الاولى لغتهم الوحيدة قبل التشتّت والانقسام

وقلت في مقالة « اللغة العربية وقاعدة التوحيد[3] » : انبلج نور الاسلام في جزيرة العرب واللغةُ العربية سائرة الى غاية لا تلائم قاعدة التوحيد التي هي روح الاسلام ، فكان للاسلام أثره الاجتماعي البليغ في ردّها عن طريقها ذاك ومنعها من الاستمرار فيه . وفي الواقع كانت العربية عند ظهور دين التوحيد لغةَ

(١) وقد أدى ذلك ببعض الجاهلين ـ أمثال الداعية البروتستانتي زويمر في رسالته (الوهابية The Wahabis) التي تلاها في جمعية فكتوريا الفلسفية سنة ١٩٠٢ م الى الانتقاد على الامام ابن القيم المتوفى سنه ٧٥١ هـ لانه كان يقول عن نفسه انه حنبلي ولا يقول انه وهابي. (انظر المقتطف ٢٧ : ٢٩٥ .) أي يعيب عليـه أنه لا ينتسب الى عالم جاء بعده باربعمائة وخمس وخمسين سنة . وانما وقع زويمر في هذه الفضيحة بجهله أولا ثم لان الحشوية من مشايخنا اجتهدوا حتى أقروا في الاذهان أن عقيدة الاخلاص في التوحيد عقيدة محدثة تسمى الوهابية فصار مثل زويمر يستغرب كيف لا يكون وهابيا من سبق ابن عبد الوهاب بقرون

(٢) الزهراء ٢ : ١٤٩ ورسالة « اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب » ص ٥٠

(٣) الزهراء ٢ : ١٤٩ ـ ١٥٠ والحديقة ٢ : ٨٧

قبائل : فلربيعة في شمال جزيرة العرب لهجة ، ولتميم وقيس ومن انضاف اليهم في وسط الجزيرة لهجة ، ولكنانة وهذيل وثقيف وخزاعة وأسد وضبة وألفافها من عرب الحجاز وتهامة لهجة ، فضلاً عن لغة اليمانيين في جنوب الجزيرة . وكانت لهجة القبيلة الواحدة تفترق عن غيرها في مادة اللغة وفي كيفية النطق بها . ولما جمع الله العربَ بالأسلام تحت لواء واحد ، وائتلفت قبائلهم في السرّاء والضراء ، واختلطت في السلم والحرب ، في مواطنهم والبلاد التي فتحها الله لهم ، كان للاجتماع والائتلاف أثرهما على ألسنتهم فخطا بالعرب خطوات في سبيل (توحيد اللغة) : فبعد ان كانت اللهجات المتعددة مظهراً من مظاهر الفرقة والضعف القومي تحوّلت فيما بعد الى سبب من أسباب الاتساع الأدبي ، وشملت (وحدة اللغة) هذه الامة بفضل الاسلام دين التوحيد

فرُوح التوحيـد الاسلامي التي كان لها الأثر المحمود في تكوين القومية العربية الحاضرة ، وايجاد ثروة اللغة العربية الحاضرة ، إنما تحصل أثرُها هذا بطريق العرض ، وأما إخلاص التوحيد لله وإفرادُه بالدعاء والحلف والاستعانة والاستعاذة وجميع معاني العبودية فهو أصل الدين ، لُبابه ومخّه ومَرماه . ولما قام الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب يدعو الى ذلك فانما كان يدعو الى العمل بأوامر الشرع الثابتة في كتاب الله والصحيح من سنة رسوله وسيرة السلف . وقد تقدّمه الى هـذه الدعوة كثيرون من فحول الاسلام . ولذلك يَكره الذين استجابوا لدعوة التوحيد أن يسميهم الناس (الوهابية) ، وان المجاهد منهم يقول عن نفسه الآن ـ وهو يقوم بمهمة تهذيب جاهلية القبائل البدوية ، وتحويلها عن همجيتها وفوضاها وعدوانها ، حتى تكون امةَ صدقٍ وأمانة وصلاح ـ فيبتهج هـذا المجاهد بنفسه ويقول بلهجته البدوية : « أنا خيّال التوحيد أخو من أطاع الله »

﴿ الشكوى من الوهابيين ﴾

علمتَ مما تقدّم أن طريقة الوهابيين فى فهم القرآن هي طريقة الصحابة والتابعين ، وهم يحترمون ما أُثر عن أئمة الدين من الاقوال في تفسير كتاب الله فهم إذن متّبعون لا مبتدعون ، وليس لاحد عليهم في هذا من سبيل

وعلمتَ انهم ليس عندهم كتبٌ في السنّة النبوية غير كتبنا ، بل هم يعتمدون فيها على الكتب الستة وغيرها مما نعتمد نحن عليه ، وبنفس الطرق التى قرَّرها علماء الحديث في مراتبه وتجريح رواته أو تعديلهم . فليس لأحد عليهم من سبيل في هذا أيضاً . ولم يستطع أحد ممن ناقشهم حتى الآن أن يعرب عن شكوى له منهم في هذين الاصلين العظيمين

وعلمتَ أنهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل فى الفروع ، وقد تقدّم بيان ذلك بشيء من التفصيل ، ولا مقال في هذا لقائل

والذي سمعناهم يشكونه من الوهابية دعوى أن أهلها يكفّرون من لم يستجب لدعوتهم من المسلمين . ونحن نقول بكل جزم وتأكيد ان القوم ليس لهم دعوة خاصة بهم يدعون الناس اليها . وانما يدعون الشافعي الى أن يكون شافعيا حقاً وأن يعمل بالاحاديث التى صحت عن إمامه بل بالاقوال التى نقلت عن امامه نقلا صحيحا وهي عين ما يدعون اليه . ولو أن الامام الشافعي وُجد اليوم ورأى ما يفعله الناس عند قبره لكان أشدَّ من الوهابيين ردعا للناس وغضبا لروح التوحيد التي جاء الاسلام بها . وهم يدعون الحنفية والمالكية الى أن يكونوا حنفيّة حقا وأن يعملوا بالأحاديث التي صحت عند الامامين أبي حنيفة ومالك بل بالأقوال التى نقلت عنهما نقلا صحيحا وهي منطبقة على ما يدعو الوهابيون اليه لان ذلك كله يرمى الى الرجوع لاصل الاسلام وفطرته

وأنت تعلم تشدّد الوهابيين في دين الله، وأنهم لا هوادة عندهم فيما يعتقدون صحته. فهل كانوا يبيحون الحج لأهل المذاهب الاسلامية جميعا ـ لمّا كان لهم الحكم في الحرمين سنة ١٢٢٧ هـ ـ لو كانوا يرون أن من ليس على مذهبهم ليس مسلماً؟ انظر كيف منعوا المحملين الشامي والمصري من المجيء في ذلك الحين الى الحجاز لأنهم يرونهما من البدع السيئة التي أضيفت الى شعائر الاسلام وليست منه. فلما اعتقدوا مخالفتهما يرون أنه الحق منعوهما في الحال غير مبالين بغضب من يغضب ولا برضى من يرضى. فلو كان صحيحاً ما ينسبه اليهم العاملون على تسويء سمعتهم بادعاء أنهم يكفّرون أهل جميع المذاهب لكانت لهم وقفة أخرى بالسلاح على شعاب مكة يذودون عن بيت الله من يرون انه ليس على دين الله. وها قد اتصل الناس بهم في تلك البقعة المباركة نفسها في العام الماضي فلم ير الناس منهم الا خيرا. بل ان إمامهم الموفق هو الذي دعا الامم الاسلامية في جميع الاقطار دعوة علنية عامة وكاتب زعماءها برسائل شخصية خاصة حاضاً الجميع على أن يؤموا بيت الله لاداء الفريضة وللتشاور في المؤتمر الاسلامي العام.

وقد كان الشيخ داوود بن سليمان بن جرجيس البغدادي صاحب كتاب (صلح الاخوان) ذكر هذه التهمة في رسالة بعث بها الى حفيد ناشر دعوة التوحيد ـ أعني الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الامام محمد ابن عبد الوهاب ـ فقال له «لِمَ تكفّرون ـ يا أهل نجد ـ المسلمين وعبادَ الله الصالحين الخ» فأجابه بجواب شافٍ ذكر فيه أركان الاسلام التي يكون المؤمن بها مؤمناً والجاحد لها كافرا، ثم قال في آخره «واما القول بأنا نكفّر الناس عموماً ونوجب الهجرة الينا على من قدر على إظهار دينه، وأنّا نكفّر من لم يكفر

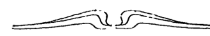
ولم يقاتل ، ومثل هذا وأضعاف أضعافه ؛ فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدّون به الناس عن دين الله ورسوله . واذا كنا لا نكفّر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم وعدم من ينبّههم فكيف نكفّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر الينا أو لم يكفر ويقاتل . سبحانك هذا بهتان عظيم ! [1] »

وبعد فان القوم كانوا فيما مضى بعزلة عن الناس منزوين في الديار النجدية فكان لهم وللناس عذر في عدم الداعي للتفاهم ، وهو ميسور جدًّا ما دامت أصول الدين التي يرجع اليها كلا الفريقين واحدة فلا يقول أحدهما اذا احتج صاحبه بحديث من صحيح البخاري مثلا انى لا أعتبر صحيح البخارى ، ولا يجيب أحدهما على احتجاج صاحبه بما صحّ عن الامام مالك مثلا انه لا يعبأ بكلام مالك . أستغفر الله بل الكل يجتمع عند مرجع واحد من الاصول ، وقد زالت دواعى السياسة التى كانت واقفة في الطريق ، فلم يبق إلا أن يُقبل كل من الفريقين على التفاهم مع صاحبه بحسن نية ليزول الخلاف

واريد قبل الانتهاء من هذا الفصل أن أشير الى سبب عظيم من أسباب التفاهم ، وهو أن لا تدخل العامة فيما لا تبلغه مداركها من الامور ، أو فيما لم يوسَّد اليها من وظيفة الحسبة وغيرها مما يتولاّه ولاة الامور بحكمتهم . فقد يتفق أن يكون بين حجاج نجد جماعةٌ من البدو ومن هم في حكم العامة يتصدّون للدعوة وهم لم يستكملوا أسبابها فيسيئون أكثر مما يحسنون . ويرون من بعض الناس ما لا يرضون به من الامور كشرب الدخان فبدلاً من أن يتركوا ذلك الى المحتسب أو بدلا من أن يكتفوا بالنصيحة الحسنة اللينة تدفعهم حميتهم الى استعمال العنف وهو ليس من حقهم . فاذا أمكن تلافى مثل هذه الامور الصغيرة ، وتوصل

(١) تاريخ نجد للالوسي ص ٥٠ ـ ٥٢ طبع المطبعة السلفية

الامام العادل الحكيم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها الى أن يوفق بين قلوب جميع المسلمين ويوجّهها الى سبيل السعادة فى الدنيا والدين كان ذلك بحول الله وقوته بدء عهد جديد للمسلمين والعرب يستردّان فيه مكانتهما العليا * وما ذلك على الله بعزيز



قلعة حماه

أشرفتْ في بُهْرَةَ الحيِّ الأمينْ — وسمتْ بين ربوع الصامتينْ
نطقتْ وهي معرّاةُ الذُّرى — فهي بالصمت تَبذُّ الناطقين
ما لها من بعد ما كانت حِمىً — أصبحت مَرعى الذئاب العابثين
إنّ من يذكرُ منها مجدَها — يتولّى وهو بالقلب الحزين
ويرى الأحداثَ فى كثبانها — ماثلاتٍ ترقب الغيبَ الكنين
ولها إمّا تراءت فى الدُّجى — صُوَرٌ شتّى تروع الناظرين

* * *

قمْ على السفح وشاهدْ منظراً — يبعث الوجدَ ويُرضي الشامتين
جلّلته روعةٌ ممزوجةٌ — بأفانينَ من الداء الدفين
وعلى الوادي جلالٌ قائمٌ — فى ثناياه عميمٌ مستبين
وتأمّلْ رهنَ لحدٍ ضيق — بعد أن كان مليكا لا يدين (١)
كم تعادت خيلُه حاملةً — أُسْدَ خفّانٍ الى الحرب الزّبون
دارهُ أضحت خلاءً وانمحَتْ — عينُها حتى كأنْ لم يكُ عين

(١) هو أبو الفداء اسماعيل بن علي ملك حماه وصاحب التاريخ

ليتَ « إسماعيل » حيٌّ فيرى وحشةَ الدار ونومَ القاطنين
ساد فى أرجائها صمتٌ ولم يخلُ من ركز المنى هذا السكون
تلكم الدار وهذا رسمها هدمتْها بغتةً أيدي المنون
بعثرتْ ريمانَها كفُّ الشقا فجرتْ بين سهول وحُزون
قلتُ ـ لما أن تراءتْ طللا دارساً ـ قولَ أميرَ الشاعرين :
« يَمحي الميْتُ ويبلى رسمهُ ويغول الربعَ ماغالَ القطين[1] »

* * *

قمتُ والشمس تردّى للنوى صفرةَ الخوف وبردَ البائسين
كلما مالت الى الغرب بدا من نواحي الشرق آثارُ السكون
وعلى الربع تجلّى روعةٌ فى ثناياها حَنينُ السالفين
فكأنّ الريحَ لما أن هفتْ ساعةَ المُمْسِي شكاةُ الواجدين
وكأن الليل لما أن دجا بادراتُ اليأس للشخص المَنين

* * *

أي قلب هائم خلّفته دون شط النهر أو تحت الغصون
يسمع البلبلَ يشدو ، ولكم شاقه من خشب الماء الأنين
ليته لم يتعلّلْ بالمُنى ليته من أُلَفِ السلْوى يكون
إذْ يَلَذُّ النوم للسهْد يرى خافقاً يرجو وان عمَّ الهدون

حماه عمر يحيى

---

(١) قصيدة « على قبر نابليون » لشوقي ، الزهراء ١ : ٤٤٢

حضرموت

أردت أن أستفيد من فرصة وجود العلامة الجليل الاستاذ السيد محمد بن عقيل كبير علماء حضرموت لهذا العهد بين ظهرانينا في العاصمة المصرية ، فرجوته ان يتفضل على مجلة (الزهراء) بصورة صادقة لحضرموت ، ذلك الجزء العزيز من الوطن العربي الا كبر ، فتفضل حفظه الله بالمقال التالي الذي أنشره مقرونا بالشكر لسيادته

لحضرموت التي ربما جهل حالها كثير من قراء هـذه المجلة عرقٌ كريم في التاريخين القديم الحديث . ولها بعد ذلك شأن لا يستهان به في اخراج جماعة من أساطين الفضـل وفرسان الأدب . ولبنيها عبقرية عجيبة تتجلى أكثر عند ما يغادرون بلادهم ويقيمون غرباء في احدى البلدان النائية . وقد شد الرحال الى حضرموت للسياحة وطلب العلم رجال عديدون من فضلاء العالم الاسلامي فعادوا وحقائبهم ملأى بالفوائد العلمية ، والنـكات الأدبية . وفيها يقول أحدهم :

مررتُ بوادي حضرموت مسلّماً فألفيته بالفضل مبتسماً رحبا
وألفيتُ فيـه من جهابذة العلا أفاضلَ لا يلفون شرقًا ولا غربا

وحضرموت هي مخلاف من مخاليف اليمن وتسمًى (الأحقاف) أيضاً

﴿ حدودها ﴾

يحدها من الجهة الشرقية شِعْب وادي النبي هود عليه السلام ، ومن الجهة الغربية عين بامَعْبَد ، ويحدها جنوبا البحر العربي وشمالا رمال نجد والربع الخالي . وجل هـذه المساحة جبال صخرية جرداء قاحلة خالية عن النبات والعيون ما عدا القليل

﴿ مزارعها وعيونها ﴾

يتخلل القطر الحضرمي رمالٌ متنقلة غير واسعة ، كما أنه يوجد في فجاج

الأودية مزارع حسنة الا أنها أيضاً ليست بذات اتساع يذكر . وكلها الآن غامرة ماعدا جزء صغير منها ، ولكن آثار العمران السابق ظاهرة . وكذا مجاري المياه والآبار المعطلة ، والسدود المهدومة ، والعدد الجم من خرائب القرى المبعثرة هنا وهناك ـ مابين معلوم الاسم ومجهوله ، وجاهليّ العمارة وإسلاميها ـ كل ذلك يشهد على ما كان لذلك القطر قديماً من الحضارة والعمران . وإنما نضب كثير من العيون والآبار لجرف السيول مجاريها سنةً بعد سنة الى أعماق بعيدة انجرّ بها الى البحر ما تمد به تلك العيون والآبار من الماء . وبذلك زاد الجفاف، وقلّ العشب ، وضعف نتاج مابقي معموراً من الأرض . على أنه لا يزال اليوم بحضرموت عيون في جوار الساحل وفي بعض الاودية يزرع عليها النخيل والحبوب وغيرها

﴿ صادراتها ﴾

التبغ الحمومي هو أهم الصادرات من تلك الناحية ، وتوجد أيضاً فيها أنواع التمر كثيرة والبُر والذرة والدخن وحبوب اخرى ، ومالا يذكر من الفاكهة والبقول . ويسير من القطن الهندي . ويخرج من غربها وما فوقه عسل كثير لا يضاهيه غيره حسنا وحلاوة . وفي جبالها اللبان الشحري والصبر والمر

﴿ حيواناتها ﴾

بها من الحيوانات مايوجد غالباً باليمن . وقد انقرض أو كاد ينقرض منها كثير من الأوابد البرية والوحوش والطيور التى كانت توجد بها كما تحكيه التواريخ القديمة بل والحديثة . وهناك يوجد حتى الآن حيوان غريب من ذوات الظلف لا هو بالوعل ولا بالغزال له قرنان صلبان مستديران أقرب الى الاستقامة

منهما الى الانحناء ، وهو سريع الجري جداً حتى انه لا يكاد يصاد الا نادراً ، يسكن الجبال وربما انحدر الى السهول لارتياد الماء والكلأ ، يدعوه أهالي حضرموت بالوُضَيْحيّ ، وهو جسور وخطر

﴿ باديتها ﴾

تسكن جبالَ حضرموت قبائلُ من صَميم العرب : من قُضاعة ونوّح ونَهْد وكِنْدة وحِمْيَر ومَذْحِج وغيرها ، وكلها لايزال بينها ذحول ودماء وثارات ـ الامر الذي سبب عدم استقرار حكومة مدة طويلة بتلك البلاد على نظام ثابت ، لما تعانيه من شغب باديتها وجَدْب أرضها ، فاذا اقيمت بها حامية كبرى عجز خراج البلاد عن مؤنتها وان اقيمت بها حامية قليلة العَدد والعُدد لم يحفِل بها الأهالي وعادوا الى سيرتهم الاولى ، وهكذا دواليك

﴿ بلاد مَهْرة ﴾

ويضاف الى حضرموت عرفاً بلاد مَهْرة ، وهي موطن الابل المهرية الشهيرة التي يقول فيها أبو الطيب المتنبي الجعفي الكندي:

وَيلْمُّها خُطةً ويلْمّ قابلها لمثلها خُلق المهريةُ القُودُ

ومهرة بلاد واسعة تتصل بظَفار الحبوظي وبعُمان ورمالها . وسكانها نحو المائة والثلاثين ألفا منتشرون في البر العربي وفي الجزر الشرقية . ولهم لغة مستقلة ليست بعربية ولكن بها من حروف الحلق مابالعربية وهي الى الآن لا كتابة لها . ومهرة من العرب بلا ريب ، وأنسابهم ثابتةٌ كما في الجمهرة وغيرها ، ويضارعهم في هذا قبيلة القَرى في صقع ظفار الحبوظي أيضاً

﴿ سكان حضرموت ﴾

تحوي حضرموت ضمن حدودها المذكورة آنفاً نحو ثلاثمائة ألف نسمة حضراً وبدوا ، ولا يدخل فيهم مهرة وهم كبادية حضرموت . وينقسم هؤلاء السكان من الوجهة الاجتماعية الى ثلاث طوائف كبرى ـ :

أولها * السادة العلويون النازلون بها سنة ٣١٧ ﻫ ومن يلحق بهم من بعض قبائل الحضارمة . ومن هذه الطائفة رجالات العلم والفضل والنفوذ وهم المصلحون بين الناس ، والساعون فى بناء المدارس والرباطات والمساجد ، والقائمون بالتعليم والارشاد وعقود الأنكحة وقسم المواريث . ويشارك السادة العلويين في هذا من أشرنا اليهم من بيوتات الحضارمة ، وان تكن الأغلبية فيه للأشراف

ثانيها * الزرّاع وأرباب الصناعات والعمال وأهل الاسواق ومن ضاهاهم . وهذه الطائفة والتى قبلها تفصلان المنازعات التى تحدث بينها بالمصالحة غالبا ، أو بحكم الشرع على مذهب الامام الشافعي الذي هو مذهب الحضارمة قاطبة

ثالثها * حَمَلة السلاح من العشائر بدوا وحضرا . وهؤلاء هم العامل الاكبر في كل ما أصاب تلك الاقطار من الخراب والشقاء . وهم وان يكُ فيهم رجال ذوو عقل وصلاح ويحبون الخير الا أنهم مغلوبون على أمرهم . وجل هذه الطائفة يحارب بعضهم بعضاً ، وربما حاربت القبيلةُ الواحدة قبيلتين فأكثر

وقد تنشق القبيلة الكبيرة الى قبائل عديدة ضئيلة العـدد لكل فخذ منها قسم من البلاد ولها رئيس ، ويكون غالبا بينها وبين أخواتها دماء وذحول . ثم يجمع تلك القبائل رئيس كبير يتولى أمرها فيما بينها وبين القبائل التي تضاهيها ، وليس له سلطة على غير فخذه فيما سوى هـذا ، بل ربما قاتلهم وقاتلوه . على أن مقاتلتهم هـذه لا تمنعهم من صدّ هجمات الغريب ، بل تراهم يتركون قتالهم

وجرحاهم فيما بينهم في المعركة ويهبون جميعاً يداً واحدة لمقاتلة عدوّهم المشترك ، ثم بعد انتهائهم من أمره يعودون الى ما كانوا فيه من قبل

وتفضّ المشاكل والمخاصمات الحادثة بين هذه الطائفة ـ فيما عدا المواريث والأنكحة ـ بحسب عادات لهم عرفية ، وبواسطة حكام منهم . ولهم قوانين في الحكم وفي استئناف الدعاوي يطول شرحها ، وكلها محفوظة غير مكتوبة

﴿ لغة حضرموت ﴾

لغة حضرموت هي العربية ، إلا أنّ الدارجة منهـا قد فسدت كما فسدت لغات غيرها من أقطار جزيرة العرب ، ومع ذلك فألفاظ الحضرمي فصيحة ناصعة غالباً لم تتطرّق اليها الغتمة التي سادت على النجـدي ولا الغمغمة التي كثرت في منطق اليمني ، ولـكل حاضرة بها نغمة ، ولكل قبيلة لغيّة ولهجة . وللحضارم في دارجتهم ألفاظ كثيرة ليس لها وجود في معاجم اللغة ، وكلهـا على موازين الـكلمات العربية ينالها ما ينالهـا من الجمع والتثنية والتصريف ؛ وجلها رباعي وخماسي ، ومنها ما يشبه بعض ألفاظ الهيرغليفية القـديمة . وعلى العموم فلغة حضرموت الدارجة تقرب الى الفصحى كثيراً بغضّ النظر عن الإعراب

﴿ المعارف ﴾

ليس للمعارف الآن سطوع ، بتلك الربوع . فقد أصابها من الانحطاط ثم الموت بموت أهلها ما أصاب غيرها . وقد دبت الحيـاة منذ سنوات في قلوب بعض سادات تلك البلاد ، فهبوا للتعاون على نشر العلم بفتح المدارس . وها قد أينعت مساعيهم بعض الاينـاع ، إلا أن الضرورة لا تزال تدعو الى أضعاف أضعاف الموجود ، لاسيما ولديهم من الثراء مايقوم بعض زكاته بأكثر من المطلوب. ومعاهد العلم بحضرموت مقتصرة على تدريس الفقـه والنحو وشيء من التفسير

والحديث . والبلاد وان تك لاتخلو من العلماء المتفننين ، وشبان الأدب والشعر ، إلا أن نطاق التعليم لايزال بها دون الواجب بمراحل

﴿ الأمن بها ﴾

علمت أن الحكومة في حضرموت غير مستقلة ، وأن البلاد لم تزل في حروب داخلية و فرقة ، لاسيما بعد انجلاء جنود المتوكل على الله صاحب اليمن منذ نحو قرنين . لذلك عدم الأمن في حاضرتها وأطراف من البادية ، وساد النهب والسرقة والغصب ، واستبيحت الدماء ، ولم تزل الحالة على هذا الى الآن. نعم ان السرقة وقطع السبل في الوقت الحاضر أصبحا في قلة محسوسة ، لنزوح كثير من الطرار والسراق عن البلاد الى الجهات السحيقة من وراء البحار . أما البوادي المسلوكة للقوافل فالامن فيها ــ إلا فيما ندر ــ موجود ولولاه لهلكت تلك البوادي ، إذ جلُّ طعامها انما هو من كرى جمالها . ولذلك كان الذاهب والآيب لا يخاف سارقا ولا مغيرا ، ولو رمى المرء شيئاً من أمتعته على قارعة الطريق وتركه الاسابيع فانه يجده كما تركه ، وكذا لو أن تجاراً يحمل كتبا ونقودا صادفه عدو له فقتله ــ بسبب تلك العداوة ــ فانه يؤدي أمانة القتيل الى أهلها

﴿ الحكومة بحضرموت وتاريخها ﴾

أقدمُ حكومة في تاريخ حضرموت الحديث هي (الحكومة الكثيرية) وتدعى الآن بحكومة (آل عبد الله) ، وقد مضى على تأسيسها رَدْح طويل ونفوذها ينبسط مرة وينقلص أخرى ؛ حتى هبَّ الامام المتوكل اليمني فنصرها ودمَّر أعداءها ورد لها ملك حضرموت كله ولم يشترط عليها الا اعلان الطاعة له

واقامة الشرع المحمدي والمحافظة عليه

ولبعض امرائها ـ وهو السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري المولود سنة ٩٠٢ من الهجرة ـ شهرة حسنة وقد طالت أيام حكمه لأنه تولى وهو صغير السن ، وكان ممدوحاً من الشعراء . وهو الذي منع التُّرْك عن الاستيلاء على حضرموت ، ثم اعترف لهم بالطاعة ، وأرسل الى القسطنطينية هدايا منها بعض أسرى من الافرنج في واقعة الشحر من البرتقال . وأرسل جيوشه لفك حصار الترك في زبيد ، وألزم أهل اليمن بطاعة الترك فى أيام السلطان سليمان ، وكانت وفاته عام ٩٧٧

وقد كان الملك قبله لآل عبد الله بن راشد بن قحطان المولود بتَرِيم سنة ٥٥٣ والمقتول ظلماً بعد تنازله طوعاً عن الملك وزهداً ، وبعد تجرده للعبادة سنة ٦١٢

وآل كثير ينتهي نسبهم الى قُضاعة ، وكذا بنو ظنة وهم ثلاث قبائل : آل تميم بن ظنة ، وآل منهال بن ظنة ، وآل شرحبيل بن ظنة . ويعرف هؤلاء الآن ببني تميم والمناهيل والشحابلة

ثم تولى بعد بدر المذكور آنفا ابنه عبد الله ، وكان قد وثب على أبيه وحجر عليه ، حتى مات وهو محجور عليه ، واستبد بالملك . وبعد موته قام بالملك ابنه جعفر وقتل سنة ٩٩٠ . فقام بعده عمه عمر بن بدر وكان ممدوحاً من الشعراء . ولانرى فائدة في الاطالة هنا بذكر الحوادث وسلسلة من تملك من آل كثير ، ومن رغب فى شيء من ذلك فعليه بتواريخ حضرموت : كتاريخ شنبل ، وكالنور السافر ، وكتاب الجواهر والدرر للشلي ، والعقد الضوي ، والجوهر الثمين ، وتاريخ بازرعة الدوعنى ، وتاريخ ابن الطيب ، وتاريخ باسنجلة ،

وتاريخ بافقيه الشحري وغيرهما (١).

وابعض امراء آل كثير آثار جميلة في نصر الشرع الشريف ، وتعظيم آل البيت النبوي ، كما أن لكثير منهم هنات وهنات

﴿ يافع ﴾

وكان بعض أمراء آل كثير قد جلب لتعزيز قوته رجالا من يافع من حِمْيَر القاطنين بجهة اليمن السفلى ، وأدمجهم في عسكره حتى أطلق عليهم اسم «العسكر» الى الآن ، فأعجبتهم حضرموت واستوطنوها ، وجنحوا الى بعض السادة العلويين وتمسكوا بهم فطابت لهم الاقامة ، وكثروا بتناسلهم وبمن هاجر اليهم من قومهم ، حتى اقتطعوا لهم أوطاناً وحدوداً ودخلوا في عادات قبائل حضرموت ، واستمروا يشيدون مركزهم ويقوون نفوذهم حتى حكموا قرى متعددة ، ثم استولوا على الشحر سنة ١١١٩ وطردوا منها آل كثير ومكثوا بها نحو ٤٦ سنة . ثم استطالوا جدًّا في الظلم ، ولم يراعوا الشرع المحمدي ، ولا عواطف السادة العلويين ومن ينضم اليهم من خيرة الحضرميين وعلمائهم ، فاضطر هؤلاء لمعاداتهم ونصروا آل كثير بل استنصروا بهم وحاربوا يافع فأجلوهم عن سرة حضرموت وسنامها

﴿ آل بريك ﴾

وفي سنة ١١٦٥ ابتدأ دخول آل بريك الدوعنيين الى الشحر ، وهم ممن

(١) هذه التواريخ لاتزال كلها مخطوطة ، وهي موزعة في خزائن كتب افاضل الحضارمة وسرواتهم في بلادهم ومهاجرهم . وحبذا لو تعاون بعض أغنياء حضرموت بأموالهم وبعض افاضلهم بفضلهم على جمع هذه التواريخ ومعارضة بعضها ببعض وتأليف كتاب جديد منها مجرد من الاخبار الواهنة والاغراض الشخصية واضيفت اليه المعارف الجغرافية والاجتماعية التي لابد منها ، مع اسناد كل خبر في الكتاب الجديد الى مصدره من هذه التواريخ القديمة ، اذن لكان من ذلك نفع يثاب عليه المساعدون على تحقيقه – (الزهراء)

ينتهي نسبهم الى يافع أيضاً ، فاستولوا على بعضها ، وبعد بضع سنين ملكوها كلها وفي سنة ١٢٤٣ تولى علي بن ناجي بن بريك على الشحر ، وهو آخر من ملكها من تلك الاسرة ، وأخرجهمنها عنوة السلطان غالب بن محسن بن احمد الكثيري سنة ١٢٨٣ فكان مدة ملك علي ٤٠ سنة ، ومدة دولة آل بريك كلها نحو ٨٨ سنة . ومات علي هذا فيلحج يوم ٢٠ ربيع الاول سنة ١٢٩٢ ، وفي مدته ـ وذلك سنة ١٢٦٦ ـ وصل السيد اسحق بن عقيـل بن عمر بن يحيى من جدة قاصدا الاستيـلاء على الشحر في مركب شراعي ومعه نحو ٤٠٠ تركي ، وكان البحر هائجاً فلم يقدر على الدنو من الشاطيء فذهب بمركبه الى ميناء قريبة منها تسمى شرمه فلقيه فيها آل بريك فكسروه وانهزم الى قُصَيْعر ، وهي قرية على ساحل حضرموت أيضا ، فأقام بهـا الى هدوء البحر ثم نزل الى دُفَيْقَة وهو ماء يبعد عن الشحر شمالا بنحو ميلين ، ووصل بعض أهل حضرموت لأنجـاده فصمد اليهم الكسادي اليافعي نقيب المـكلا في الطريق فشتتهم وعادوا من حيث أتوا ففُتَّ في عضد السيد اسحق ورجع الى جدة من غير طائل

﴿ السلطان غالب بن محسن ﴾

هو محيي ملك آل كثير بعد اندثاره بتغلب يافع على جميع وادي ابن راشد (ما بين شبام وقسم) . وكان قبل أن يتأمر بحضرموت ممن هاجر الى الهنـد وتوظف في العسكرية عند ملك الدكهن ، فصار نَوّاباً ، واكتسب ثروة ساعدته على اخراج يافع من قلب حضرموت ، علاوة على ما كان يمده به من المال والجاه بعض من قام معه من السادة العلويين . ثم فتح الشحر عنوة في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ فهرب عنها آل بريك ممتطين مراكبهم الشراعية الماخرة عرض البحر

وبذلك تقوضت دولتهم حتى الآن . وكان السلطان غالب شجاعاً صالحاً حسن الاخلاق محبوباً رقيقاً رحمه الله تعالى

﴿ العائلة القُعَيطية ﴾

مؤسسها ـ وهو الحاج عمر بن عوض القعيطي ـ أحد امراء الجالية الحضرمية بالهند في حيدر اباد الدكهن ، قام منذ نحو ٨٠ سنة فنصر قومه يافع وبذل أموالا طائلة في نصرهم ، وردّ من رحل من حضرموت منهم الى ما بقي لهم منها كبلاد القطن وحصون يافع بجوارها ، وأرضى من قدر على إرضائه من السادات ، وأظهر لهم احتراماً واجلالاً نابر عليه هو وورثته الى الآن فاستجلب لذلك من نفر عنه . ولم يزل يكدّ ويكدح ويسعى ويبذل حتى ظفر بمدينة شبام غدراً سنة ١٢٧٤ على يد مولاه الحاج الماس الحبشي . ثم بعد موت الحاج عمر خلفه أولاده عوض وصالح وعبد الله وهؤلاء مولودون بحيدر أباد دكهن هم وجل أولادهم ، ولم يزل لهم بها مركز مهم وجاه واسع وثروة طائلة وذكر حسن ، فسلكوا سبيل أبيهم ، وساعدهم على نيل مآربهم أمور صدرت من آل عبد الله اضطرت بعض ذوي النفوذ الروحي الى نصر أعدائهم عليهم ، فتم لهم بذلك وبسعي الأمير عوض ـ الذي سمي أخيراً السلطان عوض ـ الاستيلاء على جميع شواطئ حضرموت من مهرة شرقا الى قرب وادي حجر المشهور بنهره وكثرة نخيله في الجاهلية والاسلام الى الآن

ولد السلطان عوض سنة ١٢١٦ هـ ، وفي سنة ١٢٨٤ جهز على الشحر جيشاً جراراً مؤلفاً من عرب وهنود قدمها بهم بحراً من الهند ، فما عتم أن فتحها عنوة وقوض منها سلطان آل كثير ، ثم استولى أخيراً على غيرها . فكانت الحكومة اليافعية هي الثانية ترتيباً والاولى قوة والاوسع نطاقاً . وقد كانت الانكليز على

بعد الامير عبد الله بن عمر أخي السلطان عوض ووكيله . ثم وسع السلطان ملكه واستولى على حجر سنة ١٣١٠ وتملك بعـدها دوعن واستفحـل أمره وهابته قبائل حضرموت . توفي رحمه الله عام ١٣٢٧ . وقد كان رجل حزم وعزم وجدّ وجلَد وشجاعة ودماثة أخـلاق ، محافظا على الصلوات والصيام ، بعيداً عن قاذورات امراء الهند

ثم خلفه بعد موته ابنه السلطان غالب رحمه الله فسار على منهـاجه ، وكان وزيره المدبر له الامور هو وزير والده والنافذ الكلمة عنـده السيد الحسين بن حامد بن احمد المحضار العـلوي وهو الآن أيضاً وزير السلطان الحالي عمر بن عوض بن عمر

﴿ الحكومة الآن ﴾

أما الآن فقـد استقرت الحال على ما يأتي — : يحكم السواحل كلها مع ما انضم اليهـا غربي عين بامعبد السلطـان عمر بن عوض بن عمر بن عوض القعيطي اليافعي المتملك حسب وصاية أبيه عوض بعد أخيه المرحوم غالب ، كما انه أيضاً يحـكم جميع دوعن والقطن وشبام وحجر ابن دغار ويلحق به عدد من القبـائل

وتنحصر سلطنة آل عبد الله بحسب معاهدة عدن في تريم وسيون ، وهما خير مدن القطر الحضرمي ، وان لم تـكونا أكثر سكانا ، ذلك لأن بهما عددا من أهل العلم والثروة . ويلحق بهما ثلاث قرى أخرى هي : غرف آل زيدان ، وتريس ، وغيل الشناظير . . وينتمي الى السلطنة من العشائر الشنافرة وهم آل كثير والعوامر وآل باجري وآل جابر ، وهؤلاء كلهم ليسوا تحت حكم السلطان بل لكل طائفة منهم رئيس وحدود ، ولهم جميعاً رئيس عام ، على أن بعضهم

يحارب ذلك الرئيس أيضاً وبعضهم يحارب السلطان كما تقدمت الاشارة اليه

وهناك قسم ثالث من حضرموت وهو الاوسع مساحة والاقل قيمة لاحكم فيه حقيقي لأحد . ولكل بقعة منه رئيس اسمي . والكلام على عادات الحضارمة وقوانينهم وتاريخ تلك الجهات وما هو ظاهر للعيان من آثار عاد الاولى وغيرهم كحِمْيَر والملوك الاسلاميين وشرح كل ذلك شرحا دقيقاً يحتاج الى تأليف كبير

﴿ الآثار والكنوز ﴾

بناء على عاديّة حضرموت وتعاقب المدنيات عليها فالمظنون أن ما هو مدفون تحت الرمال وتحت أنقاض الخرائب وفي أجواف المغائر والمقابر ـ أكبر قيمة مما كتب في التواريخ عنها وأكثر فائدة وأصدق نبأ . ومنذ سنوات قليلة كشف السيل عن آثار مهمة ذهبية وفضية وحجرية وجواهر كريمة في مقابر حِمْيَرية بوادي مَرْخَة بيع جلها بثمن بخس في عدن والهند ، وسبك العربان كثيراً مما وجدوه من الحلي والنقود والأصنام الذهبية والفضية سبائك ، لظنهم أن ربحهم انما يكون في ذلك . وكثيراً ما يوجد هناك أحجار وآثار عليها كتابات جمة لا يوجد من يحل معماها

﴿ الحضارمة والهجرة ﴾

لم تزل الهجرة من دأب الحضرميين منذ عرفهم التاريخ ، وقد ملأوا سواحل الصومال وغيرها من شمال إفريقية في سابق العصور قبل الاسلام وبعده ، وطالما انتشرت جالياتهم في العراق ومصر والسودان والاندلس وغيرها بعد الفتح الاسلامى فكان لهم ذكر وأثر لا ينسى ، ولنشاطهم في الاسفار وشغفهم بالتجارة واعتمادهم على الكسب من البلاد البعيدة توغلوا في إفريقية فأسلم بدعوتهم من أسلم من الحبشة والصومال وشرقي إفريقية الى رأس الرجاء الصالح ومن في

الجزائر التي بجوار تلك السواحل مثل مدغسكر وجزائر القمز ، وكذا أيضاً جل من أسلم من سكان الشطوط الجنوبية من الهند ومثلها الشرقية منها ، وبعض من في داخلية تلك الاقطار ومن في برما وسيام وسومطرا وجاوا وفليبين وما جاورها ويبلغ عدد مسلمي هذه الاصقاع النائية الفسيحة أكثر من مائة مليون نسمة كلهم الا الغرباء فيهم وقليل ماهم على مذهب الحضارمة وطريقتهم . وقد صار للحضارمة هناك عز كبير ونفوذ واسع النطاق وثروة طائلة وإمارات متعددة ، ولم يزل الى الآن بيدهم من ذلك شيء له قدر ان حفظوه ونموه ، وتفصيل ذلك يحتاج الى مصنف ذي أجزاء عديدة.

﴿ عبقرية الحضرمي ﴾

الحضرمي ـ كغيره من العرب ـ ذكي الفؤاد نشيط البدن شجاع القلب حاضر الذهن قوي الذاكرة ، ثم انه جسور على خوض الغمرات بعيد الهمة كبير الطمع محب للعمل جموع للمال ، مقتصد في النفقة الى حد التقتير ، ثابت فيما يشتغل فيه الى حد الجمود ، دمث الاخلاق ، موف بالعهد ، ألوف عطوف ، خفيف المئونة قلما ينزل بقوم فيستثقلون ظله أو يملون ثواءه ، بل ينزلونه في القلوب ، ويقاسمونه الأوطان عن رغبة ومحبة وغبطة . ولم يزل الى الآن البون بعيداً بين البلاد التي كثر فيها الحضارمة والبلاد التي لم يكثروا فيها في الاصقاع الهندية الشرقية

ولقد أقلقت مسألة الحضارمة بال الحكومة المستعمرة بتلك البلاد برهة طويلة حتى التجأت الى دوس عدالتها بالضغط عليهم وتنفير الاهالي منهم ومنعهم بتاتاً من دخول بعض المقاطعات الجاوية الى عهد غير بعيد اذ تصدى المستشرق الشهير سنوك هورغرونجه لهذه المسألة فحلها حلا نهائيا : وبذلك زال سوء التفاهم السائد بين الدولة والحضارمة وحل مكانه الوئام والثقة المتبادلة . قال العلامة

الأمير شكيب أرسلان في هامش كتاب حاضر العالم الاسلامي (١ : ٦٧) :

« ثم ان هناك (بجاوا) مسألة مهمة يقال لها مسألة الحضارمة . وهذه تكرث الحكومة الهولندية أكثر من كل مسألة سواها في الجاوا ، لأنه معلوم كون أهل حضرموت من أقوم أهل الارض على الاسفار ، وان فقر بلادهم مع مضاء عزيمتهم يحملانهم على جوب الآفاق ، وأكثر ما ينتشرون في جزائر الجاوا والبحر المحيط ، فكانت الحكومة الهولندية تحسب لهم حساباً كبيرا ولشد ما يضيق صدرها بهجرتهم الى تلك البلاد خشية أن ينشروا الدعوة الاسلامية أو ينبهوا الاهالي السذج الى الامور التي لولا الحضارمة ربما لاينتبهون اليها ، فما زالت تضع الحواجز أمام نزولهم في تلك الديار وتراقب حركاتهم وسكناتهم ، وهي تحتج لذلك بكونهم في الأكثر افاقين لايأتون الى جاوا بشيء من رءوس الاموال وانهم هم يمنعون غير المسلمين من دخول بلادهم حضرموت فلا يحق لهم إذاً أن يطالبوا بدخول بلاد هولندة . وبناء على ذلك فقد ضويق الحضارمة . . . ولكن لم تخل الحال من كون كثيرين من الحضارمة تمكنوا من الدخول وأوطنوا تلك الديار وصاروا من أهلها ، فترتب على ذلك أن الحكومة الهولندية التي هي من الاصل غير مرتاحة الى وجودهم بين مسلمي الجاوا لكيلا تسطو حصافتهم على سذاجة هؤلاء ويوقظوهم من غفلتهم التي هي درة الحلب الاستعماري قد جعلت تضيق عليهم في غدواتهم وروحاتهم وتنغص عليهم عيشهم وتفعل ماشاءت لتحملهم على ترك تلك الديار

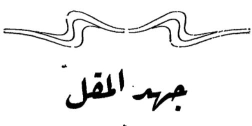
فالاستاذ هورغرونجه يتكلم على هذه المسألة بما يلي تعريبه — :

ان عدم قبولنا للحضارمة من الاصل لم يكن مخالفاً للعدل وكانت له أسباب يمكن ان يبنى عليها ، فلم تنتبه لها الحكومة ، وسمحت لهؤلاء بالدخول على شروط يسهل عليهم القيام بها . لكنها بعد أن سمحت لهم بالاقامة جعلت تراقب حركاتهم

بصورة لا تطاق ، وربما كانت لسياسة المأمورين الذين تختلف أنظار بعضهم عن بعض في الشدة وعدمها مدخل في تشديد هذا الخناق على الحضارمة بحيث أصبح العربي لا يملك هناك شيئاً من الامان على حاله واستقباله . . . »

***

وبعد فهذه عجالة في أحوال الحضارمة في بلادهم وخارجها ، التزمنا فيها الايجاز لان مقام البسط في المصنفات الكبيرة لا في فصول المجلات . وفيما أوردناه ما يمثل لحضرموت صورة مصغرة في أذهان القراء



جهد المقل

— ١ —

أنا ما حييتُ فقد وقفتُ لأمتي ... نفسي ومالي في سبيل بلادي
فاذا قُتلت ـ وتلك أقصى غاية ... لي ـ فالوصية عندها أولادي :
بنتٌ لتضميد الجراح ، ويافعٌ ... يُعنَى بتثقيف القَنا الميَّاد
حتى إذا بلغ الأشُدَّ رأتْ به ... ذُخراً ليوم كريهةٍ وجلاد

خليل مردم بك

— ٢ —

قل للخليل مفدّياً أوطانَه ... وموصّياً إن راح بالاولاد
هذا لتثقيف القناة ، وهذه ... وقفٌ لأسو جراحةٍ وضماد :
في مثل هذا يا ابن مَرْدَمَ يلتقي ... عِظَمُ الجدود وسُؤدُد الاجداد
إن كان في الشبّان مثلك جملةٌ ... فلنا الرجاء بأمة وبلاد
أفديك بالروح العزيزة ، إنها ... لفداء مثلك من عزيز فاد

الامير شكيب أرسلان

العامية والفصحى

— ١ —

نشر سلامة موسى افندي في هلال يوليه (٣٤ : ١٠٧٤) مقالة في موضوع « اللغة الفصحى والعامية » دعا فيها الى هجر الفصحى واصطناع العامية في الكتابة والتعليم والادب ، واقترح أن تدخل الاساليب والمفردات الافرنجية الى العربية بدون قيد وشرط .

واتكأ الكاتب في مقالة على أقوال السير وليم ولكوكس الانكليزي في صعوبة اللغة الفصحى[1] . وقال : ان الآداب المصرية — كالدرامة والقصص وغيرها — يمكن أداؤها بالعامية دون الفصحى . ورمى الى التخلص من الفصحى بزعم أنها تبتلع الوطنية المصرية ! وتجعلها شائعة في القومية العربية بما تتشربه من الآداب والروح والعاطفة القومية العربية ، مع أن مصر ينبغي أن تكون لها صبغة قومية خاصة ، وأن أبناء مصر يجب أن يتشربوا الآداب والروح والعاطفة القومية المصرية فقط . وزعم أخيراً أن اللغة الفصحى لغة بدوية ، وان الثقافة بنت الحضارة وليست بنت البداوة

— ٢ —

في مقال سلامة موسى افندي مايجعل القارىء يشعر باعتقاد هذا الكاتب

---

(١) اذا كنا نحمد للسر وليم ويلكوكس مساعيه فى مصر لاصلاح أرضها فاننا — فى الوقت نفسه — نعده فى زمرة العاملين مع دعاة البروتستانية من جهة ومع الذين يكيدون للعربية كحضرة الفاضل سلامة موسى افندي من جهة ثانية . وللسر ويلكوكس رسائل تبشيرية باللغة العامية ينشرها له مبشرو البروتستانية بمصر (الزهراء)

أن وجود لغتين عامية وفصحى شيء خاص باللغة العربية ، وأن الدعوة إلى التخلص من هذا الشذوذ ! طبيعية

والمعروف ان وجود لغة عامية ازاء لغة فصحى ليس خاصاً باللغة العربية [1] فالعامية موجودة إزاء الفصحى فى كل لغة ، وفي كل بلاد ؛ بل ان اللغة الفصحى بينما هي واحدة في التعليم والتدوين والاداء العلمي في قطر من الإقطار نجد اللغة العامية متعددة : سواء في الالفاظ والاساليب ، أو في الاداء واللهجة . تقدر أن تجد هذا فى ولايات فرنسا الشمالية والجنوبية ، وتقدر أن تجده فى الانضول ، فضلاً عن أنك تجده في القطر المصري والقطر الشامي . فكيف تستقيم اللغة العامية لغة تعليم وكتابة مادامت العامية في ناحية من القطر الواحد مغايرة للعامية في ناحية أخرى منه ؟ فاللغة العامية ليس عليها طابع العمومية حتى تصلح لأن تكون عامة فى وجوه استعمالات اللغة : من تعليم ، وتدوين ، ومراسلة ، وصحافة ومخاطبات : عادية وتجارية ، وأدبية

— ٣ —

ثم إن اللغة العامية — من حيث هي لا ضابط لها تقف عنده ويجعلها صالحة لان تكون لغة تعليم وتدوين ، وذات وحدة علمية ثابتة فى قالبها على الأقل — ما برحت متحولة دائما ، وقلما تتقيد بقاعدة نطقية أو صرفية ، وقلما تكون كاملة الإداء . ولو دوّن إنسان لغة عامية فى بلد قبل مائة سنة ثم قورنت بلغة هذا البلد العامية بعد مائة سنة لظهر من الفرق فى الالفاظ والاساليب والمعنى والاداء ما يدهش له الانسان ، ولكان حل رموزها من الصعوبة بدرجة حل رموز لغة غريبة

وهذه رسائل ومكاتبات محمد علي باشا وابراهيم باشا — على قرب عهدهما ،

(١) انظر الزهراء (٢ : ٢١٠)

وعلى كون كتّابها ممن يُفرَض فيهم العلم - تحتوي على الفاظ واصطلاحات عامية بعدت عن الالفاظ والاصطلاحات العامية الحاضرة ، واصبحت غير مفهومة تماماً مع أنه يوجد فى جانب اللغة العامية العربية لغة فصحى وكتب مقدسة هما بمثابة ناظم للغة يحميانها من البعثرة والابتعاد عن الاصل . فليس على اللغة العامية من هذه الناحية أيضاً طابع الثبات يمكن ان تصلح معه لتكون لغة ثقافة خالدة

واذا قيل ان من الممكن وضع قواعد وضوابط لاحدى اللهجات العامية في القطر الواحد - كلهجة العاصمة مثلا - وتعليمها ونشرها ، فيجاب على هذا بان هذه اللغة التي تكون قد تقيدت بالقواعد والضوابط والتدوين لا تلبث ان تصبح لغة خواص إزاء لغة عامية جديدة تنشأ بعدها بقوة ناموس التطور والاقتصاد اللغوي فيعود الاشكال الى حاله . ذلك لان اللغة العامية هي فى الدرجة الاولى لغة تخاطب وقضاء حاجات عادية ، فالذى يهم المتخاطبين فيها التفاهم والاقتصاد في الوقت سواء كان ذلك على وجه صحيح او معتلّ

ولا يرد اعتراض على هذا بان اللغة هي - من حيث الاصل - للتفاهم والتعبير عن الافكار من أقرب الطرق واسهلها ، وأن اللغة العامية مادامت تؤدي هذا الغرض فهي وافية بالغاية ولا ضرورة للاحتفاظ بلغة فصحى معها وتحمل المشقة فى تعليمها ، لان اللغة المتبدلة التي لا يضبطها ضابط ، والمختلفة في كل ناحية من نواحي القطر الواحد بعوامل اقليمية طبيعية واجتماعية واقتصادية ، لا يمكن ان تفي بحاجة التدوين والثقافة حتى ولا الوحدة الوطنية فى مثل جماعاتنا التى ارتقت عن الحالة الانسانية الساذجة واصبحت هذه الاغراض ضرورة من ضروراتها ينبغي أن تكون لها وسائلها الوافية بها

— ٤ —

ولست أرى تعارضاً بين وجود لغة فصحى وبين الرغبة في أداء بعض

الآداب بلغة عامية ، كالروايات والاغاني المسرحية والاهازيج الشعبية مثلاً . ولست انكر أن هذه الطريقة تدخل المعانى توّاً الى نفوس العوام ، وتثير حماستهم وتفيد في تلقينهم مبادىء اخلاقية واجتماعية ووطنية كثيرة . غير أني ألاحظ أن هذه الآداب لايمكن أن تكون خالدة بسبب تحول وتبدل اللغة العامية ، إذ لا تلبث أن تبتعد عن العامة رويداً رويداً ولا تبقى لها الا قيمتها التاريخية للدلالة على نفسية الامة وآدابها فى زمن من الازمان . وهذه الملاحظة سبب كاف للقول بان آثاراً كثيرة جديرة بالخلود لايجوز ان توضع بالعامية ، لا من حيث قيمتها ولا من حيث فائدتها ، بقطع النظر عن فائدة اللغة وقيمتها

— ٥ —

أما القول بأن اللغة العامية أوفى بالمقصود من اللغة الفصحى فليس صحيحاً وارجح ان هذا غلط اتى من ناحية قدرة المتعلمين على التفاهم والتعبير عن آرائهم التي تسمو عن العامة بلهجة قريبة من العامية . ولـكن يجب أن يلاحظ أن هذه القدرة إنما أتت للمتعلمين بسبب أنهم استعاروا ويستعيرون دائماً مفردات وأساليب كثيرة من اللغة الفصحى ويصقلونها فى مخاطباتهم ومحاوراتهم . فالاصل فى هذه القدرة هو اللغة الفصحى وانتشارها وكونها لغة التعليم والثقافة وإلا فان اللغة العامية لا يعقل أن تحتوي على مفردات كثيرة تتسع للتعبير عن كل ما يريده الانسان من أفكار علمية واجتماعية وأدبية . وها هو الواحد منا إذا رأى نفسه مضطراً الى التكلم طويلاً في مجمع مثلاً لا يرى مندوحة عن الخروج من دائرة الاداء العامي ليتمكن من الافصاح عما يريد بوضوح ، وليتناول من الـكلمات والاساليب الفصيحة التي وسعت تلك الافكار ما يساعده على ذلك . ولو أردنا أن نعد المفردات التي يستعملها العوام فاننا نجدها قليلة جداً و نندهش حينما نقايسها مع عدد مفردات الفصحى واشتقاقاتها . ولـكل هذه المفردات

معان لا يمكن اغفالها ، لان الاستعمالات العامية قليلة لا تتجاوز الحاجات اليومية المتشابهة . واذا قيل إن من الممكن الإكثار من مفرداتها بما نستعيره من المفردات الفصحى فان هذا القول غير مستقيم لاننا حينما نستعيض بالعامية عن الفصحى لا نعود تبقى هذه الفصحى حية مأنوسة فياضة تمدنا في كل وقت بما نريد بقصد وبغير قصد

— ٦ —

كذلك القول فى استعارة استعمالات الافرنج من لغاتهم وإدماجها في العربية بدون قيد وشرط فان هذا أيضاً في غير محله . لان هذه العملية اذا لم يكن لها ضابط فقد تجر اللغة الى فوضى مضحكة ، اذ يرى كل فرد حينئذ أن من حقه وفي قدرته أن يصنع ذلك ، وقد لا يصنعه لضرورة بل لعجز أو جهل ، اذ تكون هناك مفردات او اشتقاقات عربية تؤدي هذا الاستعمال الافرنجي تمام الاداء ولكن هذا الفرد يجهلها فيدس بدلها استعمالا افرنجياً فيأتي الثاني فالثالث فالرابع فيصنعون صنيعه ، وربما صنعوا ذلك في استعمال واحد بلغات متعددة فلا تلبث اللغة ان تصبح كمرقعة الدرويش : لا يعرف أصل لونها ، ولا أصل نسيجها ، ولا عدد رقعها . وحينئذ يصعب التفاهم بين ابناء القطر الواحد بل بين أبناء البلد الواحد . فلا تبقى فصحى قومية ، ولا عاميه وطنية ! ولا أدري لماذا نكون محكوماً علينا بلبس هذا اللباس المرقع المضحك ، ألان الموسيو فلان والمستر علان لا يريدان أن يتعبا نفسيهما فيتعلمان اللغة الفصحى ، أولا يريدان أن يزعجا خاطريهما الكريمين فيبحثا عن استعمال عربي مقابل الاستعمال الافرنجي الذي يريدان أن يتكرما بنقله الى أمتهما

— ٧ —

وأرى أيضاً أن القول بان اللغة الفصحى لغة بدوية ، وان الثقافة هي بنت

الحضارة وينبغي أن تؤدى بأداء غير بدوي ، غريب اذا لم أقل سخيف

إن كان يقصد بهذا القول مطلق اللغات الفصحى فاصطناع اللغات الفصحى في الامم المتمدنة كاف لتخطئته ، وان كان يراد به اللغة العربية الفصحى فيكفي لدحضه أن يرجع الانسان ببصره الى عهد الاندلس وبغداد والقاهرة حينما كانت فيها مقاليد المدنية الزاهرة ، وحينما كانت العلوم والفلسفة منتشرة فيها ، وحينما نقلت اليها علوم اليونان والفرس والهند ، وحينما وصلت رقة الحياة والنعيم فيها الى أقصى غاياتها، فهل ضاق صدر العربية الفصحى عن استيعاب الاستعمالات الرقيقة الناعمة التى لا عهد للبداوة بها ؟ وكيف أدي أولئك الشعراء المبدعون والكتّاب المجيدون تلك المعاني البديعة التي تكاد تذوب ذوبا في اللغة الفصحى؟ وهل معنى العربية الفصحى هو عربية الجاهلية فقط ؟ ان لكل طور من أطوار المدنية معاني وأساليب لا يمكن إلا أن تؤثر في اللغة ، واللغة التي يضيق صدرها عن هذه المعاني والاساليب المتجددة لا يمكن أن تعيش . وقد ثبت أن اللغة العربية لم يضق صدرها في وقت من الاوقات عن استيعاب المعاني والاساليب المتجددة ، وإنما المتكلمون بها أو المنتسبون اليها هم الذين تضيق صدورهم فيريدون ان يتملصوا منها ، ولكن لا يدرون كيف يتملصون ، ولا ندري نحن اذا تملصوا أين يكونون في الاداء والآداب ؟

على أن المعرّبين للكتب الافرنجية — من قصصية وعلمية وطبيعية وفلسفية وأدبية وشعرية — قد استطاعوا ذلك كله . وليس من الانصاف أن يقال لهذه اللغة التي وسعت هذه المعارف والتي يمكنها ، بما هي عليه من المرونة الطبيعية ، أن تسع أشياء كثيرة أيضاً — انها لغة بدوية ، وأن يزرى عليها ، وان يقال في صدد الزراية عليها إن الثقافة هي بنت الحضارة لا بنت البداوة !

— ٨ —

أما القول بان اللغة العربية الفصحى تبتلع الوطنية المصرية فالذي أظنه ان

هذا بيت من بيوت قصيد بعض دعاة التجدد من إخواننا المصريين . فهل في استطاعتهم ياترى فك ربقة الاسلامية والعربيه من المصريين ؟ وما الذي يضيرهم أن يحملوا عَلَم القومية العربية كما يحملون علم الثقافة العربية ؟ بل وما هو الضرر الذي يحصل لهم إذا تشرَّبوا روح الآداب العربية بعد أن تشربوا روح الآداب الاسلامية وهي عربية ؟

ماذا عليهم اذا عرفوا عمر وحسانا والفرزدق وزهيراً وكعباً والحجاج وزياداً والوليد وهارون والمأمون والخليل والكندي وابن المقفع والجاحظ في جانب ما يعرفونه من علماء وادباء الانكليز والفرنسيس والالمان والروس والتليان ؟ ثم ماذا ينفعهم أن يعودوا فرعونيين ويتملصوا من تاريخ أمتد ألفا وثلاثمائة عام ونيفاً ؟ وهل يتعارض استمدادهم بالتاريخ الفرعوني والآثار الفرعونية مع تشربهم بالتاريخ العربي والآثار الاسلامية ؟

وأظن أنهم غير محقين إذا رأوا زراية في الاستمداد من التاريخ الاسلامي العربي وقد كان له من الاثر الادبي والعلمي والاجتماعي ما يضاهي اثر التاريخ المصري الصناعي والفني ، وهذا قد انقطع أثره العملي في الواقع ، واثر ذاك باق لم ينقطع ، أراد هؤلاء المتجددون ام لم يريدوا !

وان كانوا يخشون أن سائر المتكلمين بالعربية ـ الذين يعدون أنفسهم عربا أو الذين ابتلعتهم العربية فصاروا عربا ـ يحملونهم أثقالهم ويعرقلون سيرهم ، وأنهم يريدون أن يهربوا منهم لاجل ذلك ، فهو خوف في غير محله. فقد دخل جميعهم ـ مصريهم وشاميهم وعراقيهم ـ تحت نير الأجنبي الشديد الوطأة واشتغل كل منهم بنفسه ، فلا خوف من تحميل الاثقال إذا انتفت الفائدة من تقوية الأواصر والروابط فيما بين الجميع ، وأكاد أحسب أنه يكون من الواجب على هؤلاء الاقوام أن يوجدوا أسباب الرابطة فيما لو كانت غير موجودة ، فكيف وهي

موجودة ومؤكدة بالواقع، وبحوادث التاريخ التي ظلت مستمرة أربعة عشر قرناً، وبوحدة الدين، وبوحدة اللغة، وبوحدة السياسة، وبوحدة المصالح، وبوحدة التقاليد والعادات، بل أقول وبوحدة الأقليم أيضاً ولو كان في هذه الوحدة بعض التجوز!

نابلس عزة دَرْوَزَه

البحر الاحمر

أمس واليوم

كان مصدرَ المجادة لامّتنا، ومنبعَ السعادة لأجدادنا حينما كانت الكلمةُ متحدة والغايةُ واحدة. ذلك البحر الذي أصبح اليوم وليس لنا فوقه راية، ولا في مصيره رأي منذ تخاذلَ العرب، واقتسموا على أنفسهم، حتى مكّنوا العلجَ من دَوس أعناقهم، ومن إرغام أنوفهم في عقر ديارهم. فاصبحوا فيها غرباء، بل خَوَلاً أذلاّء... اللهم إلا في البقيّة الباقية لنا وسط جزيرتنا العربية المقدّسة...

البحر الاحمر: الباخرة جنوى ١١ المحرّم ١٣٤٥ أحمد زكي باشا

﴿ نفسُ الزّاهد ﴾

قيل لرجل عليه جبة صوف متخرقة وقدماه حافيتان:

— لم لا تسأل نعلا يقيك الحفا؟

فقال: — يا أخي لردُّ امس بالحبال، وحبس عين الشمس بالعقال، ونقل ماء البحر بالغربال، أهون من موقف السؤال، وارتجاءي من الخلق النوال

ثم خرج الى صخرة في البلد مكتوب عليها:

«كل من كد يمينك وعرق جبينك، فان ضعفت نفسك فاسئل المولى يعنك»

الحرية

هاج نسيمُ الريح لي أمرَها بالله ياريحُ ابعثي ذكرَها
تجهَّزَ الدهرُ لإقلاقِها ما حمدتْ في ليلةٍ دهرها
إن تُمْسِكِ الأقدارُ عن نصرها فما أنا مطَّرحٌ نصرَها
أو تعبس الظلماء في خِدْرها فأنتَ يابرقُ أنِرْ خِدْرها
دبَّ مفيضُ الحبِّ في أضلُعي لا تحسبَنِّي طاوياً سرَّها
صبرتُ عنها مُهجتي ساعةً فلم تُطِقْ من بَعْدِها صبرها
بلوتُ في ظِلّ الصبا حلوها فهل تراني بالياً مُرَّها
عشقتها ، واللهُ أدرى بنا ما مسَّ صدري في الهوى صدرها
ظلل أكنافَ الحمى طيفها هُنيهةً ، ثم ابتغى هجرَها

* * *

لا تخفضنْ ياَدهرُ من قَدرها كلُّ كريم رافعٌ قدرها
دحرتها والنفسُ في إثرها خارجة ، ما احتملتْ دحرها
كم حائرٍ طاحتْ به ضلَّةٌ ثم اهتدى لما رأى بدرها
وصاغرُ الموتِ به ذلَّةٌ فعزَّ في إعلائه أمرَها
ومستبدٍّ راعه خطبُها يجهد في تهتيكه سترها
لئن طوَى استبدادُه ليلَها فما طوَى عن مُقلتي فجرها
حصرتَ يادهرُ نفوسَ الورَى وهل أطاقتْ مهجة حصرَها
نجوتُ من ظلم ومن ظالم يادهرُ إن يسَّرتَ لي عُسرَها

* * *

إن تُحرجوا الآساد في غابها هيهاتَ ما تكفيكمُ شرَّها

دمشق شفيق جبري

من كنوزنا المفقودة

مصنفات قديمة ذكرها العلامة علي بن موسى الطاوس
في كتاب « سعد السعود »

منذ خمس سنين كنت أبحث عن كتاب لعلي بن موسى الطاوس العلوي اسمه (سعد السعود) حتى عثرت على نسخة خطية منه تاريخ كتابتها سنة الف وسبعين . وقبل البحث في وصف هذا الاثر العلمي النفيس نذكر مختصراً من ترجمة المؤلف للصلة بين وصفه وترجمة مصنفه الجليل

هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد الطاوس الحسني العلوي الفاطمي . ولد في سنة ٥٨٩ھ .من مشاهير علماء الشيعة الامامية وله مقام رفيع في الفضل والعلم والأدب

وكان شاعراً مفلقاً وكاتباً بارعاً ، ذكي الفؤاد طاهره ، لطيف المحاورة ، في نفسه الزكية مسحة من النور الالهي

تلقى العلم عن جماعة من العلماء وأصحاب الحديث . منهم ابن النجار صاحب الذيل على تاريخ بغداد للخطيب ، أخذ عنه حين كان ابن النجار مدرساً بالمدرسة (المستنصرية) ببغداد

وكان زاهداً ورعاً خاشعاً لله عز وجل لم يقبل التصدى للافتاء والقضاء بين الناس مع تضلعه في الفقه وعلو كعبه في علم الدين ومع الطلب الحثيث من خليفة عصره منه ذلك

قال في كتابه (كشف المحجة) وهو مجموعة وصاياه الى ابنه في مقام الحث على الزهد عن الدنيا « دعاني الخليفة العباسي المستنصر بالله عند أول ورودي بغداد الى قبول منصب الافتاء للناس ، وجدّ بي ذلك ؛ ولكن الله تعالى

نصرني فخالفته وسعدت بالسعادة الالهية . ثم دعاني بتقليد نقابة جميع الطالبيين بواسطة الوزير القمّي (وهو مؤيد الدين محمد بن محمد القمى) وغيره من أكابر دولته ، فامتنعت . ثم دعاني بتقليد الوزارة ، ودارت المراسلات بيننا في ذلك وهو مجدّ في دعوته ، وكان جوابى له ما معناه : ان قُلدتُ الوزارة وجريت فيها على عادة الوزراء ومخالفة كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فذلك مما لا أطيقه ، وان اتبعت سبيل الهدى والحق وعملت بكتاب الله جل جلاله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فذلك مما لا يطيقه من في دارك ، ولا مماليكك ، ولا من في الارض من ملوك الاطراف جميعا . واذا سلكت سبيل العدل ولانصاف يقال ان هذا رجل علوي حسنى أراد بعدله أن يعرف الناس أن الخلافة لو صارت اليهم لكانوا على هذه السيرة الطاهرة ، وكان ذلك رداً وطعناً على الخلفاء من سلفك ، وفي ذلك هلاك نفسي . ثم رحل عن بغداد وأقام مدة في الحلة والنجف معتزلاً عن الناس ومعتكفاً على العبادة ومراقبة النفس

وفي ذلك الزمان هبّت عاصفة الفتنة المغولية في نواحي بغداد ، وتزعزعت أركان الخلافة العباسية ، واستولى هولاكو على بغداد وانقرضت الحكومة العباسية . ولرفيع منزلة صاحب الترجمة وشهرته بين الناس بالتقوى والعمل الصالح فوض هولاكو اليه نقابة الطالبيين والعلويين ، وحاول رفضه ، ولكن الفيلسوف نصير الدين محمد بن محمد الطوسى وزير هولاكو حذره بسورة غضب ذلك الطاغية ان لم يقبل النقابة وقال : انى أخاف أن يقتلك . فقبلها على كره . وذلك يدل على عظيم زهده عن الدنيا وزينتها . وكان نقيباً للطالبيين والعلويين معظماً عند السلطان والعامة حتى توفى رحمه الله يوم الاثنين خامس ذي القعدة سنة ٦٦٤

وكانت له خزانة كتب حافلة بنفائس الآثار العلمية ، وضع لها فهرستاً سماه (كتاب الابانة فى معرفة أسماء كتب الخزانة) كانت خير معين له في

تصنيف كتبه النفيسة .

وكان هناك مَعين آخر غزير المادة نشط به صاحب الترجمة في وضع كتبه في موضوعات شتى وهو (المدرسة المستنصرية) ، ذلك المعهد العلمي الذي بناه الخليفة المستنصر وأسس فيه مكتبة حافلة بنفائس الكتب وجمع فيها مئات من خطوط المصنفين ، وكانت كروضة غناء فيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين . وغير خاف أن روضة علمية كهذه اذا أنعش أريج أزهارها روح رجل محب للعلم واسع الاطلاع على شتى العلوم فلا غرو ان أهدى للعالم العلمي من أجمل الآثار العلمية ، ولذلك تمكن صاحب الترجمة من تصنيف زهاء أربعين كتابا نفيسا في موضوعات شتى . منها :

(كتاب فرحة الناظر وبهجة الخاطر) جمع فيها رواية كتبه ، أربع مجلدات. (كتاب روح الاسرار) . (كتاب ربيع الالباب) أنجز منه ست مجلدات . (كتاب الاصطفا في تواريخ الملوك والخلفا) . (كتاب الاقبال لصالح الاعمال) . (كتاب الامان من أخطار الاسفار والازمان) . (كتاب محاسبة النفس) . (كتاب الاجازات).

ومنها كتاب «سعد السعود» الذي يدور الكلام حوله ويقع هذا المخطوط النادر في طول ٢٦ سنتيمترا وعرض ١٩ سنتيمتراً وسمك سنتيمترين . ان الغرض الذى أرمى اليه فى وصف هذا المخطوط النادر هو أمران : الاول أنه أقوى سند يدل على وجود كتب نفيسة من آثار الاقدمين فى سنة ٦٥١ ولم نعثر على أغلبها في هذا الزمان ونحسبها مفقودة عسى تنالها يد الفحص بعد العلم بوجودها في ذلك الزمان وفيه خدمة للعلم وحياة لذكر العلماء . الثانى أنه يظهر من خلال سطوره فوائد علمية وأدبية وتاريخية كاختلاف نصوص الانجيل الذى نقل عبارته مع الانجيل المطبوع الموجود بأيدي النصارى الآن

يقول في ديباجته « وجدت فى خاطرى يوم الاحد في ذي القعدة سنة

٦٥١ ه ان اصنف كتابا اسميه (سعد السعود للنفوس، منضود من كتب وقف علي بن موسى الطاوس) أذكر فيه كل كتاب وقفته بالله جل جلاله ولله جل جلاله على ذكور أولادي وذكور أولادهم وطبقات ذكرتها بعد نفادهم ويكون فيه عدة فوائد» ثم سرد فوائد عديدة وقال «ومنها اننا لما صنفنا (كتاب الابانة في معرفة كتب الخزانة) ما كان ذلك يكفي في معرفة أسرار الكتب وجواهرها، وجعلنا هذا تماماً ومرآة يرى منها عين ناظرها كثيراً من تلك الفوائد . اه» ويظهر من هذا الكلام أن هذا الفهرست الذي سماه الابانة كان فهرستاً لأسماء الكتب وموضوعاتها والاشارة الى عنوان مباحثها

ثم قال «ومن فوائده أنه ليس كل احد يتهيأ له أن يقف على كل كتاب منها على التعجيل، وكان هذا الكتاب طريقا الى الانتفاع بكلها على قدر مانذكره من التفصيل» ه

وهاك اسماء الكتب التي وقفها ولم نقف على أسماء غالبها في الفهارس وكتب التراجم مع أنها من الآثار النفيسة القديمة لجماعة من علماء الاسلام، أو وقفنا على أسمائها ولا نعلم موضوعاتها وعدد أجزائها . وأضفنا الى ذكر أسمائها التوضيحات اللازمة في معرفة تلك الكتب، وفيه فائدة لطلاب الكتب والآثار العلمية الاسلامية :

(كتاب التبيان في تفسير القرآن) تصنيف الشيخ أبي جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي المتوفى في سنة ٤٦٢ عشرة أجزاء من تجزئة الاصل، وهذا التفسير نادر الوجود، منه نسخة رأيتها في خزانة مشهد أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف بخط قديم واختصره العلامة محمد بن ادريس الحلي من مشاهير علماء الامامية من أهل القرن السادس . ومنه نسخة أيضاً موجودة بالمشهد، ومن تفسير التبيان قطعات ناقصة في بعض المكاتب

(تفسير على بن ابراهيم بن هاشم القمي) من أهل القرن الثالث ، وهذا التفسير كان في أربعة أجزاء عنده ، والموجود من تفسير علي بن ابراهيم في هذا الزمان مختصره بحذف الاسانيد في مجلد صغير

(كتاب تأويل مانزل من القرآن الكريم في النبي وآله صلى الله عليه وسلم) تأليف أبي عبد الله محمد بن العباس بن علي بن مروان المشهور بالجحام (بتقديم الجيم المضمومة على الحاء) من أهل القرن الثالث وأوائل الرابع ، قيل انه كان ألف ورقة ، وقيل انه لم يصنف فى معناه مثله . وكان هذا التفسير عند صاحب الترجمة فى ثمانية أجزاء ، وهذا الكتاب لم يصل منه الى زمان متأخرى المحدثين الا النصف الثانى منه المشتمل على تفسير سورة كهيعص الى آخر القرآن كما نص عليه بعض العلماء وأما النصف الاول فقد ضاع ، وهذا النصف الأخير أيضاً لم نعثر عليه فى هذا الزمان ، وانما توجد منقولات عنه فى كتب تفاسير المتأخرين

(مختصر كتاب محمد بن العباس بن مروان) وهو مختصر التفسير السابق ، لم يذكر الواقف اسم من اختصره

(الجزء الاول من ذكر ما نزل من القرآن في رسول الله ﷺ وفي علي وأهل البيت عليهم السلام وتاويل ذلك) لم يذكر اسم مصنفه أيضاً قال ان تاريخ النسخة سنة ست واربعمائة

(تفسير القرآن عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه واله) رواية ابي العباس أحمد بن محمد بن سعيد الشهير بابن عقدة الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣٣٢ قال النجاشي في فهرست كتب الامامية « ورأيت له كتاب تفسير القرآن وهو كتاب حسن » وكان عند الواقف صاحب الترجمة في مجلد على ماذكره في اصل الكتاب

(تفسير أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام) قال هو عندي في مجلد في قالب الثمن مكتوب عليه المجلد الأول من التفسير المذكور ، وكان على ما ينقل عنه مشتملا على خمسة أجزاء من تجزئة الاصل ، وقد بلغ ما نقل منه الى سورة الاعراف ، ويظهر من سياقه ان تمامه كان في نحو عشرين جزءاً وأربع مجلدات . وقد ذكر اسم هذا التفسير ابن النديم في فهرسته أيضاً فقال عند ذكر كتب التفسير : « كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام رواه عنه ابو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية » وكان أبو الجارود امامياً ثم انتقل الى مذهب الزيدية وهذا الكتاب صنفه قبل أن يصير زيدياً ورواه عنه في حال تشيعه جماعة من ثقات الشيعة كابي بصير يحيي بن القاسم الاسدى وغيره

كتاب (قصص الانبياء) للشيخ السعيد هبة الله بن الحسن الراوندى شارح نهج البلاغة من فقهاء الامامية

كتاب (فقه القرآن الشريف) له أيضاً . كان عند الواقف في جزءين . وهذان الكتابان من الراوندي كانا موجودين عند المجلسي صاحب النجار وصاحب الوسائل رحمه الله من متأخري محدثي الامامية والمظنون وجودهما في هذا العصر

(تفسير ابى علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي) المتكلم المشهور قال وهو عندنا عشرة مجلدات في كل مجلد جزءان . ووصف هذا التفسير فقال « انه لا يذكر في تفسيره شيئاً من قصص الانبياء ، ولا شيئاً من تفاصيل الحوادث التي تضمنها القرآن الشريف ، ولا يذكر فيه أيضاً أسباب النزول ولا وجوه الاعراب ولا ماجرت به العادة من ذكر مواضع الاعجاز » ويظهر من ذلك أنه كان تفسيراً كبيراً ، وأنه كان مقصوراً على تفسير القرآن بالاصول العقلية

والقواعد الكلامية . ولم يذكر صاحب الفهرست اسم هذا التفسير في ضمن ذكره لكتب التفاسير وليس في باب ذكر المتكلمين ايضاً ترجمة لابى علي الجبائى مع ذكره ترجمة ابنه ابى هاشم [١] وذكر له كتابا في متشابه القرآن في ذكره للكتب المؤلفة في متشابه القرآن

(تفسير عبد الجبار بن أحمد الهمدانى) القاضي المشهور وذكر له ترجمة مختصرة ايضاً وذكر في ضمنها كتابا في (التاريخ لهلال بن عبدالمحسن بن ابراهيم الصابي) وقال ان نسخته قديمة لعلها بخط ولد المصنف . وقال ان اسم كتابه المذكور (فوائد القرآن وادلته) ويظهر مما نقله عنه أن الاجزاء التالية كانت موجودة عنده من التفسير المذكور وهي الثانى والثالث والرابع والخامس والسابع والتاسع والعاشر

(متشابه القرآن لعبد الجبار بن أحمد) المذكور ذكر أن منه نسخة عنده كتبت في حياته . وهذا غير كتابه (تنزيه القرآن عن المطاعن) المطبوع في القاهرة

(تفسير عبد الله بن أحمد بن محمود المعروف بابي القاسم البلخي) الذي سمى تفسيره (جامع علم القرآن) وكان عند صاحب الترجمة من أجزاء التفسير المذكور على مانقل عنها الاجزاء التالية الاول والثالث والرابع والسابع والتاسع والعاشر والحادي عشر والثانى عشر والحادي والعشرين والثانى والعشرين والثالث والعشرين والرابع والعشرين ومجلد آخر منه لم يذكر اسم الاجزاء وقال انه يشتمل على جزءين في أحدهما تفسير سورة ص وآخره تفسير قوله تعالى « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » الآية وجزء آخر منه أوله تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وآخره تفسير سورة الرحمن . ثم نقل عن الجزء الحادي

---

(١) من المؤكد أن فهرست ابن النديم المطبوعة في ليدن ناقصة ، وعلى ذلك أدلة كثيرة هذا أحدها (الزهراء)

والثلاثين المشتمل على تفسير سورة الجن وفي الثانى والثلاثين تفسير سورة عمّ

(تفسير محمد بن السائب الكلبي) ذكره ابن النديم في الفهرست . وقال ابن عدي في الكامل على ما حكى عنه « انه ليس لاحد تفسير أطول منه ولا أشبع » وقال الواقف عندنا منه من الجزء الحادي عشر الى آخر التاسع عشر فى مجلد وينتهي مانقله عن الجزء التاسع عشر الى أواخر سورة الانعام . ثم نقل عن مجلد آخر من التفسير المذكور قال انه يشتمل على أجزاء من الثامن عشر الى الرابع والعشرين. وعن مجلد آخر ذكر ان أوله تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وآخره تفسير آخر القرآن . ويظهر ان النسخة كانت عنده تامة

(حقائق التفسير لابى عبد الرحمن السلمي) قال وهذا الكتاب منه عندنا الآن المجلد الأول فحسب ونقل شيئاً عن جزئه الأول ثم نقل بعد ذلك عن زيادات حقائق التفسير لابى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي المذكور . وقد ذكر صاحب كشف الظنون كتاب الحقائق المذكور لابى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري المتوفى سنة ٤١٢ ولكن لم يذكر هذه الزيادات

(غريب القرآن بشواهد الشعر) تأليف عبد الرحمن بن محمد الازدى نقل عن الجزء الثانى منه

(تفسير ابن جريج) نقل منه شيئاً وقال انه من نسخة عتيقة جيدة ولم يذكر عدد أجزائه ولم أعثر عليه في الفهرست أيضاً

(أسباب النزول لعلي بن أحمد النيسابورى) المشهور بالواحدى

(كتاب قصص القرآن واسباب نزول ايات القرآن) تأليف الهيثم بن محمد ابن الهيثم النيسابورى

كتاب (الناسخ والمنسوخ) تأليف نصر بن علي البغدادي

(مقدمات علم القرآن تصنيف محمد بن بحر الرهنى) تكفلت كتب التراجم

بذكر ترجمته وان له نحواً من خمسمائة مصنف ورسالة . نقل عن جزئه الأول اختلاف قراءات القراء وكيفية ذلك ونص أنه لا معنى للاقتصار على السبعة المتداولة . ونقل عن جزئه الثاني ذكر التفاوت بين المصاحف العثمانية

(كتاب الحذف والاضمار) تصنيف أحمد بن ناقة المقرى نقل عن الجزء الثاني من الكتاب المذكور

(شرح تأويل القرآن وتفسير معانيه) تصنيف أبي مسلم محمد بن بحر الاصفهاني ذكره صاحب الفهرست في ضمن كتب التفاسير وقال « وكتاب أبي مسلم محمد بن بحر الاصفهاني » نقل عن المجلد الاول من التفسير المذكور شيئاً ويظهر أنه كان عنده هذا الجزء فقط

كتاب (معانى القرآن) تأليف محمد بن جعفر المروزي مجلد كان محتويا على (الجزء الاول مما نزل من القرآن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام) رواية ابى أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي أشار الى اسمه في الفهرست قال وفي المجلد تصانيف لغيره

كتاب (الرد على الجبرية والقدرية فيما تعلقوا به من متشابه القرآن) تأليف أحمد بن محمد بن حفص الخلال . لم اعثر على ذكره في شيء من الفهارس

كتاب (النكت في اعجاز القرآن) تاليف علي بن عيسى الرماني النحوي يظهر منه أنه كان عنده ثلاث نسخ من هذا الكتاب نقل عن كل منها شيئاً ، وذكره صاحب الفهرست

(غريب القرآن) تأليف عبد الله بن أبي أحمد الترمذى

(تعليق معاني القرآن) لابى جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النجاشي

(تفسير غريب القرآن) لابى عبد الرحمن بن محمد بن هانىء

(تفسير على بن عيسى الرماني النحوى) لم يذكره صاحب الفهرست ولكن

ذكر له في ضمن ترجمته في النحاة كتاب إعجاز القرآن وكتاب الالفات فى القرآن وذكره صاحب كشف الظنون من دون شرح . قال الواقف : ان الذى حصل عندنا من تفسير القرآن لعلي بن عيسى الرمانى قبل آخر براءة الى آخر سورة يونس والى آخر القرآن ولم يذكر عدد أجزائه

(معاني القرآن) تصنيف علي بن سليمان الأخفش . ذكره فى الفهرست بعنوان كتاب معانى القران للأخفش لطيف . ونقل الواقف عنه تفسير كلمة « الدرّى » فى الآية المذكورة فى سورة النور

(مجاز القرآن) تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى ذكر هذا الكتاب صاحب الفهرست أيضاً

(غريب القرآن) تأليف ابي عبيدة معمر بن المثنى أيضاً ذكره ابن النديم في الفهرست من غير بيان أجزائه ويظهر مما قاله الواقف انّه كان عنده في عشرة أجزاء واول مانقله عنه من تفسير الآيات تفسير قوله تعالى « والجار ذي القربى والجار الجنب » نقله عن الجزء الثاني من الكتاب المذكور وقال النسخة التي عندنا لعلها كتبت في حياته عتيقة ثم نقل عن الاجزاء التالية وآخر ما نقله تفسير آية « واخرجت الارض اثقالها » من الجزء العاشر

كتاب (اعراب ثلاثين سورة من القرآن) تأليف ابي عبد الله الحسين ابن خالويه النحوي . ذكره ابن النديم أيضاً في موضعين من الفهرست

كتاب (الزوائر وفوائد البصائر في وجوه القرآن والنظائر) تأليف حسين ابن محمد الدامغانى ليس له ذكر في الفهرست ولا في كشف الظنون

كتاب (ثواب القرآن وفضائله) تأليف أحمد بن شعيب بن علي النسائي لم يذكر في كشف الظنون

(كتاب يحيى بن زناد الفراء) قال وهو مجلد فيه سبعة اجزاء تامة رواية

مسلمة بن عاصم عن ثعلب وعليه اجازة تاريخها سنة تسع واربعمائة ونقل عن الاجزاء السبعة الموجودة في المجلد ثم ذكر ان عنده مجلداً آخر منه أوله الجزء العاشر ونقل منه الى الجزء السادس عشر أيضاً وينتهي ما نقل عنه الى تفسير سورة الجن . وذكر صاحب الفهرست هذا الكتاب وترجمه بكتاب المعانى فى القرآن وقال انه الفه لعمر بن بكير وذكر أنه في اربعة أجزاء وحكى عن ثعلب سبب إملائه لذلك الكتاب

(كتاب قطرب في تفسير ماذهب اليه الملحدون عن معرفته من معاني القرآن) نقل عنه من نسخة عتيقة ذكر أن تاريخها سنة ٤٠٩ واسم هذا الكتاب فى الفهرست مذكور في ترجمة قطرب بعنوان (الرد على الملحدين في متشابه القرآن)

كتاب في (تأويل آيات تعلق بها أهل الضلال) تصنيف عبد الرشيد ابن الحسين بن محمد الاسترابادي) لم أجد ذكره في الفهارس

كتاب (الوجيز في شرح آراء القراء الثمانية المشهورين) تأليف حسن بن علي بن ابراهيم الاهوازي

كتاب منسوب الى علي بن عيسى بن داود الجراح واسمه (تاريخ القرآن) قال وذكر اثنين وستين باباً في كل باب مازعم انه يليق به . ذكر ابن النديم كتاب معاني القرآن لابى الحسن علي بن عيسى المذكور في معانى القرآن وتفسيره ومشكله وقال انه أعانه على عمله أبو بكر بن مجاهد وأبو الحسن الخراز النحوي . والظاهر ان هذا الكتاب غير ماذكره ابن النديم .

(اعراب القرآن) تصنيف أبى اسحق ابرهيم السري الزجاج . ذكر انه جزآن ونقل عن كلا الجزئين فرائد . وهذا الكتاب ذكره صاحبا الفرست وكشف الظنون باسم معانى القرآن

كتاب (اختلاف المصاحف) تأليف أبي جعفر محمد بن منصور يرويه عنه محمد بن زيد بن مروان قال ومعه كتاب اسمه جزء وفيه عدد سور القرءان وعدد آياته و كلماته وحروفه وأنصافه وأثلاثه وأخماسه وأسداسه وأسباعه وأثمانه وأتساعه وأعشاره واجزاء سليم (كذا) واجزاء ثلاثين تأليف محمد بن منصور ابن يزيد المقري

كتاب يقول مصنفه فى خطبته هذا كتاب جمعت فيه ما استنقدته في مجالس الشيخ أبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن نحلة المقري وذكرمنها باب ما اتفقوا في نزوله من السور

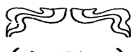
وكان في هذا المجلد كتاب آخر ترجمه بكتاب (الجامع في وقف القاري القرآن)

(تفسير محمد بن الحسن بن زياد المعروف بالنقاش) الذي سماه شفاء الصدور نقل شيئاً عن مجلده الاول . ذكر هذا التفسير ابن النديم في الفهرست وقال انه اثنا عشر ألف ورقة و ذكره صاحب كشف الظنون أيضاً بعنوان شفاء الصدور من دون تفصيل له

كتاب (ملل الاسلام) لمحمد بن جرير الطبري

زنجان (ايران)

أبو عبد الله الزنجاني



﴿ صحافة ايران ﴾

صرّح معالي السيد الكيلاني ـ بعد رحلة قام بها في إيران ـ لمحرر جريدة (العالم العربي) البغدادية (١٨ المحرم ١٣٤٥) بأن امهات الصحف الايرانية ـ مثل (شفق سرخ) و (إيران) و (إقدام) فى أيدي رجال عراقيي الأصل

كيف نكتب تاريخنا ؟

صديقي صاحب الزهراء ،

أرسل اليك طي هذا رسالة موجزة [١] أرجو أن لا يغرنك عنوانها ، فهي ليست رسالة دعاية ، بل لباب درس متشعب الاصول والفروع أردت به أن يكون قاعدة يبني عليها إخواننا اليوم وأبناؤنا في المستقبل ما يكتبونه من تاريخ الشام

وما زلت أذكر - منذ بدأت في قراءة ما كتبه المؤرخون المختلفو الاجناس والمذاهب في تاريخ سورية - أنني كنت أراني وسط فوضى من الأقوال والمزاعم والروايات لا يستقرّ لها قرار . فما كتبه الرومان عن عصر من العصور يخالف ما كتبه عنه العرب . بل إن مؤرخي العرب أنفسهم وقعوا في التناقض فيما بينهم في امور كثيرة . وجاء بعدهم علماء المشرقيات فكانوا أقرب الى الأخذ بأقوال مؤرخي الرومان منهم الى اعتماد ما رواه مؤرخو العرب ، ومع أنهم محصوا كثيراً من الروايات لم يسلموا من الشطط فى مواطن كثيرة . ولا يلامون على ذلك لانهم نظروا الى الحوادث ، وهم لا يفهمون كل الفهم عقلية الامة التي وقعت فيها ، فضلّوا في تعليلها السبيل

وقد علّمتنا صروف الزمان أن الامة التي لا تكتب تاريخها بيدها لا يمكن أن يكون لها تاريخ تعتزّ به . فنحن نشاهد الآن أمامنا فى هذا العصر الذي بلغت فيه الطباعة أعظم شئون الرقي ، وأصبح في مقدور كل إنسان أن يقتني الكتب ويتصفح الصحف ويتثبت من الوقائع ، أن كل امة تكتب تاريخ الاخرى

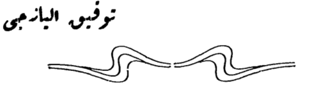
(١) صدرنا بها الجزء الآتي من هذه المجلة

كتابة تختلف عما تكتبه هذه الامة لنفسها وتلقنه لابنائها في المدارس . ولا حاجة بي الى ضرب الامثال وتقديم الأدلة فكل من ألم بشيء من تاريخ الوقائع الكبرى في القرنين الأخيرين ، وما كتبه عنها مؤرخو الانكليز والفرنسويين والألمان وغيرهم ، يلمس هذه الحقيقة بيديه

فالرسالة التي أرسلها اليك أيها الصديق قد كتبتها على نور هذه الحقائق العامة ، وحاولت فيها أن تكون انموذجاً للأساس الذي يجب يبنى عليه تاريخ سورية . وانني أرى ، وأرجو أن أجد كثيرين يشاركونني في هذا الرأي ، أنه من العبث أن يحاول أيُّ عالم كتابة تاريخ وطن لا يفهم عقلية الشعب الذي فيه ، ولا يلمُّ إلماماً كافياً بالعوامل الاقتصادية والاقليمية التي تُكوّن نفسيّته وحالته الخلقية ، وبالعوامل السياسية التي كانت مسيطرة على العصر الذي يكتب تاريخه . فاذا لم يكن ملماً بجميع هذه الامور لم يستطع أن يأمن الزلل

وقد أرسلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني هذه الرسالة الى جمعية الامم لتكون أقوى دليل على أسباب الثورة السورية القريبة والبعيدة . وهي كما ترى صالحة لخدمة هذه الغاية الوطنية . ولكن الفائدة العظمى التي أتوخاها منها هي أن تكون ـ كما ذكرت فيما تقدم ـ أنموذجاً للقاعدة التي يجب أن يبنى عليها تاريخ سورية ، وتؤلف على نسقها كتب التاريخ التي يتعلمها أبناء سورية في المدارس ، لكي يعرفوا تاريخ بلادهم كما يجب أن يعرفوه . فاذا كنتُ قد وُفّقتُ في وضع هذا الهدف أمامي فأرجو أن تساعدني الأوقات على التبسط في هذا الموضوع وإيفائه حقّه

توفيق اليازجي



حركة النشر والتأليف

﴿ أحلام الفلاسفة ـ لسلامة موسى ﴾

نشرت مجلة الهلال الغراء كتاباً جديداً لسلامة موسى افندي بهذا العنوان أراد أن يستعرض فيه أمانيَّ العظماء في تكوين الانسانية وإبلاغها الى ما يرجونه من المُثل العليا . وكانت هذه الفكرة جميلة بذاتها لولا ما بثَّه الكاتب في كتابه من آراء خبيثة لم نكن نتوقع من رصيفتنا الهلال أن تكون واسطة نشرها وإيصالها الى الاوساط العائلية فتتناولها الفتيات وقليلو التجربة من الفتيان . كقول سلامة موسى افندي (ص ١٨) :

« وكان أفلاطون يبحث في شيوعية النساء . ففي مثل هذا الوسط الحر نشأ أدب نزيه (!) خلو من القيود لا يزال الى الآن يوحي الى الكتّاب والادباء روح التفكير النزيه (!) الحرّ (!) الجريء (!) »

وكقوله (ص ٨٧) في موضوع آخر : « وليس في هذا النظام ما يخالف الطبيعة البشرية كما يتوهم القاريء لأول وهلة . فان (العائلة) لا تزال موجودة بوجود الام التي هي صلة القرابة بين جميع السكان . ثم ان الابناء لا يعرفون لهم أبا معيناً ، فالمنفعة الشخصية والأثرة الأبوية (!) منتفية . وبذلك ينتفي التنازع بين أفراد البيت . ثم ان الشهوة الجنسية غير مقيَّدة (!) لان لجميع الافراد أن يتمتعوا بها (!) بشرط ألا تعقب نسلا »

هذا بعض أحلام الفلاسفة التي يذيعها سلامة موسى افندي بواسطة رصيفتنا مجلة الهلال لتدخل كل منزل تدخله الهلال ، لان الكتاب هدية لقرائها . ويقول

المؤلف (ص ٩١) :

« وقد يظن القاريء ـ لفرط ماهو لاصق بالحقائق ـ أن أثر هذه الأحلام ضعيف في (هيئتنا الاجتماعية) . والحقيقة أنه كبير جداً ، بل هو أكبر في بعض الحالات مما كان يجب أن يكون . فلو أن الشيوعيين في روسيا ـ مثلاً ـ لم يستسلموا كلَّ الاستسلام لمن حلموا بالشيوعية لعدلوا بنظامهم الراهن عن كثير من نقائصه التي تكاد تهدمه من الأساس »

اذن فالدعاية الى مثل هذه الأحلام ، وإيصالها الى أنظار القارئات والقراء وإدخالها في أذهانهم ذو تأثير كبير على مايقول سلامة افندي ، ولذلك كان هو أول متقدم الى قراء العربية بهذه الهدية الجميلة بواسطة رصيفة واسعة الانتشار

وكنا نستغرب من الاستاذ المؤلف شدة كراهته للاسلام والنصرانية معا ـ مع أن الثانية دين آبائه ـ الى أن علمنا من كتابه هذا (ص ٣١) ما أساءت به هاتان الشريعتان الى حضرته حيث قال « ثم كان ملوك النصارى وخلفاء المسلمين عائقاً آخر يمنع التخيل والبحث فى المثل العليا للحكومات والهيئات الاجتماعية . لان بحث هذه الموضوعات دليل السخط على النُظم الموجودة التى لا يرضى ملك أو خليفة بانتقادها » ويريد من هـذه المثل العليا نفس الأحلام التى الف منها كتابه وأراد أن تكون من الثقافة التى تستنير بها بناتنا ونساؤنا وأبناؤنا وشباننا حتى يخلصوا من هداية موسى وعيسى ومحمد (صلى الله عليهم وسلم) ويتجردوا من الديانات الثلاث . أليس سلامة موسى افندي يقول فى هذا الكتاب (ص١١١ ـ ١١٢) : « وحسبك أن تعرف أن لجزيرة العرب حرمة في نفس المصري أكثر مما لمنفيس ، وأن موسى من الانبياء المكرمين وان فرعون من الظلمة الفاسقين . ثم اذكر أن الطوبيات الدينية تغمر كل طوبى دنيوية اخرى . فهذه كلها عقبات تمنعنا من أن نحب مصر ، وتعترض العاطفة الوطنية في نفوسنا . فمنذ خرج البدو

(يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) من جزيرة العرب على حضارة المصريين والرومانيين والاغريق ووطنية مصر شائعة فى العالم الاسلامى ، ومدنيتها مغمورة بالبداوة العربية . . . الخ

وبعدُ فقد كان لنا مندوحة عن الاشارة الى مثل هذه السخافات المنبوذة من المصريين المحتقرة عند خاصتهم وعامتهم ، لولا أن إدارة الهلال تولت إدخالها الى كل بيت هدية مع مجلتها . ونحن على يقين من أن ٩٩ في المائة من مشتركي الهلال إما مسيحيون واسرائيليون لايرضون قط بأن يُسَبَّ موسى عليه السلام عصبيةً لفرعون ، مع أن موسى كان داعيةَ هدايةٍ وعاملاً على تخليص مصر وغير مصر من عبودية الشعب لملك مستبد غاشم قال فيه وفي أمثاله خليل بك مطران :

شاد فأعلى ، وبنى فوطَّدا   لا للعلى ، ولا له ، بل للعدى

وكان يكون سلامة موسى نفسه عدواً له لو كان موجوداً فى زمنه [1]

وإما مسلمون يؤلمهم كلّ الايلام مايوجه اليهم من النخزات والوخزات في دينهم وقوميتهم وتاريخهم بين حين وآخر فى مختلف مظاهر النشر ، ويتراكم ذلك في أفئدتهم إلى يوم ينفجر فيه بما نحن في غنى عنه

وسواء كان الـ ٩٩ في المائة من اولئك القراء مسيحيين واسرائيليين أو مسلمين فانهم على كل حالٍ لا يحسن فى نظرهم أن تُبَثَّ فى بيوتهم دعاية شيوعية النساء ، وتسمية الابوّة أثرة ، وذم تقييد الشهوة الجنسية بقيود الشرائع ، وتحبيذ التمتع لجميع الافراد بغير شرط ولا قيد غير اشتراط تحديد النسل

ونريد أن نختم هذه الكلمة برجاء نوجهه من صميم الفؤاد الى الصحافة

---

(١) ان تعصب الاستاذ سلامه موسى للباطل قد وصل الى شغاف قلبه حتى صار لايرى فظاعة عبودية آبائه المصريين للفراعنة ، بينما هو يشفق على الانسانية من عبوديتها لله عز وجل . وهذه الشفقة السخيفة هي التي دعته الى الملاحظة فى آخر صفحة من كتابه على كلمة لابن عربي ذكر فيها الانسان بصفة العبودية لله

السياسية والعلمية التي يتولاها غير المسلمين من رصفائنا بأن ما كان يفلت منها بين حين وآخر من الوخزات الماسة بالمسلمين وشريعتهم آتياً فيها عن غير انتباه من أصحابها وأن يكون مامضى من ذلك آخر الهجمات على دين هو دين الدولة الرسمي في مصر ودين الأكثرية الساحقة من سكان وادي النيل ، وان ساء ذلك حضرة الاستاذ الفاضل سلامة موسى افندى

﴿ تفسير سورة الفاتحة ـ للشيخ طنطاوي جوهرى ﴾

المطبعة الرحمانية * المكتبة السلفية : ٩٠ ص بقطع الجاير ، ثمنها ٣ قروش

للاستاذ العلامة الشيخ طنطاوي جوهري طريقة خاصة به في لفت أنظار قرّائه الى عجائب الكون وأسراره ، والى مابين الدين وهذه العجائب من الاتصال . ومن هذه الوجهة المعروفة في كتب الاستاذ أخذ في تفسير سورة الفاتحة ، وايراد ما يناسبها ، وتنبيه القاريء الى ما وراء آياتها البينات وكلماتها المعجزات من غايات بعيدة المرمى سامية الاغراض ، وبذلك كانت أمّ الكتاب وفاتحته ، فتخلَّص بها المسلمون من الاذعان لغير الحق جل جلاله ، وحصروا فيه العبودية ولم يلتفتوا الى غيره في طلب المعونة ، ماداموا مهتدين الى الصراط المستقيم صراطِ الذين أنعم الله عليهم بالهداية والسيادة غير المغضوب عليهم ولا الضالين . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً بنفقة محمود افندي علي صبيح

﴿ الثمرة الاولى ﴾

هو عنوان مجموعة من القطع الادبية نثراً ونظماً بقلم الشاب الوطني الذكي السيد محمد بسيم الذويب الهاشمي الطالب في المدرسة العسكرية الملكية ببغداد . وهي تدل على روح عربية شريفة بما تضمنته من القطع القومية كمقالة الاشباح الثلاثة التي تمثّل فيها ذكريات القوة والعظمة من ماضي بغداد ودمشق والاندلس ، وكقصيدة الفتاة والراية . وإنا نتوقع لمنشئها الغيور مستقبلاً ناهضاً ان شاء الله

﴿ نيل الاوطار ﴾

صدر أخيراً الجزءان السادس والسابع من الكتاب الجليل (نيل الاوطار) للعلامة قاضي قضاة اليمن محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ الذي شرح به كتاب (منتقى الاخبار من أحاديث سيد الاخيار) للامام مجد الدين عبد السلام ابن تيمية . وقد سبق لنا الكلام على أجزائه السالفة في السنة الماضية (ص ٥٧٨ و٦٥٤) . ويقع الجزء السادس في ٣٩٠ صفحة من قطع الزهراء تناول الكلام فيه كتابَ الوكالة ، وكتاب المساقاة والمزارعة ، وابواب الاجارة ، وكتاب الوديعة والعارية ، وكتاب إحياء الموات ، وكتاب الغصب والضمانات ، وكتاب الشفعة ، وكتاب اللقطة ، وكتاب الهبة والهدية ، وكتاب الوقف ، وكتاب الوصايا ، وكتاب الفرائض ، وكتاب العتق ، وكتاب النكاح ، وكتاب الصداق . ويقع الجزء السابع في ٣٩٧ صفحة وفيه كتب الطلاق ، والخلع ، والرجعة ، والايلاء ، والظهار ، واللعان ، والعدد ، والرضاع ، والنفقات ، والدماء ، والديات ، والحدود

وكان المظنون أن يأتي الكتاب في عشرة اجزاء ، ثم ظهر أنه يتمّ في تسعة . وعلى ذلك بقي لتمامه جزءان · أحسن الله ختامه

﴿ مختصر تاريخ بغداد القديم والحديث ﴾

مطبعة الفرات ببغداد * المكتبة السلفية بالقاهرة : ٢٦٠ ص ، ثمنه ١٢ قرشا

كتاب الفه الاستاذ الفاضل السيد علي ظريف الاعظمي وتكلم فيه على (بغداد) من عهد تأسيسها الى قيام الحرب العظمى فاستعرض فيه تاريخ هذه العاصمة العربية الشهيرة التي شهدت من حوادث السعد والنحس ما يجعل لتاريخها أهمية عظمى لمن يتذوّق اللذة في تحري مواطن العبرة واستجلاء وجوه الموعظة. وقد اعتمد المؤلف في جمع أخبار هذا الكتاب على المؤلفات القريبة التناول من عربية وتركية واستفاد من مقالات منشورة في المجلات والصحف فنشكر له همته

﴿ تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر ﴾

مطبعة الحكومة العربية السورية بدمشق سنة ١٣٣٩ * ١٦٠ ص بقطع الجابر

الشيخ طاهر الجزائرى (١٢٦٨ - ١٣٣٨ هـ) علَم من أعلام هـذا العصر ومفخرة من مفاخر الامة العربية في سعة علمه ، وإحاطته بتاريخ التأليف في الاسلام ونماء مَداركه ، وحرصه على تجديد شباب المسلمين برجوعهم الى أصل دينهم وأخذهم بعلوم الجِدّ النافعة في سيادة الدنيا . وهو من أعرف الناس بسياسة العصر العامَّة وأدواء المسلمين وما يتهددهم من الاخطار . ولمـا انتقل الى رحمة الله يوم ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ أخذ حضرة صاحب الفضيلة صديقنا الاستاذ الشيخ سعيد الباني الدمشقي قاضي مقاطعة عجلون لهذا العهد بكتابة كتاب في سيرته منذ نشأته الى وفاته وأشار الى ما كان له في خلال حياته الصالحة من أعمال وآثار ، ولا سيما في سورية الداخلية التي يعد هو مؤسس نهضتها الحاضرة وأبا أحرارها وشيخ المستنيرين من أفاضلها . فجاء كتاباً حافلاً بما يهمّ القاريء معرفته . وكان نشر هذا الكتاب قبيل دخول الفرنسويين دمشق ، فكان للوطن يومئذ شاغل بذلك البـلاء عن توفية كتاب (تنوير البصائر) حقه من الاهتمام . وقد أهدانا فضيلة المؤلف نسخة منه في هذه المدة فنلفت اليه أنظار القراء

﴿ موشحات نظيم ﴾

مطبعة المدينة المنورة * المكتبة السلفية : ٨٠ ص بقطع الجابر ، ثمنه ٣ قروش

أبو الوفاء الاستاذ محمود رمزى نظيم شاعر حسن التصرّف في القول ، رقيق الاداء ، بديع المعاني . برَّز في الزَّجَل تبريزَه في القريض والموشحات . وقد نشر له الاستاذ الفاضل الشيخ حسنين القرنى مجموعـة موشحات رقيقة في كثير من الموضوعات الوطنية والاجتماعية وغيرها . وقدم لها مقدمة في وصف الشاعر بقلم صديقه الاستاذ محمـد صادق رستم افندي . فنتمنى لها الذيوع والانتشار



ج ٣ : م ٣ القاهرة ربيع الاول ١٣٤٥

سورية كما هى

والاسباب البعيدة والقريبة التي جعلتها في موقفها الحاضر

في الوقت الذى يصل فيه هذا الجزء من (الزهراء) الى أيدي قرائه يكون هـذا البحث قد وصل باللغة الفرنسوية الى جمية الامم مكتوبا بقلم الصديق المفضال الاستاذ توفيق افندي اليازجي ، ومقدما من جانب اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطينى . وقد اخترنا اثباته فى هذه المجلة لانه بحث علمي تحليلي للاسباب التى دعت الى وجود الحالة الحاضرة في ديار الشام

سورية وطن ذو وحدة جغرافية ، يسكنه عنصر من دم واحد ولغة وعادات وتقاليد واحدة ، ولهذا العنصر خصائصُ حيوية كاملة مستمدّة من طبيعة الاقليم الذى يعيش فيـه وتكوّن وحدته السياسية . فكل باحث نزيه يريد ان يعرف الاسباب القريبة والبعيدة للثورة الحالية في سورية يستطيع أن يلقي نظرة على موقع سورية ، وعلى تاريخها القديم والحديث ، فتتبين له العوامل المنطقية التي كانت سببا للموقف الحالى

﴿ وحدتها الجغرافية ﴾

أما كون سورية ذات وحدة جغرافيـة فظاهر من إلقاء نظرة بسيطة على مركزها الاقليمي ، فهي ذات حدود طبيعية قلما تتوفر لبلد آخر في العالم : فجبال

طورُس من الشمال ، وصحراء سيناء من الجنوب ، وصحراء بلاد العرب والخابور والفرات من الشرق ، والبحر المتوسط من الغرب . وجميع هذه الحدود ـ بين صحراء ونهر وبحر وجبل ـ هي الفواصل الطبيعية التي تفصل كلَّ وطن كامل الحدود عن الآخر

وليست هذه الحدود من وضع وطنيين متطرّفين في مطالبهم كما يزعم الذين تعميهم الاغراض السياسية ، بل هي حدود اتفق عليها جميع المؤرخين منذ القديم ولم يختلفوا في تحديد بعض أماكن منها إلا على نقط ليست جوهرية في الحقيقة . على أن بعض قدماء المؤرخين أدخلوا فيها قسما من العراق ، وأوصلوا حدودها الشرقية الى بابل [١] ، وقال سترابون : انها تمتد من كيلكيا وجبل أمانوس الى مصر [٢]

وقد اتفق أشهر مؤرخي العرب ، أو كادوا يتفقون ، على تحديدها بالحدود التي تقدم ذكرها فذكر ياقوت [٣] ان سورية تمتد من الفرات الى العريش ومن جبلي طيّء في نجد الى بحر الروم . قال : ويعدُّ في الشام أيضاً الثغور ، وهي المصيصة ، وطرسوس ، وأذنة ، وانطاكية . وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس والبلقاء وغير ذلك

هذه هي حدود سورية كما ذكرها أشهر قدماء المؤرخين حتى عهد العرب والخلفاء الفاطميين والمماليك بها . فلما انتقلت الى أيدي الترك أدخلوها ضمن

---

(١) راجع سترابون strabon (الكتاب ١٢ ص ٥٤٤ والكتاب ١٦ ص ٧٣٧) وهو رحالة يوناني كان موجوداً زمن الميلاد المسيحي . وهيرودوتس (الكتاب الاول صفحة ٧٢ والكتاب ٥ صفحة ٤٩) وهو ابو التاريخ وكان موجودا قبل المسيح بنحو ٤٥٠ سنة

(٢) سترابون (الكتاب ١٦ صفحة ٧٤٩)

(٣) المجلد الثالث من معجم البلدان ص ٢٤٠ من طبعة ليبسيك

نظامهم الاداري وقسموها الى ولايات ، ولم ينظروا الى أي حد طبيعي كما كانوا يفعلون في جميع البلدان التي احتلوها . فكان شأنها في ذلك شأن الانضول ومكدونيا وغيرهما . على أن معظم الذين عُنوا بوصف سورية الطبيعي من الكتّاب الاوربيين لم يغفلوا عن ذكر هذه الحدود الطبيعية . ولعل أحدثهم عهداً بذلك هو الكونت دي غونتو بيرون (السكرتير الخاص لمسيو جورج پيكو أول مندوب سامي فرنسوي في سورية) فقد قال في كتابه (كيف استقرّت فرنسا في سورية ؟)[1] : « ان الطبيعة منحت سورية حدوداً واضحة كل الوضوح : فالبحر المتوسط من الغرب ، وجبال طورُس وانتي طورُس من الشمال الغربي والشمال، وحوض دِجْلة الأعلي والأوسط من الشرق ، وبلاد العرب وسيناء من الجنوب» وقد قال ناپليون عن حدود سورية « انه لا يوجد بلاد افضل حدوداً من هذه البلاد للدفاع عنها »[2] واتفق الحلفاء في مؤتمر سان ريمو اتفاقا تاما على حدودها الشمالية التي هي أهم نقط النزاع[3]

فمن هـذا التحديد ترى أنه يوجد بين الفرنسويين من هم أعظم تطرّفا حتى من (المتطرّفين) السوريين في تحديد سورية

﴿ وحدتها العنصرية ﴾

ان الذين يدّعون أن سورية مؤلفة من شعوب عديدة لا يستطيعون أن يقيموا أي دليل علمي على ذلك ، وعندما يُضطرون الى إقامة الدليل يَضربون مثلا بتعدّد المذاهب والاديان فيها ، ويحاولون جعل كل دين أو مذهب وحدة

---

(1) Comte R. de gontaut - Biron. “ Comment la France s'est installée en Syrie P. 17

(٢) الكتاب نفسه ص ١٦
(٣) راجع المادة ٢٧ من معاهدة سيفر

عنصرية . ولكن الحقيقة مناقضة لذلك كل المناقضة ، ومتى كان الباحث يستعرض الحقائق العلمية فقط لا يستطيع أن يجد في سورية سوى عنصر واحد ، من دم واحد ، يتكلم لغة واحدة ، ويعيش بعادات وتقاليد واحدة

لقد أجمع أعظم المؤرّخين على أن جميع الشعوب التى استوطنت سورية وتألف منها العنصر السوري جاءت من جزيرة العرب [١] كسكان سورية الاصليين ، وكالفينيقيين الذين جاءوا من خليج فارس ، وكالهجرات التي تعاقبت على سورية بعد ذلك . وجميع سكان شبه جزيرة العرب من عرق واحد ، وهم يتكلمون العربية جميعا منذ فجر التاريخ . وقد أثبت المؤرخون أنهم كانوا قبل ذلك يتكلمون لهجات متشابهة متفرعة من لغة واحدة . أما العناصر الفاتحة التى جاءت الى سورية فمعظمها لم يشارك السوريين في حياتهم التجارية والزراعية بل كان يقاسمهم ثمار الانتاج فقط ، ولذلك كان الغرباء ينزحون عنها عند ما يُغلبون على أمرهم ولا يتركون فى الدم السوري سوى قليل من الاثر . أما الدم العربي فقد ظل صافيا فيها منذ نزوح الرومانيين عنها حتى الآن . نعم إن بعض العناصر الاسيوية ـ كالاكراد والجركس والترك ـ قد اختلطوا بالسوريين منذ عهد العباسيين الى هذا العهد ، ولكن العنصر السورى العربي كان يهضم جميع هذه العناصر ، فتفقد كل مميزاتها بعد جيل واحد فى سورية ، وتذوب في الكتلة السورية

﴿ خصائصها الطبيعية ﴾

لعل أعظم سبب يعود اليه رخاء سورية وشقاؤها في وقت واحد هو موقعها الطبيعى . فهي وطن تلتقي فيه ثلاث قارّات : اوربا وآسيا وإفريقية . فكان من

(١) انظر بحث « اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب» بمجلة الزهراء (٢ : ٣٢١) وقد طبع في رسالة مستقلة أيضا

طبيعة هذا الملتقى أن يوجد فيه شعب يعكف على التجارة ، ويتبادل صادرات هذه القارات الثلاث وارداتها ، ويكون واسطة لهذ التبادل بينها جميعها ، ويصنع فى بلاده ما يجد من الربح في صنعه أكثر مما يجده في مبادلته مصنوعا في بلاد سواه . فالشعب الذي يصلح للبقاء فى مثل هذا الموقع الطبيعي يجب أن يكون حائزاً لمزايا الاقدام والجد والمثابرة وحب العمل والاستهانة بالاخطار ، كما كان الفينيقيون قديماً ، والسوريون في عهد السلفيكيين والرومانيين والامويين

ومتى كان الشعب عاكفاً على التجارة والجدّ كان من أهم ما يحتاج اليه الهدوء والسكينة والنظام . لذلك كان شعب سورية ـ منذ القديم ـ شعبَ سكينة وجدّ وعمل ، لأن مصلحته الحيوية قضت عليه بذلك . ولم يكن يفكر في التوسع الا بالمعنى الاقتصادي والتجاري . وكان كلما رأى نظام الحكم في بلاده عائقاً لسير أعماله السلمية ـ التي هي نتيجة جدّه ونشاطه ـ يثور على ذلك النظام وينتقض على أصحابه كما ثار على الفرس في العهد القديم ، وعلى كثيرين من عتاة الفاتحين بعد ذلك

وكما كان موقع سورية الطبيعي سبباً لرخائها ومعززاً لنشاط أهلها فانه كان مهيجا لمطامع الفاتحين من عهد الاثوريين حتى عهد الفرنسويين ، فكان كلما استفحل أمر فاتح ـ سواء في بلاد اثور أو في فارس أو فيأواسط آسيا أو في مصر ـ يتجه توًّا الى سورية . وكان الغرض الأعظم من هذه الفتوحات حب الغنيمة ، فكان بعض الفاتحين يكتفي بسلب البلاد ثم يجلو بعد ذلك ، وكان البعض الآخر يقيم مادامت الاقامة لاتكلفه ضحايا كثيرة . وجاءها من كان أبعد نظراً كالسلفكيين والرومان والامويين . وفي جميع الأحوال كان موقف سوريةواحداً تجاه جميع الغارات والفتوحات ، وهو أنها تريد قبل كل شيء أن تكون حرة من جميع العراقيل التى تعرقل سير العمل والانتاج والتجارة والنظام السياسي

والأمن فيها ، فاذا نكبت بشيء من هذه العراقيل قابلتها بالثورة ، فاما أن تحمل الفاتحين على التفاهم معها ، وإما أن ينتهي الأمر بجلائهم عن البلاد بعد نكبات عديدة . وقد أثبتت سورية في جميع هذه العصور التي مرّت عليها انها قادرة على الانتعاش في أقرب وقت والخلاص من أشد النكبات والمصائب ، وأنها قادرة على حكم نفسها بنفسها . واليك نظرة إجمالية في تاريخ سورية القديم والحديث تتجلى فيها هذه الحقائق واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار :

﴿ لماذا كانت تثور ، ولماذا كانت تسكن ؟ ﴾

ان أول مايعرفه التاريخ عن سورية هو أنها كانت في أول عهدها مستقلة ، يحكمها — ضمن الحدود التي ذكرناها فيما تقدم — ملوك مستقلون تخضع لكل منهم مقاطعة معينة . وقد اعتدت على هذا الاستقلال فتوحات مختلفة جاء بعضها من آسيا وبعضها من مصر وبعضها من اوربا . ومتى راجع المنصف تاريخ هذه الفتوحات ومدة سيطرتها على سورية وجد أن أطولها بقاء هو الذي كان يحسن الامتزاج بخصائص سورية الحيوية . وهذا الذي جعل حكم الاثوريين أطول عهداً في سورية من حكم الفرس (١) فقد عرف الاثوريون كيف يحترمون نظام البلاد السياسي ويتركون لها حرية العمل والتجارة . وهذا الذي دعا السوريين الى المحاربة في صفوف الاثوريين والى البقاء على عهد الاخلاص لملك أثور حتى بعد أفول نجمه (٢) . ورأى سلفكوس في القرن الثالث قبل الميلاد بعددخول سورية ان خير سياسة يسلكها مع أهل البلاد هي أن يقيم منها امبراطورية مستقلة ، فأسس فيها (امبراطورية سورية) وقد دامت حتى سنة ٨٣ قبل الميلاد . ولولا

(١) من الثابت أن الاسطول الذي غزا به كيخسرو ملك الفرس بلاد اليونان صنعت ثلاثمائة سفينة منه في سورية

(٢) وهناك سبب جوهري آخر وهو أن الاثوريين والسوريين من جنس واحد ، فكلاهما من الساميين الذين يرجعون بأرومتهم الى جزيرة العرب (الزهراء)

الحروب المهلكة التي خاضت هذه الامبراطورية غمارها للتوسع في الجوار تارة ، ولرد غارات الفراعنة تارة اخرى ، وما جرته هذه الحروب من الويلات والمصائب ؛ لكان عهد هذه الامبراطورية السورية أزهر عهد عرفته سورية بصفتها وحدة سياسية كاملة

وقد كان عصر الرومان في سورية عصر نجاح وتقدم ، على الرغم مما تخلله في أوائله وأواخره من النكبات والمصائب المختلفة . ولكن يقال إجمالا : ان الرومانيين عرفوا كيف يعيدون النظام الى سورية بعد ما أنهكتها حروب الدولة السلفكية ، وكيف يستفيدون من مزايا الشعب السوري التجارية والاقتصادية ، فوجد تجارُ سورية سوقاً عظيمة لمصنوعاتهم في رومة ، وكانوا يجيئونها بمصنوعات آسيا من أقاصي سيبيريا والصين والهند ، وأخصها بالذكر الحرير الذي كان الرومانيون يعجبون به كل الاعجاب . وقد أدّى توثق العلاقات الاقتصادية والتجارية بين سورية وروما الى نزوح كثيرين من السوريين الى روما ، والى انتقال كثير من عادات البلاد الى عاصمة الرومانيين وإيجاد نفوذ واسع لهم فيها. وهذا ماحدا بأحد غلاة شعراء الرومانيين (١) الى أن يقول ما ترجمته :

« ان هذا العنصر المريع قد اجتاح روما ، وامتزجت مياه نهر العاصي (٢) بمياه نهر التيبر (٣) ، وجاء معه بلغة آسيا وعاداتها »

وجاء بعد ذلك عهد العرب ، فأسس الأمويون عاصمة ملكهم في دمشق وكان أول ما عمد اليه معاوية بن أبي سفيان تنشيط الهمم الوطنية ، والاستعانة بها في بناء ملكه على قواعد راسخة . وقد وصف الأب لامنس اليسوعي البلجيكي مملكة الأمويين بقوله « لقد سميت هذه الامبراطورية عربية ، ولكن في

(١) جوفنال Juvénal
(٢) نهر حمص (٣) Tevere نهر مدينة روما.

التسمية خطأ عظيماً ، فهي امبراطورية سورية : بالرأس الذي كان يدبرها ، وبالأيدي التي كانت تنفذ وتنظم وتدير المقاطعات والحرب والمالية . ولم تكن الحكومة في أيدي البدو الذين جاءوا اليها حديثاً ، بل في أيدي العرب الذين سكنوا سورية منذ قرون ، وهم متشبعون من الحضارة الآرامية . ونفوذهم هو الذي نقل مركز الخلافة وأخرجه من بلاد العرب . ونستطيع أن نؤكد أن سورية حكمت نصف العالم الشرقي الذي كان معروفاً في ذلك الحين مدة طويلة

على أن نشاط السوريين في العهد الأموي لم يقتصر على هذه الدائرة ، بل تعداها ورافق الفتوحات الأموية الى الاندلس ، وكان هو المنظم الاكبر لحضارة الاندلس الزاهرة . وكما نقل الفينيقيون أسماء مواطنهم الاصلية في خليج فارس الى سورية كجبيل وارواد وسواهما نقل السوريون أسماء مدنهم السورية الى الاندلس وأطلقوها على بعض مدنها كحمص ودمشق وغيرها [١]

وبعد ما انتقل مركز الخلافة من دمشق الى بغداد بدأت سورية تفقد المكانة التي كسبتها في عهد الامويين ، فحاول سكانها في مقاطعات كثيرة أن ينتقضوا على حكم العباسيين ، سواء بعامل الرغبة في استرداد دولتهم أو بعامل النفور من الحكم الجديد أو بعامل الحرص على الحرية الذاتية . ويتخلل ذلك اطماع فردية ونزوات عصبية لا بد من وجودها عند مايتقلص ظل احدى الدول عن أحد البلدان وتحاول دولة أخرى أن تحل محلها . ومن الممكن أن يقال ان سورية لم تستمرّ فيها الراحة والطمأنينة مدة خمسين سنة بلا انقطاع ، منذ حكم العباسيين حتى عهد الترك ، فقد كان عهدهم الاول (من سنة ١٣٢ ـ ٢٥٤ هـ) عهداً سفك فيه كثير من الدماء في سورية سواء في فتح دمشق أو فتح فلسطين

(١) انظر بيان ذلك في الزهراء (٢ : ٣٢٥)

أو في الثورات الاهليــة أو في ثورة اللبنانيين والفلسطينيين على العباسيين أو في الفتن الداخلية فى حمص ودمشق وغيرهما ، وكل ذلك في مدة لا تتجاوز قرنا ونصف قرن . ثم جاء دور الدولة الطولونية (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ) فدور القرامطة فالأخادشة فالحمادنة فالفاطميين فالسلجوقيين فالأتابكة ، الى أن انتهى الامر الى صلاح الدين . وكانت حروب الصليبيين قد بدأت من أواخر دور السلجوقيين فظلت سورية تتخبط فيها نحو ثلاثة قرون (من سنة ١٠٩٥-١٢٧٠م) وقاست جميع الاهوال الناشئة عن ثماني حملات متواصلة ، لانها كانت ميدان حرب لها طول هذه المدة ، وكان عبء الدفاع الاعظم واقعا عليها لانهــا هي التى كانت تموّن الجيوش الواقفة تجــاه الصليبيين ، وتقدم لهم حاجاتهم من طعام وشراب ومأوى وعتاد ، وكان رجالهــا هم العدد الاوفر من المقاتلة في معظم المعــارك ، فتضعضعت قواها بعد هذا الجهــاد الطويل . ووقفت حركة التجارة والصناعة فيها ، واستنزفت الحروب قواها ، فبعد ماكان عدد سكانها يزيد على ٢٥ مليونا في عهد الرومانيين ويناهز ٢٠ مليونا في أوائل عهــد الامويين نقص الى أقل من مليونين عند تقلّص ظل الصليبيين وابتداء حكم الترك

وقد لقيها الترك العثمانيون غنيمة باردة منهوكة القوى من الحروب الطويلة فبسطوا حكمهم عليها ، وكان لا بد لها من سنين عديدة لكي تستعيد نشاطها

كان عهد الترك فى سورية عهد خمول ، كالخمول الذي يصيب الجسم بعــد مجهود طويل . ولكن سورية أخذت بالانتعاش شيئاً فشيئاً ، على الرغم من جميع مساويء الحــكم واستبداد الولاة وتجزئة البلاد الى مقاطعات . فعند ما قيض لها أن تتنفس قليلا ، وتذوق شيئاً من طعم الراحة فى عهد ولاية مدحت باشا ، بدأ فيهــا السعي الى الاستقــلال والانفصال عن الدولة العثمانية ، وكان مدحت باشا ذاته يسعى الى هذا الغرض ، واجتمع بعــدد كبير من وجهاء دمشق وبيروت

وطرابلس وغيرها من المدن وخاطبهم في ذلك فوجد فيهم ميلا شديدا الى فكرته . ولكن الدولة العثمانية شعرت بمساعيه فاستدعته الى الاستانة . بيد أن فكرة الاستقلال لم تمت ، فتأسست الجمعيات السورية في سورية ، وانتشرت في مدنها ، وتألفت جمعيات أخرى في المهاجر السورية ، ونشرت الصحف ، وألفت الكتب المطالبة باستقلال سوريه وبلاد العرب كلها : في مصر وفرنسا وأميركا الشمالية والجنوبية . وعند ما أعلن الدستور العثماني تحولت المساعي الى اثبات شخصية سورية وبلاد العرب في المجموع العثماني مقدمة لاستقلالها في ما بعد وأفضى ذلك الى ظهور الحركة الاصلاحية في سورية ، وانتقام الترك من أحرار السوريين في زمن الحرب ، واعدام ستين شخصا من خيار رجالهم الذين كانوا قائمين بالحركة الوطنية

فمن هذه النظرة الاجمالية الى تاريخ سورية القديم والحديث يظهر جلياً أن موقع سورية الطبيعي كان يدعوها الى العمل والجد في ظل الهدوء والسكينة والنظام فكانت تثور على جميع العوامل التى تعكر عليها صفاءها ، وتحاول التملص منها . وكانت الدول التى استطاعت أن تدوم فيها هي الدول التي عرفت كيف تحترم خصائصها ، وتترك أمامها المجال مفتوحاً للجد والنشاط والتوسع التجاري وما يصحب ذلك من ترقية العمران والحضارة . أما الدول الاخرى التى كانت تأتى للغزو أو للفتح فقلما كانت تستطيع أن تبقى فيها طويلا

﴿ الاسباب الحديثة للثورة ﴾

عند ما نشبت الحرب العمومية وجعل الحلفاء يذيعون في أربعة أقطار المسكونة مبادئهم في تحرير الشعوب المظلومة والاعتراف باستقلالها ، وخصوا سورية بكثير من هذه التصريحات ، هب السوريون في مهاجرهم الى العمل لتحرير بلادهم ، وضموا قضيتهم نهائياً الى قضية الحلفاء وتقاطروا على التجنيد

في الجيش العربي . فعند ما انتهت الحرب العمومية بفوز الحلفاء ظن السوريون أن وقت النجاة وإرجاع ما فقدته سورية من الرخاء والتقدم قد دنا ، ولكنهم مالبثوا أن رأوا بوادر التقسيم والاستعمار في بلادهم بدلا من التحرير والاستقلال فهبّوا الى مطالبة الحلفاء بوعودهم ، ورفعوا أصواتهم في جميع المؤتمرات والاندية السياسية من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢٠ ، ولكنهم رأوا أنهم أمام خطة استعمارية مدبرة ، فعقدوا مؤتمراً في شهر مارس سنة ١٩٢٠ في دمشق ممثلا لجميع أنحاء سورية بحدودها الطبيعية وأعلنوا فيه استقلال بلادهم . ولكن الفرنسويين الذين كانوا يحتلون الشقة الساحلية من سورية جهَّزوا حملة كبيرة بقيادة الجنرال غورو ودخلوا دمشق رغم إرادتها

على أن السوريين الذين عرفوا مايراد بهم لم يستكينوا الى هذا الاحتلال . لذلك لم يستتبّ الامر للفرنسويين في سورية ، كما لم يستتب لكل فاتح قبلهم حاول تغيير طبيعة البلاد ووضعها في حالة مناقضة لخصائصها الطبيعية ولغرائز أهلها . فلم تكن تنقضي سنة إلا وكان على الفرنسويين أن يعالجوا ثورة أو ثورتين فيها . فقد ثارت عليهم بلاد العلويين سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ ولم يخمدوها إلا بحملة بلغ عددها ٢٣ ألف مقاتل وثارت عليهم سورية الشمالية من أواسط سنة ١٩٢٠ الى أواسط سنة ١٩٢١ . وثارت عليهم حوران من شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ الى آخر السنة . وثار جبل عامل سنة ١٩٢١ . وثار جبل الدروز سنة ١٩٢٢ . وظهرت ثورة في أنحاء بعلبك سنة ١٩٢٤. ونشبت الثورة الحالية من شهر يوليو ١٩٢٥ وما زالت ناشبة حتى الآن

وكل ما تريده سورية من هذه الثورات هو ذات ما كانت تريده منذ فجر التاريخ ، أي أن تستطيع أن تعيش وتعمل وتقوم بالوظيفة الخطيرة التي أعدَّها فيها مركزها الطبيعي ووجودها في ملتقى ثلاث قارات

لقد كانت سورية منذ احتل الفرنسويون ساحلها أمام النكبات الآتية : —

(١) ضياع وحدتها الجغرافية

(٢) القضاء على وحدتها السياسية

(٣) فقدان أسواقها التجارية

(٤) انتقال مواردها الاقتصادية وحركتها التجارية الى أيدي ابناء شعب قوي فاتح

(٥) تجزئتها بطريقة لاتقوم لها بعدها قائمة ، ولايمكن إعادة تأليف وحدتها القومية ، وذلك باقامة الاديان والمذاهب فيها مقام أمم وعناصر ودول

ولم يتعظ الفرنسويون بتاريخ سورية ، مع أن أكثر المآخذ التاريخية التى استندنا عليها في هذا البيان مستقاة من كتب وضعها علماؤهم ، بل ظلوا يواصلون العمل بذات الخطة التي رسموها منذ أنزلوا أول جندي الى بيروت . وجاءت هذه الخطة محققة لجميع المخاوف التي خشيتها سورية وشجعت فيها روح المقاومة ثم الثورة

﴿ نكبات سورية في هذا العهد ﴾

أما نكبات سورية في عهد الفرنسويين فانها عديدة ، نكتفي منها بذكر أربع نكبات رئيسية :

الاولى * نكبة جغرافية : وهي أنهم اقتسموها مع حلفائهم الانكليز أولا ، ثم أعطوا قسماً منها في الشمال للترك ، وعادوا فأضافوا اليه قسماً آخر في أوائل هذه السنة

والثانية * نكبة قومية : وهي أنهم مزقوا البلاد الى خمس دول على أساس المذاهب والأديان ، وأسسوا النظام الاداري في كل من هذه الدول على النظام ذاته أيضاً ، وحوّلوا الطوائف الى عناصر وشعوب ، ويزعمون أن سورية

(موزاييك) من الامم ، مع أن التعدد فيها هو في المذاهب والطوائف ، لا في العناصر والشعوب. وتعدد المذاهب موجود في جميع بلدان العالم. أما من حيث وحدة الدم واللغة والعادات فان سورية أعظم تجانساً حتى من فرنسا ذاتها . ولم يكتف الفرنسيون بالسعي لتحويل الطوائف الى شعوب ، بل فتحوا جميع الابواب في وجوه عناصر جديدة غريبة : فجاءوا بالارمن من الاناضول ، ومهدوا لهم سبيل السكنى ومزاحمة الأهلين على معايشهم ، وشرعوا في بعض الاماكن ينشئون لهم المنازل في نفس الوقت الذي يدمّرون به منازل الاهلين على رءوس أصحابها ، ويستخدمونهم في مقاتلة الثوّار وفي وظائف الحكومة ، ويأتون بالچركس الفارّين من الاناضول ويستخدمونهم لمثل الاغراض التى يستخدمون لها الارمن ويشجعون العدد القليل الموجود من الاكراد والچركس في البلاد على المطالبة بحكم ذاتى ، وشرعوا في ذلك فعلا في جهة القُنَيطرة وحماه ، حاسبين ذلك مكافأة لهم على مقاتلة السوريين ، مع أن الچركس والاكراد عاشوا كل مدة وجودهم في سورية مندمجين بالأهالي من جميع الوجوه . ويسعى الفرنسيون أيضاً الى ايجاد وطن قومي لمائة وخمسين ألف أرمنى في سورية . ولعل هذه أردأ خدمة تقدم لهذا الشعب الطريد

والثالثة * نكبة تجارية : وهي أن نسبة مقدار الصادرات الى مقدار الواردات في ميناء بيروت التى هي ميناء سورية الرئيسية كانت قبل الحرب بنسبة ١ الى ٣ وكان الفرق يغطّى : أولاً بالأموال التى ترد من المهاجرين ، ثانياً بالاموال التي كان يتركها الحجّاج والسيّاح في سورية ، ثالثاً بالأموال التي كانت تكسبها سورية من إصدار البضائع بواسطة القوافل وسكة حديد الحجاز الى بلاد العرب والعراق والأنضول . أما بعد الحرب فقد كانت النسبة ١ الى ٥ في

سنة ١٩١٩ أي في السنة الاولى التي استقرَّ بها الفرنسيون في ساحل سورية فظلت تنزل الى أن بلغت جزءاً من أحد عشر سنة ١٩٢٤ وجزءاً من ستة عشر في سنة ١٩٢٥ (١)

والرابعة * نكبة اقتصادية : وهي أن عدد المهاجرين أخذ بالازدياد عاماً فعاماً ، حتى بلغ ٢٠ ألفاً في سنة ١٩٢٤ وزاد على ذلك في سنة ١٩٢٥ ، وقد ارتفعت أصوات السوريين في بلادهم كلها من تفاقم هذا التيار في سنة ١٩٢٦ . وكان فتور الحركة التجارية والاقتصادية ، وسقوط قيمة العملة التي فرضها الفرنسيون على البلاد بعد ما كانت تتعامل بالذهب وجعلوها تابعة للفرنك ، سبباً لنزول قيم العقار والاراضي نزولا يبلغ متوسطه ستين في المائة كما يقدّر أصحاب العقار والاراضي . وضعفت قوة الانتاج في البلاد ، حتى إن مقاطعة حوران التي كانت أهراء سورية فى عهد الترك ، وأهراء سورية ورومة معاً فى عهد الرومانيين ، لم يستطع فلاّحوها فى سنة ١٩٢٥ أن يفلحوا قسماً من أراضيهم الا بعد ما اعطيت لهم اعانة كبيرة بعد نشوب الثورة . وكان القصد الحقيقي من الاعانة منعهم عن مشاركة جيرانهم الدروز في الثورة ، فقد كانوا يطلبون الاعانة قبل ذلك ببضعة أشهر فلا يلاقون أذناً صاغية من أحد . وقلّت اليد العاملة في جميع أنحاء البلاد بسبب المهاجرة ، وعمد الفرنسيون في خلال الثورات المتعاقبة الى تدمير القرى الثائرة أو التي تتهم بمرور الثوار فيها ، واستياق مواشيها الزراعية وغير الزراعية ، وأخذ الأثاثات وبيعها علنا في الأسواق ، وفرض الغرامات على القرى الاخرى بالذهب حتى تجاوز عدد القرى التي دمّرت في الثورات التي تقدّمت الثورة الحالية في بلاد العلويين وشمالي سورية وحوران وجبل عامل وجبال بعلبك خمسمائة قرية

(١) راجع النشرة الاقتصادية التي تصدرها ادارة الجمارك في بيروت ، عدد يناير - فبراير سنة ١٩٢٦

وأما في الثورة الحالية فان الاحصاء التالي الذي وُضع بأعظم ما يمكن من الدقة ، وقدّم الى جمعية الامم فى ٢ يوليو سنة ١٩٢٦ (٢١ ذي الحجة ١٣٤٤) ، يدل على مقدار ما أوقعه الفرنسيون من النكبات الاقتصادية في البلاد بسبب تدمير المنازل في المدن والقرى بمدافعهم وقذائف طياراتهم : ـ

الاماكن	التاريخ	القيمة بالجنيه المصري
دمشق وجوارها	فى ٤ و ٥ و ٦ اكتوبر سنة ١٩٢٥	٤٥٠ر٠٠٠
« « «	١٨ اكتوبر سنة ١٩٢٥	٢ر٠٠٠ر٠٠٠
« « «	١٧ فبراير سنة ١٩٢٦	٩٢ر٠٠٠
« « «	١٦ أبريل سنة ١٩٢٦	١٠٠ر٠٠٠
« « «	٧ مايو سنة ١٩٢٦	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
فى جوار دمشق ـ مَضايا	فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥	١٤ر٥٠٠
حَمّورة	فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥	٢٥ر٠٠٠
٦٧ قرية اخرى		٨٥٠ر٠٠٠
		٦ر٠٣١ر٥٠٠

وأما الخسائر فى النفوس في سورية في هذه الثورة وحدها فقد بلغت ـ كما يستفاد من البلاغات الرسمية الفرنسوية ـ ١١ر٨٠٠ قتيل[1] من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٥ الى شهر مايو سنة ١٩٢٦ ولا يدخل فى هذا الاحصاء الخسائر التى أشار اليها الفرنسويون فى بلاغاتهم بقولهم « خسائر فادحة » و « خسائر جسيمة » ولا يدخل فيه أيضاً عدد الجرحى

(١) هذا الرقم المجمل هو مجموع ما اعلنته البلاغات الرسمية الفرنسوية في التسعة الاشهر المذكورة ، و كل هذه البلاغات مجموعة ومحفوظة بتواريخها وارقامها . وهذه الارقام بين ان تكون صحيحة فتطن بنفسها عن نتائج مهمة الانتداب فى سورية ، وبين أن تكون غير صحيحة فيعرف القارىء الى اي مدى يمكنه ان يثق بامثالها مما يصدر الآن أو سيصدر في المستقبل من البلاغات

وأما الخسائر التي وقعت بعد ذلك حتى أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٦ فانها عظيمة أيضا فقد قطع نحو ١٠٠ر٠٠٠ شجرة مثمرة من أشجار الغوطة – جنة الدنيا – وقطعت مياه الانهر التي تروي الغوطة فتعرضت كل تلك الروضة التاريخية الغنّاء للتلف ، ودمرت قصور آل القوّتلي في الحتيته ، وآل البكرى في القابون وجَرَمانا ، وآل الجزائري في قَرَحْتا ، وآل العجلاني في بستان فتيح وعشرة منازل في حي الاكراد (دمشق) منها منزل آل بوظو العائلة الكردية المشهورة ، وأطلقت قنابل المدافع والطيارات على قرى جَوْبَر وبيت شحم وبَبّيلا والمليحة وقبر الست وشبعا وبَرْزَة وحَجّيرة وكفر سُوسة ومَعربا وفتريس ودُومة ، فتدمرت كلها أو القسم الاعظم منها وأحرقت البيادر (أجران الحبوب) في بساتين دمشق

وأما الخسائر التي أصابت النفوس في المدة ذاتها – أي بين مايو وأغسطس سنة ١٩٢٦ – فقد بلغت وفاقا للبلاغات الرسمية الفرنسوية ٢٠٩١ قتيلا ما عدا الجرحى و « الخسائر الفادحة »

فاذا كانت الثورات التي تقدّمت الثورة الحالية لم تسبب لسورية الا مقدار ما سببته الثورة الحالية وحدها من الخسائر دون زيادة ، فتكون قيمة الاموال المنقولة وغير المنقولة التي أتلفها الفرنسويون بنيران مدافعهم وقنابل طياراتهم في سورية منذ عهد احتلالهم الى شهر مايو الماضي تبلغ ١٢ مليون جنيه و ٢٤ ألف نفس من القتلى تضاف الى ذلك الخسائر التي وقعت من شهر مايو الى شهر أغسطس الماضي وذكرناها فيما تقدم

فما هو الواجب على جمعية الامم أن تفعله بأزاء هذه الحالة ؟ هل عرف التاريخ أمة تُنكب بمثل هذه النكبات ولا يسمع أحد صوتها ؟ وهل يمكن أن يكون في الحضارة الحالية ضمير يتألم ولا يبادر الى انصاف هذه البلاد الباسلة البائسة ؟

الافغان

يقول جيلاني خان ـ سفير الافغان في أنقرة ـ : إن سكان البلاد الافغانية يبلغون ١٥،٠٠٠،٠٠٠ تقريبا ، وكلهم مسلمون ما عدا أقلية ضئيلة من الهندو والمجوس.

وملك الافغان (١) ـ أمان الله خان ـ في الرابعة والثلاثين من عمره ، وله ولد وحيد اسمه هداية الله خان وهو في الرابعة عشرة ، وقد أرسله الى مدارس فرنسا منذ خمس سنوات !

وتدير البلاد وزارة مؤلفة من ٦ وزراء يرأسهم الملك نفسه ، ومن ورائهم مجلس يسمى « مجلس الشورى الملي (٢) » يرأسه الآن أحد سفراء الافغان السابقين الذين مارسوا السياسة الخارجية زمنا طويلا . وعدد أعضاء المجلس ١٢٠ ينتخب نصفهم أعضاء مجالس الولايات الافغانية التسع ، وأعضاء مجالس الولايات ينتخبهم وجوه البلاد

والمرأة الافغانية تلتزم الحجاب والحشمة ، والشعب يمقت السفور الافرنجي كل المقت . وقد سنت الحكومة قانونا يشترط فيمن يرغب بأن تكون له زوجتان أن يكون مقتدراً على القيام بحقوقهما والعدل بينهما.

والخدمة العسكرية إجبارية ، ويبلغ الجيش مائة الف ويمكن جعله سبعمائة الف عند الحاجة ، وفيه سلاح جوي مؤلف من ٣٠ طيارة وتتبعه معامل أسلحة لا بأس بها

وفي الافغان موظفون أجانب بين مدرّسين ومهندسين وطيارين . وفيها عدد قليل من التجار الالمان والروس

وفيها عشر صحف فارسية وافغانية أكبرها صحيفة (أمان الافغان)

(١) كان عنوانه الرسمي «أمير الافغان» وأخيرا ابلغ حكومات أوربا انه نادى بنفسه ملكا
(٢) يعبر الافغانيون عن الامة بكلمة « ملة » تبعا للفرس والترك

زفرة أو عبرة

يوم تهطال الشجون

أيها الراسفُ في أغلاله ... إنّك اليومَ لَمَوْهونٌ مَنين
ذلّ ذو التاج على رُغم اِبِّي ... ونأى عنه وقد عزَّ القطين(١)
أذْؤبُ الدهر ترامَتْ نحوه ... دخلوا الأرضَ دخولَ الفاتحين
عَلِم الله ، فما نالوا به ... عزّةَ النصر ولا الفتحَ المبين
ماهم غير سَعالٍ قُبِّحت(٢) ... خَدَعوا الناس وغَرُّوا الجاهلين
قيَّد الأعداءُ مَنْ كان له ... ساجداً فِرْعَوْنُ فى ضَعْفٍ ولِين
قيَّدَ الأعداءُ من فاض على ... جانبِ غَضٍّ ومَجْنونِ العَرِين(٣)
قيَّد الأعداءُ من حل به ... دينُ عبدِ اللهِ محمود الأمين
ياسبيكَ السَّامِ فى مُصْبَحِهِ ... وسبيكَ الوَرْقِ فى وقت الكمون(٤)
تُرْسِل الشمسُ طويلا نورَها ... فنرى فيكَ سُيوفَ القاتلين
أوْقَفوا سيرَكَ سُجْحاً قدُماً(٥) ... بدِماءِ الواهنين العاجزين
قَسَماً حقّاً لئن طُلَّ دَمى ... ففِداءُ النيل مالي والوَتين(٦)
أجِدُ الموتَ صبيباً وجنىً(٧) ... فى هوَى مصر مَراحَ العاشقين
أجِدُ الموتَ كئوساً قَرْقَفاً(٨) ... أنتشي حيناً وأصْحو بعدَ حين

---

(١) الخدم (٢) جمع سعلاة وهي الغول (٣) جنّ النبت اهتز واكتهل . وجنّ النبت زهره ونوره . والعرين الشجر (٤) السام عروق الذهب في الصخر . المصبح : الصباح . الورق : الفضة . يراد كون الشمس فى كبد السماء ساعة الزوال (٥) سار سجحا اي مشى مشية سهلة (٦) الوتين عرق الحياة في قصرة الانسان (٧) الصبيب والجنى العسل والشهد (٨) من اسماء الخمر

لكَ نفسي وحَيَاتي وقُوَى تزْدَهي مُستَصْعَبَ الرأي الوزين[1]
أنا لا أحفِلُ ما موْعده والإلهُ القادرُ الباري مُعين

***

نيلَ نَفْسي، لكَ نَفْسي وهوًى في دَمٍ من مائك الجاري المَعين
خرَّ فرعونُ، وهامانُ عنا لجَلالٍ في تَراقيكَ[2] كمين
سرْتَ في الأيام لا تَلوي على دَارسِ الدّار وشيَّمْت السنين
وأبو الهول حزينٌ مغْرَبٌ[3] دمعُهُ في نيله سكبٌ هتون
دامعٌ وجداً على أنحسُنا يقلبُ الكَفَّ ظهُوراً لبطون
فتراه شاحباً مُنضوياً قد براه طولُ تهْطال الشُّجون
سَمَلَ الدهْرُ عيوناً أبصرتْ نَصْرَ موسى وهو لله أمين
سِمَةُ الدهْرِ يَدَ الدَّهْرِ ترَى وعيونُ السَّمْل في القلبِ عيُون
زَفرَةً أو عَبْرَةً تجْري على أسْجَحِ الخدِّ وما الدَّمْعُ ضَنين
لم يكُنْ للقلبِ في مسكنِه غير زفراتٍ لمسجونٍ حزين
وَطَني لو غلَّ في أغلاله لم يكن حيٌّ سوى قلبي حَرون[4]

***

ياشباب النيـل لا تسعوْا الى معْول الهدْم، وردُّوا الهادمين
مجدُكم ضاع وما خلَّفَ مَن أمسك الشُّهْبَ وقاد المالكين
ليس بالصلِّ ولا الفلْق الذي يتبع القومَ الى أرض المَنون[5]
اعملوا، هُبُّوا، أقيموا ظلَّكم اقطعوا جُرْثومةَ الداء الدفين

(١) الراجح (٢) جمع ترقوة وهي من جسم الانسان عند المنكب (٣) من قولك اغرب الرجل بالبناء للمجهول اشتد به الوجع والمرض (٤) الحرون هنا بمعنى الشموس الذي لا يقهر (٥) الصل والفلق الداهية الذي لا ينثاب

تخِذوا « التجديد » درعاً مانعاً ... صولة الحقّ وحقَّ الكاتبين[١]
ليس بالحق سوى القوْل الذي ... جدَّلَ الباطِلَ بين الهالكين[٢]
أجمِعوا وَثبةَ ليثٍ مُخْدِرٍ ... يحْطِمُ الصخْرَ ، وعَزْماً لا يلين
لا ترَوْا أرضَ الحِجَى يقْدُمُها ... لجِبُ الجهْلِ وجَيْشُ الغاصبين[٣]
يُظْهِرُونَ الوُدَّ ، وَدُّوا لو ترى ... غفلةَ الناسُ لهمُّوا حاطمين
جعَلوا « الدستور » ترساً دونهم ... أفهَذمْ هو في علمٍ ودين
برِيءَ « الدستورُ » من ظِنَّتهم[٤] ... ليس في « الحَقّ » مُحاباةُ البنين

* * *

أُمَمَ الإِسلامِ لم يبق لكم ... غير مجْدٍ جُبَّ تبكيه الشئون[٥]
كنْتِ للدهر قريناً ففَدى ... يعبثُ الكفْرُ بوَضَّاحِ الجبين[٦]
لست أدري ألِضعْفٍ صمْتكم ... أم دَهاكم مادَهَى الدَّارَ الشّطون[٧]
دَوْلةَ الحق أقيمي عرْشهُ ... واخذلي الكُفْروأُخْرَاهُ الكمون[٨]
بُلْبُلُ الحقّ دعاكم دعوةً ... أسعِدُوه لا تلوذوا بالدُّجون[٩]
يافؤادي قَلَقٌ مابك أم ... غادرتْني مرَرُ القلبِ الرَّكين[١٠]
خفَقَ القلْبُ بعقّالاته[١١] ... خفَقانَ السيفِ في الحَرْبِ الزَّبون
ليْسَ مَنْ يطلبُ حقًا لاهياً ... غير مِلْغٍ فَيِّلِ الرأي أفين[١٢]

(١) هذا البيت تفسير لما قبله. أي أن الداء الدفين يحسن قطع جرثومته وهي اتخاذ الملاحدة التجديد درعا مانعاً صولة الحق

(٢) جدله رماه على الارض صراعا (٣) اللجب الجيش يموج بصوته (٤) التهمة

(٥) جب : انتقص . والشئون : مجارى الدمع (٦) يشير الى غمامة الالحاد التى تراءت في سماء الإسلام الصافية (٧) الشطون النازحة البعيدة (٨) الكمون التستر والاستخفاء

(٩) الاسعاد والاسعاف والمساعدة . والدجون : الاقامة (١٠) الثابت الذي لا يتزحزح

(١١) العقالات الاغلال (١٢) الملغ : الاحمق الرأي . فيل أفين : وصف لضعيف الرأي

***

إيهٍ يامصرُ وواهًا فالبُكى ... فطَرَ القلْبَ وأرْسالُ الأنين (١)
ذُرِفَ الدمع وغنّاه الشجى ؛ ... يوم حَيني سوف ألْقى بعدحين (٢)
وغداً أو شَيعه أُلْقى على ... مُحكم الأعواد في ثوب جرينْ (٣)
غاية المرءِ الى الرِّيم الذي ... يأكل العالمَ دَهْرَ الدَّاهرين (٤)
لستُ أبغي الخَرَ دِيْناً إنما ... نُهْيَةُ الخر مُلاقاة الجُنون (٥)
لا ولا النسْوَةَ يقصرْنَ الخُطى ... فيرَدْنَ فُرادى ومثين
عِفَّةٌ كالمَيْسَانيّ وَهَتْ ... وحَياءٌ لا يُرَى حتى يَبِنْ (٦)
لا يبالين بطِنْءِ مُهجرٍ ... ظُنَّ ؛ والليل مواتاة الخدين (٧)
ويبادرن الى السُّوقِ ضُحًى ... يترجرجن مع الكِفْل البدين

***

نصح الناصح قَوْماً نَكبوا ... سَنَنَ المجْد وناموا هادئين (٨)
رحمة الله لهم ، هل علموا ... أن للمجدِ رجالاتٍ دَهين (٩)
فالى المجد خفافًا ، أو دعوا ... عَلزَ الداءِ وحزّازَ الأرون (١٠)

القاهرة

محمود محمد شاكر

---

(١) الارسال جمع رسل وهي الجماعات (٢) الحين الموت
(٣) يقال أقمت به شهرا أو شيعه أي نحوه الجرين : المتهدل مزقا.
(٤) الريم : القبر (٥) الدين : العادة . نهية الخمر : غايتها
(٦) الميسانى : نسبة الى ميسان بلدة بالعراق تنسب اليها الثياب الرقيقة . ويبين يبعد
(٧) الطنء : الريبة . والمهجر : الفاحش . المواتاة : الوصل . والخدين : الحبيب
(٨) نكبوا: عدلوا عن الطريق. وحذف حرف الجر اتباعا للفصيح كقوله تعالى « واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » أي كالوا لهم أو وزنوا لهم . والسنن الطريق
(٩) دهين جمع ده (١٠) علز الداء : ألمه . والحزاز : وجع القلب . والارون : السم

الشهيد عادل بك النكدي

اصيب الوطن بركن من أركانه العامرة ، وفجع الشباب بغصن من أغصانه الناضرة . الا وهو الدكتور السيد عادل بك النكدي . فتى من أتم فتيان العرب أخلاقاً ، وأشدهم إخلاصاً ، وأوسعهم علماً ، وأكثرهم تفانياً ، وأبعدهم عن مواطن الدعوة والظهور

نجم قرن الثورة وفقيدنا الكريم في اوروبا يطلب العلم ، وما هي الا أن أنهى دروسه وقدّم امتحانات الدكتورية في الحقوق حتى أسرع الى فلسطين وجاز منها الى مواطن الثورة فالتحق بها . لم يعرّج على بلده ، ولا قابل أهله على لهفتهم عليـه ، وحاجتهم اليه ، مخافة أن يعرض له ما يحول دون ماقصد له من خدمة الوطن . وقضت المصلحة أن تندبه القيادة العليـا الى الغوطة حكماً يحل ما لعـله يشجر بين الثائرين . فنهض على رأس قوة عرفت بالقوة التنفيذية . وكانت له ثمة أعمال تذكر فتشكر دلت على خلق متين ، وعقل راجح ، وإدارة حكيمة ، ونزاهة ليس بعدها غاية . ولم يشأ ـ والحكم الأعلى للسيف ـ أن يقف عمله عند فصل الخصومة ، فمشى الى القتال مشية الأبطال ، وأبلى في العدو بلاء مشكوراً . ثم كانت مواقع النصف الآخر من تموز وتوغل الجيش المستعمر الى قلب الغوطة فخاف عادل على الثائرين أن يدخل في قلوبهم ماتنكسر له شوكتهم ، فبرز في طليعة المقاتلين ينفث في نفوسهم الجرأة ويحضّهم على الثبات . وكان من عاداته التي عرف بها أن لا يستتر في القتال بل يبرز الى العدو منكشفاً ، فاصيب في معركة ١٩ تموز (٩ المحرّم) بجرح في كتفه بعـد أن قابل بتسعة وعشرين مجاهداً جيشا يبلغ الالفين . وألح عليه اخوانه أن يترك القتال الى أن يلتئم جرحه فأبت عليه وطنيته وإخلاصه أن يجيبهم الى ما طلبوا بل شهد أربع مواقع وهو جريح وفي

الموقعة الأخيرة وهي موقعة ٣١ تموز (٢١ المحرّم) اصيب برصاصة اخترقت صدره فما سقطت بندقيته من يده الا بعد أن أهوى الى الأرض مضرجاً بدمه . وتعد خسارته نكبة على الامة العربية ، رحمه الله رحمة واسعة . ولقد طُلبَ الى بعض إخوانه أن يجمعوا ترجمة حياته ويبعثوا بها الى مجلتنا (الزهراء) تخليداً لذكره

***

مضى عادل والمجد نسج ردائه وخلَّف لي شجواً على العمر باقيا
وما أنا وحدي مستقلٌ برزئه ففوق الذي بي ما أصاب المعاليا
فتى كان ملء العين بأساً وروعة وملء قلوب المخلصين أمانيا
بقيةَ آمال ومرجوَّ امة طواه الردى ، شُلَّتْ يمينك طاويا
لئن حطه المقدار عن سرج سابح وكفَّن خُلقاً طاهراً ومساعيا
فأفعاله قد بوّأته وعلمه مكاناً من الذكر المخلد عاليا

***

لقد سيم قطر الشام خسفاً وذلة وجاس العدى أرجاءه والمغانيا
يُذلِّول أهليه ويسبون عرضه ويرمون بالنيران منه المبانيا
وكم من بريء راح يدعو بمسجد فلم يعصم المحرابُ من قام داعيا
رمَوْا برءوس الساجدين لربهم فما دفعت حتى الصلاةُ العواديا
ودكوا بدباباتهم كل قائم ولم يدعوا حياً من البؤس خاليا
تقاسم عارَ الذل من كان محرَباً لدوداً ، ومن كان الذليلَ المواليا
فلا الساحل العاني من الخزي خالصاً ولا الجبل العالي من الحيف ناجيا
لئن جهلوا معنى المساواة بيننا فقد أحسنوا بالجور فينا التساويا
أخالدُ[1] ان الشام قد حال حاله[2] وعاد اليه العلج يحكم ثانيا

(١) خالد بن الوليد فاتح الشام رضوان الله عليه (٢) اذا اريد به القطر غلب فيه التذكير

ولكنَّ علج اليوم شرٌ من الذي كشفتَ ، وأدهى حيلة ومخازيا
فهيىءْ له فتحاً جديداً يعش به عزيزاً ، والا أصبح الشام خاويا
وأنتم بني مروان طال رقادكم وجاوزتَ حدَّ الحلم فينا معاويا
هل الشام الا ملككم ودياركم فحتامَ تزدادون عنه تغاضيا
أُبيح حماه ، واستذل أُباته وعاد عزيزُ القوم أخمصَ طاويا
وشرِدَ بالاهلين كلَّ مُشرَّدٍ فراحوا حيارى ينتحون الفيافيا
ألم يبق من روح ابن سفيان نفثة فتبعثَ أيامَ الشآم المواضيا
ألا وثبة درزيّة عربية تُهيّجُ في دار الفرنج البواكيا
بلى ، لا يزال الشام فيه بقية ترى الموت أو تجلو الأعادي صافيا
وما مات قطر فيه أمثال عادل سريع الى الهيجا وان كان نائيا
ترامى اليه ما يلاقيه قومه فجد اليهم يقطع البحر غاديا
نضا عنه أثوابَ الحضارة ، وارتدى رداء الوغى ، واستلَّ سيفاً يمانيا
لكل مجال حالةٌ ولبوسها وهذا مجال يحمِدُ المرءَ غازيا
وما ينفعُ الأوطانَ علمٌ ومقولٌ بليغٌ اذا ما كان عزمك ضاويا
فما الحقُّ الاَّ قوةٌ ان بلغتَها ظفرتَ والاَّ ظلِلْتَ دهرَك شاكيا
وان يسمعَ الغربيُّ شكوى تبثها اذا لم يكن في كفك السيفُ ماضيا
ومن يطلب استقلاله بلسانه ينله متى العيُّوقُ أصبح دانيا
بلونا رجالات (القبابيع) جلهم فلم نرَ الا حانثاً أو مداجيا
اذا كنت ذا بأس فهم أهل رحمة وعدل ، وان تضعفْ يكونوا ضواريا
مشى عادل للحرب يبذل مهجة ترى غير الاستقلال والعز فانيا
اذا همَّ لم يَرْجعه عما أراده صعابٌ الى أن يرجع الجيش خاسيا
ورُبَّ خميس صده عن طلابه وأوقع فيه ما يشيب النواصيا
وقائع أبكاراً اذا ما قصصتها على البطل المغوار خالك هاذيا

اصيب فلم يُقعِدْه عن حومة الوغى جهادٌ يعنّيه ولا الجرح داميا
وما زال حتى قيّد الموتُ كفه يذيق العـدى المستعمرين الدواهيا
فما رأت الأوطان من قبـله فتى أشدَّ على الهيجاء فيها تفانيا
وأعظم اخلاصاً وأنزه غاية وأشرف في رفع المواطن بانيا
ليهنِكَ يوم قل في الدهر مثـله كما قلَّ في الأقوام مثلك ناشيا
بنيت وان كانت حيـاة قصيرة من المجد ما أعيا القرون الخواليا

فلسطين (م)

عبء الشهرة

قال رابندرانات طاقور للسنيور ألدو سوراني عند زيارته الاخيرة لايطاليا:

«ان ايطاليا تزداد في نظري بهجة وجمالا ، وفلورنسا أجمل المدن الايطالية وكنت أفضّل لو زرتها وأنا غير مثقَل بالسنين والشهرة ، إذن لـكان في وسع الفتوة أن تدرك ما يوحيه الشعر الايطالي أكثر مما تستطيعه الشيخوخة . ولكن ليس الحق علي في أني شخت ، وأني أشتهرت

أنا لم أخلق لأطوف العالم بين أصابع تدلُّ الجمهورَ عليَّ ، ولا سيما الجمهور الاوربي ، فان حياتي والغرض من وجودها داخليٌّ

يجتمع الناس ليشاهدوا الشاعر وليسمعوه ، ولو أنهم رأوه وسمعوه لما عرفوه ، لانه يبقى مختبئًا . وكلما ازداد الجمهور عدداً ، وعلا ضجيجه ازداد الشاعر تواريًا في حمى نفسه ، وبقي مجهولا

لست أدرى كيف أتخلّص من عبء الشهرة . . . »

البردى

وطريقة صنعه ، وتاريخه ، واكتشافاته

خلاصة محاضرة الاب لويس ملحة في قاعة المتحف الاسكندري

ما هو البردي؟

البَرْدِي ، ويسميه العرب في بعض مؤلفاتهم « فافيراً » ، هو نبات مائي صلب من الفصيلة السعدية المعروفة بلسان العلم La Famillə des Cypéracées وقيل ان المغاربة يسمونه حفّا. وكان ينمو بكثرة في وادي النيل الخصب ، وخصوصاً في مصر السفلى . وكانت ساق الشجيرة منه رهفة هشة تربى على المترين سموقاً ، وجذعها يبلغ قطر ذراع اليد . وهي ـ أى الساق ـ محاطة بأغشية ورقية لها شكل حربة تنتهي بشبه مظلة زهرية عريضة منحنية قليلاً ، ولها أهداب ذهبية اللون تتخطى غلاف السنبلة.

وقد قسم العشّاب الايتالي الشهير فيليب پارلاتور Parlatore نباتَ البردي الى فصيلتين المصرية والسورية ، فالفصيلة المصرية هي التى كان يكثر نموّها في أسفل وادى النيل قبلا ، لكنها لا توجد اليوم إلا في بلاد الحبشة . أما الفصيلة السورية فهي التى نقلت الى جزيرة صِقِلّية [١] وتختلف عن شقيقتها من بعض وجوه لا طائل لنا من ذكرها الآن.

وتجد في أيامنا نبات هذه الفصيلة نامياً في أنحاء مختلفة من (فلسطين)

---

(١) لايزال ينمو حتى يومنا فى ضواحى مدينة سيراكوزا على حافة النهر المسمى (Cyané) المشهور في التاريخ القديم . وقد يبلغ احيانا طول الشجيرة من هذا النبات نحو ستة امتار علو L'Italie Méridionale Touring Club. Italien, II p. 523

وفي مستنقعات (بحيرة الحولة) وعلى عدوة (بحيرة طبرية) وضفاف الجهة البحرية قرب مدينة (يافا) . وفي سفر أيوب الصديق الذي عاش على الأرجح في القرن السابع عشر قبل المسيح ما يثبت أن البردي ينمو في البطائح المائية والمستنقعات اذ جاء في ف ٨ ع ١١ ما نصه « أينمو البردي فى غير المستنقع » وقد أفاد الاب جلابرت اليسوعي في مقالة شائقة عن البردي نشرتها مجلة المشرق سنة ١٩٠٦ أنه اتخذ عدة جذور من بردى بحيرة الحولة وغرسها في حديقة كلية القديس يوسف في بيروت فنبتت ونمت

وقد أطلق قدماء الكتبة على نبات البردي اسم (نبات مصر القديمة) فذهب بلينوس الى أن البردي نشأ في المستنقعات المصرية وفي مياه النيل التى تركد بعد الفيضان فى أغوار لا تزيد عمقها عن الذراعين وسماه استرابون (نبات البلاد) أما افيديوس فدعا نهر النيل النهر المنبت للبردي Le Fleuve Papyrifier وان على أقدم المدافن المصرية مما يرتقي عهده الى السلالة الخامسة كمدفن فتاح حتب صوراً تمثل عمالاً مصريين يهبطون الى مياه النيل مشمّري الأذيال فيقضبون سوق البردي ثم يعمدون الى شدّها حزماً حزماً ناقلين إياها على ظهورهم وكان قدماء المصريين يستعملون هذا النبات ليس لورق الكتابة فقط كما سنبين ذلك بل لشئون كثيرة كصنع السلال والقفف والأطواف والأسفاط وهذا موسى الكليم لما لم تستطع أمه أن تخفيه عن وجه فرعون أكثر من ثلاثة أشهر على ما فى سفر الخروج ف ٢ ع ٣ أخذت سَفَطاً من بردي وجعلت الولد فيه ووضعته بين الخيزران على حافة النهر . وبين تحف توت عنخ آمون المعروضة فى متحف القاهرة حقة للعطور من الرخام المضلع على أحد جانبيها عروق تمثل زهر البردي رمزاً لمصر السفلى ، وقد وجد في حفريات سقارة الحديثة ٤٨ عموداً من الحجر الجيرى الابيض مصفوفة اثنين اثنين وهي منحوتة على شكل حزم من نبات البردى

﴿ تاريخ البردي ﴾

أول من عرف البردي واستعمله للكتابة المصريون القدماء ، ويوجد في أيامنا هذه من قطع البردي ما يرتقي عهده الى الالف الرابع قبل المسيح على ما يقال أما في خارج البلاد المصرية فتأخر استعماله . وقد روى لنا هيرودوتس في الكتاب ٥ عدد ٥٨ أن اليونان في أيامه كانوا يسمون مدارج البردي «دفاتر» وقبل أن يعرفوا البردى كانوا يكتبون على جلود المعزى والغنم . وكان البردي حتى القرن الخامس قبل الميلاد غالي الثمن في أثينة ، بل نادر الوجود . وقال المؤرخ الالماني كُرْتيوس Curtius ان البردي كان من الأصناف التى شاعت تجارتها في أثينة خلال القرن الخامس قبل الميلاد أيام حكم بريكلس Periclés [1]

ولم يزاحم البرديَّ في بادىء الامر الرَّقُّ الذى ابتدعه أومن Eumène ملك برغامة في القرن الثالث قبل المسيح . ولا عبرة باحجام يهود فلسطين عن استخدام القراطيس البردية للكتابة مدة طويلة ، لما أن التقليد عندهم كان يقضى بأن تسطر الكتب المقدسة كالتوراة على أدراج من الرق [2] ومما تقدم يظهر جلياً أنه قد طاش سهم من عزا اختراع البردي الى زمن غزوات الاسكندر وابتناء مدينة الاسكندرية ، فالبردي كان معروفا في مصر في عهد الفراعنة وقد راجت تجارته أيضاً في بلاد اليونان خلال القرن السادس قبل الميلاد . على اننا لا ننكر أن تأسيس مدينة الاسكندرية قد ساعد على انتشاره واستعماله في الخارج كما سيأتي . وزعم نفر من الكتبة سنداً الى ما شاع في أقوال بعض قدماء المؤرخين

---

(١) انظر Curtius, Histoire Grecque, trad. Borché Leclercq II - p 556

(٢) ان الفرس واليهود كانوا بادىء بدء يكتبون على جلود الحيوانات ، ثم عرف البردي وعم انتشاره واستعماله ، ثم ظهر نوع جديد للكتابة وهو الرق «Parchemin» نسبة الى مدينة برغامة مكان اختراعه ، وما لبث هذا الرق أن شاع استعماله فى كل المملكة الرومانية

أن الملك نوما(Numa)[1] قد ترك عدة مؤلفات فلسفية دينية مخطوطـة على صفائح من البردى ا كتشفت في قبره سنة ١٨١ قبل الميلاد ، الا أن ذلك زعم لا بينة له ولا أساس ، لان في زمن الملك نوما لم تكن بلاد اليونان نفسها قـد عرفت البردى بعد ، اذ قد ثبت اليوم أن بطليموس فيلومتور(Philométor) الشهير بمحب أخيه هوأول من أرسل الى رومية من ورق البردى . وقد أسلفنا أن رواج بضاعة البردى في البلاداليونانية انما كان بواسطة التجار الاسكندريين فلا غضاضة علينا اذاً لو قلنا بأن استعمال البردي عند الرومان قد جاء في بدء زمن انتشار العلوم البيانية عندهم ، وذلك في بهرة القرن الثالث قبل المسيح ، لا قبل ذلك كما زعم هؤلاء.

فكان ذلك داعياً للمنافسة بين تجار الـكتب فى اسكندرية وبرغامة فى عهد أومن الثانى Euméne II فى القرن الثاني قبل الميلاد على رأى بعضهم ، بيد أن هذا لا صحة له فيمايظهر لان استعمال الـكتابة على الرق كان جاريا قبل ذلك العهد بدليل قول هيرودوتس المقدم بيانه . فالصحيح اذا هو أنه منذ زمن تأسيس الجمهورية الرومانية دخلت رقوق برغامة في دائرة الاتجار وكان لها نفس الصعوبة التي كانت للورق البردي بحيث انهم ما كانوا يتمكنون من الكتابة الا على وجه الجلد الداخلي فقط ولذلك كانوا يلفونه بشكل درج [انظر الزهراء ٢ : ص٤٩٩]وقد ذكر يوسيفوس فى كتابه (قدميات اليهود) الكتاب١٢ العدد١١ أنه لما مثل الاثنان والسبعون شيخا أمام بطليموس الفيلادلفى الذي كان قد طلبهم من اليعازر حبرأورشليم لترجمة التوراة من العبرية الى اليونانية قدموا له رجا من التوراة مكتوبا على صفحات من الرق بأحرف ذهبية فلما شاهدها الملك اندهش من هـذه الصفحات ومن احكام انضمام بعضها الى بعض . وظل استعمال الـكتابة على الرق شائعا أيضا في القرون الاولى للميلاد كما يتضح مما كتبه بولس الرسول فى رسالته الثانية الى تلميذه تيموثاوس ف ٤ عدد ١٣ قائلا « احضر معك من عند كربس في ترواس . . . الـكتب وخصوصـا صحف الرق » وقدر بعضهم أن هذه الصحف كانت تحتوى شهادة تثبت جنسيته الرومانية . وكانت صحف الرق عادة ملساء على الوجهين مطوية على أربعة ومغلفة ولصفحاتها أعداد ومجلدة بشكل درج Codex ويظهر أن بدء عادة ابراز الكتب على هذا الشكل يرجع الى زمن الجمعيات المسيحية في القرون الاولى بدليل اننا نرى التوراة برمتها أو أجزاء منها كانت منشورة بهذا الشكل . وممن جرى على ذلك كتبة كثيرون ومنهم ايرونيموس طالع Mommsen Manuel des Antiquités Rom aiues 15 p. 489 s··s

(١) خلف رومولوس ، ملك رومية سنة ٧١٥ قبل المسيح على ما قيل ، وكان مشهوراً

﴿ طريقة صنع البردي ﴾

كانوا يأخذون ساق شجيرة البردي وينزعون منها أولا قشرتها الخارجية تاركين منها لبها فقط ، فكانوا يجزئون هذا اللب طولا ويكوّنون منه الطبقة الاولى ثم يجعلون طبقة اخرى فوقها . ولم تكن هاتان الطبقتان متشابكتين كالأنسجة ، بل كانت الواحدة تعلو الثانيـة ، ثم يعمدون بعد ذلك الى تغميسهما في سائل لمّا يعرف حتى اليوم ، وكانوا بعد أن تنضم الواحدة الى شقيقتها انضماماً لاينفصم يدَعونهما حتى يجفا ، وهكذا تصبح القطعة من البردي صالحة لان يكتب عليها بواسطة مِخْصَرة أو قلم حاد الرأس مشقوقه (١)

أما الحبر فكان يصنع على الغالب من صدأ الحديد أو من قتار الدخان ثم

بالتقى . واقتبس العلوم والمعارف من مطالعة مؤلفات فيثاغوروس ، وكان عهد ملكه طويلا لم يتعكر فيه صفو السلام ، وكان الرومان يكرمونه كواضع لطقوسهم ورتبهم الدينية برمتها وتوفى سنة ٦٧٢ ا نظر Dictionnaire Classique de Biographie, Mythologie et Géographie Anciennes p.421

(١) القلم Calamus لفظة كانوا يطلقونهـا بنوع خاص على القصبة المبرية التي كانوا يغمسونها بالحبر للكتابة وهذا النوع من القصب كان يؤخذ خصيصا من البلاد المصرية على أن من القوم من كان يفضل قصب مدينة كندوس في آسيا الصغرى على ما روى هيرودوتس في الكتاب ٢ العدد ١٧٨ أو قصب بحيرة الاناياتيك (Anaitique) في أرمينية الكبرى . أما بري هذه الاقلام القصبية فكان جاريا عندهم كما هو جار عندنا بواسطة مبراة . وكانوا يضمون هذه الاقلام أو القصبات بعضها الى بعض بحيث يتألف منها حزمة صغيرة يودعونها في محفظة خصوصية. وقد وجدت في هركولانوم قصبـة مبرية ضمن ورقة بردى تصان اليوم فى متحف نابولي. ويرى على رخامة فى ديامس رومية صورة حزمة من الاقلام القصبية منضمة الى الدواة . وقد صنعوا فيما بعد أقلاما من المعدن أو الشبه (برونز) على شكل الاقلام المار ذكرها . أما استعمال أقلام ريش الطيور للكتابة فلم يعلم بدء زمنه ، وكان ايزيد ورالمؤرخ أول من ذكرا ستعمال هذه الاقلام في القرن الثامن بعد المسيح . وترى فى متحف اللوفر المصري عدة مقالم معظمها من الخشب وبعضها من عاج أو حجر وفيها عيون لمزج الحبر الجاف بالماء . ولهذه المقالم طبقات لوضع الاقلام فيها وكثير منها يرتقي عهده الى السلالة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة « انظر معجم العاديات اليونانية ـ الرومانية فى مادة (Calamus) ومعجم الكتاب المقدس للاب فيكور وفى المادة نفسها » ومن تسنى له مشاهدة جدران قبور سقارة وثيبة من

يمدون الى مزجه بالصمغ والماء . وكان من عادتهم لصق الورقة بالاخرى الى أن يبلغ طول قطعة القرطاس من متر الى مترين أحيانا ، ومن ثم يجتمع عندهم درج يطفحونه بالكتابات حتى اذا انتهوا منه يودعونه الخزائن الخاصة والعامة ، أو يصونونه في إحدى المكاتب ، أو يعرضونه للبيع عند باعة الكتب (١)

وقد كان للاوراق البردية جملة أنواع يتمايز بعضها عن بعض بدقة الصناعة والسمك ونصاعة البياض والملاسة واتساع حجم الصحيفة وغير ذلك . أما ثمن القطعة من هذا البردي فكان يعادل أكبر جزء من عرضها

وهاك وصفَ هذه الانواع بحسب تنوع درجاتها :

أولاً — ان الصنف المفضل على سواء بين سائر أصناف البردي هو في الاصل الورق الهياراتيكي (charta hieratica) وكان مخصصاً للكتب المقدسة . وقد سمي بالورق الملكي في زمن البطالسة . على أنه خسر القيمة التي كانت له من قبل بعد أن أحدثوا نوعاً من الورق دعوه ورق أغسطس (Charta Augusta) تيمنا بالامبراطور اغسطس وكان عرضه ١٣ اصبعاً

ثانياً — ورق ليفيه (charta Liviana) دُعي كذلك إكراماً لزوجة أغسطس وكان من حيث العرض كالنوع الذي تقدمه لكنه أقل سماكة منه وأنعم

ثالثاً — ان الورق الهياراتيكي قد أضحى في عهد المملكة الرومانية في ثالث درجة بالنسبة الى غيره وذلك بعد التحسن الذي أدخل على ورقي أغسطس وليفيه . وبينما كان هذان النوعان آخذين في الاشتهار من حيث دقة الصناعة

الداخل يقع نظره على رسوم تمثل قدماء المصريين يحرسون القطعان ويحرثون الارض ويدرسون الحبوب ويطحنون الحنطة ويشوون الآجر ويجرون التماثيل وبينهم رجل قاعد القرفصاء والقلم على اذنه أو على الكاغد ذلك الرجل هو الكاتب الذي أقامه الفراعنة ليدون بالقلم في اضبارة خصوصية من البردى ما يصنعه هؤلاء العملة

(١) طالع Alexandréa ad Aegyptum للعلامة براتشيا صفحة ١٦١

كان الورق الهياراتيكي باقياً على حاله ولم يبلغ عرضه أكثر من ١١ اصبعاً رابعاً — الورق المرسحي (charta amphitheatrica) كان يصنع في مصنع مجاور لمرسح الاسكندرية وكان عرض الصحيفة منه بحجم تسع أصابع وقد شاع جداً . غير أن فَنيوس (Fannius) قد أنشأ في ذلك العهد مصنعاً فى رومية استقدم له من الاسكندرية كمية من الورق المذكور فكان يزيد في تحسينه وتكبير حجمه حتى يصبح من أجود الأصناف . وبذلك فقد اسمه الأصلي .

أما بقيـة أصناف البردي الاحط قيمة فمنها أولا : الورق الصاعي (Charta Saitica) نسبة الى Saïs صاع الحجر اليوم[1] حيث كان يصنع ، ولم يكن له من القيمة ماكان للنوع السابق لانه من نفاية البردي ، والراجح أن ورق صاع الحجر التى كان يكثر فيها نمو البردي كان ينتقى منه النوع الأجود ويرسل الى الأسواق لبيعه بابخس الأثمان ، ولذلك لم يكونوا يطرقونه لقلة الاهتمام به

ثم الورق الطائي (Charta Taeonotica) ، اتخذ اسمه من حي قريب من الاسكندرية ، وكان هذا الصنف من الورق يصنع من ألياف البردي وعروقه الاقرب الى القشرة . وهو أسمك وأقسى من سائر الانواع كافة . وكانوا يبيعونه بالوزن لا بحسب الصنف . ولعل عرضه يقرب من ٦ — ٨ أصابع .

بقي الورق (الامپورتيكي Charta Emporetica) وهو ورق السوق الذى كانوا يستعملونه للف البضائع وما شاكلهـا ، وعرضه ست أصابع

ولقد ذكر ابزيدور المؤرخ نقلا عن سيوطونوس (Suétone) صنفاً آخر من ورق البردي سماه الورق الكورنيليانا (Charta Corneliana) نسبة الى

---

(١) صاع الحجر مدينة كبيرة من مدن الدلتا كانت فى العصور الخالية عاصمة مصر السفلى وقد شيد فيهـا الفراعنة قصورا وقبورا لا تزال بقاياها ترى الى الآن وذكرها هيردوتس فى الكتاب الثانى العدد ٢٨ و ٥٩ .

كرنيلوس غالوس (Cornelius Gallus) والي مصر في عهد أغوسطوس ، ولما لم يرد ذكر لهذا الورق في لائحة بلينوس وقد ضرب ايزيدور المومى اليه عن ذكر الورق المرسحي ، ساغ لنا التقدير اذاً بان هذين النوعين من البردي المختلفين اسماً هما واحد . ومات هذا الوالي منتحراً في منفاه وعليه فلا يبعد أن الورق الذي دعي باسمه كما تقدم اندثر ذكره وتلاشى بموت سميه . على أن المصنع الذي أنشأه في الاسكندرية على مايظن استمر في مواصلة عمله . وهكذا يتضح لنا أن رومان فانيوس (Romain Fannius) كان يزيد هذا النوع من البردي اتقاناً وإحكاماً

وقد علق الامبراطور كلوديوس فيما بعد اسمه أيضا على صنف جديد من الورق لأن ورق أغوسطوس رغما عن نفاسته لايصلح في بعض الحالات للكتابة عليه نظراً لزيادة نعومته بحيث لو كتب عليه لجاوز الحبر الصفحتين فيصبح من المتعذر والحالة هذه الكتابة على الصفحة الاخرى اذ من المعلوم أن المخطوطات المكتوبة على الوجهين وتدعى باصطلاح العلم Les Manuscrits Opistographes لم تكن قليـلة يومئذ ، ومن ثم اصطنعوا في عهد كلوديوس قيصر ورقا أمتن وأسمك جعلوه بعرض القدم ، وما لبثوا أن جربوا إبلاغه عرض الذراع ، لكنهم عدلوا عن ذلك لغاية لا نعلمها ، وما كانوا يكتبون على الصفحة العادية العرض سوى عمود واحد فقط بعكس ما كانوا يجرون عليه في الأوراق الكبيرة الصفحات ، فان هذه كانوا يرسمون فيها عدة أعمدة متوازية ، وتلك هي الغاية التي كانوا يرجونها منها . وكان لورق كلوديوس من هذا القبيل المقام الأول بين الاوراق الكبيرة الحجم ومع ذلك ظلوا يفضلون للمراسلات الورق الاغسطي أو القيصري على سواه لان نعومته كانت تجعله أنيق الشكل جميل المنظر (١)

(١) معجم العاديات اليونانية الرومانية مادة (Papyrus) ومنه أخذنا معظم هذه البيانات

﴿ الاكتشافات البردية ﴾

أول الاكتشافات البردية الاكتشاف الذي جرى في انقاض هركولانوم[١] بين سنة ١٧٥٢ — ١٧٥٤ فقد عثر هناك على قماطير بردية وفيرة لكنها لسوء الحظ وجدت كلها مفحمة وكانت خاصة بحكيم من الابيقوريين وهي اليوم في متحف نابولي ، وقد أعمل الاخصائيون الفكرة في هذه البرديات لعلهم يتوصلون الى ادراك ما فيها فكان نصيبهم الفشل . هذا هو الاكتشاف الوحيد خارج مصر

أما في وادي النيل فكانت باكورة الاكتشافات البردية في مدينة الفيوم سنة ١٧٧٨، حيث عثر المنقبون على خمسين درجاً من البردي مسطرة كلها باليونانية ، فابتاع درجا منها أحد الاوربيين ولا يزال محفوظا الى اليوم في متحف بورجيا في رومية ، وقد نشر بالطبع في السنة عينها لكن بقية الادراج المذكورة تحولت برمتها الى رماد . ولم تأخذ القراطيس البردية بالانتشار في متاحف باريس ولندن وغيرهما من المدن الاوربية الا ابتداء من سنة ١٨٢٥ وما يليها ، وكان عرضهم لها في المتاحف والدور العلمية في باديء الامر بمثابة تحف ثمينة ، غير مبالين بطبعها ونشرها ليستفيد منها أهل العلم والأدب

أما سنة ١٨٧٧ فقد فاقت غيرها من حيث تعدد اكتشافات القراطيس البردية اذ أن مقداراً كبيراً من هذه القراطيس التي رفع الغطاء عنها في ارسينوى بجهات الفيوم قد جمّلت مجموعة الارشيدوق (Renier) في ڤينا ، وهذا ما حدا منذ ذاك الحين بأرباب المتاحف العمومية ورؤساء المحافل العلمية لبذل قصارى الجهد في سبيل استخراج تلك الكنوز الادبية من بين أنقاض بقايا المدن الخربة ، وما هو الا أن أخذت الاكتشافات غير المنتظرة تتوالى من حول الى حول ،

---

(١) احدى مدن كنبانيا (Campanie) موقعها قريب من شاطيء البحر بين نابولي وپومبي دمرها جبل النار سنة ٧٩ للمسيح مع پومبي وستابياس (Stabies)

وهذه الجمعية الانجليزية المدعوة Egypt Exploration Fund قد طفقت منذ حوالى سنة ١٨٨٢ تدخل على طرق التنقيب والحفر قواعد علمية حديثة تمكنت بواسطتها من العثور على قطع مختلفة من البردي ، وهي تنشر في لندن تقريراً سنوياً عن أعمالها وحفرياتها. بيد أن أخطر وأهم تلك الاكتشافات البردية وأشدها وقعاً فى نفوس أقطاب العلماء هو الاكتشاف الذي حدث فى مدينة البهنساء وهي Oxyrthynchus القديمة [1] فان استخراج المقاطع الاولى من رمال تلك الجهات كان في ١٢ يناير سنة ١٨٩٧ ومذ ذاك التاريخ انفتح عهد جديد بوجه الاكتشافات البردية بحيث أخذت تبرز للوجود على وجه الاستمرار . ومن الغريب أن عدة قراطيس منها وجدت في قلب مدافن بشرية وقبور بعض الحيوانات المقدسة كالتماسيح والهررة والكلاب مما يرتقي زمنه الى عصر البطالسة ، وجرت العادة عندهم أن يغطوا المومياء أو الجثة (بكرتون) مصنوع من قماش أو جبس أو من نفاية القراطيس البردية . وكم كان اعجاب العلماء كبيراً بهذه الاكتشافات وجمع بدائعها ، ولا سيما عند وقوفهم على مضامين هذه البرديات التى تنمّ عن سلسلة لا مثيل لها من الوثائق العلمية والادبية التى كان يظن أنها قد عبثت بها أيدي الادهار . فقد أومأت هذه الوثائق الى أحوال الامم الخالية في الديار المصرية بين عصري اليونان والرومان وطرق معيشتهم فى تلك الاحقاب

(١) موقع مدينة البهنساء كائن على حدود صحراء لوبياء . و هذه المدينة تبعد عن القاهرة نحو ١٨٠ كيلو متراً جنوبا واسمها مشتق من كلمة (Oxyrhynque) وهي اسم سمكة من نوع السمك المدعو (Mormyre) بالافرنجية وكان لاهل تلك المدينة نوع من العبادة لهذه السمكة وروي بلوتارخوس أن قد نشبت حرب مرة ما بين سكان البهنساء وجيرانهم أهل كينوبوليس عبدة الكلاب لما أن هؤلاء أكلوا من نوع السمك الذي تقدم ذكره فحنق عليهم أهل البهنساء وأخذوا كلابا فذبحوها وأكلوها ، الامر الذي دعا الجنود الرومانية الى الفصل بين الفريقين المتمادين . وبعد انتشار النصرانية أضحت البهنسا مدينة نسكية فكان فيها لا أقل من ١٢ كنيسة يحيط بها عدد عديد من الاديرة والصوامع وقيل ان الابرشية التابعة لهذه المدينة كانت حافلة في القرن الخامس للميلاد بعشرة آلاف راهب واثني عشر الف راهبة.

أما العلوم التى استفادت ـ بنوع خاص ـ من هذه القراطيس اليونانية ـ واللاتينية منها لا تزال حتى الآن نادرة الوجود ـ انما هو علم اللغات والتاريخ القديم وتاريخ الحقوق وعلم الكلام

ومن الاكتشافات البردية الخطيرة الاكتشافات المتوالية التي أجراها المنقبون في جزيرة اليفنتين في أسوان فانهم عثروا هناك مع توالي السنين ليس فقط على مدارج بردية يونانية ، بل على أضابير كثيرة آرامية يرتقي عهد البعض منها الى القرن الخامس قبل الميلاد ، فتهافت العلماء على دراستها وفك رموزها ، فتبين لهم أن في سطورها ما يثبت وجود مستعمرة يهودية في تلك الجزيرة يتكلم أهلها اللغة الآرامية التي كانت أيضاً لغة ديوان ملوك الفرس الحخمانيين الذين بسطوا ولايتهم على الديار المصرية كافة في ذلك العهد السحيق ، وقد كان لسكان تلك المستعمرة هيكل هناك لاقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية . وذهب العلامة اوتنج Euting الى أن الملك دارا الذي ورد اسمه في أحد هذه المدارج البردية هو دارا الثاني الذى توافق السنة الرابعة عشر للملك سنة ٤١٠ ـ ٤١١ قبل المسيح وفى متحف القاهرة عدد من هذه المدارج البردية [١] .

ولعل سائلا يسأل : متى جاءت هذه الجالية اليهودية الى أسوان وضواحيها واستعمرتها ؟ الجواب : ان ذلك لا يزال من الامور الغامضة التى لم يزح العلماء الستار عنها حتى الآن. انما الذي نعلمه ـ على ما أنبأنا سفر أرميا النبي ـ هو أن غزوة نبو خذ نصّر ملك بابل لاورشليم دفعت كثيرين من اليهود الى المهاجرة الى الديار المصرية ، ومن هؤلاء أيضا من لم ينتظر وقوع حصار أورشليم فهاجروا قبله الى الديار المذكورة على ماقيل . وجاء في تقليد قديم ان الفرعون بساماتيك الذي تولى الملك من سنة ٥٩٤ الى سنة ٥٩٨ قبل المسيح كان بين جنوده ـ عند

(١) انظر مقالة العلامة Clermont Canneau فى Revue Critique 1906 والمجلد ٦ من كتابه Recueil d'Archéologie Orientale صفحة ٢٣٠ وما يليها

ما شن الغارة على الحبش ـ عدد من اليهود ، وهذا يحملنا على القول ان الفرعون نكو قد جاء بهؤلاء اليهود الى مصر عند عودته من غزوة فلسطين ومعه يوآحاذ ملك يهوذا (ملوك ٤ ف ٢٣ ع ٣٤) فأقطع اولئك النزلاء أرضاً واسعة في جنوب مصر حيث أنشأوا لهم مستعمرة فطفقوا يحرثونها ويزرعون فيها الحبوب ويبادلون أسوان بالتجارة وزاد مركزهم تحسناً لما استولى الفرس على المملكة المصرية لان ثقة الفرس باليهود كانت كبيرة لاسباب لا نرى داعياً الآن لسردها[1]

ومن الاكتشافات البردية الآرامية أيضا ما لا يقل خطورة عن الاكتشاف السابق ذكره : ثلاث قطع عثر عليها المسيو كيبل Quibell أحد موظفي المتحف المصري فى القاهرة في مقبرة ممفيس القديمة وهي (البدرشين) اليوم . وقد نشر ما جاء فى هذه القطع المسيو جيرون (Giron) في المجلة الاسيوية Journal Asiatique عدد يوليو ـ سبتمبر سنة ١٩٢١ صفحة ٥٦ وما يليها . وعلى رأي هذا العلاّمة هناك أن قبيلة سامية ـ لا يهودية ـ قد اتخذت ممفيس مسكنا في القرن الخامس قبل الميلاد أيام حكم الفرس في البلاد المصرية ، وأن هؤلاء الساميين القاطنين ممفيس يومئذ كانوا يتمتعون بنفس الامتيازات التى كان يتمتع بها يهود جزيرة اليفنتين ، وكان لهم على الأرجح نظام استقلالي أشبه بنظام جاليات الافرنج فى الشرق فى القرون الوسطى

ومتحفنا الاسكندرى يمتلك مجموعة كبرى من القراطيس البردية اليونانية ، منها ما يرتقي الى عهد البطالسة ، ومنها الى العهد البيزنطي ، لكن مجموعة القراطيس القبطية فيه ليست غنية بهذا المقدار لو قابلناها بمجموعات انكلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها . والفضل في تنظيم هذه القراطيس وتنسيقها فى أوضاعها للعلامة براتشيا الذي ما انفك منذ تولى ادارة المتحف الإسكندرى جاهداً نفسه معملا بصيرته لجعله فى مصاف المتاحف الكبرى ، وهذه مؤلفاته وكتاباته شاهدة له بذلك

(١) اطلب Mélanges d'histoire religieuse par le R.P.Lagrange p - 7

الشاعر

هبط الوحيُ عليهِ من سماوات الخيالِ
في الظلامِ
وأضاءتْ جانبيهِ ربةُ السحرِ الحلالِ
في الكلامِ
خرَّ يبكي ، وله ـ لما تجلَّتْ ـ صعقاتْ

*

قد وَعى سرَّ الوجودِ ومعاني العدمِ
في غشْيَتِهْ
فروَى بيتَ قصيدٍ من عيونِ الحكمِ
في صحوتِهْ
نظمتْه زفراتٌ ، قطَّعتْه شهقاتْ

*

هتكتْ عن ناظريهِ مُسدَلاتُ الحجُبِ
والستورِ
فجرى عن أصغريهِ غيرُ ما في الكتبِ
من سطورِ
صُوَرٌ عُلويَّةٌ مثَّلَها بالكلماتْ

* * *

ظلَّ يرنو للسماءِ واحمرارِ الشفَقِ
ويقولُ :

ذا نجيعُ الشُّهَداءِ شاهدٌ في الافقِ
لا يزولُ
فعليهم أعينُ السحبِ تُريقُ العبراتْ

*

نسماتُ الريح ثَكلى لانَي تنتحبُ
في أساها
ووميضُ البرق ليلا جمرةٌ تلتهبُ
في حشاها
أو فؤادٌ بينَ جنبيها شديد النزوات

*

هزَمَ الرعدُ فقالا : ذا صُراخُ البائسينا
فاعطفوا
ودَجا الليـل وطالا وهو عسفُ الظالمينا
فارأفوا
وانكشِفْ ياليلُ إنَّ الرعدَ أمسى صَرخاتْ

***

صوَّبَ الطرفَ بروضٍ باسمٍ زاهٍ وسيمْ
فبكى
قائلاً ـ والجفنُ مغض ـ : هاهنا صبٌّ وريمْ
هلكا
قدُّها والقلبُ منه غُصنٌ ذو زهراتْ

*

علقتْ كفٌّ بكفٍّ والتقى خدٌّ وخدّ

في التراب

يالهُ قلباً يرِفّ وضلوعاً تتّقِدْ

بالتهاب

ونفوساً قد زكتْ في الزهر منها عبقاتْ

***

أخذ الناي وأدنى فمَهُ ثم نفخْ

فيه روحَهْ

فأذابَ النفسَ لحنا ومن الجسم انسلخْ

كي يُريحَهْ

هكذا تذهب أنفاسُ المغنّى حسراتْ

خليل مردم بك

من أسباب عظمة أمريكا

* أنها تنفق وحدها على التعليم بقدر ما ينفق عليه العالم كله مجتمعاً

* وأنها تحاشت الاصطدام بين رأس المال والعمل : فوفّقت بينهما ، وجعلتهما شريكين في المنفعة

* وأنها أقامت دستورها على قواعد ثابتة بعد تفكير طويل في جعله موافقاً لروح شعبها وحاجته ، فلم تضطر بعد ذلك الى الالحاح عليه بالتغيير والتعديل كالدساتير الاخرى التى صارت لكثرة التغيير فيها كالبنايات المهشمة المهدمة

* وأهم أسباب عظمة أمريكا الاتحاد العادل بين ولاياتها ورفع الحواجز الجمركية فيما بينها والتعاون على ما فيه مصلحة أقطارها

طريقة الصوفيه السائرين

ورجالها وكتبها المعتمدة

قبل الخوض في ذكر رجالها وكتبها المعتمدة ينبغي أن نبين أولا معنى طريقة الرياضة والمجاهدات ـ التي هي طريقة الصوفية السايرين ـ وكيف يكون الوصول اليها والحصول عليها، فنقول :

ان طريقة الرياضة والمجاهدات لا تتحقق الا بأربعة وهي : صحة الايمان بعقوده وشروطه، والتوبة النصوح، والزهد، وتحقيق مقام العبودية الذى هو القيام بدوام العمل له ظاهراً وباطنا. فهذه أربعة يستعان عليها بأربعة اخرى بها تمامها وقوامها وهي : قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، والاعتزال عن الناس. وبعبارة اخرى هي الصمت، والجوع، والسهر، والعزلة. واتفق المشايخ والعلماء الزاهدون على أن الأربعة الاولى بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال وبها صار الابدال ابدالا بتأييد الله وحسن توفيقه. ويتبين أن سائر المقامات تندرج في صحة تلك الأربعة التي ذكرناها أولا، ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها

وبيان ذلك مجملا أن (التوبة) أصل كل مقام وقوامه، ومفتاح كل حال، وبمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له. ومن تحقق بالتوبة النصوح فقد جمع حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ، وهي أحوال ثلاثة تتقدم التوبة، وجمع مخالفة النفس والتقوى والمجاهدة ورؤية عيوب الأفعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجاء. واذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها فيحصل الزهد. والزاهد يتحقق فيه التوكل، لانه لا يزهد في الموجود، الا لاعتماده على الموعود. والسكون الى وعد الله تعالى هو عين التوكل. وبما ذكرناه ـ من التوبة وما جمعته، ومن

الزهد وما تحقق فيه ، ومن القيام بدوام العمل له تعالى ظاهراً وباطناً مع الصمت والجوع والسهر والعزلة - فُهم معنى طريق الرياضة والمجاهدات الذي هو طريق الصوفية

وحيث قد ذكرنا أن الأربعة الاولى بها تستقر المقامات وانها تندرج في صحتها وان من ظفر بها ظفر بالمقامات كلها وبينا ذلك مجملا ، فلنبين كيفية ذلك مفصلا مع الايضاح . ولنبدأ ببيان كون التوبة النصوح تجمع ماذكرناه آنفاً من حال الزجر والانتباه الى الخوف والرجاء فنقول : ان التوبة النصوح لا بد في ابتدائها من وجود زاجر ، ووجدان الزاجر حالٌ وهو موهبة من الله تعالى على ما قرروا أن الأحوال مواهب و(حال الزجر) مفتاحُ التوبة ومبدأها . فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالى ، ولا بد من وجودها للتائب . ثم بعد الانزجار يجد العبد (حال الانتباه) . قال بعضهم : من لزم مطالعة الطوارق انتبه . واذا انتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه الى (التيقظ) وهو تبيان خطأ المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة ، فاذا تمت يقظته عرف أنه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع الى باب توبته وينتقل بذلك الى مقام التوبة * فهذه أحوال ثلاثة وهي : حال الزجر ، وحال الانتباه ، وحال التيقظ تتقدم التوبة . وقد سئل السوسي عنها فقال : التوبة من كل شيء ذمّه العلم الى ما مدحه العلم . وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس . وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام . وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن لتطهير الظاهر والباطن بأخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها ، وقال أبو الحسين النّوري : التوبة أن يتوب عن كل شيء سوى الله تعالى

ثم ان التوبة في استقامتها تحتاج الى (المحاسبة) فلا تستقيم التوبة الا بالمحاسبة والمحاسبة عندهم تكون بحفظ الأنفاس ، وضبط الحواس . ورعاية الأوقات ، وايثار المهمات . وبعلم العبد أن الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الخمس فى اليوم والليلة رحمة منه لعلمه بعبده واستيلاء الغفلة عليه كيلا يستعبده الهوى وتسترقه الدنيا . فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس الى مواطن العبودية لاداء حق الربوبية ، وبعلمه بذلك يراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة الى صلاة أخرى ، ويسد مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ، ولا يدخل فى الصلاة إلا بعد حل العُقد عن القلب بحسن التوبة والاستغفار ، لان كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكت فى القلب نكتة سوداء وتعقد عليه عقدة ، والمتفقد المحاسب يهيء الباطن للصلاة بضبط الجوارح وتحقق مقام المحاسبة فيكون عند ذلك لصلاته نور يشرق على أجزاء وقته الى الصلاة الاخرى ، فلا تزال صلاته منورةً تامة بنور وقته ووقته منوراً معموراً بنور صلاته . ولذا كان بعض المحاسبين يكتب الصلاة فى قرطاس ويضع بين كل صلاتين بياضاً وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو أمر آخر خط خطاً ، وكلما تحرك أو تكلم فيما لايعنيه نقط نقطة سوداء ، ليعتبر ذنوبه وحركاته فيما لا يعنيه ليضيق بالمحاسبة مجاريَ الشيطان والنفس الامارة بالسوء لموضع صدقه في حسن التفقد وحرصه على تحقيق مقام العبادة ، وهذا مقام المحاسبة

وكذا (المراقبة) ملازمة لصحة التوبة وصحة التوبة ملازمة لها ، وهي أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائما أو مراعاة السر لملاحظة الحق فى كل لحظة ولفظة ، وهذا علم القيام . وبذلك يتم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان. وهو أي علم القيام أن يعلم معيار حاله فيما بينه وبين الله . وبيان كون المراقبة ملازمة لصحة التوبة وصحة التوبة ملازمة لها أن الخواطر ـ وتسمى

حديث النفس ـ مقدمات العزائم ، والعزائم مقدمات الاعمـال ، لأن الخواطر تحقق ارادة القلب والقلب أمير الجوارح ، ولا تتحرك الجوارح الا بحركة القلب لا بالارادة . والمراقبةُ حسمُ موادّ الخواطر الردية فصار من تمام المراقبة تمام التوبة لان من حصَر الخواطر كُفى مؤنة الجوارح ، اذ بالمراقبة استئصال عروق إرادة المـكاره من القلب ، ولذلك قال أبو عثمان المغربي : أفضـل ما يلزم الانسان في هذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسة العمل بالعلم . وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط أحدهما بالآخر أن يتوب العبد ثم يستقيم فى التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً ثم يرتقي من تطهير الجوارح عن المعاصي الى تطهير الجوارح عما لا يعنى فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم تنتقل الرعاية والمحاسبة من الظاهر الى الباطن وتستولى المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن من رعاية الخطرات عصم من مخالفة الاركان والجوارح وتستقيم توبته ومن تاب أمره الله تعالى بالاستقامة فى التوبة . قيل لا يكون المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولـكن الصادق التائب بالنادر اذا ابتلى بذنب ينمحي أثر الذنب عن باطنه في ألطف ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك ، والندم توبة ، فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً

وكذلك (الرعاية) من ضرورة صحة التوبة ، وهي صيانة وحفظ . قال الحافظ الـكبير شيخ الاسلام الهروي : « الرعاية صون بالعناية . وهي على ثلاث درجات : الدرجة الاولى رعاية الاعمال ، والثانية رعاية الاحوال ، والثالثة رعاية الاوقات . فأما رعاية الاعمال فتوفيرها بتحقيرها والقيام بها من غير نظر اليها واجراؤها على مجرى العلم لا على التزين بها . وأما رعاية الاحوال فهي أن يعد الاجتهاد مراياة ، واليقين تشبعاً ، والحـال دعوى . وأما رعاية الاوقات ، فأن

يقف مع كل خطوة ، ثم أن يغيب عن حضوره بالصفاء من رسمه ، ثم أن يذهب عن شهود صفو صفوه » انتهى أما قوله « صون بالعناية » فمعناه حفظ بالاعتناء والقيام بحق الشيء الذى يرعاه ، ومنه راعي الغنم . وأما قوله « رعاية الأعمال فتوفيرها بتحقيرها » ان التوفير سلامة من طرفى التفريط بالنقص والافراط بالزيادة على الوجه المشروع فى حدودها وصفاتها وشروطها وأوقاتها ، وان تحقيرها هو استصغارها فى عينه واستقلالها بان يراها قليلة لا كثيرة ، وانما يليق بعظمة الله وجلاله وحقوق عبوديته أمر آخر وانه لم يوفه حقه . وأما « القيام بها » فهو توفيتها حقها وجعلها قائمة كالشهادة القائمة والصلاة القائمة والشجرة القائمة على ساقها التي ليست بساقطة . وقوله « من نظر اليها » أي من غير أن يلتفت اليها ويعددها ويذكرها مخافة العجب والمنة بها فيسقط من عين الله ويحبط عمله . وقوله « وأما رعاية الأحوال فهي أن يعد الاجتهاد مراياة واليقين تشبعاً والحال دعوى» معناه أن يتهم نفسه فى اجتهاده أنه راءى أو رايا فلا يطغى به ولا يسكن اليه ولا يعتد به وأن يعد اليقين تشبعاً حيث أن التشبع هو افتخار الانسان بما لا يملكه ، ومنه ما قيل : المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور . وأما عده « الحال دعوى » أي دعوى كاذبة اتهاماً لنفسه وتطهيراً لها من رعونة الدعوى ، وتخليصاً للقلب من نصيب الشيطان . وكذلك القلب الساكن الى الدعوى مأوى الشيطان . وقوله « وأما رعاية الأوقات فان يقف مع كل خطوة ثم أن يغيب عن حضوره بالصفاء من رسمه ثم أن يذهب عن شهود صفو صفوه » معناه أن يقف مع حركة ظاهره وباطنه بمقدار تصحيحها نيةً وقصداً وإخلاصا ومتابعة ، فيقف قبل الخطو حتى يصحح الخطوة ، ثم ينقل قدم عزمه فاذا صحت له ونقل قدمه انفصل عنها ، وقد صحت الغيبة عن شهودها ورؤيتها ، فيغيب عن شهود تقدمه بنفسه ، فان رسمه هو نفسه . فاذا غاب عن شهود نفسه وتقدمه بها في كل خطوة فذلك عين

الصفاء من رسمه الذي هو نفسه ، فعند ذلك يشاهد فضل ربه . هذا مؤدى ماذكره الحافظ ابن القيم على قول الهروي المذكور . ومنه يتبين أن الرعاية من ضرورة صحة التوبة . قال الجنيد « من حسنت رعايته دامت ولايته »

واذا تحققت الرعاية والمراقبة تحققت (التقوى) التى هي جماع كل خير بالضرورة ، وهي التحرز بطاعة الله عن عقوبته أي اتقاء الشرك ثم اتقاء المعاصي والسيئات ثم اتقاء الشبهات ثم بعده ترك الفضلات . أو أن يترك الذنوب كلها على ما قاله سهل التُسْتَري . أو مجانبة ما يبعدك عن الله على ما قاله أبو عبد الله الروذباري . أوأن لا يدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعلالات ويكون واقفاً مع الله موقف الاتفاق على ما قاله ذو النون المصري . أو عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله على ما قاله طلق بن حبيب . قال النصرأباذي « من لزم التقوى اشتاق الى مفارقة الدنيا » وقال الجريري «من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة » وقال بعضهم : من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا

ولها ظاهر وباطن : فظاهرها محافظة الحدود ، وباطنها النية والاخلاص

هذا واذا صحت التوبة صحت (الانابة) والرجوع . قال ابراهيم بن أدهم « اذا صدق العبد فى توبته صار منيبا » لأن الانابة ثاني درجة التوبة . وقال أبو سعيد القرشي « المنيب الراجع عن كل شيء يشغله عن الله الى الله » والمنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه فيرجع اليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شبحاً لا وصف له قائما بين يدي الحق مستغرقا في عين الجمع

وهذه الثلاثة وهي (مخالفة النفس) و (رؤية عيوب الافعال) و (المجاهدة) تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة . قال أبو سليمان «ما استحسنت من عمل نفسي شيئا فأحسبته » وقال أبو عبد الله السّجْزي « من استحسن شيئا من أحواله في

حال إرادته فسدَت عليه إرادته إلا أن يرجع الى ابتدائه فيروض نفسه ثانيا . ومن لم يزن نفسه بميزان الصدق فيما له وعليه لا يبلغ مبلغ الرجال » . ورؤية عيوب الافعال من ضرورة صحة الانابة ، وهو في تحقيق مقام التوبة ، ولا تستقيم التوبة الا بصدق المجاهدة التي هي فطم النفس عن المألوفات ، وحملها على خلاف هواها في عموم الاوقات

ولا يصدق العبد في المجاهدة الا بوجود (الصبر[1]) وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد الخواطر . وهو ـ أي الصبر ـ ينقسم الى فرض ونفل ، فالفرض كالصبر على أداء المفترضات وكالصبر عن المحرمات ، والنفل كالصبر على كتمان المصائب والأوجاع ، وترك الشكوى ، والصبر على الفقر وعلى كتمان المنح والكرامات ورؤية القدَر والآيات

ووجوهُ الصبر فرضاً ونفلا كثيرة ، وكثير من الناس يقوم بهذه الأقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفي الخواطر. فاذن حقيقة الصبر كائنة في التوبة ككينونة المراقبة في التوبة . قال بعض العلماء أي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله في كلامه في نيف وتسعين موضعاً وما ذكر شيئاً بهذا العدد . ومن الصبر الصبرُ على التوبة وهو أن لا يصرفها في معصية الله . وهذا أيضاً داخل في صحة التوبة . وكان سعد التستري يقول « الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء » وروى عن بعض الصحابة « بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر »

القدس

خليل الخالدي

(١) لا نعرف كتابا بسط فيه الكلام على (الصبر) ولا سيما من وجهة التصوّف المستنبط من أصول الشرع الاسلامي مباشرة ككتاب (عدة الصابرين لابن القيم)

النبي محمد

(صلى الله عليه وسلم)

هدَّمْتَ أوهامَ القديمِ محرّراً أيقالُ دينُكَ ملؤه الأوهامُ
وشرعتَ للعقلِ الحكيمِ سياسةً ضمنتْ بقاءَ جلالها الأيَّامُ
بُنيتْ على النفعِ الأتمّ وكلّ ما للعلمِ ، فالعلمُ الصحيحُ قِوامُ
عقلٌ كعقلكَ لن يُبيحَ جهالةً أبداً ، فكم سطعتْ له أحكامُ
الشَّمْسُ بعضُ شعاعِهِ ورُوائِهِ وله على سُرُرِ الضياءِ دوامُ
تمضي القرونُ ولن يزول حديثُه فحديثه الاشعاعُ لا الاظلامُ
تفسيرُهُ شرْحُ الذي يقضي به العلمُ والإبداعُ والاقدامُ
ياهادمَ الأصنامِ دينُكَ قَدْرُهُ أن لا تمتَّ لوحيِهِ الأصنامُ
بين الذين تعصّبوا وتقهقروا وحجاكَ ياعَلَمَ الشُّعوبِ خصامُ!
هم يحسبون الدّهرَ ليس بسائرٍ ودليلُ شرعكَ للزمانِ إمامُ
آياتُهُ بنَت الفخارَ ولم تزلْ تَسَعُ الذي ترضى به الأفهامُ
مَنْ أنكر العِلمَ الصّحيحَ فدينُهُ وهْمٌ ، وليس لمثلِهِ إسلامُ!

ابو شادي



شرقيتنا

ان الشرقي ينبغي له أن يبقى شرقيا ، وأن يحتفظ بعاداته وأذواقه وأزيائه وكل مايبعده عن الذوبان في غيره الا اذا صادم ذلك مصلحة متحتمة أو علما ثابتا

الامير شكيب أرسلان

بمناسبة المولد النبوى الشريف

فاضل مسيحي يقترح اعادة بناء النهضة الاسلامية

كتب الرصيف الفاضل نجيب افندي نصّار صاحب جريدة (الكرمل) التي تطبع في حيفا مقالة بمناسبة المولد النبوي الشريف بناها على معنى الآية القرآنية « وإنك لعلى خلق عظيم » فجاء فيها بالبدائع التي لانستكثرها عليه . واننا ننقل فقرات منها لتكون عنوان اعجابنا بالروح النبيلة التي دفعت هذا الفاضل المسيحي الى أن يكون أوفى لقوميته واكثر إخلاصا لتاريخها من كثيرين ولدوا في البيوت الاسلامية فجاءت بهم أمهاتهم أفاعيَ وثعابين يعملون للشر ، لا لرفع مستواهم القومي بين أمم البشر . قال السيد نصّار اكثر الله في العرب من امثاله :

« لو لم يكن خُلُق محمد عظيما لَما اصطفاه الحقّ لينزل عليه شريعته في كتاب جمع علوم السياسة والاخلاق والاجتماع

« لو لم يكن خلقُ محمد عظيما لغلب عليه محيطه بما كان فيه من عادات وعصبيات قوية وفساد اخلاق وضلال مبين كعبادة الاصنام

« لولم يكن خلق محمد عظيما لضَعُفَ أمام ما اعترضه من العقبات ، ولرأى نفسه مضطراً الى مجاراة محيطه ، ولما قويَ على إحداث ما أحدثه من الانقلاب العظيم : فبدّل الضلال بالهدى ، والجهل بالعلم ، والهمجية بالمدنية القائمة على أسس الاخلاق القويمة

« نعم لو لم يكن محمد على خلق عظيم لما دنا منه أحد ، ولما أصغى اليه أحد ، ولما تحرّر العرب من عبودية الفرس والرومان ، ولما اجتمعت كلمتهم ، ولما قام ملكهم ، ولما أزهرت مدنيتهم ، وأينعت علومهم ، ولما رأينا أتباعه من البشر الذين يصلّون عليه ويسلّمون – يعدّون بالملايين

« وعندنا أنه حرام على علماء المسلمين إذا قعدوا ولم يطوفوا المدن والقرى

معلّمين ومبشرين ومفسّرين ، ليفتحوا عيون الناس ، وينوّروا عقولهم ، فيحتفلون بعيد مولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عن بيّنة وعلم وتقدير ، ويجعل العربُ عيده عيداً وطنياً قومياً يشترك فيه النصرانى والمسلم على السواء

« قلنا يشترك فيه النصراني والمسلم على السواء لاننا نعتبر أن الامة العربية فريقان : فريق الاجابة وهم الذين أجابوا دعوة النبي الى الاسلام ، وفريق الدعوة وهم الذين بقوا على دينهم ولكنهم قبلوا أحكامه فى المعاملات والمواريث ، وتلقوا عنه دروس الاخلاق ، وسلكوا معه مسلك السياسة القومية العالية ، كيف لا وهم اخوان فريق الاجابة في اللغة والعنصر والعادات ، فأقرّهم على ذلك وساواهم بفريق الاجابة بقوله ﷺ : لهم مالنا وعليهم ماعلينا

***

« أيليق بالعرب والمسلمين أن يحتفلوا فى كل سنة بمولد محمد بن عبد الله احتفالا عاديا لايتعدّى المراسم والمظاهر ، وألاّ يتذكروا الاسس التى قامت عليها عظمة محمد الحقيقية التى هي أساس نهضة العرب القومية والاجتماعية والسياسية والعلمية والمدنية تلك النهضة الباهرة التي قام بها أتباعه يوم كان عددهم لايتجاوز عشرات الالوف ، وألاّ يفكروا في أسباب انحطاط العرب والمسلمين اليوم بعد ان صاروا يعدون بمئات الملايين ؟

« وعندنا انهم نهضوا فى ذلك الزمن لانهم كانوا يتخلقون بخلقه العظيم ، ويحافظون على تعاليمه الطيّبة ، فكانوا حينئذ خير أمة أخرجت للناس : يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . وكانوا يومئذ ينسجون على منواله ، ويتممون مكارم الاخلاق . وكانوا مسلمين حقيقيين : لايؤذون الناس بألسنتهم ولا بأيديهم . أما وقد تبدّلت أخلاق العرب المسلمين فصاروا الى ماهم عليه ، فيجدر بالعلماء والزعماء أن يعيدوا بناء تلك النهضة على ذلك الاساس الخُلُقي القويم ، وإلا كانوا هم المسئولين أمام الحق ، ونبّيه ، والتاريخ ، والامة . .

العربية فى أمريكا — قبل كولمبوس (*)

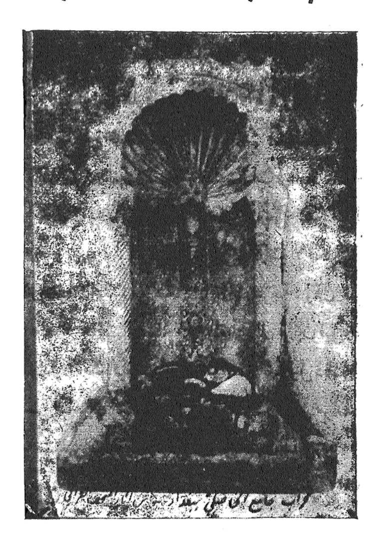
نشر فى السنوات الأربع الماضية كتاب كبير في ٣ مجلدات ألفه لِيُووينر Leo.Wiener من علماء جامعة هارفرد عنوانه « افريقية وكشف أمريكا » أثبت مؤلفه وجود كلمات عربية في لغات هنود أمريكا

يعرف هذا المؤلف ٢٦ لغة . وقد شرع منذ سنوات في تعلم لغات هنود أمريكا ليرى ما فيها من الكلمات والتعابير التي قد يستدل منها على الشعوب الذين اتصلوا باولئك الهنود فى غابر الزمن ، فوجد فيها كثيراً من الكلمات الانكليزية والاسبانية والفرنسوية والبرتغالية ، وأقدم من هذه كلها كلمات عربية . وقال بعد نشر كتابه أنه يُرجع أقدم هذه الكلمات الى سنة ١٢٩٠ م أي الى قرنين قبل وصل كولمبوس الى أمريكا ، وقد يكون أصحاب تلك الكلمات اتصلوا بها قبل ذلك بقرنين آخرين

وذهب بعض الباحثين الآن الى أن عمران الازد والمايه عمرانٌ عربى محض وان الازدوالمايه مستعمرات عربية وجدت فى أمريكا بين سنتي ١١٥٠ — ١٢٠٠ م والعمران العربي بلغ أوجَهُ فى إفريقية فى القرن التاسع المسيحي وامتد جنوباً الى مندنجو في غرب إفريقية ومن هناك وصل الى مشواكان على شاطيء خليج المكسيك لأن آثار العرب في لغات أمريكا تردُّ كلها الى ذلك المكان والى مندنجو ، وهي الكلمات التي تبقى عادة من لغة الغالب فى لغة المغلوب كالكلمات الطبية والسياسية ولما انقطع اتصال العرب بأمريكا ذوى عمران الازدوالمايه لانه كان مبنياً عليهم وكان فى أساسه تجارياً

(*) من مقالة المقتطف (اغسطس ١٩٢٦) ملخصة عن مقالة المستر برتن كلين في مجلة (العالم اليوم world to day) فبراير ١٩٢٦

محراب مسجد الخاصكى ــ فى بغداد



علم القراء مما نشرناه في المجلد الثاني من الزهراء (٥٦١) باهتمام المستشرقين بأمر هــذا المحراب العربي الاثري الثمين عندما اتصل بهم أنه نُقل من موضعه ، وأن في النية إخراجه من عاصمة العباسيين الى الديار الاوربية ، وكتب بعضهم بذلك الى العلامة الكبير الأمير شكيب ارسلان فرفع صوته في استنكار ذلك . . الى آخر ما ذكرناه في ذلك الحين

وقد تفضَّل صديقنا العالم المحقّق السيد بهجة الاثري فأرسل الينا صورة هذا

المحراب ، وهي المنشورة في صدر هذا المقال ، ونبَّهنا الى ماسبق فكتبه في جريدة (المفيد) البغدادية يوم ٢ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ (٢٦ مايو سنة ١٩٢٥) على أثر انتزاع ذلك المحراب من مكانه لافتاً أنظار الامة العربية الى ذلك بينما كان الناس هناك سادرون في غُلَواء الغفلة . ولولا تلك الصيحة التي جاءت في وقتها لكان المحراب اليوم في متاحف لندن . ولمّا كُتب الى المستشرق هرزفلد كان المحراب فى وزارة الأوقاف فى الصندوق الذي كاد يُشحَن فعلا الى اوربا

وكنا قد أشرنا فى الزهراء (٢ : ٥٦١) الى زيارة صاحب جريدة (العالم العربى) وزيرَ الأوقاف وما صرح به الوزير . فكتب لنا الاستاذ السيد بهجة الاثري أنه عند ماعلم بانتزاع المحراب — أي قبل زيارة صاحب العالم العربى لوزير الاوقاف الحالي بنحو سنة — قابل سَلَفَ هذا الوزير وخاطبه فى هذا الأمر فكان ما اعتذر به السلف عينَ ما اعتذر به الخَلَف ، وقد نشر ذلك فى الصحف المحلية فى حينه

وإنّا نشكر للاستاذ الأثري المفضال غيرته على آثار قومه ، وما تقدَّم له من سعي حميد في سبيل محراب جامع الخاصكي ، ونسجّل له فضله في اتحاف « الزهراء » بصورة هذا المحراب

اعتذار

تراكم عندنا كثير من الموادّ منها مقالات وقصائد لأفاضل الكتاب والشعراء ، ومنها كتب للتقريظ والنقد ، وكثير من هذه الكتب من مطبوعات مطبعتنا السلفية . وانما اضطررنا الى تأخير نشر ذلك بسبب كثرة الموادّ . وموعدنا الأجزاء التالية ان شاء الله

حركة النشر والتأليف

﴿ روح المعاني في تفسير القرآن ـ للشهاب الالوسي ﴾

تطبعه للمرة الثانية شركة من العلماء بادارة الطباعة المنيرية * صدر منه جزآن

« روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » لمفتى بغداد وأحد فحول المسلمين في القرن الثالث عشر شهاب الدين السيد محمود الالوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠ هـ). وهو من أجود ما ألّفه المتأخرون فى تفسير القرآن . اعتمد فيه مؤلفه على تفسير الفخر الرازي واستغنى عن كثير مما ورد فيه مما لا حاجة بطالب التفسير اليه ، واستعاض عن ذلك باضافة مالم يكن موجوداً فيه من أقوال قدماء المفسّرين من جهة ، وتأويلات أهل التصوّف من جهة اخرى . فجاء تفسير (روح المعاني) حافلاً بأقوالٍ منشق المشارب ، بحيث يجد فيه السّلفيون أقوال المتقدمين ، كما يجد فيه المتوغلون فى المذاهب الكلامية ، والمتذوّقون من العبارات الصوفيه ، ما يطرب له كلٌّ من الفريقين . ولكن الركن الأعظم في طريقة السلف إنما هو التثبّت من نسبة كل قول الى صاحبه ، لان البلاء قد عمَّ بما ارتكبه الوضّاعون من عزو أقوال الى أئمةٍ لا علم لهم بما عزاه هؤلاء اليهم كما وقع ذلك فى الحديث النبوي . وقد تتبع العلماء ذلك ونبّهوا على مواطن الصحة من هذه الأقوال وينابيع الكذب فيها ، وكان يكون أتمَّ لتفسير روح المعاني لو أن مؤلفه رحمه الله بيَّن طرق نقله لاقوال السلف ونبَّه على ما يوثق بصحته منها وما لا يوثق . وما برح كثيرون من المعجبين بتفسير الالوسي يتمنَّون لو كان أعرض عن بعض تأويلات المتكلمين والصوفية التى ليس لها دعامة من صحيح اللغة وصريحِ قوانين العربية ، أو التي حمل أصحابها عليها شدةُ

تمسكهم بنحلهم ومذاهبهم . وما يتمنّاه العلماء من هذا القبيل إنما هو من باب تمنّي كمال المحاسن للحسناء ، والا فان روح المعاني من احفل كتب التفسير وأهمها وأجمعها . فالشكر للأفاضل الذين عُنوا باعادة طبعه بعد أن أصبحت نسخه نادرة

﴿ اصلاح الفاسد من لغة الجرائد ﴾

مطبعة الترقي بدمشق ✽ ١٥٨ صفحة

اشتهر العلاّمة الشيخ ابراهيم اليازجي بتضلّعه من لغة العرب ، وغيرته عليها ، ولفْته الانظار الى وجوه الصواب في غلطات صغار الكاتبين ، وضربه على أيدي الذين لايحترمون قوانين العربية في التصريف والاعراب أو في مناهج الاشتقاق أو في استعمال الالفاظ للمعاني الموضوعة لها ، منعاً للفوضى التي اذا انتشرت تعذّر على القرّاء فهم مقاصد الكاتبين، وصار لكل قرية بيان فذّ ، ولكل حامل قلم لسان لا يشاركه فيه غيره . وكان الشيخ قد فتح لذلك باباً في مجلته (الضياء) عنوانه « لغة الجرائد » فأحسن فيه كثيراً ، غير أن غُلوَّه في الاعتماد على معارفه اللغوية أوقعه في مهاويَ كان يحسن به اجتنابها – كتغليطه رجالاً من فحول البلغاء الجاهليين والادباء الاسلاميين ، حتى بلغ به الامر الى أن يقول ان الحارث بن حلزه وَهِمَ في تأنيث كلمة « ضوضاء » في معلقته ، الى مثل ذلك من الزلاّت الكثيرة التي مُنيَ بها اليازجي في « لغة الجرائد » وكان في غنى عنها

وقد اهدى الينا الاديب الكبير الاستاذ السيد محمد سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق كتاباً جليلاً في التنبيه على أوهام اليازجي عنوانه (اصلاح الفاسد من لغة الجرائد) أبان فيه عن صحة علم وقوّة حجة ، وقدأفاض القول فيه على أثر دفاع تولاّه عن اليازجي فاضلٌ من المتشيّعين له فكان له الفضل في زيادة فوائد هذا الكتاب

وللاستاذ العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن سلام رسالة في التنبيه على أغلاط

اليازجي عنوانها « دفع الاوهام » طبعت في بيروت قبل ٢٨ سنة ، وعلمنا مما كتبه صديقنا الاستاذ السيد محمد بهجة الاثري على كتاب الاستاذ الجندي في مجلة (لغة العرب) أن للعالم الشهير الاب انستاس الكرملي كتاباً اسمه (النغم الشجي في الرد على اليازجي) . كما أن الاستاذ الاثري نفسه نبه في (لغة العرب) على اغلاط أخرى . وان للغة من هذه الابحاث فائدة يشكر عليها أصحابها

﴿ ثلاث رسائل : لابن فارس ، والكسائي ، وابن عربي ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة * شرف الدين الكتبي في بومباي : ٨٠ ص جاير ، ثمنه ٣ قروش

لقد أحسن الى العربية الاستاذ العلامة الشيخ عبد العزيز الراجكوتي ـ أحسن الله اليه ـ بتوجيه العناية الى ثلاث رسائل مهمة * الأولى : مقالة « كلاّ » وما جاء منها في كتاب الله لأبي الحسين أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥) مؤلف معجم (المجمل) وكتاب (الصاحبي) في فقه اللغة . وقد نقلها عن مجموعة في مكتبة العلامة عبد الحي اللكنوي . وكانت بخط عجمي كثيرة التصحيف والتحريف فردّها الى طريق الصواب وعلّق عليها شروحاً ذات قيمة علمية كبيرة * والثانية رسالة « ما تلحن فيه العوام » التي ألفها علي بن حمزة الكسائي لهارون الرشيد أمير المؤمنين . وقد نقلها من نسخة خزانة جامع بومباي . وهي أيضاً مشوّهة رديئة فعارض نصوصها بمظانّها في كتب متقدمي اللغويين وبيّن ذلك في الهامش مضيفاً اليه تعليقات مهمة وألحق بالرسالة فهرستا بالالفاظ المفردة التي تكلم عليها الكسائي * والثالثة رسالة : شيخ الطريقة محيي الدين بن عرَبي الى الامام الفخر الرازي في أغراض فلسفية

وهذه المجموعة تدل على علم غزير للأستاذ الراجكوتي وباع طويل في التحقيق . وقد طبعت في مطبعتنا بنفقة الشيخ شرف الدين الكتبي وأولاده تجار الكتب في مدينة بومباي (الهند) .

﴿ أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر ﴾

مطبعة طبارة في بيروت * ١٤٢ ص بقطع الجابر

أعلنت جامعة بيروت الامريكية قبل سنتين أنها ستقدّم جائزة هَوَرْدْ بلِسْ الاولى لمن يبرّز في كتابة « أسباب النهضة العربيـة في القرن التاسع عشر » فانتدب لذلك الاستاذ الفاضل السيد أنيس النصولي مؤلف كتابيْ « معاوية بن أبي سفيان) و (الدولة الأموية في قرطبـة) ومدرّس التاريخ في دار المعلمين البغدادية ، فكتب في ذلك بحثاً فاز بتلك الجائزة . ثم نشره الآن في كتاب حسن الوضع والطبع

ويرى المؤلف أن النهضة العربية في القرن المـاضي ترجع الى أسباب أهمها : احتكاك الشرق بالغرب من أيام الحملة النابوليونية على مصر ، وقد عقد لهذه الحملة فصلاً ذكر فيه أعمالها . وذكر بعده البعثات المصرية الى اوربا زمن محمد علي الكبير . ثم انتقل الى سبب آخر من أسباب النهضة وهو المدارس فذكر مدارس المبشرين فى بيروت وفي مقدمتها الجامعة الامريكية ثم الـكلية اليسوعية والمدارس الفرنسوية . وأشار الى تقصير الحكومة التركية في ما كان يجب عليها من نشر المعارف في سوريا تلقاء الضرائب التي كان يدفعها السوريون للمعارف وغير المعارف . ثم انتقل الى ذكر المدارس الوطنية في بيروت . حتى اذا انتهى منها أخذ في الـكلام على الأزهر في مصر

وكنا نودّ لو أن المؤلف لم يقصر كلامه على مدارس بيروت ما دام البحث يعمّ النهضة العربية ، فان مما يستحق التنويه به ماعملته الجمعية الخيرية فى دمشق أيام ولاية مدحت باشا وحمدي باشا ومن جاء بعدهما من تأسيس مطبعة مهمة ومدارس عديدة للبنين والبنات كانت تعلم بالعربية وطبعت كتباً مدرسية كثيرة وكان من رجالها الشيخ علاء الدين عابدين أحد مؤلفي القانون المدنى العثمانى والسيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق ومن كبار علماء العالم الاسلامي والشيخ طاهر

الجزائري الغنيّ عن التعريف . وقد أشار المؤلف الى عمل واحد من أعمالها وهو دار الكتب الظاهرية . وهذه الجمعية شبه رسمية تعاونَ على تكوينها أعيان السوريين وعلماؤهم من جهة والعقلاء من رجال الحكومة التركية كمدحت باشا وبهاء الدين بك من جهة اخرى . وجميع نوابغ المسلمين السوريين الذين لا فضل للاجانب والمبشرين عليهم انما اقتبسوا روح النهضة من هذه الجمعية ورجالها (١)

وحبذا لو أن كتاب الصديق المفضال لم يخلُ من فصل تحليلي حرّ لتأثير مدارس المبشرين في بلادنا وبيانٍ واسع لفوائدها العلمية من جهة ومضارها المشهودة الآن في الانقسامات الطائفية ذات الأثر المحزن في موقفنا القومي من جهة اخرى . فقد اكتفى المؤلف باشارة خفيفة الى ذلك ، ولعل عذره في هذا الايجاز أن الكتاب مؤلف باقتراح مدرسة تبشيرية ، وان لم تكن كغيرها في الضرر والأذى

ولما انتقل الى الكلام الى الأزهر اقتصر على ذكر الجامع الازهر نفسه ، مع أنه جزء يسير من الجامعة الازهرية ، وفي القاهرة نفسها توابع له كان الاستاذ يُسَرُّ كثيراً لو زارها كمدرسة ماهر باشا التي لا تقل في نظامها وفائدتها وإتقانها عن سائر المدارس المصرية . ونحن من دعاة الاصلاح للأزهر ، وفي صدر الجزء الأخير من سنة الزهراء الماضية كلام طويل في هذا الموضوع

وفي الكتاب فصول عن سائر المؤثرات في النهضة العربية ومنها الطباعة والصحافة والجمعيات ودور الكتب وأعمال المستشرقين والهجرة والتمثيل

وقد أهداه إلى الاشبال الكشافين المنتشرين من أقصى خليج البصرة الى أقصى الصعيد ، لأنهم من أعوان النهضة العربية ومن أركان الاستقلال العربي

واننا نشكر للاستاذ المؤلف نشاطه في خدمة قوميته من طريق العلم بالتدريس من جهة ، والتأليف من جهة ، فضلاً عن اشتغاله بتحبير المقالات الذي اطلع قراء الزهراء على بعضه . أحسن الله مكافأته

(١) تقدمت لنا الاشارة استطرادا الى هذه الجمعية فيما كتبناه عن المرحوم رفيق بك العظم (الزهراء ٢ : ٢٢٤)

فلسفة راجايوجا Raja Yoga

مطبعة المقتطف * المكتبة السلفية : ٩٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٠ قروش

التصوّف ، وفكرة تربية الروح باذلال الجسد بالرياضات ، من الامور التي عُنيت بها أمم الهند من قديم الزمان . و (فلسفة راجا يوجا) طريقة من طرق رياضاتهم هذه ، وأساسها اتباع قواعد بسيطة وتمرينات تنفسيَّة كان الغرض منها التجرّد من مؤثرات البيئة الاجتماعية والاتصال بالعالم الروحاني . وقد نقل كتابا فيها بهذا العنوان حضرة الفاضل حسن افندي حسين مترجم كتاب « فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء » وقدم بين يديه فذلكة في الفلسفة والتصوف ، وكلمة في الشرق والغرب ، وأخرى في الترجمة والتعريب ، وثالثة في آراء المتقدمين في الحكمة والنفس . وكان أنفع من هذا كله لو انه وضع لقارىء الكتاب مقدمة يبين فيها تاريخ هذا المذهب الهندي الذي وضعه أتباع بوذا وكذلك ترجمة واضعه ، وتاريخ هذا الكتاب نفسه ، واللغة التي كان مكتوبا بها ، والنسخة التي نقل الاستاذ المترجم هذه الترجمة عنها ، وهل نقلها بالحرف أم بتصرّف ، وكيف كانت طريقته في الترجمة . لان انتفاع قراء العربية بهذا الكتاب — على مانرى — ليس بان يكونوا أتباعا لهذا المذهب وعاملين به وقائمين برياضاته ، فذلك شيء لايخطر ببالهم ولا ببال المترجم فيما نظن وانما النفع منه بان نفهم تاريخ هذا المذهب وهل يوجد اليوم من يعمل به ومن هم والى أى حدّ هم متقيدون بما جاء منه في هذا الكتاب ، ثم أنْ يطمئنّ القارئ الى صحة عزو هذا الكتاب الى اليوجيين ببيان الاصل الذي نقل عنه وهل فيه تصرّف أم لا . ومع ذلك فان هذا الامر يمكن استدراكه بفصل ينشره حضرة المترجم في احدى المجلات اذا شاء ، ويزيد في قيمة الكتاب لو تمكن من الحاقه به

﴿ النبي ـ لجبران خليل جبران ﴾

لجبران خليـل جبران طريقة فى تأليف الروايات والشعر المنظوم والمنثور يرمى بها الى اذاعة مباديء عامة وبذر بذور الثورة على كثير من الانظمة . واذا كان الناس يعيبون على أتباع جبران خليل جبران ضعفهم الانشائي في العربية لان أكثرهم عاشوا في بلاد أجنبية فاستفادوا منها أساليب ادبأها ولم تكن لهم تلك القوة على إفراغها فى البيان العربي اللائق بها ، فان جبران خليل جبران نفسه استطاع أن يحبّب الى قراء العربية كتاباته بمزايا اخرى منها طلاوة انشائه وأنه يستمدّ مايكتبه من قلبه وان كانت مراميه لا تخلو من بعض الشذوذ . وهذا الكتاب ألفه جبران بالانكليزية، ونقله الى العربية الارشمندريت أنطونيوس بشير، وبالرغم من أن جنوح جبران فيه الى الشذوذ أشدّ منه في سائر كتبه فقد كان خيراً للكتاب لو أنه مكتوب بالعربية بقلم مؤلفه مباشرة ، لذلك جمع الى شذوذه حرمانه من الطلاوة التي أشرنا اليها . وحبذا لو كان تجرّد من الصور التي فيه ، فان رأينا فيها كرأينا فى صور كتاب الاحلام الذي تكلمنا عليـه في سنة الزهراء السالفة (ص ٥٧٦) . وقد عنى بنشر هذا الكتاب يوسف افندي البستاني وطبع بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة في ١٢٠ صفحة بقطع الجاير ، وبآخره ترجمة خطبة للأستاذ فرانكل رئيس الطائفة اليهودية فى مدينة ديترويت متشيغان (أمريكا) يصف فيها هذا الكتاب ومؤلفه

﴿ تاريخ التربية ﴾

مطبعة الفرات ببغداد ـ ٣٠٨ ص بقطع الزهراء

الاستاذ السيد عبد الله مشنوق ـ مدرّس التربية وعلم النفس بدار المعلمين البغدادية ـ من أفاضلنا الذين يريدون أن يكون لهم أثر صالح في تكوين النشء العربى المهذّب ، ولذلك ماقيء يختلس من أوقاته الموقوفة على التدريس ساعات

يصرفها في نقل الكتب النافعة الى العربية . وقد سبق لنا في سنة الزهراء السالفة (ص ٥٨٣) وصف كتاب فلسفة التربية الذى لخّصه عن مؤلَّف للدكتور هورن الألماني ، وبين يدينا الآن كتاب في (تاريخ التربية) استقاه من مؤلفات انكليزية مهمة ذاكرا فيه نشوء روح التربية لدى الامم المختلفة والمناحي التي ذهبتْ اليها في ذلك امم الشرق القديمة ثم اليونانيون فالرومانيون فامم الغرب من صدر المسيحية الى أواخر القرون الوسطى . وعقد فصلا للتربية العربية الاسلامية استغرق أكثر من ثلاثين صفحة تكلم فيه على التربية العربية في العصر الجاهلي ثم انتقل الى العصور الاسلامية فذكر ما للاسلام من الفضيلة في حث أهله على العلم وتهذيب النفس ، وتكلم على غاية التربية الاسلامية وفضل حضارة العرب على التمدن العام ، وأشار الى ما كانت عليه معاهد العلم الاسلامية واقتبس عن ابن خلدون ماذكره عن التربية والتعليم لعهده في بلاد الاسلام شرقا وغربا وألمع الى أشهر دور الكتب الاسلامية [1] وذكر من أشهر المربين المسلمين حجة الاسلام الغزالي وابن خلدون . ثم أتى على مذاهب التربية في اوربا من عصر النهضة Renaissance الى الآن . ومما يدلّ على وجهة نظر المؤلف في عمله العلمي اهداؤه كتابه الى العاملين ــ من المعلمين والمعلمات ــ على شد أواصر الجامعة القومية بين الاقطار العربية الناهضة ، وبثّ روح الشعور القومي العربي في نفوس النشء الطاهرة . جزاه الله خيراً

---

(١) نقل الاستاذ المؤلف عن Gibbon أن عدد الكتب في دار العلم بطربلس كان ثلاثة ملايين ، وعلق على ذلك بان في هذا الرقم شيئا من المبالغة . مع ان هذا الرقم (ثلاثة آلاف ألف) منقول عن لسان فخر الملك بن عمار أمير طرابلس الشام وصاحب هذه المكتبة فانه قال عند ما بلغه خبر حرقها وهو في شيزر ــ ودموعه مستبقة ــ « والله ما أسفي على شيء كأسفي على دار العلم فان فيها ثلاثة آلاف ألف كتاب » . انظر الزهراء (٢ : ١١٢)

أنباء اجتماعية

﴿ بناء الممالك ﴾

كان اللورد ملنر قد قال يوماً في حيفا لجمهور من أعيان العرب جاءوا ليبينوا له مطالب الشعب الفلسطيني :

« في التاريخ أمثلة كثيرة على تهديم مملكة لمملكة ولكن التاريخ لم يروِ ان مملكة شيدت ملكاً لغيرها . فليبنِ العرب ملكهم بأيديهم إن أرادوا ملكاً »

﴿ الحملة على التوظف ﴾

حمل الاستاذ ويصا واصف بك حملات حكيمة متتابعة في مجلس النواب وفى الصحف ، على المرض الشائع في مصر ، وهو التماس المتعلمين رزقهم من الوظائف في دواوين الحكومة ، أو فيما يماثلها من الاعمال الاخرى . غافلين عن استيلاء الأجانب على جميع موارد الرزق ، وتصرفهم في الحركة التجارية والاقتصادية والمالية في مصر

ولا ندري مايكون لهذه الصيحات من النتائج العملية ، ولكن من المؤكد أنها تركت لها أثراً فكريا فى الاوساط المختلفة من الوطن المصرى

﴿ سياسة اوربا وثنية ﴾

خطب السر هنري سليسر في اكسفورد عن « السياسة العامة وجمعية الامم » فقال: « ان جمعية الامم هيئة وثنيةٌ تستند الى شطر معيّن من الفضيلة العامة بين الامم . ولكنها ليست نصرانية في جوهرها ، ولم تعترف لها الكنيسة بالصفة المسيحية . ومن الواجب أن نبحث : هل تصيب النصرانية بأن تسبغ على هذه الهيئة الوثنية ما تسبغ اليوم من حماستها وتأييدها ؟ » ثم قال : ان نظمنا السياسية وثنية أيضاً في وحيها ومظاهرها. صحيح أن افتتاح مجلس العموم البريطاني يقترن دائما باقامة الصلاة المسيحية ، ولكن لا أحد ممن يتولون الحكم أو يرشحون لولايته يشهد هذه الصلاة »

﴿ الزهراء ﴾ ـ كيف تكون سياسة أوربة مسيحية ، والمسيح يقول « لأن يدخل الجمل فى سم الخياط أهون من أن يدخل غنى ملكوت السماء » والاوربيون وحكوماتهم انما يعبدون الذهب والفولاذ ، وسياستهم لاتفهم معانى الوفاء والرحمة

﴿ سوريا في جمعية الامم ﴾

نشرت جمعية الامم كتاباً يتضمن محاضر لجنة الانتدابات في ثامن اجتماعاتها غير الاعتيادية ، وهو الاجتماع المنعقد في رومة من ١٦ فبراير الى ٦ مارس ١٩٢٦ وهو يقع في ٢٠٨ صفحات بالقطع الكبير ويتضمن ـ فضلا عن المحاضر ـ التقارير المقدَّمة الى جمعية الامم من اللجنة التنفيذية للمؤ السورى الفلسطينى بالقاهرة بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٥ والمستندات المربوطة بها . ثم لائحة مطوَّلة تقع في ثلاث صفحات تتضمن ذكر مصادر الشكاوي التى ارسلها السوريون من جميع مَهاجرهم : في مصر والامريكتين وأوربا وآسيا ، مبينة مساويءَ الانتداب المضروب على سوريا . اما تقرير اللجنة التنفيذية فهو من ص ١٧٤ الى ص ١٩٧ ، وكان هذا التقرير مستند لجنة الانتدابات في مناقشة مسيو جوفنيل عند مثوله بين يديها ، وبه تمكنت تلك اللجنة من إفحامه وقد قالت لجنة الانتدابات (ص ٢٠١) فى وصف تقرير اللجنة التنفيذية :

« واهم هذه الشكاوي جاءت من هيئة مركزها القاهرة ، فاهتمت بها لجنة الانتدابات اهتماماً خاصاً . ومما أوجب اهتمامها بها ان هذه الهيئة على صلة دائمة بسكان بلاد الانتداب ، وان مسيو دى جوفنيل نفسه قد دعاها اليه لسماع آرائها »

﴿ الحملة على البغاء ﴾

استطاع الاستاذ الشيخ محمود ابو العيون ان يستفيد من بعض الفرص الصالحة للَفْت أنظار الرأي العام المصرى الى ضرر شيوع البغاء الى هذه الديار ، وسوء مغبّة اعتراف الحكومة به ، واثبت ان المراقبة الصحية عليه انما هي مراقبة غرّارة تدفع اهل الفساد الى ارتياد مواخير الفسق اعتماداً على وجودها فى حين أنها مراقبة محفوفة بالغشّ من جهات كثيرة ، حتى قيل ان وجودها كعدمها . وقد كان من نتيجة الحملة الحكيمة التي قام بها الاستاذ أبو العيون على رسمية البغاء شروع المجالس المحلية في أطراف المملكة المصرية بتقرير الغائه . والحق أن الريف المصري جدير به أن يسبق غيره الى انزال الضربة القاضية على البغاء لأن الفلاحين يتزوجون من حداثة سنهم والبغايا فى تلك الجهات لسن من المحميات بالحكومات الأجنبية

﴿ تجريد المساجد التركية ﴾

« من المصاحف والنفائس الاثرية »

لسلاطين آل عثمان مآثر متوالية في مساجد القسطنطينية خاصة ، والمدائن التركية في الأنضول عامة ، ولا سيما قونية وبروصة وأمثالها . فمن ذلك تنافسهم في وقف المصاحف المكتوبة بالخطوط الأنيقة جداً والمعتنى بتذهيبها وتزيينها بالجداول النفيسة ، فضلاً عن قيمتها التاريخية والأثرية . ومن ذلك اهداؤهم الى المساجد هم ووزراء الدولة وأعيانها لوحات بخطوط أشهر الخطاطين ، وقناديل ومباخر فضية أو نحاسية منزّلة بالذهب والفضة وذات نقوش من بدائع الفن الاسلامي . وثريّات من البلور النفيس الجميل التقطيع المصنوع في المصانع الاسلامية . فضلا عن السجّاد القديم الثمين المملوءة به مساجد القسطنطينية والمدائن الاخرى

وقد ندبت حكومة أنقرة فى المدة الأخيرة لجنة من موظفيها للبحث عن هذه المصاحف والنفائس الاثرية وعمل دفتر بها وتجريد المساجد منها ونقلها الى متحف القسطنطينية . فقامت اللجنة بمهمتها ، وبلغ عدد المساجد التى تقرر تجريدها من هذه التحف سبعمائة مسجد والقطع الاثرية التى قضي عليها بالاخراج من المساجد مائة الف قطعة وخمسة آلاف قطعة ومائتان وثماني وعشرون : بين مصاحف، ولوحات ، وثريات ، ومصابيح ، ومباخر ، وسجاجيد ، وغيرها . ويرجع تاريخ أكثر هذه النفائس الى خمسمائة سنة . وتقدر قيمتها المادية بعشرة ملايين جنيه ذهباً

﴿ الافغان والروس ﴾

وقع الاستاذ محمود طرزي خان وزير الخارجية الافغانية والرفيق ستارك مندوب الحكومة الروسية على معاهدة حياد بين الدولتين في أواخر شهر صفر الماضي ، وكان ذلك في بلدة باغمان مصيف ملك الافغان . وهى تنص على أنه اذا دخل أحد الفريقين المتعاقدين في حرب مع دولة ثالثة فعلى الفريق الثاني أن يلازم الحياد ، وأن لا يعقد مع فريق ثالث عقداً فيه عدوان للفريق الثانى ، وان لا يمكّن كل من الفريقين فريقا ثالثاً من استعمال أرضه لتسهيل العدوان على الآخر . وقد سبق للروس أن عقدوا مثل هذه المعاهدة مع الترك مرة ومع الفرس مرة أخرى



ج ٤ : م ٣ القاهرة ربيع الثاني سنة ١٣٤٥

الادب التركي في ثلاثة أدوار

﴿ هل للترك أدب قديم ؟ ﴾

إذا كنتَ تطمعُ من التاريخ أن يطلعكَ على أدبٍ قومي للترك قبل نزوحهم عن جبال ألطاي وصحارى توران مجتازين بلادَ الأذربيين والفرس الى هذا الشرق الأدنى فأنتَ كالظامىء يطمع أن يروي غلّته من السَّراب . لأن الترك ـ وان كانوا كجميع شعوب الأرض يتغنّون بالاغاني الموزونة أو شبه الموزونة ، ويعبّرون عن بعض العواطف بالأناشيد الفطرية ـ فانهم لم يرثوا عن ماضيهم السابق لاسلامهم شعراً مأثوراً ولا حكمة خالدة ، كالشعر والحكمة المأثورَين عن جاهليات الهند والفرس واليونان والعرب . ويحاول وارثو اسم الترك اليوم في الأنضول والقسطنطينية أن يستلّوا من نفوس شبابهم مايتركه هذا الفراغ من سوء الأثر في الايمان القومي ، فيقولون لهم في كلمات يصوغونها صِيغًا شعرية : إن نشأة الأدب التركي غرقت في ظلمة الماضي ، لأن الترك أقدمُ من التاريخ ، والتاريخ أحدث سنًا من هذه القومية الأزَلية ! لذلك لم يستطع أن يحيط بها خُبرا . . .

حَسَنٌ ! ولكن أما كان في استطاعة التاريخ أن يَشهد للترك بارقةَ أدبٍ

وسِمة حكمةٍ في أي عصر من عصورهم التي انقضت بين اكتساحهم أوربا بقيادة أَتيلا [١] وبين وصول العرب الى ما وراء النهر فاتحين ديارَ الترك في العصر الاسلامي الأول ، ثم بين هذه الحادثة وبين رواج سوق فتيانهم في الجندية الاسلامية منذ أيام أمير المؤمنين المعتصم العباسي ، ثم بين ذلك وبين تدميرهم حضارةَ الاسلام في بغداد بقيادة هولاكو واستقرار جماعات منهم في الأَنضول قُبيل ظهور العثمانيين

لو كان للقوم ماضٍ أدبيٌّ في عصر من تلك العصور السابقة لاسلامهم لأبصره التاريخ وخلَّده كما خلَّد مثله لجيرانهم من فرسٍ وهنودٍ وصينيين

والذي يمعن النظر في مجرى سيول الهجرة التركية الى الشرق الأدنى يراها سارت من طريقين : أحدهما طريق كاشْغَر وفَرْغانة وسَمَرْقَنْد الى فارس والعراق ، والثاني طريق ضفاف جيحون في خراسان الى الشواطىء الجنوبية من بحر طبرستان (الخزَر) فمقاطعات كوه قاف الى الأَنضول . واللهجة التركية التي انتقلت الى هذا الشرق الأدنى من الطريق الأول تسمَّى (اللهجة الخاقانية) ، والتي انتقلت من الطريق الثاني تدعى اللهجة (الاوغوزية) وهي الباقية في الأَنضول على ألسنة التركمانيين

﴿ الدور الاسلامي ﴾

أقصى ما يعرفه التاريخ من الشعر التركي في كل من هاتين اللهجتين إنما هو لشعراء اسلاميين : فاقدم ما بقي من شعر اللهجة الاولى (الخاقانية) هو مما جادت به قريحة الرجل الصالح الزاهد (أحمد يسوي) مؤسس طريقة اليسويين الصوفية الشائعة الى الآن عند مشارقة الترك ، وأقدم ما هو معروف من شعر

---

(١) في القرن الثاني قبل الهجرة والخامس بعد الميلاد

اللهجة الثانيــة منظومات السيد بهاء الدين الصدّيقي القرشي المعروف باسم (سلطان ولد) وهو ابن مولانا جلال الدين الرومي [١] . وكلا منظومات الشاعرين في موضوعات الزهد ومعاني التصوّف . وكان ينتظر أن يكون في طبقات الشعب زجّالون ينظمون الشعر بلهجة العامة وعقليتهم كما يوجد في كل زمان ومكان ولـكن الترك الذين كتبوا فى تاريخ أدبهم ـ بالرغم من حرصهم على الاستشهاد بأمثلة قديمة للشعر التركي المحض ـ لا يذكرون لنا مثالاً أقدم من أزجال الزاهد الأَنَضُولي (يونس أمره) الذي كان يتنقل في ضواحي بلدة (بولي) قبل نحو سبعة عصور ينشد في الترغيب بالجنّة والتحذير من النار ويستدل بعظمة الكون على عظمة خالقه . وهم يسمّون (يونس أمره) شاعر الشعب ، وعندهم أن (سلطان ولد) أسرفَ في الاستمداد من العربية والفارسية . ولو أنصفوا في المقارنة بين شعر ابن مولانا جلال الدين ومنظومات يونس لرأوا أن لغة الثاني عاجزة عن تأدية المعاني التي تضمّنها شعر الأول لو لم يكن لها عونٌ من لغتي العرب والفرس الغنيتين

وأول من حاول اتخاذ التركية لغةً رسمية في الشرق الادنى الامير قَرَمان صاحب (قونية) بعد السلجوقيين ، وهو ابن رجل أرمنى هداه الله الى الاسلام واشتهر بالصـلاح حتى عُرف باسم (الشيخ نور الصوفي) . فلما تولّى ابنـه الامارة ـ بما كان لأبيه من سلطان الصلاح في جماهير الناس ـ أمر باتخاذ التركية لغةً رسمية ، وكانت الفارسيةُ قبل ذلك لسانَ الدولة والحُـكم ، والعربيــةَ لسانَ الدين والعلْم ، فصارت التركية تَحْبُو بين أيدي تينك اللغتين العظيمتين مستمدَّةً منهما غـذاءها ، ومقتبسة من روعتها رُواءها ، ومتحليــة بجمالها ، وسادَّةً فراغها بكمالها . وجاء العثمانيون بعـد ذلك فساروا بلغتهم في هـذا

(١) انظر هامش الزهراء (٢ : ٤٠٨)

الطريق الى ان كانت لدولتهم لغة تسمَّى في عالم الأدب (اللغة العثمانية) وهي خليط من كلام العرب والفرس تجمع بينه روابط لغة الترك من أفعال واسماء وحروفٍ تتفاوت قلةً وكثرة باختلاف الاطوار الاجتماعية ، وباختلاف الناظمين في معارفهم الشخصية وأغراضهم الشعرية

ولم يكن للاوّلين من مؤسسي الدولة العثمانية تلك المكانة التي يظهر أثرها في الأدب التركي ، لان عثمان الاول ومراداً الاول كانا أميين ، والذين بينهما انما كانوا أمراء على مقاطعات محدودة ليس لهم فيها كبير شأن يمتازون به على غيرهم من أمثالهم ، الى أن كان زمن بايزيد الاول ـ وهو أول من تسمى سلطاناً من العثمانيين ـ فسكن القصور الشامخة وبنى بالصقلّبيّات من بنات ملوك الصرب ، ثم جاء زمن محمد الفاتح وسليم وسليمان فاستفحل البذخ بما ورثوا من تراث البيزنطيين ، وبما أخذوا من مصر وغير مصر ، فكان للقصور السلطانية تأثير في تكوين الدور الادبي الذي ينبزه الأغرار من فتيان الترك الآن بأنه كان قائماً على أساس الصناعات اللفظية ، وأنه ضحى روح القومية التركية في سبيل تقليد الادب الفارسي والدين الاسلامى ، وأنه كان أدباً أرستقراطياً يخيّل لقارئه أن القصور السلطانية هي كل شيء ، وأن الروح القومى لم يكن شيئاً مذكوراً .

ولكن العقلاء من الترك الذين هم أشد عصبيةً لقوميتهم من أولئك الفتيان الاغرار وقفوا يتأملون فيما يبقى في أيديهم إذا هم جارَوا هذا التيار الطائش في انكار ذلك الدور من الأدب ، فرأوا انهم ليس لهم في الحقيقة أدب متقدّم على الدور الاسلامي ، وأن ثروتهم الأدبية محصورة فيما ورثوه عن شعراء القصور العثمانية ، فاذا تبرّأوا من هؤلاء صار تاريخ أدبهم القومي حديثاً جداً لا يتجاوز الدور المتأخر الذي هو وليد تأثير الأدب الإفرنجي على الأدب التركي ، وان امة هذا شأنها لفقيرة جداً في ميراثها الأدبي . وكنتُ أظنُّ أن

الوفاء للادب العثماني السابق عصرَ التفرنج انقطع بتمزيق جسم أديبهم علي كمال بك ذلك التمزيق الوحشي بأيدي صنائع الكماليين ، فقام أديبٌ آخر من أدبائهم (١) ينادي بأنه ليس من الصواب ان يُنبز الأدب العثماني بتلك المزاعم فالادب الذى يعيش ستة عصور انما هو أدب خالد ، ونحن لانستطيع أن نسقطه بادّعاء أنه أدب مصنوع وأنه ثمرة التقليد ، فأدب الأمة مرآة حياتها ، واذا كان مصنوعاً فقد أتاه ذلك من الحياة العامة التي هو مرآتها ، ومحال ان تكون الحياة العامة كذلك . وما كان لأدبٍ أن يعيش ستة عصور لو لم تكن فيه جميع عناصر الحياة ، ولو لم يكن مرآة لحياة اجتماعية معينة عاش بقوّتها . فالادب التركي في ذلك الدور انما كان إذنْ أدباً طبيعياً جداً ، واذا غلبت عليه المظاهر أو اذا كان أدباً اسلامياً أو صوفياً فلا ينبغي لنا أن نعزوَ ذلك اليه مادامت أسبابه موجودة في حياة الامة التي هو أدبها ، والادب يكون مصنوعاً اذا لم يكن ترجماناً للحياة العامة ومرآة لها . ومن الخطأ أن ننظر الى ذلك الادب بعين هذا العصر ، لأن الحكم عليه يكون حينئذ حكماً جائراً عن طريق الحق ، أما اذا أردنا أن نصدر فيه الحكم الصحيح فيجب أن ننظر اليه بعين عصره باحثين عن مبلغ انطباقه على حياة الدور الذي ظهر فيه ، وائتلافه معها ، وخضوعه لمقتضياتها

ويعترف اسماعيل حبيب بك (ص ٣٤) بأن التركية كانت قبل أن تصقلها ألسنة الشعراء الاسلاميين عاجزة عن بيان كثير من الافكار ، وأن أولئك الشعراء كان أسهلَ عليهم ان يعبروا عن أفكارهم بالشعر الفارسي من أن يفرغوها في اللغة التركية . وقد باح بالشكوى من هذه الصعوبة أمير البيان

(١) اسماعيل حبيب ، مؤلف (تاريخ الادب التركي الجديد) الذي نشرته وزارة المعارف التركية في العام الماضي (ص ٣٣)

التركي وحامل لواء نظمه ونثره محمد بن سليمان البغدادي [١] . ولكن هذه الصعوبة لم تفلّ من عزائم أولئك الفصحاء الابيناء ، فما زالوا باللغة التركية حتى جعلوها لسان أدب ، وما كان لهم الى هـذا من سبيل لو لم يستعينوا باللغتين الادبيتين العربية والفارسية اللتين كانوا يعرفونهما حقّ المعرفة ، فمن العقوق أن تنشأ الآن ناشئة تدّعي العلم وتجهل ما كان لأولئك الرجال من فضل في تعبيد الطريق الوعر ، ورياضة الدابّة الحرون . ومن الغريب أن الذين يعيبون على سلفهم استعمال العربية في لغة الترك غارقون الآن في شر من ذلك وهو استعمال الكلمات الأفرنجية فيها باسراف ، والشعب التركي يمتّ الى العربيـة بسبب من الاسلام لا يمتّ الى الافرنجية بمثله . كما سترى في فيما نكتبه بعد

ويذكر قراء الزهراء مما كتبناه في سنتها الاولى (ص ١٠٠ ـ ١٠١) أن رياضة لغة الترك وتذليل الصعاب لجعلها لغة أدب كان نتيجة جهود أفاضل من أمم كثيرة ، وكان العرب أسبق الناس الى وضع القواعد لها وتأليف الكتب في صرفها ونحوها ، ككتاب (الادراك الى لسان الاتراك) لأبي حيّان الاندلسي وقد طبع في القسطنطينية زمن السلطان عبد الحميد ، وكتاب (حلية الانسان وحلبة اللسان) في لغة الفرس والترك والمغول للشريف جمال الدين أحمد بن مهنّا صاحب كتاب (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) وقـد

(١) المعروف في تاريخ الآداب التركية باسم (فضولي) . ولد في بلدة (الحلة) بالعراق ونشأ ببغداد وتبحر في آداب الفرس والترك . فلما وصلت جيوش السلطان سليمان القانوني الى بغداد سنة ٩٤٠ وانتزعتها من أيدي الصفويين (الايرانيين) تقرب هذا الشاعر العظيم من رجال هذه الدولة فرتبوا له مرتبا من اوقاف بغداد ثم أساء اليه بعض موظفي الاوقاف فحضر الى الاستانة يشكوهم الى رجالها . وهو معدود في الطبقة العليا من شعراء الترك . قال صاحب كشف الظنون (١ : ٣٢٨ بولاق) توفي سنة ٩٦٣ وقال صاحب قاموس الاعلام (٥ : ٣٤١٦) وفاته سنة ٩٧٠ ومحمد جلال بك يقول في (عثمانلي أدبياتي نمونه‌لري ص ٥٥٣) ان ولادته سنة ٩٧١ * وقبره معروف في (الحلة)

طبع في القسطنطينية أيضاً زمن الاتحاديين

وبعد فان الدور الاسلامى من أدوار الأدب التركى كان له مثل حظ ما أنتجته حضارة الاسلام من الاعمال الاخرى في تعاون المواهب الاسلامية المختلفة على تكوينه ، واذا كان قد تقدّم على الدولة العثمانية في تاريخ وجوده كما رأيتَ آنفاً ، فانه سار معها في أطوار القوة والضعف ، ومظاهر الازدهار والذبول . وقد أجملَ اسماعيل حبيب بك (ص٢١٠) نعتَ قادة هذا الدور من أدوار الأدب التركي في كلمات موجزة ، فقال في محمد بن سليمان البغدادي : انه العبقريُّ في التغني بشعر الآلام وأنين الهجران . وعن الشاعر باقي (٩٣٣ ـ ١٠٠٨ هـ) الذي بلغ أرقى المراتب العلمية ومنازل السؤدد : انه كان شاعر الحشمة والتهتك . وعن شاعرية نفعي (نديم السلطان مراد الرابع) : انها شلاّل متلاطم بأمواج الابهة والعظمة . وعن نديم (شاعر الترك فى القرن الثاني عشر الهجري) : بلغَ بروح الطرَب والنشاط الى حالة الوَجْد . وعن الشيخ غالب المولوي (١١٧١ ـ ١٢١٣ هـ) : انه الشاعر المميز بين بديع ألوان الخيال

ولما أفاقت أوربا من رقدتها ، وأخذت تنتقل من حال الى حال في صناعاتها وعلومها وآدابها كانت الدولة العثمانية تنحدر في دركات التدني مبتعدة عن روح دينها ومقوّمات حياتها ـ كما أشرتُ الى ذلك في مقالة الاصلاح الاسلامي [1] ـ فانحطَّ الدور الاسلامي من أدوار الأدب التركي بانحطاطها ، لأن الأدب مرآة الحياة العامة . فبدت على الامة وآدابها اعراض الفالج التي تأثر بها الأدب العربي ايضاً في تلك الُحقْبة على الخصوص

وفي سنة ١٢٠٧ هـ شعر السلطان سليم الثالث بالخطر ، وأداه شعوره هذا الى التفكير في الاصلاح ، وطلب الى رجال دولته أن يمدوه بآرائهم . ولكن

(١) الزهراء ٢ : ٥٩٤

الخطر كان أعظم من ذلك . وفي سنة ١٢٤١ هـ عوّل السلطان محمود الثاني على الأخذ بالأنظمة الأوربية . وفي سنة ١٢٥٥ هـ أعلن السلطان عبد المجيد ـ بمساعي الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا ـ جنوحَ الدولة الى الاخذ بالانظمة الحديثة ، وكان ذلك بدء دخول الأدب التركي في دوره الثاني الذي توجه فيه نحو أوربا

﴿ تأثر الأدب التركي بالنهضة الأوربية ﴾

اذا كان رشيد باشا (١٢١٤ ـ ١٢٧٤ هـ) حاملَ لواء التجدّد السياسي في تركيا على الطريقة الاوربية فان عاكف باشا (١٢٠٤ ـ ١٢٦١ هـ) أوّلُ من ظهرت على أسلة لسانه آثارُ هذا الانقلاب ، على قلة ما ترك من منظوم ومنثور . وقد انتبه الى هذه الحقيقة أديب الترك الاكبر نامق كمال بك فنوّه بأوّلية عاكف باشا في التجديد بمقالة في (تصوير أفكار) عام ١٢٨٣ هـ

ومن قدماء مجدّدي الأدب التركي أدهم برتو باشا (١٢٤٠ ـ ١٢٨٩ هـ) ، وكانت خطواته في هذا الطريق أوسع وأوضح (١)

وأوّل من اتخذ تجديد الادب التركي صناعة ، ودعا اليه ، وأكثرَ من أنصاره ، الشابُ الناهض شناسي أفندي (١٢٤٢ ـ ١٢٨٨ هـ) . تعلم الافرنسية في صباه من المسيو شاتانوف ـ الذي سكن القسطنطينية وعرفته الأسر الاسلامية باسم رشاد بك ـ ثم ذهب الى أوربا لتلقي العلوم المالية فكان ـ مع ذلك ـ يلزم باب شاعر الفرنسيس لامارتين واتصل بالمستشرق دي ساسي وتعرّف بأرنست رينان ، وكان تحت حماية رشيد باشا مدة سفارته في باريس ، ومدة صدارته في

(١) ومع ذلك ، ومع توغله في الآداب الافرنسيه والالمانية ، واقامته في المانيا ثلاث سنوات في أيام شبابه ، فانه كان من الاوفياء للاسلام ، وله كتاب في الدفاع عن تعدد الزوجات اسمه (اطلاق الافكار) ، واشترك مع طارق باشا وفؤاد عالي بك في ترجمة تاريخ الحروب الصليبية وترجم عن فكتور هيغو وجان جاك روسو شيئا كثيرا

القسطنطينيـة . ولم يكن شناسي ذلك الـكاتب المبدع ، ولا الشاعر الفحل ، ولعل لانصرافه الى السياسة تأثيراً في عدم تفوّقه العظيم في الأدب . ولـكن مما لا ريب فيه أنه ـ بالصحيفة التي أنشأها باسم (ترجمان أحوال) ثم بصحيفة (تصوير أفكار) التي هي غرسُ يده ـ استطاع ان يخلّص الانشاء من سفاسف الجناسات البديعية والألاعيب اللفظية ، ولعله افرط في ذلك حتى لم يتابعـه في هذا الافراط أحبُّ تلاميذه اليه وأقرب أصدقائه منـه ، مثل نامق كمال بك وعبد الحميد ضيا باشا ومحمود أ كرم بك ، ثم عبد الحق حامد والطبقة التي تليـه مثل خالد ضيا وتوفيق فكرت وجناب شهاب الدين وغيرهم ، فقد كان للتحكيك والتحبير من عناية هؤلاء ما جعل للتركية رونقاً وجمالا سما بها الى رفيع المراتب

أما صديقه ضيا باشا (١٢٤٣ ـ ١٢٩٥ هـ) فهو الأديب التركي الوحيـد الذي انتقل من القديم في عهد انحطاطه الى الجديد في باكورة اقباله ، بلا جَلَبة ولا ضوضاء ودون أن يشعر به أحد . قال اسماعيل حبيب بك (ص ١٢٣) : ان هذا الشاعر الوفيَّ للادب القديم المترنم بألحانه كان اعظمَ رجالنا مقدرة على ايصال الرائع من الأفكار والعويص من الآراء الى جميع الادمغة بسهولة واناة وقد صاغ بالقلم القديم احدث المعاني ، فكان لها عند قرّائه ـ من جميع الطبقات ـ أحسن وقع وأسمى مكان . وانك لاتبصر في سيرته الادبية قفزات ظاهرة ، ولا خطوات تلفت الانظار الى صاحبها ، بل كان يجري كالماء الهادىء يحيي الأرض التي يمرّ بها والناس عنه في غفلة . مع ان بين شعره البـديعي المهمل الذي كان يمدح به السلطان عبد العزيز فى مقتبل أمره وبين آثاره الاخيرة التي كتبها وهو في لندن مسافاتٍ لا تعدُّ آفاقها (١)

(١) ونحن في دمشق مدينون لضيا باشا يوم ان كان واليا على سوريا بالشيء الـكثير .

ويرى اسماعيل حبيب (ص ١٤٧) أن الادب التركي في دوره الثاني ـ الذي أحاول الآن تكوين فكرة عنه في أذهان قراء الزهراء ـ إنما انبثق فجره في أيام هؤلاء الرجال الأربعة : فلاحَ عليه وميضُ التجدّد بنفثات عاكف باشا وأدهم برتو باشا . وجاء شناسي فكان مدوّناً له ومؤسساً لصحافته الأدبية ومسهلا للانشاء الطبيعي ، وإن لم يستطع أن يكون شاعراً فحلا أو كاتباً شديد التأثير . والرابع من أدباء فجر هذا الدور ضيا باشا الذي كان شاعراً عصريا بالاسلوب القديم

ولما انبلجَ صبحُ الادب الجديد ظهرَ بَطَلَه العبقريّ نامق كمال (١٢٥٦ـ ١٣٠٦ هـ) الذي ترفَّع بنثره ونظمه عن بساطة شناسي وتنزَّه عن جفاء أسلوبه كما امتاز على عبد الحق حامد بك بانه كان ـ في انشائه وانشاده ـ أكثر وضوحاً وأحرص على مخاطبة معاصريه بلغة يومه لا بلغة غده ، فكان أحبَّ الى الناس منهما ، واقدر على استمالة قرّائه اليه وتسييرهم نحو الافق الادبي الجديد ، فضلا عن حماسته الوطنية والقومية التى كثيراً ما كان يضحّي حقَّ الصناعة لاجلها وله الكلمات الخالدة في تعظيم شأن السلف من عثمانيين وإسلاميين ، وغرس محبتهم وتربيتها وتنميتها في قلوب الناشئين . وهو مدينٌ فى عظمته لنثره على الخصوص بحيث لم يكن في الترك قلم يضارع قلمه في زمنه

وإذا كان عاكف وبرتو وشناسي وضيا طليعة الدور الثانى فى إبان فجره ، فان قادته رُأد الضُحى هم : كمال وأكرم وحامد . وقد علمتَ مكانة كمال ، أما أكرم (١٢٦٣ ـ ١٣٣١ هـ) فهو منظّم خطط تلك الحقبة الادبية ، واستاذها ،

ويعتقد شيخنا الشيخ طاهر الجزائري أن ضيا باشا كان دستوريا ودمقراطيا ونصيرا للحرية بما لا يذكر مدحت باشا في جانبه بشيء . وكان يتأذى بملق أعياننا له وتعظيمهم أياه بالالفاظ والمراسم التي عودهم عليها الولاة الآخرون ، وطالما القي دروسا على الوجهاء والشيوخ فى الحرية العملية لم يكن يخطر مثلها فى بال مدحت باشا وغيره من ولاة الترك وحكامهم

ومحرّر قواعدها . واذا لم تكن له حماسة كمال وذلاقة لسانه ، ولا عظمة حامد وشاعريته السامية وخياله الواسع ، فلا ريب أنه شاعر الوجدان المتميز بسلامة الذوق ، وصحة اللغة وأناقة الاسلوب . وهو استاذ هذه المدرسة ومرجع نبغائها

أما عبد الحق حامد بك (المولود سنة ١٢٦٧ هـ وهو اليوم أعظم شعرائهم على الاطلاق) فيحلو لي أن أقول وأنا عربيٌّ وأنا في مصر : انه عربي ، وانه مصري . وهو ابن المؤرخ الجليل والعالم النبيل خير الله أفندي ابن رئيس العلماء وشيخ الاطباء المولى عبد الحق ، وهم من ذرية سيدي عبد الحق السنباطي المعروف في وادي النيل .

وقد شبه الأديب الكبير سليمان نظيف بك القادةَ الثلاثة للادب التركي في ضحوة دوره الثاني تشبيهاً لطيفاً فقال عن نامق كمال : انه طليعة الجيش المندفعة الى الامام غيرَ هيّابة ، وعن أكرم بك : انه رئيس أركان الحرب ، وأما عبد الحق حامد بك فهو قلب الجيش الذي فيه الموكب السلطاني . ويرى اسماعيل حبيب (ص ٢١٠) أن حامداً جمع كل المزايا المتفرقة في شعراء الدور الاول ، وضم اليها ما امتاز به حافظ الشيرازي والشيخ سعدي والفردوسي والخيّام من شعراء الفرس ، وتجلت فيه أرواح كُورْنِيْ وراسين وهيغو وشكسبير من شعراء الغرب . وقد يكون في هذا شيء من المبالغة التي حمل كتّابَ الترك عليها إجلالُهم لشاعرهم الذي لم تُرْزَق لغتهم نظيراً له في ماضيها وحاضرها . ولا غروَ فهو مجدّد شباب شعرهم بكل معاني التجديد ، مع احترام لجميع قواعدها ، والتزام للحدود اللغوية المقرَّرة . فتجديده يدلُّ على قوةٍ لا على ضعفٍ ، وينمّ عن علمٍ لا عن جهل . وقد مشى مع الشعر في كل خطواته التي اشترك فيها موكبٌ عظيم من الشعراء المبدعين ، فكانت له القيادة في كل الادوار . وجاء معه شعراء نبغوا ثم ارتحلوا عن هذه الدنيا وجاء غيرهم بعدهم

ولا يزال عبد الحق حامد عَلَماً يُهتدَى بمناره ، وإماماً لا يُقتدَى بغيره في حضوره . وان أحدث وأمتع تاريخ للآداب التركية ــ وهو الذي نشرته وزارة المعارف في سنة ١٩٢٥ بقلم اسماعيل حبيب ــ يتألف من ٦٩٠ صفحة كبيرة لعبد الحق حامد وحده منها ١١٥ صفحة مع مافي الكتاب من فصول طويلة عن الآداب الافرنجية على طريق الاستطراد . فالآداب التركية لم ينبغ فيها من يستحق عُشرَ العناية التي يكتبون بها عن عبد الحق حامد

ويلتحق بمثلث (كمال ــ أكرم ــ حامد) أديبٌ رابع اتخذه حامد بك أخاً صغيراً له ، ويعدُّه مؤرّخو الأدب التركي واسطة بين ضحوة الأدب الجديد وظهيرته العظمى التي تألق نورها من مجلّة (ثروت فنون) ، وهذا الاديب الرابع المتوسط بين الحقبتين هو سزائي بك سامي

وجاء بين الضحى والظهيرة زمنٌ تمكّن فيه السلطان عبد الحميد من تعطيل قلم كمال بك في منفاه الى أن حانت وفاته . وناط بحامد مناصب في السفارات الخارجية وحال بينه وبين الاختلاف الى القسطنطينية ، وبات أكرم في موقف لا يستطيع فيه التغريد بصوت منطلق . في هذه الحقبة ظهر أديبٌ ضليع ملأ ذلك الفراغ العظيم واشتغل به جميع حملة الاقلام التركية من شعراء وكتّاب بين خصوم له ألدّاء وأنصار له مستميتين في سبيله . وهذا الأديب الكبير هو الشيخ عمر خلوصي (١٢٦٦ ــ ١٣١٠هـ) الذي عُرف في عالم الادب باسم (المعلم ناجي) ، فان هذا الشاعر الفحل ، والكاتب الذي انقاد له الاسلوب السهل الممتنع ، والاديب الحجة في اللغة وقوانينها ومذاهب بيانها ، قد استطاع أن يلفّ حوله جميع أنصار الادب القديم ، وأن يرقى بهم الي المستوى اللائق بذلك الزمن ، ويقف معهم في وجه دُعاة الاباحة ، والذين يقودهم الضعف وضيق نطاق العلم الى الخروج عن حدود اللغة ومقاييسها وقواعدها المقرَّرة . وقد حاول

هؤلاء وغيرهم من دعاة الطفرة أن يغمزوا قناة المعلم ناجي وينبزوه بالرجعية ويقوّضوا دعائم قلعته ، فامتنعت عليهم ، حتى قال مؤرخ الادب الجديد اسماعيل حبيب (ص ٣٧٣) ان لكل من كال واكرم وحامد مادحين وقادحين ، لكن كلمات القدح كانت ضئيلة الظل تحت أشعة الثناء والاطراء المنبعثة من جانب الاكثرين . وأما المعلم ناجي فلم يُمدَح أديب بقدر ما مُدِحَ هو حتى لقد بلغوا به أجواء السماء ، ولم يهاجَم أديبٌ بقدر ماهوجم هو حتى لقد حاولوا وَأْدَه في أعماق الارضين . والحق أن للمعلم ناجي جانبين من الخطأ أن يُنظَر اليه من أحدهما : فالرجل لم يقتصر على احياء الذوق القديم في الادب ، وانما استطاع أن يوجد روح « الزمن الحاضر » في شعره ، وان يبتدع اسلوب « المستقبل » في نثره ، فهو عصري في شعره أكثر من اكرم بك ، وفي نثره سبق دور مجلة (ثروت فنون) بل استطاع من قبل أربعين عاماً أن يكتب النثر اللائق بوقتنا هذا . فاحياء الادب القديم نصف عمل ناجي والتأسيس للجديد المنتظر كان نصف عمله الآخر . واذا كانت هذه الثَّنَوية موجودة في حياة ضيا باشا وكمال بك الادبية فانما كان روح الادب القديم في الشطر الاول من حياتهما وروح الادب الجديد في الشطر الثانى منها . وأما المعلم ناجي فقد جمع بين الحسنيين منذ كان يدرس العلوم الاسلامية ـ شرعية وعربيـة ـ الى أن وارت الامة جسمه تحت قبة السلطان محمود ، فقد عاش معه القديم والجديد على السواء ، وتمثل فيه الماضي والحاضر في كل الادوار

والمستقبل القريب موعدنا فى الكلام على جماعة (مجلة ثروت فنون) وهم خاتمة الدور الثانى ، ثم على الدور الثالث وهو دور الادب التورانى المتفرنج الشائع في هذه الايام

جرها ؟ Gerrha

خاط الكثيرون في تعيين مأخذ هذا الاسم الذي أطلقه اليونان على القسم الشرقيّ من بلاد نجد وسواحل الخليج الفارسي ، فرأينا أن نُدْلي بكلمة عن بحث صغير أعددناه للطبعة التالية من كتابنا (الفهرست) أو (معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية) . ورأينا أن نعرض له في مجلة « الزهراء » الغرّاء ، حتى نقف على رأي الباحثين من أهل العلم والفضل قبل اثباته في المعجم

أجمع ثقات العرب على أن :

جَرْعاء مالك ـ بالدهناء شرق حُزْوَى

وأن حُزوَى ـ من جبال الدهناء تمتدّ من اليمامة الى ديار تميم

والخطّ ـ سِيفُ البحرين وعُمان . وقراه : القطيف ، والعُقَير ، و قَطَر والنِّهْفوف ... (وتنسَب اليه الرماح الخطيّة)

وجاء في دائرة المعارف الفرنسوية نقلا عن سْترابون Strabon وغيره : Gerrha عاصمة بلاد Gerrhéens ، وهي أيضا فرضة بلاد Chatteniens التي هي سواحل بلاد العرب على الخليج الفارسي ، وأن هذه الفرضة سميت حوالي القرن الخامس الميلادي بالخط

وعليه تكون :

Gerrha مأخوذة من «جَرْعاء » أي جرعاء مالك

فما رأى الباحثين من أفاضلنا في ذلك ؟

محمد أمين واصف

اوراق الخريف

هل كان نثرُكِ غيرَ إيذانٍ بعُمْرٍ قد تقضَّى ؟
هل كنتِ الأرمز أحلامٍ نفِضن اليومَ نُفْضا ؟
مُصفَرَّةٌ ـ شأنُ المماتِ ، بحُمْرَةٍ تحكي النَّجيعْ
وكأنَّما قتلَتْكِ أحكامُ (**الخريف**) بلا شفيعْ !

يرْثيكِ قبلي الطَّيْرُ ، كم أنقذتهِ يافانيهْ
كم كُنْتِ ظِلاًّ يَتقِّي فيه العوادي القاسيهْ
ترثيكِ آلافُ الأشعَّة . . . من غرام كم تجلَّتْ
متكسّراتٍ في دلالٍ ، بالزّمرّدِ قد تحلَّتْ !
يرثيكِ باكي الطَّلّ كم أرضاكِ من بعد النَّدَى
كم كنتِ باسمةً تحيّيهِ وتُعطيهِ اليَدَا !
يرثيكِ ذاوي العُشْبِ محزوناً لما يجني (**الخريف**)
يرثيكِ لا خِلٌّ يواسيهِ وقد غابَ الحفيفْ !
يرثيكِ عقلُ الفيلسوفِ يراكِ لغزاً مُذْهِلا
العيشَ والموتَ المعجَّلَ والرجاءَ المقبلا !
يرثيكِ شِعْرُ النَّحْلِ كم غنَّتْ لديكِ مُرنَّحهْ
بين الأزاهير السخيَّةِ والغصون المفْرَحهْ
ترثيكِ أنَّاتٌ سُمِعْنَ من الجداول في الخريرْ
قد كنَّ أنغامَ السُّرورِ فصِرنَ آلامَ الزفيرْ
ترثيكِ دُنيا قد تركتِ وأنتِ سَكْرَى راضيهْ
لا تأسفين ، فانّ رُوحَكِ / رُوحُ دُنْيا ثانيهْ !

أبو شادي

القصيدة اليتيمة

ومن صاحبُها ؟

كنت قرأت في الدهر الأول في بلوغ الأرب [١] للألوسي المرحوم ٢١ بيتاً منها وهى في النسيب . فأُعجبتُ بها غاية الإعجاب ، وهى والحق يقال مما يورث الإطراب

ثم إنى عثرت فى زوايا البينات [٢] للشيخ عبد القادر المغربى على خلاف عظيم فى تعيين قائلها ـ بينما الألوسي يعزوهـا إلى (بعض الجاهليين) على ما يظهر من كلامه ـ وهاك خلاصة مقال البينات :

القصيدة المسماة الدرة اليتيمة التي أولها :

هل بالطلول لسائلٍ ردُّ أم هل لهـا بتكلّم عهدُ

لم توجد مدوّنةً في شيء من كتب الأدب المتداولة ، وإنما هي ممـا كتبه الشنْقيطيّ [الـكبير] بخطه في مجموعته وذكر « أن أربعين من الشعراء حلفوا على انتحالها وتمارَوْا عليها فيما بينهم ـ ثم غلب عليها اثنان وهما أبو الشيص والعَكَوَّك . ولـكن صحَّ بعد نزاع طويل أنها (للعكوّك الـكندي) لانتساب الشاعر الى كندة في آخرها وهي نيف وسبعون بيتاً » ولولا ذلك لعظم الريب في أن تكون للعكوّك ولـكن الشنقيطي ثقة ـ اه

فأنت ترى هـذا الخلاف الحديث مع الخلاف القديم: إذ الأول يعزوها لبعض الجاهليين ، و الآخر إلى شاعر الدولة العباسية. ثم عثرت على قول ثالث في بعض المطبوعات [٣] وهو يرشدنا إلى امور هامة . وها كه بنصه :

(١) الطبعة الاولى ٢ : ١٨ وهي في الثانية ٢ : ٢٠ (٢) ١ : ٢٠٤ ـ ٢٠٧

(٣) فهرست ابن خير طبع سرقسطة ص ٤٠١

« القصيدة اليتيمة : هل بالطلول لسائل ردُّ

حدثني بها القاضي أبو بكر ابن العربيّ قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفيّ قال أنشدنا جميع قصيدة الحسين بن محمد المَنْبِجي ـ ولقبه (دوقلة) ـ القاضي أبو القاسم التنوخيُّ قال أنشدناها أبو الحسن محمد بن عبيد الله ابن محمد النَصيبيّ الأزدي مؤدّبي وأخبرني أن أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب أنشده عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب لدوقلة المَنْبِجيّ

وأنشدنيها [1] أبو الحسن علي بن محمد النحويّ المعروف بالوزان [2] عن أبي النضر [3] الحلبي النحوي عن الزجاج عن محمد بن حبيب قال : مِن غُفْل شعر (ذي الرُمَّة) قولُه هل بالطلول .. الخ وذكَرَها

وقرأتها [1] على أبي العباس أحمد بن محمد الموصلي الشافعي [4] المعروف بالأخفش قال أنشدني جماعة عن أبي بكر ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي وأبي عبيدة قالا القصيدة اليتيمة هل . . . الخ

وأنشدنيها [1] رجل من الكُتّاب يعرف بأبي الحسن السورانيّ كان يكاثر [5] أبا الحسن النصيبيّ مؤدّبي عن أبي محمد ابن دُرُسْتويه عن أبي العباس المبرّد قال القصيدة التي لا يعرف قائلها وهي اليتيمة هل . . الخ . وفي الروايات ألفاظ وزيادةٌ ونقصان أبيات منها وعرضتها تصحيحاً على أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن حزم [6] الأسدي ـ وقال أبو الحسن علي بن الحسن الرازيّ سمعتُ أبا عبد الله ابن خالويه ينشد هذه القصيدة فسألته : لمن هي ؟ فقال : تُروى لسبعة عشر شاعرا »

(١) هذا كله من قول التنوخي
(٢) في الاصل الوزاز مصحفا وترجم له في معجم الادباء ٥ : ٤٠٩ والبغية ٣٥٥
(٣) كذا بالضاد المعجمة ؟ (٤) البغية ١٧٠ هو استاذ ابن جني (٥) كذا في الاصل
(٦) صوابه جرو الادباء ٥ : ٥ والبغية ٣٢٠

فأنت تعلم أن اسمها (القصيدة اليتيمة) لا الدرة اليتيمة وأن (دوقلة) و (ذا الرُمّة) هما أقدم المستحقّين عصراً ، وان لم أقف على ترجمة لدوقلة . والقول بأن صاحبها هو (العكوّك الكندي) ليس مما يصلح للجزم به

وهناك يتيمة أُخرى وهي (عينية سويد ابن أبي كاهل اليشكريّ) التي أولها

بسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصلنا الحبلَ منها ما اتَّسَعْ

والتي اختارها الضبّيّ [1] وقد دعاها الأصمعي (اليتيمة) على ما في خزانة البغدادي [2]

جامعة عليكره الاسلامية (الهند) عبد العزيز الميمني الراجكوتي



﴿ المجمع العلمي العراقي ﴾

تأسس في بغداد في هذا الشهر مجمعٌ علمي عراقي رصدت له وزارة المعارف في ميزانيتها عشرة آلاف ربية ووافق مجلس النواب على هذا المبلغ . وقد انتخبت الوزارة لرئاسة هذا المجمع الشاعر المشهور السيد معروف الرصافي ولعضويته العلامة الاب انستاس الكرملي . وانتخب هذان ثالثاً وهو الاستاذ الشيخ طه الراوي . والثلاثة انتخبوا صديقنا العالم الفاضل السيد عز الدين علم الدين . وسيجتمع هؤلاء وينتخبون الخامس ثم ينتخب الخمسة سادساً وهكذا الى الثامن . وهي خطوة كبيرة لانعاش اللغة العربية في العراق . وللاستاذ المربي الكبير ساطع بك الحصري فضل في هذه النهضة . وفقهم الله .

(١) مصر ١ : ٨٣ (٢) ٢ : ٥٤٨ ولفظه : فضلها الاصمعي وقال كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدها من حكمها . وكانت في الجاهلية تسمى (اليتيمة) لما اشتملت عليه من الامثال .

المعجم

فيما خفي من أسماء النبات واستعجم

أطلعني الاستاذ العالم العامل الدكتور أحمد عيسى بك ـ صاحب المؤلفات المتعددة في الطبّ واللغة ـ على نماذج من معجمه الذي وضعه لاسماء ماعرفه العرب من أنواع النبات في الاندلس والمغرب ، وفي مصر والسودان ، وفي فلسطين والشام والعراق ، وفي الحجاز واليمن وسائر جزيرة العرب . وهو المعجم الذي عزمت وزارة المعارف المصرية على طبعه تحت إشراف مؤلفه . ويتألف من نحو ٤٠٠٠ كلمة لاتينية تدل كل واحدة منها على نوع من النبات ، والى جانب الاسم اللاتيني رمز فصيلة ذلك النبات ، ومترادفاته اللاتينية ، ثم اسمه بالفرنسية فالانكليزية . وكل هذا في جهة اليسار الخاصة بالقسم الافرنجي . ويقابله باليمين كل ماسمي به هذا النبات من الاسماء العربية أو المعربة أو العامية

وكان العالم النباتي الالماني الاستاذ(شواين فورت ـ *Schwein Furth*) ـ الذي كان رئيساً للمجمع العلمي المصري ـ قد ألف كتابا في ذلك جاء في نحو مائتي صفحة فقام الدكتور أحمد عيسى بك باستقصاء هذا الموضوع والاحاطة به حتى بلغ بمعجمه أربعة أضعاف كتاب الاستاذ شواين فورت

﴿ معجم النبات ﴾

وفي خلال هذا العمل قام الاستاذ أحمد عيسى بك بمهمة أخرى وهي جمع كل مافي كتبنا اللغوية المعروفة من اسماء النبات ـ كاللسان والمخصص والقاموس المحيط ورسائل الاصمعي وابن خالويه وغيرهما في النبات والشجر وكتاب الغريب المصنف ـ ورتبه على ترتيب المعاجم المألوفة وسماه (معجم النبات) ذاكراً إلى جنب الكلمة النباتية التفسير الذي نصّ عليه علماء اللغة بلا زيادة ولا نقصان . فصار مرجعاً لغويا لهذا الموضوع يغني طالبه عن مراجعته في كتب كثيرة

أبو اسحاق الغزي — وديوانه

٤٤١ – ٥٢٤ هـ

ترجمة الغزي — وصف ديوانه ومقدمته — شاعريته — مختارات ابن خلكان — مختاراتنا
التخليط في الشعر — خلط شعر الغزي في شعر الاموي

﴿ ترجمة الغزي ﴾

منذ ثلاثة أعوام تقريباً اطلعت على ديوان صغير لهذا الشاعر فراقني شعره وعلقتْ منه في ذهني أبيات رقيقة لم يكد يمحوها من صحيفة ذاكرتي كرُّ الغداة ومر العشي، فكانت سبباً لانارة البحث عن قائلها ونشر صحيفته بعد أن طوتها يد الدهر منذ قرون

لا أذكر أني سمعت من قبل شيئاً عن هذا الشاعر ، أو قرأت عنه فيما قرأت في الكتب والدفاتر ، ولا أعلم في أي عصر كان ، ولا متى دخل في خبر « كان ». ولكن ماورد فى ديوانه من أسماء ملوك الدولة السلجوقية وأمرائها سهل عليَّ التعرف به . وأول من تقدمت اليه ليعرفني به الشيخ عز الدين ابن الاثير المؤرخ الشهير ، فقال لي بعد بحث طويل :

« . . . وفى سنة ٥٢٤ هـ توفي ابراهيم بن عثمان بن محمد أبو اسحق الغزي من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ، ومولده سنة ٤٤١ هـ ، وهو من الشعراء المجيدين . فمن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك :

في فتية من جيوش الترك ما تركت   للرعد كرّاتهم صوتاً ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة   حسناً ، وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وله في الزهد :

إنما هذه الحياة متاع   والسفيه الغويُّ من يصطفيها
ما مضى فات ، والمؤمَّل غيبٌ   ولك الساعة التى أنت فيها » .

هذا ما حدثني به الشيخ ابن الاثير ولم يزد . فودعته وانصرفت ولم تنقع بحديثـه غلتي . وفيما أنا جادٌّ في طريقي اذ تذكرت جهينة الأخبار القـاضي ابن خلـكان ، فصمدت اليه ، وعرجت عليه ، طالباً منه الافادة ، عسى أن يسعفني ببغيتي وزيادة ، فما سألته عنه حتى أفاض في الحديث وأورد مختارات من شعره كان معجبًا بها ، وذكر لي مبتدأه وخبره . فقال جزاه الله خير الجزاء :

« أبو اسحق ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الـكلبي الأشهبيّ . وقال ابن النجار في تاريخ بغداد : هو ابراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد بن عمر بن عبد الله الاشهبي الـكلبي الغزي الشاعر المشهور شاعر محسن ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال : دخل دمشق وسمع بهـا من الفقيه نصر المقـدسي سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، ورحل الى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ومدح ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم . ثم رحل الى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها وانتشر شعره هناك . وذكر له عـدة مقاطيع من الشعر واثني عليه ». ثم قال : « وله ديوان شعر اختاره لنفسه . وذكر في خطبته أنه ألف بيت[1] . وذكره العماد الـكاتب في (الخريدة) وأثنى عليه وقال : إنه جاب البلاد وتغرب وأكثر التنقل والحركات وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية . . . »

(١) كذا في وفيات الاعيان طبعة المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠ وطبعة مطبعـة الوطن سنة ١٢٩٩ . ومن الغريب ان الترجمـة منقولة عن ابن خلـكان في أول النسخة التيمورية من ديوان الغزي التي سيأتي ذكرها في هامش الصفحة التالية وفيها « وذكر في خطبته أنه خمسة آلاف بيت » وهذه النسخة استعارها الشاعر الـكبير محمود سامي باشا البارودي من الخزانة التيمورية واعتمد عليها فيما اثبته في مختاراته من شعر الغزي والترجمة التي في اولها مكتوبة بأمره وبقلم كاتبه . ولا ادري من اين أتي بهذه الزيادة . فاذا لم يكن اعتمد فيها على مصدر تاريخي فالراجح انه جنح الى الاخذ بما في خطبة النسخة التيمورية كما سيأتي . وترجم ابن الانباري للغزي في طبقات الادباء (ص٤٦٢) وأثنى على شعره ولم يذكر عدده . وكذلك الحال فيما ترجم له به ابن عساكر (٢ : ٢٢٩ طبعة دمشق) وانظر هامش ص٢٣١ من هذا المقال (الزهراء)

وهنا أورد أبياتاً من روائعه وبدائعه (وسنوردها في الكلام على ديوانه) حتى اذا فرغ منها قال : « ولد الغزي المذكور بغزة ـ وبها قبر هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ـ سنة ٤٤١ هـ وتوفي سنة ٥٢٤ هـ ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ونقل الى بلخ ودفن بها . ونقل عنه أنه كان يقول لما حضرته الوفاة : أرجو أن يغفر الله لي لثلاثة أشياء ؛ كوني من بلد الامام الشافعي ، وأني شيخ كبير ، وأني غريب . رحمه الله وحقق رجاءه » .

﴿ ديوانه ﴾

والآن ـ وقد ترجمنا لصاحبنا ، وعرفنا منزلته عند علمائنا وأدبائنا ـ أمثال ابن النجار وابن عساكر والعماد الكاتب والقاضي ابن خلكان ـ فلنصف ديوانه ، ونلمّ بشاعريته ، وننظر هل هو « شاعر محسن » كما نعتوه

أما نسخة الديوان التي بيدنا فهي سقيمة الخط ، كثيرة الغلط ، طولها ١٥ سنتيمتراً وعرضها ٩ سنتيمترات . ولعل عمرها لم يبلغ قرناً واحداً [1] . وقد جاء في مقدمتها مانصه على علاته : —

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا ديوان الشيخ الامام الاجل الاديب وحيد دهره وزمانه ، في معانيه وبيانه ، أبي اسحاق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الاشهبي المعروف بالغزي الشاعر المفلق البليغ المشهور * مما قاله في النثر كالخطبة للكتاب :

(١) ونحن لاعجابنا بهذا المقال واهتمامنا بهذا الموضوع بحثنا عن ديوان الغزي في القاهرة فعلمنا من علامتنا الجليل الاستاذ احمد تيمور باشا أن في خزانته نسخة منه (رقم ٣٤٥ شعر) فاطلعنا عليها واستفدنا منها في التعليق على مقال الاستاذ الاثري فوائد مهمة . والنسخة التيمورية كتبت سنة ١٢٧٦ هـ وصفحاتها ٢٢٣ بطول ٢٣ سنتمترا وعرض ١٦ وأسطر الصفحة ٢٥ . وما قد يجده القارىء في مقالة الاستاذ الاثري بين هاتين العلامتين [ ] فقد زدناه من النسخة التيمورية

[أما بعد حمد الله الواجب ، والصلاة على نبيه محمد المخصوص بالمناقب ، وآله الطاهرين الاطايب . فان الشعر زبدة الادب ، وميدان العرب ، كانوا في جاهليتهم يعظمونه تعظيم الشرائع ، ويعدونه من أعلى الذرائع . وجاء الاسلام فأجراه على الرسم المعهود ، في قطع لسان قائله بجود : واذا طالعت الاخبار وصح عندك ما فاض من احسان النبي صلى الله عليه وسلم على حسّان بن ثابت بن قيس ، وجعله البردة على كعب بن زهير ، واهتزازه للشعر الفصيح ، وقوله « ان من الشعر لحكمة » علمت أن اكرام الشعراء سنة الغاها الناس لعمى البصائر ، وتركب الشح في الطبائع . وقد كنت في عنفوان الصبى ، أُلمُّ به إلمامَ الصبا ، بخزام الرُّبا . وأنظمه في غرض استدعيه ، لاذن تعيه . فلما دُفعت إلى مضايق الغربة ، جعلته وسيلة تستحلب أخلاف الشيم ، وتستخرج دُرَر الافعال من أصداف الهمم . حتى اذا خلا الزمان] من راغب في منقبة تحمد، ومأثرة تخلد ؛ [وثبت من الانزواء على فريسة لا يرحمني فيها أسد ، ولا يرضى بها أحد] على أن من سالمه الزمان ، أجناه ثمرة الاحسان . ومن ساعدته الايام ، أعثرته على الكرام ؛ وآية ذلك [ان الوزير] الاجل بهاء الدين رشيد الدولة [كريم الملك تاج الحضرتين ذا السعادات أدام الله تأييده ، وضاعف في علو المجد مزيده] التمس مني جمع فقر من شعري ليروض النفس بحفظها ، وتأمل معانيها ولفظها ، فعلمت ان التماسه ذلك [مع وجود] لفظ الوليد ، ومعاني أبي تمام المجيد ، وحكم أبي الطيّب [انما هو حيلة] على الانعام باسداء الايادي ، ومباراة الغوادي

ان الكريم على العلياء يحتال

وقد جمعت له ما قلت فيه وفي غيره (الف بيت [1]) ضاق الوقت عن

(١) في التيمورية (خمسة آلاف بيت) . وفي الواقع ان ماجمع فيها من الابيات المنسوبة الى الغزي يبلغ هذا المقدار ان لم يكن يزيد عليه

تنقيحها ، واماطة سقيمها عن صحيحها . والاعتماد [على] كرم الناظر فيها ، والمتأمل لها والمستضيء بها ؛ [أن يسبل ذيل الستر عليها ، وأن لا ينظر بعين التعصب اليها] ومن الله التسهيل . وهو حسبي ونعم الوكيل » .

***

وصاحبنا ـ كما سمعته ـ يذكر أن عدد أبيات ديوانه ألف بيت ، وقد جد بنا الحرص على احصاء أبيات نسختنا فاذا هي تنيف على (١٢٥٠) بيتاً . ولم ذلك ؟ هل العدد لامفهوم له عنده ؟ أم النسخة قد زيد فيها فهي لا يوثق بها ؟ ذلك أمر أتركه اليك ...

***

والديوان يشتمل على مواضيع مختلفة فمن وصف بديع ، الى حكم رائعة ، الى مديح مطرب ، الى هجاء مؤلم ، الى ذكر وقائع تاريخية تعين على فهم كثير من الأمور ، الى غير ذلك مما يدل على براعة صاحبنا في صناعته ، وسلامة ذوقه ودقة فهمه ، وقدرته على تنويع الاساليب

ولكن هل هو في شعره كالبحتري أو أبي تمام أو أبي الطيب كما عد نفسه في المقدمة في عدادهم ، ووقف في صفهم ؟ ذلك ما لا يحسن بنا أن نقره عليه . فهو وان كانت له آيات ، وعيون أبيات ، لكنها لا ترفعه الى حيث كان أبو الطيب واضرابه . وغاية مايسعنا أن نقول انه بجملة شعره بل بالمختار منه شاعر محسن كما نعتوه . وكلفه بالالفاظ لايقل عن كلفه بالمعاني ، وان كان قال :

ان لم تكن لي بشنّ اللفظ قعقعة ... فلي بمعناه ابداع واغراب

ومما أُعجب به القاضي ابن خلكان من شعره قوله :

حملنا من الايام مالا نطيقه ... كما حمل العظم الكسير العصائبا

وقوله في قصر الليل ـ وقال « هو معنى لطيف » ـ :

وليل رجونا أن يدبّ عـذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

وقوله ـ وقال « إنه من جيد شعره » ـ :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار : فلا جواد يرتجى منه النوال ، ولا مليح يعشق

ومن العجـائب أنه لا يشترىٰ ويخان فيه مع الـكساد ويسرق

وكأنى بابن خلكان ـ مثل صاحبنا ـ لا يرى باعثاً على قول الشعر غير رجاء النوال ، وعشق الغزال ، فاذا انسد هذان البابان ، وتعذَّر هذان الامران ، فسد الزمان ، وكان ما كان ، والله المستعان !

وقوله ولم أجده في نسختنا [١] :

وخز الأسنة والخضوع لناقص أمران في ذوق النهى مرّان

والرأي أن يختـار فيما دونه الا مران وخز أسنـة المران

وقوله ـ ولم أجده في نسختنا [١] بل أذكر أنى رأيت الخفاجي فى شفاء الغليل ينسبه الى المعري فليحقق ـ :

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى تحريك لحيتـه في حال ايماء

إن الوزير ولا أزر يشـد به مثل العروض له بحـر بلا ماء

وقوله :

وجفّ النـاس حتى لو بكينـا تعـذر ما يبل به الجفون

فما ينـدى لممدوح بنـان ولا ينـدى لمهجوّ جبـين

ولا أعلم ماهى المناسبة بين جفاف الناس وبخلهم وبين تعذر ما يبل جفونه اذا بكى ، وهل يصح أن يكون هذا غاية لجفاف الناس وبخلهم ؟

وقوله ـ وقال ابن خلـكان « هو مما تستملحه الأدباء وتستظرفه » ـ :

(١) وليس في النسخة التيمورية أيضا . (الزهراء)

اشارة منك تغنيني ، وأحسن ما   رُد السلام غداة البين بالعنم
حتى اذا طاح عنها المرط من دهش   وانحل بالضم سلك العقد في الظلم
تبسمت فاضاء الليل فالتقطت   حبات منتثر في ضوء منتظم

قال القاضي : والبيت الاخير منها ينظر الى قول الشريف الرضي :

وبت بارق ذاك الثغر يوضح لي   مواقع اللثم في داج من الظلم

وقد ألمّ به بعض البغاددة في (مواليا) على اصطلاحهم فانهم مايتقيدون فيه بالاعراب ، بل يأتون به كيفما اتفق ، وهو :

ظفرت ليلى بليله ظفرة المجنونْ   وقلت وافىْ لحظي طالع الميمون
تبسمت فأضاء اللؤلؤ المكنون   صار الدجى كالضحى فاستيقظ الواشون

والاصل في هذا المعنى بيت أبي الطمحان القيني :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظّم الجزع ثاقبه

***

ومما راقني من شعره قوله في صبيّ يسبح :

وسابح في لجة شقها   شق شهاب جيب ظلماء
سال من اللطف فلم استطع   تمييزه من جملة الماء

وقوله من قصيدة في شكوى الزمان ومدح القناعة وذم الحرص :

وحتامَ أرجو دولة وزراؤها   يردّون ان حييتهم بالحواجب
مصيبون في تخجيلهم كل مادح   وعين صواب الرأي تخجيل كاذب
سواء لديهم ماحوى سلك ناظم   وما ضمه في ظلمة حبل حاطب
شروا سفهاً بالثعلب الليث واشتروا   بصرصرة البازي صريرَ الجنادب

ومنها :

رأيت الورى أسرى لمن كان موسراً   وحربا لمغلوب وحزباً لغالب

اذا ملكوا كانوا أسود خفية وان عجزوا كانوا صغار الارانب

ومنها :

فان دنيات السجايا اذا هوى بها المرء لم يرفعه فخر المناصب

وقوله من قصيدة طويلة يهجو بها شروانشاه فريبرز بن سلار بشروان ويذكر مناظرته :

قم نفترعها كأنها الذهب بكراً ابوها وأمها العنب
أرق من عَبرة اليتيم ومن عبارة الصب قلبه وصب
مدامة تصقل القلوب اذا رانت عليها الهموم والريب
كؤوسها انجم نضل بها لا يهتدي من تضله الشهب
لا فدْمَ فينا ولا فدام لها عروس دنّ عقودها حبب

الى أن يقول في المناظرة :

وجملة الحال أنه رجل لا صمَدٌ عنده ولا صبب
ليس له في انتشار محمدة رضاء ولا من مذمة غضب
أفصح ما كان فيه منظره يقول لي : ضاع ويحك التعب
لما تأملتُ في شمائله والله يغوي بما به يهب
لاحت أمور خفتُ الضلال بها واندقّ نبع القياس والغرَب
ضعف جنان في أيد مملكة غمد حديد ومنصل خشب
فقلت : لابد أن أشافهه بحاجتي والرجاء منقضب
وخلت كشفَ القناع ينفعني والكشف في غير وقته حجب
جئت بحذّاءَ لا جوار لها في دار أخلاقه ولا صقب [1]
أُنشد أبياتها ليفهمها وهو لهدم البيوت منتصب

---

(١) الصقب : القريب . والجار أحق بصقبه اي بما يليه ويقرب منه

يقول : لا يتعبنَّ خاطره فما لنا في قصيدة أرب
المال روح والشعر رائحة تعبق بالعرض والغنى حسب
قلت اهتزاز النبي قدوتنا لابن زهير شهوده الكتب
فقال واحثوا التراب في أوجه الـ ـمداح من قوله الذي يجب
انى عا سن قائل أبداً لا بالذي فيه يذهب الذهب
قلت : حسام الشجاع ضيعته والليث من مخلبيه يكتسب
قال فمن ذاك أنه سغباً ينام ، ما عز من به سغب
والحزم للنمل في قراه قرى مدّخر ، والمباح منتهب
قلت : أليس البخيل أبتر والا أبتر من كان ماله عقب
قال : لعمري وأي فائدة في النسل يامن سلاحه نقب
قلت : السخا في الملوك معتبر كالسبق في الخيل حين تنتسب
قال : فشطر تختاله فرس لاردَيان لها ولا خبب ؟
قلت : أليس الحسنى يضاعفها اللـــه وللواهبين ما وهبوا
قال : فمن يشترى النسيئة بالنقـ ـد لذاك الجبان والخرب
فقلت : لافض غير فيك فقد فل لساني لسانك الذرب
برزت في جمعك الفضائح لا طهّر منها جنابك الجنب
لولا فريبرز ما اهتدى أحد إن الخنا مذهب له شعب
أغرّه كونه بزاوية وبين قوم كأنهم قصب
جنـد بنار الطوى يثقفهم وقلعة من حماتها الحطب
مذ لم تزل أجدل الجدال على انك في حومة الوغى خرب
أنت جمادى اذا سئلت ندى ويوم تدعى الى العلى رجب
مالك عرض تخاف وصمته أي طلاق تخافه عزب ؟

ان كانت الصل مالها سلب   يرجى ففي دق رأسها سلب

ومن قصيدة كتبها الى الوزير ابي طاهر من بغداد سنة ٥٠٨ يخطب مودته :

يا ربع فيك المها والاسد أحبابُ   فقل لنا اكناس أنت أم غابُ ؟
بين الكثيبين حي لغوهم أدب   محض وايجازهم في القول اسهاب
خطوا وأقلامهم خطية سلبٌ   فهم على الخيل أميون كتّاب
أهل الاصابة ان قالوا وان سمعوا   وللسماع كما للقول إعراب
غير الهبيد وبرض البيد ماعرفوا   والعز يعذب في اكوابه الصاب
كلٌّ يحاول ما يبقى الصلاح به   فالمبتغى واحدٌ والناسُ أضراب

***

أنا امرؤ وزعت اوكاره نوب   خطوبها عن شفار البيض نواب
ان لم تكن لي بشن اللفظ قعقعة   فلي بمعناه ابداع واغراب
والشعر ليث له من لفظه لبد   ومن معانيه أظفار وانياب

وقوله :

لا تطمعن بوصل خود أبصرت   سيف المشيب على الشباب مجردا
عذر الكواعب انهن كواكب   لا يجتمعن مع الصباح اذا بدا

وقوله :

لولا ملاحظة الكبير صغيره   ما كان يعرف في الانام كبير

وقوله في الهجاء :

لئن رفعت محلته الليالي   فكم رفعت كل كتف جنازه

وقوله :

لا يألمون ، فضرب السيف عندهم   كالضرب في النحو فهل مابه وجع
اذاسجا الليل في اللاواء واحتجبت   زهر النجوم فضل الحاذق الوقع
دعته نار مقاريهم بالسنة   فوق الغضى من شدوق الاكم تندلع

وقوله :

كم قال قلبي لعيني : أنت موقعتي   فقالت العين : منك الظلم والجنف

ارسلتني رائداً والأرض مسبعة ... وعدت تجحد من خوف واعتسف

وقوله:

للحسن امواه تروق بروضة ... وعلى مواردها الدماء تراق

وقوله:

نطقوا باعينهم، وأفصح صامت ... دمع تفض ختامه الاشواق

وقوله:

شربُ الدواء المر يعقب صحة ... تحلو، وان لم يحل منه مذاق

وقوله:

والمرء أتعب ما يكون اذا ابتغى ... سعة المعيشة في الزمان الضيق

وقوله:

ألزمتني حصر الكواكب وهي لا ... تحصى، فبت وبالمحال تعلقي

وقوله:

ما الدهر الا ساعتان: تفكر ... فيما مضى، وتزوّد فيما بقي

وقوله:

ان الاديب بلا سفيه مفحم ... ما قام سور لا يصان بخندق

وهو من القول المشهور «ذلّ بيت لا سفيه فيه». وقوله:

والسحب في برد تسح كانها ... ترمي البسيطة عن قسى البندق

وقوله في وصف القلم:

وظمآن يروى بعد شق لسانه ... ولو صح لم تنقع صداه المناهل

توهم أن السِفر بحر وماله ... سوى موضع العنوان والختم ساحل

فبادره يهوي على أم رأسه ... ولا موج الا المشق والدر نامل

اذا سقيت منه القراطيس أورقت ... وأورق عود المبتغى وهو ذابل

وألطف مافي صنعه أن رمزه ... بمصر الى من بالعراقين واصل

وان الذي تسقيه حين يمجه ... لجاف وعاف منه حتف ونائل

كذا ثمرات الارض والماء واحد ... به اختلفت الوانها والمآكل

وقوله في الدعاء :

بقيت بقـاء الدهر يا كهف أهله ... وهـذا دعاء للبرية شـامل

وقوله :

المجـد كف والسماح بنانهـا ... لاخير في كف بغير بنـان

والشعر سوق لانفـاق لعلقها ... الا على ملك عظيم الشـان

وقوله :

لا اشتكي هـذا الزمان وأهله ... الفضل محسـود بكل زمان

وقوله :

أصبحت في زمن تنـاسب أهله ... فكأنه مشط وهم أسنـانه

يتقيـد المدح الطليق بصـدهم ... حتى تقصر خطوه أسقـانه

والصد ليس بمنكر من منكري ... قولٍ تعـذر عنهـمُ برهانه

انا من رمته الحادثات بمنزل ... نابٍ تخـاف بغاثَه عقبـانه

لاغرو ان تجنى عليَّ فضـائلي ... سبب احتراق المنـدلي دخانه

. . . .

كالغيث طوراً يتقىَ من سيله ... غرقاً ، وطوراً يرتجى تهتـانه

والليث يصلح للفرانق قرنه ... لو كان يمكن سلمـه وأمانه

والبحر مااحتملت له المنن الطلى ... حـتى ينظم في الطلى مرجانه

والبدر يشترك الورى في نوره ... فينال منه ولا ينـال مكـانه

وفي الجملة فان جل هـذا الديوان ـ ان لم أقل كله ـ درر وغرر ، تشهد للغزي بالبراعة ، في الصناعة ، ولو لم يكن فيـه سوى ما أزجيناه بين يديك من المقاطيع السحرية ، والابيات السائرة ـ لكفى[١] . وعسى أن يهيء الله له من

(١) ومما يدل على مالشعر الغزي من المكانة عند الاقدمين ماروواه ابن الانباري في طبقات الادباء (ص٤٦٤)أن اابا الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم الطبري الاديب كان يقول غير مرة في المذاكرة ـ اذا استحسن شيئا من شعر نفسه ـ : « هذا يشبه شعر الغزى » ـ (الزهراء)

يخدم الادب والتاريخ بنشره ، فانه لا أقل من أن يكون خيراً من هذه المجاميع الشعرية السخيفة التي يتهافت على طبعها ونشرها جهلة الوراقين ، ويعرضون بها اللغة والادب الى الفساد ، ساترين عوارها بتسميتها باسماء ضخمة وبتز يينها بالصور ، والله المستعان

***

هذا وبعد الفراغ من انشاء هذه المقالة تناولت ديوان أبي المظفر محمد بن أحمد القرشي الاموي الابيورديّ الشاعر الرقيق لترويح النفس وتنشيط القريحة بنجدياته المطربة ووجدياته المشجية وعراقياته الساحرة ، وما كنت مطلعاً عليه من قبل ، فما كدت أسرح طرف الطرف في رياضه الغناء ، ومروجه الخضراء ، حتى وقعت على قصيدة تذكرت في الحال أني كنت قرأتها في غير هذا الديوان ولكن أي ديوان هو ؟ خطر لي أن أقرب عهد لي كان بديوان الغزي ، فرجعت اليه فاذا هي مثبتة فيه ، فوجمت واتهمت النسخة التي بيدي . ثم رأيت أن أرجع الى ديوان الاموي واتصفحه ، فما انتهيت منه الا ووجدت فيه نحو خمس وعشرين قصيدة من شعر الغزي ، فزادني الامر تحيراً واضطراباً وأخذت تساورني الافكار وتتوارد عليّ الخواطر. وما زلت كذلك حتى انكشف لي الغطاء وتبينت الامر وظهر لي خطأ نسبتها الى الاموي خطأ لا مرية فيه

كانت العرب في الجاهلية وصدر الاسلام تعتمد على الذاكرة في تلقي الحكمة والاشعار والاخبار كما هو مشهور . وكان كثيراً ما يختلط الامر ولا سيما على رواة الشعر اذا اتفقت لشاعرين أو أكثر قصائد من وزن واحد وقافية واحدة وفي موضوع واحد ، فيدمجون أبياتاً من قصيدة في قصيدة أخرى واذا تشابه بيتان من قصيدتين مختلفتين في كثير من ألفاظها فيدخلون بعض الفاظ أحد البيتين في الآخر أو يؤلفون بيتاً واحداً من بيتين ان كان ذلك لشاعر واحد ومن

قصيدة واحدة ، ونحو ذلك . ويسمي القدماء هذه الانواع من الخطأ في النقل «التخليط في الشعر ». والمتوغل في كتب الادب ، ودواوين شعراء العرب ، يعثر على شيء غير نزر من ذلك (ونحيلك الآن على فصل كتبه صديقنا الاستاذ السيد محب الدين الخطيب في المجلد الاول من مجلته الزهراء ص٢٦[١] ، وعلى المستدرك على شرحنا لبلوغ الارب في أحوال العرب) ولكننا لم نر كاليوم ديواناً يختلط في ديوان آخر مثله ولا يكاد ينتبه أحد اليه ، فينبه عليه ، ويعصم حتى أديب من كبار الادباء ! واذا كنا نعذر الاقدمين من الوقوع في ذلك لاعتمادهم على الذاكرة في تخليد الأشعار والأخبار فقبيح بنا اليوم أن نعذر من يقع في مثل ذلك بل فيما هو أشد فظاعة وشناعة مع تيسر كل شيء نحتاج اليه

قسم الاموي ديوانه الى أقسام منها العراقيات والنجديات والوجديات ، ولما عزم السيد عبد الباسط الانسي على طبعه غيّر وضعه ورتبه على حروف الهجاء وأدمج فيه ماليس منه حيث اعتمد على نسخ لا يعلم مبلغ بعضها من الصحة الا الله . والذي حمله على ذلك هو مابيّنه في آخر الديوان بقوله : « ... وبالنظر لوفرة النسخ وتعدد القصائد في بعض الدواوين المذكورة رتبنا هذا الديوان على حروف الهجاء حتى اجتمع في هذه النسخة جميع ما في النسخ التي عثرنا عليها ولم نترك منها شيئا الا أدخلناه في قافيته » فيفهم منه أن بعض النسخ التي اعتمد عليها خلو من هذه القصائد ولكنه أدمجها من غير أن يتثبت ويبين الامر . وهذا (الدليل الاول) على أن تلكم القصائد انما هي لأبي اسحاق الغزي لوجودها في ديوانه ولنسبة العلماء كثيراً من أبياتها اليه كما سيجيء

---

(١) ولذلك البحث تتمة مهمة في التنبيه على ماوقع من تخليط في نحو عشرين قصيدة أخرى من غرر القصائد العربية ، وكان يحول بيننا وبين نشر تلك التتمة كثرة المواد المعروضة للنشر (الزهراء)

الدليل الثاني : وردت في ص ٦٢ من ديوان الاموي قصيدة تائية من شعر الغزي ، وهي وان لم تكن مثبتة في نسختنا إلا ان ابن الاثير أورد منها بيتين في ترجمته وقال انهما من قصيدة له يصف فيها الاتراك كما تقدم ومن البعيد أن يخطيء ابن الاثير في نسبتها الى الغزي ويتنزه عن الخطأ بل الخلط من يعتمد على مالا يصح الاعتماد عليه

الدليل الثالث : وردت في الاموي قصائد عديدة من شعر الغزى اختار منها القاضي ابن خلكان ابياتا أوردها في ترجمته وقد أوردناها عنه فيما تقدم وعلقنا على بعضها . والقاضي ابن خلكان قد وقف على ديوان الغزي واختار ما اختارمنه بنفسه فيستحيل أن تكون تلك القصائد للاموي

الدليل الرابع : في ديوان الاموي ص١١٥ قصيدة قال انها في مدح المقتدي بامر الله وتهنئته بالعيد. وانما هي للغزي في مدح رشيد الدولة يدل على ذلك قوله فيها :

اليك رشيد الدولة انساقت المنى فجاءت وحاديها اليك رشيد

الدليل الخامس : أنه ذكر في قصيدة من تلك القصائد (ص٣٥٦)ازماعه الرحلة من غزة وهي بلدته الى عسقلان وذلك حيث يقول :

أين دعواك والغواني غواني والمغاني كاللفظ حاز المعاني
ونواك الشطون ازماعك الرحلـــة من غزة الى عسقلان

وصاحبنا هو الغزي الذي كان يقول لما حضرته الوفاة « أرجو ان يغفر الله لي لثلاثة أشياء : كوني من بلدة الامام الشافعي . . . » وبلدة الشافعي وبلدته غزة ، وما كان الاموي الابيوردي يوماً غزياً ولا عرف عنه انه كان فيها وارتحل عنها

هذا عدا ما بين شعر الشاعرين من التفاوت في الاسلوب . وكانت وفاة الاموي بعد وفاة صاحبنا بنحو أحد وثلاثين عاماً . والله أعلم

بغداد : ٢٨ محرم سنة ١٣٤٥ هـ محمد بهجة الاثري

عرس الاصيل

غنّى الأصيلُ فقمتُ أرقبُ عرسَه قبلَ التفرُّقِ في المساءِ الدّاني
فاذا الأشعةُ راقصاتٌ مثلما رقصتْ لتلعبَ بالقلوب غواني
يتموَّجُ الماءُ الطروبُ وتزدهي وثباتها عجبًا على الأغصانِ
طوراً مُذهَّبةً وآناً فضةً وأعزُّها سِحرٌ بسحرِ بيانِ
والتمْرُ محمرٌّ ومصفرٌّ على عالي النخيل كجمعها الفتّان !
جُمعتْ به الأضواءُ بعد تفرُّقٍ وبدتْ به الجمَراتُ حلوَ جُمانِ
واذا المروجُ عساكرٌ، أعلامُها خضْرٌ، تهزُّ أسنّةَ المرّانِ
واذا العَرُوسُ الشمْسُ بين زوارقٍ هُنَّ السحابُ لبسن ثوبَ حسانِ
وإذا السماءُ بُحيرةٌ ترنو لها عينُ الطبيعة والجمالُ الهاني
في مَعْرِضٍ صُوَرُ الوجودِ ضحوكةٌ فيه تُشاطرُ صفْوَه المتفاني !
وأمامَه الدنيا على عزْفِ الهوى سِرّاً وجَهْراً في أحبِّ زمانِ !
أين التفتُّ رأيتَ حسناً باسماً وشهدتَ أحلاماً وصدقَ أماني
أُنظرْ معي هذا الفضاءَ وما وعَى مِنْ كلِّ ما يهواه عِشْقُ جَنانِ
مِنْ سطحِ منزليَ القريرِ كرصدٍ للفنِّ لاحَ لخاطرِ الفنّانِ !
أُنظرْ ولا تهزأْ فتلكَ جواذبٌ أولى بروحكَ مِنْ بعيد جِنانِ !
وتأمّلِ العُرْسَ السنيَّ وثقْ بما يُوحيهِ مِنْ حُبٍّ وعذبِ معَانِ
ما فاتهُ حتى الجماد وحقُّهُ طَرَبُ العقولِ وغبْطةُ الانسانِ

أبو شادي

ملاحظات على كتاب (فى الشعر الجاهلى)

— ١ —

أرى أن أحسن طريقة لمن يرى أن طه حسين وأمثاله يخرجون عن جادة الحق ويخطئون فيما يقررون أو يستنتجون ، أن يفندوا آراءهم باسلوب نزيه تمحيصي وأن يدحضوا حججهم بمثلها . فبهذه الطريقة فقط يجعلون الناس يحكمون على مايكون في أقوال هؤلاء وكتاباتهم من ضعف ووهن ، ويخدمون الحقيقة التى ينتصرون لها ويدافعون عنها

بهذه الروح قرأت كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي) ودوّنت ملاحظاتي عليه . ومع أنى أعترف بما في أسلوب الدكتور من قوة وفى بعض أبحاثه من منطق وصدق نظر وتعليل فاني لا أرى بدًّا من القول بأنه في بعض أبحاثه يحاول أن يستهوي القاريء استهواءً أكثر من أن يقنعه اقناعاً فيسوق نظريته ويوهمك أنها قضية مُسلّمة بدون أن يدعمها بشاهد وبرهان ، عند ما تكون في أشد الحاجة الى الشاهد والبرهان . وقد يبدي نظرية ثانية يبنيها على نظريته الاولى ، ويسوق الثانية كأنها قائمة على نظرية سابقة ثابتة مسلم بها ! وله عادة تظهر فى بعض أبحاثه وهي تناوله رأي خصمه أو نظريته — حديثةً أو قديمة ، متعارفة أو ضعيفة — باسلوب المتنقص المتهكم الزاري ، ويحاول هدمها به . مع أنها قد لا تكون من الضعف بحيث تنهدم بهذا الاسلوب ، وقد يكون فيها من الشاهد والبرهان مالا يمكن التغلب عليه الا بما هو أقوى من الشاهد والبرهان . وفي اعتقادي أن هذه ناحية ضعيفة في الدكتور قد يصيب منه من ينفذ اليه منها

— ٢ —

ليس في الكتاب شيء جديد الا الدعوى بان العرب كانوا مختلفي اللغات بدون تحديد زمن ، وبان الشعر الجاهلي غير صحيح النسبة على اطلاقه لأنه جاء بلغة واحدة وعلى نمط واحد ، مع أن الشعراء مختلفو الشعوب والقبائل والموطن فيلزم أن يكونوا مختلفين بلغاتهم ولهجاتهم ، وبالتبعية يلزم أن يكون شعرهم مختلفاً في لغته ونمطه . والذى أراه أن هذه الدعوى التى هي الشيء الجديد في الكتاب غير مبرهنة ، وهي من أضعف النقاط فيـه . والا فان القول بانتحال الشعر والتشكيك فى شخصية بعض الشعراء وتناقض الراوة حولهم واختلافهم في ما نقلوه عنهم من أشعار وقصص وما ترجموهم به من تراجم وما قاله عن قصة اسماعيل وابراهيم والكعبة الى غير ذلك كلها أقوال مسبوق اليها اما قديماً أو حديثا

— ٣ —

عقد في كتابه باباً باسم (مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلتمس من القرآن لا من الشعر الجاهلي) قال فيه ان الحياة الجاهلية تدرس في القرآن وفي الشعر الاسلامي والأموي أكثر من الشعر الجاهلي ، وعلل ذلك بأن نص القرآن ثابت بعكس الشعر الجاهلي فانه غير ثابت . ويقول : ان الادباء يعتقدون أن العرب كانوا قبل الاسلام امة معتزلة تعيش في صحرائها لا تعرف العالم الخارجي ولا يعرفها العالم الخارجي ، وأن هذه العقيدة جعلتهم يبنون قضايا ونظريات ، فيقولون مثلا ان الشعر الجاهلي لم يتأثر بهذه المؤثرات الخارجية التي أثرت في الشعر الاسلامي ، ولم يتأثر كذلك بحضارة الفرس والروم وغيرها ، مع أن القرآن أنبأنا بعكس ذلك اذ يصور للعرب حياة دينية وعقلية بما كانوا عليه من قوة الجدل واعنات النبي ﷺ بالمسائل وادراكهم كثيراً من دقائق الابحاث الفلسفية اللاهوتية وبما كانوا عليه من صلات واسعة بالامم الاخرى

والذي أراه أن المؤلف يلقي الكلام في هذا الباب القاءً لا يؤيده شاهد ولا واقع . ففي الشعر الجاهلي المنسوب الى شعراء الجاهلية أشياء كثيرة جداً تدل على أن العرب عرفوا العالم الخارجي وتأثر كلامهم به ، وفيه أشياء كثيرة جداً تصور حياة العرب الدينية والعقلية والاجتماعية أيضا . واذا كانت عقيدة الادباء تستند الى ما هو مروي من الشعر الجاهلي فكيف يعقل أن يعتقدوا ويقولوا بغير ماهو موجود في هذا الشعر ؟ واذا صح عن بعضهم قول مثل هذا فلماذا لا يشير المؤلف اليه ، وكيف جوّز لنفسه التعميم وبنى عليه رأياً عظيم الخطر ؟ وهل من المعقول أن يبنى الادباء عقيدتهم على غير الشعر الجاهلي ؟ وهذا الشعر بين أيدي الناس جميعاً يحفظونه وينشدونه ويتذوّقونه ويبنون عليه تاريخاً للعرب الجاهليين في صلاتهم مع الروم والفرس أولا ، وفي حروبهم وعاداتهم وأديانهم وعواطفهم وحبهم وفخرهم وأنكحتهم ومآتمهم وأعراسهم ثانياً

ومن غريب الاتفاق أني وأنا أكتب هذا الفصل كنت أدقق فى رسالة صغيرة مدرسية موضوعة منذ عشرة أعوام يقول مؤلفها فى بحثه عن اللغة في العصر الجاهلي ان العرب استفادوا من الاختلاط بجيرانهم كثيراً من الافكار والعادات والألفاظ الخ . فاذا كان الادباء يقولون هذا في رسائل صغيرة مدرسية فهل يقال بعد ذلك انهم يعتقدون بعزلة العرب وانقطاعهم عن العالم الخارجي ؟

ولو أن المؤلف سارع هنا الى انكار الشعر الجاهلي كما انتهى به البحث أخيراً لكفى نفسه مؤونة الوقوف في موقف مخالف للواقع وللمرويّ من شعر العرب الجاهلي

— ٤ —

وعقد المؤلف فصلا بعنوان (الشعر الجاهلي واللغة) قال فيه : ان هذا الشعر لا يمثل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه . ويقول فى تفصيل

ذلك : إن الرواة متفقون على أن اللغة العدنانية غير اللغة القحطانية . ويستشهد بكلمة أبي عمرو بن العلاء وهي « ما لغة حِمْيَر بلغتنا » . وقال انه قد وجدت نقوش ونصوص تثبت هذه المغايرة اثباتاً قاطعاً ، وان الصلة بين العدنانية والقحطانية كالصلة بين العربية وإحدى اللغات السامية . ثم قال مستغرباً : انه مع وجود شعراء جاهليين قحطانيين فان لغتهم لا تفرق عن لغة العدنانيين بل انها لا تفرق عن لغة القرآن فى شيء ، وان هذا محال أن يكون لو كان هذا الشعر القحطاني هو شعر قحطاني حقاً قد قيل قبل الاسلام

والذي نعرفه من تعبيرات الرواة أنهم كانوا يستعملون غيرية اللغة في كلمة بل فى حرف ، بل في طريقة من طرق الاعراب ، بل فى شذوذ عن قاعدة من قواعد النطق ؛ فكلمة أبي عمرو التى صدقها المؤلف دون سائر ما رواه من الشعر الجاهلي لا تستقيم لتكون حجة على هذه المغايرة . وقد كان على المؤلف أن يأتينا بأمثلة من هذه النصوص والنقوش التى تثبت المغايرة الواسعة بين العدنانية والقحطانية في اللفظ والقواعد والتصريف كما يقول ، وكان عليه كذلك أن يبين أقرب تاريخ امتدت اليه هذه المغايرة ؛ لان المعروف أن شعراء الجاهلية الذين يروى الرواة أشعارهم ويصدّق الادباء بجاهليتهم لا يرتقون ـ كما يؤرخ هؤلاء ـ الى أكثر من قرنين أو ثلاثة قرون بالاكثر عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولان المعروف أيضاً أن حج الكعبة كان عادة عربية جاهلية ترتقي الى أكثر من قرنين وثلاثة قرون وأن مشركى العرب كانوا يحجون الكعبة ، وقد قال هو بذلك دون أن يستثنى القحطانيين . وان العرب القحطانيين والعدنانيين كانوا في غدو ورواح مستمر الى العراق ونجد والشام والحجاز واليمن وانهم كانت تقع بينهم المبادلات التجارية والحروب والخلافات التى كان لها الأثر فى نحل الشعر الجاهلي بعد الاسلام على رأي المؤلف ؛ فليس معقولا بعد هذا الاختلاط وبعد

هذا الغدو والرواح وبعد تلك الحروب والحادثات أن لا تكون بينهم لحمة لغوية يتفاهمون بها ، وان تكون الصلة بين القحطانية والعدنانية كالصلة بين العربية ولغة سامية اخرى على اطلاق القول وبدون تعيين زمن . والا فكيف بادت اللغة القحطانية بظهور الاسلام أو اندمجت في اللغة القرشية اندماجاً تاما ؟ وكيف انتشر القرآن وفهمه القحطانيون ؟ وكيف تسنى لهؤلاء أن يلتئموا مع العدنانيين دفعة واحدة ويحاربوا ويستعمروا معاً ولم يكن مضى على موت النبي عليه السلام أربعة أعوام ثم أن يتنابزوا بالألقاب والأيام الجاهلية وتؤدّي ذكرياتهم القديمة المتعارفة الى تلك الحروب والاحن الأهلية بعد الاسلام ؟

ولو أن المؤلف قال بالتغاير في اللهجات أو قال ان هاتين اللغتين كانتا متغايرتين قبل البعثة بعشرين قرناً على عهد مأرب وسبأ مثلا لكان في الاول أوجه ، ولكان في الثاني أبعد الريبة عن نظريته أو على الاقل منع الطلب بالشاهد لاسيما والمعروف ان العدنانيين بنو اسماعيل وان اسماعيل عبراني فلا يبعد أن تكون القبائل العدنانية في بدء اسماعيليتها كانت متغايرة اللغة مع القحطانيين غير أن هذا التغاير زال برسوخ العدنانيين في الجزيرة وكثرة اختلاطهم التجاري والحربي والديني مع سائر العرب . وهؤلاء اليهود الذين نزلوا يثرب ليس من شك في أنهم حينما جاءوا من فلسطين كانوا عبرانيي اللغة فلم يلبثوا حتى أخذوا يستعربون ، وحتى أخذ ينبغ منهم الشعراء والخطباء الذين عرفت أسماؤهم في سياق تاريخ البعثة ، وكانت لغتهم عربية جاهلية فصحى

ووجه آخر يضعف هذا القول وهو لغة الاوس والخزرج . فمع أن الرواة مجمعون على قحطانيتهم لم يكن تغايرٌ بين لغتهم ولغة مكة في قليل ولا كثير فلو فرضنا ان بُعد اليمن عن مكة حالَ دون ترك القحطانيين اثراً لغوياً في لغة الحجاز وحال دون الوقوف على شواهد ، فهذا الفرض لايرد على لغة الاوس

والخزرج وهؤلاء شعراؤهم لا يفترقون في لغتهم عن سائر شعراء العرب . فلو كان التغاير بين القحطانية و العدنانية كالتغاير بين العربية والـكلدانيـة مثلا افلا ينبغي ان تكون بقية من جرائيم لغتهم حية ظاهرة وهلا ينبغي أن تؤثر على لغة القرآن مثلا وعلى رأى المؤلف فى هـذا الاسلوب ، وقد نزل أ كثره بين ظهرانيهم في المدينة ؟

وذكر المؤلف أن اليهود هم الذين لفقوا نسبة الـكعبة الى ابراهيم واسماعيل وقرابة اليهود بالعرب ، ويقول ان هــذه الاسطورة أخذت تنتشر فى القرن السابع . والمؤلف هنا غير مقنع أيضاً لانه لا يعقل أن تنتشر اسطورة مثل هذه الاسطورة وترسخ فى أذهان العرب فى برهة وجيزة جداً ، وقد وقعت البعثة فى أوائل القرن السابع ؛ كما أن علاقة اليهود بالحجاز ترجع الى أبعد من القرن السابع حتما ؛ اذ أن استعراب مهاجري الاسرائيليين لا يمكن أن يرسخ هذا الرسوخ في مثل هذه المدة الوجيزة . على أنه اذا كانت نسبة العبرانية أو الاسماعيليـة الى العدنانيين تلفيقيــة فالى أي أصل يرجع هؤلاء ياترى ؟ فاذا كانوا من غير أصل عبراني فلسطيني أوعراقي مثلا فهل هم من أصل يماني ؟ واذا كانوا من أصل يماني فهل تثبت دعوى تغاير اللغتين الى مثل تغاير العربية مع الـكلدانية مع استمرار الاختلاط ووحدة الاقليم ؟

— ٥ —

وعقد المؤلف فصــلا آخر بعنوان (الشعر الجاهلي واللهجات) قال في جملة ما قاله ان العرب العدنانية كما قدمنا كانوا متقاطعين متنابذين ، وانه لم يكن بينهم من أسباب المواصلات المادية والمعنوية مايمكّن من توحيد اللغات ؛ مع أنه ليس في الشعر الجاهلي ما يشير الى أي أثر من اختلاف اللهجات ، بل هو ذو لغة واحدة سهلة لينة قرشية بل هو لغة قرآنية ، وهو ذو نمط واحد وبحور واحدة مما

يحمل على القطع بأن هذا الشعر المروي انما قيل بعد أن سادت لغة قريش : مع انها لم تسد الا بعد الاسلام وانتشار القرآن ، واذا كانت سادت فانما تكون سيادتها قبل الاسلام بامد قصير وفي دائرة ضيقة لم تتعد بعض أنحاء الحجاز

والمؤلف في هذا الفصل أيضاً يرسل الكلام إرسالا بدون اثبات ولا حجة قاطعة . فمع أنه قال انه قدم أن العدنانيين كانوا متقاطعين متنابذين فان مثل هذا القول لم يسبق ، ومع أنه يقول هنا انه لم تكن توجد أسباب مادية ومعنوية تسبب الاختلاط وتوحد اللهجات فانه قال في مكان آخر ان العرب كانوا يحجون الكعبة ولم يحصر هؤلاء العرب في اقليم دون اقليم أو فى قبيل دون قبيل ؛ وقال ان قريشاً كانت لهم أسفار تجارية شمالية وجنوبية وكانوا على اتصال بغيرهم مما يمكن استخراجه من القرآن . فهلا يكون هنا تناقض في القول وضعف في التدليل ؟ على أنه لا يعقل من جهة أخرى أن لا يكون للغة قريش إلا سيادة جزئية وضيقة وأن لا ترتقي هذه السيادة إلا الى أمد قصير قبل الاسلام ثم يأتي الاسلام فلا يلبث فى مدة قصيرة جداً أي في مدة عشرة أعوام أن يحقق سيادة اللغة القرشية في جميع أنحاء الجزيرة وأطراف الشام والعراق العربى على ما بينها من مسافات شاسعة ومع أن الجزيرة ظلت على حالتها البدوية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده أيضاً . فكيف تسنى لشعراء العرب عامة ولشعراء القبائل العدنانية خاصة ولخطبائها أيضاً أن يقولوا الشعر ويرتجلوا الخطب في العهد النبوى ويتفاهموا لو لم تكن هناك وحدة لغوية أدبية هي على الاقل أبعد من « قبيل الاسلام » بامد قصير ؟ وكيف تسنى لسائر العدنانيين أن يقرأوا القرآن ويفهموه حالا لو لم تكن هذه الوحدة راسخة نوعاً ما ؟

وقد ساءل المؤلف نفسه عن اتفاق لغة الشعراء وسائر أنواع الكلام في الزمن النبوي وأقر بامكان تغاير اللهجات مع وجود لغة أدبية يتفاهم بها أرباب هذه اللهجات المتباينة. ولكن الفرق بيننا وبينه أنه يقول بسيادة جزئية محصورة وقصيرة الامد

لانرى من المعقول أن تكفي مثل هذه السيادة الجزئية المحصورة والقصيرة الأمد لجعل شعراء العدنانية يقولون الشعر بلغة واحدة قرشية في عهد الاسلام الاول كما اننا نرى في ذلك تناقضاً ، ومن جهة ثانية فاننا لانرى من المحال أن يتفق الشعراء مع اختلاف لهجاتهم التخاطبية العادية في لغة الشعر الجاهلي الذى روى والذي لا يرتقي كما أسلفنا الى أكثر من ثلاثة قرون ثم الى قرنين ثم الى قرن ثم الى نصف قرن من البعثة . وفى التاريخ وفى الحاضر مايساعد على هذا القول ، فانه لم يروَ أن اختلاف اللهجات الاقليمية في أنحاء الجزيرة أو فى أنحاء البلاد التى تتكلم بالعربية بعد الاسلام أدى الى انعدام لغة يتفاهم بها جميع سكان هذه الأنحاء ، كما أن قبائل البدو الرحّالة في بادية الشام والعراق ونجد والحجاز لاتزال قادرة على التفاهم ولا تزال تقول من الشعر البدوي مايتناقله رواتهم ويفهمه سائرهم . واذا قلنا ان في البلاد المتحضرة من وسائل التعليم مايحفظ وحدة اللغة التى يتفاهم بها أهلها ، فان هذه الوسائل معدومة بالمرة فى البادية ولم يساعد على وجود هذه الوحدة الا ماهو موجود من غدو ورواح واتصال فيما بينهم مما لم ينقطع بتاتاً ومما هو جزء من طبيعة البادية قديماً وحديثاً . وقد شعر المؤلف ـ بدون ريب ـ بتكلفه القول فتخلص هنا من موقفه تخلصاً واعترف بأن الموضوع فى حاجة الى توسيع وبحث ، فنحن ننتظر هذا التوسيع والبحث لنرى مافيه من قوة حجة وشاهد

— ٦ —

وقد بحث المؤلف بحثاً طويلا فى انتحال الشعر ورواته وذكر تأثير السياسة والقصص والدين والشعوبية فى انتحال الشعر العربي واستعرض الرواة وأخلاقهم واعترافاتهم باختلاق الشعر ونحله . والحق أن بحث المؤلف هذا قوي وشواهده قائمة لا يسع القارىء الا التسليم بها . غير أن كل ذلك لا يبرر له النهاية التى انتهى اليها من كيل الافكار جزافاً لما روى من الشعر الجاهلي : بحيث يريد أن يجعل

القاريء يعتقد أن جميع ماورد من هذا الشعر الموحد بلغته وبحوره ونمطه موضوع

والظاهر أنه هو أيضاً يشعر بعدم امكان (بلعم) هذا التعميم في الكذب والوضع إذ أنه رجع في محل آخر فتحفظ وقال بكذب ووضع غالبية الشعر الجاهلي المعروف ، فجعل القاريء يرجع فيظن أن المؤلف يعتقد بصحة أقلية من الشعر الجاهلي وينتظر ليرى نماذج يعطيها المؤلف على مانبت لديه منه فلا يرى شيئاً . أو لم يكن من الواجب دعماً للحجة وتسويغاً للقول أن يورد المؤلف هذه النماذج من الشعر الجاهلي قحطانيه وعدنانيه لتكون ميزاناً يزن به قاريء كتابه الصحيح والمنحول من الشعر الجاهلي ؟

وقد تحكم المؤلف أيضا حينما استعرض بعض الابيات لبعض شعراء الجاهلية وعرض لتراجمهم المروية ورجّحَ أو قطع بكذبها وانتحالها . فان ما استعرضه قليل جداً بالنسبة لما هو مروي لهؤلاء الشعراء فكيف جوّز لنفسه أن يمثل بالبيت أو الأبيات ثم يحكم بأن ما ورد لهذا الشاعر من الوف الأبيات في شتى الشؤون هو مكذوب ومنحول كهذه الابيات القليلة ؟ وهل غموض حياة شاعر ، أو احاطتها بقصص مبالغ بها ، كاف يا ترى لانكار وجود هذا الشاعر ؟

هذا وليسمح لنا المؤلف أن نقول ان في وضع الشعر ونحله للجاهليين نقضا لابحاثه الاولى من وجوب الوقوع على اختلاف في اللغات واللهجات والنمط والبحور في الشعر الجاهلي ، ودلالة قوية على أن الشعر الجاهلي قحطانيه وعدنانيه لا يخرج في لغته وفي بحوره عن القسم المنحول منه . والا فكيف يمكن أن يأتي قاصّ أو راو أو شعوبي أو يهودي أو مسلم أو غير مسلم فيقول قال فلان الشاعر الجاهلي هذه الأبيات وتمشي روايته ما لم يكن قد عرف الناس شيئاً كثيراً من الشعر الجاهلي وأغراضه ومناحيه وتناقلته الرواة وفقهه النقاد ، وما لم يكن هؤلاء

قد عرفوا وثبت لديهم كثير من أسماء الشعراء الجاهليين ومكانتهم في الشعر ، وما لم يكن الشعر المنحول منسوجاً على منوال وبحور ولغة الشعر الجاهلي الذي عرفه الناس في ذلك العهد ؟ ولا يعقل أن يكون قد وصل أهل ذلك العهد — عهد لغة القرآن الباهرة — من الضعف العقلي والأدبي الى درجة تجعل الرواة والمنتحلين يسرحون ويمرحون ويكذبون وينحلون الشعر فتقبل رواياتهم وأكاذيبهم مع أنها على غير مثال معروف وطريق مسلوك لغة وفناً ، الا اذا عقل ان ما عدا الشعر المنسوج على لغة قريش والمخالف لهذه اللغة ونمط شعرها على رأي المؤلف قد باد دفعة واحدة وطمس على عيون الناس وقلوبهم فنسوا صفاته ومبايناته اللغوية والفنية فلما انتحل المنتحلون الشعر ونسبوه الى شعراء جاهليين من غير قريش — قحطانيين وعدنانيين — صدقه الناس مع انه غير صادق في لغته وبحوره ونمطه ومع أنه كان بين هؤلاء الشعراء من التغاير ما بين العربي وغير العربي مثلا ! ! ولست اريد لأحد أن يعقل هذا ويعتقد به ؟

نابلس　　　　　　　　　　عزة دروزه

مُعاهدةُ الفرزدق ربّه

وقف الفرزدقُ — وهو شيخٌ — في ظلّ الكعبة فتعلّق بأستارها ، وعاهد الله أن لا يكذبَ ولا يشتم . ومن شعره في ذلك :

ألم ترني عاهدتُ ربي وإنني　　لبَيْنَ رِتاجٍ — قائماً — ومقامِ
على حلفةٍ لا أشتم الدهرَ مسلماً　　ولا خارجاً من فيّ زورُ كلامِ
رجعتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني　　ملاقٍ لأيامِ المنون حِمامي

من مظاهر حضارة العرب في بغداد :

ساعة عربية في زمن المستنصر العباسي

من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة جزء قديم (في كتب التاريخ رقم ١٣٨٣) من كتاب مجهول الاسم والمؤلف ، رتبه مؤلفه على السنين . وما في هذا الجزء من سنة ٦٢٦ الى ٧٠٠ (١) وقد جاء في حوادث سنة ٦٣٣ منه وصف للساعة التي وضعها أمير المؤمنين المستنصر في مدرسة الطب والمستشفى التابعين لمدرسته العظمى المعروفة باسم (المستنصرية) . وقد ادخل سعادة العلامة أحمد تيمور باشا وصف هذه الساعة في كتابه (التصوير عند العرب) الذي لم يطبع بعد . فآثرنا التعجيل بنقل ذلك الى قراء الزهراء :

« وفيها ـ أي في سنة ٦٣٣ هـ ـ تكامل بناء الايوان الذي أنشيء مقابل (المدرسة المستنصرية) ، وعُمل تحته صفّة يجلس فيها الطبيب ، وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ، ويقصده المرضى فيداويهم

وبُني في حائط هذه الصفّة دائرة وصُوّرت فيها صورة الفلَكِ ، وجُعلت فيها طاقات لطاف لها ابواب لطيفة : وفي الدائرة بازان (٢) من ذهب ، في طاسين من ذهب . ووراءهما بندقتان من شبَهٍ لا يدركهما الناظر

فعند مضيّ كل ساعة ينفتح فمُ البازَين ، ويقع منهما البندقتان . وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات ، والباب مذهب فيصير حينئذ مفضضا . واذا وقع البندقتان في الطاسين تذهبان الى مواضعهما . ثم تطلع أقمار من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها . فاذا جاء الليل فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها : كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ، ثم يبتدىء

---

(١) وألحق بآخره نبذة منقوله من مناقب بغداد لابن الجوزي ، وهي التي نشرها صديقنا الاستاذ السيد محمد بهجة الاثري (٢) تثنية « بازي » الطائر المعروف

في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فتُعلم بذلك أوقاتُ الصلوات »

ثم أورد صاحب هذا التاريخ المخطوط أبياتاً لشاعر من شعراء ذلك العصر الذهبي يذكر بها هذه الساعة :

« يا أيها المنصور ، يا مالكاً برأيه صعبُ الليالي يهونْ
شيدتَ لله ورضوانه أشرفَ بنيان يروق العيون
إيوانُ حسنٍ وضعُه مدهشٌ يحارُ في منظره الناظرون
صُوِّرَ فيه فَلَكٌ دائرٌ والشمسُ تجري مالها من سكون
دائرة من لازوردٍ حكت[1] نقطة تبرٍ فيه سرٌّ مَصون
فتلك في الشكل وهذي معاً كمثل هاءٍ رُكبتْ وسْطَ نون»

وجاء في حوادث سنة ٦٨٣ من هذا المخطوط أن نور الدين علي بن تغلب الساعاتي توفي في تلك السنة ، وكان يتولَّى تدبير الساعات التي تُجاهَ المستنصرية وأنَّ مولده كان سنة ٦٠١ هـ

الحضارة الغربيَّة

أُطلقَتِ العقول تجدُّ وتبتدع ، وأطلقتْ من ورائها الاهواءَ تلذُّ وتستمتع وتشتهي ، فضربَتِ الخيرَ بالشرِّ ضربةً لم تقتل ولكنها تركت الآثار التي هي سبب القتل ، إذ لا تزال تمدُّ مدَّها حتى تنتهي الى غايتها . وذلك هو السرُّ في أنه كلما تقادمتِ الأزمنةُ على هذه الحضارة ضج أهلها وأحسُّوا عللاً اجتماعية لم تكن من قبل

الهلال مصطفى صادق الرافعي

(١) يظن سعادة الاستاذ تيمور باشا أن صواب هذه اللفظة « حوت »

عادل النكدي

١٣١٤ — ١٣٤٥

اطلعنا على ترجمة لهذا الشهيد الكريم كتبها ثمانية من خاصائه ورفقائه في بيروت ولبنان وفلسطين وباريس والفوطة ، فلخصنا منها مايلي :



بدأ دروسه الأولية في مسقط رأسه عبية (لبنان) وأتمها في الكلية العلمانية الافرنسية في بيروت فنال شهادتها النهائية سنة ١٩١٣ . وفي سنة ١٩١٤ قدم امتحاناً للدخول في مدرسة الحقوق البيروتية ففاز به وأكمل السنة الأولى. واشتعلت الحرب العامة في صيف تلك السنة فوقفت المدرسة دروسها ولزم الفقيد بيته يدرس ويطالع ويعرّب . وأنشأ الترك في لبنان سنة ١٩١٥ مدارس رسمية فعين مدرساً في مدرسة عبية الى أن ألغيت هذه المدارس سنة ١٩١٧ فانقطع بعد ذلك الى الدرس والتعريب والأعمال الزراعية . وفي أواخر سنة ١٩١٩ حضر الى دمشق فعين استاذا للفلسفة وعلم النفس في مدرسة التجهيز الرسمية . ثم عاد الى بيروت فعين مدرساً للعربية في المدرسة العلمانية الافرنسية وتابع دراسة الحقوق ثم تحول الى مدرسة الحقوق الفرنسية في القاهرة فنجح بالدخول في سنتها الثانية . ثم عين مديراً لمدرسة (عين قنية) في الشوف من لبنان فلم تطل أيامه

هناك لاسباب سياسية فرحل الى بيروت ففلسطين فأوربا حيث انتسب الى جامعة لوزان ونال شهادة الحقوق (الليسانس) سنة ١٩٢٥ والعالمية (الدكتوراه) في أوائل سنة ١٩٢٦

وقد نقل الى العربية كتاب (Institution Politiques de l'Europe Contenporaine النظم السياسية للدول الأوربية الحاضرة) للمسيو اتيان فلاندان ودفع منه للطبع الجزء المختص بدولة بريطانيا العظمى . وكتب (تربية الاحداث)، و (لمحة عن الأصول الأدارية في الاسلام Essais sur les principes Adminitratifes dans L'Islam وهي الأطروحة (التيز) التي ألفها لنيل العالمية في الحقوق . وقد كان جعل لهـا مقدمـة تقع في ٤٠ صفحة نسب فيهـا إهمال العمل بالفقه الاسلامي في الاقطار الاسلامية إلى عدم وجود رجال متبحرين فيه ، وأثبت أن فقدان هؤلاء الرجال أثر من آثار ضغط الغرب على الشرق . فأغضب ذلك إستاذاً من أعضاء لجنة المناقشة وعدَّ كلامه تعصباً وخروجاً على نظام الجامعة فاضطر الى حذف المقدمة كلها وإنشاء غيرها ، ونال كتابه الموافقة

وله مقالات كثيرة في صحف بيروت وفلسطين بعضها باسمه صريحاً وبعضها بتوقيع « عبيد الله بن عبد الله » ، كما أن له مقالات كثيرة في صحيفة الاومانيته الفرنسوية Homanitée . وله في مراسلة أصدقائه أسلوب خاص يخيل الى القاريء أن الفقيد يخاطبه بلسانه لابقلمه ، وكأن نبرات صوته مسموعة بما فيه من بيـان ورشاقة وبلاغة ، فتتمثل له روحه بكل مافيها من إخلاص وصدق وصراحة

ولد النَّـكَدِيُّ في قوم من العرب أقحاح ، وترعرع في بيت له ولوع شديد بكل مايتعلق بالعرب : من تاريخ وأخبار ، وحضارة وآثار ، ولا سيما اللغـة . غير أن هذا الولوع كان ـ في لبنان ـ منحصراً في الأمور الأدبية لافي القضية السياسية ، فجاهد الفقيد لعقد الصلة بين هذه الميول وبين المطمح القومي ، وهو

أول من فعل ذلك في لبنان (١)

ولما صلُب فتيان العرب على مشانق الاتحاديين ازداد الفقيد اندفاعاً في عقيدته ودعوته ، وكانت كوارث الحرب ومصائبها عوناً له على اصغاء الناطقين بالضاد اليه . وما كانت وظيفته الرسمية ، ولاحكم الارهاب ليضعفا من عزيمته ، فكانت دروس التاريخ التي يلقيها في مدرسة عبية الرسمية دروسَ إخلاص لقوميته الأزليه الخالدة

وظهرت فترته واضحة بعد الحرب بالدعوة الى الاستقلال التام وبيان مساويء الحكم الأجنبي ، وازداد نشاطه عند حضور اللجنة الامريكية لاستفتاء أهالي البلاد في تقرير مصيرهم ، فلم يألُ جهداً في تنوير الافكار والأرواح والقلوب بخطاباته وأحاديثه ومنشوراته ، ثم كان (يوم عيناب) (٢) فكان له فيه الموقف المحمود

مثل هذه المواقف ، ثم وقوع اعتداء على بعض كبار رؤساء الحكومة في لبنان في أواخر سنة ١٩١٩ واتهام فندي أبي ياغي – وهو من رجال الفقيد ومزارعيه – بأنه كان على رأس أولئك المعتدين ، حمل حكومة الاحتلال على انتهاز الفرصة للقبض على شهيدنا ، ففرَّ الى دمشق وأقام فيها قرابة سنة تولى فيها تدريس الفلسفة وعلم النفس في مدرسة التجهيز الرسمية كما تقدم ، ثم أصدر الجنرال غورو

(١) كان سكان لبنان – ونريد به لبنان الصغير – منقسمين الى فريقين رئيسيين : فريق ربت المدارس الاجنبية نفوسهم على انتظار الانعتاق من العثمانيين على ايدي الاجانب ، ان لم يكن بالاستقلال فبالاستعمار أو بالالحاق . وفريق لا يرى مناصا من معارضة هذا التيار بالدعوة الى الاعتصام بحبل العثمانية . أما الروح العربية التي بدأت تتمشى في الولايات العربية المجاورة للبنان فلم يكن لها اثر فيه ، بل ان اللبنانيين الذين اشتغلوا بالقضية العربية في الخارج كانوا يكونون عثمانيين في لبنان . واول من بث الروح العربية القومية في الجبل عادل النكدي

(٢) هو اليوم الذي اجتمع فيه معظم ابناء الجنوب من لبنان الصغير امام اللجنة الامريكية مطالبين بالوحدة التي يطلبها جميع السوريين بالسنتهم وأقلامهم وبغير ذلك ايضاً . يوم تعجز الالسنة والاقلام عن بيان هذه الحقيقة الناصعة البياض التي تشرف اصحابها في حياتهم ويوم يكونون تحت التراب

— بمساعي الأمير فيصل بن الحسين والأمير أمين مصطفى أرسلان — عفواً عن تلك الحوادث فعاد الفقيد الى لبنـان . وفي سنة ١٩٢١ جاء بيروت لاتمام دراسة الحقوق، وكان يكتب في صحف « المنبر » و « الحقيقة » و « الطالب » و « الرأي العام » مقالات في الوحدة السورية والأدب العربي والحضارة الاسلامية ، مدافعاً عن قوميته بناصع الحجج وقاطع الأدلة. وتمت في ذلك الحين لعبة لبنان الكبير الذي أسس على سياسة الطائفية ، وفُصّل على مقـدار معيّن بحيث تـكون إحدى طوائفه هي الأكثر عددا . ولـكن الطوائف المحمدية الثلاث : من سنيين وشيعـة ودروز (وعددهم — على مافي الاحصاء من عيوب والاعيب معروفة — يبلغ ٢٧٣ ألفاً) من شأنها أن تخلّ بموقف الاكثرية التي أنشيء لبنان الـكبير من أجلها ، لأن الطوائف الاسلامية المذكورة لاترضى بالوحـدة السورية بديلا ، ولاتفتأ تعمـل بإيمان غير متزلزل للالتحاق بالوطن الاكبر . وقد جرّبت السلطة يومئذ التفريق بين هذه الطوائف الثلاث باسم الدين ، واستعملت بعضَ صغار العقول والمرضى بداء الخوف . فكان لفقيدنا السعيد موقفٌ دلَّ على مافى قلبه من إيمان واخلاص ، ونادى على رءوس الاشهاد بأن الدروز مسلمون كانوا ولن يزالوا ، وانهم لو لم يكونوا كذلك لصيّرتهم عربيتهم مسلمين (١)

وان موقفه هذا حال بينه وبين متابعة دروسه الحقوقية فى بيروت فاضطر الى الانتقال الى مدرسة الحقوق الافرنسية بالقاهرة

وعيّن بعد ذلك مديراً لمدرسة (عين قنية) في الشوف من جبل لبنـان ،

(١) هنا سر من اعظم اسرار القومية العربية لم تقف أوربا عليه الا بعد الحرب العظمى. ومن مظاهره أن البخور الذى يحرقه الساموں لتقليص ظل الاسلام باسم الالحاد كان ضعيف الاثر وضئيله في البلاد التي ساد فيها روح القومية العربية ـ كالشام والعراق ـ فبدا لاعداء الاسلام ان له هنالك انصارا أقوياء الشكيمة حتى من الملحدين والمسيحيين لأن تاريخ الاسلام هو الثروة العربية التي لا يتخلى عنها من أبناء العرب عاقل ولا مجنون (الزهراء)

وكان في تلك المقاطعة حاكم عسكري يحرك الاحقاد الجنسية وينتهك بعض الحرمات الكريمة ، فكان عادل يبث بواسطة المدرسة الفكرة العربية ، ويعمل فى خارجها على رفع مستوى قومه الاجتماعي وتنبيههم الى مالهم من حقوق . فخاف الحاكم أن تنقطع عليه طريق استبداده فعمل على إخراج الفقيد من الشوف

وفى مارس سنة ١٩٢٤ عاد الى بيروت ، وفى خلال ذلك اتصل بالسلطة أن فريقاً من غلاة الدعاية العربية سينسفون الاثر الذي أقيم على ساحل البحر تذكاراً لقتلى جيش الشرق فقبضت على بعض الشبان ، واجتاز الفقيد الحدود الى فلسطين ، ورأى مجال العمل السياسي فيها ضيقاً فغادرها الى أوربا فى يونيو من تلك السنة لإكمال دراسة الحقوق

كتب عنه أحد رفقائه في باريس يقول :

كان لايهدأ ولا يقر له قرار ، ان لم يقابل فلانا وفلاناً من النواب ورجال السياسة الافرنسية ، ويتحدث اليهم عن بلاده التي تتألم . ولا ازال اتذكر ذلك الوجه الصبوح الذى كان يتلألأ بشرا حينما كنا نخرج سوية من عند أحد النواب أو رجال السياسة ـ ذلك الوجه الصبوح الذى كان مرآة لما في قلبه من آيات حسن النية يلتفت الي فيقول :

— كيف اتراني اقنعته ياعبد الله ؟

أو يقول :

لا بأس بالحركة ، يجب ان يفهموا اننا شعب لا ينام على الضيم ولا يرضى بهذه الحالة المهينة

كان همه أن يفهم أصحاب الرأي أن هناك قضية اسمها القضية العربية السورية وكان يثبت ما يقوله وما يرويه من الوقائع بنزاهة وصدق ، فوثق به كل من عرفه حتى من الفرنسيين ، وذلك مما حمل هنري دُشامْبون Henry de Chambon مدير سياسة المجلة البرلمانية revue parlementaire على أن يقول عن القضية السورية في مجلته غير مرّة « انها قضية كائنة ، ان لم تحلّ حلاً موافقاً للمطالب السورية فان الاضطراب الفكري الحاضر يزداد تمكناً وقوة » وكان اذا استشهد بكلام الفقيد يقول « أخبرنى بهذا المسيو نكَد ، وان لي في كلامه الثقة المطلقة »

والتحق عادل بالجمعية السورية العربية التي في باريس يوم اعترى نشاطها وهن ، فبثّ فيها روحاً جديداً من الوئام والتآلف وسار بها في سبيل الخدمة القومية

ونشبت الثورة العامة سنة ١٩٢٥ وهو في باريس فجاهد بقلمه في سبيلها جهاداً عظيماً . ويقول أحد القادمين من باريس حديثاً « ان عُشرَ ما كتبته صحيفة الاومانية الفرنسوية عن ثورة سوريا هو بقلم الفقيد . وعنده من المسيو مارسل كاشان النائب الشيوعي الفرنسوي ما لا يقلّ عن ثلاثمائة جواب على رسائل كتبَ الفقيد بها اليه في القضية السورية وحالة البلاد تحت الادارة الحاضرة

كان عادل ثائراً بكل ما في هذه الكلمة من قوّة ومعنى . فلما رأى أن الثورة في حاجة الى مثله ترك قلمه عقب الانتهاء من دروسه والمناقشة في اطروحته وقبول أساتذته لها ، ثم انقلب الى وطنه الذي له فيه عيال هم أحوج ما يكونون الى كاسبهم ، فحوّل وجهه عن هذا الواجب الخاص مغذّاً السير الى الواجب العام فتناول سلاحه والتحق بالثورة . وأراد بعض أصدقائه في فلسطين أن يصدّوه عن مباشرة الحرب فلم يفلحوا ، وألح عليه جمهور كبير في جبل الدروز أن يبتعد عن صفوف النار لتستفيد الثورة من رأيه وعمله الأدبي فأبى . وكان أول أعماله أن القيادة العامة للثورة ندبته لتلافي خلاف حدث بين بعض الزعماء في الغوطة فملأ ذلك الفراغ باخلاصه وحكمته ومواهبه

واستؤنف القتال لأسباب سيتولى التاريخ الحقُّ بيانها . ودار الجيش بالغوطة ثم توغل فيها ، فقاتل عادل قتال الاسد هوجم في عرينه ، وكان يخرج للقتال بارز الصدر يحمّس جماعته . فلما كان (يومُ بالا) صمد وثلاثة من الزعماء معهم خمسة وعشرون مقاتلا لجيش عدده الف وخمسمائة وعشرة جنود وهو في طليعة المقاتلين يشير اليهم بما يفعلونه ، وانتهت المعركة وقد أصيب بجرح تحت كَتفه لم يبال به ولا قعد له الا يوماً واحداً لم يكن فيه قتال . وفي اليوم الثالث

والخامس والسادس كانت مواقع ومناوشات شهدها كلها وجرحه لا يزال يقطر دماً . وفي اليوم السابع ـ وهو السبت ٣١ يوليو ـ شعر بضعف في جسمه فنوى أن لا يخرج للقتال ، وفيه كانت موقعة (بيت سحم) فما هو الا أن سمع الرصاص حتى نهض فتناول سلاحه وغامر في القتال على عادته فأصابته رمية في صدره ذهبت به الى عالم الخلود

هـذا هو الشهيد الذي فقدته الامة العربية ، والملة الاسلامية ، فكانت الخسارة به جسيمة لا تعوّض ، ولـكنها تترك لشباب العرب ـ من جبال الأحقاف الى جبال طورس ـ مثالا عاليًا ساميًا فى التضحية والاخلاص . رحمه الله ، وأقرّ عينيه في الثرى بتحقيق آماله في قوميّته العظمى .

حُيِّيتِ !

ايه أرضَ الشآم حُيّيتِ أرضًا لاعدمناكِ ... كنتِ للكون رَوضا
أين منكِ الحسانُ يرفلن بالديـ ـباج فوقَ الربيع يركضنَ ركضا
يتسابقن ضاحكاتٍ ويجنيـ ـنَ أزاهيرَه ، فيزحمنَ بعضا
أين منكِ الجمالُ والسحرُ ياغيـ ـدُ وأين الشبابُ ... لم يبدُ غضًّا
أين منكِ العيونُ تفتك في الأكـ ـباد كانت من الصوارم أمضى

***

يازمانًا مضى ، عليكَ سلامٌ وسلامٌ ياعهدَ سعدٍ تقضّى
عُدْ فانّ العَوْدَ الجميلَ مُنانا إذ يعودُ الفَخار والمجدُ أيضا
كم نفوسٍ ذابت اليكَ اشتياقًا حرّمتْ من جوًى على العين غمضا
كلُّ حالٍ في الكون ياعهدَنا السا لفَ نرضى الاّ من العيشِ خفضا

دمشق ابو سلمى

اعجاز القرآن (*)

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أنْ يأتوا بِمِثْلِ هٰذَا القُرْآنِ لا يَأتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

القرآن كلام الله المعجزُ للخلق في اساوبه ونظمه ، وفي علومه وحُكمه ، وفي تأثير هدايته ، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة . وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول ، وفي كل فصل منها فروع ترجع الى أصول.

وقد تحدَّى محمدٌ رسولُ الله النبيُّ العربيُّ الأميُّ العربَ بإعجازه وحكى لهم عن ربه القطعَ بعجزهم عن الاتيان بسورة من مثله ، فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على إبطال دعوته ، واجتثاث نبتته . وقدنقل جميع المسلمين هذا التحدي الى جميع الامم فظهر عجزها أيضاً . ونقل بعض أهل التصانيف عن بعض الموصوفين بالبلاغة في القول أنهم تصدوا لمعارضة القرآن في بلاغته ، ومحاكاته في فصاحته دون هدايته ، ولكنهم على ضعف رواية الناقلين عنهم ، لم يأتوا بشيء تقرُّ به أعين الملاحدة والزنادقة فيحفظوه عنهم ، ويحتجوا به لالحادهم وزندقتهم

ثم ابتدع بعض الأذكياء في القرن الماضي ديناً جديداً وصنفوا له كتاباً (١) توخوا وتكلفوا فيه تقليد القرآن في فواصله ، وادعوا محكاته في إعجازه بهدايته ومساهمته بانبائه عن الامور الغائبة المستقبلة ، فكان من خزيهم وخذلان الله لهم ان اضطروا الى كتمان هذا الكتاب المختلق ، والافك الملفق ، لكيلا يفتضحوا بظهوره ، وهم مازالوا يجمعون ما كانو طبعوه من نسخه قبل أن يظهر فيهم الداهية الواقف على مخازي تزويره وهم يحرقون ما جمعوه منها ، ولعلهم ينقحونه ثم يبرزونه لجيل لم يطلع عليها

(*) مقدمة كتاب (اعجاز القرآن) للاستاذ الكاتب الاكبر السيد مصطفى صادق الرافعي

(١) هم البهائية وهيهات ان يأتوا بقرآن الا اذا خلقوا سبع سماوات . . .

وقد نبتت في مصر نابتة من الزنادقة الملحدين في آيات الله ، الصادّين عن دين الله ، قد سلكوا في الدعوة الى الكفر والإلحاد شعاباً جُدُدا ، وللتشكيك فى الدين طرائق قِدَدا ، منها الطعن في اللغة العربية وآدابها ، والتماري في بلاغتها وفصاحتها ، وجحودُ ما روي عن بلغاء الجاهليــة من منظوم ومنثور ، وقذفُ رُواتها بخَلْق الافك وشهادة الزُّور ، ودعوةُ النـاطقين باللسان العربي المبين ، الى هجر أساليب الأولين ، واتباع أساليب المعاصرين . ومنهم الذين يدعون الى استبدال اللغــة العامية المصرية ، بلغة القرآن الخاصية المُضَرية . والغرض من هــذا وذاك صدُّ المسلــين عن هداية الاسلام ، وعن الايمان باعجاز القرآن . فان من أوتي حظاً من بيان هذه اللغه وفاز بسَهم راجح من آدابها ، حتى استحكمت له ملـكةُ الذوق فيها ، لا يملك أن يدفع عن نفسه عقيدة إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته ، وباسلوبه ونظم عبارته . وقد صرح بها من ادباء النصرانية المتأخرين الاستاذ جبرضومط مدرس علوم البلاغة بالجامعة الاميركانية في كتابه الخواطر الحسان

وقد رأيت شيخنا الاستاذ الامام مرة يقرأ في كتاب افرنسي اللغة لحـكيم من حكمائها فكان مما قرأه علي منه بالترجمة العربية ردّ المؤلف على من قال من دعاة النصرانية ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت بمثل آيات موسى وعيسى المسيح عليهما السلام — قال ان محمداً كان يقرأ القرآن مدلَّها وَلها (1) صادعا متصدعا ، فيفعل في جذب القلوب الى الايمان به فوق ما كانت تفعل جميع آيات الانبياء من قبله اه

لقد حار العلماء في كشف حجب البيان ، عن وجوه اعجاز القرآن ، بعــد

(١) قال لي الاستاذ الامام ان المؤلف استعمل هنا كلمة افرنسية لا أعرف لها مرادفا في لغتنا العربية معناها أنه كان يقرأ فى حال مؤثرة في نفسه وفى نفس من يسمع قراءته نعبر عنها بالتدله

أن ثبتت عندهم بالوجدان والبرهان ، حتى قال بعضهم ان الله تعالى قد صرفه عنه قُدَر القادرين على المعارضة بخلق العجز في أنفسهم والسنتهم ، وذلك أن إدراك كُنْه العجز والاحاطة باسبابه واسراره ضرب من ضروب القدرة. والمقام مقام عجز مطلق ، فالقرآن فى البيان والهداية كالروح فى الجسد والاثير في المادة والكهرباء في الكون ، تُعرف هذه الاشياء بمظاهرها وآثارها ، ويعجز العارفون عن بيان كنهها وحقيقتها ، وفي وصف ماعرف منها او عنها لذة عقلية لايستغنى عنها . كذلك ماعرف من اسباب عجز العلماء والبلغاء عن الاتيان بسورة مثل سور القرآن ، فى البداية أو الاسلوب أو حسن البيان ، فيه لذات عقلية وروحية وطمأنينة ذوقية وجدانية ، تتضاءل دونها شبهات الملحدين ، وتنهزم من طريقها تشكيكات الزنادقة والمرتابين

فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعا وهو من فروض الكفاية ، وقد تكلم فيه المفسرون والمتكلمون ، وبلغاء الأدباء المتأنقون . ووضع الامام عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة كتابيه اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لإثبات ذلك بطريقة فنية ، وقواعد علمية . وصنف بعض العلماء كتبا خاصة فيه اشتهر منها كتاب (إعجاز القرآن) للقاضي أبي بكر الباقلاني شيخ النظّار والمتكلمين فى عصره لأنه طبع مرتين او اكثر ، فان كان ذلك قد وفى بحاجة الازمنة التي صنفت فيها تلك الكتب فهو لا يفي بحاجة هذا الزمان اذ هي داعية الى قول أجمع ، وبيان أوسع ، وبرهان أنصع ، في اسلوب أجذب للقلب ، وأخلب للب ، وأصغى للاسماع ، وادنى الى الإقناع

استوى الى هذا وانتدَب له الأديب الأروع ، والشاعر الناثر المبدع ، صاحب الذوق الرقيق ، والفهم الدقيق ، الغوّاص على جواهر المعاني ، الضارب على أوتار مثالثها والمثاني : صديقنا الاستاذ (مصطفى صادق الرافعي) . فصنف

في إعجاز القرآن سفرا لا كالاسفار ، أتى فيه ـ وهو الأخيرُ زمانُه ـ بما لم تأتِ الأوائل ، فكان مصداقا للمثل السائر ، « كم ترك الأول للآخر ». ناهيك بمنثور لآلئه في نظم القرآن العجيب ، واسلوبه المباين لجميع الاساليب : فلا هو مرسل طلق العنان كالنوق المَراسِيل ، يتعاصى على ترسل التجويد ونغمات الترتيل ؛ ولا هو مسجوع كسجع الكهان ، ولا شعر تُلْتَزَم فيه القوافي والأوزان . ومن آياته القصارُ ذاتُ الكلمة المفردة والكلمتين والكلمات ، والوسطى المؤلفة من جمل مثنى وثلاث ورباع ، والطُّولى منها لا تتجاوز سطورها جمع القلة ، وأطولها آية الدين فقد تجاوزت مئة كلمة . وكل نوع منها يؤدَّى بالترتيل اللائق به ، المُعِين على تدبره

واني على شهادتي للرافعي بأنه جاء في هذا المقام بما تجلَّت به مَبَانيُ الإعجاز ومَواضحهُ ، وأضاءت لوائح الحق فيه وملامحه ؛ وددت لو مدّ هذا البحث مدّ الاديم ، بل أمدّ بحيرات نيله بجداول الغيث العميم ، فعم فيضانُه الفروقَ بين نظم الآيات في طولها وقصرها ، وقوافيها وفواصلها ، ومناسبة كل منها لمواضيع الكلام ، واختلاف تأثيره في القلوب والاحلام

كلفني المصنف أيد الله به اللغة والدين أن اكتب ثلاث صفحات او اربعا أعرض بها كتابه هذا على القارئين ، وأنَّى لي بايجاز الكتاب المنزل ، ولا سيما قصار سور المفصل ، فأعدّ في هذه الصفحات عناوين ابوابه وفصوله ، دع مافيها من غرر مباحثه وحجوله ؟ إذ لست أملك من الاستجابة له فوق ما تقدم الا أن أنصح لقراء العربية عامةً وللمسلمين منهم خاصةً ولطلاب العلم منهم على الأخص ـ بان يقرؤا هذا الكتاب بغية الاستعانة على النبوغ في بلاغة لغتهم ، والتفقه في كتاب الله تعالى وتعرف الشيء الكثير من اسرار إعجازه ، مما لايجدونه في غيره

قال شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى : « إن لكلام الله تعالى اسلوبا خاصا يعرفه اهله ، ومن امتزج القرآن بلحمه ودمه . واما الذين لا يعرفون منه الا مفردات الألفاظ وصور الجمل فأولئك عنه مُبْعَدون » . وقال أيضاً : «فهمُ كتاب الله تعالى يأتي بمعرفة ذوق اللغة ، وذلك بممارسة الكلام البليغ منها » . وقال في وصف من امتزج القرآن بلحمه ودمه حاكيا عن نفسه : « إني عند ما اسمع القرآن أو أتلوه احسب أني في زمن الوحي ، وان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ينطق به كما أنزله عليه ـ أو نزل به عليه ـ جبريل عليه السلام » وبهذا امتاز الاستاذ الامام رحمه الله تعالى على الأقران إن كان له أقران

إن الله تعالى قد أوجد بالقرآن أعظم انقلاب في البشر بتأثيره في انفس العرب ، اذ جعلهم بعد أميتهم اساتيذ الامم ، وسادة العجم . وما فقد المسلمون هدايته الا لجهلهم باسرار لغته ، لذلك يهاجمه اعداؤه الملاحدة والمستعمرون من طريق لغته . فليعلم المسلمون هذا وليحرصوا على حفظ دينهم بحفظ لغتهم وممارسة آدابها وأسرار بلاغتها ، ولتكن غاية هذا كله فهم القرآن كما كان يفهمه سلفنا الصالح (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

محمد رشيد رضا

منشىء مجلة المنار

﴿ في الجزء الآتي من الزهراء ﴾

مقالة جليلة لسيد الكتاب الامير شكيب أرسلان عنوانها « حضارة العرب وفلسفتهم » . وحديث علمي مع صاحب السعادة الاستاذ أحمد زكي باشا عن رحلته في بلاد العرب. وتحقيق مهم عن قبر أمين الامة أبي عبيدة بن الجراح بقلم الاستاذ السيد عبد الله مخلص . ووصف كتاب التيجان فى أنساب حِمْيَر لابن هشام بقلم الاستاذ الراجكوتي . وغير ذلك من الأبحاث الممتعة

ما أعرف عن طه حسين

لمّا التحقتُ بقلم تحرير (المؤيَّد) عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) كان السيد مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله من أفاضل كتّاب تلك الصحيفة الاسلامية ، وكانت له فيها مقالاتٌ اسبوعية بعنوان (النظرات) امتازتْ بطلاوتها وجمال ديباجتها ونُبل مقاصدها ، فنالت الحُظْوَة بذلك عند قرّاء العربية في مصر وفي غير مصر ، وكان ذلك مما شجَّع هذا الكاتب – المحبوب من قرائه – على أن يجمع (النظرات) في سِفْر يضعه بين أيديهم

إن طَه حسين حَسَنَةٌ من حسنات كِتاب النظرات أو سيئةٌ من سيئاته . لأن قرّاء العربية لم يكن لهم بالرجل عَهْد ، ولا كان عندهم شيئاً مذكوراً ، قبل ظهور مقالاتٍ في نقد هذه النظرات مذيّلة باسمه ، فكان الناسُ يقولون ، وكنتُ أقول مع الناس : يالها من مَقالات تنمُّ على اضطلاع صاحبها بلغة العرب ، لولا ما فيها من بذاءة وتحامل لا يتجمَّل بهما المنتسبُ الى العِلْم والمتأدّب بآدابه .

وكان في القرّاء من يتّسع صدره لاغتفار هذا الجانب الضعيف من مقالات الكاتب في مقابل ما وراءه من معْرِفة

ولكن هل تدري أيُّها القاريء ما هي حقيقة تلك المقالات ؟

إن تلك الحقيقة بقيتْ سرّاً مكتوماً سنين طويلة ، وأنا نفسي لم أعرفْها إلاّ اتفاقا

لمّا ظهرت الطبعةُ الاولى من (النظرات) وَجد فيها بعضُ الأفاضل من رجال الحزب الوطنيّ فقراتٍ آلمتهم ، فرأوا أن تعمل صحيفتهم – وكانت تُنشر يومئذ باسم العَلَم أو الشَّعْب – على انتقاد النظرات والحطّ من شأنها . وكان في

قلم تحرير تلك الصحيفة كاتبٌ ضليع وأديب نحرير هو صديقي - وزميلي الآن في تحرير الأهرام - الاستاذ محمد صادق أفندي عنبر ، فدفعوا إليه كتابَ النظرات ، وطلبوا اليه أن يقرأ منه في كل يوم بضع صفحات : فيعرض مافيها من المفردات والتراكيب على نصوص العربيّة وقواعدها وأساليبها ، ويضع إشاراتٍ على ما ينتقده منها ، ويكتب فيما يلي ذلك من الهامش وجوهَ الصواب بأدلّتها

مضى الاستاذ صادق عنبر فى عمله هذا زمناً طويلاً ، وكانت الصفحات التى يُودِعها عِلْمَه في اللغة والبلاغة والأدب تُعطَى يوماً بعد يوم الى الشيخ طَه حسين - الطالب الأزهري المنصرف عن دروسه العلميةً في الأزهر الى التردُّد على أبواب الصحف - فيُفرغها هذا في فصول كان الناس يقرأونها فيغتفرون ما فيها من سَلاطة طَه حسين وهَذَره ، لِما فيها من عِلْم صادق عنبر وأدبه . حتى لقد رأيتُ يومئذ من يرفع كاتبها الى منزلة صاحب مجلّة (الضياء) فيما كان ينبّه عليه قبل ذلك من أغلاط لغة الجرائد

هذا هو العمل الادبيُّ الاوّل الذي تقدَّم به طه حسين الى قرّائه . وكان من نتائج تردّده على أبواب الصحف أثناء دراسته الازهرية خروجُه صِفْرَ اليدين منها رغم الذكاء الفطريّ فى أمثاله ، ولعلّ عدم نجاحه فى الازهر كان حميرةَ عداوته له وحَنَقِه على أهله

كان الشيخ طه حسين في هذا الطور الاول من أطوار حياته الادبيةً أمام طريقين : أحدهما طويل وهو الانكباب على درس العلوم المتعددة بسكينة وهدوء والثاني أسهل عليه وأقرب وعماده السّلاطة والذكاء . وقد أخفق في الاول ونجح - عند نفسه - في الثاني فمضى فيه مستمرئاً مرعاه

ولا أنسى - والشيخ طه حسين طالبٌ في الجامعة المصرية [1] - كلمةً

(١) لم تكن جامعة بالمعنى المفهوم منها فى بلاد العلم ، وانما كانت قاعة محاضرات . ولو كانت

سمعتها من فم استاذه الشيخ محمد المهدي. فقد خرج ذات مساء من درس الآداب العربية فى الجامعة وجاءنا فى مجلس حافل كان فيه الشيخ طاهر الجزائري والسيد رشيد رضا وجعل يشكو جرأة تلميذه هذا على المناقشة فى مباحث دقيقة لم يستكمل أدوات العلم بها ولا عمادَ له فى المناقشة غير السلاطة والذكاء ، ثم قال لنا الاستاذ : « ان رأس هذا الفتى كالقدْر الفارغة تحتها نارٌ تتلظّى : فلا هو يشفق على القدْر فيملأها بما يقيها جوْرَ النار ، ولا هو يُبقي على النار الى أن يتسنى له الانتفاع بها فى الوقت المناسب » . يُريد الاستاذ الشيخ محمد المهدي أن طه حسين يتسرع فى اقتحام الابحاث العلمية مخدوعاً بذكائه ، ومكتفياً بما يقع تحت يده من كتب قريبة المأخذ ظاناً أن فيها العلمَ كلَّه ، وأن فى الذكاء وطول اللسان غنىً عن مواصلة البحث ومزاولة الاستقصاء

وخير ماعمله طه حسين كتابه عن أبى العلاء ، اذا لم يكن بين فصوله ضمير مستترٌ كالضمير الراجع الى الاستاذ صادق عنبر فى مقالات نقد النظرات . ومع ذلك فان فى (ذكرى أبي العلاء) فضائحَ وأغلاطاً نبه على بعضها ـ بطريق العرَض ـ صديقنا الاستاذ العلاّمة عبد العزيز الميمني الراجكوتي المدرّس بمدرسة عليكره الاسلامية فى الهند في هوامش كتابه (أبو العلاء وما إليه) . ولعلي أتمكن في أحد أجزاء الزهراء الآتية من تجريد ذلك في مقالة مستقلة

ومن غريب المفارقات ان للاعتبارات الروحية فضلا كبيراً على طه حسين المادي في الحصول على إجازته العلمية من أوربا : ذلك بأن الاساتذة الذين تقدَّم الرجلُ إليهم ليشهدهم على نجاحه كانوا يتمثلون فى أذهانهم رجلاً شرقيًا مكفوف البصر منسوبا ـ بالحق اوبالباطل ـ الى معهد اسلامي هو الازهر ،

جامعة حقا مااستطاع صاحبنا ان يلتحق بها وهولم يسبق له تلقي الدراسة الثانوية التي لابد منها للطالب في اية جامعة من جامعات العالم

فلا يترددون في سلوك مسلك التسامح معه . وأنت تعلم أن العادة المتبعة فى الجامعات الاوربية تقضي على أساتذتهـا بان لا يتقيّدوا كثيراً في منح الشرقيين الشهادات كما هى الحال في قسم الغرباء عندنا فى الازهر ، وهذه حقيقة مشهور أمرها هنا وهناك

أما الاطروحة (Thése) التى تقدّم بها الى أساتذته فى مدرسة (السوربون) عن ابن خلدون فانى لم أتفرّغ بعدُ لمطالعتها ، ولكن الاستاذ العلاّمة السيد محمد الخضر التونسي أكد لي أنها مملوءة بالفضائح . وفي ذاكرتي نموذج منها نبه عليه فاضل تونسي ، وهو أن طه حسين يكذّب ابنَ خلدون فيما أتى عليه من بيـان الـكتب التى درسها في حداثته وصباه . وهذه هى الطريقـة التي توصل بهـا الاستاذ العلامة طه حسين الى تكذيب ابن خلدون :

يقول ابن خلدون ان من الـكتب التى درسها في صباه كتابا اسمه (مختصر ابن الحاجب في فروع المالـكية) . وإمام أهل التجرد الاستاذ طه حسين لم يسمع باسم هذا الـكتاب ولـكنه سمع باسم مختصر ابن الحاجب في الاصول ، وعلى ذلك يجب أن يكون مختصر ابن الحاجب فى الفروع غير موجود فى الدنيـا ، ومن ثمّ يجب أن يكون ابن خلدون كاذبا ، اذ لو كان صادقاً لعرف ماعرفه طه حسين من ان مختصرابن الحاجب في الاصول لا في الفروع !

أرأيت كيف اكتشف علامة المتجردين الاستاذ طه حسين ان ابن خلدون جاهل كذّاب ؟ ياله من اكتشاف ، وكم للاستاذ من أمثال هذه الاكتشافات !

ولـكن طه حسين كان سيء الحظّ في هذه أيضاً كدأبه فى كلّ ضرَبات معوَله التي ينحي بها على جدار الاسلام وسور الحضارة العربية التى لا تموت . وكأني أسمع صغار التلاميذ من أتباع الامام مالك بن أنس رضي الله عنه ـ سواء كانوا في جامع الزيتونه أو في الجامع الازهر ـ ينادون امام المتجرّدين في مصر

فيقولون له : على رِسْلِكَ يا استاذ ! فان لابن الحاجب مختصرين أحدهما في الفروع والثاني في الاصول ، وقد سمعتَ باحدهما وغاب عنك الآخر في جملة ماغاب عنك وهو كثير . قال ذلك الفاضل التونسي : « ان مختصر ابن الحاجب الفرعي بلغ من الشهرة المكان الذي لا يُجهل ، حتى عند صغار التلامذة ، ومنه استمد الشيخ خليل بن اسحاق مختصره (الذي يقرأه اليوم عشرات الالوف من الطلبة) وله عليه شرح شهير يعرف بـ (التوضيح) يعتمده شرّاح المختصر ويحيلون عليه في فهم أغراض الشيخ خليل . وممن شرحه أيضاً الشيخ ابن عبد السلام التونسي وابن راشد القفصي وابن فرحون. وقلما ترى ترجمة عالم من علماء إفريقية إلا وله حديث مع مختصر ابن الحاجب الفرعي : من شرح ، أو تعليق ، أو تقييد ، أو بحث ... »

لو كان هذا الدكتور الجريء متمرناً على طرق التحقيق، ومستأنساً باساليب البحث المأمونة العواقب ، لتأنى كثيراً قبل أن يهجم هذه الهجمة الخائبة المخزية على طود عظيم في الاسلام كابن خلدون ، ولدفعته السليقة العلمية الى مراجعة كشف الظنون على الاقل ـ وهو من الكتب التي يجب أن تكون دائماً تحت اليد ـ ليرى ماجاء فيه عن مختصر ابن الحاجب ، لان الهجوم بلا سلاح على مثل هذا البطل الكبير ليس من الحيطة في شيء

ومالنا نذهب بعيداً في ضرب الامثال على عِلْمِ علاّمة المتجرّدين ، وهذا كتابه في الشعر الجاهلي بين أيدينا ، ألم يقل لنا فيه (ص ٢٦) ان حادثة ابراهيم واسماعيل أسطورة ولو تحدّثت عنها التوراة ، أو جاء بذكرها القرآن . وعنده أن اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب اخترعوها ، وهو يرى في اختراعهم لها نوعاً من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب ، وبين الاسلام واليهودية ، والقرآن والتوراة . ثم عاد (في ص ٢٩) فقال ان هذه القصة حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام

وسواء كان ارتكاب اليهود هذه الجريمة قبيل الاسلام كما قرّر هذا العلامة المحقق الجليل في صفحة ٢٩ من كتابه ، او كان عملهم هذا بعد نزول القرآن احتيالا على اثبات الصلة بين الاسلام واليهودية كما ذكر قبل ذلك ، فان النتيجة واحدة في أن اسطورة ابراهيم هي عند استاذنا طه حسين من سيئات اليهود ، وقد جَرُؤَتْ عليها طائفة منهم كانت استوطنت بلاد العرب . وهذه الاسطورة غير مأذونٍ لها ان تدخل الى دائرة التاريخ ، وان شفع لها التوراة والزبور والانجيل والقرآن

ونحن اذا رجعنا الى التوراة نجدها تتحدث عن ابراهيم واسماعيل وبني إسماعيل في الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ، وفي الاصحاح الاول من اخبار الايام الاول . وهذان الموضعان من التوراة ولا سيما اولهما من أقدم اسفارها ، لانه معاصر لموسى عليه السلام . فهل يتفضل الاستاذ طه حسين علينا وعلى العلم فيخبرنا كيف تسنَّى لهؤلاء الدساسين من اليهود الذين استوطنوا بلاد العرب ان يدسوا هذه الاسطورة قُبَيلَ الاسلام أو بُعَيدَ الاسلام في اسفار منسوبة الى زمان اقدم من الاسلام بأزمان كثيرة وكثيرة جداً ! ؟ . . .

كيف دسوا هذه الدسيسة في التوراة وهم في يثرب أو في خَيْبَرَ او في غيرها من بلاد العرب ولم يشعر بهم سائر يهود الدنيا ؟

أم تراهم فعلوا ذلك بتواطؤ اتَّفق جميع اليهود عليه احتيالا على اثبات الصلة بين اليهود والعرب ، وبين الاسلام واليهودية ، وبين التوراة والقرآن . . .

ان هذا الاكتشاف خطير وخطيرٌ جداً . وكيف يقال بعد هذا اننا نحن الشرقيين ليس لنا نظريات علمية ، ولا اكتشافات أثرية ، وهذا الاستاذ النابغة العبقري مؤلف كتاب الشعر الجاهلي - البريء من كل خطأ والدالّ على التحقيق

والانصاف والنزاهة — قد اكتشف لنا هذا الاكتشاف العظيم ، وعرضه على أنظار قومه بتواضع يستحق عليه التشجيع بان يرفع من منزلة مدرّس الى منصب المدير العام في الجامعة المصرية

وانا نعود فنلتمس من فضيلته ان يُعْلمنا كيف اتصل به خبر ذلك ، وهل توصل الى هذا والى الشك في إبراهيم واسطورته من آثار جديدة اكتشفها هو أو رآها (!) دون غيره في رحلته الاخيرة في ديار الشام ، فافسد بها على الاستاذ الاثري الكبير أرنست سلين الالمانى اكتشافه الجديد بالقرب من مدينة نابلس المذبح الذي بناه ابراهيم عليه السلام والمدينة التي أنشأها ذووه بعد انفصال ابراهيم عن لوط (انظر جريدة ديلى اكسبرس الصادرة يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦) وهى المدينة التى رأى الاستاذ ارنست سلين اسمها مكتوبا على لوحة من الآجرّ فى خرائب تل العمارنة في مصر . نعم ان الاستاذ أرنست سلين لابدّ أن تكون الرعونة والطيش قد حملاه على الاسراع باعلانه اكتشاف هذا الاثر لابينا ابراهيم عليه السلام الممنوع من ان يدخل في حظيرة قدس التاريخ ، وكان على المكتشف الالماني أن يقتدي بأستاذ جامعتنا المصرية فى التأنى والتؤدة قبل اعلان اكتشافه . إلاّ أن ايثارنا التأنى على التسرع لا يمنعنا من مطالبة الاستاذ طه حسين بابراز الآثار التى حملته على تكذيب التوراة وتقرير حادثة الدس التى جرؤ عليها يهود البلاد العربية

وهنا تعرض لنا مسئلة لابدّ من حلّها : فالاستاذ طه حسين قرر بين يدي النيابة ان الحوادث الواردة في القرآن تنقسم الى قسمين : فما كان منها معاصراً لنزول القرآن فهو صحيح ، وما كان منها متقدما على نزول القرآن فغير مأذون له بالدخول في حرَم التاريخ : وهذا التقسيم منتزع من قضية أخرى وهي أن القرآن الذي بين أيدينا لاشك في انه هو الذي تناقله المسلمون عن النبي صلى الله

عليه وسلم كما هو الآن ، فما ورد فيه عن العصر النبوي والاخبار الجاهلية المتصلة بذلك العصر فهو حق ، واما ماتقدم على ذلك فطه حسين لا يجوّز ذكره في عداد الحقائق التاريخية .

فهل يتفضل استاذ أبنائنا طلبة الجامعة ومهذّبهم ومثقّف عقولهم فيخبرنا ماهي درجة ثقته بالتوراة وما هو الخط الفاصل بين ما يعتمد عليه من أخبارها وما لا يعتمد عليه ، وهل اذا اسقطنا من الاصحاح الخامس والعشرين في سفر التكوين ومن الاصحاح الاول في أخبار الايام الاول اسم اسماعيل واسماء بنيه وجردنا التوراة من أسطورة ابراهيم واسماعيل يكون ماعدا ذلك صحيحا عنده أم أن الصحيح هو ماعاصر التوراة فقط واما ماقبله فمن اختراع سيدنا موسى ؟

ان تمحيص هذه المسألة وجلاء غوامضها من متممات الابحاث التي تعرّض لها الاستاذ في كتابه الشعر الجاهلي ، ويبقى كتابه ناقصاً ، ودروسه على أبنائنا في الجامعة مشوّهة ومضحكة ، اذا لم يعلن للناس قوله الفصلَ فيما التمسنا منه توضيحه

وقبل الانتهاء من هذا المقال يحسُن بي أن أشير الى مزية اخرى للدكتور طه حسين لا يشاركه فيها غيره ، وهي أنه بالرغم من عدم سنوح الفرصة له في أيام شبابه لتلقي مبادىء الدروس الثانوية ، استطاع أن يتولى منصب الافتاء في علوم لا يعرفها قط . فهو مع عدم معرفته علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وطبقات الارض والنبات والحيوان ، وما يتوقف عليه بعض هذه العلوم كالجبر والمثلثات المستوية والكروية واللوغاريثما والهندسة بجميع أنواعها ، فانه بالرغم من جهلة هذه العلوم يكتب المقالات الضافيـة في أنها تناقض الدين وتنافيه ، وان قال بالتئامهما وتوافقهما جمهرة الأحيـاء من الاختصاصيين في هذه العلوم مثل ماتينيون استاذ الكيمياء المعدنية في كوليج دو فرانس ، وأندره بلوندل العالم الطبيعي ، وشارل ريشه استاذ كلية الطبّ بباريس ، والجنرال فوش قائد جيوش الحلفاء في الحرب

العظمى وهو من كبار العلماء فى العلوم الرياضية ، وبول أبل من أعلام الرياضيين فى باريس، وبوفيه رئيس أكاديمية العلوم سنه ١٩٢٥، وفييل مكتشف البارود بلادخان وعشرات غيرهم . فهؤلاء لايزالون يعتقدون أن الدين والعلم صنوان لا يفترقان كما كان يقول بذلك ابن رشد ثم الشيخ محمد عبده ، ولعلهم يقولون ذلك لأنهم بُلهاء صغار العقول لا يوثق بعلومهم . وأما طه حسين فمع عدم درسه لهذه العلوم أصحُّ منهم معرفة بها وأبعد نظراً وأقوم تفكيرا

وبعد فان قيمة الاستاذ العلامة الدكتور طَه حسين لاتنحصر في هذه العلوم العالية التي أتينا على نماذج منها [1] ، بل ان للرجل باعاً طويلا ولساناً أطول في الجهاد السياسي ، ويؤكد الخبيرون أن مقالاته في مقاومة الوفد المصري والتشنيع على صاحب الدولة سعد زغلول باشا ربما زادت على مائة مقالة . ولا يضير هذه المقالات أن تكون ملأى بالسباب والإفك المفترى ، فان السياسة كثيراً ماتقضي بذلك ، كما تقضي خطط الانتصار للتجرّد من القومية والدين على أنصار القومية والدين بأن يتعمَّد الاستاذ المغالطة والمواربة في كثير من مؤلفاته الجليلة . وعلى كل حال فان تكليفنا الاستاذ طَه حسين تنزيهَ قلمه عن السب والافك يدخل في باب تكليف مالا يطاق ، ألم يقل الاستاذ داود بك بركات رئيس تحرير (الاهرام) : « لو أنا أخذناه على سبابه لما بقي شيء يسمَّى طَه حسين » وبالجملة فان مقالات الاستاذ في مقاومة أماني مصر الوطنية والقومية تدل على مقدرة قد نغمط طَه حسين حقه اذا غفلنا عن الاشارة اليها . لان التاريخ سيجعله بها من أبطال مصر المجاهدين في سبيل تحريرها ...

---

(١) ومن أراد الزيادة على ذلك فلينتظر صدور كتاب الاستاذ السيد محمد الخضر التونسي عن كتاب (الشعر الجاهلي) فانه اتى على ماتضمنه هذا الكتاب فقرة فقرة من أوله الى آخره بما لم يسبق له نظير في الردود الأخرى . وهو يطبع في مطبعتنا السلفية وسيصدر منها عماقريب

حركة النشر والتأليف

﴿ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ﴾

المطبعة الرحمانية * المكتبة السلفية : ٣٧٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه عشرون قرشاً

نشرنا في غير هذا الموضع من الزهراء المقدّمة البليغة التى كتبها الاستاد العلاّمة الجليل السيد رشيد رضا منشىء المنار للكتاب النفيس الذي ألفه الكاتب العربي الكبير السيد مصطفى صادق الرافعي في اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وهو الكتاب الذي كان مبحثاً من مباحث كتابه تاريخ آداب العرب فجرّده كتاباً بنفسه لتمّ به المنفعة

وفي هذا الكتاب الممتع أبحاث يعدل كل واحد منها بكتاب نافع : فبعد أن وصف القرآن بفصل أدبيّ بايغ ذكر تاريخ جمعه وتدوينه ، وتكلم على قراءته وطرق أدائه ، وعلى القرّاء ووجوه القراءة وقراءة التلحين . ثم انتقل الى الكلام على لغة القرآن والأحرف السبعة ومفردات القرآن ، وعلى تأثير القرآن في اللغة ، والجنسية العربية في القرآن ، وعلى آداب القرآن ، والقرآن والعلوم . ثم دخل في بحث اعجاز القرآن فأورد الأقوال في ذلك والمؤلفات فيه وحقيقة الاعجاز ، وتكلم على التحدّي والمعارضة ، وعلى اسلوب القرآن ونظمه والحروف وأصواتها والكلمات وحروفها والجُمَل وكلماتها ، وما للقرآن في كل هذا من إعجاز أيأس فحول البلاغة وأقطاب البيان العربي من الاتيان بمثله وزادهم يقيناً أنه مما لا يستشري الطمعُ فيه

وانتقل أديبنا الاكبر السيد الرافعي من بحث اعجاز القرآن ــ بعد الانتهاء من الكلام عليه ــ الى بحث البلاغة النبوية فتكلم على فصاحة سيد العرب والعجم ﷺ وعقد فصلا لصفته الشريفة وآخر لأحكام منطقه وأبان عن اجتماع

كلامه وقلته ونفي الشعر عنه وعن تأثيره صلى الله عليه وسلم في اللغة ، وندق البلاغة النبوية

والحق أن السيد مصطفى صادق الرافعي لو لم يكن له في مكتبتنا العربية غير هذا الاثر العظيم دالاً على فضله لكان كافياً لتبوئه المكانة الرفيعة في موكب كبار العلماء وملوك البيان .

﴿ خريطة تاريخية للممالك الاسلامية ﴾

مطبعة مصلحة المساحة بالقاهرة * المكتبة السلفية : ثمنها ٧ قروش

توجهت همة الاستاذ العالم المفضال محمد أمين بك واصف الى خدمة الجغرافيا الاسلامية وتاريخها منذ بضعة عشر عاماً ، وكان أول ثمرات عمله هذا وضع خريطة للفتوحات العربية في عصر الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية . فصدرت الطبعة الاولى منها سنة ١٣٣٣ ﻫ (١٩١٥ م) ثم صدر في السنة التالية كتاب الفهرست من تأليفه وهو معجم للبلاد التي ورد ذكرها في تلك الخريطة والى جانب اسم البلد بيانٌ وجيز مفيد لاحواله التاريخية والجغرافية

وفي الحق ان المكتبة العربية كانت في أمس الحاجة الى خرائط تاريخية للممالك الاسلامية والفتوحات العربية تسهل على قاريء التاريخ تجسيم حوادثه بمعرفة أماكن وقوعها ، خصوصاً وأن كثيراً من البلاد قد يعتوره التغيير باسمه ان لم يعتوره برسمه ، فكان حقاً على علماء الجغرافيا والتاريخ من رجالنا أن يسدوا هذا النقص . فلما ظهرت خريطة الاستاذ أمين بك واصف ثم ظهر معجمها أقبل القراء عليهما فأعاد طبع الخريطة سنة ١٣٣٤ ﻫ (١٩١٦ م) ثم في سنة ١٣٤٤ ﻫ (١٩٢٥ م) وبين أيدينا الآن طبعتها الرابعة لسنة ١٩٢٦ وهي أتقن من الطبعات السالفة وقد أشار فيها بعلامات مخصوصة الى عواصم الخلافة وبعلامات أخرى الى عواصم الممالك ، ووضع خطا باللون الاحمر لسير الفتوحات في عصر الخلفاء الراشدين وآخر باللون الازرق الى سير الفتوحات في عصر الامويين ،

ووضع اشارة حمراء للمواضع التي كانت فيها وقائع حربية فاصلة أو شهيرة

والاستاذ المؤلف مشتغل الآن بتحرير وتحقيق معجم هذه الخريطة استعداداً لطبعه طبعة ثانية بزيادات وتحسينات عظيمة . ويرى قراء الزهراء الاشارة الى ذلك فيما كتبه لنا في هذا الجزء (ص ٢٢٢) عن (جرّعاء مالك) التي يظن انها هي المقصودة من كلمة (جرّها) في جغرافية سترابون وغيره من القدماء

وقد علمنا ان طابعي كتاب الاغاني في مطبعة دار الكتب المصرية قرروا أن يضعوا نسخة من هذه الخريطة في كل نسخة من الاغاني عند صدوره

ونقترح على الاستاذ المفضال أمين واصف بك ان تمتاز الطبعة التي تلي هذه الطبعة من خريطة الممالك الاسلامية بأن تكون عدة خرائط لا خريطة واحدة فينشر لنا خريطة خاصة بفتوحات عصر الخلفاء الراشدين فقط لا يكون فيها ذكر الممالك الاسلامية المتأخرة كالبويهية والسامانية ، ولا البلاد التي انشئت فيما بعد كبغداد وغيرها . ويضع خريطة ثانية لفتوحات الدولة الأموية خاصة . وخريطة ثالثة لما كانت عليه الحال في الدور القويّ من مملكة بني العباس . ورابعة لعهد الانقسام . لأن هذه الخرائط كلما تعددت واقتُصر في كلٍّ منها على ما كانت عليه الحال في دور خاص كان ذلك أقربَ الى ما توخاه المؤلف من الفائدة في عمله

أما من جهة التحقيق العلمي فان ما شهدناه من اهتمام الاستاذ المؤلف وما يعانيه الآن من بحث واستقصاء كفيلٌ بأن تكون طبعة المعجم المنتظرة مرجع الطالبين وموضع ثقة العلماء الاخصائيين

الجواهر الكلامية — في ايضاح العقيدة الاسلامية

المطبعة السلفية ومكتبتها * ٦٢ ص بقطع صغير ، ثمنها قرشان

أعدنا طبع هذه الرسالة المفيدة من تأليف استاذنا العلاّمة المحقق السلفي الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله . وهي من أشهر الكتب المدرسية في العقائد الاسلامية . وقد طبعت مراراً كثيرة

﴿ المجموع ـ شرح مهذب الشيرازي ـ للنووي ﴾
﴿ وفتح العزيز للرافعي * وتخريج أحاديث الوجيز لابن حجر ﴾

مطبعة التضامن الاخوي * المكتبة السلفية : ١٥ جزءا كبيرا (ثمن الجزء ٣٠ قرشا)

أتينا في جزء المحرّم من الزهراء لعامها هذا على وصفٍ مجمل لهذا المجموع العظيم في الفقه الاسلامي بمناسبة ظهور الجزءين الاول والثاني منه . ونبشر الآن علماء الشريعة الاسلامية بصدور ثلاثة أجزاء أخرى : الثالث في ٥٦٠ صفحة بالقطع الكامل والرابع في ٦٨٠ ص والخامس في ٦٢٠ ص . وقد استوعب الثالث والرابع وبعض الخامس كتابَ الصلاة بتفصيل عجيب يغني القارىء عن مئات الكتب . وفي بقية الخامس كتاب الجنائز وكتاب الزكاة

وقد علم قرّاء الزهراء أن الامام النووي رحمه الله لم يشأ أن يجعل شرحه على كتاب المهذَّب مقصوراً على الفروع الفقهية ، بل توسع فيه فأرجع مسائله لى أصولها من الكتاب والسنّة ، وأورد مذاهب الصحابة وعلماء الصدر الاول وأقوال فقهاء مذهب ابن ادريس خاصة وما تمسّ الحاجة الى ايراده من أقوال علماء المذاهب الاخرى . وتخللت الكتابَ تحقيقاتٌ لغوية وتراجم لبعض العلماء

ويلي كتاب النووي في كل صفحة من صفحاته مايلائم موضوعها من شرح الرافعي على كتاب الوجيز للامام الغزالى . وهذا الشرح من امهات كتب الشافعية وتحت كتاب أبي القاسم الرافعي كتاب الحافظ ابن حجر في تخريج مافي الوجيز من الاحاديث حتى يكون الفقيه على بينة من رتبتها وقوة الاستدلال بها . أما أحاديث المهذّب للشيرازي فقد استوفى النووي الكلام عليها من هذه الجهة ، ولا غرو فابن حجر أكبر شرّاح صحيح البخاري والنووي أكبر شرّاح صحيح مسلم ، وحسبُ الفقيه أن يرد مناهلهما في الحديث ليكون علي بصيرة فيه

وليس لنا الا أن ندعو الله للقائمين بطبع هذا الكتاب ان يوفقهم الى اتمامه فيستغني به طلاب الشريعة الاسلامية عن كثير من كتب المتأخرين

﴿ نقد كتاب الشعر الجاهلي ـ لفريد بك وجدي ﴾

مطبعة دائرة المعارف ـ المكتبة السلفية : ١٥٢ ص بقطع الزهراء ثمنه ١٥ قرشاً

يرى الدكتور طه حسين أن النظريات التي ذهب اليها في كتاب الشعر الجاهلي خير عمل صدر منه الى الآن ، ونرى أن هذا الكاتب لم يفضح نفسه بشيء كما فضحها بالأبحاث التي تعرض لها فى كتاب الشعر الجاهلي ، لانه هجم فيه على امور كثيرة لو كشف الغطاء له عن تفاصيل كل واحد منها للبس له ثوبي حزن وخجل لا سبيل الى نزعهما عن جسمه أبد الدهر . وقد صدرت في الرد عليه كتب متعددة و نشرت في ذلك مقالات كثيرة ولكل من أصحاب هذه الردود وجهة غير وجهة الآخر لأن الموضوع متشعب ، والقضايا التي تناولها بلا بصيرة كثير عديدها . ويقول الاستاذ الفاضل الجليل محمد فريد بك وجدي في عنوان كتابه هذا (نقد كتاب الشعر الجاهلي) : انه نقد من كتاب طه حسين ما يتعلق منه بعلم التاريخ والاجتماع والادب ، أي أن هنالك أبحاثاً اخرى كثيرة ترك الكلام فيها لغيره . ومع أن فيما كتبه الاستاذ فريد بك في موضوع التاريخ والاجتماع والأدب مواضع أحسن فيها كل الاحسان فان فيما تعرض له طه حسين من هذه الابحاث مالا يزال فيه متسع للبيان ، وربما كتبنا شيئاً فى أجزاء الزهراء التالية عن لغات القبائل والأوهام التي تاه طه حسين في بيدائها من هذه الجهة

ومن أهم ما وفاه الاستاذ فريد وجدي بك حقه من البيان فى رده على طه حسين انتصاره للثورة الاجتماعية الكبرى الذي جاء بها الاسلام ، ودفاعه عن أساليبها وغاياتها ، ومقاومته العاملين على تشويه جمالها . ويرى الاستاذ وجدي بك أن طه حسين التزم جانب الغلو في تحري أسباب الاختلاق على الجاهليين بما التقطه من كتب فى المحاضرات هي قرارة الاكاذيب ومستنقع المفتريات من كل نوع ، فجاء كتابه بما حمل من أوزار المفترين وبما غلا هو فيه من تقصي إغراءات المناظرين وتسويلات المتنافسين من القادة الاعلين ، طامساً لمعالم أكبر ثورة اجتماعية فى العالم ألا وهى ظهور الديانة الاسلامية وما استتبع انتشارها من

سقوط دول وقيام دول ، وفناء لغات وشعوب في لغات وشعوب ، وطروء عهد جديد على الانسانيـة انتقلت به درجات كثيرة في معارج العلم والفلسفة والاخلاق والعمران.

وقد التزم الاستاذ فريد بك فى أكثر الفصول ايراد كتاب طه حسين كما هو والتعليق على أقواله بما يراه . وقد يتنحي عن مناقشته في بعض الابحاث لانه التزم الرد على مواضع مخصوصة كما أشرنا الى ذلك . وكتاب الاستاذ فريد بك كان فى طليعة ما ظهر من الردود على ذلك الكتاب المشئوم

﴿ الابداع فى مضار الابتداع ﴾

ادارة الطباعة المنيرية * المكتبة السلفية : ٢٩٠ ص بقطع الزهراء ثمنه ١٠ قروش

من الاقسام العلمية في الازهر الشريف قسم خاص بالوعظ والارشاد يتلقى فيه الطلبة ما يؤهلهم للخطابة والوعظ ونشر الدعوة . ولما كان من أفضل أنواع الارشاد دعوة المسلمين الى تنقية عباداتهم من أوضار البـدع وتجريدها من كل ما زاد عليها بعد زمن التشريع ، فقد قرر مجلس الازهر الأعلى أن يكون لبيان البدع التى من هذا القبيل درس خاص يلم به من جميع أطرافه

وقد ألف فضيلة الاستاذ الشيخ على محفوظ المدرس بقسم التخصيص بالأزهر كتاباً في ذلك جرى فيه على المقرّر فى مناهج التعليم في السنتين الاولى والثانية لقسم الوعظ والخطابة بالازهر الشريف أتىفيه على اصول البدع وفروعها وأوهام العامة وعاداتها مما تظنه الدهماء من الدين وليس من الدين فى شيء ، مبيناً فى كل ذلك سبيـل الشرع اعتماداً على أصوله المقرّرة . وهذا الباب من أعظم أبواب الاصلاح الاسلامي التى تشحذ فرند هذا الدين المبين وتظهر جوهره نقياً طاهراً لاعين الناظرين . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيـد ، فنحث على الاستفادة منه

﴿ التحفة العراقية في الأعمال القلبية ﴾

ادارة الطباعة المنيرية *المكتبة السلفية : ٦٨ ص بقطع الزهراء

الاعمال القلبية ـ ويسميها الصوفيـة المقامات والاحوال ـ هي العبادات الروحية كمحبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له . واذا كان بعض السالكين سُبل الصوفيـة يقصدون الى هذه المعاني من طُرق الفلسفة فتتشعّب عليهم الطرق حتى لا يجد البعض لأنفسهم مخرجاً منها الى الغاية الاسلامية ، فان علماء السنّة والدائبين على طريقة السلف طلبوا هـذه المعاني على نور كتاب الله وسنّة رسوله فكانوا هادين مهتدين . وهـذه الرسالة مما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في هذه العبادات القلبية مستمداً معانيها من روح الاسلام بقدر ما تدل عليـه نصوصه العربية الصحيحة الصريحة . وكتبُ ابن تيميـة كلّها مما لا يحسن بطلاب العلوم الاسلامية أن يفوتهم تدبرها واطالة النظر فيها

الاسلام في أمريكا

مطبعة فتى لبنان في البرازيل * المكتبة السلفية : ٩٢ ص بقطع الزهراء

يمتاز المسلمون في جميـع ما ألفوه من الكتب الخاصة بالجدل الديني بأن تآليفهم كانت في معرض الدفاع لا في معرض الهجوم، وذلك أثر من آثار هداية القرآن الكريم حيث جاء فيه « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن »

وقد جاءنا من أمريكا الجنوبية كتاب بهـذا العنوان ألفه السيد نجيب العسراوي من الجالية الاسلامية السورية رداً على كتاب ألفه (الياس مسرّة) بعنوان (الطلاق وتعدد الزوجات) تعرّض فيه لابحاث يجهلها وفتح على نفسه أبواباً كان في غنى عنها . فتتبع الاستاذ السيد نجيب العسراوي ما في الكتاب من جهل وغباوة ودلّ على مابدا له من وجوه الصواب في الموضوعات التي تعرّض

لها. وصدّر الردّ بصورة الـكاتب الاكبر الامير شكيب أرسلان وقدّمه هدية اليه . فنشكر له غيرته على الحقيقة

﴿ المثالث والمثاني ـ لحليم دموس ﴾

مطبعة العرفان في صيدا * ٢٠٨ ص بقطع الزهراء

الاستاذ حليم ابراهيم دمُّوس شاعر لبناني كثير الحركة عظيم النشاط حريصٌ على أن يضرب من كل فن بسهم وعلى أن يكون له في كل مقام مقـال وعلى أن يدرك رِضى الناس على اختلاف المشارب والمآرب والمذاهب . لذلك ترى في مجموعة شعره ما يشهد له بمناصرة الغايات الوطنية والنزعات الاجتماعية والعواطف الدينية فضلاً عن المدائح الـكثيرة التي نظمها في رجال من مختلف الطبقات

وكان قد طبع ديوانه للمرة الاولى سنة ١٩١٩ ثم أعاد طبعه . وبين يدينا الآن مجموعة أخرى من شعره تضمنت قطعاً في مختلف المعاني . وهي مزينة برموز ومشاهد وطنية ، وصور لنخبة الادباء وأكثرهم من السوريين ، مع أمثلة من خطوطهم وتواقيعهم أكثرها في الثناء على الناظم . وهذه المجموعة مطبوعـة طبعاً نظيفاً على ورق صقيل بشكل يروق الانظار

﴿ تاريخ الحرية البشرية ﴾

رسالة بقلم الدكتور سلمان افندي غزالة النائب العراقي نشرتها مجلة (الحرية) البغدادية وفيها لمحات عن أساليب الحـكماء في فهم الحرية من أقدم الازمان الى الآن وما ذهبوا اليـه في أمرها . وقد انتهى المؤلف في الخلاصة التي ختم بها رسالته الى أن مسألة الحرية لا تزال معضلة من معاضل البشر التي لم يوفقوا الى حلّها

واعتمد المؤلف في تلخيص هذه اللمحات على كتاب أو أكثر من كتب الافرنج ، وكنا نود لو أنه ذكر في مقدمة الـكتاب أو في كل فصل منه المصادرَ التي رجع اليها . وقد يجد القارىء بعض الغموض في الاسلوب العربي ولا سيما في الاصطلاحات العلمية المنقولة عن المراجع الافرنجية

﴿ الاماميات ـ للسيد عبد الرحمن السقاف ﴾

مطبعة السعادة في القاهرة * ٣٢ ص بقطع الزهراء

تحتوي على القصائد المتبادلة بين جلالة الامام يحيى بن حميد الدين ملك اليمن وبين جامع هذه الرسالة السيد عبد الرحمن بن عبد الله السقاف مفتي الديار الحضرمية . وذلك ان السيد عبد الرحمن لما أزمع الرحلة من حضرموت سنة ١٣٢٩ هـ بعث الى الحضرة الامامية بقصيدة ثم اتبعها باخرى من سنغافورة فاجابه الامام عليها بمثلها حتى كان مجموع مانظمه السيد ثماني قصائد أجابه الامام على بعضها . فنشر حضرة الشيخ محمد بن سالم بريكات مجموع ذلك في هذه الرسالة

﴿ ارشاد الخواص والعوام ـ لفعل الواجب وترك الحرام ﴾

المطبعة الاهلية في الرباط ـ المكتبة السلفية بالقاهرة : ١١٥ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٠ قروش

هو عنوان كتاب ألفه العالم الفاضل السيد محمد بن عبد الله ملين من علماء المغرب الاقصى ، وأتى فيه على ذكر المنهيات والمأمورات في الاسلام ، فاقتبس من كتاب الله وسنة رسوله كثيراً مما ورد في المنهيات أولاً كاكل مال اليتيم والرشوة والغيبة وعقوق الوالدين وشهادة الزور الخ بما لو تدبره المسلمون وعملوا به لكانوا أبعد الناس عن جميع أنواع المنكر . ثم انتقل الى المأمورات فأورد الآيات والاحاديث في الحث على الفضائل كأداء الامانة واكرام الجار وترك الحسد وحسن المعاملة والاصلاح بين الناس الخ . فهو مجموعة أخلاق نبوية وآداب اسلامية نرجو الله أن ينفع جمهور الامة بها

﴿ مجهود العرب العلمي ﴾

إن العرب تمكنوا من نقل مؤلفات حكماء اليونان الى العربية في مدة لا تزيد على قرن ونصف قرن ، في حين أن الرومانيين ـ مع سعة اطلاعهم على اللغة اليونانية ـ لم يتمكنوا من نقل كل هذه المؤلفات عبد الله مشنوق

انباء اجتماعية

كتب أسلافنا في أمريكا

ابتاع الاستاذ مارتن سبرنغلنغ الامريكي سمائة كتاب عربي مخطوط من القاهرة لحساب مكتبة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ، والحقت هذه الكتب بمواضعها من تلك المكتبة

الآثار البيزنطية

أوفد المتحف البريطاني (بريتش موزيوم) المستر كاسّون عضو المجمع العلمي الانكليزي الى تركيا للبحث عن الآثار البيزنطية في ميدان السلطان أحمد بمدينة القسطنطينية حيث كان يوجد (الهيبودروم) أيام البيزنطيين . وقد أذنت له الوزارة التركية بأن يقوم بأعمال التنقيب مدة عام كامل ، وينتظر أن يبدأ بذلك في هذه الاسابيع وسيبدأ بالتنقيب في المواضع الخالية من المباني

وأذنت الحكومة التركية للهرفيكان - مدير المتاحف الاثرية في برلين - بالتنقيب مدة سنتين في مدينة (برغمة) بالأنضول

ملك الحجاز ونجد

قالت (ليسپوار) - وهي الصحيفة الفرنسوية التي تنتسب الى الوفد المصري في القاهرة - « ان الكوكب الجديد الذي طلع في أفق بلاد العرب ، وزاد بنوره الساطع سماءها الصافية بهاء وجمالا أثار الحفائظ الكامنة في نفوس الذين كَسفَ هذا النور نجمَ سعدهم ، والذين حطَّ من نفوذهم وقضى على مطامعهم . ولا غرو فالحياة مد وجزر ، وعلى قدر ما تكون الاعمال عظيمة هامّة يكون الانقلاب الذي يتلوها عظيما . والعظيم الذي يصبو الى المجد لا يخلص من الدسائس وينجو من عواقبها قبل أن يبلغ قمة مجده ويدين الناس جميعاً لسلطانه »

أثران مغربيان

سُرق من المتحف الفرنسوي في هذا الشهر خنجر الامير عبد القادر الجزائري وخنجر باي تونس وكلاهما مرصع بالجواهر

﴿ مكافحة المسكرات ﴾

مرّ بالديار المصرية أخيراً المستر جونسون الامريكي المتطوّع لمكافحة المسكرات ، فألقى في الاسكندرية والقاهرة خطباً نفيسة في هذا الموضوع

ومن رأي المستر جونسون ان قوة الانتاج تضعف بالمسكرات ، وانها لا يمكن ان تبذل في مجال آخر الا عند ابطال المسكرات . وان شرب المسكر مجهود ضائع وتجارة خاسرة وحائل بين المرء والسعادة ، وانها في مبدئها وخاتمتها اداة خراب . وشر مافيها ان المصاب بها لا يشعر بما هو فيه من سيئاتها ، فيحتمل الآلامَ الأبرياءُ من ذويه وفي مقدمتهم زوجته واولاده . ومن اقواله : لمنع الداء يجب استئصال اسبابه : فالشفاء من شرور الخمور يكون بمنع الخمور

﴿ الجيش الايراني ﴾

أرسلت حكومة طهران الى أوربا في هذا الشهر ثلاثة وخمسين ضابطا لا كمال الفنون الحربية ، وقد اختارت للفرسان منهم البلاد الايطالية وللمشاة والمدفعية والطيارين ألمانيا وفرنسا وروسيا

﴿ الملك ابن سعود وأوربا ﴾

قالت جريدة (ديلي هرالد) لسان حال حزب العمال البريطاني : « لا يستبعد أن ينشب بين فرنسا وانكلترا خلاف على سيادة البلاد العربية . ونحن موقنون أن ابن السعود سيقف تجاه هذه الحالة الجديدة موقف الرجل الكفء الذي يعرف من أين تؤكل الكتف الى أن تظهر الكفة الراجحة فينحاز الى جانب الفريق الاقوى »

﴿ ميزانية تركيا ﴾

تقدّر الحكومة التركية قسمَ الايرادات في ميزانيتها لسنة ١٩٢٧ القادمة بمقدار ١٨٨ ٨١١ ٣٧٩ ليرة تركية ، وقسم المصروفات بمقدار ١٨٨ ٨٠٧ ٣٣٠ ليرة (نحو عشرين مليون جنيه مصري)

﴿ العراق والتاريخ العربي ﴾

جاء في منهج الدراسة الابتدائية في العراق « أن الغرض الاصلي من تدريس التاريخ في المدارس الابتدائية هو تعليم تاريخ الوطن ، وماضي الامة . والغاية القصوى من ذلك هي تقوية الشعور الوطني والقومي في أفئدة التلاميذ »

﴿ المسيو ميليا وحالة سوريا ﴾

في الاجتماع العظيم الذى عقدته جمعية حقوق الانسان في باريس في الاسبوع الاخير من شهر أكتوبر الماضي خطب المسيو ميليا - الذي كان مساعداً للمسيو جوفنيل في سوريا - فقال بلهجة التهكم « ان السياسة التي أوجدت وحدة بولونيا وتشيكوسلوفاكيا تعمل في سوريا - بلا تبصر - لتقسيم بلادها الى دويلات » ثم أشار باجراء انتخابات عامة في جميع البلاد السورية للوقوف على رأى أهلها

﴿ مؤتمر جاوا الاسلامي ﴾

في يوم الاثنين ١٩ سبتمبر الماضى افتتح المؤتمر الاسلامي السادس للهند الشرقية (جاوا) واشتركت فيه ٨١ جمعية اسلامية وحضره مندوبو ٢٢ صحيفة وكان في مقدمة الجميع الزعيم الجاوي المشهور الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو لابساً عقالا نجدياً . أما رئيس المؤتمر الحاج أقوس سالم فكان بملابس هندية. وفي الجلسة الاولى أعلن المؤتمر شكر جلالة الملك ابن سعود على عقده مؤتمر مكة وعلى ما أبداه من الكرم والرفق نحو مندوبي الهند الشرقية أثناء اقامتهم بالحجاز وان الوفود التي اشتركت في هذا المؤتمر الجاوي حضرت من أنحاء جاوا وبورنيو وسليبس . ومثل هذه المؤتمرات من بواعث الحياة في الجمهور الاسلامى

﴿ الفرنسويون وسكة الحجاز ﴾

في مقال افتتاحى بجريدة (الاحرار) البيروتية يوم ٢٩ أكتوبر : « من الامثلة على تخبط المسيو روبر دوكه في أجوبته على أسئلة أعضاء لجنة الانتدابات ماورد في أقواله عن سكة الحجاز الحديدية ، وانتزاعها من الادارة الوطنية التي كانت تتولاها ، وتسليمها الى شركة (سكة حديد دمشق - حماه وتمديداتها) الفرنسية فانه في أثناء افاضته الحديث زلق لسانه فاعرب عن السبب الحقيقي الذى حمل دار الانتداب على تسليم الخط الى الشركة الفرنسوية فقال : وأن للشركة بعض الاسباب في مطالبتها بحقوق لها على سكة الحجاز الحديديه، لأن الشركة الفرنسوية تملك خطا مزاحماً لهذا الخط يمتد من دمشق الى المزيريب في جنوبى حوران وقد اقتلع الترك ذلك الخط أثناء الحرب فطلبت الشركة أن تعطى لها سكة الحجاز تعويضاً عن خطها ! »

الزهراء

ج ٥ : م ٣ القاهرة جمادى الاولى ١٣٤٥

حضارة العرب وفلسفتهم

لكل عصر شعوبية ، وان شعوبية هذا العصر نفر من ادباء مصر لا تمر بهم فرصة يتنقصون فيها فضل العرب ويغضون من منزلتهم في التاريخ وينحتون من اثلة مدنيتهم الشهيرة الا تورَّدوها مبتهجين ، ولا يرون للعرب عورةً من العورات الا تهافتوا على اظهارها تهافت الذباب على الحلواء.

ومن هذه الطائفة من يطعن في العرب جراهيةً بدون مواربة نظير هذا سلامة موسى الذي يكتب فى « الهلال » والذي زعم أن العرب بدو هجموا على المدنيات الرومانية والاغريقية الخ. وهذا النوع من العداء أقله خطراً وأجدر بأن لا يباليه أحد ، لأنه كلام ساقطٌ من نفسه : تكفينا الآثار الماثلة والتواريخ العامة - من شرقي وغربي - مؤونة الرد عليه

ومن محاسن العرب أن يكون أعداؤهم - مثل سلامة موسى - اباحيةً يدعون الى اختلاط الانساب ولا يرون بأساً في أن لايعرف المولود بأبيه [1] ، وهي الشناعة التي أراد بعضهم أن يعزوَها للبولشفيك فتبرأ هؤلاء منها وأكبروا لأمر وهم البولشفيون الشيوعيون . . .

(١) انظر الزهراء (٣ : ١٣٩)

ومن هذه الطائفة من تراه يضيق صدره ـ كأنما يصعد في السماء ـ اذا سمع كلمة خير في العرب ، أو قرأ عبارة توفر لهم قسطهم من المجد . وقد قامت قيامة طه حسين على أحمد زكي باشا بزعمه أن الاستاذ المشار اليه قال ان مدنية العرب فوق كل مدنية ، مع أنه لم يقل ذلك وانما اطرى مدنية قومه كما هو شأن الامم كلها أن كلاً منها تطري مدنيتها وتفاخر باحسابها . وكيف كان يقول لو قال أحمد زكي باشا : كلما كان الانسان عربيا كان أقرب الى البشرية ، كما يقول الفرنسيس ـ ولا يكبر ذلك طه حسين ـ « كلما كان الانسان افرنسياً كان أعرق في البشرية » أو كما يقول الألمان « ألمانية فوق كل شيء » وهلم جراً ، فلا تتحرج صدور هؤلاء الا اذا كان الاعجاب بالعرب . ولعمري لو قال أحمد زكي باشا ان مدنية العرب كانت فوق كل مدنية بالنسبة الى القرون الوسطى ـ أي الى الوقت الذي ظهرت فيه ـ لم يكن كاذباً بل لكان ظهيرَه التاريخُ العام كما يعلَّم في مدارس أوربة

ولا يعيب العربَ أنهم في القرون الوسطى لم تكن مدنيتهم أعلى من مدنية اوربة اليوم بعد القرون الوسطى بنحو تسعمائة سنة وألف سنة ، فانه من البديهي أن الآخر بطبيعة الحال يعلم ما لايعلمه الأول ، وان اللاحق يعي علم السابق ويضيف عليه ، وان الدنيا شخص معنوي كلما علت سنه ازدادت تجاربُه . وقد يأتي دهر يجد الناس فيه مدنية اوربة الحاضرة لعباً ودَداً ، ويهزأون فيه بالقواعد التي يقررها علماء العصر الحاضر ، وذلك كما نهزأ نحن ببعض القواعد التي كان الأولون يظنونها حقائق ثابتة فاظهرت التجارب الأخيرة بطلانها . نعم لا يعيب السلفَ أن يكون الخلف أعلم منهم وانما يعيب السلف أن يكونوا قعدوا عن النهوض بالواجب عليهم فى زمانهم . ولكن طه حسين اذنه صماء عن الفحشاء . . . فلا يحب أن يسمع هذا اللغو الذي

هو مدح العرب . . وسبحان من جمع بين عمى البصائر وعمى الأبصار وأولهما أشد وأدهى

يعلم الله أننا كنا نحب أن لا نستعمل لهذه الطائفة مثل هذه الالفاظ ، لكن وقاحتهم على الوطن والدين واللغة والاخلاق والصيانة والقومية وما أشبه ذلك تجاوزت حدَّها ، فأصبح من الواجب على كتَّاب الوقت أن يضعوهم حيث وضعوا أنفسهم ، وأن يصبُّوا السخن على هذه الجراثيم الفاسدة للتخلص من شرّ عدواها

ومنهم من لا تصل به الحماقة الى هذا الحد ولكنه ينقب في الكتب والآثار حتى اذا وجد كلمةً يقدر أن يغمز بها العرب ولو من طرفٍ خفي وقع عليها وأخذ يستنتج ويقيس ويذهب الى بعيد . وكأنَّ مرماهم الأصلي هو سلب العرب محاسنهم التي حلاَّهم بها التاريخ ، فان لم يمكن فسلبهم بعضها ، وأيّ شيء وجدوه في هذا المعنى عدّوه ربحاً . فترى الواحد منهم يذكر فلاسفة العرب وأطباءهم والكيماويين منهم وهو يشير الى أن هذا كان نصرانياً وذاك يهودياً وذلك صابئاً أوحرّانيا وكأنه رفع بذلك التأصيل عن ظهره وقراً ، فقد كان صعباً عليه أن يكون هؤلاء الكبار من خلق الله عرباً في النسب فلما أثبت نسبتهم لغير العرب هانت عنده المصيبة . . .

ولو تأمل هؤلاء لعلموا ان الذي اخبرهم بأن هذا كان فارسياً او تركيًا وذاك كان يهوديًا او صابئًا او نصرانيًا انما هم مؤلفو العرب الذين لم يكونوا ينظرون الى العالِم بل الى العلم الذي يحمله . وكان سيَّان عندهم ان يكون النبراس الذي يضيء لهم زيتهُ من الزيتونة الشرقية او الغربية . على ان هؤلاء العلماء كلهم بعد ان كتبوا مؤلفاتهم بالعربية لم تعرفهم الدنيا الا عربًا ، ومنهم ومن اقرانهم كانت الحضارة العربيـة التي انطووا فيها . وعلى فرض انهم لم يكونوا عرباً في الاصل

فإن الفضل الأول في تأسيس المدنيات ونشر المعارف انما هو للدول التي تستجيد العلماء وتستوري زناد القرائح . ولقد كانت تلك الدول عربية قحة وما من احد يقدر ان يقول ان معاوية كان فارسياً أو ان هرون الرشيد كان حرّانياً . ثم على فرض ان بعض فلاسفة العرب لم يكونوا من أصل عربي فالعرب اغنياء بالرجال وكم عندهم من فيلسوف وحكيم وطبيب يرجع في نسبه الى قحطان أو الى عدنان . ثم اننا اذا نظرنا الى الأمم وجدنا علماء كل أمة فيهم جم غفير ليسوا منها . . . ولكنهم منها . . . أفترى الفيلسوف الألماني المعاصر انشتين خرج من نسبتهِ الى المانية من أجل انه يهودي ؟ وكم من عالم افرنسي أصله غير افرنسي ، وكم من عالم انكليزي أصله غير انكليزي .. الخ

ويلحق بهذا قولهم ان العرب كان عندهم العلم الفلاني وهم انما اخذوه عن الأمة الأخرى . وأيُّ أُمَّة اقتصرت في مدنيتها وعلومها على تحقيقاتها واجتهاداتها الخاصة وأنفت ان تستعير من غيرها ، وهل يكون احمق من تلك الأمة التي تأبى الاقتداء بغيرها في الاخذ بأمر نافع او قول سديد !

ولكن التحامل كل التحامل هو قول بعضهم ان العرب كانت علومهم كلها مبنية على الأسلوب الغيبي ، وانهم لم يعرفوا التجربة في العلم - كلمات ينقلونها عن بعض المؤلفين الاوربيين الذين لايريدون ان يعترفوا بفضل الشرقيين ، أو بعض مؤلفيهم الذين لم يفهموا تاريخ العرب حق الفهم

ومن الغريب ان هذه الفئة اذا حاجّها الانسان باقوال وشواهد من أناس من المستشرقين الاوربيين كان جوابهم ان المستشرقين هؤلاء من دأبهم المبالغة وهم لتعلّمهم اللغة العربية احبّوها وصاروا يزينون كل شيء عربي . والحال ان المقام مقام تحقيق وتدقيق ليس مقام ميل وعصبية . فأمَّا اذا عثروا على رواية تنقّص من فضل العرب في كلام مستشرقي الافرنجة أسرعوا الى نقلها وعدّوها آية منزلة وبنوا عليها احكاماً طويلة عريضة ونسوا او تناسوا ان المستشرقين

الذين يكرهون العرب ويشنأون العالم الاسلامي ويضمرون العداوة لكل شيء شرقي هم اكثر عدداً من المستشرقين المحبين ، فهم يحرّمونه عاماً ويحلونه عاماً، فالمستشرق الصادق عندهم هو الذي يتنقص العرب لأنه يأتي بما تهوى انفسهم . واما المستشرق الذي يؤدّي العرب حقهم فإنه بزعمهم مبالغ ينظر بعين الحب الكليلة عن العيب . ولا تنسَ ان حملاتهم هذه الخفية على الحضارة العربية والتاريخ العربي انما يأتونها باسم العلم ، وتمحيص التاريخ ، وحب الحق ...

وليس من عربي عاقل يحب ان ينْحلَ العرب ذرة مما لم يعملوه ، ولا ان يمدحهم بالكذب . ولكن ليس من عربي عاقل يرضى بأن فئة مريضة من اهل هذا الزمان تهجم على مدنية العرب التى اتفق على عظمتها المشرق والمغرب ، وتحاول ان تحط من قدرها ، وان تطفيء من نورها بافواهها ، زاعمة أنها انما تتحرى حقيقةً وتثبت واقعاً

واما ان علوم العرب كانت نظرية تخمينية ليس لها حظ من التجربة العملية فهذا خلاف ما عليه الجمهور ممن اشتغلوا بتاريخ حضارة العرب . وهذا خلاف الآثار الباقية المدهشة مما بناه العرب . وبينما أنا أفكر في تحرير شيء في هذا الموضوع معتمداً فيه على أقوال المحققين من علماء المشرقيات اذ اطلعت في جريدة « السياسة الاسبوعية » على مقالة ممتعة جمعت فاوعت في ظهور العلوم الطبية وتقدمها في الحضارات المختلفة من قلم المحقق النقريس الدكتور محمد شرف ، من جملة فصولها فصل في الحضارة الاسلامية وفضلها في العلوم الطبية ، من اطلاع القراء عليه يتجلى لهم مقدار تحامل القائلين بأن علوم العرب كانت عمدتها الاسلوب الغيبي دون التجربة بالادوات والآلات . فانا أترك الآن الكلام لهذا الفاضل الذى لخص هذا الموضوع وأجمل ، فأحسن وأجمل . وسنعود ان شاء الله إليه في وقت أوسع

شكيب أرسلان

لوزان

فضل الحضارة الاسلامية

في العلوم الطبية (*)

في القرن السابع بعد الميلاد وقعت الرابعةُ والأخيرة من هجرات العرب (١) التي وثبوا بها على الامم المجاورة ، فتغلَّبوا على غرب آسيا ، وكل ما حول البحر الابيض المتوسط . وقد اكتسب العربُ بسرعة مدهشة درجةً عالية من الحضارة . فهم شَعب فطين ذو أربة وتثقيف ، كان سريعاً في تمثيل العلوم والثقافات التى احتكَّ بها ، خصوصاً علوم اليونان . فترجموا أشهر مؤلفاتها ، وعن هذا الطريق وصلت لأوربا أكثرُ العلوم التى لولا العرب لانعدمت تماما

كان العرب ماهرين فى المناظرة والنقد والجدل وسائر التفرعات المنطقية . وإن تعجب لشيء فهو سرعة انقلاب الحماسة الدينية عندهم الى ولوع بالعلوم والآداب . ففى أقل من قرن واحد بعد وفاة النبي ﷺ تُرجمَ أشهرُ مؤلفات اليونان الفاسفية ، واستمر هذا الذوق السامي ، والميل للعلوم ، والنهوض بها ، حتى بعد انقسام الامبراطورية العربية بالمشاحنات والفتن إلى ثلاث دول : العباسيين في آسيا ، والفاطميين في مصر ، والأمويين في اسبانيا . فتناظروا وتنافسوا في العلوم والآداب كتنافسهم في السياسة ، واحتضنوا العلوم والآداب واتخذوا منها كل طريق ، ولم يهملوا مورداً أو مادة فيها تسلية للعقول أو تهذيب وترقٍّ للنفوس . ومن مفاخرهم أنهم أخرجوا من الشعر والشعراء أكثر من جميع الامم معاً . وبقي عرب الأندلس مئات من السنين متقدمين على سائر أوروبا في العلوم والطب

(*) هذا نص المقالة التي أشار اليها الكاتب الاكبر العلامة الامير شكيب أرسلان في فصله السابق ، وطلب الينا نشرها

(١) انظر البحث الذي كتبناه عن الهجرات العربية بعنوان « اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب » فى الزهراء (٢ : ٣٢١ـ٣٤٠) وقد طبعناه في رسالة مستقلة مع زيادات مهمة

وفضلُ العرب على العلوم راجع لدراستهم على طريقة الاسكندرية ، لا على طريقة أثينا وغيرها من مدن اليونان . وأدركوا سريعا أن العلوم لا تتقدم أبداً بمجرد النظر والتخمين - كما فعلت أثينا - بل لا بد لهم من امتحان الطبيعة بالمسائل العملية وعمل التجارب . وكان من أخص مميزات طريقتهم التجارب والرصد : فاعتبروا الهندسة والعلوم الحسابية وسائل وآلات للتفكير ورياضة العقل . وتراهم في أكثر مؤلفاتهم العديدة - في الميكانيكا وعلوم السوائل والبَصَريات - يحلون المسائل بعمل تجربة ، أو بواسطة رصد بآلة

هذه الطريقة هي التى مكنتهم من ابتداع الكيمياء ، وابتكار آلات التقطير والتصعيد والصهر والترشيح الخ ، والتي جعلتهم في الفلك يرجعون الى الآلات المدرّجة والمقسمة : كالربع والاصطرلاب ، واستعمال الميزان في الكيمياء ، وعمل جداول الثقل النوعي . وهي الطريقة التي أدخلوا بها تحسينات عظيمة في الهندسة وحساب المثلثات ، وأدت لاختراعهم الجبر وإدخال الأرقام الهندية في الحساب بدلا من الارقام الرومانية ، وهي طريقة بديعة تعبر عن جميع الاعداد بعشرة أرقام لها قيمة مطلقة وقيمة بالوضع

كل ذلك كان نتيجة لتفضيلهم للطرق العملية ، وعمل التجارب ، وايثارها على طريقة أرسطو القياسية والاستدلالية ، وعدولهم عن أفكار افلاطون الغارقة في الخيال

ومع ذلك قد أنكروا على العرب ملَكة الابتكار والابتداع في علم الطب وغيره ، وجحدوا فضلهم على العالم عامة وأوربا خاصة ، وقصروا نصيبهم من الثقافة على مجرد تشرّب علم اليونان ونقله لأوربا الحديثة . فاول مدرسة طبية في أوربا كانت التي أسسها العرب في سالرنو بايطاليا ، وأول مرصد هو الذي أقيم على يد العرب في إشبيلية باسبانيا . وقد نتجاوز المقام لو ذكرنا الكفاية عن نتائج هذه الحركة العلمية الباهرة . فالعلوم القديمة اتسعت كثيرا ، وجددوا علوما أخرى

وأوجدوها ، ووصفوا أمراضا كالجُدَري والحصبة لم يميزها اليونان ، وفي العلوم التجريبية أوجدوا الكيمياء ، واكتشفوا كثيراً من أهم موادها وكواشفها : كحمض الكبريتيك ، وحمض الأزوتيك ، والكحول. وأدخلوا هذا العلم في الطب العملي ، فكانوا أول من سنّ ونشر الدساتير الطبية وكتب الصيدلة والمحضرات الدوائية ، وأول من أدخل فيها التحضيرات المعدِنية . وفي الميكانيكا عينوا قوانين سقوط الاجسام ، وتكلموا في الجاذبية ، والقوى الميكانيكية ، وعملوا أول جداول للاثقال النوعية ، وكتبوا في عَوم الاجسام وسقوطها في الماء . وفي البصريات أصلحوا خطأ اليونان القائلين بمرور شعاع النور من العين الى الجسم المرئى ، وحققوا مروره من الجسم الى العين ، وفهموا الانعكاس والانكسار[1]. وابتكروا الجبر أو الحساب الشامل ، وجعلوا منه طريقة لبحث الروابط بين المقادير من أي نوع كانت ، واكسبوا حساب المثلثات شكله الجديد وأوصلوه الى علم قائم بذاته . كما ألفوا في حساب المثلثات الكروية والمساحة وأبدعوا فيهما أيما إبداع

وكانت للعرب غبطة خاصة في النظر الى فروع الأدب الجدية فكتبوا العجب في أمور شتى. وإن تعجب لشيء فاعجب لورود آراء كثيرة في مؤلفاتهم نعدها من مُبتكرات العصر الحديث ومفاخره . فنظرية النشوء والترقي مثلا درَسوها وعلموها في مدارسهم وذهبوا بها الى أبعد أمد فطبقوها على المواد غير العضوية والمعادن

وقد اشتهر من أطباء العرب أبو علي القاسم ، والرازى ، وابن سينا الذي استمرت مؤلفاته تدرس في جامعات الطب الأوروبية لغاية القرن الثامن عشر

دكتور محمد شرف
جراح بمستشفي الملك

---

(١) انظر الزهراء ٢ : ٤٥٥

جهاد مصر الوطني

– ذكرى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ –

خَطَوْنا في الجهادِ خُطًى فِساحا   وهادَنّا ولم نُلْقِ السلاحا
رَضِينا في هوى الوَطنِ المُفَدَّى   دَمَ الشُّهَداءِ والمالَ المُطاحا
ولما سُلَّتِ البيْضُ المواضي   تَقَلَّدنا لها الحقَّ الصُّراحا
فحطَّمْنا الشَّكيمَ (١) سِوَى بَقايا   إذا عَضَّتْ أرَيناها الجِماحا
وقُمنا في شِراعِ الحقّ نُلقِي   ونَدْفَعُ عن جوانبه الرِّياحا
نُعالجُ شِدَّةً ونَرُوض أُخرى   ونَسْعَى السَّعْيَ مشروعاً مُباحا
ونَستَوْلي على القِسَماتِ إلاّ   كَمينَ الغيبِ والقَدَرَ المُتاحا
ومَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ طُولَ التمنِّي   على الأيامِ قد صارَ اقتراحا

***

وأيّام كأجْواف الليالي   فَقَدْنَ النَّجْمَ والقَمَرَ اللِّياحا (٢)
قَضيْناها حِيالَ الحرب نَخْشَى   بَقاءَ الرِّقّ أوْ نَرْجو السَّراحا
تَرَكْنَ الناسَ بالوادي قُعُوداً   من الإعْياءِ كَلاّ بَلِ الرَّزاحَى
جُنودُ السِّلْمِ لا ظَفَرٌ جَزاهُمْ   بما صَبَروا ولا موتٌ أراحا
فلا تَلْقَى سِوَى حَيٍّ كَمَيْتٍ   ومَنْزُوفٍ (٣) وإنْ لم يُسْقَ راحا
تَرَى أسْرَى وما شَهِدُوا قِتالاً   ولا اعتقلوا الأسِنَّةَ والصِّفاحا (٤)
وَجَرْحَى السَّوْطِ لا جَرْحَى المواضي   بما عملَ الجواسيسُ اجْتراحا (٥)

(١) جمع شكيمة : حديدة اللجام (٢) المضيء (٣) من قولهم نزف الرجل (بالبناء للمجهول) أى سكر (٤) تقلدوا الرماح والسيوف (٥) رميا بالشر

***

صَباحُكَ كان إقبالاً وسَعْداً   فَيا يَوْمَ الرِّسالَةِ عِمْ صَباحا
وَمَا نألو نَهارَكَ ذِكْرَياتٌ   ولا برهانَ غُرَّتِك الْسَّماحا
تكادُ حُلاكَ في صفَحاتِ مصرٍ   بها التَّاريخ يفْتَتِحُ افتِتاحا
جَلالُكَ عَنْ سَنَى الأضْحَى تجلى   ونُورُكَ عن هلال الفِطْرِ لاحا
همُا حَقٌّ وأنتَ مُلِئْتَ حقًا   وَمَثَّلْتَ الضَّحِيَّةَ والسَّماحا
بَعثْنا فيكَ هاروناً وموسى   الى فرعونَ فابْتَدأَ الكِفاحا
وكان أعزَّ من رُوما سُيُوفًا   وأطْغَى من قَياصرِها رماحا
يكادُ من الفُتُوح وما سقَتْه   يَخالُ وراءَ هيْكَلِه فِتاحا
ورُدَّ المُرسَلُون فَقيلَ خابُوا   فيالكِ خَيْبةً عادَتْ نَجاحا
أثارَتْ وادِيًا مِنْ غابَتَيْهِ   ولأمَت [1] فُرْقَةً وأسَت جِراحا
وشدَّتْ من قُوَى قَومٍ مِراضٍ   عَزائِمَهُمْ فردَّتْها صِحاحا
كأنَّ بِلالَ نُودِي: قُمْ فأذِّن !   فَرِجَّ شِعابَ مَكَّةَ والبِطاحا
كأنَّ النَّاسَ في دينٍ جَديدٍ   علىَ جَنَباتِه استبَقُوا الصَّلاحا
وقد هانَت حَياتُهُمُ عَلَيْهم   وكانوا بالحياة هُمُ الشِّحاحا
فتَسْمَعُ في مآتِمِهِمْ غِناءً   وتَسْمَعُ في ولائِمِهِمْ نُواحا

* * *

حَوارِيِّينَ أوْفَدْنا ثِقاةً   إذا تُرِكَ البَلاغُ لَهُم فِصاحا
فكانوا الحقَّ مُنْقَبِضًا حيِيًّا   تَحدَّى السَّيْفَ مُنْصلِتًا وَقاحا
لَهُم مِنّا بَراءَةُ أهْلِ بَدْرٍ   فَلا إثْمًا تَعُدُّ ولا جُناحا

(١) سدت

نَرَى الشَّحناءَ بَيْنَهُمُ عِتاباً وَنَحْسَبُ جِدَّهُم فِيها مِزاحا
جَعَلْنا الخُلْدَ مَنْزِلَهُمْ ، وَزِدْنا عَلَى الخُلْدِ الثَّناءَ والامتداحا

***

يَميناً بالتي يُسْعَى إليها غُدُوًّا بالنَّدامةِ أو رَواحا
وَتَعْبَقُ في أُنوفِ الحجِّ رُكْناً وتَحْتَ جِباهِهِم رَحْباً وساحا
وبالدُّسْتُورِ وهو لنا حَياةٌ نَرَى فيه السَّلامةَ والفَلاحا
أَخَذناه على المُهَجِ الغَوالي ولم نأخُذه نَيْلا مُسْتَماحا
بَنَيْنا فيه من دَمْعٍ رُواقا ومِنْ دَمٍ كلَّ نابِتَةٍ جَناحا
لَما مَلأَ الشَّبابَ كَرُوحِ سَعْدٍ ولا جَعَلَ الحياةَ لَهُمْ طِماحا
سلُوا عنه القَضِيَّةَ هل حَماها وكانَ حِمَى القَضِيَّةِ مُسْتَباحا
وهَلْ نَظَمَ الكهولَ الصيد صفاً وأَلَّفَ مِنْ تجارِبهمْ رَداحا (١)
هو الشَّيْخُ الفَتِيُّ لو استراحت من الدأبِ الكواكبُ ما استراحا
وليس بذائقِ النَّوْمِ اغتباقاً إذا دارَ الرُّقادُ ولا اصطباحا
فيالكَ ضَيْغَماً سَهرَ الليالي وناضَلَ دُونَ غابَتِهِ ولاحى
ولا حطَمَتْ لكَ الأيَّامُ ناباً وَلا غضَّتْ لكَ الدُّنيا صَباحا

شوقي

﴿ الغيبة ﴾

اغتاب رجلٌ رجلاً عند سَلْم بن قُتَيبة . فقال له سَلْمٌ :
ـ أسكتْ ، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ مُضْغةً طالما لفظها الكرام

كتاب الصناعتين ص ٢٧٩

---

(١) الكتيبة الثقيلة الجرارة

التعريف بكتاب التيجان

كتاب التيجان لأبي محمد عبد الملك بن هشام صاحب السيرة ، منه نسخة في بعض الخزائن الخصوصية بحيدر آباد فيما يغلب على ظنّي . انتسخ منه بعض المتأدبين لنفسه نسخة واستكتب عدة نسخ أخر باعها بأيدي خزائن حيدر آباد ورامپور وبانكي پور — ولكنها كلّها مصحّفة غاية التصحيف . الا أن نسخة هذا المتأدّب الورّاق أمثل من صاحباتها بكثير . زد على ذلك أن عنده مع التيجان أخبار الملوك المتوّجة من حمير لِعَبيد بن شَرْيَةَ الجُرْهُميّ المخضرم في مجلد

فأحببت أن أنسخ من نسخته نسخةً لنفسي ، فأبى وبخل به عليّ ، على عادته الجارية . فاستنسختُه من نسخة خزانة حيدر آباد على عِلاّتها

ضَنّ علينا أبو حفص بنائلهِ وكلّ مختبِط يوماً له وَرَق

فجاءت نسختنا في ٥٢٢ صفحة كل صفحة ١٤ سطراً

وهذا الكتاب جُلّ مادّته كتاب التابعيّ الجليل وَهْب بن مُنَبِّه الاخباري المتوفى سنة ١١٠ هـ الذي ترجمه « بذكر الملوك المتوّجة من حِمْيَر وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » في مجلد . قال ابن خلكان : وهو من الكتب المفيدة

وقد أحال على التيجان ابن حجر في الإصابة في ترجمة الرُبيع بن ضَبُع الفَزَاريّ وعبارته توجد في نسختنا . وكذلك السُهيلي في الروض الأُنُف (١) والمشرِع الروِى في قول أبي كَرِب تبّان أسعد :

ما بال عينك لا تنام كأنما كُحلت مآقيها بسُمّ الأسود

---

(١) ١ : ٢٦ — ويوجد عند ابن خلدون في العبر (٢ : ٤٧ و ٥٧) حوالتان توجدان في نسختنا

أن ابن هشام أورده بتمامه في التيجان ، والأسف أنه لا يوجد في نسختنا

انى أحمد الله على الحصول على هذا الكتاب بعد ماحكم المستشرق جويدي الايطالي في محاضراته الجغرافية المطبوعة في مصر بفنائه . فالحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور

وهذا أول الكتاب بعد التسمية :

« حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي ادريس بن سنان عن جده لامه وهب بن منبه أنه قرأ مائة وسبعين كتابا (١) مما أنزل الله تعالى على جميع النبيين مائة كتاب وثلاثة وستون كتابا . انزل صحيفتين على آدم بكتابين : صحيفة في الجنة وصحيفة على جبل لبنان ، وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة ، وعلى نوح صحيفتين صحيفة قبل الطوفان وأخرى بعد الطوفان ، وعلى هود أربعا وعلى ابراهيم عشرين صحيفة ، وعلى موسى خمسين صحيفة ـ وهي الالواح ـ قال الله تعالى « ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » وعلى داود الزبور ، وعلى عيسى الانجيل ، وعلى محمد الفرقان صلى الله عليه وعلى جميع النبيين . . الخ »

ثم أخذ في بدء الخلق . وهاك فهرساً لابوابه وفصوله :

(١) والذي في المعارف (كوتنكن ص ٢٣٣) ونقله عنه ابن خلكان اثنين وسبعين كتاباً بدون اضافة المائة . ولعل هذا خطأ من ابن قتيبة . ولكن المذكور هنا مجموعه ١٦٠ صحيفة

وائل بن حمير	٩٤ ـ ٩٦
السكسك بن وائل	٩٦ ـ ٩٨
يعفر بن السكسك	٩٨ ـ ١٠٦
المُعافِر النعمان بن يعفر	١٠٦ ـ ١١٠

***

ثم افترق أمر حمير. ثم ملك :

الشداد بن عاد بن الملطاط بن السكسك بن وائل بن حمير[1]	١١٠ ـ ١١٢
لقمان بن عاد صاحب الانسُر أخو شداد	١١٢ ـ ١٢٤
الهمال بن عاد	١٢٤ ـ ١٢٥
الحرث بن الهمال وهو الحرث الرائش جد التبابعة	١٢٥ ـ ١٣٠

الصعب ذو القرنين (صاحب سُدّ ياجوج) ابن الحرث ذي مرائد ابن عمرو الهمال ذي مناخ بن عاد ذي شدد بن عابر بن الملطاط بن سكسك الخ وقد أفاض في أخباره وفتوحه وغزواته بما يستغرب به العقل ١٣٠ ـ ٢٠٩

ذو المنار أبرهة بن الصعب	٢٠٩ ـ ٢١٨
ذو الأشرار العبد بن أبرهة	٢١٨ ـ ٢٢٠
ذو الاذعار عمرو بن ابرهة	٢٢٠ ـ ٢٢٣

***

(١) كذا في ص ١٢٤ ، ١٣٠ ، ٢٥٢ وفي ص ١١٠ بن الملطاط ابن جشم بن عبد شمس بن وائل الخ . وعند ابن خلدون (٢ : ٤٨) الملطاط بن عمرو بن ذي هرم بن الصوان بن عبد شمس الخ ولكن ابن قتيبة لم يعدد ملوك حمير قبل الحرث الرائش بل قال (ص ٣٠٥) لم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن ولا يغزو أحد منهم حتى مضت قرون وصار الملك الى الحرث الرائش. وصنع مثل صنيعه حمزة (٨٢ طبعة برلين) . وقال نشوان في الحميرية :

وملوك حمير ألف ملك أصبحوا ... في الترب رهن صفائح وضراح

آثارهم في الارض تخبرنا بهم ... والكتب من سير تقص صحاح

(١) ابن السياب بن عمرو بن زيد بن يعفر بن السكسك

حسان بن عمرو	٥١٢ ـ ٥١٢
أبرهة الصبّاح	٥١٢ ـ ٥١٢
لخَيْنِعة	٥١٢ ـ ٥١٣
ذو نواس بن أسعد	٥١٣ ـ ٥١٦

***

ملك الحبشة فى اليمن

أبرهة الاشرم	٥١٤ ـ ٥١٧
يقسوم بن أبرهة	٥١٨ ـ ٥٢١

(وذكر فى السيرة ثالثاً وهو مسروق بن أبرهة)

***

سيف بن ذي يَزَن الحميري	٥١٨ ـ ٥٢٢

ثم ذكر مقتله وقال وانتشر الامر باليمن ولم يملّكوا أحداً على أنفسهم غير أن كل ناحية مَلّكوا عليهم رجلا من حمير وكانوا مثل ملوك الطوائف حتى أتى الله بالاسلام . وهذا ما كان من أخبار الملوك الدائرة والامم الغابرة

والحمد لله على ذلك كثيراً كما هو أهله ـ انتهى الكتاب .

ولكن حمزة ذكر في تاريخه أبناء فارس الولاة على اليمن بعد سيف

وتواريخ اليمن أشدّ التواريخ مناقضة ومخالفة ، ولم يكن الاحاطة باختلافات المؤرخين من غرضنا فيما كتبنا ، ولا مقابلتها على الاكتشافات الاثرية الحديثة . وهذه الامور لا يفى لها سنون طوال . وانما أدلّ القاريء الى أن ابن هشام ـ أو بالاولى وهب بن منبّة التابعيّ ـ أدرى بما فى بيته ، فقوله القول اذن ، اذ فاتنا التاريخ التحليلي الصحيح

إذا قالت حذام فصدّقوها فان القول ما قالت حذام

وإني أعِدُ قُرَّاء الزهراء بفصول أخرى من الكتاب أزُفّها اليهم اذا سنحت الفرصة ، فان العمل صَعْب والنسخة محرّفة غاية التحريف ، وليس بأيدينا كتاب آخر قديم يمكن عليه العِراض . وانما الذي أورده ابن قتيبة وحمزة والمسعودى ونشوان فى الحميرية وفى شمس العلوم وابن خلدون بَرْضٌ من عِدّ ووَشَلٌ من غَمْرَة لا يُروي الغليل ، وليس إلا جدْولا لاسماء من مَلَكَ اليمن فحسبُ

جامعة عليكرة الاسلامية (بالهند) عبد العزيز الميمنىّ

﴿ الزهراء ﴾ وكنا قرأنا فى بعض الصحف منذ أ كثر من سنة أن حضرة القسّ بولس سباط وجد نسخة من (التيجان) لعبد الملك بن هشام ، ونسخة من (جمهرة الانساب) لهشام بن محمد بن السائب الكلبي

وقد وجدتُ في جُعبة الاستاذ الجليل صاحب السعادة أحمد زكي باشا عند عودته من عربة السعيدة كتابا كبيراً في أنساب اليمن سينفع كثيراً في درس هذا القسم من تاريخنا

تبسمْ للحياة

تبسَّمْ للحياةِ وكُنْ سَبُوحاً ... على غَمَراتها مثلَ (السَّقيِّ) (١)
وكنْ (كاللُّوتَس) (٢) الضاحي هنيئاً ... وإنْ لم يَنَمُ في ماءٍ نقيّ
تَعَوَّدَ حظَّهُ وأضاءَ زَهْراً ... وعاش بنعمة الحُرّ التَّقيّ
فتعشقُه العيونُ بلا سُكونٍ (٣) ... ويقنـعُ بالحنين المَشْرِقيّ (٤)
وما سِرُّ الحيـاةِ سوى احتمالٍ ... سـواءٌ للهنيّ وللشَّقيّ

أبو شادى

---

(١) السقي هو نبات البردي المعروف (Papyrus)
(٢) اللوتس : النيلوفر .
(٣) سكون : انقطاع .
(٤) اشارة الى شروق الشمس .

ضريح أبي عبيدة بن الجراح

وعناية الاسلام بالصحة العامة

كُتب لبعض السادة الناصريين ـ الذين يغشون غوربيسان للاتجار ـ الاطّلاعُ على الكتابة الأثرية المنقوشة على ضريح أبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه ، فنقلوها ، ونقلها عنهم صديقنا القسّ أسعد منصور قسيس الطائفة الأنجيلية في مدينة الناصرة ، ونشرَها في المجلة السورية التي تصدر في القاهرة (١ : ٣٦١) ، واستنكر وفاة أبي عبيدة في الغور ، في حين أنّ التواريخ تقول بوفاته في طاعون عمواس . ولو لا أنه طلب الى الباحثين ابداء آرائهم في هذه الكتابة الأثرية وفي كيفية وفاة أبي عبيدة في الغور لما وجدتنا نسرد له ولمن يُعنىٰ بمثل هذه الامور ما استطعنا الى معرفته سبيلا في هذا الشأن . ولكي يحيط القارىء علماً بمضمون الكتابة ننقلها بالحرف والنص عن المجلة السورية :

١ : بسم الله الرحمن الرحيم * امر بانشاء هذه القبة المباركة على ضريح الامير أبي عبيدة الجراح
٢ : رضي الله عنه مولانا السلطان الاعظم سيد ملوك العرب والعجم ركن الدنيا والدين
٣ : سلطان الاسلام والمسلمين ابو الفتح بيبرس بن عبد الله قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله ٠ ومما وقفه
٤ : عليه وحبسه من نصف مناصفات دير معل ّتونين من حمص من عمل حصن الاكراد المحروس تحبيسا موبدا دائما اثاب الله واقفه
٥ : بجوده وكرمه يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين بنظر الامير الاجل الاعز
٦ : الكبير نسله ناصر الدين الحجنكلي الظاهرى السعدي نائب مملكة عجلون المحروسة في شهر ذي الحجة سنة سبعة (؟) وخمسين وستمائة [انتهى]

أما ملاحظاتنا وتعليقاتنا على ذلك فهي كما يلي :

(١) ان الملك الظاهر بيبرس ـ الذي بنى القبة على ضريح أبي عبيدة ـ قد ولي السلطنة في الديار المصرية سنة ٦٥٨ هجرية (١٢٥٩ ميلادية) فلا يمكن

أن يكون قد تم بناء القبة سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) أي قبل سنةٍ واحدةٍ من تبوئه عرش السلطنة . ولذلك فان التاريخ الوارد في آخر الكتابة مغلوط فيه وربما كان صوابه سنة ٦٧٥ هـ (١٢٧٦ م)

(٢) لم تكن (عَجْلون) من قواعد الممالك في عهد الظاهر بيبرس أو قبله أو بعده ، بل هي من البلدان التي خضعت لسلطانه وصارت اليه من أيدي المسلمين . فورود اسم عجلون المحروسة مضافاً الى مملكةٍ مسألةٌ فيها نظر

(٣) ان (ناصر الدين الحجنكلي الظاهري السعدي) الذي قيل عنه انه نائب مملكة عجلون لم يرد اسمه بين الامراء المشاهير ، في حين أنَّ نوَّاب السلطنة في الممالك قد حفظ التاريخ أسماءهم وجاء على ذكر نَصْبهم وإقالتهم ووفاتهم وسائر شئونهم ، فيستبعد أن يكون هذا الأمير هو نائب مملكة عجلون المشكوك في وجودها ، وربما كان أحد ولاة والي الصفقه القبليَّة التي كانت مدينتها (بُصرى) ومقرّ ولايتها (أذرعات) وكانت عجلون ــ وهي القلعة المبنية على الجبل المطلّ على مدينة الباعوثة ــ من عملها [1] لأن الممالك الشامية التابعة لمصر كانت في القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) ست ممالك هي: الشاميّة ، الكَرَكيّة ، الحلبيّة ، الطرابلسيّة ، الحمويّة ، الصفديّة [2] وزيد عليها في القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد) مملكة سابعة هي المملكة الغزاويّة [3] وكانت هذه الأخيرة تسمى قبل ذلك الصفقة الساحليَّة والجبليّة

---

(١) التعريف بالمصطلح الشريف صفحة ١٧٨

(٢) » » » » ١٧٦ — ١٨٤

(٣) زبدة الممالك وكشف الطرق والمسالك ص ١٣٤ . ومما تجب الاشارة اليه أن قاعدة هذه المملكة هي (غزة) ، وعلى هذا فيجب ان تكون نسبتها الغزية ، الا أن غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري مؤلف (الزبدة) ذكرها بهذا الاسم — أي الغزاوية — ولا شك في انه نقله من دواوين الحكومة فنقلناه كذلك

والصفقة دون المملكة ، وكانت تسمى الشام الأعلى وكان يديرها نائب مع مراجعة نائب الشام ، خلافاً للصفقات الاخرى فانها كانت تدار من قبل ولاة تابعين لنيابة الشام (١)

وقد ظلت هذه الممالك السبع يديرها نواب السلطنة التابعون لمصر الى حين استيلاء العثمانيين على الشام ومصر وقضائهم على دولة المماليك سنة ٩٢٣ هـ

(٤) لا شك بوجود خطأ في نقل السطر الرابع ، اذ لا يعقل أن تتبع حمص حصن الاكراد ، ولعل كلمة حمص هذه هي (خمس) ومعلّ هي (مغلّ) ، وهذا مما يحتاج الى تدقيق واعادة نظر

(٥) نقل الناقل صفة الأمير المذكور بصورة (نسله) ناصر الدين ، وهو ما نرتاب فيه ، ونرجح أن هذه الكلمة محرّفة من (السيفي) وهي صفة كانت تستعمل للامراء فيقال الامير الكبير السيفي أو المقرّ السيفي أو ما شابه ذلك

***

أمّا وفاة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ـ واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري وقد اشتهر بكنيته وبالنسبة الى جده ـ فقد كانت في سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) حيث طُعن بطاعون عمواس (٢) الذي ظهر في تلك القرية ونسب اليها ، وقد عمّ هذا الطاعون جميع أنحاء الأرض المقدسة ودام شهراً واحداً فتك في خلاله بخمسة وعشرين ألفاً من الجنود . وقد أوصى أبو عبيدة رضي الله عنه أن يدفن حيث قضى ، وكان ذلك بفحل من أرض الأردن

(١) التعريف بالمصطلح الشريف ص١٧٧

(٢) كورة عمواس كانت ضيعة جليلة على ستة اميال من الرملة على طريق بيت المقدس اما اليوم فهي قرية صغيرة بين بيت المقدس ويافا وقد ذكرها ياقوت في معجم البلدان وعدد سكانها اليوم ٨٢٤ نسمة

ويقال إن قبره ببيسان [1]

على أن القاضي مجير الدين الحنبلي يقول إن قبر أبي عبيدة فى قرية يقال لها (عمتا) [2] تحت جبـل عجلون بين فقارس والعادلية بزواية دير علاّ من الغور الغربي

هذا ما روته التواريخ عن وفاة أبى عبيدة الذي لم تقتصر قيادته على الغور كما ظن صديقنا القس بل كانت له الولاية العامة على بلاد الشام جمعاء ، وقد تولى فتح بيت المقدس بعد فتوح دمشق وحمص وما اليهما ، وتوفي وهو أمير قائم على رأس ولايته

ومن المعلوم أن الطاعونَ ـ على فتكه الذريع ـ ليس من الامراض التى تقضي على المصاب بها عاجلاً بل يسير سيراً بطيئاً مما يجعـل تنقل أبى عبيدة بين الجنوب والشمال من فلسطين أو نقله منها اليها من الامور الممكنة ، ولذلك فان ضريح أبى عبيدة هو ذلك الضريح الكائن شرقي نهر الاردن مما يناوح مدينة بيسان وعلى بعد ثلاثين كيلو متراً منها

على أنّ الذين طُعنوا بطاعون عمواس وقضوا في فلسطين وغيرها كثيرون منهم معاذ بن جبل توفي بناحية الاقحوانة [3] من الاردن بجوار طبرية ويزيد

---

(١) كتاب الاصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ١٣ . وفحل هـذه يسميها الآن سكان غوربسان (طبقة فحل) وقد ذكرها ياقوت في معجمه بقوله فحل اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم.أما بيسان فهى مدينة بالاردن بالغور الشامي ذكرها ياقوت فى معجمه أيضا وهي اليوم قاعدة غور بيسان وفيها محطة للسكة الحديدية بين حيفا ودمشق وعدد سكانها ١٩٤١ نسمة

(٢) في الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل (١ : ٢٣١) أن اسمها عمتا وصوابه عمّتا ولا تزال آهلة بالسكان. وقبر أبى عبيدة قبلى هذه القرية الصغيرة على بعد ثلاث كيلو مترات . وفقارس وتل العادلية من الطلول الدوارس بتلك الناحية

(٣) الاقحوانة اليوم طلل دارس وقد ذكرها ياقوت فى معجمه

ابن أبي سفيان الذي ولي فلسطين وبعض أجناد الشام بعد أبي عبيدة فقد طُعن وهو على حصار قيسارية [١] فوكل أخاه معاوية بمحاصرتها وتوجه الى دمشق مطعوناً ومات فيها [٢] والمسافة بين عمواس والاقحوانة ـ بل بين قيسارية الواقعة بين حيفا ويافا وبين دمشق ـ أبعد بكثيرٍ من المسافة التي بين عمواس وغور الأردن ، هذا اذا سلمنا جدلاً أن أبا عبيدة قد طُعن وهو في الجنوب من فلسطين ومات وهو في شماليها كما أراد أن يستنتجه القس منصور

***

وعلى ذكر طاعون عمواس يجدر بنا أن ننقل للقراء ماحفظه التاريخ من عناية الاسلام بالصحة العامة وقيامه على المحافظة عليها ووضعه حجر الاساس للقواعد المتبعة اليوم في نظم النظم الصحية وانشاء المحاجر وضرب النطاق على البلاد الموبوءة منعاً لتفشي الاوبئة ، فقد ذكر ابن جرير الطبري [٣] أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد الخروج بجيشه الى الشام كانت موبوءة ، فاستشار أصحابه فلم يتفقوا على رأي ، وتفرقوا شيعاً بين مستحسن للخروج وتسليم الامر لله ، وبين مستهجن له لفتك الوباء بالناس فتكاً ذريعاً . حتى أتى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ـ وقد كان متخلفاً عن المجتمعين لم يشهدهم بالامس ـ فقال : ما شأنكم ؟ فأخبر الخبر ، فقال : عندي من هذا علم . فقال عمر : فانت عندنا الامين المصدَّق ، فماذا عندك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، واذا وقع وأنتم به فلا

(١) قيسارية من المدن القديمة الشهيرة في فلسطين ولكنها خربت في الحروب الصليبية واصبحت خاوية على عروشها وظلت القرون الطوال على مثل تلك الحالة الى أن أقطعتها الدولة العثمانية لمهاجرة البوسنة الذين تشتت شملهم في الحرب الروسية التركية فأنشأوا بها قرية صغيرة وعدد سكانها اليوم ٣٤٦ نسمة وقد ذكرها ياقوت في معجمه

(٢) فتوح البلدان طبع مصر ص ١٤٦ و ١٤٧

(٣) تاريخ الامم والملوك (٤ : ١٩٩)

تخرجوا فراراً منه ، ولا يخرجنكم الا ذلك . فقال عمر : فلله الحمد ، انصرفوا أيّها الناس . فانصرف بهم

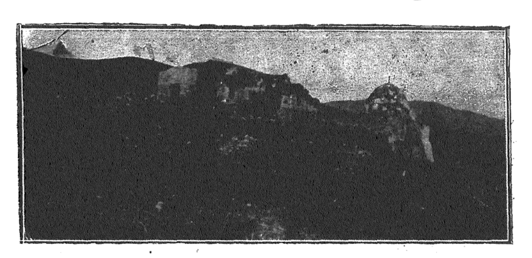
ويدخل فى هذا الباب ما كتب به عمر الى أبي عبيدة يوم طاعون عمواس اذ قال (١) :

« سلام عليك ، أما بعد فانَّك قد أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم الى أرض مرتفعةٍ نزهة »

فلمَّا جاءه الكتاب أمر ببعيره فرُحل له ، فلمَّا وضع رجله في غرزه طُعن ، فقال : « والله لقد أُصبتُ » . ومع ذلك فقد سار الناس الى الجابية فرُفع عنهم الوباء

* * *

هذا وقد أُتيح لنا الاطلاع على مجموعة الرسوم التى عُنيَ بتصويرها وجمعها الشاب الذكيّ الفؤاد أكرم بك نجل رضا باشا الركابي رئيس الحكومات العربية في دمشق وعمَّان ، فالفينا بينها صورة لضريح أبى عبيدة رضى الله عنه فسألناه أن يسمح لنا بنشرها فى الزهراء فاجاب بالايجاب



ضريح أبى عبيدة بن الجراح

(١) تاريخ الامم والملوك (٤ : ٢٠١)

ويرى القارىء قبة الضريح بارزة : والى جانبها مسجد صغير ، تتصل بهما بناية فخمة نظنّ أنها أنشئت لايواء أبناء السبيل ، وقد أضحت هذه المباني على وشك الانهيار ، شأن جميع أضرحة الاعاظم الذين بذلوا نفوسهم لاعلاء كلمة الله في فلسطين والاردن والبلقاء اللواتي فيهن دوائر وقفية اسلامية تستغلّ ريعها ويجدر أن تفكر في اصلاحها وتجديدها

وقد رافق أحد الوطنيين انكليزياً في رحلته الى الشرق العربي ، فلما اجتاز بضريح أبي عبيدة ، وضرار بن الأزور ، وشرحبيل بن حسنة ـ وكلّهم ممّن قضى مجاهداً في سبيل الله ـ قال الانكليزي لصاحبه وهو يحاوره :

— أرى لو كان هؤلاء من البريطانيين وقاموا لامتهم ببعض ما قام به أولئك العظماء نحو الاسلام والعربية هل كانوا يعاملونهم بمثل هذا الاهمال القبيح؟

فطأطأ الوطني رأسه أمام هذا النقد الجارح الحقّ ، وصغرت نفسه فلم يحر جواباً

هذا ما أردنا اثباته في هذه العجالة وفوق كل ذي علم عليم

حيفا عبد الله مخلص

التصوير العربي

اكتشفت مصلحة الآثار العربية في القاهرة ، في الموضع الذي كانت فيه دارُ الوزارة الكبرى في عهد الافضل ابن بدر الدين الجمالي ، لوحاً حجرياً كبيراً ذا أشكال عربية بديعة من آثار العهد الفاطمي تمثل طيوراً متقابلة فوق أغصان ملتفة على شكل عربي جميل . وموضع دار الوزارة الكبرى هذه يوجد فيه الآن جامع بيبرس الجاشنكير . وقد وجد اللوح الأثري في احدى طرقات الجامع ووجهه الى الارض وهو مطموس

الضمائر المستترة

ذكرتم في مقالكم الممتع عن طه حسين وما تعرفونه عنه أن خير ماعمله طه كتابه عن أبي العلاء ، اذا لم يكن بين فصوله ضمير مستتر كالضمير الراجع الى الاستاذ صادق عنبر فى مقالات نقد النظرات

والذي اعرفه أنا أن في هذا ثلاثة ضمائر مستترة ، اذ كان طه في تأليفه رابع أربعة ، فكان أحدهم ينقل مما كتب في المؤلفات الانجليزية ، والثانى عن الفرنسية ، والثالث يجمع من الكتب العربية ، ثم يتلاقون فيؤدون ذلك الى الشيخ ويعينونه بآرائهم ، فينفق مما كسبوا ، وينفق مما كتبوا . وهذا سر من أسرار الترقيع في ذلك الكتاب ، حتى كأنه ذرية من جد قديم فيها الرأي وأخوه والرأي وابن عمه

حدثنى بذلك أحد اولئك الثلاثة ، وما شهدنا الا بما علمنا

مصطفى صادق الرافعى

﴿ قبر طفل عربيّ من القرنُ الثالث الهجري ﴾

اكتشفت مصلحة الآثار العربية فى القاهرة قبرا لطفل عربى من أهل القرن الثالث الهجرى مبني بأربعة ألواح رخامية بيضاء عليها كتابة ذات بال عند المشتغلين بتاريخ تطور الكتابة على القبور الاسلامية

وهذا القبر فى موضع مقابر المسلمين الاولى بالفسطاط ، على مقربة من عين الصيرة . وهذا نص ما كتب عليه بالخط الكوفى الجميل :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * اللهم ان عمر بن الحرث تُوُفّيَ طفلاً على فطرة الاسلام ، وحكم الاخلاص ، وشريعة الدين ، وملّة ابراهيم ، ودين محمد عليه السلام

اللهم اجعله لوالديه فرَطًا ونوراً وكرامة وذخراً ، واربط على قلوبهما بالصبر ، وأعظم لهما الثواب والأجر ، واجمع بينهما في محلّ رضوانك ، ياكريم

وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة ٢٤٨ ﴾

عادات العرب

في الجدْب وشدة الزمان

كان العرب إذا أصابتهم سنة مجدبة ، أو شدة في عيشهم ، يعمدون الى أسباب تخفف عنهم وطأة ما أصابهم من ويلات الجدب وشدة الزمان . فهم والحالة هذه مدفوعون بدافع الاضطرار الى الجري على عادات حيوية توافق حالة عيشهم وتؤمّن حياتهم من الاضرار

وقد كنت — في أثناء مطالعتي لكتب الأدب واللغة — وقفت على شيء من عادات العرب في الجدب وشدة العيش ، فجمعته في هذا التحرير :

فمن عادات العرب في ضيق الزمان ما قاله الأعلم الشَّنْتَمَرِيّ في تفسير بيتي زُهير بن أبي سُلمى :

وجارٍ سار معتمداً عليكم أجاءتْهُ المَخافةُ والرجاء
فجاور مكرَمًا حتى اذا ما دعاه الصيفُ وانقطع الشتاء

قال : وكانوا يتجاورون في الشتاء لشدة الزمان وعدم الخِصب وكثرة غارة بعضهم على بعض ، فاذا أقبل الصيفُ رجع كلُّ جارٍ الى أهله ومحضره . انتهى

وقال ذو الرمة — واسمه غَيْلان بن عُقْبة — :

أيامَ هَمَّ النجمُ باستقلالِ أزمع جيرانُك باحتمال(١)

يقول : لما طلعت الثريا بالفجر واشتد الحر تهيأ المتجاورون للانصراف والتفرق

* * *

ومن عاداتهم في شدة الزمان مانقله الخطيب التبريزي عن المبرّد في تفسير

(١) النجم الثريا . وفي لسان العرب : فاذا قالوا طلع النجم يريدون الثريا . انتهى . والاستقلال : الارتفاع . وازمع : عزم . والاحتمال : الانصراف

بيت الحماسي مُرّة بن محكان السعدي :

في ليلة من جُمادىٰ ذات أندية   لا يبصر الكلبُ من ظلمائها الطنبا

قال : وكان المبرد يقول (أي في قوله ذات أندية) جمع نديّ المجلس ،[١] وكان أماثل الناس ـ اذا اشتد الزمان ـ يجلسون مجالس يدبّرون أمر الضعفاء ويفرقون فيها ماتحصّل عندهم من فضل الزاد ويفيضون الميسر . انتهى

* * *

وكانوا في الشتاء عند شدة البرد وجدب الزمان وتعذّر الأقوات على أهل الضر والمسكنة يتقامرون بالقِداح على الإبل ، ثم يجعلون لحومها لذوي الحاجة منهم والفقراء . فاذا فعلوا ذلك اعتدلت أحوال الناس وأخصبوا وعاشوا واستراشوا . قال الأعشى :

المطعمو الضيف اذا ماشتَوا   والجاعلو القُوت على الياسر [٢]

أي يجعلون أقوات الفقراء منهم على الياسرين بالقداح ، وهم أهل الثروة وذوو الجدة والأجواد [٣]

وكان الميسر منفعةً في الجاهلية يلعبون به في أيام الجدب والقحط ، وكان الغالب يفرق ما أخذه على الفقراء [٤]

وانما يكون ضربهم على الميسر بالقداح في الشتاء عند جدب البلاد وتعذّر الاقوات وكَلَب الزمان ، ينعشون بذلك الفقير والضرير ولا ييسرون في الصيف

(١) قوله (الندي المجلس) قال الشريشي في شرحه المقامات الحريرية (١ : ١١) : «والندي والنادي والمنتدى مجلس القوم للحديث . وقيل هو من الندا وهو الكرم لانهم يقصدون فيه فيعطون . وقيل هو من النداء الذى هو الصوت لانه ينادي فيه بعضهم بعضا ليجتمعوا : وقيل هو من الندى وهو العرق لان الداخل فيه يحتشم فيعرق

(٢) الياسر الضارب بقداح الميسر

(٣) الميسر والقداح لابن قتيبة ص ٤٤

(٤) خزانة الادب للبغدادي ١ : ١٧٧

يدلك على ذلك قول المرقّش :

اذا يَسروا لم يُورث اليسرُ بينهم   فواحشَ يُنعى ذكرُها بالمصايف

يقول : اذا يسروا لم يسفهوا ولم يفحشوا فيُنعى ذلك عليهم في الصيف . وذلك أنهم يخصبون فيتذاكرون ما كان من الناس في الشتاء فيعيّر كل امريء بسوء فعله (١)

* * *

وكانوا في الجاهلية اذا تتابعت عليهم اللازمات وركد عليهم البلاء واشتد الجدب واحتاجوا الى الاستمطار اجتمعوا وجمعوا ماقدروا عليه من البقر ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السَّلَع والعُشَر (٢) ثم صعدوا بها في جبلٍ وعر وأشعلوا فيها النيران وضجوا بالدعاء والتضرع فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا (٣)

قال الوديك الطائي يعيب القومَ بفعلهم هذا :

لادرَّ دَرُّ رجالٍ خاب سعيُهم   يستمطرون لدى الأزْمَاتِ بالعُشَر
أجاعـلٌ أنت بيقوراً مسلعـةً   ذريعـة لك بين الله والمطر ؟

وقال أعرابي :

شفعنا ببيقورٍ الى هاطلِ الحيَا   فلم يغن عنا ذاكَ بل زادنا جدبا
فعُدنا الى رب الحيا فأجارنا   وصيَّر جدب الارض من عنده خِصبا

(١) الميسر والقداح لابن قتيبة ص ١٠٦

(٢) السلع : محركة شجر مر . والعشر كصرد شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في اجود منه

(٣) الحيوان للجاحظ ٤ : ١٤٩ وانظر نهاية الارب النويري ١ : ١٠٩ والغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي ١ : ٢٥١ وثمار القلوب للثعالبي ص ٤٦١ — وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٠٦ و ٢٤٧ — ومغني اللبيب لابن هشام ٢ : ١٠

وقال أمية بن أبي الصلت :

ويسوقون باقرَ السهل للطَّو ... دِ مهازيلَ خشيةً أن تبورا

عاقدين النيران في بُكر الأذ ... ناب منها لكي تهيجَ البحورا

سَلَعٌ مَّا ومثله عُشَرٌ مَّا ... عائلٌ مَّا وعالت البيقورا (١)

وقال الآخر :

قل لبني نهشل أصحاب الحور (٢) ... أتطلبون الغيث جهلاً بالبقر

وسَلَع من بعد ذاك وعُشَر ... ليس بذا يُجلِّل الأرض المطر

آخر : ياكحل قد أثقلت أذناب البقر ... بسَلَع يُعقد فيها وعُشَر

* * *

ومن عاداتهم في المحل ماذكره صاحب اللسان (مادة فصد) قال :

« ان الرجل كان يضيف الرجل في شدة الزمان ، فلايكون عنده ما يقريه به ، ويشح أن ينحر راحلته فيفصدها فاذا خرج الدم سخنه للضيف الى أن يجمد ويقوى فيطعمه إياه »

وقال الخطيب التبريزي في تفسير بيت الحماسي عارق ـ وهو قيس بن جروة الطائي ـ :

وقد يترك الغدرَ الفتى وطعامُهُ ... اذ هو أمسى حلبةً من دم الفصد

قال « كان الرجل منهم اذا جاع فصد عرق بعير وأخذ مصيرا (٣) فتلقى به دم ذلك العرق ، فاذا امتلأ عقد على رأس المصير ثم شواه وأكله »

ومن الاساس (مادة فصد) « وفي المثل : (لم يحرم من فصد له (٤))

(١) ومعنى عالت البيقورا : ان السنة اثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر انتهي (من مغني اللبيب لابن هشام ٢ : ١١)

(٢) الحور : البقر لبياضها وجمعها احوار

(٣) المصير : المعى (٤) وبعضهم يقوله من قصد له بالقاف أي من اعطي قصداً أي قليلا ، وكلام العرب بالفاء . الصحاح

أي لم يخب من نال بعض حاجته ، من الفصيد الذي كان يعمله أهل الجاهلية في الازمة »

* * *

وكانوا في شدة الجدب ينحرون الفصالَ لئلا تَرضَع فتضر بالامهات . قال أوْسُ بن حَجَر :

والحافظُ الناس في تَحُوط اذا   لم يُرسلوا خَلْفَ عائذٍ رُبَعا[1]

* * *

ومن عاداتهم في ضيق العيش ما ذكر الخطيب التبريزي في تفسير بيت الحماسي (الكميت بن زيد أحد بني أسد بن خزيمة) :

فانت النَدَى فيما ينوبك والسَّدَى   اذا الخَود عدَّتْ عقبةَ القدرِ مالَها[2]

قال : « وعقبة القدر ما يبقى فيها من المرق وغيره اذا استُعيرت ، وهذا كانوا يفعلونه فى شدة الزمان . وخَصَّ الخَود لكرمها ونعمتها »

* * *

وكانوا اذا أجدبوا جلبوا الإِبل للبيع فباعوها خشية أن تهلك . فمن ذلك

---

(١) قوله تحوط هذه رواية القالى فى أماليه : ٣ : ٣٦ وروى المبرد في كتابه الكامل (٣ : ٢٦ طبع مصر ١٣٣٩) : (والحافظ الناس في قحوط) بالقاف وتحوط وقحوط كلاهما اسم للسنة المجدبة • واورد هذا البيت ابن الانباري فى كتابه الاضداد ص ١٠١ هكذا :

والحافظ الناس فى الزمان اذا   لم يتركوا تحت عائذ ربعاً

والعائذ : الحديثة النتاج . والربع الذي ينتج فى الربيع . وهذا البيت من قصيدة يرثى بها فضالة بن كلدة احد بن اسد بن خزيمة ومطلعها :

ايتها النفس اجملى جزعا   ان الذي تحذرين قد وقعا

ومنها :

الالمعي الذي يظن بك الظن   كأن قد رأى وقد سمعا

الالمعي واليلمعي : الذكي المتوقد ذكاء •

وسئل الاصمعي عن معنى الالمعي فانشد البيت ولم يزد عليه .

(٢) الندى والسدى : اراد بهما الاحسان • والخود . المرأة الحسنة الخلق الشابة

قولهم «النَّفَاضُ يقطرُ [1] الجلبَ» [2] قال الميداني «النفاض بفتح النون وضمها فنـاء الزاد . والجلب المجلوب للبيع . أي اذا جاء الجدب جلبت الابل قطـاراً قطاراً للبيع مخافة أن تهلك»

وأورد هذا المثل الشريشي في شرحه للمقامات الحريرية ١ : ٢٤ فقال في معناه «أى فناءُ زادهم يجعل ابلهم قطاراً أي مربوطة بعضهـا خلف بعض تساق الى السوق فتباع فيأكلون ثمنها»

***

ومن عاداتهم فى الجدب ماذكره صاحب اللسان (مادة لحم) قال عن ابن الاعرابي: كانوا اذا أجدبوا وقلّ اللبن يبّسوا اللحم وحملوه فى أسفارهم واطعموه الخيل . انتهى

وقال النمر بن تَوْلَبٍ [3] يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

انا أتينـاك وقد طال السفَرْ نقود خيلا ضُمَّراً فيهـا عَسَرْ
نطعمها اللحم اذا قلّ الشجرْ والخيل فى اطعامها اللحمَ ضررْ

***

ومن عاداتهـم في شدة الجدب ما ذكره صاحب اللسان (مادة عفد) قال : «عن محمد بن أنس: كانوا اذا اشتد بهم الجوع وخافوا أن يموتوا اغلقوا عليهم بابا وجعلوا حظيرة من شجرة يدخلون فيها ليموتوا جوعاً . قال : ولقى رجلٌ جاريةً تبكي فقال لها مالك ؟ قالت : نريد ان نعتفد . قال : وقال النظار ابن هاشم الاسدى :

صاح بهم على اعتفادٍ زمانْ معتفد قطّاع بين الاقرانْ

(١) قطر الابل يقطرها قطرا وقطرها (بتشديد الطاء) قرب بعضها الى بعض على نسق . اللسان (٢) هذا من امثالهم قال الميداني : يضرب لمن يؤمر باصلاح ماله قبل ان يتطرق اليه الفساد (٣) النمر كـكتف ابن تولب شاعر مخضرم لحق النبي صلى الله عليه وسلم.ق

قال شَمِر : ووجدت في كتاب ابن برزح اعتقد الرجل بالقاف وآطم وذلك ان يغلق عليه بابا اذا احتاج حتى يموت »

وقال الزمخشري في اساس البلاغة (مادة عفد) « اعتفد الرجل اذا اغلق الباب على نفسه ليموت جوعاً ولا يسأل [1] » وفي القاموس (مادة عفد) « إنهم كانوا يفعلون ذلك في الجدب »

تونس محمد المكي بن الحسين

حلب الشهباء واليمن

أكلَّما وقعتْ عيني على بلدٍ روَّى جفونيَ منها عارضٌ هَتِنُ
أقمتُ ـ غير خليٍّ ـ في ذرى جبلٍ لا الأهل يؤنسني فيه ولا السكن

***

كأنما حَدَق الآرام ناعسةٌ والنرجس الغضُّ مشغوف به الوسَن
لم يُصبِ قلبيَ من ألحاظها حَوَرٌ ولا سباني منها منظرٌ حَسَن

***

كم وقفةٍ ليَ بين الروض، أمطرها دمعي ، وأنشد قومي أيّةً ظعنوا
بكيت فيها حياةً كلها نصبٌ قضى بها ليَ دهرٌ كله إِحَن

***

بالله يانسمات الروض هل بعثتْ فيك الشذا شاميَ الفيحاء أم عدَن؟
هيَّجتِ وجدَ فتى لم يُدْمِ عبرته منذ الطفولة إلا انتِ والوطن
متى أرى الوطن المحبوبَ تمنعه هضمَ العدى : حلَبُ الشهباء واليمن

الحوماني

(١) فالاعتفاد هي الكلمة العربية لمعنى الاضراب عن الطعام . انظر الزهراء ١ : ٣٩٩

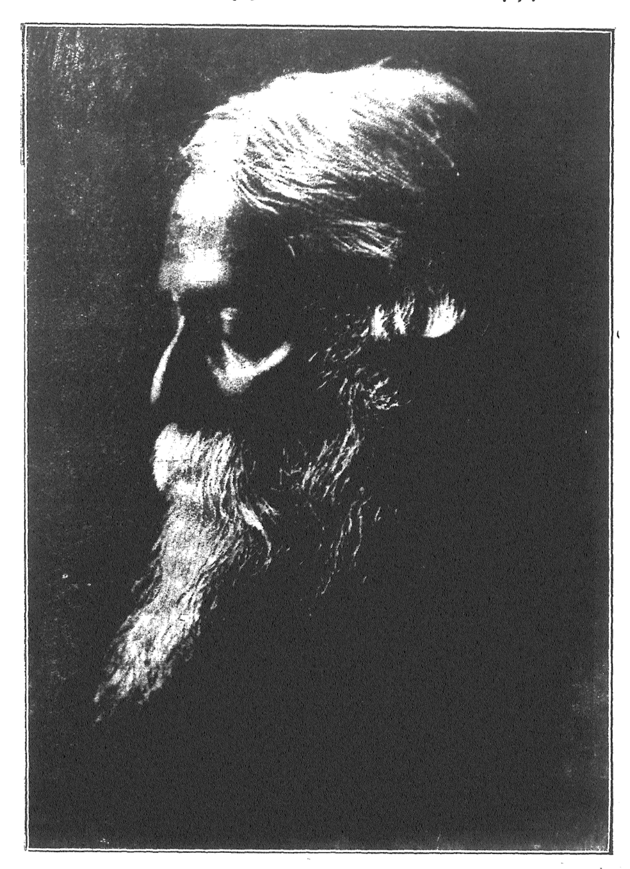
الموازين العربية الدقيقة

من مقال للمسيو ابيه موريه مدير رصد بورج في فرنسا
نشرته صحيفة (بتي جورنال) الباريسية

أطال الاستاذ السر فلندرس بتري ـ عالم الآثار المعروف ـ فحصَ مجموعة موازين من الزجاج صنعها العرب في القرن الثامن للميلاد (الثالث الهجري) فوجد أن فرق الخطأ في وزن الدراهم والدنانير لايزيد على أربعة أجزاء من ألف جزء من الغرام . ولم يقرب القرن الثامن من نهايته حتى عظمت دقة العرب في الاوزان ، فان ما عثر عليه الباحثون من أوزان ذلك القرن كان أقصى ما بينهما من تفاوت لايزيد على ½ جزء من ألف جزء من الغرام . ولم يكن العرب ليستطيعوا أن يبلغوا هذا المبلغ من الدقة في صحة الوزن ـ على ما يقوله السر فلندرس بتري ـ الا باستعمال أدق الموازين الكيماوية وحفظها في أصلح أماكن الوقاية من تأثير العوارض عليها ، كما يفعل أهل الفن في هذا العصر

وللعلامة الخازن كتاب في الموازين وصف فيه (ميزان الماء) عند العرب وصفاً مفصلا ، وذكر فيه الاجسام الكثيفة مبيناً كثافتها بما لا يختلف عما هو معروف في العلوم الحاضرة ، ومن ذلك انه قال عن كثافة الرصاص انها تقدَّر بـ٣٣ ر١١ والذي توصل اليه العلم الحديث أنها ٣٥ ر١١ فأنت ترى أن الفرق بين التقديرين لا يكاد يذكر

ولست أجهل أن بعض المشتغلين بالكيمياء سيقولون ان ما أثبته العرب في كتبهم لم يكن نتيجة ابحاث وتجاريب وانما وصلوا الى تلك المعارف بطريق الاتفاق ! ولكن هذا الزعم لن يثير في نفسي شيئاً من الدهشة ، فقد سبقهم الى مثل هذا الزعم كثيرون غيرهم ، حتى أن اعضاء المجمع العلمي الفرنسوي كانوا لا يصدقون بسقوط الرجوم السماوية ويعدّون ذلك حديث خرافة !



تاغور

تحية تاجور

ـ لمناسبة زيارته مصر في أواخر نوفمبر سنة ١٩٢٦ م ، وخطابته عن الفلسفة الهندية ـ

(تاجورُ) يا عَلَمَ (الهنُود) ويا أديبَ (المشرقِ)
أهلاً بمقدَمِكَ الوَدُودِ الى الوَدُودِ الشَّيِّق (١)
شعبٌ (بوادي النيلِ) يعشقُ فيكَ نوراً بعد نورْ
مِنْ وَحْيِكَ الصَّافي النَّبيل غِذَاهُ دُولاتِ الشُّعُورْ !
أُنظرْ ! تأمَّلْ يا زَعِيمُ عواطفاً لك تنتهي (٢)
مُلِكتْ وَكَم مَلَكَ الحكيمُ من المُنىٰ ما يشتهي !
أهلاً وسهلاً بالرَّسول الفيلسوفِ الشاعرِ !
المانحِ الهادي السَّؤولِ (٣) لرَفعِ كَوْنٍ عاثرِ
تخذ السَّلامَ سِياجَه في دَفعِ ويلاتِ الوُجُودْ
فنرىٰ العقُولَ نتاجه ، ونرى مآثره الجنُودْ !
في نهضةِ الوَطَنِ العزيزِ بجلُّ عن ضَنٍّ بمالْ (٤)
لكنَّهُ غيرُ المجيز لشرِّ ما يجني القتالْ
مُتقلداً للحكمةِ الكبرى سلاحاً لن يهانْ

---

(١) الشيِّق : المشتاق . اشارة الى الشعب المصري .

(٢) اي تتوجه اليك وتقر عندك .

(٣) اشارة الى طوافه والقائه الخطب في العواصم لنصرة كلية الفلسفة الهندية المسماة (شنقي ـ نيكتان *Shante - Niketan*) التي ينشر منها العلوم الادبية والفلسفية الداعية لخدمة الانسانية من طريق السلام والوئام .

(٤) اشتهر رابندرانات تاجور (*Rabindranath Tagore*) بوطنيته، وبسخائه في سبيل وطنه ، ولكنه اشتهر أيضاً بحبه السلام ، ومن أجل هذه العاطفة الشريفة ـ فضلا عن مكانته الادبية وآرائه الفلسفية ـ منح جائزة (نوبل) المشهورة .

وملقّناً للجُهْدِ والذكرى أمانيَهُ الحسانْ

وكأنَّ (شَنتي ـ نيكِتانَ) مَثابةُ العهدِ الجديدْ !

تُفشي الحرارةَ والأمانَ الى الطَّريفِ مع التَّليدْ(٥)

أسَّسْتَ في (البنغال) مدرسةَ الجمال بل الكمالْ(٦)

رَمْزاً الى استقلالِ شعبٍ بالحقيقةِ لا الخيـالْ !

رَسَمَ الطبيعةَ واهتدى بالحرَّةِ الشَّماء منها

فارسمْ لنا نُورَ الهُدَى واذكرْ حديثَ الشعرِ عنها(٧)

إنْ قيلَ (نُوبِلُ)(٨) قدْرُ مثلِكَ فالنَّبالةُ أصلُ قدركْ

وكفاكَ فخراً دأبُ شغْلِكَ بالبريَّةِ قبـلَ ذكرِكْ

فتلقَّ وُفَّادَ المحبةِ (كالوُفودِ) أمامَ (كِسْرَى)(٩)

لكنَّهُمْ جعلوا الفَخَارَ قَبولَ دعوتِهِمْ وشُكرَا !

أبو شادي

---

(٥) اي الجديد الفلسفة وقديمها. (٦) اشارة الى أصدقائه الادباء وبينهم ابن عمه (نا ند لال بوز ـ *Nandalal-Bose*) وتلاميذه الذين عنوا أولا أيام دراستهم في كلكتة (حوالى سنة ١٩٠٠ م.) برسم الطبيعة الهندية تصويرا وشعرا ، ثم ببث الاحساس في فنهم ، وكان الفن الهندي العصري قبل ذلك العهد مجرد تقليد الانجليزي !

(٧) تحدث تاجور الى وفد الجالية المصرية في فينا الذي زاره في الصيف الماضي حينما ذهب اليها ذلك الشاعر الفيلسوف « فأغرق في وصف حبه لمصر وعطفه عليها ، وكان يردد تمنياته الطيبة نحوها لتحقيق أمانيها الوطنية . وكان يصرح انه ليس سياسيا ، ويفتخر بأنه من عشاق الحقائق ومن رجال الفلسفة والشعر الذي يقود الافكار الى التغني بمحاسن الطبيعة وجمال الازهار وعطر الرياحين » (٨) اشارة الى جائزة نوبل ، وهو الدكتور الفريد ب . نوبل المهندس والكيماوي السويدي مخترع الديناميت وصاحب الجوائز الشهيرة باسمه لخدمة العلم والسلام . ولد سنة ١٨٣٣ م . وتوفي سنة ١٨٩٦ م .

(٩) اشارة الى وفود العرب برئاسة اكثم بن صيفي التي بعث بها النعمان بن المنذر الى كسرى لاظهار فضل العرب ورجاحة عقولهم وآدابهم ، وقد وقفت تلك الوفود موقف الفخار أمامه . فالشاعر هنا يشبه وفود المصريين لديه بوفود العرب امام كسرى في فخرهم ، ولكنه يستدرك باشارته الى أن فخر المصريين انما هو بقبوله دعوتهم اياه وبتقديره لهم وثنائه عليهم .

في صحبة تاجور

أعددنا لهذا الموضع من الزهراء مقالة وافية عن حكيم الهند وشاعرها رابندرانات تاغور، تضمنت ما يحسن بقاريء العربية معرفته عن هذا الشاعر وحياته وبيئته وتفكيره ومراميه . وعند مثولها للطبع وافانا هذا البحث الممتع من شاعر الشباب الاستاذ أبي شادي ، وقد كتبه على أثر اجتماعه طويلا بضيف مصر الحكيم ، والتحدث اليه بحرية وهدوء قلما أتيح مثلهما لغيره ممن اجتمع بالشاعر تاغور مدة وجوده بين ظهرانينا

وانتا ننشر مقالة صديقنا الدكتور أبي شادي مقرونة بالشكر له عليها وعلى النشيد اللطيف الذي نظمه للزهراء خاصة ، واعدين القراء بنشر المقالة التي أشرنا اليها في الجزء الآتي ان شاء الله (الزهراء)

لما نظمتُ تحيتي للشاعر العالمي وشكسبير العصر (تاجور) قُبيل قدومه الى مصر رجوتُ الصديقَ الأديبَ الغيور الاستاذ محبّ الدين الخطيب صاحب (الزهراء) الغراء أن يقرنها عند النشر بحديثٍ صَحَفيٍّ مع هذا الشاعر الفيلسوف الطائر الصيت فيما يهمّ العالم العربيّ من مسائل أدبية ، بَيْد أنّ ماكنت أخشاه من تجنُّب الاستاذ محبِّ الدين لمواقف الظهور - اذا ماتهافت الكثيرون عليها - أيّد ظني في أنّه لن يحقق رجائي .. .

ثم جاء (تاجور) وحيَّاه الأفرادُ كما حيّته الطوائف الأدبيةُ تحيةً عاجلةً تضمّنت أسمى معاني الاجلال ، وماكنتُ أحسب أنّ الحظّ يوفقني للقائه نظراً لما ذاع من تسارعه الى السفر وارتباطه بمقابلات خاصة ، فقنعتُ بلقائه الرُّوحي في شعره الجذّاب وفلسفته الباسمة الآسية ، واكتفيتُ بمقابلات غيري من الادباء في الاسكندرية والعاصمة ، وما كان في وسعي أن أشترك فيها لاني مقيّدٌ بأعمالي العلمية في معمل بور سعيد الحكومي

ثم وافى يوم الخميس الثاني من شهر ديسمبر واذا بالاستاذ الأديب المفكر الدكتور محمد حمزة (شقيق الاستاذ عبد الملك حمزة المحامي الشهير) يوفدّ

قُبيل بلوغ قطار الساعة الثالثة لدعوتي للاشتراك في استقبال تاجور ومصاحبته اثناء إقامته ببور سعيد . فذهبتُ معه الى المحطة حيث اجتمعت بصاحب الدعوة السريّ الهندي المعروف المستر ديالدس ، وقد استُقبل الشاعر العظيم استقبالاً لائقاً بمقامه ، فحيّانا تحيةً جميلةً – اجملُ ما فيها نظرتهُ السحريةُ وابتسامته التى تشفّ عن روحهِ الطاهرة . وكان البشرُ يتلألأ من وجهه الصبيح ويمتزج بالوقار الكريم المكلّل بشعره الأبيض الحريري ، المزدان بلحيته اللاّفتة للأنظار إعجابا بتناسق خلقته ، التى هي صورةٌ فنيةٌ جمّةُ المعاني .

صحبنا الشاعر الى منزل المستر ديالدس ، ومن تلك الساعة الى قُبيل سفره في الساعة الثالثة من اليوم التالي (يوم الجمعة ٣ ديسمبر) ونحن في شبه جمع عائلي نتمتع بمصاحبته في نزهته ومجالسته على المائدة ، وبمشاهدته ومحادثته في أوقات مختلفة تمتُّعاً نُغبَط عليه . وقد حاولتُ من باديء الأمر أن أقنع السير تاجور بقبول الاحتفال العام به في كازينو بور سعيد حتى يحظى بلقائه أدباء المدينة ومحبّوه الكثيرون ، ولكنّ ضيق وقته وتعبه حالا دون ذلك فقضى يومه في بور سعيد في شبه خلوة معنا . ومن فكاهاته في هذه المناسبة قوله انه اذا كانت فلسفته تشير بالتجرد عن الكيان الجسدي طلباً للحكمة والسعادة فليس في إمكانه أن يشير بالتخلّي عن البحث عن موعد سفر الباخرة والارتباط به !!

اقتصر جَمْعنا على السير رابندرانات تاجور وأسرته (المؤلفة من نجله وزوجة نجله وحفيدته) وعلى المستر ديالدس وأسرته ، وعلى الدكتور حمزة والدكتور اسكافوبلوس وكاتب هذه السطور . فتناولنا الشاي معاً كما تناولنا العَشاء واجتمعنا في اليوم التالي لأخذ صورة تذكارية شُرّفتُ كذلك بدعوتى اليها ، وفي ساعات كثيرة في خلال ذلك اليوم نهاراً ومساء تحدثنا بحرّية في شتى المواضيع من أدب وفلسفة واجتماع ووطنية ونقد وغير ذلك مما كان لمثلي متعةً

نفسيةً لاأستطيع تصورها ولاتقديرها التقدير الاوفى بتعبيرى .

تحادثنا إذنْ طويلا ، ولم أشأ أن أخصَّ نفسي بمتعة ماتلقَّيته عنه من إلهام وفكر فاستأذنته فى نشر بعض ملاحظاته الحكيمة ، فاذن لي راضياً ، وزاد بانه يروم ذلك ، وأظهر وداً شكرته عليه من خالص نفسي كما اشكر من أجله اولئك الاصدقاء الذين ذكرونى بخير لديه فكانوا سبب هذا الاتصال والعطف ، إذ الواقع أنَّ تاجور لايعرف شيئاً مطلقاً عن الادب العربي لاقديمه ولا حديثه ، وقد دلّتْ محادثتي معه ومع نجله الاستاذ البيولوجي الفاضل المستر راثندراناث تاجور — الذي شرّفني بزيارته في معملي — على أنّ مانُسب اليه من أقوالٍ عن أدبنا العربى العصري وعن بعض شعرائنا انما هو ترديد ما قيل له فى مقام المجاملة ، وفى موقف الشكر على الحفلة التي اعدَّها شوقي بك لاستقباله ، وأما هو فلم يسمع باسماء شعرائنا قبل وفوده الى مصر ، ولايعرف شيئاً عن الشعر العربى ، وهذا مما تأسَّفتُ له كثيراً لاني كنتُ أرجو بعد اطلاعى على ما نُسب اليه من أقوال أن يكون للأدب العربى نصيبٌ حقاً من عناية أدباء الهند ، فتبدَّل فرحي السابق أسفا وألما

قال السير تاجور[1] فى شيء من الدعابة ماملخص ترجمته : « لقد صرتُ فى سنّي هذه كسولاً لاأطالع كثيراً ، وهذا عذري وسبب جهلي باللغة العربية الّتي أعلم أنه كان ينبغي لي معرفتها منذ حداثتي باعتبارها لسان ثقافة واسعة وأمم كثيرة . بيد أنكم تستطيعون انقاذي من هذا الجهل كما تستطيعون في الوقت ذاته خدمة قوميتكم بل الآداب العربية الاسلامية جملةً . وأُردد ماذكرته لصاحب الجلالة ملككم — وقد نَقل عباراتى الى جلالته نقلا وفيا على ما ظهر

(١) ذكر لي الاستاذ تاجور ردا على سؤالي ان صواب النطق باسم اسرتهم هو كما كتبت فى هذا المقال ، وليس تاجور أو تاغور أو طاغور كما يخطيء بعض الكتاب في مصر .

لى أمين جلالته الرحالة حسنين بك — انّ خير ذكرى آخذها معي من بلادكم هي صورة من آثارها الأدبية ، وقد وعدني جلالته بموافاة معهدي بمجموعة من مؤلفات ومطبوعات المستشرقين عن الآداب العربية والثقافة الاسلامية ، وأملي كبير في معاونة ادبائكم وناشري المؤلفات العربية قديمها وحديثها بمصر راجياً أن يقوموا بنصيبهم في تمثيل ثقافتكم بمكتبة معهدنا . » ثم أضاف الى هذا البيان انه لا يعيّن مؤلفاً أو أديباً أو عالماً بالذات بل يهمّه تمثيل الثقافة العربية والاسلامية تمثيلاً عاماً ويرحّب بمساعدة كل من يؤازره من أهل الأدب والعلم على اختلاف مذاهبهم الفكرية .

هذه دعوة حكيم الهند وشاعرها بل الشاعر العالمي الممتاز الى ادباء مصر ومفكريها خاصة والى ادباء العرب عامةً . فمن أراد أن يهدي الى جامعة تاجور (سانتي نيكتان) مؤلفاته أو مطبوعاته العربية فليرسلها باسم نجله الاستاذ الفاضل سكرتير الجامعة معنْوَنةً هكذا :

Rathindranath Tagore,
Santiniketan P. O.,
Bengal. India.

وبهذه المناسبة أذكر أنّ للجامعة التاجورية مجلةً مفيدة كما أنّ لها مطبعتها الخاصة ، واسم المجلة : " Visvabharati Quarterly " فلعلّها تنال عناية صحافتنا حتى نستفيد دائماً مما فيها من مباحث ، وعنوانها هو نفس العنوان المتقدم الذكر .

ولما سألتُ عن عناية الجامعة التاجورية باللغة العربية وآدابها علمتُ انها استدعت المستشرق المعروف الاستاذ بوجدانوف *Prof. Bogdanov* الروسي لمدة سنة ، ولكن لم يحضر أحدٌ من الطلبة اليه ، فاضطُرّتْ الجامعة الى الاستغناء عن خدمته ، وهو الآن ملتحق بالوكالة الفرنسوية في كابل (بأفغانستان).

وهنا بدت على السير تاجور الرغبة الاكيدة في التعاون على نشر الآداب العربية في الهند فسألني أن أذيع رجاءه بواسطة أدبية مصرية لها تأثير على مسلمي الهند ليساعدوه في تنفيذ خطته هذه ، وكذلك تمنى لو أن أحد أمرائنا أو سراتنا تبرع بنفقات «كرسي» الآداب العربية والثقافة الاسلامية بجامعته. وقد فهمت ان المرتب الذي تدفعه الجامعة لأي استاذ عادة هو عشرون جنيها شهريا (نظراً لرخص أسباب المعيشة هناك) ، فالمبلغ المطلوب اذن هو نحو خمسة آلاف من الجنيهات ، وهو مبلغ زهيد في جنب ثروة من الثروات المصرية المعروفة . . . ولعلّ نداءه هذا لايذهب سدًى ، فتخدم سمعتنا كما يخدم الادب والعلم خدمة صالحة . وقد وعدته بالكتابة الى (الزهراء) عن ذلك نظراً لانتشارها بين مسلمي الهند فضلا عن منزلتها الادبية في مصر وغيرها من الاقطار العربية ، وأطلعته - تلبية لطلبه - على خلاصة موادها ، فسرّني بطلب ترجمة قصيدة « أوراق الخريف » المنشورة بها ، فقدمتها اليه بعد ذلك

ثم لفتَ نظري الى أن المسافة بين مصر والهند قصيرةٌ (ثمانية ايام) ، وان جامعته ترحب كثيراً بمن يودّ أن يؤمها من أدباء مصر وطلبتها (كما يؤمها طلبة العلم من جميع الاقطار) ، وعلمت ان نفقات الدراسة بها قليلة (نحو اثنى عشر جنيهاً في العام) ونفقات المعيشة محتملة وطريقة الدراسة بها طبيعية وطريفة لا يسأمها طالبُ علم لأنها جامعة بين العلم والتعاون الاخوي وحب الطبيعة

وتناول حديثنا الكلام على اللغة العبرية واللغة الفارسية وأيهما أولى بالدراسة للاديب العربي فعزّز رأيي في جانب اللغة الفارسية وقال انها لغة غنية بمفرداتها وشعرها ثم ان قواعدها سهلة ، فالعلم بها مما يفيد أدباء العربية ، ومن هنا انتقلنا الى الكلام على رباعيات الخيام ورباعيات حافظ الشيرازي فانتهزت الفرصة وأشرت الى ترجمة شاعرنا احمد رامي لرباعيات الخيام نقلا عن الفارسية فسرّ

بذلك وقال ان والده (الفيلسوف المهاراشي دفندر اناث تاجور) كان عظيم الشغف بحافظ الشيرازي وأدبه وبالادب الفارسي عامة (١) .

وسأله الدكتور اسكافوبلوس عن درجة الشاعرية وقوتها : أهي أبلغ في الشرق أم في الغرب ؟ فقاطعه السير تاجور بصوته العذب المتهدّج ـ كأنما أغضبه السؤال قليلاً ـ إنَّ سؤالاً كهذا ليس من العدل طرحه ، فالشاعريةُ واحدةٌ في العالم كله وليست هناك روح شرقية وروح غربيةٌ مستقلة احداها عن الأخرى في الشعر ، بل التشابه كثير والمقارنات جمّة ، فهناك الشعراء المدرسيون الجامدون (*Classical*) والشعراء الوجدانيون (*Lyrical*) وغيرهم وغيرهم وهم موزّعون في العالم . والشعرُ الحيُّ واحدٌ فى ايّة لغةٍ وفي ايّ قطر وفي ايّ عصر . وضرب أمثلةً كثيرةً تعزيزاً لرأيه ، وقال إننا قد نسرّ سروراً عظيما بشعرٍ قديم رغم جواز مخالفتنا لآراء قائله ومعتقداته التي أملتها عليه بيئتهُ ذلك لأنّ روح الشعر تشرق من وراء ألفاظه وآرائه العتيقة . وقس على ذلك مسألة اللغة ، فاذا نظمتُ شعري بالبنغالية فهذا أمرٌ سطحي ومسألة عرضيةٌ ، فليس لها ولا للألوان التي تَصبغ بها بيئتي شعري الشأنُ الأكبرُ في تقديره . ورأيتُ الفرصة سانحةً لسؤاله عن أحبّ شعراء الغرب اليه ، فقال شيلي (*Shelley*) وكيتس (*Keats*) على الاخصّ . وقوله هذا يتفق وما سمعته من الأستاذ نجله وهو انّ والده الحكيم ـ وانْ تنوَّعتْ آثاره تنوّعًا كبيراً وأصبحتْ تُعَدُّ بالعشرات حتى كاد ينسى اسماءها ـ فانّ أشهى مايروقه نظمه إنّما هو الشعر الوجداني (*Lyrical Poetry*) ينظمه فى تعبه أُنساً وسلوى وراحة نفسٍ .

---

(١) علمت من الاستاذ تاجور أن طائفة من مؤلفات والده السيرتاجور مطبوعة بالانجليزية بواسطة شركة ما كملان طبعة هندية رخيصة لفائدة طلبة المدارس وغيرهم ، وعنوان الشركة هكذا : Messrs Macmillan & Co., Bowbazar, Calcutta

تناولنا الشاي واذا بعدد (المصوَّر) المزدانة صفحتهُ الأُولى بصورة تاجور على مقربةٍ منّي فتأمَّلتهُ ، فسألني الاستاذ نجل السير تاجور أن أترجم له العبارات المذكورة تحت الصورة فأمليت عليه ترجمتها ، فكان يقابلها باعجاب لما تضمَّنته من بيانٍ مسهبٍ بليغٍ في تعبير وجيز. ثم تلاها الدكتور حمزة على تاجور الكبير فأغضى ببصره وتورد قليلاً وجههُ السَّمح ، وانتقل بحديثه الى التأسف على حالة اخوانه مسلمي الهند من الوجهة الفكرية بالنسبة لمسلمي مصر المتنوّرين ، وكرّر أسفه ناسباً تأخّرهم الى قلة الاطلاع والى طاعتهم العمياء لشيوخهم . فذكرتُ له بعض كبار الزعماء المتنورين من المسلمين الذين كنتُ عرفتُهم منذ سنين في لندن ، فأكّد لي انّ كلَّ ما يهمهم الآن انما هي السياسة دون التفاتٍ الى الرقيّ الفكري ، ومنهم مَنْ استوطن انجلترا وكاد ينسى مطالبَ قومه . والسير تاجور رجلُ حكمةٍ وشعرٍ وفلسفةٍ وانسانيةٍ فليس بمن يعبأ بالسياسة ، ولكنه رجلُ وطنية أيضاً حِسّاً وعملاً ، وكنت ألمحُ شعوره القوميَّ الحيَّ وأُنصتُ لعباراته الوطنية الغالية في اجلال عظيم لشممه وكرامته ووفائه لبني وطنه . وقد اختلطتُ بكثير من المفكّرين الغربيين والشرقيين المدافعين عن الانسانية في مناسبات شتى وفي جمعيات وهيئات متنوعة منذ سنة ١٩١٢ م . فما رأيتُ رجلاً أعظمَ التفاتاً الى المعنى الانساني الأكمل في تفكيره من تاجور ، ومع هذا فهو أبعد الناس فيما رأيتُ عن صفات التجرُّد عن قوميته والغيرة عليها في غير تعصُّبٍ أعمى

وقد نوّه السير تاجور بآثار توت عنخ آمون في المتحف المصري ، فأجبتهُ باخلاصٍ اننا وانْ فخرنا بها الا أنَّ فخر الانسانية جمعاء ونفعها بآثار تاجور أعمّ وأجلُّ . فشكر بابتسامته السّحرية وبكلمات موسيقية هادئة هذهِ الملاحظة الودّية ، وعلق عليها الاستاذ نجله بقوله انَّ لمصر فخرها المأمول بشبابها الناهض

مادامت لهذا الشباب العزيمة والثقة بالنفس والرغبة الاكيدة في انشاء الأصلح.

ثم سُئِلتُ عن الفلسفة في الشعر العربي فذكرت أمثلة مترجمة من الأشعار القديمة وشعر القرن الماضي وبعض الشعر العصري ، وأشرت بفخرٍ واعجابٍ الى شعر المعرّي والى رباعياته المترجمة الى الانجليزية بقلم الاستاذ أمين الريحاني ، واستدركت بقولي انّ شعر المعرّي وحده كفيلٌ برضاء السير تاجور اذا لم يرضَ عن غيره من الصِّيَغ الخبرية العامة التي تنسَب الى الفلسفة .

وقد كان للبحث الفلسفي شأنٌ على مائدة العشاء ! أثاره الزميل الفاضل الدكتور حمزة ثم الدكتور اسكافوبلوس ، فما التفتنا لشيء سوى نظرات تاجور المُبينة المتنقلة ، وصوته الناعم المطمئنّ المؤنس ، وبيانه المتّصل الرصين الذي يُشعرك بانّ كلَّ كلمةٍ يبوح بها وراءها ذخيرةَ معلومات لا تُحَدّ وعقيدة متينة آمنة . . . وناهيك بتاجور اذا تحدث عن موضوع هو صفو لُبّهِ وروايةُ نفسه الحرّة التي عشقت منذ طفولتها الحرّية وآثرت الطبيعة بموسيقاها وبدائع مشاهدها على عرَض الحياة ومادتها . . . تحدث تاجور عن الفلسفة البرَهمية ومغزاها من اندماج المحدود في غير المحدود ، أو المتناهي في اللامتناهي فشبه الانسانية بالنهر والحقيقة الأزليـة بالبحر ، وقال انهما وحدة وان كانتا مستقلتين إذ أن مآل النهر أن يصب فى البحر ، وهو هو البحر وان اختلف عنه مظهراً . فذكّرني تشبيهُهُ بقصيدةٍ بديعةٍ في هذا المعنى للشاعر الانجليزي (سْوِنبيرن Swinburne) ثم ضرب مثلاً آخر لعدم الاستقلال الـكلّي فقـال إنَّ شعري هو نفسي وان اختلفت المظاهر لانه لولا وجداني لمـا كان شعري . ثم أجاب على سؤالي عن الفرق الحقيقي ما بين الفلسفة البرَهميـة والفلسفة البوذية بقوله انَّ الأُولى تعلم الحقيقة الازلية بينما الأخيرة تُعنى بالسبيل اليها وتدعوك للاهتمام بهذا السبيل الموصل اليها فقط ، فاذا ماأصبت الطريق الاصلح فأنت بالغ اليها لامحالة : وأخذ

الدكتور اسكافو بلوس يناقشه منتصراً للمتعة البدنية (على مذهب أناتول فرانس) ووجوب مجاراة الطبيعة، فأفحمه السير تاجور بقوله: اننا في الواقع اعتمدنا على الطبيعة للتغلب عليها بوسائلها ذاتها في الماديات، وقد كسبت الانسانية من وراء ذلك، فلماذا لانبلغ نظيرة هذه المرتبة في الروحيات؟ لماذا لا نكبح جماح الشهوات مادمنا نعلم ان الاسترسال في الشهوات يسيء الى الانسانية؟ وناقشه على هذا النمط مناقشةً قويةً مدعمة بالادلة العلمية أحياناً وبالنظرات الفلسفية طوراً. ومما شاقني من السير تاجور قوله ان مفسدة العالم في الانانية الاستقلالية إذْ لو أدرك كلُّ انسانٍ أنَّه في الواقع اعظمُ من ان يُحَدَّ بجسده، وأنّه متصل باخوانه في الانسانية، لعطف عليهم العطفَ كلّه وأحسَّ باحساسهم، ولنفى البغضاءَ والتحاسدَ والميلَ الى النّزاع والمشاحنة من نفسه.

وليس فيما رويتُ أحسنَ ماسمعتُ من تاجور، فكلُّ حديثه جميلٌ يفيض بالشعر والحكمة والعلم والعطف الانساني وبكلّ ما يُشعرك بأنه مؤئلٌ للانسانية المعذَّبة، وانما ذكرت ماربما شاق قرَّاءَ (الزهراء) اكثر من سواه، فقد حدثنا عن مسائل كثيرة بينها الصوفية وتحديد النزعة الشرقية وتعريفها، وعن الحيـاة الاقتصادية في الهند وغير ذلك، فكنا ننتقل بحديثه من زهرة الى زهرة، ومن نغم الى نغم، ومن نور الى نور م

ابو شادى

﴿ أقدم الخرائط الرمزية ﴾

جاء في المقتطف الاخير (٦٩:٤٥٩) أن أقدم الخرائط الرمزية خريطـة محفورة على حجر من القرن التاسع قبل المسيح وجد في بابل، ويظهر من شكلها أنها من جنوب بلاد العرب، مما يدلّ على قِدمَ العمران هناك. وقد ظن الدكتور ويدر أن خريطة الاصطخري – أول جغرافيي العرب – التي صنعها في القرن العاشر المسيحي – بُنيت عليها. ومن المحتمل أيضا أن بطليموس بنى خريطتـه عليها في ايصاله إفريقية بآسيا عند الاوقيانوس الهندي

اجازة رواية بعض كتب التاريخ

من جلالة العلاّمة امام اليمن ـ الى سعادة الاستاذ أحمد زكي باشا

كنا على موعد مع قراء الزهراء بأن ننقل اليهم في هـذا الجزء حديث صاحب السعادة الاستاذ الجليل احمـد زكي باشا عن بعض شئون اليمن العلمية والاجتماعية . ولكن الاسئلة التي عرضتها على سعادته بلغت اثني عشر سؤالا ، وكل سؤال منها يستحق أن يكون الجواب عليه في نحو مقالة . لذلك استحسن سعادة الاستاذ أن نكتفي في هـذا الجزء من الزهراء بنشر مستند تاريخي طريف ، وهو الاجازة التى تلقاها من عالم اليمن لهذا العهد وأوسع أهلها معرفة واطلاعاً ، ونعني به جلالة الامام يحيي ابن الامام حميد الدين . فقد أجاز سعادة الاستاذ زكي باشا بأن يروي عنه طائفة من كتب التاريخ الاسلامي على طريقة السلف في تلقي العلم من أهله ، وهي الطريقة التي أهملها الناس في بعض الاقطار الاسلامية منذ عهد غير قريب . وهذا نص الاجازة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الختم : أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الامام يحيي نصره الله

الحمد لله الذى أنزل أحسن القَصص عظةً وذكرى، وأرشد بما خلا من المَثُلات وضرب الى ما هو بذوي العقول أولى وأحرى، ونصب قسطـاس العبرة بما قصّ من احوال الامم الماضين حتى أحطنا بها خُبرا * والصـلاة والسلام على سيد الرسل المتلقي لانباء الغيب وفْرا ، والصادع بما أُمِر به سراً وجهرا * وعلى آله الذين أبقى لهم في العالمين ذكرا ، وقرنهم بالتنزيل وناهيكَ بها مزيـّةً تتزيّن بها مفارقُ الايام عصراً فعصرا * ورضوان الله على صحابته الذين تواصَوا بالحقّ وتواصوا بالصبر فرفعوه قدرا

وبعد فيقول المفتقر الى عفو الله وغفرانه أميرُ المؤمنين المتوكّل على الله يحيى ابن امير المؤمنين المنصور بالله محمـد بن يحيي غفر الله لهم ، واكرم في جنانه نزُلهم : إنه لمـّا قَدِم علينـا الانسانُ الـكامل ، والندْبُ الُحلاحل . فارسُ الانتقاد ، والمجلّي في مضمار الاطّلاع والعرفان المستجاد . علاّمة الادب

والتاريخ ، القاعد على منصة التشييخ . أحمد زكي باشا المصريُّ الدار. اتحفه الله بألطافه وتوفيقه ، وزوّده في اقامته وترحاله بما يرجوه من الاعانه على تحقيقه وتدقيقه . ألفيناه كبيرَ النفس عاليَ الهمة ، كثير الصبوة بالبحث عن الحقائق التاريخية والآداب المهمة ، ذايد طولى في الوقوف على الحقائق وحسن التنقيب ، ودراية وألمعية صعدتا به الى المكان الرفيع من مقاعد العرفان والرأي المصيب . إلى ما جمعه من أدوات الكمال ، والخصال التي أبرزت شخصيّته الجميلة بين فحول الرجال . والاخلاق التي عذُبَ سلسالها وطاب ، وانجذبت اليها النفوس والارواح أيّما انجذاب . ولما هو عليه من الارتياح الى التاريخ المفيد ، وحبّ الاطّلاع على أحوال الماضين وما خلّفوه من أثر حميدٍ وذكر مجيد

التمس َمنا ــ عافاهُ الله ــ الاجازةَ فيما اتصلت لنا روايته من كتب التاريخ ، واسفاره الجليلة الحافلة بأخبار الصلاح والفلاح وعمارة الارضين والاباء والتدويخ . فلم يكن بدٌّ من إكرام الضيف الكريم ، واسعافه بما التمسه برغبة المشوق الكليم ، والاقبال على طِلبته أيّما إقبال يليق بالحليم ، ويروق في نظر العاقل الحكيم

ولاشكَّ أن للتاريخ مقاماً رفيعاً بين العلوم ، وحظا من إصلاح النفوس والصعود بها الى أوج الفلاح الموسوم. وكفى دليلاً على ذلك مافي الذكر الحكيم ، من براهين علوّ مقامه الفخيم . وإذا كانت غايته الاعتبار فأكرمْ بها من غاية ، هي في الحقيقة جُمّاع التهذيب والوقاية ، ومجلبة العناية وصنوف الرعاية . وفي الموضوع من الفوائد ما يضيق به مقام الكلام ، ويخرجنا عما قصدناه من الايجاز في بيان المرام

ولذلك نقول : ان طرق روايتنا لما نحن بصدد بيانه متعددة على قدر تعدُّد مشايخنا وتعدُّد طرقهم عن مشايخهم . ومن أخصر الطرق وأمتعها ما نرويه

بالسند المتصل الى القاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن اليمني رحمه الله لما رواه عن مشايخه الاعلام في مؤلّفه (الأعلام بأسانيد الأعلام). وهو مؤلّف نفيس حوى من الاسانيد ودواوين التواريخ ما يُروي الغُلة، ويزيل العِلة

ونحن نروي ما حواه، ويتصل سندُنا بمؤلفه رحم الله مثواه، عن شيخنا العلاّمة شرف الدين القاضي الحسين بن عليّ العمري عمّره الله، عن شيخه العلاّمة الفقيه احمد بن محمد السيّاغي رحمه الله، عن شيخه العلاّمة القاضي الحسن بن احمد الرّباعي، عن مؤلّفه القاضي احمد بن محمد قاطن * فقد أجزت للمشار اليه احمد زكي باشا عافاه الله على وفق اقتراحه أن يروي عني كلّ ما حواه المؤلَّف المذكور من كتب التواريخ المنسوبة الى مؤلفيها رحمهم الله. وشرطتُ عليه ما اشترطه عليّ مشايخي من التحرّي والتثبّت والضبط، والتوقّف عند الاشتباه. وهو أهل لهذه الاجازة، وحريٌّ بأن يكون ممن نصبَ أعلامه في نهاية هذه المفازة

وعلى سبيل التبرُّك نُثبت ههنا بعض الاسانيد في بعضٍ من الكتب التي حواها مؤلّف القاضي احمد قاطن رحمه الله:

فمن أجلّها وأعلاها شهرةً وبركة (السيرةُ النبوية لابن هشام الانصاري).
فإنّا نرويها عن شيخنا القاضي الحسين بن علي العمري عمّره الله، عن شيخه الفقيه العلاّمة أحمد بن محمّد السيّاغي، عن شيخه الحسن بن أحمد الرباعي، عن القاضي أحمد بن محمد بن قاطن. وهو يرويها عن شيخه السيد يحيى بن عمر بن مقبول الأهدَل، عن شيخه العلامة حسن بن علي العُجَيمي، عن شيخه احمد ابن محمد الخفاجي إجازةً عن السراج عمر بن الُجاي، عن شيخ الاسلام زكريا ابن محمد الانصاري، أخبرنا بها شيخ الاسلام الحافظ أحمد بن علي بن حجَر سماعاً، أخبرنا بها أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الفوّي سماعاً لجميعها

خلا المجلسين الثاني والخامس عشر فأجازةً ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن نُباتة الفارقي سماعاً ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن اسحاق بن المؤيد الابرقوهي وأشرفُ القضاة أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد العزيز الحبّاب قالا : أخبرنا عبد القوي بن عبد العزيز بن الحبّاب بسماعه عن ابي محمد عبد الله بن رفاعة ابن غدير السعدي ، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن الخلعي سماعاً ، قال أخبرنا بها أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبّال ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن ابن عمر النحاس البزار سماعاً ، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن الورد ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحيم بن البرقي ، قال أخبرنا بها مُهذّبها أبو محمد عبد الملك بن هشام النحويّ البصري وبزياداته **حدثنا** بها زياد بن عبد الله ابن الطفيل البكائي ، أخبرنا بها مؤلفها محمد بن اسحاق بن يَسار المطّلبي إملاء مرتين فذكرها

وبهذا الاسناد إلى احمد بن محمد الخفاجي نروي مؤلَّفه (الريحانة)

وأما (الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا) للامام ابي الربيع سليمان ابن موسى بن سالم الكلاعي المتوفَّى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة فنرويه بالسند المتصل الى القاضي أحمد بن محمد قاطن رحمه الله ، عن السيد يحيى بن عمر بن مقبول الاهدل ، عن شيخه أحمد بن محمد النخلي ، عن شيخه إمام المقام زين العابدين بن عبد القادر بن محمد بن يحيى الطَبري ، عن أبيه ، عن جدّه يحيى ابن مكرَّم بن محمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الطبري ، عن جده محمد بن محمد بن محمد الطبري ، عن عمّ ابيه محمد بن احمد بن ابراهيم الطبري ابي اليُمْن ، عن ابي عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم الوادي آشي قال أخبرنا به قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن العمّار سماعاً لجميعه إلا يسيراً منه فاجازةً ، أخبرنا به مؤلّفه الامام ابو الربيع المذكور سماعاً عليه لما

فيه من سيرة ابن اسحاق وإجازةً لباقيه إن لم يكن سماعاً لضياع ثَبَتي . فذكره

ومنها (شرح السيرة للسهيلي) المسمَّى بالروض الأُنُف . نرويه بالسند المتصل الى القاضي احمد قاطن عن السيد يحيى بن عمر الاهدل ، عن شيخه الحافظ عبد الله بن سالم البصري ، عن شيخه الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي عن شيخيه علي بن يحيى وابراهيم بن ابراهيم بن حسن اللقاني : الاول عن الجمال يوسف بن عبد الله الأرميُوني ، والثاني عن عمر بن اُلجاي ، كلاهما عن الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، عن ابي بكر بن صدقة بن علي ابن محمد بن عبد الرحمن المناوي القاهري ، عن ابي عليّ المهدوي ، عن يوسف بن ابراهيم الدبّوسي ، عن عبد المنعم بن أبي الفتح رضوان ، عن المؤلف الحافظ ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن ابى الحسن الخَثْعمي السهيلي. فذكره

ونروي كتاب (الكامل لابن الاثير) بالاسناد المتقدم الى شيخ الاسلام زكريا بن محمد الانصاري ، عن القاضي عبد الرحيم بن الفرات ، عن القاضي عبد العزيز بن جماعة عن أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر ، عن مؤلفه الامام عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير الجَزَري . وذكره

ونروي كتاب (وفيات الاعيان لابن خِلّكان) بالاسناد المتقدّم الى الامام يحيى بن مكرّم الطبري ، عن الحافظ عبد العزيز بن عمر بن فهد ، عن البرهان ابراهيم بن علي بن ظَهيرة ، عن فاطمة بنت خليل بن أحمد الكناني ، عن التاج أبي عبد الله بن الاكرم النعماني ، أخبرنا به مؤلفه القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الاربلي المتوفَّى في شهر رجب سنة احدى وثمانين وستمائة . فذكره

ونروي كتاب (الاغاني الكبير) لابي الفرج الاصفهاني المتوفَّى في ذي الحجة سنة ستٍّ وخمسين وثلاثمائة بالاسناد المتقدم الى الحافظ أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني ، عن أبي حفص عمر بن حسن بن أُمَيلة ، عن النجم يوسف بن يعقوب بن المحاور ، عن أبي اليُمن زيد بن الحسن الكندي ، عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن صرما ، عن الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادى ، عن أبي القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي سماعاً وإجازةً لما لم أكن سمعته ، قال أخبرني به والدي سماعاً ، قال أخبرني به مؤلِّفُه أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني . فذكره

ونروي كتاب (فتوح مصر والمغرب لابن أبي الحَكَم)بالاسناد [المتقدم] الى الحافظ عبد العزيز بن عمر بن فهد ، عن القاضي ابراهيم بن علي بن ظَهيرة المكي ، عن الشهاب أحمد بن أبي بكر بن عبد الله الواسطي ، عن الخطيب صدر الدين محمد بن محمد بن ابراهيم الميدومي ، عن أبي عيسى عبد الله بن عبد الواحد ابن علاف ، عن أبي القاسم هبة الله بن علي البُوصيري ، عن أبي صادق مرشد ابن يحيى المديني ، عن أبي الحسن علي بن منير الخلال ، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن الفرج القمّاح الأزدي ، عن أبي القاسم علي بن خَلَف بن جديد الازدي قال أنبأنا به مؤلفه الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحكم المصري . فذكره

ونروي كتاب (العقد الحسن في طبقات أهل اليمن للخزرجي) بالاسناد المتقدّم الى الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، عن القاضي أبي الفضل محمد بن النجم محمد المرجاني ، عن مؤلفه أبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي اليمني . فذكره

ونروي كتابَي (قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون) و (بغية المستفيد في

أخبار زبيد) بالاسناد المتقدم الى القاضي أحمد بن محمد قاطن ، عن السيد يحيي ابن عمر بن مقبول الأهدل ، عن أبي بكر بن علي البطّاح الأهدل ، عن شيخه ملحق الاحفاد بالاجداد يوسف بن محمد البطاح الاهدل ، عن شيخه السيد الاجلّ الاعلم الطاهر بن حسين الاهدل ، عن مؤلفها شيخه الحافظ عبد الرحمن ابن علي الديبع الزبيدي

وليكنْ هذا آخرَ ما أردنا الالمام به من التفصيل ، فالكتب المؤلفة في هذا الفن ـ مما يتعلق باليمن ـ كثيرة التعداد ، فضلا عما سواها . ولكل امام قائم في اليمن سيرةٌ خاصةٌ حافلة بذكر حوادث أيامه ، ولكل دولة كذلك . وفى هذه الاشارة غنية ، ومثله لا ينحطّ عن عدّه قواماً لهذه البُنْية

ولنختم هذا بما ينبغي سماعه من إيصاء المُجاز بتقوى الله عزّ وجلّ في السر والعلانية ، فنعمَ الزاد التقوى . والقيام بطاعاته ، فهي الموصلة بفضله الى جنة المأوى

ونسأل الله لنا وله التوفيق إلى أقوم طريق . وجعل خير أعمالنا خواتمها ، وخير أعمارنا يوم لقائه ، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين

وصلى الله وسلمَ على سيدنا محمد الرسول الامين ، وآله الطاهرين ، وصحبه الأفضلين

وحرّر لتاريخه ١٨ شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ

﴿ حركة النشر والتأليف ﴾

نكرّر اعتذارنا لحضرات المؤلفين والناشرين عن مخالفة ما التزمناه في السنتين الماضيتين من المبادرة الى وصف الكتب التى يتفضلّون باهدائها الى مجلة الزهراء وعذرنا في ذلك كثرة هذه الكتب ، ولكن مهما تأخرنا فان ذلك عن إمهال لا عن إهمال

﴿ اكتشاف تمثال عربي ﴾

تمثال امرأة مغنية ـ وجد في أطلال الفسطاط

اكتُشف في هذا الشهر ـ أثناء التنقيب في أطلال الفسطاط بالقاهرة ـ تمثال عربي صغير من البرنز يمثّل امرأة مغنية بيدها دفّ تضرب عليه . وهي جالسة متربعة وعلى رأسها إكليل مرصّع ولها ثلاث ذوائب تدلت احداها على ظهرها الى نصف قامتها والذؤابتان الاخريان مرسلتان الى نهديها وفي عنق المغنية عقد وفي معصميها أساور . وارتفاع هذا التمثال ٥٢ مليمتر وعرضه ٣٧ مليمتر

ولا شك أن هذا التمثال اسلامي ولعله الاول من نوعه ، أما عصره ومكان صنعه فلا يمكن القطع بهما الآن . ويقول جناب المسيو فييت مدير دار الآثار العربية (الاهرام ٢٧ جمادى الاولى) ان « أول ما يخطر على البال عند النظر الى هذا التمثال أنه قد يكون فاطمياً لان الفاطميين تركوا لنا عدداً من الطُرَف يشغل تمثيلُ الانسان فيها المقام الاول » ثم استبعد ذلك لان شكل عيني هذه المغنية « يغلب عليه التأثير المغولي وهو لا يمكن أن يكون سابقاً على وصول قبائل المغول ـ بعد اغارتهم على بغداد وازالة دولة العباسيين في سنة ٦٥٦هـ ـ الى بلاد الشام قبل القرن السابع الهجري . ويوافق هذا العصر ظهور الميل عند صناع بلاد الموصل وتهافتهم على زخرفة الاواني والمواعين التى كانوا يحلّونها بصور تمثّل الانسان والحيوان وفيها تتجلى صبغة المغول المعروفة بغاية الوضوح . ويشاهد احياناً فيها جماعات من المغنيات والراقصات جالسات كما في التمثال المكتشف . ولظهور هذا التأثير المغولي في هذا التمثال مع أنه من صناعة عربية يحتمل أن يكون من مصنوعات الموصل التى ترجع الى أواخر القرن السابع للهجرة »

وعندنا أن شكل عيني المغنية لا تأثير له في تعيين الزمان والمكان اللذين صنع فيهما التمثال لان العواصم العربية كانت في العصور الاسلامية الاولى ملأى بالمغنيات من جميع الاجناس، فجنسية المغنية لا تمنع أن يكون تمثالها صُنع في مصر

طريقة الصوفية السائرين

الصبر والرضا والزهد والتوكل

من الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والغضب ، والصبرُ عن محمدة الناس ، والصبرُ على الخمول

وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس ، وطمأنينتها من تزكيتها ، وتزكيتها بالتوبة . فالنفس اذا تزكت بالتوبة النصوح ذهبت عنها الشراسة الطبيعية . وقلة الصبر تكون بسبب وجود شراسة في النفس واباء واستعصاء فيها

والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها الى اللين ، لأن النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفيء نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى ، وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه ، وتطمئن فى مجارى الأقدار . والرضا سكون القلب تحت جريان الحكم ، أو كما قال ذو النون « الرضا سرور القلب بمُرّ القضا »

روي عنه صلى الله عليه وسلم ما معناه أو كما قال « ان الله بحكمته جعل الرَّوح والفرح في الرضا واليقين ، والهمَّ والحزن في الشك والسخَط »

وقال ابن عطاء : الرضا سكون القلب الى قديم اختيار الله للعبد لانه اختار له الافضل فيرضى له وهو ترك السخط

وقال أبو تُراب « ليس ينَال الرضا من الله مَن للدنيا في قلبه مقدار »

وقال الفضيل « الراضي لا يتمنى فوق منزلتِه شيئاً »

وقال بعضهم : الراضي من لم يندم على فائت من الدنيا ولم يتأسف عليها

وقال أبو عبد الله البنّاجي لله عباد يستحيون من الصبر يتلقون مواقع اقداره

وكان عمر بن عبد العزيز يقول « أصبحت ومالى سرور الا مواقع القضاء »

وروي عنه صلى الله عليه وسلم لابن عباس حين وصاه مامعناه ـ أو كما قال ـ « اعمل لله باليقين في الرضا ، فان لم يكن فان في الصبر خيراً كثيراً »

وفي الخبر أيضاً مامعناه « من خير ما أعطى الرجل الرضا بما قسم له »

والرضا ثمرة التوبة النصوح ، وما تخلف عبد عن الرضا الا لتخلفه عن التوبة النصوح ، فاذن تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر مع شرفه ، وحال الرضا ومقام الرضا . وكذلك الخوف والرجاء كائنان في صلب التوبة النصوح ، لان خوفه حمله على التوبة ولولا خوفه ما تاب ولولا رجاؤه ماخاف ، لأن الخوف بدون الرجاء ليس بخوف بل هو يأس ، فالرجاء والخوف يتلازمان في قلب المؤمن . ويعتدل الخوف والرجاء للتائب المستقيم في التوبة فالتائب خاف فتاب ورجا المغفرة . ولا يكون التائب تائباً الا وهو راج خائف . ثم ان التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعته فقد شكر النعم لأن كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها في الطاعة ، وأي شاكر للنعمة أكبر من التائب المستقيم ؟ فاذن جمع مقام التوبة كلا من حال الزجر والانتباه واليقظة ومخالفة النفس والتقوى والمجاهدة ورؤية عيوب الافعال والأنابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجا كما ذكرناه لك سابقاً عند قولنا ان الأربعة الاولى بها نستقر المقامات وتستقيم الأحوال

واذا صحت التوبة وتزكت النفس انجلت مرآة القلب فيتبين قبح الدنيا ، وعند ذلك يحصل الزهد ، وهو ثالث الأركان الأربعة الاولى التي لا تتحقق طريقة الرياضة والمجاهدات الا بها

قال الجنيد « الزهد خلو الأيدي من الاملاك والقلوب من التتبع » أي تتبع الاملاك . وقال السري « الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا » ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء من الخلق

وسئل الشبلي عن الزهد وعن حقيقته فقال « الزهد غفلة لان الدنيا لا شيء

والزهد في لاشيء غفلة »

وقال بعضهم: لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عندهم

وحقيقة الزهد فى الزهد هو خروج من الاختيار فى الزهد لأن الزاهد اختار الزهد وأرادَه ، وارادته تستند الى عِلمه ، وعلمهُ قاصر. فاذا اقيم في مقام ترك الارادة وانسلخَ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده الحق فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله حينئذ أو يعلم أن مراد الله منه التلَبُّس بشيء من الدنيا فيكون دخوله في شيء من الدنيا بالله وباذن منه زهداً فى الزهد والزاهد في الزهد يستوي عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان أخذها أخذها بالله وهذا هو الزهد فى الزهد

والزاهد يتحقق فيــه التوكل وهو على ماقال السري الانخلاع من الحول والقوة . وقال الجنيد : أن تكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل . وقال سهل : كل المقامات لهـا وجه وقفاء غير التوكل فانه وجه بلا قفاء . ومعنى قوله وجه وقفاء ابتداء ونهاية . وقال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة . وقال أبو بكر الزقّاق : التوكل رد العيش الى يوم واحد واسقاط همّ غد . وقال بعضهم من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً يدفنها فيه وينسى الدنيا وأهلها لان حقيقة التوكل لا يقوم له احد من الخلق على كماله . وقال سهل : أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير

وقال حمدون القصار : التوكل هو الاعتصـام بالله

وقال سهل أيضا : العلم كله باب من التعبد ، والتعبد كله باب من الورع ، والورع كله باب من الزهد ، والزهد كله باب من التوكل

وقيل : التقوى واليقين مثل كفتي الميزان ، والتوكل لســانُه به تعرف

الزيادة والنقصان . وليس للأقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم ، وانما شغلهم في تغييب النفس بتقوية مواد القلب ، فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر اليه . وكلما تحرك من النفس بقية يرد على ضميرهم سر أن الله تعالى مطلع وعالم بما يدعون من دونه من شيء ، فيغلب وجود الحق الاعيانَ والاكوان ، ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه ، ويصير التوكل حينئذ اضطرارا

هذا وقد ذكروا أن الصادق التايب اذا تاب توبة نصوحاً ثم زهد في الدنيا حتى لا يهتم في غدائه لعشائه ولا في عشائه لغدائه ولا يرى الادّخار ولا يكون له تعلق همّ بغد فقد جمع في هذا الزهدَ والفقر . والزهد أفضل من الفقر، وهو فقر وزيادة ، لان الفقير عادم للشيء اضطراراً والزاهد تارك للشيء اختيارا . وزهدُه يحقق توكله ، وتوكله يحقق رضاه ، ورضاه يحقق الصبر ، وصبره يحقق حبس النفس وصدقَ المجاهدة . وحبس النفس لله يحقق خوفه ، وخوفه يحقق رجاءَه . ويحظى بكل من التوبة والزهد بالمقامات كلها . ثم ان التوبة والزهد اذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يعُوز هذه الثلاثة رابع به تمامها وهو دوام العمل لله ، لان الاحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة ويتستَّر بعضها متوقفة على وجود الرابع وهو دوام العمل . وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين في التوبة تخلفوا عن كثير من سَني الاحوال لتخلفهم عن هذا الرابع

ولا يراد الزهد في الدنيا الا لكمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل لله ، والعمل لله أن يكون العبد لا يزال ذاكرا أو تاليا أو مصلّيا أو مراقبا لا يشغله عن هذه الا واجب شرعي أو مهم لابد منه طبعي . واذا استولى العمل القلبيُّ على القلب مع وجود الشغل الذي اداه اليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل

واذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد اكمل الفضل وما آلى جُهدا في العبودية . واذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضرُ عن وقته الآتي ويصل الى مقام ترك التدبير والاختيار ، ثم يصل الى أن يملك الاختيار فيكون اختياره من اختيار الله ، لزوال هواه ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه . والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالي والحال العزيز الذي هو الغاية والنهاية ـ وهو ان يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج من الاختيار ـ إلا بأحكام هذه الاربعة التي ذكرناها وهي : صحة الايمان بعقوده وشروطه ، والتوبة ، والزهد ، ودوام العمل لله تعالى

القدس

خليل الخالدي

باني الهرم

سخَّرَ العِلمَ ليبني آية فَوقَ شط النيل تبدُو كالعَلَمْ
هي ذكر خالد ، لكنَّه عابسُ الوجه إذا الذكرُ ابتسم
كلُّ ما فيها على إعجازها أنها قبرٌ لجبَّار حُطَم
ليتَه سخَّرَ ما في عهده من قُوًى في غير تقديس الرِمَمَ
من فنونٍ أعجزتْ أطواقنا وعلومٍ عندها الفهْمُ وَجَمَ
وبَنانٍ مُبدِعاتٍ صَوَّرتْ أوجُهَ العُذرِ لعُبّاد الصَّنَمْ
أبدعتْ ما أبدعتْ ثم انطوتْ وعلى أسرارِها الدهرُ خَتَمْ

حافظ ابراهيم

حركة النشر والتأليف

المعركة بين القديم والجديد — للرافعي

المطبعة الرحمانية ، المكتبة السلفية : ٤٣٧ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٥ قرشاً

هي معركة خاضها نابغة الادب وحجة العرب السيد مصطفى صادق الرافعي فكان من ميادينها مجلة الزهراء (١ : ١٦١ و ٣٥٣) ومجلتا الهلال والبيان . وأشدّ ما كان احتدامها على صفحات (كوكب الشرق) على أثر انتشار كتاب طه حسين (فى الشعر الجاهلي) ، فأبان فيها عن رجاحة حلم وبلاغة منطق وحسن إيضاح وجودة إفهام ، وكان ذلك مما استمال اليه الاسماع وجعل القرّاء يتهافتون على التمتع بمحاسن هذه الفصول متحدّثين بشرف أسلوبها وعلوّ منزلتها ، حتى سمعتُ أديباً كبيراً يجزم بأن العربية لم تُرزق مثل قلم الرافعي فصاحة وبلاغة منذ خمسمائة سنة

قال المؤلف « ونحن مستيقنون أنه ليس في جدال من نجادلهم عائدة على أنفسهم إذ هم لا يضلّون الا بعلم وعلى بيّنة ؛ فمن ثَمَّ نزعنا في أسلوب الكتاب الى منحى بيانى ندبره على سياسة من الكلام بعينها . فان كان فيه من الشدة أو العنف أو القول المؤلم أو التهكم فما ذلك أردنا ولكنّا كالذي يصف الرجل الضالّ ليمنع المهتدي أن يضلّ . فما به زجر الاول به عظة الثانى »

وبعد فانك ان لم تقرأ كتاب (المعركة) لما فيه من حجة قوية ، وكشف لبعض الدسائس ، وانتصار لثروة فكرية سهر آباؤنا على تثميرها مئات كثيرة من السنين ، فاقرأه لما فيه من بلاغة تشترك المشاعر بلذّتها ، وذوق في البيان اذا استأنستَ به ملك عليك نفسك ، وفتح لك نافذة الى عالم آخر ستعجب كيف كنت عنه في معزل

﴿ ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء ﴾

المطبعة المصرية ، المكتبة السلفية : ٣٦٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ٣٠ قرشا

نظرية النشوء والارتقاء من النظريات القديمة التى فكر فيها العلماء قليلا أو كثيراً في عصور مختلفة ، ولعلمائنا الاسلاميين كلام طويل فيها وجنوح الى اثباتها ، فمن ذاهب اليها من سبيل التدقيق العلمي في المواليد الثلاثة : الجماد والنبات والحيوان كالعلماء الذين ذكر الدكتور محمد شرف أسماء بعضهم في مقالته المنشورة في هذا الجزء من الزهراء ، ومن ذاهب الى ذلك من سبيل روحي مع ملاحظة الروابط التى تقرّب بين سلسلة المخلوقات ومن هؤلاء ابن عربي

والنظرية باجمالها بحث علمي له في خلق الله شواهد كثيرة ، ومجال الدرس فيه واسع . أما التفاصيل الظنّية التى يوردونها فى خلال ذلك فستظل موضع أخذ ورد واثبات ونقض بين العلماء ، كزعم بعضهم أن الانسان ارتقى عن القرد وقول آخرين ان القرد من الانسان ، وكل هذا من ترجيم الظنون ، أو من باب وضع النتيجة والبحث بعد ذلك عن مقدماتها . ومن تعصّب بعض من ينقلون الى العربية كتباً فى هذا الموضوع أن يتخذوها ذريعة لمعارضة الدين ، مع أننا اذا لم نتعرض للتفاصيل التي لم تثبت ثبوتاً علمياً لانرى فى النظرية نفسها ما يمس الدين لانها تدل على نظام بديع فى وجود هذا الكون الذي مهما تكن مظاهره فانها كلها آيات تدل على عظمة موجده جلّ جلاله

وقد تصفحنا كتاب (ملقى السبيل فى مذهب النشوء والارتقاء وأثره فى الانقلاب الفكري الحديث) الذي ألفه البحاثة الاستاذ اسماعيل بك مظهر فرأيناه فيه مخالفاً للدكتور شبلى شميل فى اتخاذه مذهب النشوء ذريعة لاثبات المذهب المادي ، وقد حمل اسماعيل بك مظهر على هذه الطريقة وعد أصحابها متعصبين لكفرهم ، واورد الادلة على أن مذهب النشوء بريء من الوصمة التى يصمونه بها وهي أنه يؤدي الى تقرير المذهب المادي . وبينما نرى اسماعيل بك مظهر حاملا

على دعاة الالحاد من هذه الجهة نجده من جهة أخرى يرى من الشطط التنفير من مذهب النشوء باعتبار أنه يؤدي الى الكفر مع أنه لايؤدي اليه ومع أن هذا التنفير يحدو بالناس الى أن ينظروا الى العلم الطبيعي نظرة الجزع والاستكراه فتحرم الامة من نتائج العلم به وهي نتائج لاغنى عنها لامة تطلب العزة والقوة

وفى الكتاب مباحث أخرى عن الانقلاب الجنيني وأثره فى تأييد مذهب النشوء، وعن المذاهب الحديثة فى الجيولوجيا وفى الحفريات وعلاقة ذلك بمذهب النشوء، وعن أصل الانسان ازاءه، وعن المذهب الداروينيفي العصر الحاضر

هذه نظرة عجلان فى كتاب الاستاذ اسماعيل بك مظهر . وهو ـ كجميع مطبوعات الفاضل الياس افندي انطون الياس ـ حسن الطبعوالتبويبوالترتيب

نيل الاوطار للشوكاني

تمَّ في هـذا الشهر طبع الجزءين الثـامن والتاسع من كتاب نيل الاوطار لقاضي قضاة اليمن محمد بن علي الشوكانى الذي شرح به كتاب منتقى الاخبار من أحاديث سيد الاخيار للعلامـة مجد الدين عبـد السلام ابن تيمية في أحاديث الاحكام . وبتمام هذين الجزءين تمت الطبعـة الثانية من هـذا الـكتاب الجليل الذي تقدم لنا الـكلام عليه في الزهراء (٢ : ٥٧٨ و ٦٥٤ * و ٣ : ١٤٣) . ويقع الجزء الثامن في ٣٠٨ صفحات بقطع الزهراء وفيـه الـكلام على أحكام الردَّة ، والجهاد والسير ، والاطعمة والصيد والذبائح . والجزء التـاسع في ٢٤٢ صفحة وفيه بقية أبواب الصيد ، والاشربة ، والطب والأيمان وكفارتها ، والنذر والاقضية والاحكام

وقـد ألحق الاستاذ الشيخ محمد منير الدمشقي بهـذا الـكتاب فصلا فى التعريف بمتن المنتقى ، وآخر في ترجمة المجد ابن تيمية . وفصلا في التعريف بنيل الاوطار ، وآخر في ترجمة الشوكاني فأحسن بذلك وأفاد . والـكتاب جيد الطبع والورق وهو مما لا يجوز أن تخلو منه مكتبة تعنى بكتب الشرع الاسلامي

أنباء اجتماعية

الخزانة الحيدرية

عزمت وزارة الاوقاف العراقية على انشاء دار كتب عامة في مدينة النجف تسميها (الخزانة الحيدرية) ويكون مما تتألف منه هذه الخزانة الكتب القيمة الموجودة في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النجف

معرض للفنون الاسلامية

يفكر بعض المحبين للفنون الاسلامية في القاهرة باقامة معرض لها فى البناء المعروف بقصر تغران باشا في ميدان باب الحديد ، ويؤملون ان يكون لهم من الامير يوسف كمال اقوى معين على تحقيق هذه الفكرة

خرائب الميدان بدمشق

في احصاء رسمي ان المبانى المدمرة في حي الميدان بدمشق ألف وخمسمائة منزل ومتجر

نفق تحت القاهرة

تدرس مصلحة السكك الحديدية المصرية فكرة حفر نفق تحت القاهرة بين ميدان الازهار وميدان باب الحديد لازدياد حركة العمران في العاصمة المصرية

تطور أساليب التربية

ألقى الاستاذ كلبترك محاضرة في القاهرة أشار فيها الى التطوّر الخاصّ المنتظر أن يطرأ على التربية والتعليم ، تبعاً للتطور العام الذي يعالجه البشر الآن تحت تأثير الوسائل الكثيرة والمخترعات العجيبة التى سيكثر بها الخير والشر معاً . قال : فاذا كان العلم يسير بسرعة ، والاختراعات تتزايد أيضا فان المشاكل التي ينتظر من أبنائنا أن يحاولوا حلّها ستزداد تعقّداً . لذلك يجب أن ننشيء أبناء اليوم نشأة تساعدهم على معرفة العلة والمعلول والسبب والمسبب ، وأن نعدّهم ليكونوا واثقين بأنفسهم في المستقبل . ولا يكون ذلك الا بتعويد الطالب استعمال مواهبه العقلية والفكرية والجسمية حتى يصير مديراً لنفسه . وأفضل المدارس هي التي تكون أصلح لاعداد النشء لذلك وتمرينهم على الاستفادة من جميع قواهم الى اقصى حد ممكن

جغرافية مصر في العصر العربي

ألف سمو الامير عمر طوسون كتابا باللغة الفرنسوية بهذا العنوان وقدمه الى المؤتمر الجغرافي ، ووعد بان ينقله الى العربية

ثورة جاوة

يرى الواقفون على دخائل الحالة فى جاوة أن الثورة الحاضرة ليست ثورة شيوعية كما تصفها المصادر الهولاندية ، ولكنها انفجار وطني توفرت عوامله من جانبى الحكومة والامة معاً : الحكومة باصرارها على اتباع الاساليب الاستعمارية القديمة التي لا تعترف بحق الحياة والكرامة لأولئك الملايين من الناس ، والامة بانتشار روح اليقظة فى طبقاتها وتقديرها قيمة الحياة الادبية والمادية التي لايجوز ان تمنع عن شعب من بنى البشر. فالثورة الحاضرة نتيجة اتساع هوة التباين بين هاتين الحالتين حتى ادى الامر الى قيام الشعب للاعراب عن ارادته بالقوة . وان ابطاء الهولانديين في فهم هـذه الحقائق واصرارهم على المكابرة في تسمية الثورة باسماء غريبة عنها لاريب أنه مضر بهم وبالبـلاد التي يحكمونها

سلم الحريق

استحضرت فرقة مطافىء القاهرة سلماً للنجاة من الحريق مركباً على سيارة لها محرك بالبترول بقوة ٤٥ حصاناً وسرعتها ٢٥ ميلا فى الساعة . وثمن هذا السلم ٢٦٠٠ جنيه مصري . وهو مكون من أربعة سلالم يستطيع رجل المطافىء أنه يصعد بها ومعه خرطوم المياه الى علو ٩٥ قدماً في ٣٧ ثانية من الوقت ويمكن لمهندس واحد أن يرفع هذا السلم ويمده ويديره بمفاتيح دون أن ينتقـل من مكانه . وفضلا عن فائدة هذا السلم في النجاة من الحريق فانه مصنوع بنوع خاص كبرج للمياه بحيث يقام على البعد اللازم من البناء المحترق ويرسل من قمته سيل قوي من المياه الى محل الاحتراق دون اسناده الى حائط البناء أي أنه يرتفع الى مساواة نافذة عالية فتصب فيها المياه الى الداخل دون ان يتعرض السلم أو رجل المطافىء لخطر ما عند توجيه خرطوم الماء الى محل النار

الجمعية الجغرافية

رفع المسيو جورج فوكار استقالته الى جلالة ملك مصر من رآسة الجمعية الجغرافية الملكية ، فصدر امر ملكي بتوسيد هذا المنصب الى الدكتور و . ف هيوم مدير قسم المساحة الجيولوجي

حضارة الفينيقيين

قدم المسيو رينه دوسو تقريراً الى مجمع الآثار في باريس تكلم فيه عن حضارة الفينيقيين وما دلت عليه آثارهم المستخرجة حديثاً . ومما جاء فيه أن ثغر جُبَيل كان مركزاً بحرياً تجارياً للفينيقيين قبل صيدا وصور، ولم تكن جبيل مستعمرة مصرية وانما كان المصريون يقصدونها لأخذ المواد الاولية اللازمة لصناعتهم

ومن اهم الآثار المستكشفة في جبيل مدفن (أهيران) المعاصر لرعمسيس الثاني . وان أعمال الحفر والتنقيب في السنوات السبع الاخيرة زادتنا معرفة بحضارة الفينيقيين من جميع وجوهها : التجارية والصناعية والدينية والسياسية والفنية والادبية

الصهيونية

يقول الدكتور بريشت في تقريره الى معهد كارنيجي الخاص بالسلام العام: « ان تحقيقات في فلسطين ومصر تثبت ان الحركة الصهيونية مشروع وهمي يفضي الى ازدياد العدوان والمتاعب بين العرب واليهود » أما من الوجهة الاقتصادية فلا يرى الدكتور بريشت كيف يستطيع شعب كبير أن يسكن بلاداً لا يقوى زرّاع العرب فيها ـ على الرغم من جميع المشقات العظيمة التي يقاسونها في العمل الطويل المتعب ـ على الحصول الا على القوت الضروري الزهيد . ويصف المشروعَ الصهيوني الحالي بأنه مشروع مصطنع لايبرّره سوى حماسة الرجال الذين يقومون به بقصد حسن ، ولكن يظهر انهم لا يقدرون المشاكل والمتاعب ومصالح اهالي البلاد حق قدرها فلابد لخطط الصهيونيين من الحبوط ولو امكنهم اخراج العرب من فلسطين

سكان قسنطينة

بلغ عدد سكان قسنطينة في جزائر الغرب ٨٨٦٥٨٢ منهم ٤١٢٤٩٦ فرنسويون وأجانب



ج ٦ : م ٣ القاهرة جمادى الثانية ١٣٤٥

فيلسوف وفلاسفة ...

أتأمَّلُ الآن هذا القلمَ في يدي - وأنا افكرٍ فيما سأكتبه للزهراء - فأرى نصاب القلم أضلاعا حُمْرًا في لون المرجان : تَنْسرحُ قليلاً ، ثم تستديرُ ، ثم تستدقُ ، ثم تخرج منها قادِمةٌ سوداء كأنها قَصَبةُ ريشة من جَناح . وقد خيِّل اليَّ أن هذا اللون الأحمر المزْهُوَّ يقول للاسود : انما أنت غلطةُ الذي صنعني ، فكيف أُلهِمَ فيَّ هذا الإلهام فَوسَمَني بهذا الميسَم من حُسْنٍ ولون وتركيب ، ثم اعترضَتْه الغفلة فيك فأخطأ ، وأدركه العجز فلم يميِّز ، ودخل على رأيه الوَهَنُ فاذا هو يَصِلكَ بي كالسيِّئة بعد الحسنة ، ويُنزلك مني منزلة القبح من الجمال ! فاين كانت صحةُ رأيه التي بلغ بها فيَّ أحسن ما وُفِّقَ اليه حين بلغ فيك أسوأ ما يمكن أن يصنع ؟ فيقول الاسود : انما فيك أنت غلطة الصانع وبك أخطأ جهة الفن فلم يزِنْ منك ما كان وَزَنَ مني ، ولا قَدَّرَ لك مثل ما قَدَّرَ لي . وجئتَ غليظاً غير مقدود ، وكنتَ الى العرض ولم تكن الى الطول ، وكنتَ أحمر ولم تكن اسود ! وما أراك إلا فاسد الحسّ ، متغير الذوق . وما أراك

صنعك هـذا الرجل إلا في ساعة همٍّ قاربتْ بين نفسه ورأيه ، فما زجتْ بين رأيه وعمله ، فجمعتْ بين عمله وغلطه

ذلك منطقُ اللونين فيما أدركتُ منهمـا ، وكلاهما مخطيء في جهةٍ ما هو مستدلٌّ به أو مُتَنظِّر فيه ، والحقيقة من ورائهما ، إذ الحكمةُ ليست في أحدهما لحمرةٍ أوسواد ، بل هي في اثنيهما جميعاً لائتلافهما جميعاً ، فلا تنقسم عليهما قسمةً ما ، لانها آتية منهما بالمقابلة بين اثنيهما. وما لايخرج أبدا إلا من اثنين فهو أبداً واحد لا نصف له : كالطفل من أبويه لن تعرف شطرَه من امه لأنك لن تعرف شطْرَه من أبيه

أفي الارض كلها من يستطيع أن يقسم طفلا واحداً فيجعله طفلين تمتدُّ بهما الحياةُ ، وتُمدُّهما بروحين من روح واحـدة ؟ إنك لن تجد هذا الخالق الأرضي ... الا في طائفتين : الاولى قوم من ذاهبي العقول يخلقون كل شيء لانهم لا يخلقون شيئاً ، والثانية قوم من جبابرة العقول ... عندنا ، تعرف لهم من الخلط وسخف الرأي ما يريدون أن يعلوا به على الناس ، إذ كان الناسُ لا يجاوزون الحقائق ، فظن هؤلاء أنهم ان جاوزوها وعَدَوْا عليها خرجوا الى طبقة فوق العقل الانساني . وللجنون طرفان : أحدهمـا أن لا يعقل المجنون عن الناس ، والآخر أن لا يعقل الناس عن العاقل ، فذلك ذلك وهذا هذا . وكأن في رأس كل منهما مُضْمَرَةً من قوة الخَلْق ، تنطوي على محجوبة إلهية ، فكل منهما يزيد في الخَلْق ما يشاء ، وكل منهما فوق الطبيعة ، لانه من ذوي الاسرار المجهولة التي لا تستبين عندنا من خفائها ، ثم لا تخفى عندهم من استبانتها

يضحكني من جبابرة العقول هؤلاء أنهم يرون الدين مرة عادة ، وتارة اختراعا ، وحيناً خرافة ، وطوراً استعباداً ، وكل ذلك لهم رأي ، وكل ذلك كانوا يعقدونه بالحجة ويشدُّونه بالدليل . فلما جاء تاغور الشاعر الهندي

المتصوّف الى مصر ، وجلسوا اليه وسمعوه ، خرجوا يتكلمون كأنما كانوا في معبد ، وكأنما تنزّلت عليهم حقيقته الالهية ، وكأنما اتضعت هذه الدنيا عن المكان الذى جلس فيه الرجل : فلا يعرفونه من الأرض ، ولا من هذا العالم ؛ بل كانوا في غشية قد فرّوا لها وسكنوا اليها . وما أراهم صُرفوا عن عقولهم ، ولا صُرفت عقولهم عنهم ؛ ولكن تاغور شاعر فيلسوف ، وهم يعرفون أنفسهم من لصوص كُتُبه وآرائه ، ويقعون منه موقع السفسطة الفارغة من البرهان القائم ، واذا قيسوا اليه كانوا كالذباب تزعم أنفسها نسور المزابل ، ولكنها لا تكابر في أن من الهزؤ بها قياسها بنسور الجوّ

لقد ضربهم تاغور : لا بأنه لمسهم ، بل بأنهم لمسوه ... وفضحهم فضيحة اللؤلؤة للزجاج المدّعى أنه لؤلؤ ، وأظهر لنا تجملهم العقلي كهذه الاصباغ في وجه الشوهاء : تذهب تتصنع ، ولا تدري أنه إن كان في أدهانها وأصباغها رُوحُ النقّاش ففي وجهها هي معنى الحائط ...

لقد قرأتُ كلَّ ما كتبوا عن تاغور ألتمس فيه هذه الحقيقة لأرى كيف يكون جبابرة العقول حين تنكشف عنهم المعاذير وتنزاح العلل وتنهتك الأستار ، فاذا هم في كل ماكتبوه لا يحسون الا هذه الحقيقة ، ولا يصفون الا هذا الحسّ ، فلم يُخزهم عندنا الا هذا الوصف . لاجرم فكل ما أثنوا به على الشاعر الفيلسوف قرأناه ذماً لهم ، وعرفناه قدحاً فيهم ، وأخذناه تهمةً عليهم . وكل ما أعظموا من أمره صغَّر من أمرهم . ولقد جعلوه انساناً كأنما تنتهي قمة هذه الدنيا عند قدمه ، وتبدأ قدمه من قمة الدنيا ، فما عرفنا من ذلك قياساً لسموّ تاغور وارتفاع نفسه بل قياساً لانحطاط انفسهم وهوان أمرهم وقلة خطرهم ، فان الرجل المقلد المخدوع لا يزال يطول في تقليده ، ولا يزال يتوعَّر في الرأي الذي يراه ويعتسف طرق العلم اعتسافاً ؛ حتى يرميه الله بأصل من هذه الاصول الانسانية التي يقلدها ؛ فاذا هو مُفحَم

يتقاصر من طول ، ويتسهل من وعر ، ويهتدي من تعسف ، وينحط الى الوهدة بعد أن كان على الجبل ، ويسلم في نفسه ، ويُذعن برأيه ، وينقاد من حيث يأبى ومن حيث لا يأبى ، ويصبح وقد غمرته تلك النفس أشبه بالظل مما يرميه ويفىء به ، فهو مسخ في تمثيله الصورة ، وهو كذب عليها بما يطول ويقصر ، وهو على كل احواله إبهام سخيف مظلم لحقيقة شريفة نيّرة

وأنت أفلا ترى هذا من جبابرة العقول كتلك الشيمة في أخلاق العامة اذ لا يصلحون أبداً الا أن يكونوا تبعا ، ولا علم لهم إلا ما يربط في صدورهم من فلان وفلان ثم يعلمون بلا تحقيق ، ويحملون بلا تمييز ، ثم لا تكون نَهْمة أنفسهم مع الرجل العالم — اذا اجتمعوا به — الا في التسليم له ، واتقاء حقائقه ، والنزول عن آرائهم الى رأيه ، والخروج من انفسهم الى نفسه !

لقد قلنا من قبل ان جبابرة العقول هؤلاء الذين يأبون الاان يكونوا علماءنا وسادتنا ليصرّفوا عقولنا ويغيروا عقائدنا ويصلحوا آدابنا ويدخلونا في مَساخط الله ويهجموا بنا على مَحارمه ويركبونا معاصيه ، انْ هم في انفسهم الاّ عامة وجهلة وحمقى اذا وُزنوا بعلماء الامم وقيسوا الى حكماء الدنيا ، وما يكتبون للامة في نصيحتها وتعليمها إلا ما يتحوّل من كلمات وجمل في الصحف والكتب الى ان يصيروا في الواقع فُسّاقاً وفجرة وملحدين وساخرين ومفسدين . فالمصيبة فيهم من ناحية العلم الناقص في وزن المصيبة بهم من ناحية الخلق الفاسد ، وهاتان معاً في وزن المصيبة الكبرى التي يجنون بها على الامة لتهديمها فيما يعملون ، وتجديدها فيما يزعمون ...

لم أنخدع قط في هؤلاء من فلاسفة أو دكاترة أو جبابرة ، ولست أضع أمرهم الا على حقه ، فاني لأعرف أن الهر من قبيلة الأسد ولكن أسديته على الفأرية وحدها ... ولعلما عاقبة الجهل خير للامة من عواقب علمهم وتخبطهم وحماقاتهم ،

فانهم قوم مقلدون ، ولهم طباع معتلَّة زائغة : وعقول لا مِساك لها من دين او ضمير ، فما يجنحون إلا الى بدعة سيئة ، أو آفة محذورة ، أو فكرة متَّهمة . ولا يعملون إلا ما يشبه الظن بهم ، والرأي فيهم : من تمدين الاخلاق السافلة وإلحاقها بالعلم أو الفلسفة ، مع بقاء العقل ناضجاً صحيحاً يحكم على هذا الخبيث كما كان يحكم على ذلك الطيّب ، وليس من سبيل الى هذا الا من جهة تحويل الأخلاق ، فإن هي استمسكتْ ولم تتحول فها هنا موضع النزاع ومحل الخلاف ، ولا بد من حرب منا كحرب الاستقلال ، ثم حرب منهم كحرب الاستعمار ...

فالذي بيننا وبينهم ليس القديم والجديد ، ولا التأخر والتقدم ، ولا الجمود والتحوّل ، ولكن أخلاقنا وتجرّدهم منها ، ودينيا وإلحادهم فيه ، وكمالنا ونقصهم ، وتوثقنا وانحلالهم ، واعتصامنا بما يمكننا وتراخيهم تراخي الحبل لا يجد ما يشدّه

والآن أنظرُ الى قلمي فأرى شطره الاسود ما جُعل كذلك إلا ليزيد في جمال حُمْرته وبريقها ، ويكسبها لمعة لا تأتيها الا من السواد خاصة . والشرُّ خير اذا بقي محصوراً في موضعه ولم يتجاوزه . فاذا تنبهت الأمة لجبابرة العقول هؤلاء ، قلنا لا بأس بالسواد المظلم اذا كانت حكمته حمراء ... ...

مصطفى صادق الرافعي

﴿عِلم عليّ بن ابي طالب﴾

« كرم الله وجهه »

ينسب الى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه :

اذا المشكلات تصدّين لي كشفتُ حقائقها بالنظرْ
ولستُ بإمّعة في الرجال يسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مِذْرَبُ الاصغرين أبين مما مضى ماغبر

الزبير بن العوام

ابن عمة رسول الله ﷺ

أقام على عهد النبي وهديه حواريُّه (١) والقول بالفعل يعدلُ
أقام على منهاجه وطريقه يوالي وليَّ الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول اذا ما كان يوم محجل
اذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بابيضَ سبّاقٍ الى الموت يرقل (٢)
وان امرءاً كانت صفية أمه ومن أسد في بيتها لمرفل (٣)
له من رسول الله قربى قرابة ومن نصرة الاسلام مجدٌ مؤثل
فكم كربة ذَبَّ الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى فيجزل (٤)
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون ـ الدهرَ ـ مادام يذبل

حسّان بن ثابت

﴿ تعليقات على شعر حسّان ﴾

(١) روى جابر قال : قال لي النبي ﷺ يوم بنى قريظة :

— من يأتيني بخبر القوم ؟

فانتدب الزبير . فقال النبي ﷺ « ان لكلّ نبي حواريًا ، وحواريي الزبير »

وروى أحمد ـ من طريق عاصم عن زر ـ قال قيل لعلي :

— إنّ قاتل الزبير بالباب

قال : ليدخل قاتلُ ابن صفية النارَ . سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان لكل نبي حواريًا ، وان حواريي الزبير »

(٢) قال عروة : كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف كنت أدخل أصابعي فيها : ثنتين يوم بدر ، وواحدة يوم اليرموك

وكانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الملائكة نزلت على سيماء الزبير »

(٣) أم الزبير صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشقيقة حمزة . أمها هالة بنت وهب خالة النبي صلى الله عليه وسلم

وزوجها العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ . فالزبير من أسد في بيتها وعمود نسبها

وكانت صفية تحسن تأديب ابنها الزبير في صغره ، وتغلظ عليه . فعاتبها عمه نوفل بن خويلد وقال لها :

— انك لتضربينه ضرب مبغضة ؟

فرجزت به صفية وقالت :

من قال إني أُبغضهْ فقد كذبْ وإنما أضربهُ لكي يَلِبّْ

ويهزم الجيش ويأتي بالسَّلَب ولا يكن لماله خبأ مخب

يأكل ما في البيت من تمر وحبّ

أي أنها تريد أن تجعله لبيباً حكيماً شجاعاً ذا رجولة ومروءة . ولا تريد أن يكون قعيد بيته كالمرأة فيأكل ما في البيت من مئونة حصلها غيره

ومن مناقبها العجيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل نساءه يوم حرب الخندق مع حسان بن ثابت في أطمه الذي يقال له (فارع) — وكان حسان رجلَ شعر ، لا رجل حرب — جاء رجل من اليهود فرقى الاطم حتى أطلَّ على نساء النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت صفية لحسان :

— قم فاقتله !

فهاب حسان الامر وقال : لو كان ذلك فيَّ لكنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت صفية فأخذت عموداً فضربت به اليهودي حتى قتلته ، ثم طرحته على قومه وهم أسفل الاطم ، فقالوا :

— قد علمنا أن محمداً لم يكن ليترك أهله خلواً ليس معهم أحد

فتفرقوا عن ذلك الموضع . وصفية أول امرأة مسلمة قتلت رجلا من محاربي الدعوة الاسلامية

ولما انهزم المسلمون في يوم أُحُد جاءت صفية وبيدها رمح تضرب في وجوه المنهزمين . فنادى النبي صلى الله عليه وسلم :

— يا زبير ، المرأة . . .

ومن شعرها ترثي النبي صلى الله عليه وسلم يوم وفاته :

إن يوماً أتى عليك ليومٌ كُوِّرت شُمسُه ، وكان مضيئا

(٤) اسلم الزبير وله اثنتا عشرة سنة . وكان عمه يلفه في حصير ويدخن عليه ليرجع الى الكفر ، فيقول :

— لا أكفر أبداً

والزبير أول رجل سلَّ سيفاً في الاسلام . فقد شاع في مكة — والدعوة الاسلامية في بدايتها — أن النبي صلى الله عليه وسلم قُتل فخرج الزبير متجرِّداً بالسيف صلتاً يشق الناس بسيفه ، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة

ومناقب رجال ذلك العهد ونسائه أعظم من أن تحصى

﴿أخلاق معاوية﴾

ينسب الى معاوية بن أبي سفيان قوله :

قد عشتُ في الدهر ألواناً على خُلُق شتَّى وقاسيتُ فيه اللين والطبَعَا
كُلًّا لبستُ ، فلا النَّعماء تبطرني ولا تعودت من مكروهها جزعا

العصفور

سـاكنَ الأغصانِ غَرِّدْ للمُنى شِعراً وغَن
صوْتُكَ الصدَّاحُ سِحْرٌ يطردُ الأَحزانَ عَنِّي

*

أنتَ لا تخشى هُموماً أنتَ تحيا في اجتهادْ
تبصرُ الدُّنيا نعيما لم يُنغِّصْ بحِـدادْ

*

كلُّ ما فيها جميـلٌ طالما لم تَلْقَ أسْرا
كلُّ ما تهوى خليلٌ صادقٌ لا مُلْكُ (كِسْرى)

*

أنتَ عنوانُ المعالي أنتَ رمزٌ للوفاءْ
بالوُجودِ الحُرِّ غالٍ بالتَّسامي والإِباءْ

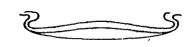
*

تُنفِقُ العُمْرَ مُجِدًّا دون أن تَنْسى القناعَهْ
لا ترى عمًّا وجدًّا رُكْنَ عجْزٍ أو بَراعَهْ

*

سـاكنَ الأغصانِ غرِّدْ صفْوَ ما يَهْوَى (الربيعْ)
اعطني درساً شهيًّا يُنْعِشُ القلبَ السَّميعْ

أبو شادي



القصيدة اليتيمة

(تحقيق عنها)

قرأت في مجلة (الزهراء) الغراء (المجلد الثالث الصفحة ال ٢٢٤) مقالة في هذه القصيدة ، وما رُوي عن ناظمها ؛ بما اضطربت فيه الأقوال ، وتلوّنت الآراء . فهي من القصائد التي ادعاها شعراء كثيرون ، أو ضاع ناظموها فنسبت الى غيرهم على ما يظهر لنا

وكنت قد بحثت كثيراً عن أسماء الذين قيل إنهم نظموها ، مثل أبي الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن المعروف بالعكوّك (أي السمين القصير مع صلابة) المولود في بغداد سنة ١٦٠ هـ والمتوفى سنة ٢١٣ هـ وقد ترجمه ابن خلكان في الجزء الأول الصفحة ال ٣٤٨ من طبعة مصر

ومثل أبي جعفر محمد بن عبد الله بن رزين (من اليمنية) الشاعر الملقب بأبي الشيص وهو ابن عم دِعْبِل الخزاعي توفي سنة ١٩٦ هـ كفيفاً كما في فوات الوفيات ٢ : ٢٢٥

ولم أجد أحداً تعرض لذكرها أو أنها لأحد هذين الشاعرين ، ولكن فهرس دار الكتب المصرية في القاهرة ٧ : ١٩٣ ذكرها وهو يصف مجموعة شعرية بقوله « ويليه قصائد عربية منها القصيدة التي تمارى عليها الشعراء وادعاها أكثرهم الى أن غلب عليها اثنان أحدهما أبو الشيص والثاني العكوّك اليمني الكندي ، وتماريا فيها ، وتمارى الرواة أيضاً لايهما هي ، الى أن صحت أنها للعكوّك ، وقيل بعد أن حلف عليها أربعين يميناً أنها لم تكن لغيره . أولها :

هل بالطلول لسائلٍ ردُّ أم هل لها بتكلم عهدُ » اه

ثم في الجزء السابع من الفهرس ذاته في الصفحة ال ٦٧٤ قال :

« قصيدة داليه للعكوك اليمني الكندي ـ وقيل لأبي شيص ـ أولها :

هل بالطلول لسائل ردُّ أم هل لها بتكلم عهدُ » اه

فأنت ترى كيف عاد الى الاضطراب بعد جزمه قبلاً أنها للعكوك

وبينما كنت أبحث في مجاميع الخزانة الظاهرية في دمشق أيام كنت عضواً في المجمع العلمي ـ والخزانة بيد المجمع ـ عثرت على مجموعة رقم ٧٩ جاء فيها :

« (٢) القصيدة اليتيمة لدوقلة بن العبد المنجبي أولها :

هل بالطلول لسائل ردُّ أم هل لها بتكلم عهدُ » اه

ثم طالعتُ في مجلة الهلال١٤ : ١٧٤ قصة نظم القصيدة ونشرَها الاَّ أبياتاً لا يليق ذكرها . وعدتُ فقرأت في الهلال ٢١ : ١١٧ كلاماً عنها جاء فيه عن ناظمها « يستدل أنه من تهامة لقوله :

ان تتهمي فتهامة وطني أو تنجدي ان الهوى نجدُ » اه

ورأيت القصيدة وقصتها في مجلة النور (اللبنانية) الصفحة ٦٦٨ من المجلد الثاني ولم يذكر ناظمها . ثم قرأت في بعض المجاميع المخطوطة التي وقفت عليها ما يدل أنها من نظم (دوقلة) المذكور ، وانها سميت (اليتيمة) لانها سببت قتل ناظمها بقصة طويلة . وقيل في مجاميع أخرى إنها سميت (التيميةً) نسبة الى تيم الله لأن ناظمها من هذه القبيلة وهو قد قال منها :

هيهات يأبى ذاك لي سَلَفٌ خمدوا ولم يخمد لهم مجدُ

فالجدّ كندة والبنون همُ فزكا البنون وأنجب الجدُّ

مما يدل على أنهُ كنديّ . والله أعلم

أما رواية القصيدة فتختلف كثيراً في ما وقفت عليه من نسخها المتعددة ، حتى أصلحتُ نسخة ربما كانت مما يعوّل عليه بعد المراجعات الجمّة وسئلت عنها في مجلتي الآثار (٢ : ٢٧٤) فاجبت مثل ما تمثل لي مما وقفت عليه من نسخها ولا سيما في الخزانة الظاهرية الدمشقية

﴿ معارضة اليتيمة ﴾

ولقد قرأت نسخة من (المغرب في حلى المغرب) لأبى الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي المتوفى في تونس سنة ٦٨٥ هـ نقلها المستشرق الروسي سمُوْ غُرْجفْسكي البولوني الأصل الذي جاء رحلة قبل الحرب بقليل وتفقد مخطوطاتي ، وهذه النسخة منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية في القاهرة وهي الجزء الخامس عشر من الكتاب الذي رتب بطريقة غريبة أشبه بفصول العقد الفريد لابن عبد ربه وأبوابه . فذاك اتخذها من أنواع الحجارة الكريمة ولكن هذا اتخذها هكذا (١) البساط أو المنصَّة في وصف البلدة (٢) العصابة أو التاج في حكامها (٣) السلك ـ في المشهورين فيها : ذوى البيوت والشعراء والوزراء والكتاب والعمال والعلماء والحكام والرؤساء والقواد والزهاد (٤) الأهداب للزجل والموشحات فقط . وهو من نوادر الكتب التى ضاعت أجزاؤها ولم يوجد منها الا القليل في بعض الخزائن ، ففي القطر المصري وجد هذا الجزء في دار الكتب المصرية وبعض أجزاء ناقصة في خزانة آل رفاعة الطهطاوي . وطبع الجزء الرابع من الكتاب في ليدن (هولندة) سنة ١٨٩٨ في ١٨٠ صفحة بقطع نصف عريض كبير عن نسخة دار الكتب المصرية

ومن غريب ما يروى عن كتاب (المغرب) وصنوه (المشرق) أنهما في مائة وخمسين سفراً صنفهما في مائة وخمس عشرة سنة جماعة من أهل الاعتناء بالأدب خاتمتهم ابن سعيد هذا ، وقد تعاقب على تأليفه خمسة من آبائه قبله . مما لا محل الآن لتفصيله

فوقفت في ذلك المخطوط على معارضة (لليتيمة) نظم أبى عبد الله محمد بن غالب الرصافي (نسبة الى رصافة بلنسية) وهو ابن رومي الاندلس قالها فى أبي

جعفر الرُقَّشي وزير ابن همشك . وهذا ما أورده منها أذكره لمعارضته (باليتيمة) ولندرة وجوده :

أَلِأَجْرَعٍ تحتله هندُ ... يندى النسيم ويأرج النَّدُّ
ويطيب واديهِ بموردها ... حتى ادّعى في مائه الوردُ
نعم الخليط نضحتُ جانحتي ... بحديثه لو يبرد الوجد
يحييك من فيهِ بعاطرهِ ... لو فاه عنها المسكُ لم يعدُ
ياسعد قد طاب الحديث فزد ... منهُ أخا نجواك يا سعدُ
فلقد تجدد لي الغرام وان ... بلي الهوى وتقادم العهدُ
ذكرٌ يمرُّ على الفؤاد كما ... يوحى اليك بسقطهِ الزَّندُ
واذا خلوتُ بها تمثل لي ... ذاك الزمان وعيشهُ الرغدُ
واقاء جيرتنا غداتئذٍ ... متيسرٌ ومرامهم قصدُ
وخيامهم ايام مضربها ... سقط اللوى وكثيبه الفردُ
أعدو بها طوراً وربتما ... رعت الفلا والليل مسودٌّ
لكواكبٍ هي في تراكبها ... حلق الدروع يضمها السردُ
من كل أروع حشو مغفرهِ ... وجهٌ اغرُّ وفاحمٌ جعدُ
ذكر الوزير الرُقَّشيُّ لهم ... فانارهم للقائهِ الودُّ
مترقبين حلول ساحتهِ ... حتى كأنَّ لقاءهُ الخلدُ
قد رنحتهم من شمائله ... ذكرى كما يتضوَّع النَد
نعم الحديث الحلو تملكه ... للركب[1] حيث رمى بها الوخدُ
يا صاحبيَّ أخبرهُ عجبٌ ... لكما على ظمإٍ بها وِرْدُ
أم ذكرهُ تتعلّلان بهِ ... اذ ليس منهُ لذي فمٍ بُدُّ

(١) في الاصل (للركبان) وهو مما لا يستقيم الوزن به فأبدلته بقولي (للركب) ليستقيم

شفتيكما فالنحل جاثمة ... مما يسيل عليهما الشهدُ
رجل اذا عرض الرجال له ... كثر العديد وأعوز الندُّ
من معشر نجم المقال بهم ... زهراً كما يتساوق العقدُ
لبسوا الوزارة معلمين بها ... ومع الصنائف[1] يحسن البردُ
مستأنفين قديم مجدهم ... يبنى الحفيد كما بنى الجدُّ
حمدوا الى حد وأعقبهم ... حمد بأحمدها له حدُّ
وكأنما فاق الانام بهم ... نسب الى العمرين ممتدُّ
فيرى وليدهم المنام على ... عبر المجرة أنهُ مهدُ
ويرى الحيا في مزنه فيرى ... أن الرضاع لربّه صدُّ
وكأنما ولدوا ليكتفلوا ... حيث السنا والسؤدد العدُّ
فعلت كرائمهم بهم ... [2] ... وعلا السماء النهدُ والمهدُ

ومنها :

ضمن النوالُ بأن تروح اليــــه العيسُ معلمة كما تغدو
ولقد أراني بالبلاد وآمالــــ البلاد ببابه وفدُ
وهباته تصف الندى بيدٍ ... عليا أقدم وفدها المجدُ
خفقت بها في الطرس بارقة ... حدق المنى[3] من دونها رُمْدُ
محمولة حمل الحسام وان ... جني النجاد هناك والغمدُ
يسطو بها فأقول يا عجبا ... ماذا ترى عليائهُ الجدُّ
حتى اليراعة بين أعله ... يأقوم مما يطبع الهندُ

ومنها:

والامر أشهر في فضائله ... ما ان يلبسها لك البعدُ

(١) كذا في الاصل ولعلها (السفائف) جمع سفيفة اي نسيج الخوص
(٢) هكذا في الاصل سقطت كلمة منه لعلها (نسباً)
(٣) في الاصل (حدق التمني) ولا يستقيم به الوزن فابدلتها (بالمنى) ليستقيم

هيهات يذهب عنك موضعهُ هطل الغمامُ وجلجل الرعدُ
أعربت عن مكنون سؤددهِ ما تعجم الورقاء اذ تشدو
سوَراً من الامداح محكمةً من آيهن الشكر والحمدُ
ولعلَّ ما يخفى وراءَ فمٍ مردودهُ اضعاف مايبدو

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

﴿ اللغة الخالدة ﴾

قرأنا في مجلة (النور) التي تطبع في اللاذقية (١ : ٤٩٦) مقالة ممتعة هذه خاتمتها :

من حقّ لغة الضاد الشريفة المتسعة الدقيقة أن لا يعقَّها بعضُ أبنائها من حيث يتوهمون لها اصلاحاً وتزييناً ، فان لها جمالاً ثابتاً ومادَّةَ قوَّةٍ لا تنفد ، تستقيها في أكثر الاحوال من ينبوعي الاشتقاق والمجاز اللذين يغنيان عن الوضع فهو أكبر خطر على هذه اللغة ، لاسيما اذا طمى سيله بحيث يتنكَّر وجهها في قليل من الدهر وتصبح لغة الغد غير لغة اليوم مما نراه في لغات أوروبا ، اذ لا تكاد الواحدة فيها تبقى على إهابها أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون ، ثم تتقمص صورة جديدة . وأما لغتنا فهي وحدها اللغة الخالدة إذا صحت نسبة الخلود الى شيء من شئون البشر . وها نحن اليوم نفهم كلام امرىء القيس مثلاً وقد مضى عليه خمسة عشر قرناً ، ولو كان امرؤ القيس حياًّ لفهم كلامنا أيضاً . وبديهي أن الفضل الاعظم في ذلك عائد الى القرآن الشريف ودينِ القرآن ، فهما لا يحتملان تقمصاً ولا تناسخاً في لغة الوحي هذه . ورحم الله كل عالمٍ وأديب يغار عليها ويتغالى في خدمتها جهده منشداً بلسان حالها قول القائل :

لا تَدْعُني إلا بيا عبدَها فانه أشرفُ أسمائي

الدوار مرقص

تاغور

﴿ بيئته ﴾

ولد تاغور في كلكتة قاعدة بلاد البنغال يوم ٢٦ شوال ١٢٧٧ (٧ مايو ١٨٦١) من اسرة برهمية سلك رجالها الى المكانة والشهرة والمجد جميع المسالك : فكان منهم المنغمسُ في الوجاهة وحبّ الجاه ، والمتسربل بملابس الكهنوت البرهمي ، والمشتغل بالعلم أو بالقانون أو بالفن

وكان جدُّ تاغور — واسمه دوار كَنات تاغور — يتعاطى التجارة وهو من كبار متموّلي الهند ، وبلغ من المكانة في قومه أنهم كانوا يعترفون له بالرآسة ويلقبونه بلقب الامارة . ودوار كَنات ثاني اثنين من البرهميين فكّرا في إدخال شيء من الاصلاح على دين البراهمة وتخفيف وطأة البدع عنه

ونشأ ابنه ديبدرانات تاغور — وهو والد الشاعر — متأثراً بنزعة أبيه الى الاصلاح ومتشبّثاً بأهداب هذه الفكرة ، لِما بثّه أبوه في قلبه ونفسه من محبّة البرهمية وابتغاء الخير لها ، فكان يحاول نفخ روح جديد فيها ليجعلها ذات معاني ومغازي في نظر الذين تعلّموا بالطرق الاوروبية . وهو — مع ذلك — حريص كل الحرص على الرجوع بالبرهمية الى أصلها . ومن رأيه أن الزمان صار بها الى حالة من الجمود جعلتها في شكل منحطّ من أشكال الوثنية ، ومن الواجب نشر الدعاية الى احياء ما قاله قدماء البرهميين في معنى التوحيد المستمد من فكرة وحدة الوجود بشكل بسيط يتسع به مجال التخيل ويكون مقبولا عند العصريين وقد حلّى هذه العقيدة بخيالات لطيفة مستمدة من تقاليد البراهمة ومنتزعة من الفكرة الصوفية الشاملة

ولما مات جدُّ الشاعر أراد ابوه هذا أن يدفنه على طريقة مخالفة لعادات أهل ملته ، ثم حارب عادة حرق الأرامل اذا مات ازواجهنّ ، وكان ذلك قبل أن يمنع الانكليز هذه العادة الفظيعة في الهند . وقد حالف النجاح والد الشاعر في مساعيه الاصلاحية لأن الحكومة البريطانية كانت عونا له في بعض ذلك ، ولأنه هو بذاته كان على جانب عظيم من الزهد والعبادة والتقوى ـ على طريقتهم ـ حتى وصل في الرآسة الدينية الى رتبة « مهاراشي » أي القدّيس

ورابندرانات تاغور أصغر إخوة له سبعةٍ كانوا ذوي مكانة وعلى جانب من النجاح . ولعل الشاعر هو الذي صارت اليه وراثة المكانة الدينية عن أبيه ، لأنه أبرُّ اخوته بدين براهما وأصبرهم على خدمته . غير أن له طريقاً سنأتي على وصفه في هذه العجالة . أما طريق التصلُّب في العقيدة والانتصار لجانب الجمود من تقاليدها فقد انتهت الرآسة فيه سنة ١٩٢١ م الى رجل آخر من أسرة تاغور هو المهاراشي بروديوت كومار تاغور

﴿ طفولته ﴾

رضع الشاعر تاغور لبان البرهمية والاعجاب بها والتعلق باسبابها منذ كان طفلاً في حجر أبيه الزاهد المتقشّف . وكان أول ما قال الشعر وهو في السابعة من عمره ، فقد قرأ ابن عم له شعراً قديماً من شعر البراهمة وسأله : هل تحسن أن تقول مثل هذا ؟ فنظم تاغور كلاماً في وصف زهرة النيلوفر وقد اعترف تاغور لصديقنا السيد كريم ثابت ـ كما اعترف لغيره من قبله ـ بأنه لم يكن يطيق في صغره الذهاب الى المدرسة ، وكان يهرب منها فراراً من قيود نظامها . وكان أبغض الناس اليه أساتذة المدرسة الذين كانوا عنده بمنزلة السجانين . وفي الثالثة عشرة من عمره بلغ أمنيته من الانقطاع عن المدرسة ، وصار يدرس بنفسه . قال : وكنت عندما بدأت أدرس بنفسي لا أفهم ـ في معظم الاحيان ـ

ما أقرأ ، غير أني كنت كلما أعدت القراءة أستطيع أن أقرّب الى نفسي معنى ما أقرأ »

﴿ شبابه ﴾

سافر تاغور الى انكلترا في أيام شبابه ليدرس القانون ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى وطنه ، لأن حظه من الجامعة وهو كبير لم يكن أحسن من حظّه من الكتّاب وهو صغير . فانصرف الى دراسة الدين والفلسفة والأدب بنفسه الى أن امتلأ قلبه ثقة بالقدرة على الظهور للناس ، فاقتبس ـ وهو في الثامنة عشرة من عمره ـ موضوعاً من كتاب البرهميين المقدّس (مهابها راتا) بنى عليه رواية تمثيلية شعرية سمّاها (شتر) ، ولما أذاعها كان لها عند حملة الأقلام وقع حسن

وفي الثانية والعشرين من عمره تزوّج وانصرف الى الشعر والتأليف في منزل له صغير بمدينة كلكتة ، وكان على اتصال بأدباء اللغتين البنغالية والانكليزية وفقهاء الملة البرهمية ، يستفيد من مجالستهم ويتبادل معهم الآراء ، وينشر ثمرات تفكيره ونتائج أبحاثه في مجلات البنغال وجرائدها . ثم ندبه أبوه للاشراف على مزرعة له ، فانفسح له في الحياة القروية مجال التفكير والتأليف ، وصار يستمدّ من سذاجة هذه الحياة وبساطة أهلها همة جديدةً للبحث عن تاريخ البراهمة وأصل عاداتهم وعقائدهم وحضارتهم ، محاولاً إحياء ما يراه من ذلك حسناً والتزهيدَ بسخافات يرى أنها دخيلة عليها

﴿ البرهمية واستمداد تاغور من تصوّراتها ﴾

البرهمية منسوبة الى برَهما معبودِ أهل هذه الملةِ ، وهم يرونه واحداً ذا ثلاثة أقانيم : أحدها برهما نفسه ، وهو عندهم الخالق القادر . والثاني ويشنو Wishnow وهو الحكيم مانح البركة والعون ، وعندهم أنه يهبط كلّ ليلة الى

الارض "بزيّ" البشر ، فيمدّ الصادقين المخلصين بالمعونة والفلاح . والثالث سيڤا Siva ينبوع الشرّ وإله الابادة والتخريب . وهؤلاء الثلاثة أقانيم متعددة لاله واحد هو برهما . وان له عندهم صنما تعبده العامّة ذو أربعة رءوس وأربعة أيدي ، وفي أيديه سلسلة يزعمون أن العالَم مرتبط بها

ويعتقد البراهمة بتناسخ النفس وخلودها كما يعتقدون بوحدة الوجود التي تنتهي الى الاعتقاد بحلول الخالق في مخلوقاته وتجلّيه فيها لخاصة الناس على تفاوت مداركهم ، وهذا مايسميه البراهمة في كتاب (اليوبانيشاد) : سرّ الفرد في روحه . ويشترطون تجرّد الانسان من مظاهر الحياة الباطلة لينبثق فيه المخلوق الصافي ، ثم الجوهر الفرد الشامل وهو برهما . وهذا الجوهر الفرد هو الحقيقة التي تلازم الموجودات الخالدة ، ويستحيل وجودها في العالم الخارجي ذي الظواهر المطَّردة الزوال . وإنما يتوصل الخاصة الى ذلك بالروح عند فناء الشخصية المفكرة في القوة الآلهية التي تهب التفكير ، أو بتعبير آخر عند ركون الشخصية المطلقة للجانب اللاتنبهي في النفس الذي يمثل قوة الله . ولا يتوصل العقل الى ذلك إلا اذا اندمج في الله اندماجاً تجرّدياً صوفياً (١)

فكَّر تاغور كثيراً في هذه العقيدة التي تشرَّبت بها عقول أجداده وقلوبهم ، فوجد نفسه بين عاملين يتنازعان نفسه ومداركه : أحدهما الوفاء للملّة التي ينتسب اليها ، والثاني اصطدام هذا الوفاء بعقبة لاحياة لقومه إلا بازالتها وهي عقيدة فناء الشخصية المفكرة في القوة الآلهية أو ركون الشخصية المطلقة للجانب اللاتنبهي في النفس وهو الجانب الذي يمثل القوة الألهية بزعمهم . فعقيدة الفناء هذه من شأنها أن تجعل المعتقدين بها من أضعف أمم الأرض في معترك الحياة لما فيها من انكار حقيقة الوجود الانساني وتقريرها أن المظاهر الدنيوية خيال محض وأن

(١) صحيفة البلاغ ٢٤ جمادي الاولى ١٣٤٥

العقل قوة سلبية يجب أن تبتعد عن معترك الحياة لتقترب من الله . ووجد تاغور مخرجاً من هذه الورطة فيما قرأه من كتابات حكماء البراهمة الويشنويين ـ نسبة الى الاقنوم الثاني ويشنو مانح البركة والعون ـ وكانت لهؤلاء طريقة في البرهمية وضعوا قواعدها منذ سبعة قرون وذهبوا فيها الى ما يناقض فكرة وحدة الوجود وأبانوا عن الفارق بين المخلوق والخالق . لكن هذا المذهب يكاد يكون خروجاً عن روح الديانة البرهمية لأنه ينكر أصلاً من أصولها الاساسية التي يرى فيها تاغور ينبوعا لشعره الصوفي وفلسفته البرهمية ، فترجح عنده أن يعمل بأقوال فئة أخرى من هؤلاء الويشنويين اعتدلت في الاعتقاد بوحدة الوجود فاثبتت الفارق بين الخليقة وخالقها وجنحت الى نوع من العبادة تسميه « الحبّ الصوفي » وترى أنه يجمع الانسان بالمهيمن عليه لكنه محب له رءوف به . فلما وصل تاغور الى هنا وجد ضالته التي ينشدها وانفتح له باب واسع الى شعر لا ينضب ينبوعه ، وصار نظم المعاني الصوفية سهلاً عليه ، كسهولة التأليف في هذه المعاني على ابن عربي وغيره من متصوّفي الاسلام

﴿ برهمية تاغور ﴾

لروح العصر الحاضر تأثير كبير في تعديل عقيده تاغور وتكوين برهميته الجديدة . فبعد أن كان مفهوم البرهمية قبل تاغور ملازماً لفناء شخصية الانسان وتجرّد روحه من ملابسات الحياة اليومية ، واعتقاد أن البرهمي يتقرب بذلك الى الله ويصير جزءاً سامياً من أجزاء وحدة الوجود التي يحتلّ فيها الموجد ، صارت هذه العقيدة عند تاغور الى عكس ذلك تماماً ، كما سمعه المصريون في مسرح الحمراء بالاسكندرية يوم ٢٢ جمادى الاولى (٢٧ نوفمبر) يعرب عن شدة إيمانه بقوّة الفرد إذا أطلق من قيود الحوادث والمصالح والأمور الواقعة . وقد أشار يومئذ الى معنى جديد من معاني وحدة الوجود باعلانه تقديس ما في

الطبيعة من حياة تتجلى في كل شيء حي ، وقام يدعو الى التجرد من قيود الأمور الواقعة ، والانطلاق الى حيث تجد النفوس ما تتوق اليه من حقيقة الحياة الروحية التي هي أساس الكمال الانساني ومصدر الطمأنينة النفسية [١] . قال تاغور : فالانسان لا يستطيع الشعور بالغبطة إذا لم يلمس أسبابها ، ويعرف مصادرها . وان الذي يعرف حقيقة الحياة ومصادرها يغتبط بها إذا وصل الى قلبه وحيها وإلهامها وصدقها وماهيتها المجردة من عوامل الوقائع والحوادث

فتاغور يدعو البراهمة – وغيرهم من قراء شعره – الى تحرير أفكارهم من عوامل الرغبة والرهبة في الشئون الدنيوية ، ومن الشهوات والمطامع وسائر المؤثرات التي تعترض الانسان في طريق الحياة ، ويرى أن الفكر اذا انحل من هذه القيود استطاع أن يتمتع بالحقائق التي لا تقبل التقييد ، وهذا التحرير هو مصدر شعر تاغور كما أعلن هو ذلك في الاسكندرية

والذي فهمته – على بعدنا من بلاد البنغال ، وجهلنا بلغتهم ، وقلة مالدينا من المعارف عن تطور البرهمية – أن تاغور أكمل مابدأ به جده ثم أبوه من حركة الاصلاح في عقيدة القوم ، لتكون أشبه بمقتضيات هذا الزمان . واذا لاحظنا أن في رؤساء الملة البرهمية جمهوراً لايرى رأي تاغور فيما يدعو اليه مما يسميه إصلاحاً ، وفي مقدمة هؤلاء المحافظين رجل من أسرته وهو المهاراشي بروديوت كومار تاغور ، استطعنا أن نحكم بأن الشعب البرهمي يحترم في تاغور مكانته عند الأوربيين ، أما أدبه وحكمته فمادام ينبوعهما ذلك المذهب الديني الخاص به وبفئة قليلة من المعجبين به ، فليس من المعقول أن تكون لمؤلفات تاغور سلطة واسعة على عقول جمهور البراهمة فضلاً عن غيرهم من أهل الملل

(١) اعتمدت في فهم ذلك على الخلاصة التي كتبها الاستاذ السيد عباس المصفي مراسل الاهرام الاسكندري ، وقد رأيته مدركا للمغازي التي أراد تاغور أن يشير اليها

الهندية الأخرى . واذا ساعد الزمان على تحسين الناس هناك رأيهم فيما يدعو اليه فلعل ذلك يتم بعد أن يتداول أنصار تاغور آراءه ويتعصبوا لها فتعتريها حالة الجمود

﴿ أدب تاغور واهتمام الأوربيين به ﴾

ان المزية التي امتاز بها تاغور هي أنه جعل ديانته ينبوعاً لتفكيره فأرضى بذلك ضميره الملّي، وجعل للاساطير الدينية المنتشرة قصصها على ألسنة فلاحي البراهمة وعامتهم توجيهات ذاتَ مغزًى حكمي وصبَغَها بألوان من الخيال توافق ذوق هذا العصر . وهو كجميع الافاضل من رجال الهند يحسن اللغة الانكليزية كأرقى أهلها ، فاستطاع أن ينقل بعض كتبه ومنظوماته الى اللغة الانكليزية التي يسهل على غير الانكليز من الافرنج أن يقفوا على ما يُكتب بها

وكان الاوربيون اذا ذكروا براهمة الهند تمثلت لهم من ذلك الجانب الهندي صورتان : احداهما تمثل الغابات ملأى بالنمور وأفاعي البحر مما لا حقيقة له ولا وجود الا في مخيلتهم ، كما قال تاغور في مسرح حديقة الأزبكية بالقاهرة يوم ٢٤ جمادى الاولى (٢٩ نوفمبر) . والصورة الأخرى صورة فلسفة الطيَرة والابتئاس بالوجود الداعية الى فناء الشخصيات فيما تأمر به العقيدة الدينية . وتاغور بعد أن توصل الى المعاني الجديدة التي أشرنا اليها آنفاً صار ينكر ان ذلك من العقائد البرهمية ، ويقول للأوربيين — كما ذكر في خطبته في مسرح حديقة الازبكية — « ان الطيرة المبتئسة لا توجد الا في الغرب وعند العلماء الذين لا يرون للوجود وحدة ، وينظرون لدقائقه على أنها ترجع الى العدم . أما نحن الهنود — يريد البرهميين — فنؤمن بشيء لا نهائي هو سرّ الوجود وليس فيه شيء من معنى العدم . وغاية أدياننا جميعاً أن تدفعنا لنجد حرّيتنا في هذا اللانهائي الكائن على أنه حقيقة ملموسة مفهومة . ولا يمكن أن يكون تطيراً ما هو إيمان بشيء موجود تمكن معرفته من طريق الروح »

فلما طلع تاغور على الأوروبيين بأساليب أخرى من الشعر تجلّت لهم فيها تصوُّرات غير تصوراتهم ، وقد أجادَ إفراغَها في لغة من لغاتهم ، أقبلوا على قراءتها معجَبين بها ، كما أُعجبوا قبلها برباعيات الخيّام وما على شاكلتها ؛ فكانت عندهم أدبًا طريفًا لانها انتقلت بهم الى عالَم آخر من عوالم الفكر والخيال وكانت عندهم شيئًا عجيبًا لأنهم أعتبروا مجالها الواسعَ من مخترعات تاغور ومعانيه المبتكرة . والواقع أن ذلك المجال هو عقيدة البرهميين ، وتلك المعاني هي الصوفية الموروثة عن أسلافة . أليس هو الذي سمعناه يقول في مسرح حديقة الازبكية : « الشعر هو جواب الروح الخالدة لنداء الحقّ الكائن في كل مكان ، والشاعر هو الذي يرى الحقيقة ويبينها »

ونحن وان أرجعنا مجال تاغور الشعري الى البرهمية والتصوّف الموروث لاننكر عليه فضله في تحويل هذه التصوّرات الى ذوق عصره ، وقد برهنَ على أنه كان بارعًا في التعبير عنها ، وليس هذا عندنا بالامر اليسير . وقد شهدتْ صحيفة (الاوبزرفر) الانكليزية لتاغور عقب صدور كتابه (البستاني) بدقة الملاحظة وجودة البيان فقالت « هذا الشاعر يتناول الصغائر المألوفة من أمور الناس ويصنعها درراً تتألق فيها روعات السماء وجلال الحبّ والحياة ، فهو من ذوي الرؤية ، وهو في الحبّ بصير »

﴿ ما يعرفه من اللغات ـ ورأيه في الترجمة ـ ووطنيته ﴾

علمتَ أن من أسباب شهرة تاغور في أوربا قدرته على إفراغ تصوّراته في بيانِ لغةٍ من لغاتها وهي الانكليزية . وقد شهد كلُّ من سمعه يخطب بها أنه كأرقى أبنائها معرفة بها . وهو لايعرف غيرها الى جانب لغته البنغالية ، بل لا يعرف اللغة الاوردية الشائعة في الهند ، حتى كان يُضطر وهو في مصر أن يكلم غير البنغاليين من الهنود بالانكليزية

ومن رأيه في الترجمة أن قوة البيان لا تكون واحدة في الاصل والمنقول عنه، لأن لكل كلمة جواً خاصاً بها في لغتها، واذا أمكن ترجمة تلك الكلمة فان هذا الجو لا يترجم . واذا كان المترجَم شعراً فان موسيقى الشعر بلغته الاصلية لاتنقل بالترجمة الى لغة أخرى ، ولو كان مترجمها باللغة الثانية هو صاحب الشعر باللغة الأولى

وقال في آخر حفلة أقيمت له بالقاهرة جواباً على خطبة وزير المعارف المصرية : اني آسفٌ على أن لا أستطيع الكلام بينكم بلغتي القومية ، كما تكلم صديقي وزير المعارف بلغته العربية ؛ فعسيرٌ أن يؤديَ الانسان ما في أعماق عواطفه بغير لغة أهله »

وكنت أحبُّ أن تكون قاعة فندق شبرد ـ عند ما قال فيها تاغور هذه الكلمة ـ مملوءةً بكل ناطق بالضاد من شبابنا الذين يتظرفون بدسّ الرطانة الاعجمية في أحاديثهم العربية ، لعلَّهم ينتهون عن هذا الغشّ والتخليط اذا سمعوا تاغور الساحر ببيانه الانكليزي كيف يأسف ويتحسّر اذا حيل بينه وبين أداء ما في أعماق عواطفه بلغة أهله

ويضارع محبةَ تاغور للغته شدّةُ تمسكه بزيّ قومه ، فخرج يطوف أوربا كلها بالملابس الهندية من قلنسوته الى ثوبه فجبّته فحذائه ، لايخجل من شيء منها كما يخجل مستشعرو الذلّ بقوميتهم من شبّاننا الذين يضعون على رءوسهم برنيطة الغالبين والغاصبين

ومع أن تاغور من دعاة التعاون بين الأمم ، وهو يعتبر صلةَ الحبّ فيما بينها من مقتضيات دينه القائل بوحدة الوجود واتصالِ حلقاته اتصالَ قرابة وتجانس ؛ فانه ـ مع ذلك ـ وطنيٌّ بكل ما نفهمه من معاني الوطنية ، وقوميٌّ بجميع ما تتضمنه معاني القومية . وقد أعاد الى حاكم الهند رتبة الشرف التي

أنعم بها عليه ملك انكلترا احتجاجاً على ما اتخذه الانكليز من وسائل العنف لاخماد الحركة الوطنية في البنجاب، وكتب بذلك كتابا الى الحاكم العام يستنكر فيه تلك الاعمال

﴿ دعايةُ التعاون والحبّ العام ﴾

أنا لا أشكُّ في أن تاغور إنما يدعو الامم الى التعاون والحبّ العام بدافع من مبادئه البرهمية، ويتقيد في ذلك بقواعدها الاساسية، بحيث لو استقرأتَ ما قاله فيها من الشعر، وما أورده من الكلمات على ألسنة أشخاص رواياته، لرأيته ينزع في كل ذلك الى القرابة الناشئة عن وحدة الوجود بالمعنى العصريّ الذي تخيّله جدُّه، وتوسع فيه أبوه، وسجّله هو في دواوينه وقصصه ورواياته. وقد علمتَ مما تقدَّم أن العمل الاصلاحي الذي ورثه تاغور عن أبيه وجدّه كان يتفق مع ميول السلطة البريطانية سواء تظاهرت بتشجيع هذه الحركة الاصلاحية أو رأت المصلحة في أن لا تتظاهر. ولا غُبار على ما يشعر به البريطانيون من ضرورة تأييد جدّ تاغور في مثل تقبيحه حرقَ الأرامل اذا مات أزواجهن، لأن مثل هذا العمل الهمجي يجب على جدّ تاغور أن ينزّه عنه ديانته كما يجب على الانكليز أن يؤيدوا كل من يدعو الى مثل ذلك. —

وأما فكرة التعاون والحبّ العام فمهما كان مبلغ اتفاقها مع مبادىء البرهمية فلا ريب أن الشطر الاعظم من الفائدة في هذه الدعاية يعود على الأمم القوية بما يخفف من حدّة إعراض الامم الضعيفة عنها وجموحها منها. ولم أر في خاصَّتنا رجلاً أدرك هذا السرّ كما أدركه شاعر العرب الاكبر الاستاذ الشيخ عبد المحسن الكاظمي، فقد جلس معي ساعة كاملة أو أكثر وهو يجمع لي البراهين وينبهني اليها ليقنعني بأن دعوة تاغور الى التعاون والحبّ العام تفيد البريطانيين أكثر من فائدتها للهنود. وقد أذكرني هذا الشيخ

العربي الحكيم — ببراهينه وأساليبه — ما كان قاله لي أخي الشهيد السعيد الامير عارف الشهابي بمناسبة قصيدة الاستاذ الرصافي التي عنوانها (أبو دلامة والمستقبل) فقد كان رحمة الله عليه لا يرى أن تُبَث مثل هذه المعاني فى نفوس أمة ضعيفة

ولا أحسبني أبعدتُ إذا قلت إن تاغور — وهو يخدم الامم القوية في دعوته الى التعاون والحبّ العام — مقتنعٌ بأنه يجذب الامم القوية والضعيفة معاً الى مبادئه البرهمية ، وأن ذلك يأوَّل — ولو في المستقبل البعيد — الى تقريب البشر من ديانته وتحبيبها اليهم . وهو يسمّي هذا المعنى وأمثاله من المعاني البرهمية باسم (فلسفة الهند) ومن ينبوعه يغترف إذا خطب أو كتب فى بيان مايسميه فلسفة الهند . وفي اعتقاد تاغور أن أهل جميع الملل الكبرى في العالم من مسلمين ونصارى ويهود وملاحدة — كل هؤلاء — فى قيد ثقيل من عقائدهم حتى يفهموا وحدة الوجود وديانة الحبّ العامّ كما فهمها هو من كتب أسلافه البراهمة ، فاذا أدرك الناس ذلك كان مثَلهم كمثل فرخ الدجاجة قبل خروجه من البيضة فان قشرتها تغطيه فلا يعرف من أمر الوجود شيئاً غير هذا السجن الذي يحيط به وهذه القشرة التى تحميه ، فاذا دفعته غريزته الى كسر القشرة خرج منها الى الحياة . وعند تاغور أن خروج النفس البشرية الى محيط أفكاره السابحة في اللانهائية البرهمية يشبه خروج فرخ الدجاجة من البيضة الى هذا العالم وهو يسمي هذا الخروج (حرّية) ، فالحرية في شعر تاغور معنى غير معناها الذي تعلّمه شبابنا من أساتذتهم الغربيين . وطريق الوصول الى هذا الحرية البرهمية هى — كما قال تاغور فى مسرح حديقة الازبكية بالقاهرة — « أن يتصل الناس بالاشياء المحيطة بهم عن طريق الروح » ولهذا الاتصال بالاشياء عن طريق الروح معنى خاصّ به فى مذهب وحدة الوجود .

﴿ مؤلفاته ﴾

سأل السيد كريم ثابت الشاعرَ تاغور عن عدد مؤلفاته ، فأجابه :

— أوه ، من الصعب عليَّ أن أجيب على هذا السؤال ولو بوجه التقريب ، فقد كتبتُ شيئاً كثيراً جداً

ويقال إن عدد مؤلفاته بلغ ستين كتابا نصفها منظوم والنصف الآخر منثور . وما لم يكن شعراً فأكثره روايات تمثيلية أو قصص . وقد علمتَ أن المهمة التى أخذها تاغور على عاتقه هي إفراغ البرهمية والمعقول من تصوّراتها وعقائدها في قالب عصري ، لذلك تجد بعض مؤلفاته منقولاً بتصرُّف عن كتب البرهميين القديمة باللغة البنغالية الحديثة ، ثم نقل بعضها الى الانكليزية بقلمه نظماً أو نثراً ، وكتب بعض مؤلفاته بالانكليزية مباشرة

وقد تقدَّم في الكلام على شبابه أن أول ماظهر من مؤلفاته رواية (شِترا) وقد نقلها الى العربية محمود المنجورى افندي

ثم كان ابتداء شهرته بكتابه (أغاني المساء) الذي نشره سنة ١٨٨١

ومن كتبه (كاتا وكاتاني) و (الهجران)

ورواية (جوار) وهي قصة صبي ولد من أبوين انكليزيين ونشأ نشأة بنغالية

وله روايتا (عجلة الربيع) و (التضحية) وهما تمثيليتان

ومن رواياته الشعرية (أغاني كبير - Sings of Kabir) و (الطيور الشاردة) و (هبة العاشق)

وله روايتا (دار البريد) و (ملك القاعة المظلمة) وهما تمثيليتان ألفهما عقب حوادث سنة ١٩٠٥ على أثر مساعيه الوطنية السلمية في ثورة البنغاليين على الانكليز وكان قد أثارها تقسيم بلاد البنغال إلى منطقتين

وكتابه (سادْهانا) أو الطريق الموصل الى الكمال يتضمن محاضرات له

ألقاها في مدرسته سنة ١٩٠٨ . وقد بدأ بترجمته عزمي الدويري افندي

وديوانه (جيتا نجالي) أوقرابين الأغاني هو الذي نال به من المجمع العلمي الملكي لحكومة السويد سنة ١٩١٣ جائزة ألفريد برنارد نوبل السويدي الخاصة بالآداب وقدرها ثمانية آلاف جنيه ضمها تاغور إلى صندوق مدرسته . ونال مع الجائزة وساماً من ملك السويد ، ولقب (سِرْ) من ملك الانكليز

وانتشر لتاغور بعد ذلك ديوان (بلاقة) أو البستاني وقد نقله إلى العربية السيد وديع البستاني

وله ديوان (الهلال the Crescent moon) وهو أربعون قطعة من الشعر تمثّل الطفولة والأمومة ، وقد صوّر فيها تاغور حالات الوجدان بأساليب أبرع وأرقى من أساليب ديوانه (جيتا نجالي)

وله من الشعر غير ماتقدم ديوان (قطاف الثمار)

ولما زار اليابان سنة ١٩١٦ أدهشه فيها ماراَه من ميل الى الجور على جارتيها الصين وكوريا ، ، اقتداء بما تفعله أوربا في الأمم الضعيفة ، فألقى في احدى جامعات اليابان محاضرة في (الوطنية والقومية) يدعو فيها ناشئة اليابانيين الى أن يكونوا أكثر رفقاً في معاملة جيرانهم ، فساء ذلك زعماء اليابان وجعلوا يبعدون شبابهم عن تاغور . ثم انتقل الشاعر الى أمريكا وألقى في (القومية) خطباً أخرى وكان ذلك مادة لكتاب له في هذا الموضوع

ومن مؤلفاته قصة (البيت والعالم) وقد نقلت الى العربية بقلم طانيوس عبده قبل أكثر من سنة ، وكانت في الوقت نفسه تنشر بالتركية في جريدة (وقت) . وهي صورة للحركة الوطنية التي اشترك فيها تاغور

وله رواية (الطلل) و (أنقاض السفينة) و (ماشي- Mashi) وقصص صغيرة عنوانها .(الحجارة الجائعة) . ومجموعة خطابات باسم (لمحات في البنغال)

وآخر ما كتبه رواية (الآلة) وهي تمثيلية لم تنشر بعد

أنا ونفسي

أعنتُ نفسيَ حتى مضَّها السَّأمُ ... وكدَّها عُمُرٌ في الجدِّ ينصرمُ
قالت تحاوِرُني: ياويحَ قلبكَ مِن ... قلبٍ بنى مابناه وهو ينهدم
أذابَ أكثرَه إبداعُ أيسرِه ... كالسنِّ من قلمٍ فيه انبرى القلم
مقيَّدٌ في وثاقٍ من خلائقه ... فما له لذَّةٌ إلاَّ لهــا ألم
يناشِدُ المثَلَ الأعلى وفيه الى الـ ... أدنى مُجاذَبةٌ مادام فيه دم
يا مُفنيَ العمر في التفتيش عن حُلُمٍ ... لو كان يُدركُ ما كان اسمَه الحُلم
ما لذّة العيش إمَّا كنتَ منقسمًا: ... ففيـك قاضٍ وسجَّانٌ ومُتَّهَمُ
دأبًا تظـلُّ سجينًا لا انطلاق لهُ ... ما دام للعقـل قاضٍ فيك يحتكمُ
إن الصبيّ صبيٌّ في طبائعه ... فالنهيُ والأمر في اخلاقهِ هرِمُ
والقيدُ قيدٌ وإن قالوا اسمهُ خلُقٌ ... والهمُّ همٌّ وإن قالوا اسمهُ هِمَمُ
كم لفظةٍ في لغات الناس مجرمةٍ ... لو حاكموها أماتوها وما رحموا
ففي القبور لسفَّاكي الدما رِممٌ ... وللشهامة في أجداثها رِمَمُ
موتى كموتى فلا زادوا ولا نقصوا ... وإن تكن قتلت إحداهما الذممُ
واثنان لصَّان في الأموال قد رتعا: ... اللصُّ تعرفه والآخر.. الكرمُ
فقلت للنفس تأسـاءً وتعـزيةً ... إن الصواعق مما تجلبُ الدِّيَمُ

***

يانفسُ ويحك مافي السهل من قِمَمٍ ... وإنما شمختْ في طَوْدها القِمَمُ
من كان في نفسه أرضًا مُوَطَّأةً ... تَطـأهُ من كل شيءٍ حوله قَدم
ومن تكن نفسهُ بحرًا ـ ترجرجهُ ... أمواجهُ ـ لم يزل يَدْوي ويلتطمُ
ومن يكن طاميَ البركان منفجرًا ... فوَّارُهُ طاش منهُ الجمرُ والحممُ

الخُلْقُ ما الخَلْقُ إلاَّ ما ينوّعه ... في الناس من دهرهم ماشاءت الحِكَمُ
منهم زجاجٌ ومنهم جَنْدَلٌ عَسِرٌ ... فحاطمٌ في تلاقيهم ومنحطمُ
حالٌ تلائم حالاً في مناسبة ... والضد ليس بغير الضد يلتئمُ
إن لم يكن عندهم لوحُ الوجود فما ... عساك تحسبهم في اللوح قد رسموا
هي الرواية أحداث يجيءُ بها ... ممثلوها على ما صوّر القلمُ
وكل لفظ لمعناه، فإن تكُ لا ... تجري المعاني فإن تجري بها الكلِمُ
يا حَيْرة العقل هل للظلمة انبثقتْ ... أنوارها أم على أنوارها الظُّلَمُ
والخيرُ والشرُ أيُّ اثنيها هو من ... خيرٍ وأيهما الشرُّ الذي زعموا
هل الأُلى حُرموا إلاَّ بمن رُزِقوا ... أم الأُلى رُزِقوا إلاَّ بمن حُرموا
يجني على الشاءِ نابُ الذئب ويحكَ أم ... تجنى على الذئب من لُحمانها الغَنَمُ ؟

***

لم يُخلَق الناسُ إلاَّ خَلْقَ مُشكلة ... بما به افترقوا تلقاهُمُ انتظموا
لكانتِ الأرضُ لاهمٌّ ولا تعبٌ ... لو أصبح العمر لاموت ولا سقم
مما وُلدتَ رضيعاً وانتشأت فتًى ... وعشتَ من بعدُ كهلاً جاءك الهرمُ
فما الذي أنت راضيهِ فحامدُهُ ... إلاَّ الذي أنت شاكيهِ فمتهمُ
همُّ الحياة كمثل الجمرة اضطرمت ... فما الرمادُ سوى ما كان يضطرم

***

يانفس ويحك أَرضى الجِدّ منك فتًى ... ماضي العزيمة وثابٌ فمقتحِمُ
لاتعرضي ليَ لذاتِ الهوَى أبداً ... ما للهوى في لساني «لا» ولا «نَعمُ»
كأسُ المدامة في بعض الخطاب فمُ ... ومدْفعُ الحرب في بعض الكلام فمُ
ما لذّتي أنا إلاَّ أن أكون فتى ... كما يُرفرفُ في أعلى الذُّرى علَمُ
كأنه صفحةٌ منشورة قرأت ... فيها ضمائرَها العلْويَّةَ الأُمَمُ

سِلمٌ وحربٌ له في سلمها عِظمٌ يخشَوْنَهُ ولهُ في حربها عِظَمُ

***

أنا المقيَّدُ في نفسي وفي خُلُقي كأنني عبدُ حرٍ قيدُهُ القسَمُ
لا كالخليع يرى الأخلاق تمنعهُ جرْماً عليك ، فيلقيها ويجترمُ
شتَّان بين امرئٍ في نفسه حرَمٌ قُدْسٌ وبين امرئٍ في نفسه صنمُ
لاتحسبوا كلَّ قيدٍ قيدَ حامله بل قيِّدت نِقمٌ فيهِ أو النِّعمُ
كيف السباقُ غداةَ السبقِ إن جُمعت لهُ الجيادُ ولم تُوضعْ لها لُجُم
والعودُ أوتارهُ إن لم تَشُدَّ به شدَّ المقيَّدِ لم يَصْدَحْ لها نغَمُ

مصطفى صادق الرافعي



من أخلاق العرب

كان أوس بن حارثة بن لأْم الطائي سيِّداً مقدَّماً . فوفدَ هو وحاتمُ بن عبد الله الطائي على عمرو بن هند ملك العرب ، فدعا الملكُ أوساً فقال له :

— أأنت أفضلُ أم حاتم ؟

فقال : — أبيتَ اللعنَ ، لو ملكني حاتم وولدي ولَحمتي لوهبَنا في غداة واحدة .

ثم دعا الملكُ حاتماً فقال له :

— أنتَ أفضلُ أم أوس ؟

فقال : — أبيتَ اللعنَ ، إنما ذُكِرْتُ بأوسٍ ، ولأحدٌ من ولده أفضلُ مني

خطأ أسلوب بعض دعاة التجدد

وضرره في النهضة الاصلاحية

— ١ —

أنا من القائلين بان الشرق العربي عامة، والمسلمين خاصة، في حاجة شديدة الى نهضة بل الى انقلاب يجددون به كثيراً من أوضاعهم الاجتماعية : في البيت وفي المدرسة، وفي المجتمع، وفي أساليب التفكر والحياة

وأنا من المعترفين بان كثيراً من أسباب ما نحن فيه من الخمول والجمود والوهن الاخلاقي والفكري والاجتماعي تلك الاوضاع والأساليب التي أصبحت لاتتفق مع الزمان والمكان

ولكني لا أعتقد قط أن هذا الأسلوب الذي يحتذيه بعض دعاة التجدد والانقلاب الاجتماعي والفكري يحقق رغبتهم في الوصول الى ما هو مفيد نافع، بل أعتقد أنه مما يحدث رد فعل غير يسير ازاء الدعوة الاصلاحية، وقد يعرقل نجاحها، ويؤخر ثمرتها، ويخلط حابلها بنابلها

— ٢ —

فالداعية حينما يفكر في الدعوة الى مبدأ ينبغي ان يكون حكيماً فلا يضرب على وتر يثير سخط وغضب الذين يدعوهم الى هذا المبدأ، ويجعلهم يتجهمون له، ويحذرون منه . بل يضرب على وتر يأنسون اليه، ويطمئنون به فيسلس قيادهم ويستجيبون لندائه، لاسيما وهو يريد في دعوته الى هذا المبدأ مهما كان نوعه أن يهدم شيئاً قديماً رسخ فيهم، ويقيم مقامه شيئاً حديثاً لا عهد لهم به . هذا أولاً

وثانيا ينبغي أن يذكر ان العادات والتقاليد التي ترسخ في أمة من الأمم كثيراً ما تغدو في عداد مقدساتها، فتتمسك بها، وتراها ضرورة من ضرورات

حياتها ، وتدافع عنها بحرارة الايمان التي كثيراً ما كانت تياراً جارفاً . وأن نذكر أيضاً أن مجرد الدعوة الى نبذ عادة راسخة لا يؤثر أثراً فجائياً حتى ولو كان بأسلوب رشيق لين ، فكيف اذا كان باسلوب التسفيه والزراية ؟ فان الناس حينما يسمعون مثل هذا الأسلوب لا يظنون أنه أسلوب يقصد به صاحبه تسفيه العادة التي جروا عليها ، وانما يذهبون الى أن القصد به تسفيه الآخذين بتلك العادة ، والمبدأ المقدس الذي ارتكزت اليه . فحينئذ تلتهب حرارتهم انتصاراً للعادة ، ومقتاً للداعية ، وتقديساً للمبدأ ، ودفاعاً عن أنفسهم أيضا

—٣—

على ان من الدعاة من هو دكتور في الفلسفة أو في الآداب أو في الحقوق ومنهم المتخصص في الاجتماع ، ومنهم الذي حنكته الأيام بتجاريبها . وهذا ما يجعل المرء يحار في تعليل هذا الأسلوب الخشن الذي يحتذونه . والظاهر أنهم مستغرقون فيما يعتقدون بضرورة تبديله الى درجة تجعلهم لا ينظرون الى أسلوب الدعوة وأثره في نفوس الناس ، ولو كان هذا الاثر مما يحول دون إزهار الدعوة وإثمارها . أو أنهم من الناس الذين لا يعيشون الا في أوساط تستسيغ ذلك النوع من الدعوة ، وتتقبل أسلوبهم بغير غضاضة ، فينخدعون بهذا الرضا ، ويتوهمون أن طريقتهم ناجحة ، وأسلوبهم مقنع في جميع الأوساط !

ولا أستبعد ان يكون مما يخدعهم تبدل أساليب الحياة في أكثر الأوساط حينما تقاس بما كانت عليه قبل سنين معدودة . فيظنون أن هذا التبدل انما هو نتيجة تطور كبير يسمح بالانتقال فجأة من تقليد الى تقليد ، مهما كان بين التقليدين من تباعد . . . مع أن هذا التبدل في الحقيقة ونفس الامر ظاهري وضيق الدائرة أولاً ، ولم يكن نتيجة دعوة يرافقها أسلوب جارح موجه الى ما يعتبره الناس مقدساً ثانياً

— ٤ —

ان من أساليب هؤلاء الدعاة أن يجبهوا الناس في عاداتهم وتقاليدهم التي مضى عليها السنون الطوال ، ويسفهوا عملهم حينما يدعونهم الى أمر يرون احتذاءه مفيداً أو ضرورياً

يدعون الى لبس البرنيطة مثلاً فيحاولون أن يجعلوها شعار التجدد والمدنية ، ويصفون العمامة والطربوش بانهما شعار الجمود والتقهقر . مع ان الزي وان كان له أثر لا ينكر في نفسية صاحبه فلا يصل جزء منه ـ كالبرنيطة مثلاً ـ الى قوة تبديل تلك النفسية من الجمود الى النشاط ، ومن التقهقر الى التقدم العاجل . ومع أنه يوجد في مصر وديار الشام عدد ليس بالقليل من لابسي الطربوش يعدون في مقدمة الناس رقي فكر ، وسعة عقل ، وغزارة علم ، واخذاً باساليب الحياة الحديثة ، يوجد مقابل هذا عدد ليس بالقليل أيضاً من لابسي البرنيطة يعدون في مؤخرة الناس جمود فكر وضيق عقل وقلة مادة وضعف همة ونشاط . فلم يؤخر الاولين طربوشهم ولم تقدم الآخرين برنيطتهم . هذا عدا عن أنه يوجد بين الناس طائفة كبيرة لا تزال ترى في استبدال البرنيطة بالطربوش أو العمامة عملاً مزرياً ومغايراً للدين فيرون الدعوة الى لبسها إنما هي دعوة الى الالحاد بقطع النظر عن صواب ما يرون أو خطأه فيقوم من هذا قوة معارضة منها ما يجادل عن زيه المقدس كالعمامة أو زيه المألوف كالطربوش . ومنها ما يجادل عن عزة نفسه التي جرحت بما رميت به من الجمود والتقهقر . ومنها ما يجادل عن دينه الذي يعتقد ان دعوة الهدم موجهة اليه . ومنها ما يتجاوز حد الدفاع عن الطربوش والعمامة الى اعتبار الدعوة الى التجدد والإصلاح تافهة القيمة ، فيتكوّن من هذا الاعتبار دعاية لصد تلك الدعوة على شمول ما تتناوله وسعته مما لا يكاد يحسب تبديل زي الرأس منها شيئاً مذكوراً

ويضاف الى هذا الدعوة الى اطلاق حرية المرأة أو الرفق بها ، فمع جمال هذه الدعوة وطهارة نتائجها فان الدعاة لا يتحفظون في أقوالهم ، ولا يفكرون في شدة وقع أساليبهم وما تحدثه من رد فعل سيء . فلا يبالي الواحد منهم أن يقول ان موضة (الرجال قوّامون على النساء) ينبغي أن تزول . وفي هذا عدوان للقرآن الكريم ، والاكثرية الساحقة من المسلمين لا يطيقون مثل هذا . ومنهم من لا يبالي أن يقول للذي يدعوه : دع امرأتك أو ابنتك تتبرج وتبرز للناس . وتمشي في الاسواق مرحة وتختلط بهم وترقص وتعاشر وتسامر وتتقبل الناس ؛ ومن الناس من يرى في هذا مغايرة للدين ، ومنهم من يراه مباينًا للمروءة مخلاً بالشرف بعد هذه الألوف من القصص والروايات التي تنشر فواجع الاختلاط وتأثيره في هدم كيان العائلات وتنغيص عيشها . مع أن الدعوة الى تعميم التعليم النسائي وإصلاح أساليبه ، وترقية مستوى المرأة بدون هذا الاسلوب الذي يثقل على الناس سمعه لاصطدامه بالمانع الديني أو التقليدي أو العرضي ـ الذي لا تقل قوته عن الديني ـ فيها البلاغ الى الاصلاح الصحيح والتجدد المثمر

— ٥ —

احب أن أذكر مقابل هذا ان الزي الحديث (أي الجاكت والبنطلون وربطة العنق) لم يكن واحدًا في المائة يلبسه قبل مائة سنة ، ولم يكن هذا الواحد أكثر من عشرة قبل خمسين سنة في أكثر مدن ديار الشام ومصر ، ومع هذا فقد انتشر الآن انتشاراً عجيباً حتى بلغ الذين يكتسونه الخمسين أو الستين أو السبعين من المائة في مدننا الكبرى . بل اصبح اكتساؤه موضوع فخر ومباهاة بعد ان كنا نسمع الفاظ التعيير والزراية حينما كنا نغدو ونروح به الى المدرسة . وتجاوز الناس اكتساءه العادي الى التأنق فيه لدرجة التأنث ومع اني لا أنكر ان لاكتساء السلاطين وعمال الحكومة والجند بهذا الزي دخلاً في انتشاره وعدم

مقاومته ، فاني لاحسبني على صواب اذا زعمت أيضاً ان للأسلوب دخلاً غير يسير فيه . فانه لم تقم دعوة تسفيه وزراية بل ولا دعوة ما الى استبدال هذا الزي بالزي القديم (الجلابية أو القنباز) ، ولم يكن هناك أوامر وقوانين ، وغاية ما هنالك ان عمال الحكومة وجندها أولاً ، والمقربين من الموظفين والمترفين ثانياً ، والمسيحيين الذين كانوا على صلة بالاجانب ثالثاً استبدلوا هذا الزي بالزي القديم بدون ضجة ، واكتساه أبناء المدارس الذين اصبحوا الآن رجالاً ، ولم يرافق هذه الحركة تجاذب وتدافع فسار سيره الطبيعي الذي تسير فيه الازياء وقطع بهدوء هذا الشوط البعيد

واني لأحسبني على صواب اذا زعمت أيضاً انه لو قامت حول استبدال هذا الزي بالقديم ضجة ومشادة وزراية وتجاذب وتدافع ، أي لو دُعي اليه بهذا الأسلوب القاسي المتحرّش لما سار ذلك السير وقطع هذا الشوط البعيد

وكذلك أحب ان اذكر مع هذا مسئلة تعليم الفتاة . فقد كان تعليمها منذ خمسين سنة امراً عظيماً ، وكان اقناع آباء البنات بضرورته من المشكلات الشديدة ومع ذلك فان الدعوة التي وجهت الى ضرورة هذا التعليم أثمرت ثمرة يانعة جداً تتجلى للانسان حينما يرجع ببصره الى خمسين بل الى ثلاثين بل الى عشرين سنة مضت ! ومما لاشك فيه أن هذه الدعوة انما اثمرت هذه الثمرة لانها لم يرافقها أسلوب خشن مريب قد يعد دعوة الى الحاد ، وانما كانت الدعوة مستمدّة من التقاليد الدينية والتاريخ المدني والديني معاً أولاً ، ومن المصلحة الجوهرية الماثلة في جميع مظاهر الحياة والتي لا يمكن إنكار مافيها من خير وفضل ثانياً ، ومن أثر القدوة التي كان لاشتباك العالم وتقارب بعضه من بعض أثر كبير فيها ثالثاً

— ٦ —

وبعدُ فان الدعوة الى التجدد والاصلاح لاتقتصر على البرنيطة واختلاط النساء وأخذ ما هو زخرف وظاهر من أساليب الافرنج حتى تقول ان نجاح هذه

الدعوة وعدمها سيان ، وان لانهتم لسوء أثر الدعوة وفشلها أو عرقلتها . ولكنها تتناول أموراً كثيرة : منها ما هو اخلاقي كالجبن الأدبي والنفاق واضاعة الوقت باللهو والاخلاف بالوعد . ومنها ما هو اجتماعي كفقدان الثقة الاجتماعية وضعف روح التضامن والتساند في الأعمال العامة ، وعدم الشعور بالواجب والحق ، وضعف قابلية الكرم الاجتماعي الذي نرى آثاره العجيبة في الغرب . ومنها ماهو منزلي كمعاملة المرأة بمبدأ الثقة والرفق ، والعناية بالأولاد عناية التثقيف والتهذيب وكالارتباط بالمنزل واعتباره حصن صاحبه ومباءة سلوته وأمنه . ومنها ما هو عادات رسخت في أوساطنا حتى صارت جزءاً من جبلتنا ، كفقدان النظام في أساليب الحياة والأعمال ، وكالتواكل والتردد وعدم المثابرة . ومنها ما يظن الناس انله علاقة بالدين . ومنها ماله علاقة في أساليب التفكير والتربية والتعليم. وأنت ترى أن كل واحد من هذه المسميات خطير جليل . فاذا كان إخواننا الدعاة الى الاصلاح والتجدد مخلصين حقاً لما يدعون اليه وبهمهم أن يصلوا الى نتائج مثمرة صحيحة ، واذا كانوا لايريدون حقاً أن يكون في معركة الاصلاح والتجدد التي نحن مقبلون عليها مشادّة وتصادم وتجاذب وتدافع قد يؤدي الى عرقلة تحقيق ماهوجوهري في الدعوة والانصراف الى ماهو زخرف وتافه ، واذا كانوا حقيقة يريدون ان يتقبل الناس دعوتهم بقبول حسن ، وأن يطمئنوا اليها ؛ فعليهم ان يتركوا هذا الأسلوب المريب الخشن الذي سار عليه بعضهم الى الآن، وأن تكون أساليبهم لينة رفيقة قائمة على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن اذا وصل الأمر الى الجدال . وعليهم أيضاًأن يعمدوا الى الخطير الضروري المتفق على ضرورته وخطورته ، ويتركوا التافه الذي لادخل جوهري له في هذا الاصلاح ولكنه يحدث ضجة معرقلة ، وأن يوجهوا كل همهم بنوع خاص الى الناشئة والمدارس فيصلحوا أنظمتها وبرامجها وأساتذها وكتبها ويوجهوها في الوجهة المثمرة المفيدة، على شرط أن يفكروا كثيراً في هذا البناء

الذي يحاولون أن يرفعوا قواعده : فلا يكون ضعيف الأساس ، أو مشوَّها ولا مطلياً بطلاء كاذب وزخرف باطل لا يسمن ولا يغني من جوع ؟

نابلس محمد عزة دروزه

اللغة العصرية

يا سادتي إذا سمعتم قِصَّتي نلتم ثوابا وكشفتم غُصَّتي
إني امرؤٌ لي شغفٌ بلغتي أعدُّها كنزي وأقصى نعمتي
أقضي نهاري باحثًا وليلتي عن جملةٍ فصيحة أو لفظةِ
وكلِّ أسلوبٍ فصيح اللهجةِ يسري إلى النفوس سَرْيَ الخمرةِ
وقد بُليت لتمام شقوتي بصاحبٍ يُعزَى لخير عصبةِ
لكنَّها شنَّتْ أضلَّ غزوةِ على لسانٍ قد خلا من هُجنةِ
إن قلتُ قُلْ «طولَ» بديلَ «طيلةِ» فليست الطيلةُ بالصحيحة
قال ولكن حبذتها زُمرتي فهي طليَّةٌ بإذن صحبتي
قلتُ وذا «التحبيذ» شرُّ غلطةِ فقلْ قد «استحسنتُ» تأمنْ لعنتي
قال إذا لم ترضَ عن تحبيذتي فلستَ بالراضي على عقليتي
لأنها تعرب عن نفسيتي قد أُدغمت فيها كعاطفيتي
وأنتَ لو حققت في شخصيتي وهي التي تبرز منها روعتي
وكنتَ مَرْيفكر في تفكيرتي وفيك تحليل كتحليليتي
أو كنتَ من يَشعر مشعوريتي لم تنتقد لفظي ولا طريقتي

***

ماقولكم ياقوم ضاقت حيلتي في فهم هذي اللغة العصرية

قسطاكي حمصي

ثورة معرة النعمان

سنة ٤١٧ هـ

وحضور أمير حلب للتنكيل بأهلها

ثم رجوعه بشفاعة أبي العلاء

أورد العلامة المحقق الاستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي في كتابه (أبو العلاء وما اليه) ص ٢٣٨-٢٤٠ خبر هذه الثورة نقلا عن ابي غالب بن مهذب المعري، والقفطي، والذهبي. فاقتبسناها فيما يلي من مجموع هذه الروايات التي يكمل بعضها بعضاً

وهذا الكتاب (أبو العلاء وما اليه) من كتب التحقيق الجليلة التي ألفت باللغة العربية. وهو يطبع في مطبعتنا السلفية بعناية جمعية (دار المصنفين) بالهند وكنا نقلنا عنه في الجزء الاول من هذه السنة فصلا عن (علم أبي العلاء). ونشرنا منه في السنة الثانية (ص٣٩) فصلا عنوانه (أبو العلاء المعري والاندلس). والكتاب أوشك أن يتم طبعه

في سنة ٤١٧ هـ صاحت امرأة حامل يوم الجمعة في جامع المعرّة، وذكرت أن صاحب الماخور[1] أراد أن يغتصبها نفسها. فنفر كل من في الجامع، وهدموا الماخور، وأخذوا خشبه ونهبوه

وكان أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب في نواحي صَيْدا فوصل الى المعرة واعتقل من أعيانها سبعين رجلا، وذلك برأي وزيره تادرس ابن الحسن الأستاذ النصراني الذى أوهمه أنّ في ذلك إقامةً للهَيْبة. وقطع تادرسُ عليهم ألفَ دينار

ولما نزل صالح بن مرداس على معرّة النعمان مُحاصِرا لها ونصب عليها المناجيق واشتدّ في الحصار لأهلها جاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء ـ لعجزهم عن مُقاومة الاميرلأنّه جاءهم بما لا قِبَلَ لهم به ـ وسألوا أبا العلاء تَلافِيَ الأمر

(١) مجمع الفساق والخمارين. معرّب مى خور فارسية بمعنى شارب الخمر وقيل عربية لتردد الناس به من مخر السفينة كما قاله ثعلب. وجمعه مواخير ومواخر

بالخروج إليه بنفسه ، وتدبير الأمر برأيه : إمّا بأموال يَبذُلونها أو طاعةٍ يُعطُونها . فخرج ويده في يد قائده ، وفتح له بابا من أبواب معرّة النعمان ، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل . فقال صالح :

— هو أبو العلاء ، فجيئوني به

فلما مَثَل بين يديه سلّم عليه ثمّ قال :

« مولانا السيّد الأجل أسد الدولة ومقدَّمها وناصحها كالنهار الماتع اشتدَّ هجيرُه ، وطابَ أبرادُه . وكالسيف القاطع لان صفحهُ وخشُنَ حدّاه . خذ العفو وأمر بالعُرْف وأعرض عن الجاهلين . »

فقال صالح : لا تثريب عليكم اليوم ، قد وهبتُ لك المعرّة وأهلها

ثم قال لابى العلاء : أنشِدْنا شيئًا من شعرك لنرويه ، فأنشده بديها أبياتًا فيه ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه

وأمر صالح بن مرداس بتقويض الخيام فنضت ورحل . ورجع أبو العلاء وهو يقول [1] :

نجّى المعرّةَ من بَراثن صالح رَبٌّ يُعافي كلَّ داء مُعْضِل
ما كان لي فيها جَناحُ بعوضة اللهُ ألْحَفَهم جَناحَ تفضُّل اه

ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعرا وهو [2] :

تغيّبتُ في منزلي بُرْهةً ستيرَ العيون فقيدَ الحسد
فلما مضى العمر إلاّ الأقل وحمَّ لروحي فراقُ الجسد
بُعثتُ شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأيٌ فسدْ

(١) هما فى لزوم مالا يلزم ٢ : ٢٠٢ وقبلهما :
آليت أرغب فى قميص مموّه فأكون شارب حنظل من حنضل
الحنضل الماء المجتمع فى نقر الصخور
(٢) لزوم مالا يلزم ١ : ٣٤١

فيَسْمَعَ منّيَ سجع الحَمام وأسمعَ منه زئيرَ الأسدْ
فلا يُعْجِبَنّيَ هذا النِفَاق فكم نفقتْ مِحْنة ما كَسَد

وذكر أبو العلاء هذه القصّة في لزومه فقال :

أتت جامعٌ يوم العَروبة جامعا تقُصّ على الشهّاد بالمصر أمرَها
فإن لم يقوموا ناصرين لصوتِها لخلتُ سماء الله تمْطِر جَمْرَها
فهَدّوا بناءً كان يأوي فِناءَه فواجرُ ألقتْ للفواحش خُمْرَها
وزامرةٌ ليست من الرُبْد خَضّبت يديْها ورِجْليْها تنفّق زمْرَها
ألفنا بلادَ الشام إلْفَ ولادة نُلاقي[1] بها سُوْدَ الخطوب وحُمْرَها
فطوْراً نُداري من سُبيعةَ ليثَها وحينا نُصادِي من ربيعة نُمْرَها

.....

وَدِدت بأنّي في عَمايةَ فاردٌ تُعاشرني الأرْوَى فأكرَهُ قُمرها
فإني أرى الآفاق دانت لظالم يغُرّ بغاياها ويشرب خمرها
ولولا أصول في البِيـاد كوامنٌ لما آبت الفرسانُ تَحْمَدُ ضُمْرَها

ولعل البيتين الأخيرين ينظران إلى تادرس الوزير . فإنه لم يَهْجُ صالحًا ولمّا ردّه صالح بالإكرام وإنجاح المرامَ لهج به في شعره فقال في لزوم مالا يلزم :

مالُمتُ في أفعاله صالحًا بل خِلْتُه أحسنَ منى ضميرْ
ياقوم لوكنتُ أميراً لكم ذممتمُ في الغيب ذاك الامير
وإنما سائسكم دائبٌ يرعى المطايا ويسوق الحمير



(١) وفي الاصل « تلاق » وهو تصحيف

النشيد الوطني

ـ نظم لناشئة البلقاء في مدرسة الصلت التجهيزية ـ

جَرِّدوا بيضَ الصفاحِ والبسوا للحرب لامَهْ
وبأطرافِ الرماحِ فادفعوا كل ظُلامه

***

نحن ، والصبحُ الأغرُّ حسَبٌ فينا أنارا
لايمسُّ الشعبَ ضرٌّ دون أن نلقى الدمارا
أعلى الضيمِ نقرُّ أو يَرى فينا قرارا
ولِأبطالِ الكفاحِ أعرقتْ فينا الزعامه

*

جرِّدوا بيض الصفاحِ والبسوا للحرب لامهْ
وبأطراف الرماحِ فادفعوا كلَّ ظلامه

***

سائلوا التاريخَ عنّا كيف دَوَّخْنا البلادا
أنجبت «قحطانُ» منّا أُسداً تهوى الجلادا
تخذوا الصبرَ مِجنا وأعدُّوا الموتَ زادا
لا ترى غير السماحِ ضارباً فيهم خيامه

*

جرِّدوا بيض الصفاحِ والبسوا للحرب لامهْ
وبأطراف الرماحِ فادفعوا كل ظُلامه

***

يبلغ الناشِئُ فينا سيداً نَدْباً هُماما

فهو بين الدارعينا شبَّ كهلاً وغلاما
تخذَ السُّمر عَرِينا وحديدَ البأسِ لاما (١)
عفّ عن ذات الوشاحِ وجفا كأسَ المدامه

*

جردوا بيض الصفاحِ والبسوا للحرب لامه
وباطراف الرماحِ فادفعوا كلّ ظلامه

***

أُنسامُ الضيمَ يوما والى ﴿قحطان﴾ نُنمى
لاينال الخسفُ قوما قارَعوا الخطبَ الملِماَّ
كم لهم في الرَّوع يوما بالرزايا مُدلَهِماَّ
سلْ بهم سيلَ البطاحِ بين نجدٍ وتهامه

*

جرّدا بيض الصفاحِ والبسوا للحرب لامه
وباطراف الرماحِ فادفعوا كل ظلامه

نزيل الصلت الحوماني

﴿ تفسير البقاعي ﴾

قرَّر مجلسُ دار الكتب المصرية طبعَ كتاب (نظم الدرر ، في تناسُب الآيات والسوَر) للبرهان أبي اسحاق ابراهيم بن عمر البقاعي (٨٠٩ ـ ٨٨٥ ﻫ) وهو في ستة مجلّدات وربما بلغت صفحات كل مجلد في الطبع ألف صفحة

(١) جمع لأمة

التصوف

وحاجة صاحبه الى علم التوحيد وعلم الشريعة

اعلم أن التوبة والتقوى يقتضي كل منهما علمَ التوحيد وعلم الشريعة ، وبهما تتحقق معرفة هذين العلمين : فأما علم التوحيد فأن تكون معرفته على طريق الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح بالقدر الذي يفيده القطع ، وأما علم الشريعة فهو علم الأحكام كالصلاة والصوم وسائر الفرائض ، وما لا غنى به عنه من امور المعاش الى علم المعاملات من النكاح والطلاق والمبايعات وسائر مسائل الأحكام مما يتوقف عليه تصحيح الأعمال وما ندب اليه من العمل

وبيان ذلك أن التوبة لا تتحقق الا بالتوبة من كل ما ذمّه العلم الى ما مدحه العلم . ولا يخفى أن الجهل بالعلمين المذكورين مما ذمه العلم كما أن العلم بهما مما مدحه العلم . وكذلك التقوى لا تتحقق الا بصحة الاعتقاد وصحةِ الأعمال ، وصحتُهما متوقفة على معرفة علمي التوحيد والشريعة ومعرفة الحلال والحرام ، ومن لا معرفة له بهما لا يكون ذا تقوى . فعليه يتحقق أن طريق التصوف له حظ من علم الدراسة وأنه لا بد له من هذا الحظ من العلم

قال أبو علي الروذباري : كان أستاذي في علم التصوف الجنيد ، وكان أستاذي في الفقه أبو العباس ابن سُرَيج ، وكان استاذي في النحو ثعلب ، وكان استاذي في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم الحربي

هذا وقد فهم من كلام بعضهم أن طريق المجاهدة يكون بتحصيل العلم كما يجب وبالعمل به كما يلزم ، وفسر العلم بما ذكرناه قريباً من علم التوحيد والشريعة فاذا عمل العبد بما علم كان عليه علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيبِ أخلاقها ومكايدِ العدو وفتنة الدنيا وسبيل الاحتراز عنها ، وهذا هو علم الحكمة

فاذا استقامت النفس على الواجب وصلحت طباعها وتأدبت بآداب الله من زم جوارحها وحفظ أطرافها وجميع حواسها سهل عليه إصلاح أخلاقها وتطهير الظواهر منها والفراغ مما لها وعزوفها عن الدنيا وإعراضها عنها ، فعند ذلك يمكن العبدَ مراقبة الخواطر وتطهير السرائر ، وهذا هو علم المعرفة . ثم وراء هذا علوم الخواطر وعلوم المشاهدات والمكاشفات وهي التي تختص بعلم الاشارة ، وهو العلم الذي تفردت به الصوفية بعد جمعها سائر العلوم التي وصفناها . وإنما قيل علم الاشارة لان مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لايمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ، ولا يعرفها الا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات . وما فهم من كلام هذا البعض من أن طريق المجاهدة يكون بتحصيل العلم كما يجب وبالعمل به كما يلزم وجيهٌ ، وذلك أن الصوفي على هذا الوجه يكون على ما ذكروا بين جهدين : جهد طلب العلم المذكور قبل حصوله ، وجهد العمل بمقتضاه بعد حصوله . فمعنى المجاهدة حينئذ ظاهر واليه يومىء كلام الامام أبي إسحاق الكلاباذي البخاري وأشار اليه الامام السُّهروردي حيث قال : ان المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه ، وأقاموا الأمر والنهي ، وخرجوا من عهدة ذلك ، بحسن توفيق الله تعالى . فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله ﷺ حيث أمره الله تعالى بالاستقامة كما قال « فاستقمْ كما امرت ومن تاب معك » فتح الله عليهم أبواب العلوم التي سبق ذكرها . انتهى

فما توهمه بعض الناس من أن طريق الصوفية لايتوقف على معرفة علمي التوحيد والشريعة باطل لايعبأ به، قال الامام أبو نصر الطوسي : والناس في موافقة كتاب الله تعالى واتباع رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام : فمنهم من تعلق بالرخص والمباحات والتأويل والسعة ، ومنهم من تعلق بعلم الفرائض والسنن

والحدود والأحكام ، ومنهم من أحكم ذلك وعلم من أحكام الدين مالا يسعه الجهل به ، ثم تعلق بالاحوال السنية والاعمال الرضية ومكارم الاخلاق ومعالي الامور وحقائق الحقوق والتحقق والصدق . انتهى . فقوله « ومنهم من أحكم ذلك » أراد به طائفة الصوفية فانهم قد أحكموا ذلك - أي علم الفرائض والسنن والحدود والاحكام - وعلموا من أحكام الدين ما لا يسع أحدَهم الجهلُ به ، ثم تعلقوا بالاحوال السنية والاعمال الرضية ومكارم الاخلاق ومعالي الامور وحقائق الحقوق والتحقق والصدق . وقال أيضاً في كتابه (اللمع) مانصه : فأما ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحدود والاحكام والعبادات من الفرائض والسنن والامر والنهي والاستحباب والرخص والتوسيع فذلك من اصول الدين ، وهو مدوَّن عند العلماء والفقهاء ومستعمل فيما بينهم ومشهور عندهم ، لانهم الائمة الحافظون لحدود الله المتمسكون بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناصرون لدين الله عز وجل يحفظون على الخلق دينهم ويبينون لهم الحلال من الحرام والحق والباطل فهم حجج الله تعالى على خلقه والدعاة له في دينه فهؤلاء هم الخاصة من العامة ، فأما الخاصة من هؤلاء الخاصة لما أحكموا الاصول وحفظوا الحدود وتمسكوا بهذه السنن ولم يبق عليهم من ذلك بقية استبحثوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم التي وردت في أنواع الطاعات والآداب والعبادات والأخلاق الشريفة والأحوال الرضية وطالبوا أنفسهم بمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسوة به واقتفاء أثره بما بلغهم من آدابه وأخلاقه وأفعاله وأحواله فعظموا ما عظَّم وصغروا ما صغَّر وقللوا ما قلل وكثروا ما كثر وكرهوا ما كره واختاروا ما اختار وتركوا ماترك وصبروا على ماصبر وعادوا من عادى ووالوا من والى وفضَّلوا من فضل ورغبوا فيما رغب وحذروا ما حذَّر ، لان عائشة رضي الله عنها سُئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت « كان خُلُقه القرآن » تعني موافقة القرآن ، وروي

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « بُعثت بمكارم الاخلاق » انتهى . فبقوله هذا والذي قبله يعلم ويتحقق أن طريق المجاهدات الذي هو طريق الصوفية متوقف على العلم المحض ، عارٍ عن شائبة الجهل . وهي علمية عملية معاً ، قائمة على الاسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعته في جميع ما صح عنه من أخلاقه وأفعاله واحواله وأوامره ونواهيه وندبه وترغيبه وترهيبه . ومن ظن أن يبلغ غرضاً أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور . وكفى بقول هذا القدوة حجة وبرهانا بانه من جلة أئمة الصوفية الثقات الاثبات ، نقل عنه الاستاذ أبو القاسم القشيري وغيره

هذا واذا سلك العبد في مجاهداته على هذه الطريقة التي هي تحصيل العلم كما يجب والعمل به كما يلزم أو على الطريقة الاولى التي لا تقوم إلا بأربع مع أربع نزكت نفسه ، وانجلت مرآة قلبه بصفاء التقوى ، فانجلت فيها صور الأشياء وحقائقها على ماهي عليه ، وانكشفت لديه علوم المتكلمين ومعارفهم وماوصلوا اليه بعقولهم وأفكارهم ونظرهم واستدلالهم وطول أبحاثهم وتدقيقاتهم مما يتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله وأحوال المبدأ والمعاد واليوم الآخر ، وانصبت الى باطنه العلوم اللدنية ، ونبعت من قلبه ينابيع الواردات الغيبية ، وبلغ بعون الحق الى مطالعة ما اتصف به الحق من كمال الصفات والعلم بالحقائق الالهية ، وبما يتعلق بعالم الملكوت كالملائكة من حملة العرش وغيرهم واللوح المحفوظ وما في العالم الأعلى من العجائب والغرائب وكيفية تنزل الامرين الأعلى الى الاسفل وما يتجلى للعارفين من الاسرار الالهية في الآفاق والانفس ، وغير ذلك من حقائق العلوم ودقائقها ، وهي علوم الوراثة التي هي نتائج الاعمال ، وذلك انهم أخذوا حظاً وافراً من علم الدراسة وعملوا بمقتضاه فأفادهم العملُ علم الوراثة المشار اليه بالقول المشهور « من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم »

واذ انتهى القول بنا الى هنا فلنبين ما ذكره ابو نصر عبد الله بن علي السراج في كتابه (اللمع) حيث قال فيه في باب مقام التوبة : والتوبة تقتضي الورع . وقال في باب مقام الورع : والورع يقتضي الزهد . وقال في باب مقام الزهد : والزهد يقتضي معانقة الفقر واختياره . وقال في باب مقام الفقر : والفقر يقتضي مقام الصبر . وقال في باب مقام الصبر : والصبر يقتضي التوكل . وقال في باب مقام التوكل : والتوكل يقتضي الرضا وقال في باب مقام الرضا : والرضا آخر المقامات . ثم يقتضي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب ومطالعة الغيوب ، وتهذيب الاسرار لصفاء الاذكار ، وحقائق الاحوال . فأول حال من أحوال أرباب القلوب حال المراقبة ، الى آخر ما قال . فهذا يفيد أن المقامات كلها مبنية على (التوبة) وانها أصل كل مقام وقوامه ، ومفتاح كل حال كما أشرنا اليه سابقاً ، وهي بمثابة الارض للبناء كما ذكر الشهاب السهروردي

بيت المقدس خليل الخالدي

﴿ النجوم الزاهرة ـ لابن تغري بردي ﴾

مما قرره مجلس دار الكتب المصرية في جلسته الاخيرة طبعُ كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي مؤرّخ مصر المولود سنة ٨١٢ والمتوفى في ٦ ذي الحجة سنة ٨٧٤ وكان طُبع منه في ليدن (١٨٥١ ـ ١٨٦١) جزءان الى آخر السنة الثالثة من ولاية المعزّ معدّ ، وهي سنة ٣٦٥ ، فرأى مجلس دار الكتب أنه يحسُن بمصر أن تتولى طبع هذا الكتاب النفيس فى تاريخ ملوكها طبعةً كاملة

نزعة الصبى

رعى اللهُ أحلامَ الصِّبى والفتوَّةِ وأيام لهوٍ قد تقضَّتْ وَوَلَّتِ
عليها حَنَت أكبادُنا وقلوبُنا تُناشدُها الآمالَ أيَّان حَلَّت
ففيها تُناجينا الأماني ، وأصبحت ضمائرُنا تهفو الى كل صَبْوةِ

. . .

تقول : أتنسى إن تولت بك النوى هيامي ، ولا ترعى عهودَ محبتي
وتسليكَ عن حبي رعابيبُ جِلَّقٍ وتُنسيكَ لَذّاتي وصدقَ مودَّتي
فقلتُ ، وقد أفعمت خافقتي جوًى وأسقيت عيني الدمعَ حتى ترَوَّتِ :
أأنساكِ والذكرى تهيج مشاعري وتبعث ـ إن ماتا ـ غرامي ولوعتي
وأنسى عهوداً يا ابنة الحيّ بيننا ومهدُ الهوى فيه السَّتياحي وزَفرتي

. . .

ولما انقضى البينُ المريع وأقصدت إلينا ليالٍ للوصال وأمَّتِ
أشارت الى النائي المَشُوقِ وسلَّمت وكم ذا أشارت بالبنان وأوْمَتِ
فعُجتُ على الرَّبع العزيز يقودني حنيني الى لُقيا الكعاب ، ونزعتي

دمشق أبو سلمى

﴿ توراة غوتنبرغ ﴾

أقدم طبعات التوراة طبعة غوتنبرغ مؤسس صناعة الطباعة في القرن السادس عشر المسيحي . والمعروف منها الآن خمس نسخ فقط إحداهن في دير القديس بولص في كورنثيا (النمسا) وقد عرض المستر اوتوفولبير ـ المثري الامريكي ـ ٥٥٠٠٠ جنيه انكليزي ثمناً لها فأذنت الحكومة النمسوية لرهبان الدير بأن يبيعوها بهذا الثمن . وكانت عندهم نسخة أخرى قبل هذه بيعت الى أمريكي آخر بثمن أقل

المقامات اللزومية

للوزير أبي الطاهر السَّرَقُسْطيّ ، وترجمةُ صاحبها

أبو الطاهر محمد بن يوسف السَّرَقُسْطيّ حسنة من حسنات الاندلس ، وكان من وزرائها وعلمائها الأعلام الذين ازدانت أوربا بوجودهم ، واستنار الكون في أيامهم بما كان لهم من بدائع الآثار وغزير المعارف

ومن آثار أبي الطاهر مقاماته اللزومية التي أنشأها خمسين مقامةً عارض بها المقامات الحريرية ، والتزم فيها ما لا يلزم نثراً ونظما ، فنفث من بديع البيان سحرا

وقد ذكر في مقدمتها أن الحامل له على تأليفها وترصيفها هو أنه لما وقف على ما أنشأه الرئيس أبو محمد الحريري بالبصرة من المقامات ، أنشأ هذه المقامات اللزومية التي أتعب فيها خاطره ، وأسهر ناظره ، بالتزامه ما لا يلزم . فجاءت عقداً ثميناً في جِيد الزمان ، يفتخر بها ادباء العرب الى آخر الدوَران

ومن المعلوم أن هذا النوع من الأسجاع أو القوافي يعدّه علماء البلاغة من الأنواع البديعية ، ويسمى الالتزام والاعنات ، كما ذكره الجلال السيوطي في عقد الجمان . وهو أن يلتزم الناثر أو الناظم حرفا قبل الروي كما ورد في القرآن الكريم « فأما اليتيمَ فلا تقهر ، وأما السائلَ فلا تنهر » . وقد ورد أيضاً في الأحاديث النبوية الشريفة ، وفي كلام البلغاء من المتقدمين والمتأخرين ، ولكنه لا يزيد عن جمل قليلة ، أو أبيات شعرية لاتتجاوز أصابع اليد . وربما وقع الالتزام في أكثر من ثلاثة أحرف كقول أبي العلاء المعرّي :

كلْ واشربِ الناسَ على خبرةٍ فهم يَمَرُّون ولا يَعذُبون
ولا تصدّقهم إذا حدّثوا فانني أعهدهم يكذبون

وان أروكَ الوُدَّ عن حاجة ففي حبال لهمُ يَجذِبون

وأوّل من سن سنة النظم من هذا النوع في شعره الكثير ـ حتى يتألف منه ديوان كبير ـ أبو العلاء المعرى المذكور فيما نعلم ، فلا يبعد أن يكون قد وصل ديوانُ اللزوميات الى الوزير أبي الطاهر ـ وكان المعري متقدماً عليه ـ فاستحسن طريقته وحذا حذوه جامعًا بين معارضة الحريري في اسلوب المقامات ومجاراة المعريّ في التزام ما لا يلزم في الأسجاع والقوافي

وقد أسعدني الحظ بالاطلاع على مقامات السرقسطي هذه في مكتبة جامع اللاله لي بالقسطنطينية منذُ خمس وعشرين سنة ، فوجدت منها نسختين رقم ١٩٢٣ و١٩٣٣ وقد أُعْجبت بها يومئذ وانتقيت منها بعض المقامات . ورأيت ترجمة للمؤلف مكتوبة على ظهر الكتاب منقولة عن بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للجلال السيوطي . ألخصُها بما يأتي :

المقامات الخمسون المحتوية على معاني الأدب ، للوزير الكاتب الامام أبي الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن ابراهيم التميمي المازني السرقسطي يعرف بابن الأشتركوني . قال ابن الزبير : كان أديباً لغوياً شاعراً ، وكان معتمداً في الأدب فرداً متقدماً في ذلك في وقته . روى عن أبي علي الصدفي وأبي محمد بن السيّد وابن الباذش وابن الأخضر . وأخذ عنه أبو العباس بن مضاء قال : وعليه اعتمدت في تفسير كامل المبرد ، لرسوخه في اللغة والعربية . وله (المقامات اللزومية) الشهيرة . وشعره كثير . مات بقرطبة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . ومن شعره الغزلي اللطيف قوله :

ومنعم الأعطاف معسول اللمى ما شئت من بدع المحاسن فيه

لما ظفرت بليلة من وصله والصبُّ غير الوصل لا يكفيه

أنضجت وردة خده بتنفسي　　وظللت أشرب ماءها من فيه

وقد رأيت له أبياتاً في المقامة الاولى وهي المقامة (الخداعيـة) أحببت اثباتها هنا لأنها من أحاسن الشعر، وقد حوت عبراً لمن يريد أن يصحب الدهر:

دعا بك الدهر لو تجيبُ　　ياحبذا السامع المجيبُ
كم تصحب الدهرَ بالأماني　　يغرُّك الطِرْف والنجيب
فخذ حديثاً عن الليـالي　　فـكلّ أنبائهـا عجيب
من خادع الدهرَ والبرايا　　فذلك السيّد النجيب
المجدُ فوز الفتى بحظّ　　فما تميمٌ وما تجيب
نادب خِدنٍ تركت يوماً　　وحظه الوجد والوجيب
مجدّلا في الثوب يدعى　　منـه سميع فلا يجيب

وسأنشر في جزء تال من الزهراء إحدى مقاماتها ـ وهي المقامة الخمسون ـ في النثر والنظم لما اشتملت عليه من حسن الاسلوب ودقة البيان

دمشق　　محمد علي ظبيان الكيلاني

﴿من بقايا العادات القديمة﴾

من عادة الناس في دمشق الآن اذا كان الواحد منهم يحدّث عن شخص لاصلاحَ له أن يمسك المحدّثُ بأصابعه طرفَ جبته أو ثوبه أو معطفه مما يلي صدره وينفضه دلالة على يأسه من صلاح الرجل الذي يتحدَّث عنه . وهي عادة عربية قديمة : فقد جاء في كتاب الأغاني أثناء ترجمة ابراهيم بن هَرمة الشاعر أنه مرَّ على جيرانه وهو منبت سُكراً ، فلما كان الغد دخل عليه جيرانه فعاتبوه على الحال التى رأوه عليها فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر (وأنشدهم شعراً له كان يتمنى فيه أن يسكر مثل هذه السكرة) فنفضوا ثيابهم وخرجوا وقالوا : ليس يفلح هذا أبداً

حركة النشر والتأليف

﴿ الاخلاق والواجبات ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها : ٢٣٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٨ قرشا

الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ـ عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ـ في مقدمة علمائنا الذين انصرفوا للكتابة في الاصلاح الاسلامي . وآخر أعماله المحمودة في هذا الباب كتابه الجليل (الاخلاق والواجبات) الذي نظر فيه الى الديانة الاسلامية من جهة مقاصدها وأسرار تعاليمها التي ترمي الى توفير الكمال النفسي للانسان ، وتيسير أسباب السعادتين ـ الدنيوية والاخروية ـ عليه ، وتمهيد طرق التكامل الاجتماعي والسياسي بين يديه

وهذه المزايا والصفات للديانة الاسلامية يذكرها العلماء ، ولكنهم لم يُعنَوا بتأليف كتبٍ للناشئة يستمدون فيها الاخلاق والواجبات من هذا الينبوع . وقد قام بهذه المهمَّة الاستاذ المغربي تنفيذاً لرغبة المربّي الفاضل ساطع بك الحصري مدير المعارف العام في العراق ـ يوم كان وزيرا المعارف السورية ـ فكانت نتيجة ذلك تصنيف كتاب (الاخلاق والواجبات) ، وهو مؤلف من (تمهيد) عن مكانة الاخلاق ، وعن الاخلاق والايمان ، والاخلاق والعبادات ، والدنيا والآخرة ، والخير والواجب . ثم يأتي لُبابُ الكتاب وجوهره مشتملاً على بيان (الواجبات الشخصية) كالصحة والنظافة والعلم والصبر والصدق والحياء والسعي والكسب والاقتصاد . و (الواجبات العائلية) . ثم (الواجبات الاجتماعية) . و (الواجبات المدنية) . وفي كل معنى من هذه المعاني الكثيرة يذكر المؤلف أهمية ذلك الواجب الاخلاقي . ثم يأتي بما ورد

فيه من النصوص الاسلامية في الكتاب والسنة وأقوال السلف ويوجهها ألطف توجيه وأصدقه ، ويشرحها شرحاً يغني المعلم والمتعلم عن مراجعة كتاب آخر . فهو كتاب في الأخلاق الاسلامية ملاحظ فيه تكوين الامة وانشاؤها انشاء يكفل لها القوة الحسية والمعنوية في مضمار الحياة

وجعل المؤلف بين يدي الكتاب (مقدمة) تضمنت مباحث في القرآن لاغنى للمسلم عن معرفتها . وفي آخره (تتمة) جمعت ستين آية وحديثاً يحسن بالاساتذة أن يحملوا تلاميذهم على استظهارها لينتفعوا بما وعته من ضروب الحكمة وأساليب البلاغة

وقد بادرت وزارة المعارف العراقية الى الاستفادة من هذا الكتاب في مدارسها ، فعسى أن تقتدي بها البلاد الاسلامية الأخرى

﴿ شعر العرب وشعراؤهم Arabian poetry and poets ﴾

مطبعة الجامعة الملية في عليكرة (الهند): ١٩٢ص بقطع الجاير

هو كتاب مدرسيّ لطيف نافع ، ألفه باللغة الانكليزية حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد بدر الدين العلوي المدرس بجامعة عليكرة الاسلامية بالهند ، وصاحب المحاضرة التي نشرناها في هذه السنة (ص ٥٨) عن خدمة بعض أفاضل المستشرقين للغتنا العربية وآدابها

وهذا الكتاب مفتتح بفصل عن الشعر العربي قبل الاسلام ، ففصل عن العرب في العصر الجاهلي وبلادهم وعاداتهم ودياناتهم ومعه جدول في تقسيم سلائل العدنانيين وآخر للقحطانيين ، وفصل عن الشعر الاسلامي . ثم يبدأ كتاب الشعر والشعراء بحسب ترتيبهم التاريخي من زمن امريء القيس الى الأبوصيري صاحب البردة . وطريقتهُ أن يذكر الشاعر ويأتي بنموذج من شعره مترجماً بالانكليزية . ومعه النصّ العربي . فنشكر الاستاذ المؤلف هذا العمل النافع

ثلاث رسائل : لابن فارس ، والكسائي ، وابن عربي

المطبعة السلفية ومكتبتها : ٨٠ ص بقطع الجاير ، ثمنها ٣٠ قروش

هي مجموعة نفيسة من حسنات العلامة المحقق الاستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي المدرس بجامعة عليكرة الاسلامية . فالرسالة الاولى (مقالة كلاّ - وما جاء فيها في كتاب الله سبحانه) لأبي الحسين أحمد بن فارس صاحب (مجمل اللغة) و (الصاحبي في فقه اللغة) . نسخها الاستاذ الراجكوتي من خزانة المرحوم الشيخ عبد الحيّ اللكنويّ ، وكانت مكتوبة بخط عجمي كثير التصحيف فصححها وعلق عليها تعليقات جليلة ، ونعتقد أنه بذل في هذا التصحيح والتعليق من الجهد أكثر مما يحتاج اليه تأليف كتاب ، مع أن هذه الرسالة الاولى في ١٨ صفحة

والثانية عنوانها (كتاب ما تلحن فيه العوام - لعلي بن حمزة الكسائي) نسخها الاستاذ من خزانة جامع بومباي الهند ، وكانت أيضاً مشوّهة رديئة ، فعني الاستاذ بمعارضتها على كتب متقدمي اللغويين كابن السكّيت وثعلب والهروي وابن قتيبة والبطليوسي والحريري والخفاجي وأصحاب المعاجم ، فاظهرت المعارضة فضلَ هذا الكتيّب على أكثر من جاء بعده من علماء اللغة بما اقتبسوه من ألفاظه . وهذه الرسالة في ٤٠ صفحة وللاستاذ تعليقات عليها أهم من تعليقاته على الرسالة الاولى ، وبآخرها فهرس لما ورد فيها من الالفاظ المفردة

والثالثة رسالة محيي الدين بن عربي الى الفخر الرازي نقلها الاستاذ بحيدر آباد عن نسخة مشوّهة فاصلحها بقدر الامكان

فنشكر - باسم الناطقين بالضاد - هذا العلاّمة الهندي على ما يخدم به آداب لغة القرآن ، أكثر الله من أمثاله . وهي مطبوعة في مطبعتنا السَّلَفية بنفقة الفاضل الشيخ شرف الدين الكتبي وأولاده أصحاب المكتبة المشهورة في بمباي الهند

﴿ مركز المرأة في قانون حمورابي والتوراة ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية : ١٢٠ ص بقطع الجاير ، ثمنه ٥ قروش

لما اكتشفتْ بعثة المسيو مورغان سنة ١٩٠٢ في خرائب سوس بالاهواز قوانين حمورابي منقوشةً على عمود أثري منذ ثلاثة واربعين قرناً ، وظهر ما بينها وبين بعض الاحكام الموسوية من التشابه ، ذهب كثير من العلماء في اوربا الى أن بعض ما في التوراة الموجودة بين أيدينا مأخوذ من قوانين حمورابي الذي كان أقدم من موسى بكثير . وللامبراطور غليوم تصريحات غريبة في هذا الباب.

وقد بحث هذه المشابهة ـ من جهة مركز المرأة فقط ـ المسيو جان أميل ريك في رسالة رفعها الى كلية مونطوبان الحرة لينال بها رتبة (باشلياي) في اللاهوت فأتى على كل مايتعلق بالمرأة في قانون حمورابي ، ثم أورد أحكام المرأة والاسرة الواردة في أسفار التوراة ، وعقد بعد ذلك فصلا ثالثاً عنوانه حمورابي وموسى قارن فيه بين القانونين واستشهد بآراء العلماء . ثم استنتج عشر نتائج تضمنت رأيه الخاص وقد دافع فيها عن التوراة وحكم بأن ماجاء فيها وفي الديانة النصرانية كان في مصلحة المرأة .وقد نقل هذه الرسالة الى العربية الاستاذ الكاتب الفاضل سليم افندي العقاد فنلفت اليها الانظار

﴿ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الثورية ﴾

مطبعة الهلال ، المكتبة السلفية : ٢٢٣ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٥ قرشا

ألف هذا الكتاب الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامي وقسمه الى خمسة كتب : الاول عنوانه « الثورة على الاسلام » وفيه الكلام على الخوارج والشيعة والاسماعيلية والقرامطة . والثاني في « الثورة على النصرانية » . والثالث في « الجمعيات السرية المعينة » كالماسونية . والرابع في « الجمعيات السرية في عصر التحرير » ومنه الكلام على الفوضويين . والخامس في حركات الهدم الظاهرة وهي الاشتراكية والشيوعية والبولشفية واللاحكومية والثورة العالمية

﴿ خطط الشام — للاستاذ كرد علي ﴾

مطبعة الترقي بدمشق ، المكتبة السلفية بالقاهرة : الجزء الرابع ٣٢٠ ص ثمنه ٣٠ قرشا

انتهى الاستاذ العلامة السيد محمد كرد علي — رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق — من تاريخ الشام السياسي في الاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب الجليل ، وكنا أتينا على وصفها في العام الماضي (ص ٥٩ و١٣٧) . وشرع بعد ذلك بكتابة التاريخ المدني للشام خاصة والعرب والاسلام عامة ، فصدر منه جزء مؤلف من خمسة أقسام كل قسم منها يعدل كتاباً نفيساً : القسم الاول في تاريخ العلم والادب ورجالها في الديار الشامية ، عرّف في أوله معنى العلم والادب ثم ذكر ما كانت عليه حالها عند أقدم شعوب الشام ، وذكر مواطنهما في ذلك القطر قديماً ، وحالتهما عند الفتح العربي ، وفي زمن الامويين ، فالقرون التالية الى يومنا هذا . القسم الثاني الفنون الجميلة ، فتكلم على تاريخ الموسيقى ورجالها ، ثم على التصوير والنقش وأهلهما ، ثم على البناء والنابغين فيه ، وعلى الشعر والشعراء ، والرقص والتمثيل . والقسم الثالث الزراعة الشامية وقد وفاه حقه من الاجادة كسائر أقسام الكتاب . والقسم الرابع الصناعات الشامية . والقسم الخامس التجارة الشامية . وسيكون الجزء الخامس من (خطط الشام) خاصاً بالتاريخ المدني أيضا فيبدأ بتاريخ الجيش

وبعد فانى لا أقول ان المعارف التى جمعها الاستاذ كرد علي فى هذا الكتاب لا توجد مجتمعة فى غيره ، فان فى هذه الكلمة غمطاً لكتاب طالع مؤلفه سبعمائة كتاب حتى حصل على هذه المادّة الغزيرة التى فيه . ولكني أقول ان الاستاذ المؤلف فتح بخطط الشام فتحاً وطّأ به طرق البحث لمن يأتي بعده ، لانه استقى تاريخ هذا القطر العربي من ينابيعه الاولى ، وحصّلها بنفسه مباشرة لا كما يفعل الذين يلتقطون تاريخ قومهم من كتب الافرنج فيكونون عالة عليهم من جهة ،

ويقعون في حبائل تعصبهم وأغراضهم الكثيرة من جهة اخرى. واذا كان التأليف في موضوع الاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب - أعنى التاريخ السيامي - سهلاً لان مادّته يسهل الحصول عليها من الكتب القريبة التناول لمن لا يريد أن يتّسع في الاطلاع اتساع الاستاذ كرد علي ، فان التأليف في التاريخ المدني لا يعرف صعوبته الا من يكابده ويباشر البحث فيه من أصوله ومراجعه ، وقليلٌ من علمائنا من يستطيع أن ينجح في ذلك

فنهنيء الاستاذ العلاّمة رئيس المجمع العلمي العربي بما صدر من اجزاء كتابه الحافل ، و نرجو الله أن يسهل اتمامه

﴿ درر الحكام ، شرح مجلة الأحكام ﴾

مطبعة الحقوق بيافا : الجزء الثاني ، ٢٤٠ ص بالقطع الكبير

تقدم لنا الكلام على هذا الكتاب في السنة الماضية (ص ١٣١) بمناسبة ظهور الجزء الاول منه محتوياً على القواعد الفقهية وكتاب البيوع ، وقد جاءنا الآن الجزء الثاني خاصاً بكتاب الاجارة . والذي يتصفح هذا الجزء يتبين له أنه أمام دائرة معارف في فقه الحنفية حوت كل ما يتعلق بأحكام الاجارة بتنسيق جميل وايجاز لطيف مع عزْوِ كل قول في الشرح الى الكتاب المأخوذ منه . وهي الطريقة التي جرى عليها الشارح التركي الشيخ علي حيدر الذي كان رئيساً أول لمحكمة التمييز في القسطنطينية وأميناً للفتيا في المشيخة الاسلامية وتولى وَقتاً ما وزارة العدلية (الحقانية) وهو أفقه مدرّسي مجلة الاحكام الشرعية في مدرسه الحقوق التركية . وقد عُنيَ المترجم الفاضل الاستاذ السيد فهمي الحسيني صاحب مجلة (الحقوق) في يافا بترجمة الشرح ترجمة صحيحة ، وطبعه طبعاً جميلاً على ورق نفيس ، فنرجو له التوفيق في اتمام هذا الكتاب النافع

﴿ عبده بك ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١١٠ ص بقطع الجاير ، ثمنه ٣ قروش

قصة مصرية اجتماعية من نظم الشاعر العصري القدير الدكتور احمد زكي بك أبي شادي . صوّر فيها مفاسد الزواج الأليمة فى المجتمع المصري ، وسوء مغبة الاعتماد في اختيار الزوجة على الدلاّلات اللائى يتوخّين فى هذه الوساطة الكسبَ من جانبي الخاطبين والمخطوب اليهم ، ويسلكن لذلك مسالك الغش فضلاً عن جهلهنّ خطورة المهمة التي نيطت بهنّ . وقد اختار الاستاذ أبوشادي لهـذه القصة أسلوبا من الشعر مرسلا بناه على بحر واحـد ذي قافية مزدوجة فجاءت القصة فى ٢٧٢ بيتاً تضمنت كثيراً من الحكم والملاحظات الاجتماعية

وفى الكتاب فصل عن القَصص فى الادب العربي وآخر في شاعرية أبي شادي للاستاذ عبد القادر عاشور ، وتحليل للقصة بقلم الاستاذ عبد الله بكري وثلاثة فصول مهمة للاستاذ حسن افندي صالح الجداوي ناشر هـذه القصة الجميلة ، فكانت بذلك مجموعة لاغنى للاديب عنها

﴿ مشاهد الحياة ﴾

هو عنوان الجزء الاول من مجموعة قصائد الشاعر الفلسطيني الرقيق الاستاذ اسكندر افندي الخوري البتجالي ، جمع فيه كتابيه (الزفرات) الذي نشره سنة ١٩١٩ و (دقات القلب) المطبوع سنة ١٩٢٣ وما نظمه غير ذلك من أشعاره الاخرى . وقدغلب على هـذا الشاعر الفاضل الميلُ الى نقـد العيوب الاخلاقية والنقائص الاجتماعية وتشجيعُ الفضائل الوطنية وترديد المحامد القومية . وفي ديوانه الجديد القصائد الكثيرة في هذه المعانى كلها . وهو مطبوع طبعاً جميلا على ورق نفيس فنتمنى له الرواج والانتشار

﴿ الشهاب الراصد ﴾

مطبعة المقتطف ، المكتبة السلفية : ٣١٧ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٥ قرشاً

هو بحث تحليلي انتقادي وردّ علميّ تاريخي على كتاب « في الشعر الجاهلي » للدكتور طه حسين وضعه العالم الفاضل الاستاذ المحامي الكبير محمد لطفي بك جمعة ، فجاء حافلاً بالمعارف الادبية والحقائق التاريخية التي كنا نتمنى أن نجدها مجموعة في كتاب عربي ترجع اليه ناشئتنا لتعرف قيمة ماضيها الادبي وأهمية التركة المعنوية التي انتقلت اليها عن سلفها المجيد. وقد أعجبنا كثيراً وقرَّ أعيننا ماجاء في مقدمة الكتاب عن الشعوبية المصرية ومنازع أهلها وسفه أحلامهم وخروجهم عن قواعد العلم ومقررات فن النقد وجنوحهم الى الخطأ والمغالطة في استعماله

والشهاب الراصد مؤلف من أربعة كتب : الأول في الشعر الجاهلي والامة العربية . والثاني عن البحث التاريخي العلمي في اللغة العربية . والثالث في انتحال الشعر وأسبابه . والرابع في الشعر والشعراء . وهو حافل بالمعلومات التي لو لم تكن في معرض الردّ على ترّهات طه حسين لكانت بنفسها من أنفع المعارف التي نحن في حاجة الى معرفتها . فنشكر للاستاذ عنايته بالذب عن الأدب العربي ورجاله الأمجاد

﴿ الدنيا في امريكا ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية : ٢٠٥ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٥ قرشا

الاستاذ أمير بقطر سكرتير الجامعة الامريكية في القاهرة متخرج في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك . ولما كان هناك أعد العدة لتأليف كتاب عن الديار الامريكية وما فيها من مظاهر الحضارة وحركة العمل ومعاهد العلم ، فأضاف الى مشاهداته الشخصية ماحصل عليه من المعلومات في الكتب المختلفة . فكان منها هذا الكتاب الذي يكشف للقارىء عن جانب القوة والعظمة في تلك الديار الحافلة بالعمل وآثاره . وهو مزين بالصور الجميلة ، فيجدر بكل من يحب ان يعرف عظمة الديار الأمريكية الاطلاع عليه

﴿ ذكرى شكسبير ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها : ٣٢ ص بقطع الجاير ، ثمنه ٣ قروش

أذاعت جمعية الشعر بلندن دعوة على الشعراء من كل الأمم لينظموا ثلاث قطع في وصف شكسبير وتخليد ذكره لمناسبة تجديد مسرح شكسبير بعد احتراقه : القطعة الأولى قصيدة غنائية ، والثانية رباعية تكتب على جدران المسرح ، والثالثة قصيدة عامة . وقد انتدب للدخول في هذه المسابقة من شعرائنا الاستاذ الدكتور احمد زكي بك أبو شادي ، فنظم هذه القطع الثلاث ملاحظاً فيها شخصية شكسبير وأدبه ووصفها باسلوب يروق الانكليز اذا نقل بلغتهم . وأهم هذه القطع القصيدة الثالثة التي صوّر فيها عبقرية شكسبير ، وتفنّنه ونمطه ، وختمها باستعراض آثاره . وهي كسائر منظومات الدكتور أبي شادي ملأى بالمعاني المبتكرة والتصوّرات الجميلة

﴿ تكوين الصحف في العالم ﴾

كتاب لطيف ألّفه حضرة الفاضل قسطاكي أفندي الياس عطارة الحلبي وجعله مؤلفاً من تمهيد مطول وسبعة عشر فصلاً . فتكلم في التمهيد على الصحافة بوجه عام وأشار الى الاطوار التي تقلبت عليها . ثم عقد فصلاً لأقوال العظماء في الصحافة ، وفصولاً عن تكوين الصحف في أوربا وأمريكا فالصين فايطاليا فجرمانيا ففرنسا فانكلترا ومستعمراتها فالسويد ونروج والدانيمارك فروسيا فالنمسا فهولندا وبلجيكا وسويسرا فاسبانيا والبرتغال فتركيا فالممالك البلقانية فايران فاليابان فأمريكا . وحبذا لو اقتصر على تاريخ الصحافة نفسها فلم يتعرّض لما لا يتّسع له حجم الكتاب من الابحاث التي قد يخالفه فيها كثير من قرائه كالتوسع في الحملة على الثورة الفرنسويّة ، والتحامل على الصحفيين المصريين الذين كانت لصحفهم نزعة اسلامية كالمؤيد وصحف الحزب الوطني ، وكالصفحات التي تكلم فيها على الحركة الوطنية المصرية بعد الحرب ، والكلمات الجارحة عن الثورة السورية . فالصفحات التي شغلها بهذا الكلام كان أولى أن يصرفها للتوسع في موضوعه

انباء اجتماعية

﴿ عسير ﴾

وُقِّعتْ يوم ١٤ ربيع الثاني ١٣٤٥ اتفاقيةٌ عربية بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين سيادة الامام الحسن ابن علي الادريسي امام عسير ، وبحضور سيادة السيد أحمد الشريف السنوسي . وهي مؤلفة من مقدمة وأحد عشر مادة . وقد اعترف فيها سيادة الامام الادريسي بأن حدود بلاده الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ (بين سلطان نجد والسيد محمد بن علي الادريسي رحمه الله) صارت بموجب الاتفاقية الجديدة تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها ، وأنه لا يجوز للامام الادريسي - الا بعد موافقة جلالة الملك ابن السعود - الدخول في مفاوضة سياسية مع أية حكومة ولا أن يمنح أي امتياز اقتصادي ولا أن يشهر حربًا أو يبرم صلحًا ، ولا أن يتنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩

ويعترف جلالة الملك ابن سعود بحاكمية امام عسير الحالي على أراضي عسير مدة حياته ، ومن بعده لمن يتفق عليه الادارسة وأهل الحل والعقد في عسير . وللامام الادريسي ادارة بلاده الداخلية على أن تكون وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين . ويتعهد الملك ابن سعود بدفع كل تعدٍّ داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير

وتُعرف هذه المعاهدة باسم (معاهدة مكة المكرمة)

﴿ ناد أدبي في تونس ﴾

تجدَّدت الهمة في جمعية قدماء الصادقية بتونس الى احياء المنتدى الأدبي الذي تأسس في ناديها منذ عامين وقام مجلسها الجديد يحضّ على جمع شتات المفكرين والادباء في هذا المنتدى ليكون واسطة لتنظيم جهودهم وترقية وسائل اشتغالهم بأساليب الأدب واعزاز لغة العرب . أخذ الله بأيديهم

المغرب الاقصى

كتب المسيو ستيفان لوزان مقالة في الطان بعنوان (مراكش غير الجزائر) قال فيها : « ان المراكشي يحترم حكومة سلاطينة ، ويتمسك بعاداته التقليدية الموروثة ، ولا يسمح بحال من الاحوال باندثار جميع الاشياء التي تتجسّم فيها روح الماضي الجليل . واذا ما اندثر شيء منها تثور ثائرته وتنتابه اللوعة عليه . وهو عظيم الانتباه دقيق الملاحظة لكل مايقع حوله من الامور مما لا يمر ببال الفلاّح الجزائري » وبعد أن ذكر ستيفان لوزان شدّة تمسك ابن المغرب الاقصى بقديمه قال : انه مع ذلك يُقبل على النافع من الاوضاع المدنية كالمستشفيات والمدارس ، وفي البلاد الآن أكثر من مائتي مدرسة ابتدائية . قلنا : ولو أن المعارف فى البلاد الاسلامية عامة والمغرب الاقصى في جملتها تأسست لغير الدعايات السياسية والفكرية ، أي لو رُوعي في تأسيس المعارف فى العالم الاسلامي حاجة المسلمين أنفسهم وكانت المدارس التي تؤسس في بلادهم بعيدة عن الاغراض السياسية والدينية والفكرية لكان لهم فى الاقبال عليها شأن غير شأنهم الحاضر

صحيفة يمانية

صدرت في صنعاء صحيفة عربية اسمها (الايمان) اشارة الى الحديث الشريف « الايمان يمان والحكمة يمانية » وعُهد بانشائها الى القاضي عبد الكريم مطهر . وهي تنشر مرة في كل اسبوعين وكان للترك فيما مضى صحيفة رسمية أصغر من هذه الصحيفة اسمها (صنعاء) تنشر بالعربية والتركية

آثار شرق الاردن

اكتشفت بعثة المتحف البريطاني في شرق الأردن أثوابًا أثرية قديمة ، وهي مذهبة ومرصعة بالجواهر الكريمة ، ويظنون أنها جزء من كنز أثري لعله أهم من كنوز توت عنخ آمون

﴿ يقظة المسلمين في جاوه ﴾

أشرنا في الجزء الرابع (ص ٢٨٨) الى المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في جاوة . وقد جاءتنا صحف تلك الديار وفيها ان المؤتمر ختم اجتماعاته في الجلسة السابعة المنعقدة في ليلة الجمعة ٢٣ ربيع الاول . وقد خطب فيها الحاج اقوس سالم خطبة اندفع فيها ببلاغته كالسيل الجارف واللج المائج يملي نصائحه الثمينة ويحرّض رجال المؤتمر على الاخلاص في العمل ، والثبات أمام العراقيل ، وعدم الالتفات الى المقاومات والمناهضات التي قد تثور في وجوههم . ثم تكلم على الحركة الاسلامية في الهند الشرقية فقال « انها حركة مباركة ، وقد بات الشعور بالحاجة الى النهوض لا ينحصر في طائفة دون طائفة بل سرى في الصغير والكبير وعمّ الرجال والنساء ، حتى الذين كان الدين في نظرهم مقصوراً على الصلاة والصوم ودخول الخلوة لقراءة الأوراد فقد خرجوا الآن من عزلتهم وصاروا يعقدون المؤتمرات ويغامرون في التدخل بالعموميات ، ومهما كان الخلاف ـ في الطرق والأساليب ـ فالمرمى واحد وهو تنوير السبيل لرقي الامة الاسلامية ، وشعوب الهند الشرقية » ونزل عن المنبر بين التصفيق الحاد والهتاف المستمر

﴿ مصر والعالم العربي ﴾

أقام صفوت بك العمري المدرس المصري بمدرسة المعلمين ببغداد حفلة تكريم للدكتور شهبندر والوفد السوري . فخطب صاحب الحفلة مشيراً الى الرابطة القومية بين مصر وجاراتها العربية . فأجابه الدكتور شبنهدر بخطبة مهمة جداً قال فيها عن مصر انها لا يفصلها عن جسم سوريا وبلاد العرب الا ٢٧ متراً من الماء حفرها دُلسبس ، وان العروبة واللغة ـ وعليهما تقوم دعائم القومية العربية ـ ليس هناك موانع تقوى على فصم أواصرهما وان اعتماد مصر على المصريين وحدهم خطأ عظيم وتشبه مصر بمصطفى كمال خطأ أعظم ، وعلى فرض أن حركة الكماليين نافعة لهم فان تقليدها في مصر يضر بها

﴿ مدرسة الآثار العراقية ﴾

أوصت مس جرترود لوثيان بل قبل وفاتها بهبة قدرها ستة آلاف جنيه لمدرسة الآثار الانكليزية في العراق



ج ٧ : م ٣ القاهرة رجب ١٣٤٥

شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ — ١٢٠٦ هـ

أرأيتَ هذا الانحطاطَ الذي انحدر المسلمون الى قَرارته المحزنة ؟

أرأيتَ هذا الانحلالَ المخيف الذي أُصيبتْ به القوميةُ العربية في أخلاق بنيها ومَواهِبهم وقُواهم ؟

أرأيتَ هذا الذُّلَّ الذي بسط على الشرق ألفَ جناحٍ وجَناح من خُمول وفقرٍ ورياءٍ وحسدٍ وكَذِب وكسَل وشهوَات ، فحال ذلك بيننا وبين نُور الهدىٰ ونسيم الحياة ؟

إن هذا كلَّهُ نتيجةٌ لشيء واحد ، وهو ان المسلمين استحدثوا للاسلام مدلولاً آخر غيرَ المدلول الذي بُعثَ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليأخذ بيد هذه الامَّة اليه ، ويحملها عليه . حتى إنَّ جزيرة العرب ، وَطنَ الاسلام الذي انبلجتْ من افقهِ أنوارُ الهداية فبلغتْ لجج بحر الظلمات من الغرب وبلادَ يأجوجَ ومأجوج من الشرق ، هذا الوطن الذي بشّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأن الاسلام سيأرِز اليه كما تأرِزُ الحيَّة الى جحرِها ، هذا الوطن الذي كان يجب أن يكون فيه

المثَلُ الاعلى للفضائل الاسلامية ، قد أهملت حكوماتنا السالفة أمرَه ، و نسيت قابليته وسابقتَه وفضلَه ، وتجاهلت ربوعه وأهله ، فعاد سكانُ الجزيرة بهذا الاهمال الى مثل جاهليتهم الاولى : من التفرُّق ، والتحاسُد ، و بَغيِ بعضهم على بعض ، وابتعاد نفوسهم عن الفضائل الاسلامية ، وخالفوا عقيدةَ التوحيد في أقوالهم وأفعالهم ، واستعلى ذوو الاهواء والضلال منهم على أهل الفقه والعفة والصلاح

ولكنَّ هذه الجزيرة مابرحت أمَّ العجائب ، ومَنْبِت الابطال في أيام الشدائد ، ومصدرَ الانقلابات الهائلة في وقت الحاجة اليها : وقديماً كان وميضُ الحكمة العالية يلمع في حنادس جاهليتها وزمانِ أميتها ، فتنطق ألسنتهم على البديهة بما يندر صدورُ مثله عن أعرق الامم في الحضارة . ولا غَرْوَ فانَّ اللغة التي تكوَّنت بهذا الوضع الدقيق في صحارى جزيرة العرب وجبالها لا يليق بها إلاَّ منطقُ أبناء هذه الصحارى والجبال وبيانهم الحكيم

من ذلك الوطن المقدَّس اختار اللهُ أن يرتفع صوتُ الهداية داعياً : حيَّ على الفلاح ، فتردِّده المآذن في جميع آفاق الدنيا آناء الليل وأطرافَ النهار إلى أبد الآبدين (١)

ومن ذلك الوطن المقدَّس نبغ رجال من أهل العدل والبصيرة والجلادة والصدق ، لم تلد نساء الأرض رجالاً يعدلونهم في مجموع ما امتازوا به من الفضائل

---

(١) مابرح الاذان الاسلامي موضع اعجاب العقلاء من جميع الملل . ويروى عن العلامة الشهير سعيد الخوري الشرتونى صاحب معجم (أقرب الموارد) أنه كان سائراً مع صديقه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في بعض أحياء (بيروت) فسمعا المؤذن يدعو الى صلاة العشاء بصوت جميل يشعر بالتقوى والاخلاص . فقال الاستاذ الشرتونى لصديقه :

— حقاً ما أجمل الاذان وأعمق أثره فى الافئدة ، انه شرع للدعوة الى الصلاة ، ولكنه هو بنفسه صلاة

تلك هي البلاد التي شاءت إرادةُ الحقّ جلّ جلاله أن يأرزَ الاسلام الى قلبها إذا ضِيم في خارجها ، فهي حصنه الحصين إذا قلّ النصير ، ومنها ينبت الحُماة والحَفَظَة إذا عزّ المعين

من قلب جزيرة العرب ، ومن مكانٍ في مَشارقها منعزلٍ عن الناس وبعيد عن طريق السابلة ، ارتفع الصوتُ مرةً ثانية داعياً الى فطرة الاسلام بعد أن ابتعد الناس عنها ان لم يكونوا قد تحوّلوا الى ما يناقضها ، ولم يكن في هذه الدعوة فلسفة تستعصي على الافهام ، ولا مذهب ينطوي على عقائد أو عبادات جديدة ، ولا معانٍ غامضةٌ تحتاج الى إعمال الرأي ، وإنما مَدارُ هذه الدعوة على الرجوع الى أصول الشرع الصافية التي تولّى الله حِفظَها الى يوم القيامة

ارتفع هذا الصوتُ — في الربع الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة — من فم شابّ نجديّ من سُلالة زيد مَناةَ بن تميم ، كان يتوقّد ذكاءً ويتلهّب غيرةً ويمتلىء قلبه عزيمةً وأملاً ، وهو **محمد بن عبد الوهاب** أحد أبناء قاضي بلدة العُيَينة في الديار النجدية [1] وكان جدّه سليمان أعلم علماء نجد في عصره

﴿ نشأته ﴾

وُلد محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥ هـ في (العُيَيْنة)[2] من نجد ، ونشأ

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمرو بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (أنظر كتاب : مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد لراشد بن علي الحنبلي ، صفحة ٣٢ وما قبلها ، وهو مخطوط بالخزانة التيمورية رقم ٢٠٦٧ تاريخ * وتاريخ نجد للالوسي ص ١٠٦ المطبوع بمطبعتنا السلفية وقد ذكر أجداده الى وهيب * وكتاب التوضيح عن توحيد الخلاق لسليمان حفيد الشيخ ص ٢٦ طبع مصر * وأما ابن غنام فاقتصر على ذكر نسبه الى مشرف)

(٢) أي العين الصغيرة لعين ماء كانت فيها وغاضت . وتسمى (بلد الشيخ) أيضاً لان ابن عبد الوهاب ولد فيها

في حجر أبيه الذي كان يتولى قضاء العيينة لأميرها عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله ابن معمر ، وكان زمن هذا الأمير زمن عمران للعيينة

وامتاز محمد منذ طفولته بحدة الذكاء وسرعة الحفظ وفصاحة المنطق وطلب الحق والدعوة اليه . قال ابن غنام [١] انه حفظ كتاب الله عن ظهر قلبه قبل بلوغه السنة العاشرة ، وكان معتزلاً في غالب الاوقات لعب الصبيان ولهو الجهال والغلمان . تلقى عن أبيه فقه الامام أحمد بن حنبل ، وأكثر في صباه من المطالعة في كتب التفسير والحديث . وكان كلما تبين له أن عملاً من الاعمال المنسوبة الى الدين ليس له أصل في الدين نهض لانكاره ونهي الناس عنه . قال اخوه سليمان : كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وادراكه قبل بلوغه ومناهزته الاحتلام . واعترف والده في اثناء قراءة ابنه عليه أنه استفاد من ابنه كثيراً من الفوائد . وكتب والده الى صديق له ينوه بمدارك ابنه محمد وجودة فهمه وأنه صار يرى فيه الرجولة والتقدم وهو في الثانية عشرة من عمره . وتزوج ابن عبد الوهاب صغيراً ثم استأذن والده في أن يقضي فريضة الحج في سنة بلوغه مبلغ الرجال . فرحل الى مكة وحضر منها الى المدينة فلبث فيها شهرين وعاد الى العيينة فثابر على تلقي الدروس من أبيه وكتابة دفاتر العلم حتى كان يكتب الكراس — وهو عشرون صفحة — في مجلس واحد

﴿ رحلته في طلب العلم ﴾

استيقظ محمد بن عبد الوهاب من سِنة الصبي وأجال بصره فيما حوله من أحوال نجد فلم يجد فيها إلا ما يسر العدو ويسيء الصديق : فالعلم في حالة الضعف والاضمحلال ، وقد حصل محمد من أبيه على كل ما يعرفه ، ولم تكن معارف أبيه أقل من معارف غيره من علماء نجد . وتأمل في حالة العامة فرآهم في

(١) ص ٣٨ من نسخة الخزانة التيمورية ، وهو تاريخ مخطوط

جاهلية محزنة ، وأخلاق يأباها الدين ، وعقائد ليست من الاسلام في شيء . فاذا أراد أن يستعين عليهم بالعلماء وجدهم أضعف مما ينبغي أن يتحلى به العالم من المعارف وخلق التحقيق والاستقلال في الفهم . واذا أراد أن يستعين عليهم بالامراء وجد البلاد النجدية مؤلفة من خمسين حكومة : لكل بلدة أمير مستقل عن جاره ، وكلهم متعادون متحاسدون . وكانت نفسه الكبيرة تأبى عليه أن يكتفي بارشاد من حوله وأن يقتصر على ما يستطيعه بمعارفه القليلة . وتذكر ما رآه في الحرمين من حلقات العلم واجتماعه بالطبقات المختلفة من حجاج الاقطار الاسلامية ، فحدثته نفسه بأن يقوم برحلة طويلة يطلع فيها على ما في ديار الاسلام من أحوال العلم والارشاد ليوسع معارفه ويزداد بدينه يقيناً ، ثم يعود الى وطنه فيقوم بالمهمة العظمى التي وطن نفسه عليها

رحل ابن عبدالوهاب الى الحجاز للمرة الثانية ولعله كان في نحو العشرين من عمره : فحج بيت الله الحرام ، وزار المسجد النبوي الشريف ، ولبث في المدينة يطلب العلم ويجتمع بأهله . واكثر من لازمه فيها الشيخ عبد الله بن ابراهيم ابن سيف (١) من آل سيف رؤساء المجمعة (٢) . وبواسطة ابن سيف تعرف ابن عبد الوهاب بالعالم الكبير الشيخ محمد حياة السندي فكان من شيوخ محمد ابن عبد الوهاب . وأخذ في المدينة أيضاً عن الشيخ علي الداغستاني من كبار شيوخ الشام . وأقدم ما بلغنا من انكار ابن عبد الوهاب الاستغاثة بالنبي ﷺ كانت في تلك المدة لكثرة ما شاهده من البدع التي يرتكبها العامة عند قبره

---

(١) والد الشيخ ابراهيم بن عبد الله مؤلف كتاب (العذب الفائض من علم الفرائض) . وكان عبد الله بن سيف من ذوي العزم وناشري العلم : قال ابن عبد الوهاب : كنت عنده يوماً فقال لي « تريد أن أريك سلاحاً أعددته للمجمعة » قلت : نعم . فأدخلني منزلا فيه كتب كثيرة فقال : هذا الذي أعددت لها

(٢) المجمعة بلدة من ناحية السدير في نجد ، ولا تزال الى الآن من بلاد نجد العامرة ، ومنها صديقي ورفيقي في سجن البصرة سنة ١٣٣٣ هـ الشيخ عبد العزيز العتيق نزيل مكة الآن

صلى الله عليه وسلم خلافاً لما كانت عليه الحالة في صدر الاسلام

ورحل الشيخ من المدينة قاصداً البصرة بطريق نجد ، على أمل أن يصير بعد ذلك الى الشام . وفي البصرة اجتمع بجماعة من العلماء أخذ عنهم علوم العربية والحديث . ولازم هنالك الشيخ محمداً المجموعي [١] فحضر دروسه وتلقى عنه . وكان من عادته النهي عن المنكر بلا محاباة ولا وجل ، فأوذي في البصرة بسبب ذلك وأخرج منها ، ولحق بعض الاذى بشيخه المجموعي لعطفه عليه وانتصاره له واعتقاده الاخلاص فيه والدعوة الى الحق

خرج محمد بن عبد الوهاب هارباً على قدميه الى جهة الزُّبير ضاحية البصرة ، وكان ذلك في شدَّة الحرّ من أيام الصيف ، فكاد يهلكه العطش لولا أن أدركه رجل من أهل الزبير يسمَّى (أبا حميدان) فسقاه وأركبه حتى أوصله الى الزبير وأراد الشيخ أن يبلغ أمنيته من الوصول الى الشام لولا ضيق ذات يده ، فقصد الاحساء ونزل فيها على الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي ودخل من الاحساء الى نجد قاصداً حريملة [٢]

﴿ ابتداء الدعوة ﴾

جاء محمد بن عبد الوهاب الى نجد في هذه المرة وهو موطِّن عزائمه كلها على مكافحة البدع والرذائل ، وحملِ الناس على الطريق الواضحة : في الأخلاق والعبادات والعقائد . وقد وجَّه دعوته الى « إخلاص التوحيد والعبادة لله وحده » وجعل شعاره « القيام بنصر لا إله إلا الله » . وفي الحقّ أن هذه المهمة

(١) من أهل المجموعة حي من أحياء البصرة . وقد اجاز المجموعي الشيخ بالحديث المسلسل بالاولية وحدث عنه أيضاً بالمسلسل بالحنابلة . وقد أورد ابن غنام في الفصل الثاني هذين الطريقين نقلا عن خط الشيخ محمد عبد الوهاب

(٢) لان والده انتقل اليها سنة ١١٣٩ على أثر خلاف وقع بينه وبين محمد بن حمد أمير العيينة الجديد الذي تولاها عقب وفاة جده محمد بن عبد الله بالوباء

كانت من أصعب المهمّات ، لأنه أراد أن يحمل الناس على أن يتركوا اللصوصية وقطعَ الطريق والغزو والغش ، وأراد أن ينقلهم من الكذب إلى الصدق ، ومن الخداع والمكر الى الاخلاص في النصح ، وأنكر عليهم ما اعتادوه من دعاء غير الله والاستغاثة بالمخلوقين والسؤال بهم والاستعاذة بغير أسماء الله وصفاته ، ومخالفتهم الأحاديث الصحيحة في الحلف ، وتركهم المسنون من زيارة القبور الى مانهى الشرع عنه وجاء لاستئصاله . فكانت السنوات التى أمضاها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في حُرَيملة سنوات جهاد معنوي بما لقيه من مقاومة الناس جميعاً له وفيهم أبوه أيضاً ، وكان الشيخ يرعى لأبيه حرمة الأبوَّة ويجلّه إجلال التلميذ لشيخه ، ولكن هذا لم يمنعه قط من التصريح بالحق بلين وأدب . وقد اشتهر بذلك في جميع بلاد العارض : جريملة والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة

ولما توفي والده سنة ١١٥٣ أعلن الشيخ الدعوة الى التزام السنة واجتناب البدعة ، فلبى دعوته أناس من أهل حريملة ، وكثر بهم أنصاره فلازموه واستفادوا من حلقة دروسه ، وفي حريملة ألف (كتاب التوحيد)

ولم يكن لحريملة رئيس يحكم على الجميع وانما كان فيها أسرتان تدّعي كل منهما الرآسة ، ولاحداهما عَبيد يقال لهم (الحميان) كانوا من أهل الفساد ، وكان الشيخ يردعهم عن فسقهم وفجورهم ، فهمّوا بقتله خفية . وفيما هم يتسوّرون عليه الجدار شعر الناس بالأمر وصاحوا بهم فهربوا

﴿ الشيخ في العيينة ﴾

وكان من أهم مايشغل فكر الشيخ يومئذ أن يجمع نجداً كلها على أمير واحد ، وأن يعهد إلى ذلك الأمير بالاشراف على نشر الدعوة الى التمسك بالسنّة واجتناب البدعة في الدين واخلاص التوحيد لله . ففاوض في ذلك عثمان ابن حمد بن معمر ـ وكانت قد صارت اليه إمارة العُيينة ـ فأبدى له الأمير

ارتياحاً إلى دعوته ، وكان ذلك سببَ انتقال الشيخ من حريملة إلى العيينة . فأكرمه الأمير وتلقاه بالقبول . وكان مما قاله الشيخ له :

« إني أرجو – إن أنت قمت بنصر (لاإله إلا الله) – أن يُظهركَ الله وتملك نجداً وأعرابها »

فساعده عثمان ، وأعلن الشيخ دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفي هذه الحقبة تزوّج الشيخ الجوهرةَ بنت عبد الله بن معمر

ومن أعماله في العيينة قطعهُ أشجاراً كانت تعظَّم في تلك النواحي ، وإزالته قبة كانت على قبر ينسب الى زيد بن الخطاب – أخي عمر أمير المؤمنين – رضي الله عنهما ، وقد قُتل شهيداً وهو على راية الصحابة في حرب مُسيلمة يوم اليمامة والقبر المنسوب اليه الآن في بلدة تسمى (الُجبيلة) من بلاد نجد

ومن مآثره وهو في العيينة حملُه الأمير ابن معمر على احياء صلاة الجماعة ومنع الناس من التخلف عنها . وكان الحكام يجبون أنواعاً من الضرائب فنصح للأمير ابن معمر بأن يتركها ويجبي الزكاة . وكان خصوم الشيخ ينكرون على ابن معمر هاتين الفضيلتين (انظر تاريخ ابن غنام ص٥٦)

وبلغ أمرُ الشيخ ابن عبد الوهاب سليمانَ بن محمد بن عزيز الحميدي صاحب الاحساء والقطيف وما حوله من العربان ، فكتب سليمانُ إلى ابن معمر يقول :

« إن المطوّع الذي عندك قد فعل مافعل وقال وماقال [1] . فاذا وصلك كتابي فاقتله ، فان لم تقتله قطعنا خراجك الذي عندنا في الاحساء »

وكان خراجه ١٢٠٠ دينار ذهباً وما يتبعها من طعام و كسوة . فلما ورد الكتاب الى عثمان لم تسعه مخالفته ، فأرسل الى الشيخ محمد وأخبره بكتاب سليمان وقال له : لاطاقة لنا بحرب سليمان

---

(١) المطوع : الفقيه في لغة نجد

فقال له الشيخ : إنك إن نصرتني ملكتَ نجداً

فأعرض عنه عثمان . ثم أرسل اليه ثانياً : إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نستطيع مخالفته ولا طاقة لنا بحربه ، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلدنا فشأنك ونفسك وخلّ بلادنا

﴿ خروج الشيخ الى الدرعية ﴾

ونادى الامير بفارس من خاصته يقال له الفَريد الظفيري وضم اليه بعض الفرسان وأمره باخراج الشيخ من البلد . فركب الفارس وجماعته والشيخ يمشي أمامهم ـ وكان ذلك في موسم القيظ ـ إلى أن أخرجوه من حدود ابن معمر فجاء الى الدرعية قاعدة حكم الأمير محمد بن سعود ، وكان وصوله اليها وقت العصر فنزل في بيت (عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم العريني) ، فلما دخل عليه ضاقت بالرجل داره وخاف على نفسه من الأمير . فوعظه الشيخ وسكّن روعه وقال له :

— سيجعل الله لنا ولك فرجا

واستقرَّ عنده ، وصار أهلُ الصلاح من علماء الدرعية يزورونه خفية . ثم أراد الشيخ أن يخبر الأمير بحاله وبرغبته في نصرته ، فالتجأ الى أخويه (ثُنَيَّان [1]) و (مُشاري) ولدَي سعود والى زوجة الأمير وهي موضى بنت أبي وحطان من آل كثير ، وكانت ذات عقل ودين ، فأخبروها بحال الشيخ وصفته من الحثّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقذف الله حرمة الشيخ وهيبته في قلبها ، فأخبرت الأمير بحاله وقالت له :

— إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله اليك ، فأكرمْه وعظِّمه ، واغتنمْ نصرته

(١) كان زاهداً عابداً تعزف نفسه عن شهوات الدنيا ومناصبها وقد تلقى دعوة الشيخ بصدر رحب ، وأدرك بزهده وورعه ماوراءها من احياء لروح الاسلام فقام بنصرها وأخلص العمل لله فكان له المقام المحمود فيما أيد الله به دينه وأصلح به سكان تلك الاصقاع النائية .

فقبل الأمير قولها ، وألقى الله محبة الشيخ في قلبه

وأشاروا على الأمير أن يبدأ الشيخَ بالزيارة لعلّ ذلك يكون سبباً لتعظيم الناس له وإكرامه . فلما دخل الأمير محمد بن سعود على الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيت ابن سويلم ابتدر الشيخَ بالترحيب وقال له :

— أبشرْ بالخير والعزّ والمنعة

فقال له الشيخ : — وأنا أبشّرك بالعزّ والتمكين ، والغلبة على جميع نجد . وهذه كلمة (لا إله إلا الله) من تمسّك بها وعمل بمدلولها ونصرها ملك بها البلاد ، وهي كلمة التوحيد ، وأولُ مادعتْ إليه الرسُل من أولهم الى آخرهم

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله ﷺ ومادعا اليه ، وما كان عليه أصحابه من بعده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله . وبأن كل بدعة ضلالة . وأخبره أيضاً بما عليه أهل نجد من البِدَع والجَوْر والاختلاف والظلم . فلما تحقق الأمير ابن سعود المصالح الدينية والدنيوية فيما ذكره الشيخ قَبِلَ دعوته وقال له :

— يا أيها الشيخ ! إن هذا دينُ الله ورسولِه ﷺ الذي لاشكّ فيه ، فأبشرْ بالنصرة لما أمرتَ به ، وبالجهادِ مع من خالفك . ولكن أشترطُ عليك شرطين : الأول إذا قمنا نحن بنصرتك ، والجهادِ في سبيلِ الله تعالى ، وفتحَ الله لنا البلاد ، فلا ترحلْ عنا ولا تستبدلْ بنا غيرنا . والثاني أن لي على أهل الدرعية خراجاً آخذه منهم وقت الثمار ، فلا تمنعْني من أخذِه منهم

فقال له الشيخ : — أما الأولى فامدُدْ يدك (فمدّها وقبض على يده وقال : الدم بالدم والهدَم بالهدَم [1]) . وأما الثانية فلعلّ الله يفتح عليك الفتوحات فيعوّضك من الغنائم ماهو خير منه

(١) أي دمي دمك ، وهدمي هدمك . والهدم اسم البناء المهدوم . انظر أيمان العرب للنجيرمي في الزهراء (١ : ٢٣٩) وقد طبعناها على حدة في مطبعتنا السلفية

فبايع الأميرُ الشيخَ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى استقامة الشرائع ، وعلى الجهاد في سبيل الله . ثم قام الشيخ ودخل معه البلد . قال ابن بشر في عنوان المجد (ص ١٦) ان ذلك كان سنة ١١٥٧ . ووفد على الشيخ من العيينة وغيرها إخوانه الذين عرفوا حسن سيرته وصفاء سريرته ، ومنهم بعض رؤساء المعامرة الذين لم يكونوا موافقين لعثمان بن معمر

ولما علم عثمان بن معمر بما صارت اليه حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ندم على ما أساء به اليه ، وخاف على نفسه العاقبة ، فركب مع عدة من رجال بلده ورؤسائها وسار الى الشيخ محمد والتقى به واعتذر له وحثه على الرجوع معه ووعده بالنصرة . فقال له الشيخ :

— الأمر مفوَّض الى الأمير محمد بن سعود ، فان أذن لي بالرجوع معك فعلتُ ، وإن أراد الاقامة عنده أقمت ، ولا استبدله بغيره وقد تلقاني بالترحيب والقبول والنصرة إلا أن يأذن لي

فأتى عثمان بن معمر الى الأمير محمد بن سعود يستأذن للشيخ بالذهاب معه . فأبى عليه . وعاد ابن معمر الى العيينة نادماً

﴿ دور العمل ﴾

كانت الدرعية يوم نزلها الشيخ بلدة فقيرة ليس لها كبير شأن ، وكان أهلها على جهل وفساد في الأخلاق . فكان أول ما عمله الشيخ فيها أنه عقد لأهل البلد مجالس العلم وحلقات الوعظ من الصباح الى المساء ، وجعل يزجزح نفوسهم عن ذلك الاسفاف الذي ألفته واطمأنت اليه ، ويرتفع بها الى آفاق الخير محبباً اليها الصدق والاستقامة والتقوى . فكثر الوافدون على دروس الشيخ من أهل الدرعية والبلاد الأخرى حتى ضاقت بهم سبل العيش فصاروا يحترفون في الليل ويختلفون في النهار الى استماع تفسير كتاب الله ورواية أحاديث رسول الله

والتفقه في الدين وسلوك سبيل العاملين الصالحين . وكان الشيخ يحتمل عبئاً ثقيلا من الديون في سبيل ماينفقه على فقراء أهل العلم، وعلى الوفود الكثيرة التي تفد عليه من أهل المدن أو من البادية

وبينما سكان الدرعية سائرون بارشاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في طريق الانقلاب الروحي ، كانت الدرعية نفسها تسير في طريق الرفاهة والعمران والرخاء . وقد وصف ابن بشر (ص ١٧) ماشاهده بنفسه من حسن حالها وتقدّم الحركة التجارية فيها على عهد الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود

وفي خلال ذلك كان الشيخ يكاتب قضاة البلاد النجدية ورؤساءها، وتصل رسائله الى مخاليف اليمن ومشارف الشام والى كل مكان استطاع إبلاغ الدعوة اليه . وفي السنة الثانية من إقامته فى الدرعية جاءه أمير العيينة مبايعاً على إقامة الحدود الشرعية وإخلاص النصيحة لله في دائرة حكمه . ثم حضر أهل حريملة فبايعوا الشيخ على ذلك . وبلغ من ثقة الأمير ابن سعود به واعتقاده باخلاصه أن جعل له الكلمة العليا في سلطانه وصارت الاخماس والزكاة ومايجيء الى الدرعية من دقيق الاشياء وجليلها تدفع كلها الى الشيخ فينفقها في طرق الخير . وكان الأمير محمد بن سعود وابنه الأمير عبد العزيز لايتصرّفان في شيء إلا اذا أعلما الشيخ به وأرشدهما الى حكم الله في ذلك . ومع كل هذا فان الشيخ لم يكن يمسك على دينار ولا على درهم ، وما أتى اليه من الاخماس والزكاة يضعه في مواضعه بلاتأخير . وهذا مما رفع منزلة الشيخ عند الخاصة والعامة وكان برهاناً حسياً على أنه لامأرب له فى شيء من حطام الدنيا

وفي السنة الثالثة لاقامة الشيخ في الدرعية (سنة ١١٥٩) جاءت الأخبار بأن دهام بن دواس المتغلب على (الرياض) هاله مارأى في بلده من كثرة الداخلين في دعوة التوحيد فجعل يضطهدهم ويصادر أموالهم. ثم علم ابن دواس بأن أهل

منفوحة أطاعوا الشيخ فاعتدى عليهم ، وأصرّ على ارتكاب أفعال الجاهلية ، فأذن الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأمير محمد بن سعود بأن يقاتل الرجل . فنشبت المعارك بين ابن سعود وابن دواس ، واتصلت هذه الحرب بحروب أخرى تشمّر لها جميعُ أعداء الدعوة ممن ظنوا أنها ستذهب بسلطتهم وتزيل استقلالهم في المناطق المتعدّدة من الديار النجدية . فكان بعض الدجالين من المنتسبين الى العلم ـ مثل سليمان بن محمد بن سحيم الذي يدّعي الفقه ويتعاطى كتابة الطّلسمات والسحر ـ يكتب الى البلاد بأكاذيب يفتري بها على دعوة ابن عبد الوهاب ، بينما الأمراء الصغار الذين أيقنوا باستفحال ملك ابن سعود وأنه سيضيف بهذه الدعوة الدينية بلادهم الى ملكه صاروا يقاومون الدعوة دفاعاً عن سلطانهم . ولكن الحق كان مقبلاً على تلك الديار كالشمس إذا أقبلت من مشرقها . ومازالت دائرة الدعوة تتسع والمعلّمون ينتشرون من الدرعية الى جميع الديار النجدية رغم العقبات التى تعترضهم الى أن تحوّلت نجد من حال الى حال وصار المثل الأعلى الذى ينشده أهلها أن يكونوا آمرين بالخير عازفين عن الشر مؤدّين حق الله وحق عباده

والحقُّ أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أوجد في نجد انقلاباً فى الأخلاق والعادات والتربية الدينية ، وكان هذا الانقلاب الروحي يسير جنباً الى جنب مع الانقلاب السياسي الذي انتهى بتقليص ظل السلطات المتعددة والطوائف المتفرقة وتوحيدها بالتدريج حتى صارت الى مانرى

وبلغ من استفحال أمر هذه الدعوة واكتسابها القوة والهيبة أن بات الشريف غالب أمير مكة يفكر فى أمرها ، ومايجب أن يكون له من موقف تجاهها . فأرسل قبل وفاة الشيخ بسنتين (أي فى سنة ١٢٠٤) كتاباً الى الامير عبد العزيز بن سعود يطلب أن يرسل اليه واحداً من علماء نجد عارفاً بحقيقة ما

يدعو اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب . فأرسل اليه القاضيَ عبد العزيز بن عبد الله الحصين ومعه كتاب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ويؤكد المؤرخون أن الشريف مال الى الأخذ بذلك والجنوح الى توحيد الكلمة لولا أن بعض فقهاء مكة أفهمه أن معنى ذلك دخوله فى طاعة ابن سعود و بسط نجد سيادتها على الامارة الشريفية ، فدخل الوسواسُ قلبَ الشريف غالب ، ونشأت عن ذلك نكبات كان العالم الاسلامي فى غنى عنها

وكان الشيخ بين سنتى ١١٥٧ و ١٢٠٦ التي توفى فيها يقضي أوقاته فى الوعظ والتعليم ، وفي التأليف ، وفي كتابة الرسائل الى الأقطار ، وإعداد الدعاة ونشرهم ومراقبة سيرتهم[1] ، فضلا عن مشاركته الأمير ابن سعود في الرأي ومباشرته تقسيم الاخماس والزكاة

﴿ مؤلفاته ﴾

للشيخ كتاب فسر فيه آيات من القرآن ، واستنبط منها أحكاماً كثيرة . وله تفسير للفاتحة

وله كتاب أصول الايمان ، وكتاب تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، وكتاب التوحيد (وعليه شروح كثيرة لعلماء نجد) ، وكتاب معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ، وكشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفه ، ومعنى الكلمة الطيبة ،

(١) من أمثلة مراقبته أعمال الدعاة أنه حين بلغه انكار بعضهم على أهل الاحساء تقبيلهم يد الشريف عبد المحسن كما أنكروا على الشريف لبس العمامة الخضراء كتب الى الامير ثنيان ابن سعود والى أحمد بن محمد بن سويلم كتاباً ينهى فيه (الاخوان) عن مثل هذا الانكار ويقول لا يجوز للمسلم أن ينكر أمراً لا يعرف حكم الله فيه . ثم ذكر أن مسألة تقبيل اليد مسألة خلافية ، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس ، وأن لبس الاخضر أحدث لتمييز آل البيت وقد أوجب الله لهم حقوقاً لا يجوز لمسلم أن يسقطها . فانكار مثل هذه المسائل ليس من التوحيد بل هو من الغلو (انظر كتابه هذا فى تاريخ ابن غنام ص ٢٤٣)

وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب مفيد المستفيد ، ومختصر الانصاف

ومن كتبه رسالة في التقليد وأنه جائز لاواجب ، وكتاب الكبائر ، وبيان التوجه في الصلاة ، وآداب المشي الى الصلاة (اختصره من المقنع) ، ومختصر الشرح الكبير ، ومختصر الفتاوي المصرية لشيخ الاسلام ابن تيمية

وله كتاب النبذة في معرفة الدين الذي معرفته والعمل به سبب لدخول الجنة واضاعته والجهل به سبب لدخول النار

واختصر السيرة النبوية لابن هشام ، والهدى النبوي لابن القيم

ومن مؤلفاته المسائل التي خالف فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية (تزيد على مائة مسألة وللسيد محمود شكري الألوسي شرح عليها)

وله رسائل الى أهل البلاد النجدية والاقطار الاسلامية أثبت بعضها ابنُ غنام في الفصل الثالث من تاريخه

وله أجوبة على مسائل سئل عنها أثبت بعضها ابن غنام في الفصل الرابع

﴿ وفاته ﴾

وانتقل الشيخ الى رحمة الله ورضوانه في ذي القعدة سنة ١٢٠٦ عن عمر ناهز ٩٢ سنة قضاها بالعلم والعبادة والدعوة الى الحق وهو نزيه اللسان عفيف النفس طاهر الذيل لايبتغي من الدنيا قليلا ولا كثيرا. وقد تخرّج عليه عشرات من العلماء والقضاة والمؤلفين والمرشدين

﴿ الافتقار الى الناس ـ والاستغناء عنهم ﴾

قال عبد الله بن المقفَّع : ليجتمعْ في قلبك الافتقارُ الى الناس والاستغناء عنهم . وليكن افتقارُكَ اليهم في لين كلمتك لهم ، وحسن بِشرِكَ بهم . ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عِرضك ، وبقاء عزّك

حمى العروبة

هذه القصيدة القيت في حفلة تكريم اقيمت في نزل بابل بالكرخ (بغداد) للزعيم العربي الدكتور عبد الرحمن شهبندر ورجال الوفد السوري الى العراق

حِمى العروبة جسمٌ قلبُهُ الشامُ والوفد سَوْداؤه، والعُرْبُ أرحام (١)
اذا تألَّمَ عضوٌ منه شاركه باقيه، وانتابه ضرٌّ وآلامُ
رِيعَتْ دمشق فضجَّتْ مصرُ واضطربت بغدادُ وا كتأبتْ في الريف أقوام
تعيا السياسةُ عن تمزيق وحدتنا ما دام يجمعنا جِذْمٌ واسلام (٢)
وانَّ شعباً كهذا الوفد قادتهُ يأبى الالَه بأن تغويه أوهام
وفدٌ تعالى عن الأنداد تَجَمَّلَهُ حزمٌ وعزم وإيمان وإقدام
الهولَ يركبُهُ، والصعب يجشَمُهُ وليس يعروه في الحالَين إحجام
آلى بأنْ لا يحطَّ الرحل في بلدٍ ما لم تفزْ بالذي ثارتْ له الشامُ
طوراً بأعلى دمشق الشام محتربٌ وتارةً برمال القاع عوّام
جاب المفاوزَ والأخطار محدقة وخاض في اللُّج والآذيّ آكام (٣)
في الله غازٍ، وللأوطان مغتربٌ، وللعُروبة قوّام وجشّام
آمنتُ بالهمة العلياء ينذلها ولم يسخّره دينارٌ ودِرْهام
فهكذا هكذا مَنْ يبْتغي شرفًا وهكذا هكذا الأبطالُ والهام (٤)

***

ياوفدُ أهلاً وسهلاً إننا عَرَبٌ وهذه دارُنا والأهل خُدّامُ
ولستَ بالضيف لكن ربّ منزلنا وبعض حقك إجلالٌ وإعظام

(١) سوداء القلب وسويداؤه وأسوده : حبته وقيل دمه
(٢) الجذم بالكسر : الاصل من كل شيء والمراد هنا الاصل العربي . ويقال : جذم القوم أهلهم وعشيرتهم ومنه حديث حاطب « لم يكن رجل من قريش الا له جذم بمكة »
(٣) الآذي الموج (٤) الهام جمع الهامة : هو رئيس القوم وسيدهم

وافيتَ فابتهجتْ أوطاننا فرحاً ... وثغرُ بغدادَ للأفراح بسّامُ
والأفق طَلْقٌ ووجه الأرض منبسطٌ ... وللعنادل في الأدواح أنغام
ورقّت الريحُ أنفاساً وراقَ بها ... ماءُ الحياة وطاب الليل والعام(١)
حتى كأنّ الربيعَ الطلقَ مبتسماً ... عادتْ لنا منه بالأفراح أيّامُ

***

يا وفدُ فابقَ فإنّ القوم مغتبطٌ ... بالقرب منك وأنت الكافُ واللامُ
أعِدْ لنا ذِكْرَيات المجد مشجيةً ... عسى تعود لمن قد ضلَّ أفهام
نَسُوا عهوداً مضت في أرض أندلس ... وغرَّهم زخرفٌ وشتّته أعجام
وأنكروا سلفاً في الصين دقّ لهم ... طبلٌ ، ورفّتْ لهم في الغرب أعلام
وسفّهوا شِرْعةً جاء النبيّ بها ... وكلٌّ ما عندهم نقضٌ وإبرامُ
إن قلت : هاتوا دليلاً تعتلون به ... شالَتْ نعامتهم ، والجهل أقسام
وليس يشفيهمُ من داء جهلهمِ ... إلا طبيب حكيم إسمه السام(٢) !
إني لأعجب إذ قد راج باطلهم ... وظُنّ خيرَ دواءٍ وهْوَ برْسام
ما في مزاعمهم نفعٌ لنا ولهم ... لو صحّ للقوم أفهام وأحلام
مآثر العَرَب العرباء خالدةٌ ... والدهر يهرَمُ والإسلام إسلام
فليجحد الجاحدون اليوم ما قدروا ... فالحقّ أبلجُ والبرهان صمْصام
لنا مقاولُ أمضى من صوارمنا ... حدّاً ، وأفئدةٌ صلب ، وأقلام
إذا انبَرَيْنَ دفاعاً عن مآثرنا ... حسبتَ رعداً له هدر وإرزام
أمّا البيانُ – ونورُ الشمس رونقُه – ... فانما هو إيحاء وإلهامُ

(١) العام : النهار ومثله العيام كسحاب (٢) السام : الموت ، وفي جديث سلام اليهود: كانوا يقولون السام عليكم فكان يرد عليهم فيقول : عليكم بغير واو كما كان يرويه ابن عيينة وهي الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردوداً عليهم خاصة واذا ثبتت الواو وقع الاشتراك معهم فيما قالوه

يعيه كلُّ فؤادٍ صحَّ من مَرَض إلا فؤاداً به غيٌّ وأسقام

***

يا غافلين ، ونارُ الشر موقدةٌ ، سوّوا صفوفكُمُ فالخطب مجهام
ذروا التفرق في الآراء واجتمعوا إن التفرّق للأوطان هدّام
فيم العداء وقد حلّتْ بسوحكمُ ارزاء ، والجرحُ دامٍ ليس يلتام
ألم يجئكم حديثُ الشام إذْ ضُرِبَتْ فأصبحت وهْيَ أطلال وأرقام ؟
عاث الفرنسيس فيها وهي آمنة كما تعيث بنبت الحقل أغنام
هدّوا منازلها ، راعُوا عقائلها ، بزّوا أراملَها ، والشرّ تجشام
مضتْ عليها شهورٌ وهي واجفة حتى أناخ بها ضرٌّ واعدام
وذي الوفودُ ببغدادٍ مذكّرةٌ وعندها من حديث القوم أقسام

بغداد محمد بهجة الأثري

﴿ المَحْفَىُ العراقي ﴾

أشرنا في ص ٢٢٦ من الزهراء لهذه السنة الى تأسيس مجمع لغوي في العراق ، وسمّينا أربعة من أعضائه . ثم قرأنا في صحف العراق انه تم انتخاب سائر الاعضاء وهم الفاضل المحقق الدكتور أمين بك معلوف والاستاذ توفيق بك السويدي وتوفيق بك الفلاحي من رجال الجيش والاستاذ رستم بك حيدر سكرتير ملك العراق . وقد اصطلحوا على تسمية المجمع اللغوي باسم (المحفىُ) . وهو سينظر في الاصطلاحات العلمية والأدبية وما يحدث من الكلمات ولا سيما اصطلاحات الكتب المدرسية ، وسيعمل على توسيع اللغة وانهاضها الى مستوى لغات العلم والأدب في العصر الحاضر

الاستعمار، الحماية، الانتداب

جاء في تقرير المسيو موتيه ـ عضو مجلس النواب الفرنسي ـ الذي رفعه الى مؤتمر الاتحاد الدولي البرلماني المنعقد في برن يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٤(*) :

« من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوّغه قانون ، وكثيراً ما ظهر بمظهر الفظاظة والغلظة لأنه هو القاضي بحكم القويّ على الضعيف . وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها . والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلاّ الاسماء التي تنتحلها لنفسها الامم المستعمرة . وقد أراد المستعمرون أن يسدلوا على أعمالهم ثوباً شرعياً قانونياً ، فقرروا ضمّ ما استولوا عليه من البلدان الى ممتلكاتهم بحجة نشر المدنية والعلوم ! والحقيقة أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لمصلحتهم

« ولما ظهرت أغراضهم للملأ أبدلوا كلمة ضمّ بالحماية التي ليست إلاّ نوعاً من التذبذب والنفاق ، لأنهم لم يقصدوا بالحماية إلاّ استعباد البلاد التي قد يستولون عليها ، وإزالة كل مراقبة دولية عليها ، لكي يستغلّوا خيراتها وحدهم دون سواهم

« ولما شاخت كلمة الحماية وهرمت ، وتحقق أنه لا أسوأ منها لحماية البلدان والامم ، اتجهت أنظار المستعمرين الى حكم البلاد النائية بشكل جديد سمّوه الانتداب ، وذلك مما يذكرنا بقول لاروشفوكول :

« النفاق حكمة تقدّمها الرذيلة للفضيلة بكلّ احترام

" *L' hypocrisie est un hommage que le vice rend à la vertu* „

(*) ونحن ننقله عن التقرير المرفوع في الشهر الماضي الى رآسة مجلس الشيوخ المصري من حضرة ألفريد بك شماس عضو مجلس الشيوخ المنتدب الى مؤتمر الاتحاد الدولي البرلماني

جرها Gerrha

جواب من الهند على سؤال من مصر

كتب الينا الاستاذ العلامة المحقق السيد سليمان الندوي منشىء مجلة (معارف) الهندية ورئيس جمعية (دار المصنفين) الشهيرة [١] يقول :

« رأيتُ في الزهراء (ج ٤ م ٣ ص ٢٢٢) سؤالا للاستاذ المفضال محمد أمين بك واصف ـ صاحب معجم الخريطة الاسلامية ـ عن كلمة (جرها Gerrha) العربية الاسم اليونانية اللهجة ، وعن أصلها العربي . وهو يراها محرَّفة عن (جرعاء مالك) بالدهناء شرقي حزوى ، ويقول : « حُزْوَى من جبال الدهناء وتمتدُّ من اليمامة الى ديار تميم . وهي ـ أي جرها ـ كما قال سترابون وغيره ممن كتب عن بلاد العرب من اليونان والروم ـ عاصمةُ بلاد الجرّهيين Gerrhéens وهى أيضاً فرضة بلاد الخطيين Chattenicns التى هي سواحل بلاد العرب على الخليج الفارسى »

والحق الذي لا يُرتاب فيه ـ كما قال الاستاذ واصف بك ـ ان (الخطيين) منسوبون الى (الخطّ) والخطّ سِيف البحرين وعُمان و قراه ، كما قال ياقوت في معجمه (مادة الخطّ) : « ومن قُرى الخطّ القَطيف والعقَير وقَطَر . وجميع هذا في سِيف البحرين وعُمان . وهى مواضع كانت تجلب اليها الرماح من الهند فتقوَّم فيه ، وتباع على العرب » . فثبت بذلك أن (جرها) كانت عامرة في جوارها واطرافها ، ثم ما وصفها اليونان به من أنها عاصمة الجرهيين ، يدلُّ على أنها كانت مدينة زاهرة عامرة ذات حضارة

وجرعاء مالك انما كانت بقرب حُزوَى ، وحزوَى ـ كما قال ياقوت ـ

(١) وكان الاستاذ قد مر بمصر منذ سنتين رئيسا لوفد جمعية الخلافة الى الحجاز

موضع بنجد . وقال الازهري : جبل الدهناء مررتُ به . وقال محمد بن أبي حفصة : حزوى باليمامة ، وهي نخل بحذاء قرية بني سدوس . وقال في موضع آخر : حزوى من رمال الدهناء ، وأنشد لذي الرُّمَّة :

خليليَّ عوجا من صدور الرواحل بجمهور حزوى فابكيا في المنازلِ

(كله من ياقوت) . وقال أبو عبيد البكري في (معجم ما استعجم) : حُزوى موضع في ديار تميم ، قال ذو الرمّة :

أَلَمَّتْ وحزوى عجمة الرمل دونها وخفّان دوني سيله فالخورنق

قال الاحول : حزوى وخمان موضعان قريبان من السواد (العراق) والخورنق بالحيرة . وقال أيضاً :

عفا الزُّرق من أكناف ميَّة فالدخلُ فأجبال حزوى فالقرينة فالحبلُ

فأنت ترى أن حزوى لم تعين حقيقتها . وبذلك تعرف أن (جرعاء مالك) غيرُ ذات بال : لا يعرف أثرها ، ولا يعلم خبرها ، وهي لم تكن بلدة طارت سمعتها الى التجار وأصحاب السفن من اليونان والروم ، ولم تكن قطُّ عاصمةَ بلاد ، وليس لها صلة بالبحر . والذي أراه وحقَّقتُه في الجزء الاول من تأليفي ﴿ أرض القرآن ﴾ المطبوع بالاوردية أن (جرها) محرَّفة عن (القَرْيةِ). والقرية ـ كما ذكر ياقوت في المعجم ـ « يقال لليمامة بجملتها . والقرية قرية بني سَدُوس . قال السكوني : من السُّحيمية الى قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل، وفيها منبر وقصر ، ويقال ان سليمان بن داود عليهما السلام بناه من حجر واحد من أوّله الى آخره . وهي أخصب قرى اليمامة ، لها رمان موصوف ، وربّما قيل لها القُرَيَّة » . ثم قال ياقوت « والقُرَيَّة من أشهر قرى اليمامة ، لم تدخل في صلح خالد بن الوليد يوم قتل مُسيلمة الكذّاب . وقال الحفصي : قُرَيَّة بني سدوس باليمامة ، بها قصر بناه الجنُّ لسليمان ، وهو من صخر كله . قال الحُطيئة :

إن اليمامة شرّ ساكنها أهل القُرَيَّة من بني ذهل

فالقَرْية والقُرَيّة واحدة

وكانت اليمامة في القديم تسمَّى جوّاً والقرية . قال ياقوت (في مادة اليمامة) : « وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام ، وهي معدودة من نجد ، وقاعدتها حَجْر ، وتسمَّى اليمامةُ جوّاً والعَروض وكان اسمها قديماً جَوّاً » وقال بعد ذلك في هذه المادة عينها « وهي كانت تسمَّى جَوّاً والقرية » . وكانت اليمامة يسكنها طَسْم وجَدِيس . قال ياقوت « قال أهل السِيَر : كانت منازل طسم وجديس اليمامة وكانت تدعى جَوّاً وما حولها الى البحرين »

فاتضح بأجلى برهان أن القرية واليمامة وجَوّاً تطلق على بلاد واحدة تغيَّرت أسماؤها واختلفت بتغيّر الزمان واختلاف الحدثان ، وكانت هي منازل طسم وجديس أو بعض القبائل البائدة ، وكانت حدودها من أرض اليمامة الى البحرين وسيف البحرين ، وكانت فيها قصور وحصون وأعمدة وأبنية من الأحجار المنحوتة تدلّ على قِدم عهدها ، ورفعة شأنها ، وماضي حضارتها . كان بها (المُشَقَّر) وهو حصن يقال انه من بناء طَسم ، وهو على تلّ عال ، ويقابله (حصن بني سدوس) ويقال انه بناء سليمان . وابن الحائك الهَمْداني ذكره في عدة مواضع من كتابه (صفة جزيرة العرب) المطبوع في ليدن (ص ٨٨ و ١٦٨ و ١٧٨ و ٢٠٦) . وكان باليمامة قصر يسمَّى (مُعْنِقًا) . وقال ياقوت : هو أشهر قصور اليمامة ، يقال انه من بناء طَسْم على أكمة مرتفعة . و (الشموس) حصن آخر فيها ، قال ياقوت : من أجود قصور اليمامة ، يقال انه من بناء جَدِيس وهو محكم البناء . وفي القصرين يقول الشاعر :

أبتْ شرفاتٌ في شموس ومعنق لدى القصر منّا أن نُضام ونُضهدا

وقد مرّ بك ما كان في قرية بني سدوس في اليمـامة من الآثار المرفوعة والأحجار المنحوتة. وكل ذلك أتيتُ به شاهداً على أن (القرية) وهي نجد اليمامة الى البحرين كانت عامرة، ذات حضارة زاهرة، وتجارة واسعة. ولا يغرّنك عزْوُ بنائها الى سليمان عليه السلام فالناس ينسبون اليه كل بناء قديم لم يعرفوا بانيه

أما اليونان والروم فذكروا (القرية) فحرّفوها الى حروفهم فقالوا Gerra ومرّة Garrai وأخرى Gerrha . وليس من الصواب كتابة حرف G بالجيم العربية فانها تكتب بالـكاف الفارسية المفخمة (الجيم المصرية العامية) أو كافا فالـكلمة المسئول عنها ليست جرْها بل گرها، أو گرّا، أو گراي. والصوَر الثـلاث محرفة عن الأصل الواحد وهو (القَرْية) وهي تقال لليمامة كلها، وقد تدخل فيها بلاد البحرين وسواحل البحر الفارسي. ومن عادة اليونان والروم أن يسموا البلاد بعاصمتها، وله أمثلة كثيرة في جغرافيـة بلاد العرب نفسها، مثل (معين) وهو قصر أو بلدة فسموا به البلاد ثم أهلها. ولمـا كان القوم من البعداء ولم يكونوا عارفين بمواقع البـلاد ولم يروها ولا ساحوا فيها، فلم يكن علمهم بها علم عين، حتى بطليموس كبيرهم في الجغرافيا تكلّم في العرب بلا علم. ثم الاسماء تتغير بتغير الألسن واللهجات، وتقادُم العهد واختـلاف الأزمان. والعلماء في هـذا العصر قد بذلوا جهدهم في تصحيح أسماء البلاد العربية التي ذكرها بطليموس، وأحقّهم بالذكر الدكتور الألماني اشپرنغر صاحب الجغرافية العربية القديمة، وفارستر الانكليزي صاحب جغرافية العرب التاريخية وغيرها

و (القرية) عرفها اليونان والروم، وكانت ذات خير وثروة، فطمع فيها السلوقيون من اليونان الذين خلفوا اسكندر على العراق وما بين النهرين،

فزحفوا اليها سنة ٢٠٥ ق م (انظر الانسكلوبيذيا البريطانية ج ٢٤ ص ٦٠٤)

أعظم كره (الهند) سليمان الندوي

﴿ الزهراء ﴾ وقد نقلت رصيفتنا مجلة لغة العرب الغراء (٤ : ٤١٧) مقالة الاستاذ أمين بك واصف عن الزهراء وعلقت عليها بمقال نفيس بقلم منشئها العلامة الأب انستاس ماري الكرملي

وإتماماً للفائدة ألحقت رصيفتنا (لغة العرب) بتعليقها كلاماً عن الجرعاء لأحد علماء الافرنج وهو نؤيل دي ڤرجر *Noel Devergers*) في كتابه (جزيرة العرب *Arabie*) ص ٣ وما بعدها فنلفت اليه أنظار الذين يهمهم هذا البحث



السعادة

أمَّا السعادةُ (عندي) فلذَّةٌ مُستَعادَهْ
قالوا (القناعةُ) منها وانَّ منها (السِّيادهْ)
وقد أصابوا ، ولكنْ لها دَواعٍ وقادهْ
العاملون لخيرٍ المبتغون الإِجادهْ
القانعون بعيشٍ للنَّفْعِ لا للبلادهْ
الرَّاضخون لحقٍّ عن راحةٍ مستفادهْ
يبنون لا قَصْدَ زَهْوٍ ولا لأجلِ الإِشادهْ
لكنْ وُلوعاً بخَيْرٍ (فالخير)أصلُ(السَّعاده)

أبو شادي

دار العلم بطرابلس الشام

وعدد ما كان فيها من الكتب

اشتهر عن خزائن (دار العلم) بطرابلس الشام أن عدد ما كان فيها من الكتب عند ما أحرقها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ ثلاثة ملايين. وكنتُ نقلتُ في السنة الماضية (ص ١١٠ - ١١٢) من تاريخ ابن الفرات نصاً تاريخياً عن لسان فخر الملك بن عمار صاحب تلك الخزائن يؤيد صحة ذلك. ثم أطلعني سعادة العلاّمة الاستاذ احمد تيمور باشا على نصّ آخر في تاريخ ابن الفرات أيضاً جاء فيه ذكر عدد كتبها في بداية تأسيسها أي قبل حرقها بعهد طويل

فقد أورد ابن الفرات - عند ذكره فتحَ طرابلس الشام من الافرنج مدّة قلاوون سنة ٦٨٨ - نبذة في تاريخها فقال فيها عن أمين الدولة أبي طالب الحسن ابن عمّار: «وكان ابنُ عمّار هذا رجلاً عاقلاً فقيهاً سديد الرأي، وكان شيعياً من فقهائهم، وكانت له دار علم بطرابلس فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفها. وهو الذي صنّف كتاب (ترويح الأرواح ومصباح السرور والافراح) المنعوت بجراب الدولة» انتهى

فهذا العدد كان في مبدإ أمر تلك الخزائن أيام الحسن بن عمار، ثم جاء بعده الأمير علي بن محمد بن عمار، وتولى بعدهما فخر الملك عمار بن محمد. وقد علمتَ مما نقلناه في السنة الماضية (ص ١١٢) أن بني عمار عنوا بهذه الخزائن عناية عظيمة حتى كانت من عجائب الدنيا، وأنه كان فيها مائة وثمانون ناسخاً ينسخون لها الكتب بالجراية والجامكية فضلاً عما كان يُشترَى لها من الكتب المنتخبة من جميع البلاد، بل قال ابن الفرات: ان طرابلس في زمن آل عمار صارت جميعها دار علم. فسبحان من يغيّر ولا يتغير

مثال من كتاب

أشرت في الزهراء (٣ : ٢٧٦) الى الكتاب الذي يؤلفه الاستاذ العلامة السيد محمد الخضر التونسي في نقض كتاب الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين . وينتظر ان يكون هذا الكتاب في اكثر من ٣٠٠ صفحة بقطع الزهراء وحروفها ، وقد انتهى منه نيف و ٢٠٠ صفحة . والى القراء نموذجاً منه :

قال طه حسين في ص ٧٤ « أضرب لك مثلاً واحداً يوضح ماذهبتُ اليه من أن بطون قريش كانت تحثُّ على انتحال الشعر منافسة للأسرة المالكة أموية كانت أو هاشمية » . وذكر هذا المثل فقال « تحدَّث صاحب الأغاني باسناد له عن عبد العزيز بن أبي نهشل قال : قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وجئته أطلب منه مغرما : ياخال هذه أربعة آلاف درهم وأنشدْ هذه الأبيات الأربعة وقل سمعت حساناً ينشدها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم » وساق المؤلف القصة المعروفة في الاغاني [1] وهي تنتهي بأن أبا بكر قال لعبد العزيز ابن أبي نهشل : قل أبياتاً تمدح بها هشاما ــ يعني ابن المغيرة ــ وبني أمية فقال الابيات العشرة المبدوءة ببيت :

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم

ولما جاءه بها قال له أبو بكر : قل قالها ابن الزبعرى . قال فهي الآن منسوبة في كتب الناس الى ابن الزبعرى

سرد المؤلف القصة وقال « فانظر الى [أبي بكر بن [2]] عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كيف أراد صاحبه على أن يكذب وينتحل الشعر على حسان ثم لايكفيه هذا الانتحال حتى يذيع صاحبه أنه سمع حساناً ينشد هذا الشعر

---

(١) ج ١ ص ٣٠ طبع بولاق

(٢) ساقطة من قلم الناسخ لكتاب في الشعر الجاهلي

بين يدي النبي ، كل ذلك بأربعة آلاف درهم » ثم قال « فيتفقان آخر الأمر على أن ينحل الشعر عبدَ الله بن الزبعرى شاعر قريش . ومثل هذا كثير »

***

اذا عثر المؤلف على قصة مصوغة في مثال رغبته ، نسي ديكارت ، ولعن منهج ديكارت ، وأخذ يحدّثك بها حديث من شهدها بأذن تسمع ، وقلب يفقه ، ويد تلمس ، وانطلق يبنى عليها ويستنبط منها حتى يرضى

القصيدة منسوبة في كتب الناس الى عبد الله بن الزبعرى ، ونقل صاحب الاغانى [1] بسنده الى محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائلها ، ونقل بسنده أيضاً عن « عبد العزيز بن أبي نهشل » أنه هو الذي قالها ، وعزا الى أبي بكر بن عبد الرحمن ما عزا

ما وقف المؤلف على قصة أبي بكر هذا ومن يسميه « عبد العزيز بن أبي نهشل » حتى اعتنقها باليمين والشمال ، وضمها الى أشباهها مطوية على تحريفها الذي وقعت فيه نسخة الأغانى ، وكذلك يفعل من يحاول التطاول على أمة جعل الله منزلتها فوق السماكين

هل وجد استاذ الآداب بالجامعة في غير هذه النسخة من الاغانى أن في الشعراء من يسمى « عبد العزيز بن أبي نهشل » ؟ هو لا يعرف شيئاً عن هذا الذي يسميه « عبد العزيز بن أبي نهشل » سوى أن في نسخة الاغانى التى وقعت بين يديه أن صاحب هذا الاسم حكى قصة تحط من شأن أبي بكر بن عبد الرحمن ، وتشتمل على انتحال شعر ، وعزوه الى ابن الزبعرى

ورد في سند هذه القصة من كتاب الاغاني ما نصه : « عن عبد العزيز بن

---

(١) ج ٦ ص ٣١

أبي ثابت عن محمد بن عبد العزيز بن أبي نهشل عن أبيه الخ » ففهم المؤلف أن محمد بن عبد العزيز روى عن أبيه عبد العزيز بن أبي نهشل أنه قال له ابو بكر ابن عبد الرحمن : ياخال ! هذه أربعة آلاف الخ

ولو كانت القصة ثابتة على هذا المساق لكان في الشعراء من يسمى عبد العزيز بن أبى نشهل ، وفي الصحابة من يسمى بهذا الاسم أيضاً ، ولكنك تبحث دواوين الشعر وكتب الادب فلا تجد شاعرا يسمى (عبد العزيز بن أبي نهشل) وتفحص الكتب المبسوطة في احصاء أسماء الصحابة واستقصاء آثارهم فلا تجد صحابياً يسمى عبد العزيز بن أبى نهشل . وأصل العبارة في نسخ مخطوطة من الاغاني [1] : « عن محمد بن عبد العزيز عن ابن أبى نهشل عن أبيه » وكذلك جاءت في نسخة الأغاني التي نقل منها المؤلف ، حين أعاد صاحب الاغاني الحديث عن القصة في ص ٣١ بسند آخر ينتهي أيضاً الى محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل

واذا وضعنا هذه القصة وسندها على محك النقد ، اعترضنا في قبولها أمران :

(أولهما) ان السند يدور على عبد العزيز بن عمران ، وهو ابن أبى ثابت ، وقد توارد أهل العلم على الطعن في روايته : قال يحيى بن معين في شأنه « ليس بثقة ، انما كان صاحب شعر ، ورأيته ببغداد كان يشتم الناس ويطعن في أحسابهم ، ليس حديثه بشيء » وقال الحافظ أبو يحيى الذهلي « عليّ بدنة ان حدّثت عنه حديثاً » وضعفه جدا . وقال البخاري « منكر الحديث لا يكتب حديثه » . وقال ابن أبي حاتم « امتنع ابو زرعة من قراءة حديثه وترك الرواية عنه » . وقال ابن حبان « يروي المناكير على المشاهير »

فشهادة هؤلاء الاعلام بعدم الثقة بما يرويه عبد العزيز بن أبى ثابت من الحديث ، تجعلنا في ريبة من هذه القصة التي تخالف ما في كتب الناس

(١) النسخة التيمورية ، ونسخة مصطفى فاضل باشا بدار الكتب المصرية رقم ٨ أدب م

(ثانيهما) أن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث كان من سادات التابعين واحد الفقهاء السبعة المشار اليهم بالعلم والتقوى ، وقد تضافرت كلمة أهل الحديث والمؤرخين على وصفه باستقامة السيرة ولم يمسه قلم أحد بسوء ، وكان لكثرة صيامه وصلاته يسمى «راهب قريش» وكان عبد الملك بن مروان يكرمه ويقول: إني لأهم بالسوء أفعله بأهل المدينة فاذكر أبا بكر فاستحي منه

فشهرة أبي بكر بالعلم والاستقامة الى هذه المنزلة تبعدنا من قبول قصة ترميه بمحاولة شاعر على أن يحدث عن رسول الله ﷺ كذبًا . بل المظنون في رجل كابي بكر بن عبد الرحمن أن يترفع عن هذه السخافة البادية في القصة ويستغني عن فخر الجاهلية بما آتاه الله من علم وتقوى وحسب وجاه

واذا جاءت رواية على خلاف ما في كتب الناس ، وكان الراوي غير ثقة، وكانت سيرة هذا الذي تحدَّث عنه الراوي المتهم بعيدة عن وصمة ماينسب اليه، لم يبق لهذه الرواية الشاذة الا أن تسقط غير مأسوف عليها

﴿ الزهراء ﴾ هذه الطريقة من النقد التي جرى عليها الاستاذ العلامة السيد محمد الخضر هي طريقة الاقدمين من أسلافنا . وأنت ترى كيف كشفت لنا عن فوائد مهمة : منها تصحيح نسخة الأغاني، وكتمان الدكتور طه حسين للروايات التي لاتوافق هواه دون أن يشعر القارئ بذلك ، وبيان أن بطل الرواية ـ وهو عبد العزيز بن أبي ثابت ـ كان يروي المناكير على المشاهير ، وأن أبا بكر بن عبد الرحمن بن هشام ـ وهو راهب قريش وأحد الفقهاء السبعة ـ كان من الجلالة والفضيلة بحيث لايحتاج الى ارتكاب ما نُسب اليه

فكيف تسنَّى للسيد الخضر أن يكشف بطريقته القديمة عن هذه الحقائق وعجز الدكتور طه حسين عن ذلك بطريقته الجديدة ؟ ذلك يرجع الى أحد سببين : فاما أن تكون طريقة الدكتور فاسدة ، أو أن يكون هو قد أساء استعمالها

نكبة آل عثمان

نظم الشاعر العربي الكبير أمين بك ناصر الدين هذه القصيدة العصماء في نكبة آل عثمان يوم قلب لهم بنو قومهم ظهر المجن فتفرق رجالهم ونساؤهم تحت كل كوكب فراراً من الموت الذي كان يرقبهم في عاصمة آبائهم وبلاد أجدادهم ، وكان من نصيب بعضهم الالتجاء الى سوريا فكان لهم من أهلها أهل ومن مغانيها وطن ، ولا نعرف شاعراً كان أرق قلباً على هؤلاء من أمين بك ناصر الدين بعد أن هوى نجمهم وتنكر لهم من كان يرى السعادة في التماس الزلفى اليوم

قُوِّضَ العرشُ وانقضى السلطانُ　　وهوى رُكنُ ما بنى عثمانُ

واستُبيحَ الحمى المنيعُ فجاهٌ　　مُستَخَفٌّ بهِ وعزٌّ مُهانُ

سل (فروقا) والخطبُ يغشى ذراها :　　اين تلك العلى وذاك الشانُ ؟

والجلالُ الذي له خشعَ الده　　رُ ولم يحوِ مثله سلطانُ ؟

اين ذاك المجدُ الذي نطح الأُفـ　　قَ وما حاز بعضه إنسانُ ؟

اين ذاك الجاهُ الذي وسعَ الأر　　ضَ وسارت بذكره الركبانُ ؟

اين عزٌّ ذلَّت لديه النواصي　　واستقادت لربهِ الاقرانُ ؟

كلُّ هذا أتت عليهِ الليالي　　هكذا يلفظ العظاتِ الزمانُ

* * *

يا (فروق) العلياء ليتَ ابا الفتــــح يرى كيفَ نابكِ الحدثانُ

نكبَ الدهرُ منكِ عاصمةَ السؤ　　ددِ والدهرُ شأنهُ العدوانُ

فقصورٌ من ساكنيها خوَالٍ　　ناجتِ البومَ فوقها الغربانُ

اصبحت كالرموسِ ادرجَ فيهــا　　آلُ عثمانَ مجدَهم يومَ بانوا

ورياضٌ ذوتْ فساقطتِ الزه　　رَ وجفَّت من رندها الافنانُ

كم تجلَّتْ فيها الحسانُ زَرافا　　تٍ وفي الروضِ ما تَوَدُّ الحسانُ

جانسَ الوردُ موضعَ اللثمِ منهـــنَّ وحاكى المباسمَ الاقحوانُ
وعليلُ النسيمِ يختلسُ العَرْ فَ لتهوى عناقَهُ الاغصانُ
يرشفُ الطلَّ من ثغورِ الازاهـــيرِ فيغدو كأنهُ سكرانُ

***

ليتَ (عبدَ الحميدِ) ينظرُ ماصا رَ اليه السريرُ والصولجانُ
ويرى (يلدزَ) المنيفَ وقد أُقـ صيَ عنهُ الحجّابُ والاعوانُ
موطنُ الملكِ والخلافةِ والمجـ دِ علَتْهُ غضاضةٌ وامتهانُ
فلو اَستعظمَ المصابَ جمادٌ لتداعت من يلدزَ الأركانُ
يالقصرٍ لم يحكهِ الابلقُ الفر دُ بعليائهِ ولا غمدانُ
لو رآه الايوانُ في عهدِ كسرى مشمخراً لطأطأ الايوانُ
كم أطافت بهِ الكتائبُ شهْباً وتجارت أمامه الفرسانُ
وتجلّت فيهِ الخلافةُ غرّا ءَ فضاءت بنورها الاكوانُ
وبدا المُلْكُ باذخَ الشأنِ فخماً حاليَ الجيدِ روضهُ ريّانُ
راعَ زُوّارَهُ الملوكَ فقالوا أمغانٍ تبدو لنا، ام جِنانُ
ومقاصيرُ، أم بروجُ سماءٍ لم يناقضْ فيها السماعَ العيانُ
إن أبَتْ أن تنيرها الشمسُ أغنى عن سنى الشمسِ زُخْرُفٌ فتّانُ
او أبى ان يَزِينَها وَضَحُ الصبـــحِ يَنُبْ عنهُ عسجدٌ وجمانُ
خفقتْ رايةُ الهلالِ عليهِ فاستظلت بظلها البلدانُ
ولعبدِ الحميدِ فيهِ سريرٌ خفرتهُ السيوفُ والمرّانُ
وقفَ الدهرُ دونهُ خاشعَ الطر فِ مطيعاً يروعه العصيانُ
من حفافَيْهِ اشرقت غرّةُ المُلْـ كِ ففي كلّ موطنٍ لمعانُ
وبدت هيبةٌ فللعينِ إغضا ءٌ وللقلبِ بعدهُ خفقانُ

***

غاصبَ الدهرُ (آلَ عثمانَ) حتى هبطوا من يفاعهم واستكانوا
مستبيحاً حماهمُ ، واغرَ الصد ر عليهمْ ، وطرفهُ يقظانُ
فاذا العاهل الخطيرُ شديدٌ ضارعُ الجنبِ خائفٌ عبْرانُ
واذا السيّدُ الاعزُّ ذليلٌ واذا الآمر المطاعُ يُهانُ
واذا الأَصيَدُ الأَبيُّ حقيرٌ واجفُ القلبِ مطرقٌ حيرانُ
واذا الواهبُ الالوفَ فقير دامعُ العين صدرُهُ حرّانُ
واذا المجدُ والجلالةُ والجا هُ كما يطرسُ السطورَ البنانُ
واذا الحرّةُ الحصانُ تُشاكيـ ـها همومَ الحياةِ خَوْد حَصانُ
والفتاةُ الحسناء غادرها الرو عُ ووردي خدّها زعفرانُ
زخرتْ لوعــةً وبلَّلَ منها ناصعَ النحرِ مدمع هتّانُ
مازجتهُ من قلبها قَطرَاتٌ فبدا بينَ لؤلؤٍ مرْجانُ
ووجوهُ الحسانِ تزدادُ بالدمــــع جمالاً وبالأَسى تزدانُ
أَبعدوها عن موطنٍ درجت فيـــهِ وتاهت وللصبى رَيْعانُ
ودّعتهُ بنظرةٍ ثمَّ قالت ليس مثل النزوحِ عنكَ هوانُ
يا رياضَ (البسفور) جادكِ مزن كلَّ يوم لوبلهِ تهتانُ
لاذوى الزهرُ فيكِ يوماً ولا جفَّ أَراكٌ ولا تصوَّحَ بانُ
وطني أنتِ يا (فروقُ) فإن أأ لكِ حبّاً فليس لي إِيمانُ

***

آلَ عثمانَ كم روى المجدُ عنكم وأَسمكم من كتابهِ العنوانُ
يومَ أَخضعتمُ الممالك فتحاً فتهاوت لديكم التيجانُ
واستقادت لكم ملوك ودانتْ سَرَوات وطأْطأَت أعيان
يومَ كانت جيادكم تطأُ الها مَ ويخشى صهيلها (البلقانُ)

يومَ يفري أسطولكم زاخرَ اليمّ . ويعنو لناره البركانُ
وتخطّ الظُبيُ لكم سُوَرَ النصر فتُتلى كأنّها القرآنُ
يومَ كانت (فَروق) عاصمةَ الأرض وفيها الهدى وفيها الأمانُ
يومَ كانت ساحاتكم مهبطَ العدل ولم يخلُ من نداكم مكانُ
إن رضيتم فالدهرُ راضٍ مؤاتٍ أو غضبتم فانهُ غضبانُ
شدتمُ ملككم فدامَ قروناً ستةً والورى لهُ غلمانُ
وبنيتم على المجرّة عرشاً قائماهُ مهندٌ وسنانُ
واكتسحتم بسائطَ الأرضِ بالجيش خميساً تقودهُ الشجعانُ
وعدلتم حتى (اليهوديُّ) لايجزعُ إن كان خصمَهُ الخاقانُ (١)

***

ثمَّ وليتمُ الامورَ رجالاً لم يزنهم عدلٌ ولا عرفانُ
قسطوا في رعيةٍ حسبوها هَمَلاً فهي تزدرى وتُخانُ
لو تخيرتم الكفاةَ ذوي العدل لما دُكَّ ، ذلك البنيانُ
غيركم قد جنى وعوقبتمُ أنتم وحظُّ المفرّطِ الخسرانُ

***

يابني الفاتحينَ صبراً جميلاً إنما الدهرُ للورى ميزانُ
لكمُ اسوةٌ بمن ملكوا الدنيا وعادوا كأنهم ما كانوا
ومتى تكملِ البدورُ فلا بُدَّ لها أن ينوبها النقصانُ
صدَعَ البينُ شملكم فذهبتم قِدَداً اذ نبتْ بكم أوطانُ
نثرتكم (فروقُ) نثراً على الأرض كما ينثر النجومَ العنانُ

---

(١) اشارة الى حادثة تاريخية خلاصتها ان رجلا يهوديا خاصم السلطان مراداً الرابع فحكم له القاضي على السلطان ، وفي ذلك أوضح دليل على عدل آل عثمان في ذلك الزمن

قل لرهطٍ منا عتوا واستطالوا ... وأساءوا ومالهم إحسانُ
دونكم عبرةً بها اتعظ العا ... قل والله عادل ديانُ
إن أذلَّ الزمانُ سادةَ قوم ... أفينجو من بطشه العبدانُ
واذا دكت العوادى جبالاً ... افتبقى التلالُ والكثبانُ
اوَليس الذبابُ أهوَنَ صيداً ... اذ تصادُ البزاةُ والعقبانُ

لبنان

امين ناصر الدين
صاحب جريدة الصفاء

سليمان نظيف بك

١٢٨٥ - ١٣٤٥

فقد الأدب التركي في غرَّة هـذا الشهر ركناً من أركانه بوفاة سليمان (نظيف بك ابن العلاّمة سعيد باشا الدياربكري وشقيق الشاعر الكبير فائق عالي . وقراء الزهراء عرفوا فقيدَ هذا الشهر مرَّتين : احداها في السنة الأولى (ص ٥٠٦) عندما ترجمنا مقالة له عن تاريخ انتشار الاسلام للسر وليم أرنولد ، والثانية (٢ : ١٩٦) يوم نقلنا كلمته في الاعتذار للحجاج بن يوسف ، وأظن أن ولايته على البصرة ثم على بغداد ، وإطالته النظر في التاريخ ، كان مما ألهمه تلك الكلمة .

ولد سليمان نظيف في آمد (ديار بكر بن وائل) سنة ١٢٨٥ هـ وهي لا تزال مدينةً عربية كردية تركية ، ونشأ تحت نظر أبيه ، ولم يتلقَّ في المدارس غير التعليم الابتدائي لكنه تعلم خارج المدرسة العربيةَ والفارسية والفرنسية ، والتحق بأقلام الحكومة صغيراً الى أن صار سكرتيراً للجنة يرأسها المشير عبد الله باشا لاصلاح منطقة الموصل . وفي خلال ذلك انكشفت له الحقائق الرهيبة عن سوء الادارة التركية ، وأدرك ماسيكون لذلك من نتائج في كيان الامة والوطن .

ولما ضاق صدره بكثير من الامور العامة والخاصة فرَّ الى أوربا في رجب سنة ١٣١٣ ولبث في باريس ثمانية أشهر . وفي ذلك الحين بدأ الناس يرون آثار قلمه في صحف تركيا الفتاة خارج المملكة ، فنشرت له جريدة (القانون الاساسي) يوم ١٨ يناير سنة ١٨٩٧ (١٣ رمضان ١٣١٤) الرسالة الاولى من (رسائل الجزيرة) التي يذكر فيها مايعانيه سكان مابين النهرين والعراق والاناضول من الظلم وما هم فيه من تأخر وجهل . ثم ظهرت الرسالة الثانية منها في جريدة (ميزان) يوم ٢١ يونيو من تلك السنة . والثالثة والرابعة في جريدة (عثمانلي) في شهر ديسمبر . وطبعت مطبعة اجتهاد مجموعة الرسائل سنة ١٩٠٦ وبآخرها الرسالة الخامسة

ولما عاد من أوربا في أوائل شهر ربيع الاول سنة ١٣١٥ عينته الحكومة مكتوبجياً (سكرتيراً) لولاية بروصة ، وكان يواصل مجلة (ثروت فنون) وغيرها بقطع أدبية بتوقيع (ابراهيم جهدي)

وعند اعلان الدستور أنشأ أبو الضيا توفيق بك صحيفة (تصوير أفكار) فالتحق صاحب الترجمة بها . ثم عين والياً على البصرة ثم على قسطموني ـ لاختلافه مع جمال باشا السفاح الذي كان والي بغداد ـ ثم انتقل الى ولاية طربزون . وولي في أثناء الحرب العظمى ولاية بغداد

ولما وضعت الحرب أوزارها اعتقله الانكليز في مالطة . ولم يعدَّه الكماليون بعد ذلك من رجالهم

ومن مؤلفاته المطبوعة : النحيب الخفيّ ، رسائل الجزيرة ، الحرب بالمدافع ، فراق العراق ، ليالي مالطة ، في عتبة التاريخ ، قصة الافعى التاريخية ، إعزف أيها الراعي إعزف ، المملكة المسروقة ، خطبة ، البنيان المقوّض ، كتاب مفتوح الى عيسى عليه السلام ، الاعتداء على الإيمان ، الشاعر فضولي ، محمد عاكف ، نامق كمال ، مجموعة ضيا باشا

وسنتكلم على مكانته في الادب التركي في أحد أجزاء الزهراء الآتية

اللآلي

في شرح أمالي أبي علي القالي

تمهيد

أبو عُبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٣٢-٤٨٧) الوزير الأندلسي أشهر من أن يذكر، فهو غني بأدبه وعلمه ، ثقة بآرائه وروايته، صاحب التصانيف المعروفة في الجغرافيا والنبات والادب : منها (التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه) أحد نفائس الخزانة التيمورية وقد طبع أخيرا ذيلا لكتاب الامالي . وله كتاب آخر كصنوه ذكره المؤرّخون باختلاف في اسمه ومضامينه : فذهب فريق منهم الى أنه شرح لكتاب نوادر أبي علي القالي ، وقال آخرون غير ذلك . ويظهر أن هذا الاختلاف نشأ عن فقدان نسخة الكتاب ، أو ندرتها ، حتى ان المؤرخين المتأخرين لم يشيروا الى وجود هذا الكتاب . وكذلك فعل الأب انطون صالحاني في مقدمته التي كتبها على كتاب (التنبيه)

وقد أسعدني الحظ أخيرا فعثرت على نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الاستاذ الشيخ ماجد الكردي عضو مجلس الشورى في مكة المكرمة [١] ، وهي النسخة الفريدة من هذا الكتاب على ما أعلم

وصف النسخة

إن النسخة التي بين يديَّ من كتاب (اللآلي) ليست قديمة العهد ، فقد كتبت عام ١١٧٨ هـ كما يتضح مما ورد في آخرها حيث قال الناسخ : « انتهى الموجود [٢] من شرح أمالي أبي علي القالي المسمى باللآلي ووافق الفراغ من

(١) هي مكتبة غنية بمخطوطاتها ومطبوعاتها وساختصها بمقال آخر في الزهراء

(٢) جاء في الهامش : هو الكل ، وآخر الاصل « اذا ما جلسنا لاتزال تَرومنا » فلا تتوهم من قوله « الموجود » ان شيئاً من الاصل لم يوجد

تحريره وقت الظهر يوم الأحد ١٥ شهر جمادى الآخرة أحد شهور سنة ثمان وسبعين ومائة وألف حرره لنفسه الفقير لله الغني به رزق بن سعد الله بن مرور غفر الله له وللمسلمين آمين . » وفي هذه النسخة ١١٨ ورقة من القطع الكبير أي ٢٣٦ صفحة وورقها متين ، وفي بعضه اصفرار وعث لم يؤثر على الاصل ، وأسطرُ صفحاتها تختلف ما بين ٤٣ ـ ٣٩

واسم الكتاب هو (اللآلي في شرح أمالي أبي علي القالي) كما ورد في غلاف الكتاب وفي نهاية الجزء الاول منه ، وفي منتهاه [1] . والكتاب جزآن كالأمالي ، ينتهي الجزؤ الاول منه في شرح كلمة المأمون « لقد حببت الى العفو حتى خفت الا أؤجر عليه » [2] . ويبدأ الجزء الثاني في نفس الصفحة بشرح « أصْرَدُ من عَنْزٍ جَرْباء [3] »

وعلى الغلاف أبيات شعرية بخطوط مختلفة ، وأسماء وتواقيع . أما آخره فقد أُلحقتْ به أوراق بيضاء كتب على بعضها أبيات شعرية وعليها شروح وتواقيع أيضا . وفي الورقة الاخيرة هذه العبارة :

« قد استلمت من حضرة الافندي ابراهيم اسكوبي اربعة جنيه انكليزي قرضة حسنة وابقيت هذا الكتاب رهنا تحت يده الى حين الوفاء آخذه منه ولاجل ماذكر حررت هذا الشرح ليكون حجة يعتمد عليه عند الاقتضى في ١٤ الحجة سنة ٣٢٣ احمد نظيف »

وفي هوامش صفحات الكتاب عناوين للابحاث التي يذكرها البكري في شرحه ، وبجانبها تعاليق مختلفة بعضها أدبية والاخرى تاريخية . وفي بعض منها أسطر من أصل الكتاب بلا تعليق ولا شرح

وفي صفحات الكتاب أسطر بيضاء كتب بجانبها « بياض في الاصل » ، أو « لم يذكر المؤلف شيئا » ، أو « بياض في نسخة المؤلف » وما شا كلها من الالفاظ. وفي بعض الاسطر كلمات مطموسة بحبر أحمر وكتب بجانبها أوفوقها بدل

(١) في الغلاف سقط حرف « في » فجاء الاسم (اللآلي شرح أمالي أبي علي القالي)
(٢) النسخة المطبوعة ج ١ ص ١٩٩ س ٢٠ (٣) المطبوعة ج ١ ص ٢٠٠ س ٥

منها بخط الناسخ نفسه على الاكثر

والكتاب جزآن كما تقدم، ينتهي الاول منهما بهذه العبارة :

« تم السفر الاول من كتاب اللآلى في شرح الامالي ، يتلوه في الثانى : وذكر أبو علي قولهم « اصرد من عنز جرباء ». والحمد لله المعين وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله واهله الطاهرين وسلم »(١)

ثم يبدأ بذكر الشرح في الثاني بالصفحة نفسها

وخطته في الشرح هي أن يذكر جملة أو بيتا أو قصيدة من الشعر فيقول « ذكر أبو علي » أو « أنشد أبو علي » وبعد الانتهاء من نقل ما يريد شرحه يبتديء الشرح بحرف (ع) (٢) أو كلمة « قال المؤلف » والاخيرة نادرة جداً ثم يبدأ بالشرح فيذكر ترجمة صاحب الشعر أو المثل الخ ويقفي عليها بتتمة أبيات القصيدة اذا كانت ناقصة ويرجعها الى صاحبها الحقيقي فيما اذا كان أبو علي غلط في نسبتها ، وهذا كثير جدا . ومن ثم ينتقل الى شرح ألفاظها الغامضة ، أو الى الغاية التي توخاها الشاعر أو الكاتب ، أو الى تصحيح لفظ أو معنى

وفي بعض الاحايين ينقل البكري فقرات كتبها في (التنبيه) ويزيد عليها عما يقتضيه المقام

مضامين اللآلي

كان يتبادر الى الظن مما كتب عن هذا الكتاب قبل الآن أنه شرح لكتاب نوادر القالى التى طبعت ذيلا للامالى ، والحقيقة ليست كذلك فهو شرح لكتاب الامالى نفسه ، وقد جاء في مقدمة الكتاب :

« هذا كتابٌ شرحتُ فيه من النوادر التى أملاها أبو عليّ اسماعيلُ بن القاسم القالى ماأغْفَل ، وبيّنتُ من معانى منظومها ومنثورها ماأشكل ، ووصلتُ من شواهدها وسائر أشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك الى قائليه ما أهمل ، وكثيراً مايرد البيتُ المفرد والشعر الغُفْل المجرّد على ماذكرت في صدر كتابى

(١) وفى الهامش : « تم بحمد الله النصف الاول من الكتاب »

(٢) لعله رمز الى اسم الشارح (عبد الله)

المؤلف في (أبيات الغريب المصنف) وذكرتُ اختلافَ الروايات فيما نقله أبو علي ذِكرَ مرجّح ناقد ، ونبهت على ما وهم فيه تنبيهَ مُنصف لا متعسّف ولا معاند ، محتجّ على جميع ذلك بالدليل والشاهد . والمستعان الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وما بنا من نعمة فمن الله . » اه

ومن ثم يبدأ بالشرح فيقول :

ع [١] في صدر الكتاب [٢] حرفان من الغريب : أحدهما (ج ١ ص ٣ س٦)[٣] « اذا أعطى[٤] أسْنَع » والسنيع الحسن يقال امرأة سنيعة وهي الجميلة اللينة المفاصل في كمال . وقال أبو عبيد عن أبي عمرو : السنيعُ الحسن . والسنع أيضاً الطول ، يقال رجل أسنع أي طويل ، وشرف أسنع أي مرتفع بناؤه . ويروى واذا اعطي اسنم . والثاني قوله (ج ١ ص ٣ س ١٠) : « ومَذَلتُ بما كنتُ عليه شحيحاً » [٥] يقال مَذَل فلانٌ بسرّه اذا قلق ومَذَل بماله اذا جاد . قال الاسود بن يعفر :

ولقد أروحُ على التجار مُرَجَّلاً مَذِلا بمالي لَيِّناً أجيادي

ويقال مَذَل ومَذِل بالفتح والكسر اذا لم يستقر في مكان

قال أبو علي[٦] (ج ١ ص ٤ س ٢) « ع وهو اسماعيل بن القاسم بن عيذون [٧] بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان مولى عبد الملك بن مروان ، مولده بمناز جرذ من ديار بكر سنة ثمان وثمانين ومائتين وتوفي بقرطبة في جمادى

---

(١) تجد هذا الحرف في بدء رد ابي عبيد (٢) اشارة الى كتاب الامالي

(٣) هذه الارقام اشارة الى موضع البحث في كتاب الامالي من الطبعة الاخيرة وضعناها من عندنا (٤) في نسخة الامالي « اذا وهب »

(٥) في هامش المخطوطة « مذل وقد استعمله أبو تمام في مطلع قصيدة ، فقال :
فحواك عين على نجواك يا مذل »

(٦) في نسخة الامالي المطبوعة المرة الثانية « ابو اسماعيل » وهو خطأ ظاهر

(٧) كذا في الشرح . وفي الترجمة التي باول الامالي المطبوع (عيذون)

الاولى سنة ست وخمسين وثلاث مائة »

وهذا نموذج من الكتاب : قال تحت عنوان (مالك بن اسماء الفزاري) :

(وانشد ابو علي بعد هذا (ج ١ص٥ س١٠) : « وحديث ألذه هو مما »

قال المؤلف [١] هذا البيت هو لمالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزارى من شعراء الدولة الاموية يكنى أبا سعد . روى حماد بن داود السمنى قال ورد علي كتاب المتوكل وأنا على سواد الكوفة أن ابتم لي تلّ بونّا [٢] بما بلغت . فأتيتها فاذاهي قريةصغيرة على تل قد خرب ما حولها من الضياع فابتعتها بعشرة آلاف درهم ، ولم أدر ما حمله على ذلك حتى بلغني أنه غُنّي بشعر مالك بن أسماء فحركه لما كتب به ، والشعر :

حبذا ليلتي بتلّ بونّا اذ نُسقّى شرابنا ونُغنّى

من شراب كانه دم جوف يترك الشيخ والفتى مرجحنّا

ومررنا بنسوة عطرات وسماع وقرقف فنزلنا

وحديث ألذه هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا

منطقٌ صائب وتلحن أحيا نًا وخيرُ الحديث ما كان لحنا

أمُغطّىً مني على بصري للحب أم أنتِ أكمل الناس حُسنا [٣]

وهذا البيت [٤] من قول الخُضري [٥] :

تقاسم ثوباها ففى الدرع رأدة وفي المرط لفاوان ردفهما عبلُ

فوالله ما ادري ازيدت ملاحة وحسناً على النسوان ام ليس بى عقل

وقوله يوزن وزناً أى ليس فيه اكثار . وقال عمرو بن بحر : هذا الشعر

(١) اي البكري (٢) فى معجم البلدان (ج ٢ ص٤٠٣) : بفتحتين وتشديد النون ، من قرى الكوفة (٣) فى المعجم (ج ٢ ص ٤٠٥) بيت لم يرد هنا وهو :

حيث مادارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون انا جننا

(٤) اي البيت الاخير (٥) فوق اسم (الخضري) كتب (خضر محارب)

لمالك بن اسماء يقوله في استملاح اللحن في الكلام من بعض جواريه ، وهذا من أوهام أبي عثمان الممدودة ، قال علي بن الحسن ، أخبرني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ : اني قرأت في فصل من كتابك المسمى كتاب (البيان [1]) : ان مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام وأنشدتَ بيتي مالك بن اسماء . قال : هو كذلك . قلتُ أما سمعت بخبر هند بنت [2] أسماء مع الحجاج حين لحنتْ في كلامها فعاب ذلك عليها ، فاحتجت ببيت أخيها فقال لها : انما أراد اخوك أن المرأة فطنة فهي تلحن بالكلام الى غير المعنى في الظاهر لتؤدّي عنه ويفهمه من ارادت بالتعريض كما قال الله تعالى « ولتعرفنهم في لحن القول » ولم يرد أخوكِ الخطأ في الكلام ، والخطأ لا يستحسن عن أحد . فوجم الجاحظ وقال : لوسقط اليّ هذا الخبر ما قلت ماتقدم . قال : فقلت له اصلحه . قال : الآن ، وقد سار الكتاب في الآفاق ؟

وانما أراد مالك بن أسماء قول القطامي :

يقتلننا بحديث ليس يعلمه   مَن يتّقين ولا مَكنونُه بادِ

فهنّ ينبذن من قول يُصبنَ به   مَواقع الماءِ من ذي الغلّة الصادي

وهو الذي ذهب اليه أبو الطيب في قوله :

وإذا الفتى القى الكلام معرّضاً   في مجلس أخذ الكلام اللذعنى) اه

هذا واني اكتفي بما تقدم وصفاً لهذا الكتاب النفيس الذي نرجو أن نراه عما قريب مطبوعاً ليستفيد الجمهور بما تضمنه من التحقيقات والفوائد الجليلة

مكة المكرمة   رشدي الصالح ملحس

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧ من الطبعة الثانية سنة ١٣٣٢

(٢) كتب في المخطوطة (بن) وفوقها (بنت) وهو الاصح

بين الحاضر والماضي

مهلا عليكَ ، فما بنا طَرَبُ … ان الفؤادَ لما عرا يَجِبُ
الدار كانت روضة أُنفًا … أضحت وليس لاهلها نشب
سرعانَ ما حالت معالمها … منكوبةً تُرمى فتلتهب
إني لألمح في جوانبها … بؤسى لعَمرُ الله تصطخب
في عينها جزعٌ وتفدية … ولوُلدها لايستجيب أب
وجنانها تشكو الخريف وهل … شكوى الخريف تفيد من نُكبوا
اللهُ يعلم ماألمَّ بها … والحقُّ والتاريخ والكتب
ان قلتُ أنقاضٌ مآثرها … قال العواذل : إنه كذب
أو قلت : قد غاضت محاسنها … قالوا : تولّى قلبه الرَّهَب
أو قلت : ما مالت دعائمها … قالوا : تملّك لبه الرغب
أو لاح لي في أفقها أمل … غطى عليه وغاله وَصَب
الحكم للأيام ، فانتبهوا … لا الفخر ينفعنا ولا الطرب

***

بلى المغاني كنت أعرفها … ملجأ يزين ربوعه الحسب
يسقى من الأحلام ناشئها … كأساً يتوّج رأسها الحبب
الوُرق تصدح فوق غُصنتها … والشَّرْبُ يخطب فيهم الادب
والعود يُشجي قلبَ سامعه … والراح رقّت مابها نصب
والليل يلمع فوق مفْرِقه … بدرٌ يلوح لنا ويحتجب
والسعد رفرف فوقَ أرؤسنا … يحنو علينا ، والمنى تهب
هيهات كان الوصل من قِصرٍ … ومَضَا ، وآتي أمرنا عجب

للدهر أعمال يحار لها لُبُّ الحكيم وعلمه اللجب
آمنت بالاحداث قاطبةً وبما تجيء به وتنتهب

***

مالى وقلبي كلما هدأت خفقاته جَدَّتْ به ندبُ
مارامه من وجده سببٌ الا وأقبل بعده سبب
يرتاع للمغنى ومشهده وتروقه الآمال تغتلب
يرعى الدجى والسهدُ غالبه فكأنما سُماره الشهب
ياليل ! هل من ساهر دَنَف يشكو ، وهل عاد الأُلى ذهبوا ؟
جفَّت غروبٌ طالما انسكبت فعسى الغروب تُمدُّها السُّحُب !
ولكم تولت اكبداً نُوَبٌ فتفتتت ! لله يانُوبُ

***

تلك الرياض ذوت محاسنُها بعد البها تسفى بها التُّرُبُ
يأسى المشاهد ماألم بها مصدوعة الاركان ترتعب
بالأمس كانت مربعاً خصباً لبس الجدوبَ المربع الخصب
بالأمس كان لأهلها الغَلَبُ آضت وليس لأهلها غلب
بالأمس كان حُماتها عَرَباً نام الحماةُ وهدهد العرب
أترى على أدواحها زهراً ذهب الجميع : النَّور والذهب

***

انا لنذكر للورى نسباً ودواؤنا الاخلاقُ لا النسبُ
لاتنفع الأحلام كاذبةً اليأس أروحُ منها ، إن تكن رِيَبُ

حماه عمر يحيى

معرفة الرشيد بشعر ذى الرمة

وتآمر جعفر البرمكي وابراهيم الموصلي على استثمار ذلك

حدّث ابراهيم الموصلي ، نابغة الموسيقى في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد ، قال :

قال لي جعفر بن يحيى ، وقد علم أن الرشيد أذن لي وللمغنين في الانصراف يومئذ :

— صر إليّ حتى أهب لك شيئاً حسناً

فصرت اليه ، فقال لي :

— أيما احبُّ اليك : أهب لك الشيء الحسن الذي وعدتك به ، أو أرشدك الى شيء تكسب فيه ألف ألف درهم ؟

قال قلت : بل يرشدني الوزير الى هذا الوجه ، فانه يقوم مقام إعطائي هـذا المـال

قال : ان أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبي ، ويعجبه ويؤثره ، واذا سمع فيه غناء أطربه أكثر مما يطرب غيرَه ممن لايحفظ شعره . فاذا غنيته وأطربته وأمر لك بجائزة قم على رجليك وقبّل الأرض بين يديه وقل:

— إن لي حاجة غير الجائزه أريد أن أسألها أمير المؤمنين ، وهي حاجة تقوم عندي مقام كل فائدة ولا تضرُّه ولا ترزأه

فانه سيقول لك : أي شيء حاجتك ؟

فقل له : اقطاع تقطعني إياه سهل عليك لاقيمة له ولامنفعة لأحد فيه

فاذا أجابك اليه فقل له : تقطعني شعر ذي الرمة أغني فيه ماأختاره وتحظر على المغنين جميعاً أن يداخلوني فيه ، فاني أحب شعره وأستحسنه ، ولا احب

أن ينغصه عليّ أحد منهم (وتوثّقْ منه في ذلك)

فقبلتُ القول منه وما انصرفت مع ذلك الا بالجائزة

وتوخيت وقتاً للكلام في هذا المعنى حتى وجدته ، فقمت وسألت الرشيد كما قال لي جعفر ، فرأيت السرور في وجهه وقال :

— ما سألتَ شططاً ، وقد اقطعتك

فقلت : يا أمير المؤمنين أتأذن لي في التوثق ؟

فقال : توثق كيف شئت

فقلت : بالله وبرسوله وتربة أمير المؤمنين المهدي إلاّ ما جعلتني على ثقة من ذلك بأن تحلف لي لا تعطي أحداً من المغنين جائزة على شيء يغنيه من شعر ذي الرمة ، فان ذلك توثقي

فحلف مجتهداً بالقسم إن غنى أحد منهم من شعر ذي الرمة لا أثابه ولا أكبره ولا سمع غناءه

فشكرتُ فعله وقبلت الأرض بين يديه ، وانصرفت فغنيت مائة صوت وزيادة عليها في شعر ذي الرمة ، فكان اذا سمع صوتاً منها طرب وزاد طربه ووصلني وأجزل ، ولم ينتفع أحد منهم غيري ، فأخذت بها منه ألف ألف درهم وألف ألف درهم

﴿ سبيل الحياة ﴾

وهل نحن إلاامثال من كان قبلنا　　نموت كما ماتوا ونحيا كما حيُوا

وينقص منا كلّ يوم وليلة　　ولا بد أن نلقى من الأمرمالقوا

مَروان بن الحَكَم

زهد الالوسي

أثبت الاستاذ السيد محمد بهجة الاثري في كتابه (أعلام العراق) قول العلامة الاب أنستاس ماري الكرملي يصف زهد عالم العراق السيد محمود شكري الالوسي رحمه الله :

« رأيته - بعد الاحتلال - يلبس حذاء من أحذية جند الانكليز ، وكانت تباع رخيصة ، فقلت له :

— يامولاي ! أراك تلبس في رجلك مالم يرد أن يلبسه جند الانكليز أنفسهم ، لضخامة هذه الأحذية ، وشكلها الدميم ، وللجلبة التي تحدثها اذا ما سار بها المرء

قال : إني أقنع ، بما بين يدي يقع (ولم يزد على هذا القدر)

وكان وصل الى حالة قاصية من الحاجة الى المال في عهد الاحتلال ، فلما عرف ذلك المعتمد السامي (برسي كوكس) أهداه ثلثمائة دينار ذهباً انكليزياً وكلفني بتقديمها اليه ، فلما أتيته بها رفض قبولها بتاتاً ، وقال :

— خير لي أن أموت جوعاً من أنْ آخذ مالاً لم أتعب في كسبه

فألححت عليه إلحاحاً مملاً مزعجاً فأبى وقال :

— لا تكثر من إلحاحك لئلا أطردك من بيتي طرداً لا عودةَ اليه

الا أن فاقته كانت وقراً عليّ وعلى محبيه ، وطلب اليَّ بعض الاصدقاء أن أجدَ له منصباً يثري منه . فتكلمت مع أولي الأمر وتمكنت من أن يعين قاضيَ قضاة المسلمين في العراق ، فلما وقف على تنصيبه أبى وقال لي :

— إن هذا المقام يستلزم علماً زاخراً ، وذمةً لا غبار عليها ، ووقوفاً تامّاً على الفقه . وأنا لا أشعر بذلك ، ووجداني يحكم عليّ بأني غير متصف بالصفات المطلوبة لمن يكون قاضي قضاة المسلمين

والخلاصة : كان الرجل آية في التواضع والفقر ، كما كان آيةً في العلم والدين . وعاش مع ذلك سعيداً بل أسعد الناس لأنه لم يكن يحتاج الى أحد

زهد الشيخ طاهر الجزائري

أذكرني زهدُ عالم العراق السيد محمود شكري الالوسي بزهد صديقه عالم الشام الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله رحمة خالدة .

أنفق شيخُنا الشيخ طاهر كلّ ما ملكتْ يداه في اقتناء نفائس الكتب ولا سيما المخطوطات الفذّة أو النادرة [1] . فلما ضاق به وطنه (دمشق) زمنَ السلطان عبد الحميد اختار القاهرة وطناً ثانياً ، وصار يبيع فيها هذه النفائس ويعيش بثمنها عيشة الكفاف . ومن عجيب أمره أنه كان يرضى من دار الكتب المصرية — مثلا — بنصف القيمة التى كان يمكن أن يحصل عليها من مثل المتحف البريطاني ثمناً لكتاب من كتبه ، إيثاراً لبقاء ذلك الكتاب في الوطن الاسلامي على انتقاله الى أوربا . وكان يحرص كلّ الحرص على أن يكون الكتاب المخطوط في مكتبة عامة كدار الكتب المصرية أو احدى الخزانتين التيمورية والزكية ولا تسمح نفسه بانتقاله الى ملك الأفراد لئلا يصير الى بلاد اخرى

خرج الشيخ عن كتبه كلها وبقي معه من ثمنها مايعيش به عيشة التقشف . وفيما كنتُ ذات يوم عند الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وفي مجلسه سعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا أخذا يتحدّثان في حالة الشيخ طاهر وما فُطر عليه من الاباء وعزّة النفس ، وأنه — مع ضيق ذات يده — لم يغير مااعتاده من التصدّق على الفقراء والبذل في سبيل الخير . فقال تيمور باشا لصاحب المؤيد :

— ألا ترى يا استاذ أن من الواجب على مصر أن تعرف لهذا العالم الجليل قدرَه ، فتستفيد من علمه وفضله في مثل دار الكتب مثلا ، لاسيا وهو اليوم

(١) كنسخة كتاب الاصنام لابن الكلبي التى اعتمد عليها الاستاذ زكي باشا فى نشره ، وككتاب الانتصار فى الرد على ابن الراوندى الذي افتخر اللورد كرومر فى تقريره الرسمي بدخوله فى دار الكتب المصرية ، الى غير ذلك من أمثال هذه النفائس التى كانت عرضة للضياع فى أيدي غير أهلها فانتقذها الشيخ وما زال بها حتى جعلها في قرار مكين

أعلم الناس كافةً بالكتب الاسلامية ، وقد كان في الشام مفتشاً عاماً على دور كتبها ، وهو العامل على تأسيس دار الكتب الظاهرية بدمشق والمكتبة الخالدية في بيت المقدس ؟

فوعده الشيخ علي يوسف بالسعي في ذلك . وكانت لصاحب المؤيد منزلة معلومة في المعية الخديوية وفي أكثر وزارات الحكومة المصرية ، ومامن وزير الا ويودّ أن تكون له يد عند الشيخ علي يوسف ليقابله بمثلها عند الحاجة . ورأى الاستاذ تيمور باشا أن يكاشف الشيخ طاهر في الامر باسلوبه اللطيف ، فاعتذر له الشيخ بأنه اعتاد المطالعة في الليل الى الفجر ، وليس من السهل عليه أن يغير عادته وهو في سن الشيخوخة ، ولذلك لا يستطيع أن يتقيد بالاوقات الرسمية التى يتقيد بها الموظفون

واجتمع الاستاذ تيمور باشا بصاحب المؤيد مرّة اخرى فذكر له كلمة الشيخ ثم اتفقا على أن يطلب الشيخ علي يوسف من الخديوي اجراء راتب للشيخ طاهر الجزائري من الخزينة الخاصة

وفيما أنا قائم بعملى فى قلم تحرير المؤيد يوم الخميس ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ (أول مايو سنة ١٩١٣) استدعاني الشيخ علي يوسف ـ وكان يعلم أن سعادة أحمد تيمور باشا يتفضل بزيارتنا دائما ـ فقال لي :

ــ أبلغْ الباشا أننى تكلمت في مسألة الراتب للشيخ طاهر ، وأن كل شيء قد تمَّ على ما ينبغي

فشكرت له مسعاه الحميد . واجتمعت بالشيخ طاهر فى ذلك اليوم قبل أن أرى سعادة تيمور باشا ، فاخبرته بما وقع وكنتُ أظنّ أن هذا الخبر سيسرُّه فظهر لي أنني لا أزال أجهل تلك النفس الكبيرة رغم معرفتى بصاحبها منذ طفولتي فقد غضب الشيخ طاهر من هذه الحادثة غضباً لم أعهده فيه من قبل ، وقال لي :

— وكيف يُقدِم صاحب المؤيد على مثل هذا الأمر قبل أن يأخذ رأيي ؟

وكان حزب اللامركزية قد دعا الناس الى اجتماع كبير في فندق الكونتننتال ، في الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، فذهبت مع الشيخ طاهر لحضور ذلك الاجتماع . ولما دنونا من الفندق رأينا صاحب المؤيد مُقبلا بعربته ليحضر الاجتماع أيضاً . فاستوقفه الشيخ طاهر ومشينا جميعاً نحو الفندق ، وكان مما قاله الشيخ لصاحب المؤيد :

— كأني معكَ يوم كلمتَ الخديويَّ بشأني فقلت له إنك سمعتني أثني عليه لتعضيده مشروع زكي باشا في إحياء الآداب العربية بطبع النفائس التي نقلها بالفطغراف من خزائن الاستانة . نعم ، إني أثني على كلّ من يخدم العلم ويعمل على نشر كتب السلف ، ولكن مَن ذا الذي يضمن لك أن لا أقف من الخديوي عكس هـذا الموقف اذا صدر منه ما يناقض ذلك العمل ؟ الأحسنُ يا أستاذ أن لا تعرّض نفسكَ لما قد يسودّ به وجهك بسببي . وإني بحمد الله في سَعة ، ولا حاجة بي الى الرواتب ولا الى الوظائف فأرجوك أن تعمل طريقة لنقض ما تمَّ بشأني

فدُهش صاحب المؤيد مما سمع . ثم قال لى بعد يومين :

— لقد كان تيمور باشا محقًا فى إعجابه بالشيخ طاهر الى هذا الحدّ . ان الراتب الذي سعينا بترتيبه له ، وقد رفضه بمثل هذا الإباء والشَّمم ، لا أعلم من كلّ الذين أعرفهم الا مَن يسعى للحصول عليه بكل وسيلة . وكنتُ أظن الذين يزهدون بمثل ذلك قد ذهبوا كلهم ، فاذا لا تزال منهم بقية في الدنيا



مهبط الامانه

هو اسم المدرسة العلمية، أو المستعمرة الفكرية، التي أسّسها تاغور منذ ربع قرن في قرية بلبور على بُعد ٩٣ ميلاً من كلكتة، لينشيء فيها ناشئة برهمية متشبّعة من مبادىء دينها، بالطريقة التي اختطّها تاغور ودعا اليها في شعره وقصصه ومحاضراته، وحاولَ أن يفرغها في أسلوب عام يستحسنه الانكليزي ويعتبره خطوة في تقريب البنغاليين - على الأقل - من سياسة التفاهم مع الامبراطورية البريطانية، ويتلقاه البرهمي بالقبول لأنه منتزَع من روح دينه، وينظر اليه شبان الشرق الأدنى من فُرس وترك ومصريين وسوريين وعراقيين ومغاربة كما ينظرون الى أدب جديد مرضيّ عنه من ذلك الغُول المحبوب المرهوب، أعني أوربا

ولا ريب في أن ديناً كدين البرهمية شابتهْ شوائب الأساطير والخرافات، وتحوَّل الى دينٍ وثنيةٍ حسية ومعنوية من قبل أن يظهر بوذا بقرون كثيرة فاصيب بالجمود والانحطاط، لا سبيل الى خدمته بخيرٍ مما خدمه به تاغور، فهو يستحقّ التهنئة بما ناله من النجاح. ولكن ذلك لا يمنعنا من أن نفهم الحقيقة كما هي، فنعلم أن تاغور رجلُ إصلاح برهميّ يريد من الناس أن يعتبروه رجلَ إنسانيةٍ عامة، وشتّان بين المعنيين. وعلى فرض كونه رجل إنسانية عامة فان هذه الدعوة اذا انتشرت بين الامم الضعيفة تعدُّ سلاحاً في جملة الاسلحة التي تستفيد منها الامم القوية - كما كان يعتقد الشهيد الأمير عارف الشهابي - فيجب أن يُبدأ بتنفيذ مثل هذه الدعوة في لندن وباريس وروما، وأن تعمل بها وزارات الحربية والبحرية والاستعمارِ في تلك العواصم، ثم نتعلم نحن منهم هذه الافكار الانسانية بعد عملهم بها وتقديسهم لها تقديساً صحيحاً. أما استمرارُ

ايطاليا في وضع رجالها ومواردها وأسلحتها تحت تصرّف السنيور موسوليني فيستخدم الفاشيستية في سبيل استعمار ـ أو استعباد ـ بلاد جديدة لمصلحة الدولة الرومانية الحديثة ، وأن يتغنّى الألماني في كل صباح بانشودة « ألمانيا فوق الجميع » وأن يقول الفرنسوي « كلما كان الانسان فرنسويًا كان أعرقَ في البشرية » وأن يترفع الانكليزي عن الركوب مع الهندي في مركبة واحدة من مركبات السكة الحديدية ، ثم يتغنى تلاميذ تاغور في (مهبط الأمان) بأناشيد الانسانية العامة ؛ فذلك من مصلحة الأقوياء دون الضعفاء كما يقول شاعرنا الكاظمي

اختار تاغور لمدرسته اسم (مهبط الأمان) لأن الموضع الذي قامت فيه كان عند ولادة تاغور مجمعَ اللصوص وقطّاع الطرق ، وقد ظهروا يومئذ لأبيه ديبدرانات تاغور ـ وكان يأوى الى شجرتين هناك ـ وفيامهم على وشك أن يقتلوه غلبت عليهم الرهبة لهيبته فانقادوا له وصاروا من أتباعه . وقد علمتَ أن والد تاغور من رؤساء الدين البرهمي ويلقبونه (مهراشي) أى القديس . وكان من عادته أن يقول « الله ملجأ نفسى ، الله بهجة قلبي ، الله أمان روحي » ويقول « الله السلام ، والصلاح ، وهو الواحد الأحد » فكان ذلك سببًا آخر لتسمية هذا المعهد باسم « مهبط الامان » أو « دار السلام » وقد نقش تاغور هاتين الجملتين على رخامتين عند تينك الشجرتين

قال تاغور : انني عندما أنشأت هذه المدرسة لم تكن لي أية خبرة بالتعليم . ولكنني في الواقع اكتسبت منذ تلمذتي خبرة سلبية عرفت بها ما يجب ألا يعامل به الطفل ، وهو ما كان موضوع آلامي ، وكنت أتألم خصوصًا مدة الطفولة من شعورى بأن التربية التي كنت أربّى على نظامها في المدرسة لا صلة لها بالعالم

وقد زار مدرسة تاغور المستر سبندر وزوجته ولبثا فيها ثلاثة أيام . ثم عقد سبندر لوصف هذه المدرسة فصلاً في كتابه (الشرق المتغير[١]) فقال يصف الوسط القائمة فيه :

هنالك ترى سهول البنغال الواسعة الفسيحة كالبحر ، تطلع عليها الشمس من سماء صافيــة لا تحجبها السحب . وترى الاشجار ، وبينهــا أشجار الموز الخضراء تواجه أشجار المنغة السوداء . والعربات الصغيرة تجرها الثيران هنـا وهناك ، ومن حولها جماعات الفلاحين يلتفُّ نسـاؤهم بجلابيب بيضاء وعلى أكتافهن أوشحة وردية أو برتقالية ، أما الاطفال فتراهم كما خُلقوا يلمع جلدهم الاغبر بضوء الشمس . وتسمع زَقزقة الطيور والحِـدَءات ونعيب الغربان في جلبة وضوضاء

قال مستر سبندر : ومستعمرة تاغور مدرسة للاولاد والبنات يتعلّمون فيها معاً . وهذه طريقة في التعليم خَطِرة إذا لم يزاولها أناسٌ خبيرون بفنون التربية . وتسكن البنـات في منزل مؤلف من ثلاث طبقات والبنون في مساكن قروية واطئة مستطيلة متفرقة بين الاشجار

وغرف النسيم هي الهواء ، فيجلس التلاميذ (متربّعين) كل فريق في حلقة تحت شجرة . ويقف المدرس في ناحية والى جانبه الخرائط معلقة في حامل والاطفـال في جماعات مبهجة عليهم الاردية البيضاء والاوشحة الملوّنة ، وتلوح عليهم سيماء النباهة والبشاشة

والتعليم بالبنغالية والانكليزية ، ويتبعون فيه الطرق السهلة . والتلاميـذ لا يتأثرون من وجود الغريب بينهم

وفي مزرعة تاغور مكان لتوليد الكهرباء وتنوير المدرسة بهـا ، وبجواره

(١) نقلت (كوكب الشرق) هذا الفصل الى العربية في عدديها ٦٩٦ ـ ٦٩٧

محل للنجارة يصنع فيه التلاميذ أثاث مدرستهم ويصلحونه بارشاد أساتذتهم . وهناك مدرسة للفنون فاذا آنس الاساتذة في أحد التلاميذ أو التلميذات ميلا الى التصوير شجعوه عليه ، ويتركون له الحرية في تصوير ما يختاره أو يقع نظره عليه ، فاذا انتهى من التصوير انتقده الاستاذ واصلحه . وهم يتعلمون التصوير في مدرسة الفنون على نغمات الموسيقى والاغاني البنغالية . وقد وضع لهم تاغور نحو مائة أغنية من شعره . فالموسيقى أحد مبادىء التربية في ذلك المعهد الذي تسمع فيه الشعر حيثما سرت ، وهم يبدأون يومهم بالغناء جماعات جماعات بين الاشجار في هذه السهول السندسية ، ثم يختمون نهارهم كذلك . ولهم أغان خاصة بفصول السنة : فمن أغاني الربيع ، الى أغاني الصيف ، الى أغاني الامطار

ويرى مستر سبندر ان (مدرسة تاغور) تماثل فكرة أفلاطون القديمة في تعليم النشء ، واذا كانت طريقة تاغور هندية وغير مستعارة من افلاطون ، فان الفكرة نفسها هي الفكرة القديمة التي تندرج تحت تأثير المناظر الجميلة والاصوات العذبة في تنمية الذكاء والقوى التي تخضع لكل جميل ولكل فضيلة . وأهمية طريقة تاغور في كونها لا ترتكز على معرفة ، ولا يمكن وصفها . وانما يعتمد تاغور في طريقته على وجوده ونفوذه الذي يضارع في قوته العملية قوته الشعرية

وفي الحقيقة ان الاولاد والبنات يتعلمون ليكونوا عاملين لبلادهم نافعين لأوطانهم . وتتكفل كبريات التلميذات بالاولاد الصغار فيتمرنَّ بذلك على أشياء تنفعهن في دور الامومة وتدبير المنزل . وتتعلم البنات جميعاً التدبير المنزلي ليعلمنه نساء القرى البنغالية فيما بعد . وتغرس في نفوس الاطفال روح الكشافة حتى أنهم ــ لما انتشرت الكوليرا في احدى قرى البنغال في العام الماضي ــ قام التلاميذ بتطهير مباني القرية وتنظيف المياه . ومن الصعب على الاوربيين أن يعملوا ماعمله هؤلاء الاولاد لاختلاف العادات والتقاليد

والى جانب المدرسة قسم للبحث خاصّ بالطلبة الكبار يشتغل بتعليم السنسكريتية المكتوبة على سعف النخل ، وقد جاءه اثنان من أساتذة جامعة رومة ليتما دراسة السنسكريتية تحت سمائها

ومن أقسام المدرسة قسم المباحث الزراعية يسمونه (محط النشاط — سرينيكتان) وهو في قرية سورال على بعد ميل حيث ترى مزرعة للتجارب وحديقة للخضار . والتعليم في هذه المدرسة عملي ، وفيها مدرّسون للغزل والنسيج ويعلمون القرويين مايمكن زراعته في أراضيهم الرملية ، والطرق التي يتبعونها لتحسين زراعتهم فيجربون زراعة القطن والارز والتفاح والموز وغيرها . والى جانب ذلك قسم خاص بتربية المواشي ، وبستاني من الاخصائيين اليابانيين يعلم القرويين زراعة الخضر والزهور . واذا راقبت أستاذ قسم الزراعة وهو يشتغل أمكنك أن تدرك مبلغ الفكرة المتسلطة على عقله

ولا ينكر مستر سبندر أن أمام المدرسين صعوبات : منها اعتراض طبقة الفلاحين على التجارب التي يتعلمونها ، ومنها العقدة المالية التي لاتحل لا بغرس روح التعاون . ولكن الكشافة الذين يمهدون الطريق للاصلاح كثيراً ماتدمى قلوبهم ، لأن تجارب طبيعة هذه الاراضي قد تقضي حتى على أحسن أغراض العلماء الزراعيين . ومن المؤكد انك ترى شبح العمل قائماً في كل مكان من (مهبط الامان) فتنتقل منعطفاً من أراضي الاحلام الى ساحة الحقائق ، ثم تعود الى أراضي الاحلام في منعطف جديد . والصفة التي تتميز بها هذه المدرسة هي الجمع بين الشيئين اللذين يقوّم أحدهما الآخر

وقد وصف سبندرُ جلوسَ تاغور في وسط معهده بشخصيته الجذّابة ، والكل حوله مخلصون له كالعبيد ، فتلمح على شفتيه ابتسامة العطف ، أو تراه غائصاً في أفكاره يبحث في العالم الروحي وقدرته في الفن والطبيعة . قال : ومع

أن علمه منصب على خدمة قومه فانه لا ينزع بكبرياء الشرقيين الى التخلّي عن مساعدة الاوربيين (١)

***

وبمناسبة (الشرق والغرب) ننقل هنا كلمة تاغور في حفلة فندق شبرد في القاهرة التي أشار فيها الى ظلم القويّ للضعيف، وأن هذا الظلم سيقضي على أهله فقال: لقد أسرفت الامم فى الأثرة والانانية، وفي العصبية الجنسية التي يتمسَّك بها فريق كبير من الامم المتحضرة . وهذه العصبية أكبر مظاهر الضعف في المدنية الحاضرة، لأنها تجرّ الامم الى التطاحن لنيل غاياتها . وما أشكُّ قطُّ في أنه قد وجدت أممٌ وبادت بسبب جشعها

وعند تاغور أن خلاص الشرق من جشع الغرب يكون بانتشار مبدأ الصدق في القول بين الجماعة، وأن تكون نهضة الفرد أساس النهضة العامة، وأن تتحد العاطفة الانسانية . هذا ماقاله للاستاذ السيد عباس المصفي عند وصوله الى الاسكندرية، وعلى هذا الاساس قام برنامج مدرسة (مهبط الامان) كما رأيتَ

(١) لما انتهيت من كتابة هذا الفصل جاءتني صحيفة (ألف ـ باء) الدمشقية وفي صدر العدد ١٨٢٨ منها مقالة للرصيف الفاضل يوسف افندى العيسى لخص فيها كلاماً للكاتب الهندى (عبد القادر ملك) عن مستقبل العالم الاسلامي وقد جاء فيه: « ان هناك عقبتين تعترضان السلام بين الشرق والعالم الاوربي: احداهما البلشفية، والاخرى الكبرياء العنصرية في الغرب » ومن رأيه أن تقدم البلشفية في الشرق نتيجة الكبرياء العنصرية الغربية . قال « وليست الكبرياء الفردية هي مصدر البلاء، بل الكبرياء العنصرية التى تقتعد كراسى القلوب ولا تظهر على الوجوه، وتتأصل فى الافكار دون أن تبسط في الاقوال »

فاستمع الى شكوى الشرق من كبرياء الغرب، ثم انظر بالانصاف كيف أن كبيراً من كبراء الانكليز كالمستر سبندر يصل الى الهند ويرى بعينه سيرة بنى قومه مع الهنود وغطرستهم القومية، ثم يصر على ذكر شيء اسمه « كبرياء الشرقيين » ! (الزهراء)

حركة النشر والتأليف

أعلام العراق

المطبعة السلفية ومكتبتها : ٢٤٨ ص بقطع الزهراء

بيت الألوسي في بغداد بيت علم وشرف ، وقد نبغ منه في المائة السنة الأخيرة عدد غير قليل من العلماء والوجهاء والصلحاء ورجال السيف والقلم وفي مقدمتهم الشهاب الألوسي صاحب التفسير ، وأبوه وإخوته . وخاتمهم فقيد العراق وعالمها وفخرها السيد محمود شكري صاحب المؤلفات والحسنات الكثيرة ، ومن حسناته صديقنا العالم الفاضل والأديب الضليع السيد محمد بهجة الأثري كبير تلامذته وحامل أمانته . فقد ألف كتاباً باسم (أعلام العراق) أتى فيه على تاريخ هذه الأسرة الشريفة وتراجم رجالها واحداً واحداً حتى انتهى الى شيخه السيد محمود شكري فأورد سيرته على وجه التفصيل من سنة ولادته (١٢٧٣ هـ) الى يوم وفاته (٤ شوال ١٣٤٢) وأتبعها بمقالة في أحواله وأخلاقه ، وأخرى في مميزاته وعنايته بأمر الدين واللغة والتاريخ ، ثم أتى على ثبت مؤلفاته الاصلاحية والتاريخية والعلمية ومجموعها ٥٢ كتاباً . وعقد فصلا لاسلوبه الكتابي وأتى على أمثلة متنوعة من إنشائه ، وختم الكتاب بالتأبين التي قيلت فيه بمناسبة وفاته . وهي ثلاثة أقسام : رسائل التعازي ، المقالات ، القصائد

ان السيد محمد بهجة الأثري قد أحسن بكتابه هذا الى التاريخ بما أذاعه من تراجم هؤلاء الأعلام وبيان مكانة بيت جليل من بيوت العلم والشرف في الاسلام . وأحسنَ به الى وطنه بغداد بما نشره من مآثر جماعة من رجالها ، وقام فيه بما عليه لشيخه من حق الوفاء ، مع الصدق في النقل ، والأمانة في التدوين ، والاستطراد الى كثير من الفوائد التي لا يجدها القارىء في كتاب آخر . جزاه الله خيراً

﴿النشر في القراءات العشر لابن الجزري﴾

مطبعة التوفيق بدمشق : جزءان في نحو ١٠٠٠ صفحة بقطع الزهراء ، ثمنهما ٧٥ قرشا

كتاب النشر من الامهات الجليلة والمراجع الموثوق بها في علم القراءات ، وعليه معوّل من ألّف بعده في هذا الفن . وهو من مصنفات الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري ثم الدمشقي المتوفّى سنة ٨٣٣ أتى فيه على كل ما يتعلق بجمع القرآن وكتابته وارساله الى الامصار ، وأسماء من اشتهر بالقراءة والإقراء من الصحابة والتابعين والعلماء . وفيه تراجم مائتين من رجال هذا العلم ، وذكر نحو أربعين من كتبه وسند المصنف اليها . وقد أورد نحو الف طريق للقراء العشرة تأييداً لما ثبت من تواتر قراءاتهم . هذا فضلا عن مباحث هذا الفن الدقيق بتفاصيلها والكتاب دائرة معارف حافلة بهذا الموضوع بحيث لا يغني عنه غيره

وقد عني بنشره حضرة الفاضل السيد محمد احمد دهمان من أفاضل دمشق معتمداً على أربع نسخ : احداها نقلت سنة ٨٣٩ عن نسخة عليها خط المؤلف والثانية مقروءة ومصححة سنة ٨٢٥ على المؤلف وعليها خطه ، وقد أخذه الناشر بالتصوير الشمسي وأثبته في مواضعه من الكتاب . وهاتان النسختان من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق . وبين أيدينا النصف الاول من الكتاب وهو نفيس الطبع والورق . ونصفه الثاني تحت الطبع . فنشكر للناشر عنايته هذه بعلوم القرآن . أجزل الله مثوبته

(الفرقدان النيران في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن)

هما خريدتان أولاهما (البرهان على حظر ترجمة القرآن) والثانية (سرّ تجرّد منسوخ التلاوة ، عن نحو الاعجاز والطلاوة) كلاهما للاستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد سعيد الباني قاضي عجلون حالاً . وعنوانهما دليل على ما قصد اليه المؤلف الفاضل من تقرير الحقائق بأحسن بيان ، معتمداً على النصوص الجلية والبراهين العلمية . أحسن الله إليه

﴿ الكتاب الذهبي ليوبيل المقتطف الخمسيني ﴾

مطبعة المقتطف ، المكتبة السلفية : ٢٤٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ٢٥ قرشا

تكلمنا في جزء ماض من الزهراء على الاحتفال الذي أقيم في القاهرة بمرور خمسين سنة على تأسيس (المقتطف) شيخ المجلات ، فكان تاريخ هذه المجلة سائراً مع تاريخ النهضة العلمية في الشرق العربي جنباً الى جنب

وقد طبعت الرصيفة في كتاب مستقل جميعَ ما يتعلق بهذا الاحتفال وماقيل فيه وما ورد عليه ، فجاء كتابَ أدب وتاريخ من أحفل الكتب وألطفها . وهو مقسم الى أربعة أقسام : الاول في فكرة الاحتفال ولجنته والدعوة اليه وصداها في الصحف والرسائل . الثاني في وصف الاحتفال ونص الخطب والقصائد التي تليت فيه . الثالث المقالات التي كتبها الكاتبون عن المقتطف بمناسبة الاحتفال . الرابع القصائد التي نظمت في ذلك ولم تُنشد في الاحتفال

والكتاب مزين بصورة جلالة الملك وصور الشعراء والكتاب والخطباء يتخللها صورتا العلامتين صاحبي المقتطف ، فنرجو لهما عمراً طويلا ينشران فيه العلم ويخدمان الوطن

﴿ كتاب الجبر للمبتدئين ﴾

مطبعة دار السلام في بغداد ، ٢٢٦ ص بقطع الزهراء

ألف هذا الكتاب الدكتور داڤيد سميث أستاذ العلوم الرياضية في جامعة كولمبيا واستعان فيه بنظريات التربية الحديثة فراعى الطريقة الاستقرائية المستحدثة وحاول ربط مباحث الجبر ربطاً محكماً بمباحث الحساب تسهيلاً للطلاب المبتدئين فضلاً عما فيه من التمرينات الكتابية والشفهية . وقد نقل هذا الكتاب الى العربية الاستاذ الفاضل السيد جلال امين زريق فأحسن بذلك كل الاحسان ، وهو مطبوع طبعاً نظيفاً على ورق جيد ، وقد قررت وزارة المعارف العراقية تدريسه في السنة الثانية من الدراسة الثانوية

﴿ مختار الاغاني ـ لابن منظور ـ الجزء الاول ﴾

المطبعة السلفية ، مكتبة السيد محمد الخشاب : ١٧٦ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٠ قروش

من الاعمال الكثيرة التي قام بها جمال الدين محمد بن مكرّم الانصاري الخزرجي الشهير بابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ) مؤلف لسان العرب اختصارُه كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، فقد جرّده من الاسانيد ، واستغنى باحدى الروايات عن المكرّر ، وجعله كتاب تراجم مرتبة على حروف المعجم ، فجاء كتاب أدبٍ وتاريخ حافل قريب التناول

وقد شرع في طبعه بمطبعتنا السلفية حضرة الفاضل الوجيه السيد محمد عمر الخشاب فأصدر الجزء الاول منه فى ١٧٦ صفحة بقطع الزهراء وحروفها على ورق صقيل ، وينتظر أن يكون الكتاب في عشرين جزءاً كهذا الجزء فتلفت اليه الانظار

﴿ الآراء والمعتقدات ـ لغوستاف لوبون ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية : ٢٠٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ١٠

انصرف الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه هـذا الى البحث في المعتقَد ـ سواء كان روحياً أو سياسياً أو اجتماعياً ـ وأنه غير شعوري وقائم على مباديء عاطفيـة مستقلة عن العقل والارادة . وأن للنفوذ والتوكيد والتكرار والتلقين والعدوى قدرةً على تكوينه . فالمباديء السائدة في البشر تُشتق من أنواع المنطق المختلفة لا من مصدر عقلي مشترك ، ومن تغلّب أحد هذه الأنواع على الاخرى ـ أو من تصادمها ـ ظهرت أكبر حوادث التاريخ . قال لوبون : فـكل ما نعرفه حتى الوقت الحاضر هو أننا مسيّرون بثلاث حقائق : الحقائق العاطفية ، والحقائق الدينية ، والحقائق العقلية . وليس بين هذه الحقائق الصادرة عن أنواع المنطق المختلفة قياسٌ مشترك

هذا هو الموضوع الذي تفرّغ غوستاف لوبون لدرسه في كتاب (الآراء والمعتقدات) . وقد نقله الى العربية الاستاذ الفاضل السيد محمد عادل زعيتر - مترجم روح الثورات وروح الاشتراكية للمؤلف نفسه - ويقول المترجم في مقدمته انه لا يشارك المؤلف في بعض أفكاره وسوانحه ، فان الحقيقة غابت عنه في كثير من المسائل ولا سيما في مسألة التوحيد والاشراك ، وكان يود أن يعلق عليها ببعض الحواشي ثم رأى من الصواب أن يترك ذلك للقارىء

والكتاب حسن الطبع والورق كجميع مطبوعات الاستاذ الياس افندي أنطون الياس

﴿ تحفة الأريب ، بما في القرآن من الغريب ﴾

مطبعة الاخلاص بحماه المكتبة السلفية بالقاهرة : ١٥٠ ص بقطع الجاير ، ثمنه ٦ قروش

هو أخصر كتاب في غريب القرآن ، ألّفه أبو حيان الاندلسي (المتوفى سنة ٧٤٥) ورتبه على حروف المعجم . وكان فضيلة الاستاذ الشيخ محمد سعيد النعساني مفتي حماه حالا قد قرأه على بعض تلاميذه بالقاهرة سنة ١٣٣١ - ١٣٣٢هـ في مجالس حضرها شيخنا العلاّمة الشيخ طاهر الجزائري . ثم علق عليه الاستاذ المفتي تعليقةً بين فيها أوجه القراءات السبع ، واستدرك ما أغفله المصنف من الغريب . وعني بتصحيحهما وضبطهما الاستاذ السيد طاهر النعساني وألحق بهما ترجمة أبي حيان وفهرست الحروف الهجائية وفهرست الشواهد . فجاء الكتاب مستوفياً أوجه النفع

﴿ مصارع المجرمين ﴾

كتيبٌ مؤسس على فن الهجوم والدفاع بالطريقة اليابانية ألفه الاستاذ أحمد افندي فؤاد عبد المجيد المدرس بمدرسة البوليس والصاغ محمد علي زوار والملازم أول حسين افندي شفيق وطبعوه في مطبعتنا السلفية مزيناً باثنين وستين صورة والغرض منه ارشاد البوليس اذا كان ضعيف الجسم الى الطرق الفنية التي تجعله يتغلب على المجرم القوي عند القبض عليه . وهو عمل يستحق المؤلفون الشكر عليه

أنباء اجتماعية

﴿ الجامعة عليكرة ﴾

تبرع ملك بهوپال الجديد النوّاب الحاج محمد حميد الله خان (ب . ع) بثلاثمائة الف روبية (٢٠٠٠٠ جنيه .) للجامعة الاسلامية فى عليكرة ، وهذا غير الاعانة السنوية التى كانت تدفعها والدته نواب سلطان جهان بيكم وسيستمر هو على دفعها فى كل سنة .

﴿ المعارف في إيران ﴾

في ايران مدرستان عاليتان فيهما ٢٧٣ طالباً و ٤١٩ طالبة و ١٢ مدرسة ثانوية فيها ٢٨٨٦ طالباً و ٣٠٤٨ طالبة و ٧٤ مدرسة متوسطة فيها ١١٤٤٠ تلميذاً و ١٠٩٢٧ تلميذة و ٦٤٨ مدرسة ابتدائية فيها ٤٤٩٨٨ تلميذاً و ٢٤٤٠ تلميذة و ٢٨٣ مدرسة دينية فيها ٢٣٧٠٥ طلاب و ٢٨٢ كتاباً على الطريقة القديمة فيها ٥٩٨٤ تلميذاً . فمجموع المدارس ١٣٠١ مدرسة ومجموع الطلبة والتلاميذ ذكوراً واناثاً ١١٠ ر ١٠٤ . والمدرّسون ٣٣٧٢ والمدرّسات ٩١٥

﴿ نشيد للقومية العربية ﴾

دعا فريق من أفاضل الطلبة في الجامعة الامريكية في بيروت شعراء الأمة العربية في جميع أقطارها الى نظم نشيد قوميّ عامّ للعرب يصلح أن تتغنى به شبيبة الناطقين بالضاد في كل قطر ، ويكون الغرض منه الدعوة الى التعاضد ، والتحريض على التآخي والتآلف ، والحثّ على العمل والاجتهاد . وقد أعدّت لجنة الطلبة المؤلفة لهذا الغرض جائزة نفيسة للنشيد الذي يفوز بمضمار السبق ، فضلاً عما يناله هذا النشيد من مزية الخلود على الألسنة وفي الافئدة . وآخر موعد لقبول الاناشيد أول أبريل القادم ، ويشترط أن يوقّع النشيد باسم رمزيّ ، وأن يكون معه ظرفٌ مختوم في داخله الاسم الحقيقي والاسم الرمزي وعنوان الناظم ، ويرسل ذلك باسم « السيد قاسم عبد الرحيم » في جامعة بيروت الامريكية» . وسترسل الاناشيد الى نخبة من أدباء مصر والشام والعراق للموازنة بينها واختيار أوفاها بالغرض

خزائن الكتب العامة

في المديريات المصرية

تتقدم المديريات المصرية خطوة بعد خطوة نحو العناية بدور الكتب العامة ، وقد نشرت الصحف اليومية أن صاحب السعادة حمد باشا الباسل أهدى مكتبته النفيسة الى مجلس مديرية الفيوم . وأن حضرة مدير المنوفية يسعى لتكوين مكتبة عامة في عاصمة مديريته

لبنان في الحروب الصليبية

وفي هاتين السنتين

كتب الكاتب اللبناني الشهير الاستاذ يوسف السودا في صدر العدد ٨ من صحيفته (الراية) الصادر يوم ١٠ رجب الجاري مقالة قال فيها :

«علاقات لبنان بفرنسا ترجع الى عهد الصليبيين : وصل الصليبيون الى لبنان سنة ١٠٩٩ (٤٩٢ هـ) منهوكي القوى . فلو ساعد اللبنانيون أعداء الفرنجة عليهم [1] لما قامت لهؤلاء – اي الفرنجة – قائمة في الشرق . فلم يكتف اللبنانيون بعدم الانحياز الى الاعداء ، بل مدوا يد المساعدة الى الصليبيين ، على ماذكر مؤرخوهم ، أخصهم غليوم مطران صور . فاللبنانيون هدوا الصليبيين السبل ، وتطوعوا في الجيوش ، وحاربوا جنباً الى جنب مع الفرنجة وأصحابهم . وكان للبنانيين يد في فتح طرابلس وأورشليم ، الى آخر ما يحفظه التاريخ للبنانيين في ذلك العهد . ولما تضعضعت قوات الصليبيين في سوريا لجأت بقيتهم الى لبنان ، فأنزلها أهلوه بينهم على الرحب والسعة ، وحموهم غدرات الزمان

« وكأن التاريخ يعيد نفسه دائماً ، فما جرى من ثمانمائة سنة تجدد في هاتين السنتين : فلو أراد اللبنانيون شراً لزادوا موقف الجيش الافرنسي خطراً . وفي الاشارة غنى عن الاسهاب ...

وكما هرق الجدود دماءهم تحت أسوار طرابلس ، هكذا أراق الاحفاد دمهم تحت أسوار راشيا ، وعلى قمم اكروم »

انتهى ماكتبه الزعيم اللبناني وكان قبل ذلك قد زاد هذا الموضوع تفصيلا في الباب الرابع من كتابه (في سبيل لبنان) المطبوع بالاسكندرية سنة ١٩١٩

---

(١) أعداء الفرنجة هم المسلمون جيران اللبنانيين ومواطنوهم

﴿ ميزانية الحجاز ﴾

وضعت حكومة جلالة الملك ابن السعود الميزانية الاولى للحجاز ، وقد بلغت نصف مليون جنيه للايرادات ومثلها للمصروفات

﴿ المؤتمر السوري العام ﴾

في دترويت مشيغن (أمريكا)

افتتح هذا المؤتمر العظيم يوم السبت ١١ رجب (١٥ يناير) وقد اشترك فيه الوفد السوري فى أوربا وعلى رأسه العلامة المجاهد الامير شكيب أرسلان ، واشترك فيه سوريو القطر المصري ، وممثلون لجميع المهاجرين السوريين في أمريكا الجنوبية والوسطى والولايات المتحدة وكندا . ووردت عليه برقيات التأييد من سلطان باشا الاطرش القائد العام للثورة السورية ومن منطقة الثورة التى يديرها الزعيم المجاهد الامير عادل أرسلان ومن اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربى الفلسطيني السادس واللجنة المركزية لاعانة منكوبى سوريا فى القدس ، ومن اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بالقاهرة . وسننشر قرارات هذا المؤتمر عند اطلاعنا عليها

﴿ ثروة أمريكا وسائر العالم ﴾

يقول مندوب جريدة (الجورنال) في أمريكا : ان الاخصائيين قدّروا ثروة العالم سنة ١٩٢٦ بنحو ألف مليار من الدولارات (مائتا ألف مليون جنيه). والمراد بثروة العالم الأراضي والأملاك والمناجم والمعامل والمصارف والشركات المالية وماأشبه ذلك . ونصيب الولايات المتحدة من هذه الثروة أربعمائه مليار دولار (٨٠ ألف مليون جنيه)وهو نحو أربعين في المائة من مجموع ثروة العالم . وقد أيدت الحكومة الامريكية هذا الاحصاء . ولم يجد مندوب (الجورنال) أثراً للفقر في تلك الديار ، لأن الكل يعملون ولكل عمل ـ حتى مسح الاحذية والشيالة ـ نظام اقتصادي يجري عليه ، وهم يعتبرون كل عمل شريفاً مادام يعود على صاحبه بالربح من طريق شريف . وتنفق أمريكا ثلاثين مليون جنيه في السنة على أعمال الخير منعاً للتسوّل

وشعار الأمريكيين الذي تجده مكتوباً على جدران كثير من المصانع والمصارف هو « كن مبتسماً دائماً »

﴿ نساء ايطاليا ﴾

تناقلت الصحف نبأ جديداً عن السنيور موسوليني بأنه حظر على نساء إيطاليا الرقصَ ودراسةَ الفلسفة ، ورأيه في ذلك أنه خير لهن أن ينصرفن الى شئونهن المنزلية من أن يضعن الوقت في حلّ ألغاز (الشارلستون) ونحت نظريات الفيلسوف (ليبنز)

﴿ التربية السياسية في سوريا ﴾

خاض السوريون منذ عام ونصف عام غمار ثورة قومية لم يكن لهم الخيار في إعدادها واختيار وقتها ، وإنما كانوا أمام أمر واقع عند نشوبها ، فساروا معها سيراً دلَّ على أن في البلاد تربية سياسية أكثر مما كان يظنّ بها : فقد كان القرَوي والمدني ، والعامى والمتعلم ، والمقيم والمهاجر ، يقوم كل منهم بواجب السلم والحرب قياماً وقع موقع الاعجاب والحيرة معاً من نفوس كبار رجال الدولة المحاربة لهم ، فحكموا بينهم وبين أنفسهم أن هذا الشعب مفطور على أخلاق سياسية نبيلة ، فاذا تيسّر له فيما بعد أن يهذّبها تهذيباً فنياً ويثقفها تثقيفاً حكيماً ، كان لهذه البلاد مستقبل قومى نبيل

وعند زيارة المسيو بونسو بلاد الشام في المدة الأخيرة واستقباله الوفود فى دمشق لسماع المطالب القومية وجد نفسه أمام امة تزن ما تقول وتحسن التعبير عما تريد . وكان للسوريين فى ميدان الرأي بطولة وشجاعة لا تقلّ عن البطولة والشجاعة اللتين ظهرتا من هذه الامة عندما اضطُرت الى حمل السلاح

فاللهم قيّض لتلك الديار قادة حكماء خبراء يستطيعون أن يغذّوا تلك التربية الفطرية بالغذاء العلمي والاخلاقي الذي هي فى حاجة اليه ، لتتبوأ الامة العربية المكان اللائق بها بين امم الارض

﴿ سكان أنقرة ﴾

تبين من الاحصاء الذي تم في هذا الشهر أن سكان مدينة أنقرة بلغ عددهم ٥٩ ألفاً فقط منهم ٢٣ ألفاً من الاناث و ٣٦ ألفاً من الذكور . وكان عدد سكان أنقرة قبل أن تصير عاصمة لتركيا لايزيد على عشرين ألفاً . أي أنها لا تزال حتى الآن أصغر وأقل سكاناً من حيّ واحد من أحياء القاهرة



ج ٨ : م ٣ القاهرة شعبان ١٣٤٥

عقيدة أبي العلاء

هذا موضوع اختلفت فيه مذاهب العلماء من عهد حكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي العلاء المعري الى يومنا هذا . وقد وفاه حقه من النظر والتمحيص علامة الادب العربي في الهند الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي المدرس في جامعة عليكرة الاسلامية اذ ختم كتابه (أبو العلاء وما اليه) بثلاثة فصول : تضمن أحدها جملة أقوال الذاهبين الى تليينه بالدين و نقائضهم الشعرية لما لم يرتاحوا اليه من شعره . والثاني في أقوال الذين زكوه أو قالوا بحيرته . والثالث معقود لحكم الاستاذ المؤلف في هذه القضية

ولما كان طبع كتاب (أبو العلاء وما اليه) قد أشرف على النهاية ، وفي الفصل الاخير منه رأي المؤلف في عقيدة هذا الرجل العظيم ، رأيت أن أفتتح هذا الجزء من الزهراء بهذا الحكم العلمي العادل الذى أحاط بالموضوع احاطة مشكورة . قال الاستاذ الراجكوتي :

تناقضت أقوال الأئمة وتباينت مناحيهم في دين الرجل ، ولعل هذا الداء سرى إليهم من شعره ، ففيه كل شيء وضده ، كما يقول هو بنفسه في لزوم مالا يلزم :

ولكل ما أصبحتَ تدرك حِسَّه ضد ، وكبرة من ترى كصغار

وقال :

ويعترى النفسَ إنكار ومعرفة وكل معنى له نفي وإيجابُ

ولستِ أعني تخطئتهم بأجمعهم ، فإنهم لم ينقُمُوا إلاّ بما رأوه في شعره ،

فكلّهم إذاً مُصيب في مزعمه . إلا أنني أريد أن أرعى كلّ ما رأيتُ له — في وقت واحد — رعاية رجل لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ، حتى لا أبْخَسَه حقَّه في نعمة أسداها . كما أنني لا أريد أن أنفي عنه شنائع أتاها ، وجرائم جناها

لاغرو أن له كثيراً من الشعر في (اللزوم) — واستغفرْ — مما يرمي الى المروق ؛ كالاعتراض على حكمة الباري سبحانه وارادته الخيرَ ، وانكاره النبوّات ، والاستخفاف بانبياء الله وبالشرائع ، وإنكار البعث والمعاد ، والقول بقدم العالم ، والذهاب إلى آراء الفلاسفة في أن العالم كالنبت يزهر ثم يذبل ، وجناية الوالد على الأولاد ، وتحريمه أكل كل مالا يُنبته الارض كاللحم والشحم واللبن والجبن والعسل ، واختياره إحراقَ الميّت على دفنه ، وغيره مما يطول بنا سردُه

ولكن لايوجد له شيء في غير (لزوم مالا يلزم) من هذا النحو لا في (سقط الزند) ولا في (ملقى السبيل)[1] ولا إن شاء الله في سائر كتبه مما لم يَصِلْنا . اللهم إلا نزرٌ يسيرٌ لايصرّح إلى الغرض فلا حاجة لنا إذاً به

وليكن منك على ذُكر أن له في اللزوم أيضاً — مما يُضادّ عامة الأمور المذكورة — شيئاً ليس بالهين ، بل لعله يفضل على السابقة في الكمية والكيفية

ولكن الطبيعة البشرية مفطورة على الانجذاب إلى مافيه استطرافٌ أو جِدَّة ؛ فتراهم حكموا عليه بَتاتاً بعدّة كلمات له سردوها في الزندقة وأضربوا عما يضادّها صَفحاً بالمرّة . كما أن الذين أرادوا تبرئته وإنقاء جَيبه اقتنعوا بما يضادّها فقط . فأيُّ الفريقين أحقّ بالأمن ؟

(١) أنظر سقط الزند ١ : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٩ * و٢ : ١٢ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٧٧ — وا كثرها فى الاعتراف الصادع والدين الناصع — وانظر ملقى السبيل ص٢٢٥ الايمان بالبعث

والذي يتخلص من كلّ ماله أن الرجل لما رحل الى بغداد كان يرتجى من دنياه أن تواتيه، ومن حياته أن تساعفه. ولكن لما رأى بها أعراض الحياة وزهراتها منقادة للطغام مُعرِضة بوجوهها عن الكرام، علم أن الدنيا ليست الا حظًا وبختا، وأن فوائدها لا تحصل بالكد والعمل أو السعي والاجتهاد. ولم يكن يرغب في الدنايا حتى يكتفي بها عن المعيشة الفاضلة، فنقب عن العلماء والنُسَّاك لعله يجد دواءه عندهم، فرآهم حريصين على المطامع والمطاعم، مُولَعين بالاستهتار بالمعاصي غير آخذين أنفسهم بالواجب واللازم. وكأنه كلما أنكر عليهم منكرا وندّد بسوء أعمالهم أغراهم بنفسه وأثار منهم دخلةً فاسدة، فرَمَوْه بالعظائم وأحالوا على الشريعة والدين حتى يتخلصوا عن لومة كلّ لائم. فرماهم رَشقًا واحداً، ووقع فيهم وفي أديانهم جاهداً. فأخذوا بعض كلامه، وطاروا به، ورموه به بكل قبيحة. قال أمين الحلواني المدني[1]: لعل أبا العلاء كان في زمان مثل زماننا هذا، يعني كلّ امرىء أنكر المنكر يرمونه بسوء الاعتقاد ليغروا به الملوك، كما قال الامام ابن حزم: انا طريد الملوك لأنى اقول الحق ولا أبالي اه

فلم يكتفوا بما وجدوا له بل عملوا بعضاً من الاشعار وضمنوها مايرمي الى المروق. نقلوا[2] عن ابن العديم في العدل والتحري قال قرأت بخط ابى اليسَر المعري في ذكره: وكان رضي الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الاشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصدا لهلاكه، وإيثاراً لاتلاف نفسه. ثم أورد ثلاثة أبيات له وهي:

حاولَ إهوانيَ قومٌ فما واجهتُهم إلا بإهوانِ

(١) في مقدمة اللزوم الطبعة الاولى ببمباي

(٢) معجم الادبا لياقوت ١ : ١٧٩ . وكذا في أنيس الجليس ١ : ٢٧٩

يحـرّشوني بسعايانهـم فغيَّروا نيـة اخواني
لو استطاعوا الوشوا بي الى المرّيخ فى الشهْب وكيوان

وترى في الفائت[1] بعض كلمات ركيكة لاتشبه سائر شعره ، ولعلها من هذا الجنس . ومر[2] خبر تحريف رجلين بيتاً من اللزوم وتأليف أبي العلاء رسالة الضَبُعَين وإرساله اياها الى معز الدولة علي بن صالح تنصّلاً

ولدينا شواهد على أنهم لم يعملوا بالتحفظ والاحتياط في عَزْو بعض أمور مما هو بَراءٌ منه كما مرّ قول الزمخشري في بيتين من (سقط الزند) أنه عارض بهما قوله تعالى إنها ترمي بشرر الآية . وقد دفعناه في صَدْره ورددناه عليه . وهذا ابن السُبْكي روى بيتين لابن الراوندي [3] وعزاهما إلى المعرّيّ ثم قال فقبحه الله ما أجرأه على الله عز وجل (ثم ذكر لهما نقيضةً) ، فهل من متأدّب لايجزم بأنهما لابن الراوندي[4] ، وروى ابن سعيد في المغرب [5] من قصيدة للجمال أبي الحسين الجزّار قوله :

وفي علم العروض دخلتُ جهلا وعُمتُ بجفْنَي في كل بحر
فأذكرني به التفعيلُ بيتـاً تضمّن نصفـه الشيخ المعري
مفاعلتن مفـاعلتن فعولن « حديث خرافة يا أم عمرو »

---

(١) أي (فائت شعر أبي العلاء) وهو كتاب للاستاذ الشيخ عبد العزيز صاحب هذا المقال ، جمع فيه شعر أبي العلاء الذي لايوجد فى كتبه المعروفة

(٢) في ص ٢٧٥ من كتاب (أبو العلاء وما اليه) الذي سيصدر عما قريب

(٣) طبقات الشافعية ٣ : ٩٧ وهما :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا .

(٤) انظر معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ١ : ٥٣

(٥) ص ١٣٤

والمصراع عجز بيت لبعض مشركي مكة كما هو معروف ، وصدره :

أموتٌ ثم بعث ثم حشرٌ

ولكن هذا الاستدلال لا يغني عن المعرّي إلا في المنحول . وأما الثابت الذي دوّنه بنفسه في لزوم مالا يلزم فهو أيضاً كثير فكيف يسلم من معرته ؟

وهاك أموراً تجلو من الحقيقة شيئاً :

إنّ حبّ الظَرْف والاستطراف هو الذي حدا به على أن أنشأ كلّ صِنْف من الشعر وولج في كل باب منه لما اشتُهر به الزنادقة من الأدب والتظرّف . قال ابن القارح [١] ولكني أغتاظ على الزنادقة والملحدين الذين يتلاعبون بالدين ، ويرومون إدخال الشبه والشكوك على المسلمين ، ويستعذبون القدح في نبوّة النبيين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتطرّفون ويبتذؤن اعجابا بذلك المذهب تيهَ مُغَنٍّ وظَرفَ زنديق [٢] اه

ولو كانت هذه آراءً له منقحة ، وأفكاراً محققة ، لم نجد لها من الأضداد هذا القدر الجمَّ . وقد ورد في مقدمة بعض النسخ من اللزوم [٣] مقدمةٌ بسيطة تبرأ فيها من قصد الالحاد بأوضح بيان ، وقال ان غرضه التفنن بالشعر اه .

ويشهد له ماجاء في ثبَت كتبه [٤] من أن بعض الجهّال تكلّم على أبيات من لزوم ما لا يلزم يريد بها التشرّر والاذية ، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشيء هذا (يريد كتاب زجر النابح) فأنشأ هذا الكتاب وهو كارهٌ اه . فهذا صريح في ان أصدقاءه لم يكونوا يعرفون اللزوم كتابَ الحاد كما عرفه الأباعد

(١) ص ١٩٧ في رسائل البلغاء الطبعة الثانية
(٢) انظر المثل في كتاب معجم الامثال للاستاذ المؤلف
(٣) أنظر مجلة المشرق ٥ : ٤٧ وهذه النسخة قديمة
(٤) معجم الادباء لياقوت ١ : ١٨٣

وأن مذهب الالحاد لو كان فيه غرضا مقصوداً لم يحتج الى الردّ على ذلك الجاهل فنفث الرجل بكل ما تخالج في قلبه من الشكوك التي لابد للانسان منها وهذا ابراهيم عليه السلام قال « ولـكن ليطمئنّ قلبي » . وهذا معنى قوله من لزوم مالا يلزم :

يسمّي غويٌّ من يخالف كافراً   له الويلُ أيُّ الناس خالٍ من الكفر

فلم يأت أمرا بِدْعا ، بل هو على مذهب غيره من الشعراء كالمتنبيء وابن هانيء وأبي نواس ، بل هو أصدق منهم لهجة وأتمُّ منهم نُسُكاً وزهداً وقناعة وايثاراً وتعبّدا واستقلالا بالآراء . وغاية الأمر أن لم يكن وضح له بعض العقائد فكان منها في شك وحَيْرة على ما يَنِمّ به شعره ، وكان يودّ أن لو لقى رجلا يزيل عنه الشكوك ، ولـكنه أخفق فيما هو الظاهر ، فلم يزل يذكرها ذكر من لا يسيغها ولا يلفظها . والدليل على ذلك أنه لم يزل قائما بما لم يشكّ فيه ، كالمواظبة على الصلوات ، واحياء الليل ، والذكر والتسبيح . واجتهد أن يُتوفى على هذه الحالة كما قال في ثبَت كتبه ، وكما شهد به الذين لقُوه ، وعلى صوم الدهر والمروّة والفتوّة والعفاف والطهارة ونقاء الجيب عن سفاسف الامور . وقد قالوا ان صاحب كل فنّ يحتاج اليه فقط ، وأما المتأدّب فإنه يحتاج الى كلّ العلوم والفنون ، وينبغي له أن يطرق كلَّ باب ويلج في كل ساحة

وهؤلاء ملاحدة العالم من جميع الأديان لا يشبه مذهبه في الحياة مذاهبهم على ما أورد كثيراً من أخبارهم في رسالة الغفران . فهم يأنفون عن التكاليف الشرعية ، ويستنكفون من العبادات ، ويستخفّون بها ويستهزؤن ويسخرون ، ويولعون بالهَزْل ، ولا يأخذون بذوات نفوسهم بَلهَ المسترشدين . على أن جلّهم كانوا داعين الى مقالتهم التي أنشأوها حتى يتمكنوا من زهرة الحياة ويقدروا على لذائذ الدنيا فانها غرضهم الوحيد . ولم ينقل أحد ـ ولا من أعدائه ـ عنه أنه كان

يرغب في شيء من رغائب الدنيا، أو يدعو أحدا الى مقالة في الدين يكون انتحلها. وهؤلاء تلامذته ملأوا أقطار البسيط ليس فيهم أحد على مذهب شيخه، ولا نقل أنه دعاه الى دين غير الاسلام. ولو كان داعية لم يعدم منهم مؤمناً به، ولا أعوز عليه تابع منهم، كما لم يعوز على أغمار الملاحدة وطغام الزنادقة قبله وبعده. وقد كتب اليه ابن القارح مذامّ الملاحدة وآفاتهم، فهل نراه سخر منه؟ ولكنّ ذكاء صاحبنا لا يخلّينا أن نظنّ به الجهل عما يراد به، ولا نظنّ ابن القارح عرّض به وبمروقه مع اعتقاده فيه كلّ جميل

ولم أر في معارفه وهم خلق لا يحصون أحدا قرفه بما قرفه به الاجانب[1]، وهذا لعمري عجب عاجب. وهذا التبريزي وغيره من التلامذة وغيرهم من زوّاره بالمعرّة — ومنهم شيخ الاسلام الصابوني والقاضي عبد الوهاب المالكي ومن البغادة أبو الطيب الطبري وأبو حامد الأسفرائنيّ المجدّد — قبلوا هداياه أو نزلوا عليه أو رغبوا في اصطفائه وودّه. والأندلسيّون معروفون بالصلابة في أمر الدين ولم أر لهم كلمة في القذف، وما ذاك الا ضنّاً منهم بدينهم أن يتهموا بريئاً. فظهر مصداق قول ابن العديم أن الذين لقوه وصفوه بكل جميل والذين لم يلقوه ولا عرفوه رموه بكل قبيح

وفي عمدة المؤمّل وعدّة المتمثل[2] وأنشدني قاضي الحكم بمعرّة النعمان

---

(١) قال ابن الوردي في تاريخه ١ : ٣٦٢ — ونقل خبر مساجلة أبي الطيب الطبري وابيات كليهما ثم قال : فشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير، وحسن الظن — وخصوصاً بالعلماء — قد دل عليه القرآن والحديث وهو لا يأتي الا بخير. وكان شيخنا عبس حسن العقيدة فيه، واعتراف الطبري له ومدحه يكفيه :

شهادة الطبري الحبر كافية ... ابا العلاء فقل ما شئت أو فذر
من أغمض السيف عنه كان في دعة ... ومن نضا السيف قابلناه بالطبري

أي القاضي الطبري أو بالطبر وهي الفاس بالفارسية

(٢) لعبد الله بن عبد الرحمن النجمي الفرياني الاندلسي وألفه بمكة سنة ٦٤٦ﻫ رأيت نسخته بحيدر آباد

ـ ابنُ عم لأبي العلاء وقد أجازني اجازة مطلقة ـ جميعَ شعر أبي العلاء ومنثوره وحكمَه ، وذكر لي ما كان ابنُ عمه عليه من الزهد والورع وجميل السريرة ، خلافاً لما ظهر من لفظه في نظمه . ثم أتى ببيتيه من سقط الزند :

خلق الناس للبقاء . . . الخ .

أقول وكأنه اراد بابن العمّ بعضَ وُلده كما هو الظاهر

على أن المتقدّمين من متّهميه راعَوْا جانبَ التحفّظ فلفظ السمعانيّ وُحكي عنه حكايات مختلفة في اعتقاده حتى رماه بعض النـاس بالإلحاد اه . ولفظ الباخرزي : وعندنا خبر بصره والله العالم ببصيرته والمطّلع على سريرته ، وإنما تحدثت الألسن باساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن الخ . وقد مرّ لنا قول الأولين أن « زعموا » مطية الكذب . فان كان نبزه بالإلحاد من جهة كتابه الفصول والغايات فإنا ننفيه آنفاً إن شاء الله . ونرى كثيراً من مترجميه لم يتعرّضوا لدينه ، ولعمري إن فيهم لاسوةً ، كالكمال ابن الأنباري وابن خلّكان . ولكن المتأخرين المسيطرين حكموا بزندقته حكم الصبيّ ولم يستثنوا

ولا تحكما حكم الصبيّ فانه كثير على ظهر الطريق مجاهله

ولم يقفوا دون الحدّ ولا احتاطوا في المقال . على أن المتقدمين كانوا أرعى منهم لجانب الله وأتقى له في عباده ، وكانت لهم وسائل تُسهّل سبيلهم إلى كشف جليّة الأمر لقرب عهدهم به . وأما الذين ضُرب بينهم وبينه بأسداد وأُرخيت دونهما الأستار المظلمة فكان حريًّ بهم صون الألسنة عن الوقوع في مَوْرِطة مُوبِئة ومدحضة مؤلمة . وها أناذا أتكلم على رجل رجل من متّهميه ، وإن لم أكن أحتاج إلى ذلك فإنهم لم يدرسوا آثار الرجل وجسروا على الحكم قبل التجربة وقلد بعضهم بعضاً ، وأسرعوا الما لم يعرفوه إبطالاً ونقضاً ، ولكن ليظهر

درجتهم من التحرّز والتأثم، فلا يُعطَوْا أكثر ممـا يستحقّون من القبول والرضى:

فالقاضي البحّاثي كان أستاذاً للباخرزى فلذا نقل قوله. على أن القاضي لم يسلم من حصائد لسانه أحد من أفاضل عصره وأعيـانه، ذكر ياقوت [1] أن الـكبار كانوا يحترمونه للتوقّي من حُمات لسانه وعقارب هجائه، ولقد رُزق من الهجاء طريقة لم يسبق إليها، وما ترك أحداً من الـكبراء والائمّة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس إلاّ هجاه ووقع فيه، فـكان الـكل يتترّسون باحترامه وإيوائه عن سهام هجائه الخ. أما ـ وحال الشاهد على ماذكر ـ كان الرجل يستحقّ منه الهجوَ؟ حتى يسلم من العين، ويدخل في زمرة الأفاضل المهجوّين

ما كان أحوجَ ذا الـكمالَ إلى عيب يوقّيه من العـين

وأما الشريف ابن الهبّارية فحدّثْ عن بحر الخَنَى والأهاجيّ ولا حرج، وعن طَوْد القذَع ولا تتحاش. قال ابن خلكان (٢): كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لايكاد يسلم من لسانه أحد ثم أورد من أخباره ماطيُّه أحسن من نشره. ومذهب ابن خلـكان في ملك اللسان معروف. على أنه لو لم يكن له من الآثار إلا ما أورده الصفدي (٣) من خبر يمنعنا الحياء من إثباته لـكفاه ولـكفانا. وأما صاحبنا فان مذهبه في ترك الهجر ممـا شهد به عبد السلام داعية المعتزلة القزوينيّ وكان عِرّيضاً معنّاً

ولست بهاجٍ في القرى أهل منزل على زادهم أبكي وأبـكي البواكيا

---

(١) معجم الادباء ٦ : ٤٠٨

(٢) ٢ : ١٥. روى ابن الهبارية أبياتا للمعري تشير الى أن الموت ظلم من الباري تعالى (معجم الادبا ١ : ١٩٤) ولـكن هذا المعنى يناقضه اللزوم :

استرد الحياة منك لعمر الـلـه من كان للحياة معيرا

(٣) الغيث ٢ : ١٩٠

ومذهب ابن الجوزي [١] والذهبي في الإقدام على الجرح والقدح مما لا يُجهَل ولا يُنكر ، فهلاّ نردّ على كل هؤلاء لوهنهم أو لعصبيتهم

فما لك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود

وأما الفصول فليس من معارضة القرآن أو مناقضته في قبيل ولا دبير . وترجمته في الثبت عند ياقوت والذهبي كتاب الفصول والغايات فقط وكذا عند ناصر خسرو وأمّا زيادة « في محاذاة السور والآيات » فالظاهر من كلام المتقدّمين [٢] ولا أستثني أحداً أنها ليست من ترجمة الكتاب فلفظ ناصر خسرو وقد ذكره : حتى إنهم اتّهموه بأنك عملته معارضة للقرآن اه . ولفظ الدمية: زعموا أنه عارض به القرآن اه . ولفظ خليفة : الفصول والغايات في معارضة السور والآيات على ما ذكره ابن الجوزي لأبي العلاء الخ . وليعلم أن خليفة لم يذكر شيئا من تآليف صاحبنا بحوالة ابن الجوزي بل الظاهر أخذه إياها عن معجم الادباء فظاهر أن معنى كلامه هنا أن كون الفصول في المعارضة على رأي ابن الجوزي . ومعلوم أن المعتبر نيّة العامل لا نيّة ابن الجوزيّ . والمحاذاة ليست من المعارضة في شيء كما مرّ لنا إثباته في الثبت [٣] . على أن الرجل معترف باعجاز القرآن بعد تأليف الفصول اعترافاً ليس وراءه غاية تُرام كما مرّ . وقد رأينا منه فصولا [٤] فلم نجد إلا عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

ولعمري إنا لفي أشدّ حاجة إلى من ينتقد علينا أعمالنا ، ويدلّنا طريق رشدنا . وأما هؤلاء المطرون من المدّاحين فيضرّوننا من حيث يريدون أن

(١) وقال ياقوت ٦ : ٢٠٤ وأنا لاأعتمد على ماتفرد به ابن الجوزي لانه عندي كثير التخليط اه

(٢) ولفظ الذهبي : وكأنه معارضة منه للسور والآيات

(٣) ص ٢٧٢ من كتاب (أبو العلاء وما اليه) الذي سيصدر قريباً

(٤) أنظر بعضها في المجلد الاول من الزهراء (ص ٣٧ ، ٣١٠ ، ٥٨٩)

ينفعونا ، فقد طمّت في جميع طوائفنا الآفات ، وفشت فيهم السوآت ، وشكت الأرض إلى السماء ماتحمله من البلاء والعناء . وقد وصل بي الكلام وله شجون وفنون بحيث أوقفني موقف ذابّ عنه متعصب له ، وأيم الله إني لم أقل إلا حقاً ولم أنطق إلا صدقا .

ولكن له والحق يقال كثيراً من الأشعار تجنح إلى التشكيك فقال بعضهم - ومنهم السِلَفيّ والصَفَدى - وكان لا يستقرّ به قرار ولا يبقى على قانون واحد بل يجري مع القافية إذا حصلت كما تجيء (؟ تجري) لا كما يجب اه . وهذا الرأي صحيح في بعض شعره ومن قوله في لزوم ما لا يلزم :

مضى الأنام فلولا علم حالهم   لقلت قول زهير أيّةً سلكوا

وبيت زهير (1) هو :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا   وزوّدوك اشتياقا أيّةً سلكوا

فلولا أنه مال به الكلامُ إلى هذه القافية عمداً لم يجنح لها فإن له كثيراً من الأبيات في عدم العلم بمحلّ الأرواح ولا أبعد فله قبل بيتين من المذكور :

إن تسأل العقل لا يوجدك من خبر   عن الأوائل إلا أنهم هلكوا

وانظر النظرة . وليس معناه أنه كان يهذي هذيان المعتوهين - بل الحقيقة أنه ليس في الدنيا شيء إلاّ وله جانبان من جهة حُسْنه في بعض الأحيان وقُبحه في غيره ، فالفيلسوف الطبعي هو الذي لا يغفل عن الجانب الآخر ، والطبيب الحاذق هو الذي يعرف بمحلّ الداء ومقداره فيصف له الدواء الصالح فأبو العلاء إذاً فيلسوفٌ بالطبع لا بالتصنّع والتكلّف حتى يغلب عليه الفلسفة في غير حينه شأنَ الفلاسفة المتفيهقين

كل امرىء راجع يوماً لشيْمته   وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين

(1) شرح ديوانه مصر ٤١

وأُولع كثير من الناس بتأويل ما جاء مما يحتمل إلى المجاز . قال الذهبي والمشكل من شعره فله على زعمه تفسير . أقول : وله شعر يرمي الى ما قالوا ، فمنه قوله في لزوم ما لا يلزم :

وليس على الحقائق كل قولي ولكن فيه أصناف المجاز

وقوله :

لا تُقَيِّدْ عليَّ لفظي فإني مثل غيري تكلّمي بالمجاز

وقوله :

لا تُخبرنَّ بكنه دينك معشرا شُطُرا وإن تفعل فأنت مغرِّرُ

وقوله :

تعالى الله فهو بنا خبير قد اضطربتْ إلى الكذب العقول

نقول على المجاز وقد علمنا بأن الأمر ليس كما نقول

وهذا القول أيضاً صواب في بعض شعره لا في سائره فهو يقول في ضدّه من لزوم ما لا يلزم :

فاسأل حجاك إذا أردت هداية واحبس لسانك أن يقول مجازا

ومع كل ماهر يبقى له كثير من القول لا يقبل تأويلا ولا مجازاً فان الرجل اعترف بنفسه انه بقي مدة طويلة في الحيرة والتشكيك ، قال في اللزوم :

عَوْدٌ يصدّق أو غرٌّ يكذّب أو مردّد بين تصديق وتكذيب

وهذا ظاهر في انه كان في شبابه ممتريا ثم بقي طول كهولته مردّدا ثم صدّق بالشرائع في مشيبه . وهذا هو الصواب الذى لا محيد عنه لأُلى الألباب فإني لم أجد في مُلَقَّى السبيل شيئاً يجذب الى المروق . وروى ابن الوردي[1] عن دفع

(١) ١ : ٣٦٠ من تاريخه ولفظه : ثم وقفت له على كتاب ضوء السقط الذي أملاه على الشيخ أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الاصفهانى الذى لازم الشيخ الى أن مات ،

المعرة عن شيخ المعرة أنه وُجد المعرى في ديوان لزوم ما لا يلزم متذبذبا حائراً في الدين لكن الكتب التي ألفها بعد ذلك خصوصاً ضوء السقط تصلح هذا الفساد وتوضح رجوعه الى الحق وصحة اعتقاده ، وضوء السقط خاتمة كتبه ، والأعمال بخواتيمها اهـ . وقال السلفي[1] : ومما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار النميرى بالسمسمانية مدينة بالخابور قال سمعت القاضى ابا المهذب عبد المنعم بن احمد السروجي يقول سمعت أخى القاضى أبا الفتح يقول دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة ـ بغير علم منه ـ وكنت اتردد اليه وأقرأ عليه ، فسمعته وهو ينشد من قبله :

كم بُودرتْ[2] غادة كَعابٌ ... وعُمِّرت أمها العجوز
أحرزها الوالدان خوفا ... والقبر حِرزٌ لها حريز
يجوز ان تبطئُ المنايا ... والخلد في الدهر لايجوز

ثم تأوه مرات وتلا « ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ـ إلى قوله ـ

ثم أقام بحلب يروى عنه كتبه فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده، موضحاً لرجوعه الى الحق وصحة اعتقاده . فانه كتاب يحكم بصحة اسلامه مؤلا ، ويتلو لمن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة : وللآخرة خيرلك من الاولى . فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر ويلذ السمع ويقر العين ويسر القلب ويطلق اليد ويثبت القدم من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بريته، والتقرب الى الله بمدائح الاشراف من ذريته، وتبجيل الصحابة والرضا عنهم والادب عند ذكر ما يتلقى منهم وايراد محاسن من التفسير والاقرار بالبعث والاشفاق من اليوم العسير ، وتضليل من انكر المعاد ، والترغيب في اذكار الله والاوراد ، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها . وهو خاتمة كتبه والاعمال بخواتيمها . وقد يعذر من ذمه واستحل شتمه فانه عول على مباديء أمره وأوسط شعره، ويعذر من أحبه وحرم سبه فانه اطلع على صلاح سره وما صار اليه في آخر عمره من الانابة التي كان أهلها والتوبة التي تجبّ ماقبلها وكان يقول رحمه الله : أنا شيخ مكذوب عليه اهـ

(١) الذهبي ١٢٤ . ومعاهد التنصيص ١ : ٥٠

(٢) ملقى السبيل ٢٢١ وفيه « كم هلكت » وهي فيه أربعة أبيات وعند الذهبي « كم غودرت » وهو تصحيف

فمنهم شقيّ وسعيد » ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الارض زماناً ثم رفع رأسه ومسح وجهه فقال : سبحان من تكلم بهذا في القدم سبحان من هذا كلامه . فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فرد عليَّ وقال متى اتيتَ . فقلتُ الساعة ثم قلت ياسيدي ارى في وجهك أثر غيظ فقال لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ماترى . فتحققت صحة دينه وقوة يقينه اه . ومن أبياته التي قالها في القاضي أبي محمد ابن اخيه وكان مرّضه في مرْضته الاخيرة قوله وهي بتمامها في الفائت :

سأنشُر شكره في يوم حَشْرٍ أجل ! وعلى الصراط المستقيم

وهذا صريح في الباب . والاعمال بخواتيمها . وأمره الى الله وهو يعرف خبايا الضمائر وسرائر الظواهر . قال في لزوم مالا يلزم :

مولاك مولاك ! الذي ماله نِدّ وخاب الكافر الجاحدُ
آمن به والنفس ترقَى وان لم يبق إلا نَفَس واحد

وقال :

ترجُ بذاك العفو منه اذا ألحدتَ ثم انصرف اللاحد

وقال :

إن ختم الله بغفرانه فكل ما لاقيتهُ سهلُ

الكتب في مسجد بني أمية بدمشق

ذكر السيوطي في بغية الوعاة (ص ٢٤٩) ان أبا اليُمْن زيد بن الحسن الكندي (٥٢٠ ـ ٦١٣ هـ) كانت له خزانة كتب بالجامع الاموي بدمشق فيها كل نفيس . قلت : ومما يؤسف له ان يد الدهر ذهبت بهذه الخزانة كما ذهبت بغيرها من نفائس ذلك المسجد

التخليط في الشعر العربي

بين الحطيئة وأبي دهمان الغلابي

روى أبو عثمانَ الجاحظُ في البيان والتبيين (١) لأبي دهمان الغلابي :

لئنْ مصرُ فاتتني بما كنتُ أرتجي   وأخلفَني منها الذي كنتُ آملُ

فما كلُّ ما يخشى الفتى بمصيبهِ   وما كل ما يرجو الفتى هو نائل

فما كان بيني - لو لقيتكَ سالماً -   وبين الغِنى إلا ليالٍ قلائل

وقد وقع في هذه الأبيات تخليط ، لأن البيت الثالث منها جاء في كثير من الكتب الموثوق بها منسوباً الى الحُطَيئة في رثاء علقمة بن علاثة :

فمن الكتب التي ورد فيها منسوباً للحطيئة (نقدُ الشعر) لقدامة بن جعفر (ص ٣٦) والأغاني لأبي الفرج (١٥ : ٥٨ - ٥٩ بولاق) وديوان الحطيئة (ص ٩٩ طبع القاهرة) مروياً عن محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال أبو الحسن السكري في شرحه « كان الحطيئة خرج يريد علقمة وهو بحوران ، فمات علقمةُ قبل أن يصل اليه الحطيئة . فذكروا أنه أوصى له من ماله بمثل نصيب بعض ولده من الميراث » وكان هذا من دواعي نظم الحطيئة مرثيته التي تواطأت المصادر على أن منها ثالث الأبيات المروية في البيان والتبيين لأبي دهمان . ومن مرثية الحطيئة يذكر علقمة :

الى القائل الفعّال علقمةَ الندَى   رحلتُ قلوصي تجتويها المناهلُ

لعمري لنعمَ المرء من آل جعفر   بحوران أمسى أعلقته الحبائل

أما البيتان الأوّلان مما رواه الجاحظ فلم يذكر أحد أنهما للحطيئة

(١) الطبعة الاولى ٢ : ٢٦ و الطبعة الثانية ٢ : ١٠٤

بعض كلمات تاغور

* كنت يوماً وأنا في سنّ الثانية عشرة أرقب الشمس تغرب وراء صف من الشجر ، فتحدثت اليَّ نفسي : أليست الشمس تطلع غداً لتغرب ، ويتجدد مطلعها ومغربها ، وهي أبداً باقية ؟ كذلك نحن : نطلع ونغيب ، ولكنا أبداً باقون في اللانهاية الشاملة لكل ما في الوجود

* ليس الابنُ عزيزاً على أبيه لِذاته ، ولكن لان الاب يرى فيه امتداد نفسه ، ويرى فيه خلود حياته لاجيال مقبلة

* ليست حبة القمح غايةً لِذاتها ، بل واحدة في سلسلة خلد حياتها . ألستَ تراها تنفجر من حياة حبات من القمح تنفجر منها مثل ما تنفجر الأولى . ونحن في نظام الحياة كهذه الحبة ، وروحنا تتصل بروح الكون كما تتصل قوة الحياة في القمح جميعا

* بين الروح التي تتصل بحقائق الاشياء ، والأدب الذي يعبر عن المشاعر ، اتصال دقيق : فكلاهما يحسّ الحياة الخالدة ويعبر عنها

* شخصيتنا هي أول حق فينا : فنحن موجودون ، ذلك مالا شك فيه . ويسيرٌ علينا أن نعرف أنفسنا اذا بحثنا في غورها . ومعرفتنا نفسنا تسرّنا ، لكنما تغشى على هذه المعرفة في كثير من الاحيان مظاهرُ الاشياء المحيطة بنا والتي تحول دون التفكير في حقيقة حالنا . لكن هذه الحقيقة تبدو لناً ونسعد بها اذا نحن أحببنا انسانا أو شيئاً ، ذلك بأن نرى نفسنا في هذا الذي نحب ، ومن ثم كانت سعادة الحب ، ومن ثم كانت حرية المحب . وانك لترى نفسك أكثر ما تكون حرية اذا أحاط بك من تعرفهم من أهلك وأصحابك ، فأما ان أحاط بك أجانب عنك فحريتك تحدّ ، وتشعر في نفسك بضيق لذلك أيَّ ضيق

* تحلق الطيور في السماء لا لتبتعد عن الارض ولكن لتعود اليها . وها أنا ذا حر طليق ، لست على اتصال بأي شيء من الاشياء . ولكن لا ، إن المحدود هو حقيقة المطلق ، والحب هو شعار الصدق

* أيتها الطبيعة . انكِ عبد ذلول ، نشرتِ بساطك المزخرف المتأنق بالالوان العديدة في البهو الاكبر حيث أجلس وحيداً كأني ملك متوّج ، وأنت ترقصين أمامي وفي جيدك عقد من النجوم المتلألئة فوق صدرك

* التعليم بلغتنا هو الذى أنعش روحنا وأحيانا . ورأيي أن التعليم ينبغي أن يكون كالأكل ، بمعنى أنه عند ما يسيغ الآكل اللقمة الأولى تتنبه معدته الى عملها قبل أن تمتلىء ، ويتمكن إذن عصيرها من أن يؤثر كما يجب . ونقيض ذلك التعليم بالانكليزية : فان اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطرى أسنانه ، أو تزلزل فمه . وفي اللحظة التي يبتديء يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة ـ وانما هي من السكّ وقابلة للهضم ـ يكون قد ولّى نصفُ عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فاذا تذوّقها تكون شهيته قد ذهبت

* نحن الهنود نؤمن بشيء لانهائي هو سر الوجود ، وليس فيه شيء من معنى العدم . وغاية أدياننا جميعاً أن تدفعنا لنجد حريتنا في اللانهائي الكائن على انه حقيقة ملموسة مفهومة . ولا يمكن أن يكون تطيراً ماهو إيمان بشيء موجود تمكن معرفته من طريق الروح

* سرُّ عظمة أوربا وتقدّمها السريع وجودُ روح التعاون فيها من الوجهة الفكرية والفنية والادبية والموسيقية والعلمية ، فهم يعملون في ذلك مدفوعين بروح التعاون . أما من الوجهة السياسية فنرى دول أوربا يراقب بعضها بعضاً بعين الحذر وعدم الثقة ، وهي دائما تتطاحن وتتسابق شاهرة سلاحها

* الامم تختلف في ظواهرها وتقاليدها وأفكارها ، ولكن الرقيّ الحقيقي لن يتمّ إلا بالتعاون بينها جميعاً ، وبعمل مشترك يقوم به العقل البشري . فيجب علينا أن لا نكتفي بابراز التقاليد القومية ، بل أن نعمل لتوسيع المبادىء الصحيحة وإيجاد نشاط أدبي مشترك كالذي نراه اليوم في أوربا

* فلسفة الهند تصور الحرية على أنها كمال الاتصال بما يحيط بنا فاذا نقص اتصالنا نقصت حريتنا

* الفلاسفة يحدّدون الجمال ويضعون له قواعد وتعريفات . أما الساذج فيراه بعينه في هذا البحر المضطرب الموج ، وفي هذه السماء الصافية آناً والغائمة آناً آخر . وهذا الذي يراه هو حقيقة الجمال ، أما تلك التعريفات والحدود فليست في شيء من الحقيقة

* الجمال هو ادراك الحقيقة كما هي ، والحقيقة من حيث هي جمال لا يعدله جمال . فالعجوز التى لاتسمى جميلة اذا استطاع المصوّر المتقن ان يصورها كما هي كان في هذه الصورة معنى الجمال لأنه ادرك الحقيقة واستطاع أن يعرب عنها بتصويره

* ان المرء اذا سمع موسيقى غريبة لم يألفها يضايقه سماعها ، وأحياناً يعذّبه . لأن نظامها لا يجد من نفسه ذلك الشعور الذي تهزه الموسيقى عنده ، وذلك لانه لايعرف ماذا تمثل النبرات الموسيقية التي يسمعها . ومعرفة الموسيقى ليست في فهم « النوتة » وأوزانها ، بل هي فهم المصدر الذي تجيء الموسيقى الموقّعة منه . وان الآلات لاتوصل الطرب الى القلب وانما الذي يوصل الطرب الى القلب وينعش الروح هو ذلك التيار الحيوي الذي يسري من مصدر النغم الى روح السامع . فالذي يطرب بالموسيقى هو الذي يشعر بما تمثله الانشودة من تأثيرات روحية شخصية

الى حُماة اللغة

دَعِ اليراعَ فكم من حاملٍ قلما لولا تنكُّرُهُ لاسترْعِيَ النِّعَما
من الغضاضةِ أن يُعنى أخو أدبٍ بما يعانيه مَن لا يفهمُ الكَلِما
يا من يرى اللغة الفصحى وقد نكبت بكلِّ دهياءَ رَدَّت نورَها ظُلَما
هوَتْ من الذروةِ العُليا وبثَّ لها شرَّ الغوائل قومٌ ضيَّعوا الهِمَمَا
من كلِّ أبلهَ صلْدِ الذهن ذي رَعَنٍ وكلِّ فظٍّ اذا لاينتَهُ عرما
وَكلِّ جعْدِ القفا لولا تبختُرُهُ لخلتَهُ جلمداً أو خلتَهُ صنما
من الغرور ترى في خدهِ صعَرا لا ينقضي، وترى في أنفه شمما
يظلُّ يرقمُ في أوراقه جُمَلا من ساقطِ اللفظِ مغتراً بما رقما
كأنه اذ يمجُّ الحبر مِرْقَمُهُ جانٍ من اللغةِ الفصحى يُريق دما
ولو تلوتَ عليه ما يسطره من السفاسفِ والاوهام ما فهما
سَمْج التعابير سَمْج الذوق متخذ من البلادة أسلوباً به اتسما
يعدو على الجمل الفصحى فيمسخها ويستحلُّ من التزييفِ ما حرما
وينظم الشعر رثاً لفظهُ فمتى يسمَعْهُ صاحبُ لبٍّ يشنه الصمما
ويستجيزُ من الإبهام أقبحهُ فليسَ يفهمُ الا اللهُ ما نظما
وإن أبنتَ له يوماً مَغالطه يؤججُ الحقدُ في أحشائهِ ضَرَما
ويدَّعي أنهُ ما زلَّ قطُّ ولا تعوَّد اللحن في قولٍ ولا وهما
وانهُ ناثرٌ ألفاظه دُرراً وانهُ ناظمٌ أبياته حِكما
وأنهُ العَلَمُ الفردِ الذي رفعتْ له مفاخرُهُ فوقَ السهى علَما
وأنهُ العبقريُّ الفذُّ ليس له نِدٌّ وأنَّ له الشأْنَ الذي عظما

لا تستقرُّ على أمر مزاعمهُ وهل يصدّق الا الغرُّ ما زعما

***

يا للبلاغة أمسى وَشْيُها خَلَقًا وأصبحَ الدرُّ من ألفاظها فَحَما
يا للفصاحةِ أودى الأغبياء بها وربما جهل المغرورُ ما اجترما
تعاوروها بأقلام وألسنةٍ أخنت عليها ولم يستشعروا ندما
تخالهم عَرَباً حتى اذا خطبوا في الناس أو كتبوا لم يفضلوا العجما
تلك الطروس التي ضمت سطورهمُ تكاد تشكو الى قرائها ألما
إنَّ الغبيَّ اذا أعطيتهُ قلماً مثلُ الجبانِ إذا قلدتهُ خَذِما

***

يا للبيان استباحوهُ وماتركوا من سحرهِ غيرَ ماقد أورثَ اللَّمَما
هذي جرائدهم باللغوِ حافلةً يكاد يجهلُ فيها المرءُ ما علما
تبدو صحائفها بيضاً ، فإن تليتْ تسودُّ حتى يحاكي لونها الحُمَمَا
ترى سطوراً بلا معنى فتحسبها مدارج النمل حاكت في الثرى رُقُمَا
لم ينشروا صحفاً للناسِ قيّمةً وإنما نشروا بين الورى نِقَمَا
وناصبوا الحقَّ حتى عزَّ باطلهم وزينوا اللؤمَ حتى نافسَ الكرما
يظنهم من يراهم سادةً نُجُبَاً وذو الحصافةِ لايرضاهمُ خَدَما
وتلك أشعارهم ساموا البيان بها مذلةً ، وأهانوا الطرسَ والقلما
سفساف لفظٍ وأوزانٌ منافيةٌ وزنَ القريض ومعنًى يُضحك الفَهِما
أسبابها نافرت أوتادها وبدا فيها زحافٌ وإيطاءٌ قد التأما
يبنونَ أبياتها واللحنُ يسكنها ومن بنى البيتَ مختلاً كمن هَدَما
فضاع بينهمُ صوتُ الأديب وقد يضيع صوتُ هزارٍ جاورَ الرَّخَما

قل للأُلى انتحلوا الآدابَ مختبراً: هل انتحلتم لها الأخلاقَ والشيَمَا

* * *

ما الشعرُ إلاّ قوافٍ راضَ جامحها غَمْرُ البديهةِ فحلٌ راسخٌ قَدَما
صانت جزالةُ مبناها معـانيَهَا من أن يلمَّ بهـا فهمٌ شكا وَصَمَا
اذا الحماسة أذكت بينها ضَرَمَاً أسـال تشبيبها من حوله سنَمَا
شـواردٌ عبقرياتٌ لهـا أرجٌ مازالَ يلطفُ حتى صاحبَ النَّسَمَا
كأنها قِطَعُ الروض الذي سَكبت غرُّ السحابِ على أزهارهِ دِيَما
في بُهْرَةِ الليلِ من لألائها وَضَحٌ كالبرق ملتمعاً والصبحِ مبتسما
تمرُّ ألفاظهـا بينَ الشفـاهِ كما يمرُّ صافي الطلا بالمسك قد خُتِمَا
يهتزُّ سامعهـا ما أُنشدتْ طرباً كما ترنحَ صبٌّ يسمع النَّغَمَا
يـكاد يُنشدهنَّ الفجرُ متخذاً لنفسـهِ من أقاحيِّ الرياض فما

* * *

يامعشرَ اللغةِ الفصحى أما لكمُ عطفٌ عليها يقيها النائباتِ أما
تدأركوها وذودوا العابثين بهـا وجدّدوا من مبانيها الذي انهدما
كانت لهـا عندكم فيما مضى ذممٌ ولم يكنْ شأنكمْ أن تخفروا الذمما

امين ناصر الدين
صاحب جريدة الصفا

لبنان

﴿ دمية القصر للباخرزي ﴾

كتب الينا الاستاذ السيد محمد بدر الدين العلوي المدرس بمدرسة عليكرة الاسلامية بالهند أنه عزم على تحقيق وتصحيح كتاب (دمية القصر) للباخرزي . وأنه مشغول بتأليف كتاب في صلات الفعل مع الشواهد

رُوَّاد اليمن من الاوربيين

العلامة المحقق الاستاذ نالينو E. A. Nallino الايطالي في الطبقة الاولى من علماء المشرقيات لهذا العهد . تولى تدريس العربية في كلية بالرمة ثم في جامعة رومة ، وهو صاحب محاضرات (تاريخ علم الفلك عند العرب فى القرون الوسطى) في الجامعة المصرية القديمة ، وناشر زيج البتاني سنة ١٩٠٣

وقد بدأ في هذا الشهر بالقاء محاضرات في الجامعة المصرية عن تاريخ اليمن القديم ، وقدم بين يدي البحث خلاصة في أسماء الاوربيين الذين ارتادوا تلك الديار باحثين عن ماضيها وحاضرها . ونحن ننشر ذلك ملخصاً مما كتبه صديقنا السيد محمود شاكر الذي أخذ على نفسه كتابة هذه المحاضرات سماعاً من الاستاذ نالينو

بلاد اليمن وحضرموت واقعتان على سواحل البحر الاحمر وخليج عدن ، فهما ـ بهذا الموقع ـ نالتا الحظ الاوفر من الاهمية من حيث التجارة ، وكثيراً ما كانت السفن التجارية تمر باليمن رائحة أو غادية بين الهند والبلاد الاخرى ، وكانت تمر بها السفن الاوربية كثيراً في القرن السادس عشر

لودريكو فارتتينا

أول من دخل بلاد اليمن من الفرنجة السري الايطالي (لودريكو ڤارتتينا) فلما نزل بعدن سجنه أحد امرائها مدة ثمانية أشهر ، ثم خلي سبيله فسافر الى صنعاء وعاد منها الى الجنوب فزار (ظَفار) و (تَعِز) ثم أخذ طريقه الى (زَبيد) فالبحر الاحمر قافلا الى ايطاليا . وفيها كتب كتاباً جليلا وصف فيه مازاره من بلاد الشرق وخصَّ اليمنَ بجزء صغير منه

دي لاغرلوديير De la Grélaudiere

هو السائح الثاني الذي دخل بلاد اليمن سنة ١٧١٢ ، لكنه زار بقعة صغيرة منها . فقد كان قادماً من الهند على سفينة فرنسية رست في مرفأ المَخا [١] ، فاتصل خبرها بامام اليمن وكان مريضاً فارسل يطلب منها طبيباً ، فانتهز السائح

(١) هكذا ضبط في معجم البلدان بالحركة لابالنص : والمشهور على ألسنة اليمانيين الآن بضم الميم (الزهراء)

هذه الفرصة وصحب طبيبَ السفينة الى مدينة (المَواهب [١]) حيث كان الامام ، ثم وضع لوصف رحلته كتاباً صغيراً

بعثة ميخائيليس *Michaelis*

ميخائيليس عالم ألماني كان جاداً في البحث عن آثار العبرانيين وعن نسخ التوراة واصولها وشروحها ، ثم بدا له أن يرحل الى الشرق ويدرس عاداته وتاريخه وأحواله الجغرافية ونباتاته وحيواناته ، ووجد أن في التوراة شيئاً غير قليل عن اليمن وملوكها وحضارتها ففكر في تأليف بعثة الى اليمن . ولما عرض فكرته على فريدريك الخامس ملك الدانيمرك سنة ١٧٥٦ وافق ذلك هوى من الملك فعهد اليه بتأليف البعثة فاختار خمسة من علماء ألمانيا والسويد والدانيمرك منهم (كارستين نيبُهر *Carsten Niebuhr*) الضابط في الجيش الدانيمركي ، و (فورسكل *Forskal*) السويدي الشجّار [٢]

في سنة ١٧٦١ خرجت البعثة قاصدة القسطنطينية ومنها الى القاهرة حيث أقامت مدة ألّف فيها الشجّار السويدي كتاباً فى (نبات مصر) . وفي سنة ١٧٦٣ ذهبوا الى (اللُحَيّة) وتوغلوا في داخل اليمن الى صنعاء وجاءوا منها الى المخا بعد أن مات اثنان منهم ، ثم مات اثنان آخران في سفرهم الى الهند ، ولم يبق غير نيبُهْر ، فلما رجع الى بلاده ألف كتابين مهمين أحدهما في وصف جزيرة العرب كلها اعتماداً على الاخبار التى جمعها وهو فى سواحل البلاد ، والثاني فى وصف بلاد اليمن . ولم يعثر فى رحلته على كتابات حميَرية ، وانما أخبروه بأن مثل ذلك يوجد فى خرائب (ظفار) على بعد ميلين من (يريم)

(١) بلدة قريبة من ذمار . وصاحب المواهب هو الامام المهدي محمد بن أحمد ابن الحسن مولده سنة ١٠٤٧ ﻫ (١٦٣٧ م) ووفاته في رمضان سنة ١١٣٠ ﻫ (١٧١٨م) وقبره بحصن المواهب حول مدينة ذمار . أخبرنا بذلك الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الواسع الواسعي اليماني . (الزهراء)

(٢) أي العالم النباتي ، أنظر الزهراء ٢ : ١٩٧

ستزن Seetzen

ان كتاب نيبهر حمل العالم سيتزن الالماني ـ الذي قضى زمناً فى خدمة قيصر روسيا ـ على البحث عن آثار اليمن والشرق ، فسافر الى الشام وفلسطين وألف كتاباً عن رحلته هذه . ثم أمَّ اليمن فنزل (الحُدَيدة) سنة ١٨١٠ واعتنق الاسلام وسار الى صنعاء ثم تحول الى الجنوب فسلك الطريق الذي وصفه نيبُهْر حتى صار قريباً من (ذمار) فسأل عن قرية (حدافة) فلم يعرفها أحد من أهل تلك الجهة لان اسمها الصحيح (ضاف) ، ثم أخذ ينحدر الى الجنوب حتى بلغ (ظفار) وفيها وجد ثلاث كتابات اشترى احداها ، وكانت الثانية في بيت عال فلم يصل اليها ، ولم يتمكن من نسخ الثالثة لأنه سافر مسرعاً ، ثم وجد خمس كتابات فى مسجد قرية تبعد ساعة عن ظفار ثلاث منها كانت عالية لم يصل اليها ونسخ الاثنتين [1] وأرسلها الى أوربا فكانت أول الكتابات الحِمْيرية التي دخلت ديار الغرب . وسافر نيبُهْر بعد ذلك الى جهات اخرى فانقطع خبره ولم يعلم أين مات

سفينة حكومة بومباي

انقضت ٢٥ سنة بعد نيبهر لم يكتب فيها أحد كتابات أخرى عن اليمن ، فلما كانت سنة ١٨٣٠ نَدَبَتْ حكومةُ بومباي (الهند) سفينةً انكليزية لارتياد سواحل اليمن ورسم خرائط لها ، فرست السفينة سنة ١٨٣٤ تجاه (حصن الغراب) من سِيف حضرموت ، وقد لمح ضباطها ـ ومنهم الضابط وِلْسْتِدْ Wellsted في جبل حصن الغراب خرائب حركت في نفوسهم الرغبة في صعوده ، فلما وصلوا الى قنته وجدوا آثاراً كثيرة منها برجان عظيمان كانا ـ في الغالب ـ مدخلَ هذا

(١) وقع نيبهر في نسخ الكتابات الحميرية في خطأ غريب ، فان بعضها كان محفوراً والآخر بارزاً ، فظن أن البارز من الكتابات المحفورة هو الكتابة ، وأن المحفور في الكتابة البارزة هو الكتابة أيضاً ، فنشأ من ذلك تشويش

الحصن المنيع القائم في رأس الجبل ، ووجدوا كتابتين لاحظوا أن حروفهما تشبه الحبشية وظنوهما بالحميرية فنسخوهما ، وعند عودتهم الى أوربا أخذوا في نشرهما .

وفي السنة التالية ارتادت هذه السفينة سواحل اليمن مرة اخرى ، فلما نزل ضباطها الى الساحل ذهبوا الى (بالحاف) حيث قيل لهم ان في الداخل خرائب ذات كتابات كثيرة فقصدوا اليها حتى بلغوا خرائب (نقب الهجر[1]) على تل مشرف على (وادي ميفعة) . ومن عجيب أمر هذا الجبل أنه عند ارتفاع الثلث الأسفل منه يحيط به سور ذو بروج عظيمه تدل على أن سفحه كان عامراً بمدينة عظيمة على هيئة قلعة لها مدخل من الجنوب وآخر من الشمال ، ولم يتمكن ولستد من دخوله لكنه نقل بعض الكتابات وعاد بها الى أوربا ، فلم يستفد العلماء منها شيئاً لأن النسخ كان مشوهاً

ومما اكتشفه ولستد في (حصن الغراب) خرائط متقنة الصنع ملونة رسومها باللون الأحمر ، وعثر على مساند أخرى فتحت باب علم سر الخط الحميري ، واجتهد في درسها العلامتان ويلهلم جسنيوس Wilhelm Gesenius وإميل رودجر Emil Rodiger فنشر كلٌّ منهما في سنة ١٨٤١رسالة في فسْر هذه الخطوط ، وفهما ألفاظاً قليلة جداً منها ، وعاد رودجر في السنة التالية الى البحث فتمكن من فسْر نصف تلك الكتابات

السر كروتندن Cruttenden

وفي شهري يوليو وأغسطس من سنة ١٨٣٦ سافر الضابط الانكليزي السر كروتندن من المخا الى صنعاء قاعدة اليمن فعثر في طرق المدينة ومنازلها على خمس كتابات من المرمر الأبيض مجلوبة من مارب[2] ، اثنتان منها محفورتان

(١) نبه الاستاذ نالينو على أن الهجر بالهاء لا بالحاء

(٢) يقول الاستاذ نالينو : ان مارب غير مهموزة بلغة حمير

على البرنز وقد نسخهما كاملتين وأرسلهما الى أوربا فاستفاد منهما العلامة رودجر ولم يتمكن كروتندن من نسخ الكتابات الاخرى لأنه كان شبه أسير في قصر الامام ، لكن هذا الاسر أفاده من جهة اخرى اذ عثر في حديقة قصر الامام في صنعاء على رأس تمثال من المرمر جيء به من بلاد مارب فحصل عليه الضابط وأرسله الى انكلترا ، وهذا الرأس موجود الآن في المتحف البريطاني بلندن

وعلم (كروتندن) وهو في قصر الامام أن أعراب مارب يأتون بقطع ذهبية مربعة الشكل فيبيعونها في صنعاء ، وان بعض الجهات اذا اشتدّ فيها هطول المطر تجرف المياهُ معها بعض اللآلي والجواهر فيأخذها البدو . فكان ذلك مما دل (كروتندن) على أن اليمن كانت فيها حضارة عظيمة تلوح لنا بهذه الآثار كالبرق في الليل الدامس

توماس يوسف اورنود Thomas Joseph Ornaud
و فولجانس فرنل ــ Fulgence Fresnel

كان كل ما عُثر عليه حتى سنة ١٨٤٣ من الكتابات الحِمْيَرية نحو خمسة عشر كتابة ، وهي على قلتها كانت فيها نسخ سقيمة قليلة الفائدة وبعضها ناقص . وفي سنة ١٨٤٣ اكتُشفت كتابات وآثار يمانية كثيرة ترقت بها معارفنا عن ذلك الشطر من التاريخ بفضل رجل اسمه توماس يوسف اورنود الذي كان صيدلياً في الجيش المصري فانتقل سنة ١٨٤٠ الى صنعاء فكان صيدلياً لامام اليمن وكان في خلال ذلك يسمع الاخبار الكثيرة عن آثار مارب وكتاباتها . فلما ترك خدمة الامام توجه الى (جدَّة) فلقي فيها المستشرق الفرنسوي (فولجانس فرْنِل) الذي كان أقام بمصر مدة طويلة اهتم فيها بالعرب ولغتهم وشئونهم وتاريخهم وكتبهم التي جمع منها نفائس كالأغاني والعقد الفريد ، فكان هذا المستشرق يهتم وهو في جدة بالتقاط الاخبار عن حضرموت واليمن من أهلهما

القادمين الى الحجاز ، وجمع ماحصل عليه من هذه الاخبار في رسالة جميلة . فلما وصل الصيدلي اورنود الى جـدة وقابل فرنل قصَّ عليه مارآه وسمعه عن اليمن وخرائبهـا ، فحثّه على العودة الى تلك الديار والتنقيب على الآثار الحِمْيَرية بين خرائبها

واتفق يومئذ أن عثمان باشا والي الحجاز عقد النية على ارسال وفد الى اليمن لتهنئة امام اليمن الجـديد بولايته . فسافر اورنود مع هذا الوفد ، فلما وصل الى صنعـاء كان نفور اليمانيين من الترك قد زاد عن ذى قبل ، فرأى أن مصلحته تقضي عليه بمفـارقة الوفد ، فانفصل عنهم ونزل في خان هناك ، ثم اتفق مع أحد معارفه فى صنعاء على أن يسافر به الى مارب . وبالفعل سافرا فى شهر يوليو سنة ١٨٤٣ متزوّدين بزاد يكفيهما ١٥ يوماً ، وتزيَّى اورنود بزي اليمانيين ، وبعد ست مراحل وصلا الى مارب فأقاما فيها ثلاثة أيام زارا فى خلالها بعض الخرائب القديمة ونسخ اورنود بعض الكتابات ، وقفل راجعاً فمرَّ فى طريقه بقرية سمّاها (الخربة) غير أن اسمها الحقيقي (سِرْواح [1]) ، وكان هذا الخطأ سببا لخطأ آخر سنذكره بعد . وفي سرواح وجد كتابات كثيرة : سَبَأيَّة وغيرها ، فكان جملة مانسخه اورنود ٥٦ كتابة منهـا ٣ في صنعاء ، و ٨ فى المـكان الذي سماه الخربة ، و ٤٦ بمارب . وكان الذين يمر بهم فى طريقه يرتابون بلون بشرته فيسميه بعضهم جاسوساً وبعضهم ساحراً ، ولولا أن أمير مارب شمله بحمايته لانتهت به هذه الشكوك الى فقـد حياته . وأصيب في هذه الرحلة برَمَد حرمه من استعمال عينيه مدة عشرة أشهر ، فأرسـل الى صاحبه فرنل وأملى عليه أخبار رحلته ، ووصف له البقاع ، فرسم فرنل خرائطها وطبع الكتابات الأثرية فى كتاب بأمر الحكومة الفرنسوية

(١) خرائب أثرية واقعة بالقرب من بلاد حاشد وأرحب ، على ماأخبرنا به الشيخ عبد الواسم (الزهراء)

واجتهد فرنل فى مقارنة أحرف هذه الكتابات بأخواتهـا في العربية وألحق بالكتاب المذكور ملحقاً بنتيجة أبحاثه فى هذه الحروف ومقارنتهـا بالعربية . وكان فرنل اطلـع على ما كتبه جسنيوس ولم يعرف ما كتبه رودجر ، ولو عرفه لأعانه على فهم كثير مما فاته فهمه

كتابات عمران

وبعد هذا اشترى ضابط انكليزي ٤٢ كتابة يمانية على البرنز من عدن ، وأرسلهـا الى المتحف البريطاني ، وأكثرها من بلدة (عمران) بين (اللُّحَيَّة) و (مارب) وهي كتابات مهمة واضحة منقوش عليها صور وتهاويل دلت على تقدم اليمانيين القدماء فى الفنون الجميلة

واعلم أن هذه الكتابات صارت بعدُ أساساً لبحث جديد حرّره الاستاذ ارنست اوزياندر Ernest Osiander وألف فيه كتاباً سنة ١٨٦٤

كتابات المسيو شارل لنورمان Charles Lenormant المزيفة

وفى سنـة ١٨٧٦ نشر الاثري الفرنسي شارل لنورمان سبع كتابات قال إنهـا وُجدت فى أبْيَن وأن طبيباً فرنسياً نسخها سنة ١٨٤٧ وان النُسَخ سلمت الى لنورمان سنة ١٨٧٠ وبعد نشرها ضاعت أصولها فى فتنة باريس سنة ١٨٧٠

ذلك ما زعمه المسيو لنورمان ، ولكن هذه الكتابات ظهر فيما بعد أنها مزوّرة كما اثبت ذلك المستشرق داود هانريخ مولر David Heinrich müller سنة ١٨٨٢ . ولا ندري ماهو غرض المزيف من هذا العمل الذي ينافى الامانة العلمية

كتابات خرى مزيفة

وفي سنة ١٨٧٠ جُلبَ من عدن الى أوربا ثلاث كتابات يمانية منقوشة على البرنز ، ثم اتضح أنها هي أيضاً مزوَّرة ، وأن نحّاساً من صنعاء لمـا سمع باهتمام المستشرقين بهذه الكتابات القديمة جعل ينقل من بعض الاحجار الأثرية كلمات

ويقيس عليها وينقش تلك الحروف على البرنز ليبيعها في أوربا بثمن عال يكون له منه مورد رزق متسع ، ولكن هذه الكتابات المزيفة أفادت بعض الفائدة لأن فيها فِقَراً منقولة نقلا صحيحا . وكان في صنعاء رجل آخر ينحت الاحجار فصنع ماصنعه زميله النحاس ، واتصلت بإمام اليمن الاحجارُ التي نحتها فارسلها الى متحف القسطنطينية

﴿ المعْلَمَة ﴾

قرأتُ في بعض أجزاء مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق أن أحد أعضائه اصطفى كلمة (معْلَمَة) للانسكلوبيديا التي كان يعبَّر عنها قبلُ بدائرة المعارف ، ثم رأيتكم اخترتم هذه الكلمة في مقالات مجلَّة الزهراء

وعندي أن المِعلمة — على قياس المِقْلمة — وان تكن تدلُّ على الظرفية لكنها لا تدلُّ على الظرفية المجازية ، فكل من يسمع هذه الكلمة يتبادر الى ذهنه أنها من جنس الظروف الحقيقية ، لا أنها نوع من الكتب . لأن الناس لم يألفوا تسمية أنواع الكتب بهذه الصيغة والزنة . نعم المفعول من الإفعال قد استعمل لهذا الغرض ، فالجهابذة من العلماء قد سموا بعض أنواع الكتب مُسْنَداً ومُعْجَماً : كمسند ابن حنبل ، وأبى عوانة ، والديلمي وغيرهم . ومعجم البلدان ، ومعجم الأدباء ، ومعجم ما استعجم ، ومعجم الطبراني . فان استبدلنا المُعْلَم بالمعلمة كان أوفق بالمطلوب ، فانه يطلق على نوع من الكتب يجمع بين دفتيه عِلماً من كل باب ، وخبراً من كل شيء ، فتتجانس الكلمات ، وتتشابه المعاني ، ويخفُّ على الالسنة « المُعْلَم » و « المُعْجَم » فنريد بالاول كتاب العلوم وبالثاني كتاب اللغات

اعظم كره (الهند) سلمان الندْوي

ديك (*)

« كان لاحد اصحابنا ديك هندي اسمه ونسبه : دياب بن شهاب بن »
« الحنَّاوي بن محبوب بن رَقبان ابن الاعمى الكبير ، وكان نقره ديك في »
« معركة ففقأ احدى عينيه . وكان صديقنا تركه عندنا باسيوط ومعه دجاجة »
« من جنسه فاصابهما وباء اهلكهما وأباد ما كان عندنا من الدجاج »

وَبَا لقيَ الدَّواجنُ منه شرّا ... فما اسْطعْنَا على بَلْوَاءُ صَبْرَا
أبادَ دَجاجَنا جَمْعًا ومثْنىً ... وواحدةً فثانيةً فأُخرى
فَلَمْ يُهْمِلْ مُجَرَّبَةً عَجُوزاً ... ولَمْ يُمْهِلْ مِنَ الأَحْداثِ غِرّا
وأهْلَكَ مِنْ دُيُوكِ الهنْدِ ديكاً ... يُساوي مِنْ ذوَاتِ الظِّلْفِ عشْرَا
يتيهُ بتاجِهِ القاني ويُزْهى (1) ... بريشٍ كالزَبَرْجَدِ زانَ تِبْرَا
كطَاوُوسٍ جَمَالاً واخْتيالاً ... وكابْنِ الأَيْهَمِ المُرْتَدِّ كِبْرَا (2)
ويومَ السِلْمِ أبْهَى من عَرُوسٍ ... ويومَ الحربِ تحْسبُهُ هِزَبْرَا
يُبارِزُ قِرْنَهُ فيَميسُ عُجْبًا ... وينظرُ في الجِدال اليه شَزْرَا
ويَحْسبُ نَفْسَهُ أعلى مقَامًا ... وأنبَلَ مَحْتِداً وأَجلَّ قَدرَا

(*) لحضرة صاحب السعادة السيد على بك جلال الحسيني المستشار بمحكمة الاستئناف في المملكة المصرية شعر عربي من مرتبة عالية ، جمع بعضه في ديوان سماه (حديث النفس) وهو تحت الطبع في مطبعتنا السلفية . وقد قرأنا فيه بلذة واعجاب هذه القصيدة الجميلة فآثرنا نقلها لقراء الزهراء كما نقلنا قصيدة (الديك) لابن ممممة الجمعي في السنة الماضية (ص٢٠٨)

(١) في المثل ازهى من ديك

(٢) جبلة بن الايهم آخر ملوك غسان بالشام اسلم حين افتتح المسلمون الشام وهاجر الى المدينة ولطم رجلا من المسلمين وطىء فضل ازاره وهو يسحبه في الارض فنابذه في القصاص الى عمر رضي الله عنه فارتحل الى القسطنطينية مرتدا وهلك سنة عشرين من الهجرة

يُناغي عِرْسَهُ بأرَقِّ صوتٍ ... ويَدْعو الناسَ للصلَوَاتِ جهْرَا
كأنَّ أباهُ ديكُ العَرْشِ (١) أو في ... جناحَيْهِ أساورَ مُلْكِ كِسْرَى (٢)
وينفُشُ مِثْلَ شَوْكِ النَّخْلِ ريشًا ... ويَشْحَذُ مِنْسَرًا ويُحِدُّ ظُفْرَا
كَلَيْثِ الغابِ مُحْتَفِزًا لِبطْشٍ ... ويُشْبِهُ في الوُثوبِ عليه نِمْرَا
ويطعنه بمنقارٍ حديدٍ ... فَيَهْبُرُ لحمَهُ كالغولِ هَبْرَا
ويَنْشِبُ فيه أظفارًا كَنَبْلٍ ... فتنفذ بالدم المطلول حُمْرَا (٣)
يذكِّرُني إذا ما كِدْتُ أنسَى ... تَناقُرَ ذَيْنِكَ البطَلَيْنِ بِشْرَا (٤)
وقد لاقاهُ ضِرْغامٌ هَصُورٌ ... فَجَنْدَلَهُ وأنشَدَ فيه شِعْرَا:
(مَشَى ومشيتُ من أسَدَيْنِ راما ... مَرَامًا كان إذ طلباه وَعْرَا)
وإنْ هَجَمَ العُداةُ على حِمَاهُ ... أُلوفًا عَدَّهُمْ في الحرب صِفْرَا

(١) قال كمال الدين الدميري في (حياة الحيوان): في معجم الطبراني وتاريخ اصبهان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: ان لله سبحانه ديكا أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش الخ. وهذا ليس حديثاً صحيحا

(٢) كان مما يختص به كسرى من شارات الملك سواران يلبسهما. غنمهما المسلمون لما فتحوا فارس فالبسهما عمر رضي الله عنه سراقة بن مالك بن جعشم وهو الذي خرج وراء النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر من المدينة الى مكة وأبو بكر معه وأهل مكة يطلبونهما. قال ابن الاثير في أسد الغابة فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك وألبسه اياها وقال له ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة رجلا اعرابيا من بني مدلج اه

(٣) المطلول الذي لا يؤخذ بثأره

(٤) بشر بن أبى عوانة طلب من عمه ان يزوجه ابنته فاشترط عليه ان يمهرها ابلا من أبل النعمان بن المنذر فلقي الاسد في طريقه فقتله وقال يخاطب اخته قصيدة مطلعها:

أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

ومنها: مشى ومشيت .. البيت

وجعل بديع الزمان هذه القصة (المقامة البشرية) آخر مقاماته وأنشد هذه القصيدة البديعة وقال: ان بشرا كتبها على قميصه بدم الاسد الى ابنة عمه

وشَتَّتَ جَيْشَهُمْ شَرْقاً وغَرْباً وَأَوْقَعَ فيه قَتْلاً مُسْتَمِرًّا (١)
فإنْ نَقَشَتْ مَعَارِكُهُ كَوَشْمٍ يُحَلِّي صَدْرَهُ أُثْراً فَأُثْرَا (٢)
وشَوَّهَ وَجْهَهُ عَوَرٌ حَديثٌ فَذَلِكَ زادَهُ شَرَفاً وفَخْرَا
وإنْ أوْدَى بأسْيُوطٍ غَريباً فإنَّ هلاكَهُ عِظَةٌ وَذِكْرَى
وان ذاقَ الرَدَى في غير حرب فكَمْ خَاضَ الحُرُوبَ فنال نَصْرَا
وإنْ غَدرَ الزمانُ بخير دِيكٍ فأوّلُ قَيْصَرٍ قدْ مات غَدْرَا (٣)

﴿ بين الشريف الرضيّ واسماعيل باشا صبري ﴾

سمع اسماعيل باشا صبري بيتي الشريف الرضيّ :

أرى بعد ورد الماء في الصدر غلةً إليك ، على أني من الماء ناقعُ
وإني لأقوى ما أكون طماعة اذا كذبتْ فيك المنى والمطامع

فقال يجاوبه :

ياموورداً كنتُ أغنى ما أكون به عن كل صافٍ اذا مابات يَرويني
عندي لمائك والاقداح طوع يدي ملأى من الماء شوقٌ كاد يُرديني

(١) مستمر من المرارة قال تعالى (يوم نحس مستمر)

(٢) الاثر اثر الجرح يبقى بعد مايبرأ . ويحلى من الحلي يقال حلاها البسها الحلى ويحلي صدره لانه كان لايولي .وكان دياب في آخر عمره أعور لانه قاتل ديكا فنقره في عينه ففقأها كما تقدم

(٣) القيصر الاول يوليوس قيصر صار اسمه لقبا لكل من ملك الروم واسماً الى الآن للشهر السابع من شهور السنة الميلادية . وهو الفاتح الشهير الذي أسقط جمهوريتهم ائتمر جماعة به ليقتلوه في مجلس الشيوخ وكان منهم رجل تبناه فلما طعنه بالسكين قال له : وأنت أيضاً يابني؟ فسارت مثلا

البرهان ابراهيم بن عمر البقاعي

٨٠٩ — ٨٨٥ هـ

قرأتُ في مجلة الزهراء (٣ : ٣٩٥) نبأ عن عزم مجلس دار الكتب المصرية على طبع كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للبقاعي ، وهو في ستة مجلدات ضخمة كثيرة الفائدة . فأحببت أن أذكر كلمة في ترجمة البقاعي وذكر بعض مؤلفاته ملخصة من ترجمة له مطولة عندي [1] :

هو الامام أبو الحسن برهان الدين ابراهيم بن عمر بن حسن الربّاط بن علي ابن أبي بكر البقاعي الشافعي. ولد في قرية (خربة روحا) التي كانت من أعمال البقاع العزيزي قبلاً وتبعت راشيا من وادي التيم بعد ذلك . ومولدُه سنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) ولذلك كنى نفسه أبا الحسن الخرباوي البقاعي . وتحول الى دمشق والقاهرة فدرس على مشاهير علماء عصره ، وتخرج عليه مشاهير كثيرون في القطرين السوري والمصري ، وكانت له شهرة واسعة فيهما يرجع اليه في تحقيق كثير من المسائل ، لأنه عرف بسعة اطلاعه وتضلعه من كثير من العلوم العربية والأدبية والدينية . وعاد الى دمشق في أواخر حياته فتوفي فيها سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) . ولقد أجاد بترجمته كثير من المؤرخين في مقدمتهم شمس الدين السخاوي فى كتابه (الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع) المخطوط في خمسة مجلدات . وذكروا له مؤلفاته التى تربى على المائة ، فى مباحث مختلفة ، من أهمها (إشعار الواعي بأشعار البقاعي) ، و (شرح جمع الجوامع) فى أصول الفقه

(١) لخصت هذه الترجمة من كتابي (تاريخ سورية المجوفة) ، وهو مخطوط مطول يقع في أكثر من ألف صفحة وفيه تراجم أكثر من أربعمائة عالم من البقاع وبعلبك والزبداني وبعض جهات من هذه البقاع الطيبة التي لم يوضع لها تاريخ مفصل في جغرافيتها وتحليل أعلامها وتراجم علمائها وعباداتها القديمة وتواريخها الخ معتمداً على المخطوطات

للسبكي وهو من مشهورات المختصرات ، و (سرّ الروح) مختصر كتاب الروح لابن قيّم الجوزية تلميذ ابن تيمية ، و (اظهار العصر لأسرار أهل العصر) ذيل به على كتاب (إنباء الغمر في أبناء العمر) لابن حجر العسقلاني بلغ فيه البقاعي الى سنة ٨٧٠ هـ ، و (الاباحة فى علمي الحساب والمساحة) وهي ارجوزة مشروحة بقلمه ، و (جواهر البحار فى نظم سيرة النبي المختار) ارجوزة شرحها فى مجلدين و (رفع اللثام عن عرائس النظام) مختصر فى العروض والقوافي ، و (عظم وسيلة الاصابة في صناعة الكتابة) منظومة في صناعة الخط والشكل والنقط استدرك بها على منظومة ابن خطيب الدهشة الحموي ، و (رسالة في اختلاف علماء الحنفية فى الديار المصرية) من مخطوطات خزانة شيخ الاسلام فى المدينة المنورة ، و (مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثة من الخلفاء الراشدين) من مخطوطات خزانة برلين فى ألمانية ، و (عنوان الزمان فى تراجم الشيوخ والأقران) جمع فيه شيوخه وأخبارهم ثم اختصرهُ وهو من مخطوطات خزائن كوپرلي فى الاستانة انتقدهُ زميله ومعاصره شمس الدين السخاوي لمنافسة بينهما ، ومختصره (عنوان العنوان) فى خزانة اكسفورد فى انكلترة ، ومنه نسخة في الخزانة التيمورية بالقاهرة استنسخ لي منها ما يتعلق بتراجم البقاعيين والبعلبكيين صاحبها الصديق الكبير العلامة أحمد تيمور باشا فله مزيد الشكر ، و (الإسفار عن أشردة الأسفار) ألفه سنة ٨٤٤ هـ لما خرج الى غزوة قبرص ورودس من البحر ولم يفتحوا سوى قلعة الميش ، و (فصول القرآن ، واصول الفرقان) ونسخته النفيسة فى خزانة جميل بك العظم فى بيروت ، و (ما لا يستغنى عنه الانسان من ملح اللسان) فى النحو . وله كتب مناظرات وردود مع كثير من علماء عصره تدل على سعة معارفه وشدة حذقه وكثرة جَلَده ، ومعظمُ كتبه فى دار الكتب المصرية وخزائن القسطنطينية واوربة

أما كتابه (نظم الدرر فى تناسب الآى والسور) فيعد من أهم مؤلفاته وهو تفسير لم يؤلف مثله فى الاسلام ، ومنه نسخة فى الخزانة الظاهرية بدمشق بادارة المجمع العلمي عُورضت علي مؤلفها وفيهـا خطه . ونسخة ثانية فيها أحدث من الاولى وقال المقَّري في نفح الطيب (١ : ٤٢١) : ان البقاعي نسخ مناسباته على نمط تفسير أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي الاندلسي المتوفَّى سـنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) بكتابه (مفتاح اللب المقفل علي فهم القرآن المنزل) وقيـل انه لم يكمل والمرجح أنه كامل

فحبذا السعي بطبع هذا الكتاب النادر المهمّ ، وياليت مجلس دار الـكتب المصرية يبحث لنا دائماً عن مثـل هذه النفائس ويظهرها بمظاهرها المتقنة ، كما فعل في صبح الأعشى ونهاية الأرب وعيون الاخبار وغيرها . راجين من فضله أن يصف النسخ التى ينقل عنهـا ويعارضها بأشباهها وينقل صفحة منها بخطها ويضع لها الفهارس الـكثيرة ، فان خلوّ مثـل صبح الاعشى من فهارس كثيرة لمواضيعه يضيع كثيراً من أوقات مطالعيه ، ومانراه الاَّ فاعلاً ما اعتاد المستشرقون أن يفعلوهُ فى مثل هذه الـكتب شاكرين له سعيه . والله الموفق

زحلة

عيسى اسكندر المعلوف

من أعضاء المجمع العلمي فى دمشق

﴿ الشهيد حيّ ، والميْت هو خائن الوطن ﴾

كتب المجاهد الكبير الأمير شـكيب أرسلان هذين البيتين تحت صورة الشهيد عادل بك نكد الذي سبق للزهراء الكلام عليه (٤ : ١٦٦ و ٢٥٦) . قال الأمير حفظه الله ـ على لسان الشهيد عادل ـ :

بالله لا تنـدبوا قتـلي ، ولا تهنوا   بَعدي ، ولاتغرقوا في النوح والحَزَنِ

إن الشهيـد لحيّ عنـد خالقـه   وإنمـا الميْتُ حقـاً خائنُ الوطن

جزيرة العرب

والنهضة الشرقية الحديثة

قال الاستاذ العلامة (فهر الجابري) وهو يتكلم عن النهضة الشرقية الحديثة في المقتطف الأخير (٧٠ : ٢٦٣) :

« أما جزيرة العرب ، فانها بقيت في أخريات هذه الأقطار كلها ، لأنها لم تُرد الاتصال بكل غربي ، بل كانت تكره الاتراك أنفسهم لأن أبناء الجزيرة كانوا يعتبرونهم من متأثري الافرنج في جميع أمورهم . ولهذا كنتَ تسمعهم يسمّون التركي رومياً . أما اليوم (أي بعد الحرب الكبرى) فقد نُرى في ع َ بة نهضة جديدة . الخ »

وفيما كنت أقرأ هذه الجملة لاحظت على الاستاذ العلامة كاتبها ثلاث ملاحظات :

١ — السبب الذي من أجله بقيت جزيرة العرب في أخريات الاقطار الشرقية الناهضة ،

٢ — السبب الذى من أجله كان أبناء الجزيرة يكرهون الترك ،

٣ — تسمية التركي رومياً

﴿ جزيرة العرب ونهضة الشرق ﴾

أنا أقمتُ في اليمن نحو سنتين (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨) ، وفي الحجاز أكثر من ذلك . واليمن والحجاز هما الولايتان اللتان كان فيهما للترك حُكمٌ مباشر على عرب الجزيرة ، فيجوز لي أن أتكلم في هذا الموضوع عن عِلم واختبار

إنما بقيتْ جزيرة العرب في أُخْريات الأقطار العربية ، لأن الاسباب التي

يتوقف عليها النهوض والتقدم لم يتهيأ شيء منها لبلاد العرب

خذ لذلك مثلاً مكة أم القرى التى ظهرت منها الهداية الاسلامية ، وكان يجب على الأمم الاسلامية عامة وعلى الدولة التى كانت تحكم تلك البقاع المقدسة بوجه خاص أن يقيموا فيها من المدارس والمعاهد والمباني الخيرية والمطابع أكثر مما للملتين المسيحية والاسرائيلية من ذلك في بيت المقدس ، وان كان القياس بينهما مع الفارق ، لأن مكة تحت سلطان الملة الاسلامية وأما مدينة بيت المقدس فانها لم تكن تحت حكم الملتين المذكورتين

فما قول القاريء بمكة التي دخلها العثمانيون من زمن السلطان سليم وبقوا فيها الى ما بعد نشوب الحرب الكبرى ولم يكن لهم فيها مدرسة واحدة يجوز أن تسمى باصطلاح وزارة المعارف المصرية (مدرسة ابتدائية) !

هذه حقيقة واقعة ويا للأسف ، وكيف لا تكون بلاد هذا شأنها في أخريات البلاد العربية الناهضة ؟

وشر من حالة مكة والحجاز الحالة التى كانت عليها اليمن . ولئلا تعتذر لي عن هذا الاهمال بالحروب أو الثورات ـ التي كانت قائمة في جبال اليمن وديار الزيديين ـ أستشهد على ما قلت من سوء الحال بما رأيته بعيني في الحديدة ـ وكانوا يسمونها باريس اليمن ـ وهي التي لم تخرج قط من يد الترك ، ولم تشترك قط في ثورة ، وكان يجدر بالحكومة التركية أن تكون لها فيها مدارس ، ان لم تكن لأجل أطفال العرب فلأبناء موظفيها وضباطها على الأقل

كان للحكومة العثمانية سنة ١٩٠٧ فى أعلى المقهى المشرف على مرفأ الحديدة ، مدرسة هي الوحيدة ، وهي دون الكتاتيب المصرية ، ولأجل أن تتصور حقيقتها أذكر لك أنه كان فيها ثلاثون تلميذاً وعلى رأسهم مدرس تعلم التعليم الابتدائي ـ ناقصاً ـ في مكتب العشائر بالقسطنطينية ، وتحت يده فقيه

لتعليم القرآن

كنتُ أمرُّ أمام تلك المدرسة ويتقطَّع قلبي أسًى على أن رجال المستقبل ـ في تلك البقعة من وطني الاكبر ـ يتخرَّجون في تلك الزريبة . فلما أُعلن الدستور كان في جملة ماسعيتُ له تغيير حالة تلك المدرسة . فاتفقتُ مع صديقي الفاضل الكريم شوقي بك المؤيد العظم قائد حامية الحديدة يومئذ على أن أعمل في تلك المدرسة مُطلَق اليد ، ثم أقنعت جماعة من أصدقائي الضباط والاطباء والموظفين على أن نقوم بالتدريس فيها تطوُّعاً بلا أجر ، وجعلنا لغة التدريس العربية ، وجمعنا إعانة اشترينا بها ملابس جميلة للطلبة ، وكنت أُخرجهم فى الصباح الى الألعاب الرياضية يتمرنون عليها فى ظاهر البلد الى جانب طابور الحامية ، وكنت أدعو الضباط الى تمرين الطلبة

أتدري ماذا كانت النتيجة ؟

أقبل أهلُ الحديدة على وضع أبنائهم في المدرسة ، فصار التلاميذ في شهر واحد ثلاثمائة بعد أن كانوا ثلاثين ، وصار لهم شغف بكل مايتعلمونه ، وأقسم أنهم كانوا يفهمون نظريتَيْ كانْت ولابْلاس في تكوين الدنيا وهيئة الفلك ، وصاروا يحسنون القراءة العربية بلا خطأ ، وصاروا ينشئون بعض الموضوعات الاجتماعية بلغة لابأس بها . كل هذا في بضعة أشهر . ولا ريب أن ناشئة تلك الديار من أذكى البشر وأنجبهم وأشدهم يقظة ، ولا ريب أيضاً في أن الاهالي يرغبون في نجاح أبنائهم ، ولكن أين الحكومة التي يهمها نهوض رعاياها ؟

أكتب هذا وعندي فاضل من فضلاء طرابلس الغرب ، فجعلت أسأله عما كان فى بلده عند جلاء الترك عنها من مدارس وصحف ومطابع وباعة كتب ، فقال لي : إن الدولة تركتنا ونحن عميان ، لأن رجالها كانوا يدخلون بلادنا ويخرجون منها دون أن يشعروا بأن عليهم واجباً للوطن أن يعملوا على إيقاظ الشعب . فاذا

كان هذا حال طرابلس الغرب وهي بين مصر وتونس - أي بين احتلال دولتين من أعظم دول الارض - فماذا تنتظر أن يكون في جزيرة العرب ؟

إذن فجزيرة العرب لم تبق في أخريات البلاد العربية لأنها لم تُرِدْ أن تتقدَّم ، بل لأن القائمين عليها لم يكونوا يريدون لها التقدم . وكان الذي يجرؤ على ذكر هذه الحقائق قبل الحرب العظمى - مبتغياً بثَّ الحياة فى جزيرة العرب - يُرمىٰ بالتُّهَم من سكان الاقطار الشرقية التي نعدّها ناهضة . وهكذا كان الناس فى زمن السلطان عبد الحميد لا يعرفون شيئاً عن السوس الذي ينخر جسم الوطن العثماني . فلما انقضى الزمن الحميدي وجاء الاتحاديون أطالت الصحف لسانها فى شتم ذلك العهد ورجاله : لا بذكر الوقائع كما هي للاعتبار بها ، ولا بوصف المرض الذي كان ولا يزال يتغلغل فى جسم البلاد ، بل بالمبالغات والمفتريات ؛ بينما الذي يصف سوء الحال فى زمن الاتحاديين يرمىٰ بالتُّهَم أيضاً

فلما جاء الكماليون وفتحوا دفاتر الاتحاديين صاروا ينسبون اليهم الحقَّ والباطل ، ويقولون عليهم وعلى سلاطين آل عثمان ما كان وما لم يكن . وما برح الخلَف يذكر سيئات الذين قبله إظهاراً لمحاسن نفسه ، أما سيئاته هو فان الذي يذكرها يُنبَز بالخيانة ، ويساق الى المشنقة

﴿ كُرهُ الترك في جزيرة العرب ﴾

لم يكن العرب يكرهون الترك ، لا فى الماضي ولا فى الحاضر . وأنا لم استعمل هذا التعبير إلاّ لورود كلمة « الكُرْه » فى مقالة فاضلنا الجليل فهر الجابري ، والحقيقة هي أن العرب كرهوا سوء الادارة زمن الحكومات التركية المختلفة الى أن قضى الله بالانفصال . والذي يقرأ صحف الكماليين اليوم ، أو يطلع على ما يؤلِّفونه من كتب التاريخ ، يجد فيها أضعافَ أضعافِ ما كان يشكوه العرب من سوء الادارة

إذن فأهل اليمن والحجاز ، وكلّ بقعة من جزيرة العرب كان فيها للترك سلطان ، إنما كانوا يكرهون الظلم والرشوة والعدوان والخراب والجهل ، ولم يكونوا يكرهون الترك . ثم ان الشعب التركي فى الانضول من أطيب الشعوب قلباً ، زد على ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن دولة تركية لأنها كانت مكوّنة من شعوب كثيرة ، ورجالها من أبناء تلك الشعوب ؛ بل ان أصحاب العصبية القومية الشديدة من رجال تركيا الكمالية كلهم خليطٌ من جنسيات لا عِدادَ لها . وسواء كان الكره لروح الادارة أو للقائمين بها فان هذا الكره لم يكن لأن الترك تأثروا الافرنج أو لأنهم لم يتأثروهم — فهذه المسألة لها تفصيل ليس هنا موضعه — بل لأن العرب كانوا يلقَون ظلماً فيرفعون الصوت متألمين من هذا الظلم ، وقد يدفعونه بالسلاح أحياناً . ولو كان أخذُ الترك بأسباب الترقي هو سبب بغض العرب لهم لما جنحتْ جزيرة العرب الى النهضة الجديدة التى اعترف العلامة الأستاذ فهر الجابري بوجودها بعد ارتفاع ذلك الكابوس

وأنا أؤكد مع العلامة فهر الجابري بأن فى جزيرة العرب نهضة جديدة رأيت فى الحجاز بوادرها — بل اندفعتُ فى غمار تلك البوادر — فى أواخر زمن الحرب العظمى ، وها ان الاخبار العامّة والخاصة تأتينا عن نشاط الاستاذ الجليل الشيخ كامل القصّاب وأصدقائه الأفاضل فى إيجاد حركة تعليم فى مكة ، وشبان مكة أنفسهم مندفعون بشوق ورغبة الى التزوّد من العلم ، والتمكن من الادب ، والوقوف على أحوال الدنيا . والخلاصة أن سكان الجزيرة اذا تيسّرت لهم أسباب النهضة المعقولة النافعة البعيدة عن الطيش والطفرة والاباحة والتهتك ، فانهم يُقبلون عليها ، ويكونون أسبق اليها من متعلمي مصر الذين يقضون أثمن أوقاتهم فى المقاهي والملاهي

﴿ تسمية التركي رومياً ﴾

نعم ان اليمانيين وكثيرين من سكان جزيرة العرب يسمّون التركيَّ رومياً ولكن لا لأنهم يعتبرون الترك من متأثري الافرنج ، بل لأن ذلك اصطلاح جرى عليه الترك أنفسهم فضلا عن العرب منذ بسطت الحكومات التركية سلطانها على بلاد البزنطيين . وان الترك النازلين في الأنَضُول (١) لم يكونوا يعرفون أنفسهم الا بهذا الاسم . وإليه ينسب مؤسس الطريقة المولوية (مولانا جلال الدين الرومي) مع أنه صِدّيقيٌّ من جهة نسبه ، وبَلْخِيٌّ من جهة مولده ، وقونويٌّ من جهة اقامته ووفاته . وقال شمس الدين سامي بك (قاموس الاعلام ص ٢٣٥٩) ماخلاصته : كما أن السلجوقيين الذين حكموا بلاد الانضول يقال لهم (سلاجقة الروم) كذلك الدولة التي أسسها سلاطين آل عثمان تسمى الى هذا اليوم عند الايرانيين والهنود وسائر أمم آسيا الوسطي باسم (دولة الروم) والعثمانيون أنفُسُهم يسمّون (الروميين)

وقد عقد الشهاب الخفاجي القسم الرابع من (الريحانة) لعلماء الروم وأدبائهم ، وهم الترك العثمانيون . والمراديُّ في (سلك الدرر) لايستعمل الا هذا

(١) أنا أكتب « الانضول » بنون مفتوحة ليس بعدها ألف لأن أهلها ينطقون بها كذلك ، ولا يمدون النون مداً يدعو الى الدلالة عليه بحرف المد . ولا تخدعنك كتابتها بالتركية (أناطولى) لان هذه الالف في اصطلاحهم من حروف الاملاء وتقوم عندهم مقام الفتحة عندنا . ويكتبونها بالطاء لأن لهذا الحرف عندهم ـ في بعض الكلمات ـ مخرجاً قريباً من مخرج الضاد ومنه (طاغ ، أطه ، اطاليا) يكتبون ذلك جميعاً بالطاء ويلفظونه بحرف بين الضاد والدال

وقد نبه العلامة الأب انستاس الكرملي في لغة العرب (٤ : ٤٥٩) على أن ابن خرداذبة هو العربي الوحيد الذي سمى الانضول (الناطولس)

والقاعدة التي يجري عليها المحققون الآن في تسمية البلدان هي أن ينظروا ان كان لها عند علمائنا السابقين اسم معروف تواطأوا على تسميتها به فالافضل حينئذ اتباعهم في ذلك ، والا فنستعمل الاسم الذي يعرفه به أهل ذلك الموضع دون غيرهم ، فلا نقول لندرة تبعاً للفرنسويين مع أن أهلها يقولون لندن ، ولا سجليا تبعاً للترك مع أن علماءنا لايعرفونها الا باسم (صقلية)

الاصطلاح عند ذكر الترك ، كقوله (عبدالرحمن الرومي القونوي) و (أحمد سكوني الرومي) وقوله في ترجمة صادق الشرواني القسطنطيني « مفتي الديار الرومية » وقوله عن عباس بن عبد الرحمن « الملقب بوسيم على طريقة شعراء الفرس والروم وكتابهم »

وقال ضيا باشا في مقدمة كتابه (خرابات) :

سلطانِ جهان سليم أوّلْ خاقان مؤيد ومبجّل
إيتمش أو شهنشهِ مظفّر مُلكِ سُخَنِي دخى مسخّر
اكثر سوزى فارسيدر آنك مقبول ومسلّمي جهانك
يوق (روم) آرانوراپسه‌سراسر أولْ شيوه ده فارسى ديمش أر

ثم عقد باباً لشعراءالترك عنوانه (أحوال شعراي روم) وفيه يقول :

وهي‌يه ويرلسه طبع واصف بر شاعر اولوردي تام وعارف
يوق رومده مثنوى ديمش چوق ايرانه قياس اولنسه هيچ يوق
بو يولده امامِ أهلِ عرفان مولد أزين يازان سليمان
اولدر شعراي رومه استاد أولدر إيدن أهل نظمي ارشاد

وقال او قجي زاده (٩٧٠ ـ ١٠٣٩ هـ) في مقدمة كتابه أحسن الحديث :

أربعين كرم نكاه كنند أربعين مرا أفاضل روم
نشود همچو چلهٔ مردان طالبان أز فيوض أو محروم

وكتبُ تراجم علماء الترك كالشقائق النعمانية وذيلها وتذكرة المولويين مستفيضة كلها بتسمية الترك روماً

وبعدُ فان لما يكتبه الاستاذ العلامة فهر الجابري مكانة عند قرّاء العربية ، فمن حقهم وحقه أيضاً العناية بما يكتبه ، وكنتُ أعدّ نفسي مقصّراً بواجب العناية لو أحجمت عن ابداء هذه الملاحظات

زفرة في ليل . . .

يُجِنُّ جنوني حين ينتابُني الذكرُ — فأفقدُ لبّي ، شأن مَنْ نالهُ السحرُ
وأُرسلها كالغيث تترى مدامعاً — وعند جليل الخطب قد يخذلُ الصبر
وأُصعدها من جانب الصدر أنّةً — يضيق اكتئاباً عن تحمّلها صدر
أبيتُ وقلبي بالقوارع جائش — وهيهاتَ أن يهدا ، وقد فقُم الأمر
سلافةُ وعدٍ نحن نحيا بشربها — فتسكرنا ، حتى يطيرَ بنا السكر
تروح بنا الآمال شرقاً ومغرباً — وتقعدنا . والخُسْرُ يتبعه الخسر
إلى م نُحابي الذئبَ ، والذئبُ جاثمٌ — ففي عينه مكرٌ ، وفي نابه غدر
تقرّبُنا الأقوال ، والفعل مُبعدٌ — كأنا بليل لايفارقه الكفر
وكم نالَنا مِنْ جانب الغرب طامعٌ — ينبّؤنا عن حقده النَّظر الشَزْر
يقول لنا الافرنج ، والقول كاذبٌ ، — نريد لكم خيراً وهل يُرفض الخير ؟
فنحن أناسٌ قد وقفنا نفوسنا — لخدمتكم ، فليطمئنَّ لَنا الفكر
نريد لكم أن تستقلَّ بلادُكم — وما دأبُنا الاَّ المعونةُ والبرُّ . . .
فما وعدوا ، والله ، إلاّ ليُخلفوا — وما وعدُهم إلاَّ على غدرهم سِتر
فما بالُنا كالطير في بَطْن واحةٍ — مروّعةِ الأفراخ ينتابها صقر
إذا لم نثب للمجد جمعاً قلوبنا — فليس لنا الاَّ المهانةُ والضُرُّ
ألسنا بني الاخيار مِنْ آل يعربٍ — فما بالُنا كالعير يجتاحها العرُّ ؟
سعى قومنا بالأمس ، والله شاهدٌ ، — فلم ينأ عنهم ، حيثما يمّموا ، النّصر
علوا عزةً فيما مضى ، وسيوفهم — تشيد لهم عزاً تخرُّ لهُ الزُهر
إذا طمع الأعداء يوماً بجبهم — إلى الفتك بالأعداء تلقاهم كرُّوا
فإمّا حياة ينعمون بظلّها — يردّون كيد الطامعين اذا ضُرّوا

لعمر العلى والموت يصحبه الفخر وإما ردًى ، والفخر يكفله الردى ،

* * *

سلوا أسطر التاريخ عن صدر دينكم وعن عزّة الأجداد ، ينبئكم السفر
أما أخضعوا الإسبان في كل غارةٍ ألم يوقعوا بالفُرس يحميهم البحر
أما حاز وادي النيل فارسهم عمرو أما شتتوا الرومان في سهل جلّقٍ !

* * *

فما مجدنا الاّ الظبي تقرعُ الظبي كفاحاً ، وإلاّ السُّمر تقصفها السُّمر . . .

دمشق « الفتى »

قدماء العرب وقدماء الامريكيين

نقلت مجلة الصفا البيروتية (٢ : ٢٠٣ ، رمضان ١٣٠٤) قولَ بعض العلماء عن مجموع كواكب الدب الاكبر : « ومن غريب أمره أن كلاً من سكان أمريكا الاصليين والاركواس وقدماء العرب في آسيا سموه بالدب الاكبر مع أنهم لم يخالط بعضهم بعضاً على ماهو المرجح »

ثم علقت تلك المجلة على ذلك بما يأتي :

« قلت لماذا لايكون ذلك دليلا على أن المخالطة وقعت قديماً ثم انقطعت قروناً كثيرة لأسباب لم تعلن لنا ؟ فان تلك الصورة لاشبه لها بالدب ولا بغيره من الحيوانات ، وتعرف هذه الصورة بسبعة كواكب لامعة تسمى أربعة منها بالنعش الاكبر ، والثلاثة الباقية ببنات النعش الاكبر . . . وهي متفرقة كثيراً ، وعلى ذلك قال الشاعر :

وكنا في اجتماع كالثريا فصيّرنا الزمان بنات نعشٍ »

أعلام الكلام ومقامة الانتقاد

﴿ لابن شرف ﴾

كان بعض علماء تونس نشر في مجلة المقتبس (مقامة الانتقاد) باسم (رسائل الانتقاد) عن نسختين إحداهما تونسيّة فيها عدّة من المقامات (وكانت في الأصل عشرين كما جاء في مقدّمة المؤلف) واخرى وُجدت باسكوريال وفيها هذه المقامة الواحدة فقط ، والاولى كتبت في القرن السابع والاخرى في الخامس

ثم نشرها عبد العزيز افندي أمين الخانجي سنة ١٣٤٤ هـ عن نسخة حضرة أحمد بك طلعت باسم (أعلام الكلام) . وذكر في مقدمتها أن الكتابين شيء واحد

ولما كنتُ اطّلعتُ على بعض اقتباسات هذه الرسالة أحببت أن أُعلّق أسطراً تنبيء عن جليّة الأمر :

(١) ذكر ياقوت وصاحب المعالم في ترجمتيهما لابن شرف [١] أن له من التصانيف (أعلام الكلام) مجموع فيه فوائد ولطائف ومُلَح منتخبة . و (رسالة الانتقاد) وهي على طرز مقامة نقد فيها شعر طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام اهـ وهذا صريح في أن الكتابين مختلفان

(٢) وجدنا ابن الخطيب نقل عنها في ترجمة ابن هانيء من إحاطته [٢] وسماها (المقامات) والمنقول يوجد في هاتين الطبعتَيْن . وكذلك البديعي في الصبح المُنْبيء [٣] نقل نَقْدَه لشعر أبي تمام والبحتري والمتنبيء وسماها (مقامة ابن شرف التي ذكر فيها الشعراء) واقتباسه أيضاً يوجد في طبعتَينا هاتين

(١) معجم الادباء ٧ : ٩٩ والمعالم مع ذيله ٣ : ٢٣٩ وفيه ذكر الاعلام فقط
(٢) ٢ : ١١٣
(٣) بهامش العكبري سنة ١٣٠٨ هـ ١ : ٢٥٣

فهذا كله دليل على أن الطبعتين شيء واحد ، وهو مقامة الانتقاد أو مقامة مسائل الانتقاد أو رسالة الانتقاد . ولعل الناس كانوا يفرزونه من جملة المقامات تارةً ، وأخرى يَضُمُّونه اليها

وأما (أعلام الكلام) فلم أعثر على حوالة عليه ، غير أن ابن الأبّار ذكر في تكملته [1] أن راشد بن سليمان اللخميَّ الطُليطليَّ يرويها عن ابن شَرَف سمعها عنه في رمضان سنة ٤٥٤ هـ

نعم يوجد في طبعة الخانجيّ زيادتان إحداهما نحو صفحة في ص ٢٤٧ (من رسائل البلغاء سنة ١٣٣١ هـ) وفي طبعة الخانجيّ في ص ٢٠ بعد قوله وبينهما عند قوم فرقان . وابتداء الزيادة من قوله « قال أبو الريان حدثنا الصولي الخ » وتنتهي على قوله « فلما عرفت أنه والده استحييت »

والزيادة الاخرى بعد خاتمة المقامة من قوله « قال محمد وطلبتني نفسي بمعرفة الخ » وهي في ثماني صفحات وليس فيها غير سَرْد المختار من أشعار الشعراء من غير عزْو

ومصدر وهم الخانجيّ أنه ورد في طرة نسخته « كتاب مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد تأليف . . . . وهو إعلام (كذا) الكلام » . وبآخره « بكتبه المصطفى بن أحمد بن محب الدين الشافعيّ . . . . سنة ١٠١٣ هـ »

وهذا الرجل ترجم له المحبّي في خلاصة الأثر [2] وزعم الخانجي أنها نسخة ملوكية . ولكني لا أرى لها ترجيحاً على اختيَّها لتأخّرها . وهذا المنقول يؤيّد أن الصواب في اسم الكتاب ما ذهبنا اليه ولكن قوله « وهو أعلام الكلام » من زيادة الناسخ أضافها من عند نفسه بظنٍّ لم يوفَّقْ فيه للصواب . والله أعلم

جامعة عليكر (الهند) عبد العزيز الميمني

(١) ١ : ٦٩ ورقم ٢٢٤ (٢) ٤ : ٣٦٥١

١ ـ خواطر وأفكار

التمثال العربي

﴿ للغانية ، المكتشف في الفسطاط ﴾

اطلعت في الزهراء (م ٣ ص ٣٤١) على نبأ التمثال العربي المكتشف حديثاً في أطلال الفسطاط ، وهو يمثل امرأة مغنية بيدها دف تضرب عليه . وتأملت أقوال السيد فييت مدير دار الآثار العربية الذي خطر بباله قبل كل شيء أن يكون التمثال من صنع الفاطميين ، ثم عاد فاستبعد ذلك لأن شكل عيني المغنية يغلب عليه التأثير المغولي . وتعليقكم على ذلك بأن شكل العينين لا تأثير له في تعيين الزمان والمكان اللذين صنع فيهما التمثال ، لأن العواصم العربية كانت في العصور الاسلامية الاولى ملأى بالمغنيات من جميع الأجناس ، فجنسية المغنية لا تمنع أن يكون تمثالها صنع في مصر . وكأنكم بهذا التعليق الذي ارتاح خاطري اليه قد مهدتم لي سبيل الظن بأن يكون هذا التمثال قد صنع للمغنية نسب التي كانت في أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ ــ ٤٨٧ هـ) فقد روى لنا ابن ميسّر في حوادث سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٨ م من تاريخه [١] بعد أن ذكر خبر انتصار البساسيري على العباسيين في بغداد وخطبته للمستنصر على المنابر وضرب السكة باسمه ـ أنّ المستنصر فرح لذلك فرحاً كثيراً وزُينت مصر والعامة ، وجاءت نسب فغنّت بالطبل بين يدي المستنصر وقالت :

يابني العبّاس رُدّوا ... مَلَكَ الأمرَ مَعَدُّ
مُلككم ملكٌ مُعارٌ ... والعَواري تُستَرَدُّ

(١) أخبار مصر ج ٢ ص ١٠

فقال لها : تمني . فتمنت الأرض المجاورة للمقس . فقال : هي لك . فعرفت هذه الأرض بها وقيل لها ارض الطبالة » ه

فهل يُستبعد أن يكون هذا التمثال صُنع لنسب الطبّالة أو أنها هي استصنعته لنفسها بعد أن حصلت من الخليفة على ذلك النوال العظيم ؟

ولا أتشدّد في ادّعائي نسبة التمثال الى نسب لأنها قارعة طبل والتمثال لضاربة دفّ ، بيد أنّ المغنية قد تجمع بين الآلتين ، فان لم يكن لنسب فهو لمثيلةٍ لها ، وان لم يكن فاطمياً فهو من صنع الموصليّين كما قال السيّد فييت . وعلى كلٍّ فهو من تراث الأجداد

حيفا عبد الله مخلص

تاريخنا

لاشيء فيما أعتقد أنفع لإنجاح نهضتنا العلميـة ، وأنجع في تقويم أخـلاقنا الاجتماعية ، كدرس تاريخ أسلافنا الصالحين ، وآبائنا المتقدّمين

ولقد رأيت كتب التاريخ العربية كالبحور الزواخر ، ليس اصطياد اللآلىء فيهـا بسهل المنال على كل طالب ، ورأيتها كلما بَعُدتْ بها الأيام ، تناءت عن الافهـام

لذلك كان من أنفع الوسـائل لنجاح نهضتنا وضعُ مؤلفـات جديدة ، على أساليب حديثـة ، تقرّب تلك الحوادث الماضية الى طالبيها ، وتبين أسبابهـا ونتائجهـا .

المرحوم علي بك بهجت

التصوف والصوفية

التصوّف «علم تعرف به أحوال تزكية النفوس ، وتصفية الاخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الابدية »

فقوله «علم» المراد به علم نشأ من ذوق لذة العبادة يختص الله به من يشاء من عباده . « تعرف به أحوال تزكية النفوس » أى تطهيرها . و « تصفية الاخلاق» أي تخليصها من كدورات الشهوات والعادات . « وتعمير الظاهر والباطن » أي بأعمال الجوارح في العبادات والقلب في دوام المراقبات . وقوله « لنيل السعادة أي الوصول اليها »

وموضوعه التزكية والتصفية المذكورتان ، وغايته نيل السعادة الابدية . ومسائله ما يذكر في كتبه من المقاصد

وهذا العلم هو علم الوراثة الذي هو نتيجة العمل المشار الى ذلك بخبر « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »

وأما (الصوفية) فقد قيل هـذه التسمية غلبت على هذه الطائفة ، فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية ومن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفة . وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق . والاظهر أنه كاللقب . وقال قوم إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف (أهل الصُّفَّة) الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ . وقال قوم انما سموا صوفية للبسهم الصوف . ومن نَسَبَهم الى الصُّفّة والصوف فانه عبر عن ظاهر أحوالهم ، لانهم تركوا الدنيا : فخرجوا عن الاوطان ، وهجروا الاخوان ، وساحوا فى البلاد وأجاعوا الاكباد ، وأعروا الأجساد ، ولم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة وسد جوعة . ولخروجهم عن الأوطان سموا (غرباء) ، ولكثرة

أسفارهم سموا (سياحين) ومن سياحتهم فى البراري وإيوائهم الى الكهوف عند الضرورات سموهم فى خراسان (شكفتية) . و « شكفت » بلغتهم : الغار والكهف . وأهل الشام سموهم (جوعية) لأنهم لا ينالون من الطعام الا قدر ما يقيم صلبهم للضرورة ، ولذا وصفهم سرى السقطى فيما وصفهم به فقال « أكلهم أكل المرضى ، ونومهم نوم الغرقى » . ومن تخليهم عن الأملاك سموا (فقراء) ومن هذا قول بعضهم حين سئل : مَن الصوفي؟ فقال « الذي لا يَملك ولا يُملَك » يعنى لا يسترقه الطمع . وقولُ الآخر « هو الذى لا يَملك شيئاً ، وان مَلكه بذَله » . ومن أجل لبسهم وزيهم سموا (صوفية) لانهم لم يلبسوا لحظوظ النفس مالان مَسُّه وحسُن منظره ، وانما لبسوا لستر العورة الخشنَ من الشَّعر والغليظَ من الصوف

فهذه الأحوال كلها أحوال أهل الصُّفَّة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا غرَباء ، فقراء ، مهاجرين : أخرجوا من ديارهم وأموالهم . وصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا : كانوا يخرّون من الجوع حتى تحسبهم الاعرابُ مجانين ، وكان لباسهم الصوف . حتى ان بعضهم كان يَعرَق فيوجد منه رائحة الضأن اذا أصابه المطر . هذا وصف بعضهم لهم حتى قال عيينة بن حصين للنبى عليه السلام : انه ليؤذيني ريح هؤلاء ، أما يؤذيك ريحهم ؟

ولما كانت هـذه الطائفة الصوفية بصفة أهل الصُّفَّة فيما ذكرنا ، ولبسهم وزيهم بزيّ أهلها سموا صوفيّة وصُفّية لشبههم بهم . واعترُض عليه بأن النسبة الى الصُّفَّة لا تجيء على صوفيّة وانما هى صُفّية فتكون الواو زائدة . وهذا وان كان لا يستقيم من حيث النسبة اللغوية لكنه صحيح من حيث المعنى ، لان الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متآلفين مصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصُّفَّة ، وكانوا نحواً من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكنُ بالمدينة ولا عشائر ، جعلوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثا في الزوايا

والرُّبط ، وكانوا لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة ، كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار ، وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته . وكان رسول الله ﷺ يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم ، واذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم ، وفيهم نزل آيات شريفة من القرآن

هذا والصوف من لباس الانبياء وزِيّ الاولياء . قال ابو عبد الله المخزومي حدثنا سفيان عن مسلم أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ، ويركب الحمار ، ويلبس الصوف . وقيل ان عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ، ويأكل من الشجر ، ويبيت حيث أمسى . وقال الحسن البصري : لقد أدركت سبعين بَدْرِيًّا كان لباسهم الصوف ، فكان اختيارهم لبس الصوف لتركهم زينة الدنيا ، وقناعتهم بسدّ الجوعة وستر العورة ، واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذّ النفوس وراحاتها ، لشدّة تحقيق إيمانهم ، وشغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف هممهم الى أمر الآخرة . أو يقال : انما اختاروا ذلك لانفسهم لاشتغالهم باصلاح الباطن وتزيينه لكونه محل نظر الحق عن تزيين الظاهر الذي هو محل نظر الخلق . فمن هذا الوجه ذهب قوم الى أنهم سُموا صوفية نسبة لهم الى ظاهر اللبسة . وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق ، لانه يقال تَصوَّف اذا لبس الصوف ، كما يقال تَقَمَّص اذا لبس القميص . ولما كان حالهم من سير وطير : لتنقلهم في الاحوال وارتقائهم من عالٍ الى أعلى منه ، لا يقيدهم وصف ، ولا يحبسهم نعت ، وابواب المزيد علما وحالا عليهم مفتوحة ، بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم . وتعذر تقيّدهم بحال لتنوّع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا الى ظاهر اللبسة ، فكان ذلك أبين في الاشارة اليهم ، وأدعى الى حصر وصفهم . لان لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم . وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم الى اللبسة تنبىء

عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس اليه بالهوى من الملبوس الناعم ، حتى ان المبتدئ المريد الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل فيدخل في طريقهم على بصيرة . وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتديء ، والاشارة الى شيء من أحوالهم وتسميتهم بذلك أبعدُ من فهم أرباب البدايات ، فكان تسميتهم بهذا انفع وأولى . وأيضاً يقال لو أنهم سُموا صوفية اشارة الى شيء من أحوالهم لكان ذلك يتضمن دعوى ، بخلاف ما اذا قيل لِلُبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى ، وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم وأقرب الى التواضع . وأيضا لان لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهُم الى أمرٍ آخر من حال أو مقام أمرٌ باطن ؛ والحكم بالظاهر أولى وأوفق وقالت طائفة : انما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها . والمراد بنقاء الآثار طهارة الظاهر عن المخالفات فانها من آثار صفاء الاسرار . ولذا قال بشر بن الحارث « الصوفي من صفا قلبه لله » أي بأن لايكون فى قلبه سوى محبة الله ، وان لايشتغل بشيء سواه . وذلك ان قلب المؤمن محلِ نظر الله تعالى فيجب ان يكون صافياً عما سواه . وقال بعضهم « الصوفي من صفت لله معاملته فصفت من الله كرامته » والمراد من صفاء المعاملة سلامتها من المفسدات ، كالرياء والعُجب ، وذلك بالاخلاص والصدق . وقال قوم : انما سموا صوفية لانهم فى الصف الاول بين يدي الله أي بسبب ارتفاع همتهم اليه ، واعراضهم عما سواه ، خوفاً من الانقطاع عنه سبحانه ، وبسبب اقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه كأنهم في الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله . والمراد بوقوفهم بسرائرهم بين يديه أنه لايحجبهم مقام عن الله تعالى وان كان أعلى المقامات ومن نسبهم الى الصفوة والصفّ الاول فانه عبر عن أسرارهم وبواطنهم ، وذلك أن من ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها صفّى الله سره ونوّر قلبه ؛ واذا دخل

النور في القلب انشرح وانفسح . والمراد بالانشراح استعداد القلب واتساعه لحقائق الايمان بهداية الرحمن ، وعلامته التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله . قال حارثة حين سئل عن حقيقة ايمانه « عزَفَتْ نفسي عن الدنيا ، فاظمأتُ نهاري وأسهرت ليلي ، وكأني انظر الى عرش ربي بارزا » . فأخبر انه لما عزفت نفسه عن الدنيا نور الله قلبه فكان ما غاب عنه بمنزلة مايشاهده . ولذا سميت هذه الطائفة (نُورية) لهذه الاوصاف . ومن كان متصفا بهذه الصفات من صفوة السر وطهارة القلب ونور الصدر فهو في الصف الاول ، لان هذه صفات السابقين . ولصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم صحت معارفهم بالله فلم يرجعوا الى الاسباب ثقة بالله وتوكلا عليه ورضاء بقضائه

وقد اجتمعت هذه الصفات ومعاني هذه الاسماء في أسامي القوم وألقابهم ، وصحت هذه العبارات وقربت هذه المآخذ ، وإن كانت الالفاظ متغايرة في الظاهر فان المعانيَ متفقة. لانها ان أُخذت من الصفاء والصفوة كانت صفوية ، وان أضيفت الي الصُّفّة أو الصف الاول كانت صُفّية أوصَفّية . ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية من تداول الالسن . وان جعل مأخذه من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة في حق اللغة. وكافة هذه المعاني من التخلي عن الدنيا وعزوف النفس عنها ، وترك الاوطان ولزوم الاسفار ، ومنع النفوس حظها ، وصفوة الاسرار وصفاء المعاملات وانشراح الصدر صفة السُّبّاق . وقد ذكر الله في القرآن طوائف الخير والصلاح ، فسمى قوماً أبراراً وآخرين مقربين ، ومنهم من سماهم الصابرين والصادقين والذاكرين والمحبين . واسم الصوفي يشتمل على جميع المتفرق في هذه الاسماء المذكورة

القدس خليل الخالدي

حركة النشر والتأليف

﴿ أخبار الحمقى والمغفلين ـ لابن الجوزي ﴾

مطبعة التوفيق بدمشق ، المكتبة السلفية بالقاهرة ٥ ١٧٢ بقطم الزهراء ، ثمنه ٦ قروش

قال أبو الفرج بن الجوزي (٥٠٧ ـ ٥٩٧) في كتابه (دفع شبهة التشبيه) « وقد بلغت مصنفاتي مائتي مصنف وخمسين مصنفاً » . وبعض هذه المصنفات من الفخامة والاتساع بحيث يتم فى حجم دوائر المعارف ككتابه (المنتظم في تاريخ الامم) وبعضها بحجم لطيف وموضوع طريف ككتابه هذا (أخبار الحمقى والمغفلين) الذي أشار في مقدمته الى كتابه الآخر (الاذكياء) فقال : « لما شرعت فى جمع أخبار الاذكياء وذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثالا يحتذى ، لان أخبار الشجعان تعلم الشجاعة ، آثرت أن أجمع أخبار الحمقى والمغفلين » . ثم ذكر الفوائد التى تترتب على ذلك

وهذا الكتاب مقسم على ٢٤ بابا ذكر فيها الحماقة ومعناها ، وأنها غريزة فى أهلها ، واختلاف الناس فى الحمق ، وأسماء الاحمق وصفاته والتحذير من صحبته وأمثال العرب فيه . ثم استعرض حمقى البشر وصنفهم طبقات ، فذكر المغفلين من الأمراء والقضاة والحجاب والأئمة والأعراب والمعلمين والحاكة وسائر الناس ، وأورد ما أثر عن أفراد كل فريق من حوادث الغفلة وكلمات الحمق

وقد نشر هذا الكتاب السيد صلاح الدين القدسي الدمشقي معتمداً على نسختين احداهما نسخة العلامة المجاهد الامير شكيب أرسلان المنقولة عن نسخة مكتبة عارف حكمة فى المدينة ، والثانية نسخة صالح بك المؤيد العظم التى أهداها أولاده الى مكتبة دمشق . وللاستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربي محاضرة عن هذا الكتاب نشرها الطابع في أوله . فنشكر له عمله

﴿ الدولة الاموية في الشام ﴾

هو كتاب ألفه الاستاذ السيد أنيس زكريا النصولي الذي كان مدرّساً للتاريخ في مدرسة المعلمين والمدرسة الثانوية ببغداد، وكان سبب الحوادث المؤسفة التي وقعت في تلك العاصمة العربية

والكتاب مؤلف من عشرة فصول : ١ ــ في تأسيس الدولة الاموية ٢ ــ في مأساة الحسين ٣ ــ في الحركة الزبيرية ٤ ــ في سياسة الشدة ومظاهرها ٥ ــ الفتوح الاموية ٦ــ العدل والاصلاح في الدولة الاموية ٧ ــ العمران الاموى ٨ ــ أحوال الاجتماع الاموي ٩ ــ الادب الاموي ١٠ ــ أسباب سقوط الدولة الاموية

وقد جرى فيه المؤلف على الطريقة العلمية في اعتبار الحوادث نتائج لمقدمات يجب على المؤرخ البحث عنها وبناء حكمه عليها . فكان في كل حادث عظيم من حوادث تأسيس الدولة الاموية يبحث عن تلك الاسباب على قدر ما يجده في المراجع التي اعتمد عليها . وحبذا لو كان أكثر من المراجع ، اذ لا يصح لمن يكتب في هذا الموضوع أن يغفل عن مثل تجارب الامم لابن مسكويه ، والجزء المطبوع من كتاب أنساب الاشراف وأخبارهم المنسوب للبلاذري ، وكتاب منهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الخ الخ

وكنت أختار له أن لا يعتمد في الفصل الاول على كتابه (معاوية بن أبي سفيان) لاني أعتقد أنه لو كتب هذا الفصل من جديد لكان أقرب فيه الى الاجادة ، لان المؤلف كان في كتابه (معاوية بن أبي سفيان) تحت تأثير كتاب الاب لامنس اليسوعي فجاء أثر ذلك ظاهراً في الفصل الاول من الكتاب الجديد حتى في اسلوب الانشاء اذ ترى في بعض مواطن من الفصول الاخرى جزالة لا تراها في الفصل الاول الذي عليه مسحة الترجمة . وكنت أتمنى أيضاً لو أن

المؤلف نزّه كتابه عن ألفاظ كان غيرُها أدلَّ منها على المعنى الذي يريده . ومع ذلك ، ومع مخالفتنا له ـ بطبيعة الحال ـ في بعض ماجاء في كتابه ، فانا نعجب كيف يكون مثل هذا الكتاب سبباً للفتنة التي قامت من أجله ، وهو لا يعدُّ شيئاً مذكوراً في جانب كتاب علي عبد الرازق الذي ينكر الامامة على عليّ كرم الله وجهه وعلى الذين تقدَّموه أو جاءوا بعده كما ينكر القضاء الشرعي في الاسلام ، وفي جانب كتاب طـه حسين الذي يقول ان ورود اسم ابراهيم عليه السلام في القرآن والتوراة لا يكفي لحمله على التصديق بوجود ذلك النبي الكريم

﴿ المرأة في التمدن الحديث ﴾

مطبعة السلام في بيروت ، المكتبة السلفية بالقاهرة ٥ ٢٨٠ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ٢٠ قرشا

هو كتاب في تطور القضية النسائية على وجه عام منذ انقرضت الامبراطورية الغربية الى الان ، وما صارت اليه في التمدن الحـديث ، متضمنا تفصيل نهضتها العلمية والفنية ، وموقفها في الحياة الاقتصادية والساسية ، ومساعيها العصرية في الحرب والسلم . وهذا الكتاب بقلم الاستاذ محمد جميل بك بيهم مؤلف كتاب (المرأة في التاريخ والشرائع) وكتاب (فلسفة التاريخ العثماني) . وقـد توخى بكتابه الجديد أن يكون بمثابة تمهيد لـكتاب آخر يشتغل بتأليفه عن تطوّر القضية النسائية في الشرق الادنى ولا سيما في البلاد العربية عامة والسورية خاصة

﴿ المعاهدة العراقية ـ الانـكليزية ﴾

عنيت المطبعة العربية بنشر المعاهدة العراقية ـ الانـكليزية مع الاتفاقيات الملحقة بهـا في كراس بالقطع الكامل جاء في ٣٥ صفحة ، واعتمدتْ في نشرها على النص المطبوع باشارة جمعية الامم وقابلتها على الطبعة الثانية البغدادية . وهي يباع في المـكتبة السلفية بعشرة قروش

﴿ الايضاح لمتن ايساغوجي ﴾

مطبعة النهضة ، المكتبة السلفية * ٨٦ ص جاير ، ثمنه ٤ قروش

كان حضرة صاحب الفضيلة العالم الكبير الشيخ محمد شاكر وكيل جامع الازهر سابقا قد ألف مدة رئاسته على معهد الاسكندرية الاسلامى شرحا على متن ايساغوجي امتاز بطلاوة أسلوبه ومتانة تقسيمه ودقة تحقيقه وجزالة انشائه وكونه موضوعا وضعاً مدرسياً لناشئة المعاهد الدينية عند تأسيس الاقسام النظامية، فأقبلوا عليه لأنه جاء مناسباً لقواهم الفكرية وملاحظا فيه أنه مؤلفٌ لمن لا إلفَ له ولا عهد بمزاولة العبارات الاصطلاحية التي حُشرت في الشروح الاخرى على ايساغوجي حشراً من غير تقريب ولا تذليل . وقد نفدت نسخ طبعته الاولى منذ عهد طويل فأعيد طبعه الآن للمرة الثانية بحرف جميل على ورق صقيل ، فنلفت اليه أنظار كل من يبتدىء درس المنطق بكتاب ايساغوجي

﴿ المرأة الحديثة وكيف نسوسها ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية * ٢٦٥ ص جاير ، ثمنه ١٠ قروش

ألف هذا الكتاب الاستاذ عبد الله افندي حسين المحامي ، ونظر فيه الى المرأة من وجهة التطوُّر الذي تسير في مناهجه بخطاً واسعة ، فدرس سلسلة وقائع هذه الحادثة متنقلا بين مقدماتها ونتائجها .

وتبتدىء أبحاث الكتاب بالخلاف بين الجنسين من أبعد أزمان التاريخ وماتشكوه المرأة فى الرجل ، ومايخافه الرجل من حكم النساء ، وما تنطوي عليه الحركة النسوية من المعاني وما يتوقع لها من النتائج

ويقول الاستاذ عبد الله افندي حسين انه مدين بكثير من ابحاث كتابه الى استاذه المسيو جاليكان ولاسيما آراؤه في المرأة البريطانية. والكتاب مؤلف من عشرين فصلا تضمنت لمعة من أكثر الآراء التي يعرب عنها أنصار الحركة النسوية في العالم

﴿ مها – قصة غرامية شرقية ﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٢٨ ص بقطع الجاير * ثمنها ٥ قروش

تخيَّل الأديب حبيب افندي جاماتي وقوع حادثة حبّ في قبيلة الحويطات بين فتاة بدوية سماها (مها) وضابطٍ انكليزي . فعرض الضابط على والد الفتاة أن يكون صهراً له وأنه يدخل في الاسلام ويهجر وطنه ليكون كفؤاً لتلك الفتاة العربية المسلمة . ولما كان سكان الجزيرة يتواصون أباً عن جدٍّ بصيانة دمهم عن الاختلاط بغيره ، كان جواب والد الفتاة إسداء ضيفه النصح بأن لا يدعه يتم عليه نظره خارج خيمته . ثم كانت نتيجة رفضه هـذا الزواج انتحار الفتاة والضابط

وقد تناول الشاعر المشهور الاستاذ أحمد زكي أبو شادي هذه القصة فأفرغها في شعر يتألف من خمسة أناشيد هي من أبدع منظوماته . وسواء كان الاستاذ الشاعر مصيباً أو غير مصيب في انكاره على العربي عزّته القومية التي تحمله على حفظ وصية أجداده في الابتعاد عن أسباب الهجنة ، وعلى الانفة من أن يكون أول واحد في تاريخ قوميته يرضى بشَوْب دمه ، فان تفنّنه في وصف حوادث هذه القصة يجعلها في مقدمة ما جاشت به شاعريته

وقد زاد قصة مها أهمية تزيينها بالصور الكثيرة الممثلة لوقائعها . وهي بريشة الاستاذ عناية الله ابراهيم . وفيها (نظرات وملاحظات) بقلم الشاعر تكلم فيها على الشعر بمفهومه العصري ، ومكانة هذه القصة منه . وبعده كلمة ختامية بعنوان (شعر الحياة) لعناية الله افندي ابرهيم . ولا بد أن القراء معجبون معنا بنشاط الاستاذ أبي شادي وهذه البركة التي نراها في انتاجه

﴿ عدّة الأديب ﴾

مجموعة حوت بين دفتيها « صفوة ما اختاره العلماء الذين شيدوا بنيان الأدب ووطّدوا أركانه ، مما حاكته قرائح الشعراء والخطباء والحكماء وأصحاب المقامات والمقالات » ليستظهره طلبة مدرسة التجهيز والمعلمين في دمشق . وقد اختار مادةَ هذه المجموعة النافعة وُعني بشرحها الاستاذان الضليعان السيد سليم الجندي والسيد محمد الداودي ، وزيّناها بتراجم موجزة لطائفة ممن أتيا على ذكر شيء من أقوالهم في الكتاب . وقد تصفحنا الجزء الأول من عدّة الأديب فرأينا فيه من مختار القول وجزله وفصيحه ما اذ استظهره الطلبة ورسخت تراكيبه في أذهانهم تكوّنت عندهم ملكة عربية صحيحة في الانشاء . فشكراً لهما

﴿ جهود الاستاذ عيسى افندي اسكندر المعلوف ﴾

الاستاذ الفاضل الجليل عيسى افندي اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي العربي بدمشق من أنشط علمائنا وأكثرهم انتاجاً ، وان له في أيدي الناس كتباً ورسائل كثيرة نشرت بالطبع ، أهمها تاريخ اسرته في ٧٥٠ ص وتاريخ مدينته (زحلة) في ٣٠٠ ص ومجلة الآثار ، غير مؤلفاته المخطوطة كتاريخ الأُسَر الشرقية ، وشحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة ، وتراجم وفيات المعاصرين ، وتاريخ سورية المجوّفة ، والمكتبة التاريخية الخ

الآثار * أما هذه المجلة النفيسة فكان أصدرها ثلاث سنوات قبل الحرب ، وعاد في هذا الشهر الى استئناف نشرها ، فصدر الجزء الأول من سنتها الرابعة في ٤٨ ص حافلاً بالابحاث الطريفة التي عوّدها قراءه سواء كانت بقلمه أو بقلم أصدقاء المجلة . ولا شك أنها ستكون في مقدمة صحافتنا العلمية في لبنان

تاريخ الطبّ * وأهدانا رسالتين إحداهما في تاريخ الطب قبل العرب ، والثانية في تاريخه عند العرب . وهما محاضرتان ألقاهما في المعهد الطبي بدمشق

فى ٤ و ١٨ مارس سنة ١٩١٩ . فتكلم في الاولى على الطب عند قدماء المصريين والعبرانيين والعراقيين والفرس والهنود والحبش والتوارنيين واليونانيين والرومانيين وفي العهد المسيحي . وهذه المحاضرة في ٥٥ ص بقطع الزهراء

والمحاضرة الثانية الخاصة بتاريخ الطب عند العرب مطبوعة طبعاً جميلا فى دمشق بعناية الدكتور مصطفى بك الخالدي الاستاذ فى الجامعة الامريكية ، وهي فى ٦٧ ص مزينة بالصور تكلم فيها على كيفية اتصال الطب بالعرب منذ أيام الجاهلية وما كان عليه زمن الخلفاء الراشدين واتساع دائرة العناية به فى الدولة الأموية واستفحال أمره أيام العباسيين ، وما كان لهم من مدارس طبية ومستشفيات ، وعنايتهم بالصيدليات وتركيب الأدوية والكيمياء والتشريح والجراحة والبيطرة . وما كان عليه طب العرب فى العصور المتأخرة الى يومنا هذا . وكانت المحاضرتان قد نشرتا تباعاً في رصيفتنا مجلة المعهد الطبي الدمشقي ثم طبعتا على حدة

قصر آل العظم فى دمشق * هو قصر الوزير أسعد باشا ابن اسماعيل باشا العظم (١١١٣ ــ ١١٧١) الواقع على مسافة غير بعيدة من مسجد دمشق في الجهة القبلية ، ولا يبعد أن يكون قائماً على بقعة من أرض الدار الخضراء دار الخلافة الأموية لأن تلك الدار كانت متصلة بالجدار القبلي من جدران المسجد ، ونرجح أنها كانت من السعة بحيث تشمل الارض التى قام عليها قصر أسعد باشا . وقد كتب الاستاذ عيسى افندي المعلوف بحثاً فى تاريخ هذا القصر نشره فى مجلة المشرق ثم طبعه فى كراسة مستقلة ، استهلّه بتاريخ آل العظم ثم بترجمة أسعد باشا ، فوصفِ القصر وطريقة بنائه . وألحق به رسالة (الدرة البهية بوصف السراية الاسعدية) لشاهد عيان ، وكانت محفوظة عند خليل بك العظم فأحسن بنشرها كل الاحسان

الاخبار المروية فى تاريخ الأُسَر الشرقية * هو الكتاب الذي ما برح الاستاذ مشتغلا بتأليفه وجامعاً فيه تواريخ الأُسَر الشرقية فى الشام والعراق ومصر والعجم وآسية الصغرى وجزيرة العرب وبلاد المغرب على اختلاف طوائفها ومواطنها وأنسابها . وقد أرسل الينا كرّاسة في بيان طريقة تأليف الكتاب وفوائده

مخطوطات الخزانة المعلوفية فى الجامعة الامريكية * وهذا كراس آخر تضمن وصفاً مختصراً لخمسمائة من المخطوطات ابتاعتها الجامعة الامريكية من خزانة الاستاذ المعلوف سنة ١٩٢٥ . وبآخره نظرة عامة أشير فيها الى بعض هذه المخطوطات من وجهة أهميتها الاثرية ووصف ما فيها من نفائس

﴿ النكت الاعتقادية ﴾

نشرت رصيفتنا مجلة المرشد البغدادية هذه الرسالة اللطيفة للمرة الثانية ، وهي من تأليف الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد الذى يعدّ المرجع والمقتدى للشيعة الامامية توفى سنة ٤١٣ ودفن في الحضرة الكاظمية . ورسالته هذه فى ٦٤ صفحة صغيرة تضمنت العقيدة التي قاده الدليل اليها . وهي مطبوعة على نسخة فى خزانة العلامة الزنجاني وحوّلها العلامة السيد هبة الدين الشهرستانى الى أسلوب السؤال والجواب تسهيلا لفهم المبتدئين

﴿ أناشيد الثورة السورية ﴾

هى مجموعة أناشيد قومية تقع فى ٣١ صفحة كان الاديب السيد عبد الكريم العطار قد نشرها للمرة الاولى ، ثم أعاد طبعها الآن منقحةً ومزيّنة ببعض الصور فنرجو لها زيادة الانتشار

أنباء اجتماعية

النباتات المصرية

ألف الدكتور ريكلي – الاستاذ بمدرسة الهندسة في زوريخ ، ومن الاخصائيين في حفظ المجموعات النباتية – بعثة علمية من خمسة وعشرين عالماً من جامعات بال وزوريخ لزيارة المملكة المصرية ودرس نباتاتها في مواضعها

المعارف في شرق جزيرة العرب

كتب من (دُبَيّ) الواقعة على الخليج الفارسي الى رصيفتنا الشورى أنه كان في ذلك الثغر مدرسة للعلوم الاسلامية والعربية ولارشاد العامة فتحولت الآن الى مدرسة تشبه من بعض الوجوه نظام المدارس العصرية ، وجيء اليها بمدرسين من الخارج . وفي هذا العام تأسست مدرسة ثانية في (دُبَيّ) أيضاً على هذا النحو ، ومدرسة ثالثة في (الشارقة) طلب لها أهلها معلمين من الكويت

المعارف في مراكش

تقول صحف تونس ان الفرنسويين مبتهجون بالتقدّم في تعليم المراكشيين مدة الاحتلال ، ومن أجلى مظاهر هذا التقدم أن المدرسة الثانوية بلغ عدد تلاميذها ٨١٠ منهم ٥٤٣ فرنسوياً و١٨٨ يهودياً و ١٩ إيطالياً و ١٧ اسبانياً ولا حاجة الى التنبيه الى أن التعليم في هذه المدرسة فرنسوي محض ...

اختنا تعتب

« تونس في الاسرة العربية »

أشرنا في الجزء الماضي (ص ٤٧٧) الى الدعوة التي أذاعها فريق من أفاضل الطلبة في جامعة بيروت الامريكية على شعراء الأمة العربية في جميع أقطارها لوضع نشيد قومي عام يتغنى به شبيبة الناطقين بالضاد في كل قطر

وقد كتبت صحيفة تونس الوطنية (لسان الشعب) الغراء تعتب على ناشري هذه الدعوة اغفالهم اسم (تونس) في المادة الخامسة من بيانهم . ونحن نضم صوتنا الى صوت تونس الاخت الفتية الناهضة طالبين من ناشري تلك الدعوة أن يتلافوا ذلك ، لأن كل ناطق بالضاد يعتبر المغرب كله – وتونس في مقدمته – عضوا حياً في الجسم القومي وفرعاً مثمراً في دوحة الأدب العربي الخالد

﴿ الاصلاح في الحجاز ﴾

* شرعت حكومة الحجاز في إصلاح طريق جديد بين مكة وجدة خاصاً بالسيارات ، وهو يبتدىء من مكة ويمر بالوادي وبحرة والطريق العام وينتهي بجدة . ويبقى الطريق القديم خاصاً بالقوافل فلا يزعج جمالها صفيرُ السيارات

* انشيء في رابغ مركز لاسلكي، وصار مكتب البريد والبرق هناك يقبل الرسائل اللاسلكية

* انتظم أمر التعليم في المعهد الاسلامي السعودي القائم في شِعب جياد عند بئر باليلي . والمتعلمون فيه فريقان : فريق يتعلم فيه نهاراً ، وفريق يختلف اليه ليلاً . وقد أعلن الاستاذ الشيخ محمد كامل القصاب مدير المعارف العامة أنهم أدخلوا فيه تعليم اللغة الانكليزية أيضاً

* كان الغبار الذي تثيره أقدام الألوف من الحجاج في المسعى بين الصفا والمروة يؤذي الناس في صحتهم . فأخذت الحكومة الحاضرة في تبليط ذلك الشارع وانتهى حتى الآن تبليط ٢٧٦٩ متراً مربعاً والهمة مبذولة لاكمال تبليط الباقي ومساحته ٢٢٣٧ متراً مربعاً .

* دخلت الحجاز في اتحاد البريد الدولي ، على أثر رحلة الى سويسرا قام بها صديقنا الفاضل الجليل حسن وفقي بك مدير الامن العام بمكة . وقد صارت مكاتب البريد في جميع بلاد العالم تقبل ما يرسل - بواسطتها - الى الحجاز من الرسائل المضمونة وطرود البريد وغير ذلك مما لم يكن مقبولا من قبل

* لما دخل جلالة الملك ابن السعود الى جدة شكا اليه أهلها حاجتهم الى الماء ولا سيما في أيام الحج ، فأمر بابتياع آلة جديدة لتقطير الماء (كوندانسِه) ودفع ثمنها - وهو ١٨ ألف جنيه - من جيبه الخاص . وما زال منذ حلوله في الحجاز مهتماً باصلاح عين زبيدة بالقدر الممكن ، ويفكر الآن في إنشاء ثلاثة خزانات في (عرفات) و (مِنى) و (مكة) ليكون الماء ميسوراً للحجاج في كل الأحوال . وتقرّر جرُّ الماء الى (ينبع) وقدّرت نفقة ذلك بثلاثة آلاف جنيه

﴿ الطيران بين مصر والشام ﴾

تستعد شركة مصايف لبنان لاعداد وسائل السفر بالطيارات بين مصر والشام

﴿ المؤتمر السوري ﴾

قرر المؤتمر السوري الذى انعقد في (ديترويت مشيغن) وضع كتاب يسمى (تخليد الذكر) لتاريخ الثورة السورية ومساعي السوريين السياسية . واصدار مجلة بالعربية والانكليزية لخدمة القضية السورية . وجمع نصف مليون دولار لاعانة منكوبي الثورة

﴿ خطر يهدد بيروت ﴾

أشار الاستاذ أسعد عقل في العدد ٥٥٤ من (المعرض) البيروتية الى سرعة تقدم بيروت في سبيل العمران ، وأن ذلك مما أدهش الوفد التركي عند زيارته تلك المدينة لحل مشكلة الجمارك . ثم قال «على أن هذا الاسراع لايمكن القول بأنه يسير دائماً في طريق الصواب ، فلقد غرفنا من حسنات المدنية الغربية وسيئاتها غرفاً ، حتى كادت الثانية تفوق الاولى ، وهنا الموقف الجلل والخطب الداهم

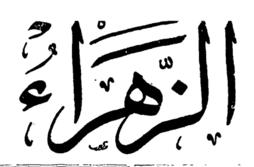
« وفى الحقيقة أن بيروت تعشق الغرب ، وتود أن ترتمي بين ذراعيه ، وتغالي فى الارتواء من مائه . ومَثَلها فى لهفتها هذه كمثل كفيف البصر الذي لايميز فى عطشه بين الماء الصافية العذبة وبين الماء العكرة الرديئة

« والخطر الذي يهدد مدينتنا الجميلة من جرّاء تطرّفها فى مماشاة الغرب ، أنها تهمل شرقيتها ، بل هي ويالالأسف تشبه حديث النعمة : فتراها عاملة على تمزيق إرثها الذهبي الثمين فى العادات والاخلاق واللسان ، لتبتاع بدلا عنه خرقاً بالية من سيئات البلدان الاجنبية ...

« لقد بعنا لساننا العربيَّ الشريف بيعَ السلم ، واستعضنا عنه بمجموعات غير كاملة من مختلف اللغات والالسن . ألم يقل حقا ذلك الذي أطلق على بيروت لقب بلدة مختلطة السكان Cosmopolite ؟

« فى كل شارع تبصر حانة أو مرقصاً أو نادياً للمقامرة . هذه بضاعة رائجة يُقبل عليها الموسرون والمعدمون ، ويرتاد مرابعها الاغنياء والمفلسون!

هذا بعض مايقال ، أما مالايقال فكيف نجسر على الجهر بأسراره ؟ هذا تقدّم بيروت (الغربية) ، وهذا رقيّها وعمرانها . هي تكره الجمود ، وتسير داعماً ، ولكن خطوة الى الامام . . . وعشرين الى الوراء . . . »



ج ٩ : م ٣ القاهرة رمضان ١٣٤٥

تقويمنا الشمسي

التاريخ العربي قبل الاسلام ـ التاريخ العربي في الاسلام ـ اصلاح المتضد بالله ـ التقويم الشمسي في الدولة العثمانية ـ حاجتنا الى تاريخ هجري شمسي ـ طريقة حسن وفقي بك

﴿ التاريخُ العربيُّ قبلَ الاسلام ﴾

للتاريخ السنوي في كلّ امة عناصرُ مهمة : أحدها الحادثة التاريخية التي تبتديء منها سنوات تاريخ تلك الامة ، ويكون لتجديد ذكراها أثرٌ نافعٌ في حياة الجماعة · الثاني البداية الفلكية التي يبتديء بها الحول وينتهي عند مايحول اليها . والثالث أجزاء هذا الحول وتعيين أسمائها ومقاديرها

اذا بحثنا عن العنصر الاول للتاريخ السنوي عند العرب قبل الاسلام نرى الحجازيين أرَّخوا ببناء ابراهيم واسماعيل الكعبةَ الى أن تفرّق بنو معدّ وخرجوا من تِهامة في بداية التاريخ المسيحي ، فكان الخارجون يؤرّخون بخروجهم ، وظلّ المتخلفون يؤرخون ببناء الكعبة الى أن تولّى عليهم عمرو بن لُحَيّ (١)

(١) كان عمرو بن لحي من المجددين بالمعنى المفهوم الآن عند بعض أدبائنا : فانه وجد الحنيفية ـ دين ابراهيم ـ قد طرأ عليها زيادات أخرجتها عن فطرتها ، فبدلا من أن يعنى بتجريدها من هذه الزيادات ويعيدها الى مثل صفائها الاول ويقتبس النافع من حضارة البلاد المجاورة له ، فانه تحول عن الحنيفية الى الوثنية التي كانت في مشارف الشام فجاء بصنم (هبل) من البلقاء ، وعمل اسافا ونائلة على الصفا والمروة الى غير ذلك مما تناقله الخلف عن السلف من ادخاله الوثنية الى الحجاز

فأرخوا بعام رئاسته ، ثم بموت كعب بن لُؤَي ، ثم بعام الغَدْر [١] ، ثم أرّخوا بعام الفيل ، وجاءت البعثة النبوية وقريش تؤرّخ بهذا التاريخ [٢]

أما العنصران الثاني والثالث من التاريخ العربي القديم فكانت العرب في جاهليتها تأخذ سنتها من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر ، ثم ينظرون الى فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس – وهو ١٠ ايام و ٢١ ساعة وخُمس ساعة بالجليل من الحساب – فيلحقونها بها شهراً كلّما تمّ منها ما يستوفي ايام شهر . ولكنهم كانوا يعملون على أنه ١٠ ايام و ٢٠ ساعة [٣] ، ويسمّون هذا الالحاق (النسيء) ويتولاّه (النَّسَأة) من بني كنانة المعروفون باسم (القلامس) – واحدُهم قَلمَّس وهو البحر الغزير – وآخرهم أبو ثُمامَة جنادة بن عوف بن أميَّة بن قَلْع بن عَبَّاد بن قَلْع بن حُذَيفة ، وآباؤه من قبله كانوا كلهم نَسَأَة . وأول من فعل ذلك منهم كان حذيفة ، وهو ابن عبد فُقَيم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة . وكانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة ، جارية على سَنَن واحد لا تتأخّر عن أوقاتها ولا تتقدّم . وقد أخذ العرب ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتي سنة

استمرت الحال على ذلك الى أن جاء الاسلام وشرع لأهله عباداتٍ مقيَّدةً بالأشهر القمرية ، فأصبح نقلُ هذه الاشهر عن حقيقتها بالنسيء مغيّراً لأوقات العبادات ، لأن رمضان – مثلاً – يطلق بعد النسيء على شهر آخر

(١) هو العام الذي هجم فيه بنو يربوع على مكة ، ونهبوا ما أنفقه بعض ملوك اليمن الى الكعبة من الكسوة

(٢) قيل ان بين عام موت كعب بن لؤي وعام الغدر ٥٢٠ سنة ، وبين عام الغدر وعام الفيل ١١٠ سنين

(٣) الآثار الباقية (ص ١١ – ١٢) لابي الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ – ٤٤٠ هـ) وعليه اعتمدت في كثير مما جاء في هذا المقال

غير شهره . ومواقيت الحج الحقيقية يزول عنها اسم ذي الحجة ويصير لها اسم شهر آخر. لذلك جاء الاسلام بتحريم النسيء في الاشهر القمرية لارتباط العبادات بها ارتباطاً يحتم استمرارها مع مطالع الهلال على الحقيقة بلا نقل ولا تغيير . فلما حجَّ النبي ﷺ حجة الوداع وأُنزل عليه : « إنما النَّسيء زيادة في الكفر يُضَلّ به الذين كفروا : يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاما » خطب عليه السلام وقال : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض » وتلا عليهم الآية في تحريم النسيء ، وهو الكبس (الذي كانت تكبسه العرب في الأشهر القمرية لتُلائم بينها وبين السنة الشمسية) فأهملوه حينئذ وزالت شهورهم عما كانت عليه وصارت أسماؤها غيرَ مؤدّية الى معانيها ، فصار جمادى يأتي في الصيف وفي غير الصيف مع أن وضعه في الاصل لما يوافق كانون (يناير) من فصل الشتاء ، وصار رمضان يأتي في الشتاء وفي غير الشتاء ، مع أن وضعه في الاصل لشهر من أشهر القيظ

﴿ التاريخُ العربيُّ في الاسلام ﴾

ظلت قريش تؤرخ بعام الفيل وكان المسلمون يؤرّخون معها به قبل الهجرة فلما هاجر النبي ﷺ الى المدينة ترك المسلمون التأريخ بعام الفيل ، وسمّوا كل سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوصٍ بها مشتقٍّ مما اتفق فيها للنبي ﷺ فالاولى بعد الهجرة (سنة الإذن) والثانية (سنة الأمر) والثالثة (سنة التمحيص) والرابعة (سنة التَّرْفِئَة) والخامسة (سنة الزلزال) والسادسة (سنة الاستئناس) والسابعة (سنة الاستغلاب) والثامنة (سنة الاستواء) والتاسعة (سنة البراءة) والعاشرة (سنة الوداع) . فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب أبو موسى الاشعري الى

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ـ على مارواه الشَّعْبيّ ـ أنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . وقد كان عمر رضي الله عنه دوّن الدواوين ووضع الاخرجة والقوانين واحتاج الى تاريخ ، ولم يحبّ التأريخات القديمة [1] فجمع عليه عند ذلك واستشار ، فكان أظهر الاوقات وأبعدها من الشبهة والآفات وقت الهجرة وموافاة المدينة [2] ، وكانت يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول فعمل عليها وأرّخ من أول سنتها (المحرّم) ، لأن بالهجرة استقام أمر الاسلام ، ونجا النبي صلى الله عليه وسلم من بوائق كفّار مكة ، وتوالت له بعدها الفتوح ؛ فصارت الهجرة للنبي صلى الله عليه وسلم كالقيام للملوك وصفاء الملك لهم

اتخذ المسلمون الهجرة النبوية مبدءاً لتاريخهم ، لأنها أعظم ذكرى ينبغي للمسلم أن يتذكرها كلما وضع قلمه على قرطاس يؤرخ حادثة من الحوادث وأمراً من الأمور ، والتزموا اجتناب التخليط بين الشهور المأخوذة من مسير القمر والسنين المأخوذة من مسير الشمس لأن في هذا التخليط تغييراً لاوقات العبادات العظمى كالصوم والحج

ولما كان الناس في البلاد المفتوحة يؤدّون الخراج عند إدراك زراعتهم ، وإدراكُ الزراعة يكون بالسنين المأخوذة من مسير الشمس ؛ رأى المسلمون في الصدر الاول أن يتركوا هذا الامر في البلاد على ما كانت عليه الحال من قبل ، فجرى العمل في الشام على السنة الشمسية المعتبرة عند السريان ، وفي العراق وفارس على السنة الشمسية المعتبرة عند الفرس

وكان من عادة الحكومات الفارسية أن تطالب الرعية بالخراج في إبّان

(١) وروى ميمون بن مهران أنه لما رفع الى عمر رضي الله عنه صك محله في شعبان قال عمر « أي شعبان : الذي نحن فيه أو الذي هو آت ؟ »

(٢) لان في المولد والمبعث من الخلاف ما لايجوز أن يجعل معه أصلا لما يجب أن لايقع فيه خلاف

النيروز ، ولما كانت السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وكسراً مقداره ٢٤٢٢١٦ ر. وهذا الكسر يتراكم مع السنين فيكون منه فرق ذو بال ، فقد كانوا يكبسون هذا الفرق تلافياً له . فلما كان عهد آخر ملوكهم ـ وهو يزد جرد بن شهريار بن كسرى أبرويز ـ استعمل في التاريخ سنيّ الفرس غير المكبوسة [1] وظلّ كذلك الى أن جرت على يده الحروب مع جيوش عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى زالت الدولة الفارسية وانهزم كسرى وقُتل . فجعل ولاة العرب على العراق وفارس يستعملون تاريخه بسنيّ الفرس غير المكبوسة معتبرين أيام السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً فقط ، ويطالبون الرعية بالخراج في إبّان النيروز

وفي زمن هشام بن عبد الملك شعر الدهاقنة بالخطأ في تاريخ يزد جرد بن شهريار فأرادوا أن يؤخروا النيروز شهراً ، فشرحوا ذلك لأميرهم خالد القسري فكتب خالد بذلك الى هشام بن عبد الملك ، فخاف هشام أن يكون ذلك من قبيل النسيء المنهيّ عنه في الشرع ، مع أن النهي جاء في الاشهر القمرية التي تتعلق بها العبادات لا في الاشهر الشمسية [2] وفي الواقع ان الفرق كان لا يزال قليلا

(١) الا ثار الباقية لابى الريحان البيروني ص ٣١

(٢) وفضلا عن ذلك فان الكبس شيء آخر غير النسيء . ولو كان الكبس هو النسيء أو من نوعه لما أجاز الصحابة والتابعون العمل به في السنة القمرية. والواقع أنهم أجازوه عند مارأوا أن السنة القمرية ٣٥٤ يوما وكسر مقداره ٣٦٧.٦٨ ر. وهذا الكسر يصير يوما كاملا فى كل ٣٢ شهراً و ٦٩١٤٩ ر. جزءاً من الشهر فجرى العمل منذ صدر الاسلام على اضافة يوم الى ذي الحجة في كل سنتين أو ثلاث سنين فتكون السنوات القمرية مركبة من ٣٥٤ يوما فى بعض السنين ومن ٣٥٥ في البعض الآخر والسنة التي تكون أيامها ٣٥٥ يوماً تسمى عام الكبيس . ومن ابتداء الهجرة الي الان يوجد في كل ٣٠ سنة ١١ سنة كبيسة و ١٩ بسيطة . واتفقوا على أن تكون الكبائس من كل ٣٠ سنة هي الثانية والخامسة والسابعة والعاشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة والثامنة عشرة والحادية والعشرين والرابعة والعشرين والسادسة والعشرين والتاسعة والعشرين . قال مختار باشا (في رياض المختار النبذة ١٩٤) : « وهذه القاعدة مستعملة عند مؤقتي الاسلام الى هذه الايام » وانما جاز ذلك لان هذا الكبس هو الذي يضمن استمرار الاشهر مواقتة للاهلة واذا كان الكبس غير النسيء في الاشهر القمرية فهو غيره في الاشهر الشمسية من باب أولى

زمن هشام بن عبـد الملك ، فلم يكن يترتب عليه كبير ضرر في جباية الخراج . زد على ذلك ما كانت عليـه العراق من الاضطراب السياسي والمؤامرات وسوء التفاهم بين الشعب والدولة ، فكان ذلك من موانع النظر في مثل ذلك

وفي أيام هارون الرشيد أمير المؤمنين عظُم التفاوت الناشيء عن اهمال الكبس فاجتمع الدهاقنة الى يحيى بن خالد بن برمك وسألوه أن يؤخر النيروز نحو الشهرين فعزم على ذلك ، ولـكن البرامكة كانوا موضع تهمة في إحياء شعائر الفرس وخصائص المجوسية فاضطر الى الاضراب عن انفاذ ذلك

﴿ إصلاح المعتضد بالله أحمد بن طلحة أمير المؤمنين ﴾

نقل أبو الريحان البيروني عن كتاب (الاوراق) لأبي بكر الصولي وعن رسالة (الاشعار السائرة في النيروز والمهرجان) لحمزة بن الحسن الاصبهاني أن الخليفة العبـاسي المتوكل بينـا كان يطوف في متصيَّد له إذ رأى زرعاً لم يُدرِك بعدُ ولم يستحصِد ، فقال لمن معه :

— استأذَنني عبيدُ الله بن يحيى في فتح الخراج ، وأرى الزرع أخضر ، فمن أين يعطى الناسُ الخراج ؟

فقيل له : — إن هذا قد أضرَّ بالناس

فقال : — هذا شيء أُحدِث في أيامي ، أم لم يزل كذا ؟

فقيـل له : — بل هو جارٍ على ما أسَّسه ملوك الفرس من المطالبة بالخراج في إبَّان النيروز

فأحضر المتوكلُ الموبذَ وقال له :

— قد كثر الخوضُ في هذا ، ولستُ أتعدّى رسومَ الفُرس ، فكيف كانوا يفتتحون الخراج على الرعية مع ما كانوا عليه من الاحسان والنظر ، ولم استجازوا المطالبة في مثل هذا الوقت الذي لم تدرِك فيه الغلاّت والزروع ؟

فقال الموبذ : — انهم وان كانوا يفتتحونها في النيروز فانه ما كان يجيء الا وقت إدراك الغلات (وذكر مسألة الكبس)

فأحضر المتوكلُ ابراهيمَ بن العباس الصُّولي وأمره أن يوافق الموبذ على ما ذكره من النيروز بحسب الايام ويجعل له قانوناً غير متغير ، وينشيء كتاباً عن أمير المؤمنين الى بلدان المملكة في تأخير النيروز . فوقع العزم على تاخيره الى ١٧ حزيران (يونيو) ففعل ذلك ونفذت الكتب الى الآفاق في المحرم سنة ٢٤٣ . فقال البحتري يمدح المتوكل :

ان يوم النيروز قد عاد للعهـ ـد الذى كان سنَّهُ أرْدَشيرُ
أنتَ حوَّلتَه الى الحالة الاو لى وقد كان حائراً يستدير
فافتتحتَ الخراج فيه فللأُ مة في ذاك مَرْفِقٌ مذكور
منهمُ الحمد والثناء ومنك العدلُ فيهم والنائل المشكور

وقُتل المتوكل ولم يتمَّ له مادبَّر ، حتى قام بالخلافة المعتضد بالله احمد بن طلحة واستردَّ بلدان المملكة من المتغلبين عليها وتفرَّغ للنظر في أمور الرعية ، فكان أهم شيء اليه أمر الكبيسة واتمامه ، فاحتَذَى مافعله المتوكل في تأخير النيروز ، غير انه نظر من جهة أخرى وذلك ان المتوكل أخذ مابين سنته وبين أول تاريخ الملك يزدجرد ، وأخذ المعتضد مابين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد ظناً منه - أو ممن تولى ذلك له - ان اهمالهم لأمر الكبس هو من لدنْ ذلك الوقت فوجده ٢٤٣ سنة وحصتها من أرباع الايام ٦٠ يوماً وكسر فزاد ذلك على النيروز في سنته وجعله منتهى تلك الايام ، ثم وضع النيروز على شهور الروم لتنكبس شهوره اذا كبست الروم شهورها ، وكان المتولي لامضاء ما أمر وزيره أبوالقاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ، فقال على بن يحيى المنجم في ذلك :

يامحييَ الشرف اللباب مجدّدَ الملك الخرابِ
ومعيدَ ركن الدين فينا ثابتاً بعد اضطرابِ
فُتَّ الملوكَ مبرّزاً فوت المبرّز في الحلابِ
اسعدْ بنيروز جمعت الشكر فيه الى الثوابِ
قدَّمتَ في تأخيره ما أخّروه من الصوابِ

ولكن اهمال الفرس كبيستهم كان قبل هلاك يزدجرد بتقريب من سبعين سنة ، وذلك بالتقريب لا بالتحقيق فان تواريخ الفرس مضطربة جداً ، وتكون حصة هذه السبعين سنة من أرباع الايام قريباً من ١٧ يوماً فكان يجب - في اصلاح المعتضد بالله - أن يؤخر ٧٧ يوماً لا ٦٠ يوماً حتى يكون النيروز في ٢٨ من حزيران ، ولكن المتولي لذلك ظن ان طريقة الفرس في الكبس كانت شبيهة بالذي يسلكه الروم فيه فحسب الايام من لدن زوال ملكهم والامرُ فيها على خلاف ذلك

قال المؤرخ العثماني الشهير جودت باشا : وفي سنة ٣٦٣ في عهد الطائع لله أحد الخلفاء العباسيين تبينت الحاجة الى تأسيس النظام المالي في الدولة على التاريخ الشمسي طلباً للموازنة بين واردات الدولة ومصروفاتها ، فجعلوا كل ٣٣ سنة قمرية مساوية ٣٢ سنة شمسية على وجه التقريب

﴿ التقويم الشمسي في الدولة العثمانية ﴾

تأسست الدولة العثمانية في الأنَضول (سنة ٦٩٩ ه) على أساس الزعامة والتيمار (الاقطاع) ونتيجة ذلك أنها كانت حكومةً لامركزية بالأساليب المألوفة في ذلك الحين ، فكانت المقاطعات تجبي الأموال العامة وتنفقها على حساب الشهور القمرية ، ماخلا العشور الزراعية التي لا مناص من جبايتها في أوقات

شمسية فانها كانت تحصل عليها بواسطة الملتزمين . ولما كان هذا النوع من أوراد الدولة يدخل خزائنها مرة في كل ٣٦٥ يوماً ويصرف في ٣٥٤ يوماً فكان لا بدَّ للحكومة من أن تنظر في مورد يجبر هذا التفاوت ، لذلك كانت تتقاضى من التزامات العشور زيادة بفرق ما بين الشمسي والقمري يسمّونها (التفاوت الحَسَن)

قال جودت باشا في حوادث سنة ١٢٠٩ ﻫ من تاريخه (٦ : ١٤٨ ـ ١٥١) ما خلاصته :

وفي هذه السنة رفع الدفتردار عثمان افندي الموره لي تقريراً بين فيه ما يلحق الدولة من الخسارة بالتزام طريقة (التفاوت الحسن) المؤسسة على الجباية بالحساب الشمسي والانفاق بالحساب القمري ، واقترح أن يكون كلاهما بالحساب الشمسي ، فوافق (مجلسُ المشورة) على ذلك وصدرت به الارادة السلطانية سنة ١٢٠٩ ، فاتخذت الحكومة العثمانية لمعاملاتها المالية سنةً بدايتها من تاريخ الهجرة وشهورها شمسية وأخذت أسماءها من الاصطلاح السرياني مخلوطاً بالروماني [1] . ولما كانت التزامات العشور تُدفع الى الخزينة في الربيع جعلت الدولة شهر (مارت) بداية سنتها المالية

قلت : وكان يجب على الدفتر دار عثمان افندي ـ أو على الحكومة العثمانية عند ما عوّلت على الاخذ برأيه ـ ملاحظة الفرق السابق بين القمري والشمسي فيما مر حتى سنة ١٢٠٩ من سنوات الهجرة ، وذلك بأن يجمعوا عدد الأيام التي مضت منذ السنة الاولى الى سنة ١٢٠٩ ويقسموها على عدد ما في السنة الشمسية من أيام وكسورها (أي ٢١٦ ٢٤٢ ر ٣٦٥) ليكون لهم من ذلك تاريخ هجري شمسي صحيح ، ولو فعلوا ذلك لتبين لهم أن سنة ١٢٠٩ الهجرية القمرية توافق سنة ١١٧٣ من الهجرية الشمسية

(١) وهذه الشهور هي : مارت ، نيسان ، مايس ، حزيران ، تموز ، أغسطس ، أيلول ، تشرين الأول ، تشرين الثاني ، كانون الاول ، كانون الثاني ، شباط

وعلى فرض أنهم كانوا يرغبون في الاحتفاظ بالتاريخ الهجري المألوف عند الناس فقد كان ينبغي لهم أن يثابروا باطراد على اضافة سنة الى تاريخهم المالي الشمسي كلما تراكم مقدار سنة من فرق ما بين السنة الشمسية (التي هي ٣٦٥ يوماً و ٢٤٢٢١٦ ر.) والسنة القمرية (التي هي ٣٥٤ يوماً و٣٦٧٠٦٨ ر.)

انهم قصَّروا في هذا وذاك فكانت السنة المالية العثمانية شيئاً عجيباً ، وفي أواخر عهدنا بها كانت سنة ١٣٤٣ الهجرية القمرية توافق سنة ١٣٤٠ من تاريخهم وهو رقم يرجع في الظاهر الى ذكرى الهجرة النبوية لكنه لا يدل على سنة هلالية لأن ما بين الهجرة وذلك التاريخ كان ١٣٤٣ سنة هلالية ، ولا على سنة شمسية لأن ما بين الهجرة وذلك التاريخ كان ١٣٠٣ سنين شمسية . فهذا التفاوت بين التاريخين كان مضحكاً وليس له معنى علمي قط

وقد نبه العلاّمة الرياضي الكبير الغازي احمد مختار باشا الى هذا الامر في كتابه رياض المختار (النبذة ١٩٧) وعرض على الانظار طريقة لاتخاذ تاريخ هجري شمسي له قيمة علمية . وسبقه الى شيء من هذا المؤرخ جودت باشا في كتابه (تقويم الادوار) ، كما نبه اليه الاديب الكبير أبو الضيا توفيق بك غير مرة . ولكن عمل هذين الوزيرين العثمانيين كان مقصوراً على الوجهة العلمية فقط ، وأظن أنهما لو سعيا سعياً فعلياً لاقناع الدولة بمحاسنه لنجحا في مسعاهما ولكان للمسلمين حينئذ تاريخ شمسي لا يلبث أن يعم أقطارهم فلا يبقى لحكوماتهم الاجنبية عذر في العدول عنه الى غيره فتضطر الى استعماله متقرّبة بذلك الى رعاياها

﴿ حاجتنا الى تاريخ هجري شمسي ﴾

للذكريات التاريخية تأثير عظيم في حياة الامم وتكوين عقيدة الجماعات ، والذين يستخفّون بهذه الحقيقة ويغفلون عن العناية بها يدلون على جهلهم بهذا الجانب من حياة الجماعة . ولا ريب أن العصر الذي نحن فيه أكثر العصور عناية

بهذا الامر بدليل ما تقيمه الامم من الاعياد القومية وما تحتفل به من الذكريات التاريخية

وان المسلمين عامة ، والعرب بوجه خاص ـ سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ـ لايجدون في تاريخهم حادثة أعظم شأنا ولا أنبل أثراً ولا أبرك نتيجة من حادثة ظهور الهداية الاسلامية وما ترتب عليها من الاحداث الروحية واللغوية والسياسية والعلميـة والعمرانية . فمثل هذه الحادثة لايجوز للمسلم ولا للعربي أن يشترك في جريمة إماتة التاريخ الذي يشعر بها ويضعُ أمام الانظار ذكراها الكونية العظمى ، ولأجل هذه الملاحظة يرى قراء الزهراء أن مجلتهم لاتستعمل في غلافها وفي تواريخ صدورها الا الرقم الذي يذكّرهم بتاريخ ذلك الانقلاب الميمون على الانسانية ، ولأجل هذا أيضاً تحرص مكتبتنا السلفية على أن تفرد هذا التاريخ الهجري على مطبوعاتها للدلالة على تاريخ نشرها ، الا اذا اشترط الذين يطبعون كتبهم عندنا أن نضع مع التاريخ الهجري تاريخاً آخر

وأقول بـكل صراحة ان تشدّدنا بافراد هـذا التاريخ الهجري هو ردُّ فعل للتيار الذى يرمي الى اهمال تاريخنا وابطاله . ونحن نعتبر هـذا الاهمال والابطال جريمة لا تغتفر قطّ ، ونربأ بالعربي مهما كان دينه وبالمسلم مهما كان جنسه أن يشترك في هذه الجريمة . ولولا وجود هذا التيار في الشرق لما بالينا أن نستعمل مع التاريخ الهجري كل التواريخ المعروفة ، ولو امتلأ بها سطر كامل بالحرف الدقيق على الصفحة الاولى من كل كتاب ينشر من دار مطبعتنا . فالتيار الذي يراد منه تحقيق هذه الجريمة يحتاج في مقاومته الى مثل هذه الشدة التي نفتخر بها ونعدّها من دلائل الحياة القوميـة مادام البشر حريصين على قومياتهم ومليّاتهم

ولـكن الحاجة المادية لايمكن ان تقاوم بالعواطف والميول المعنوية . فاذا

مست الحاجة الى شيء وجب على العقلاء أن يتحروا ايجاد ذلك الشيء من أقرب الطرق الى الخير . والحاجة ملحّة علينا الآن بضرورة استعمال التاريخ الشمسي ، لأن حياة الدول قائمة عليه في أورادها التي تجبى من الزراعة ، وفي غير ذلك من الدواعي التي ليس هنا موضع إحصائها

أقول هذا وأريد أن أوجه فيه الخطاب الى بلادنا التي لا تزال سالمة من ضغط الأجانب على مرافقها ولا سيما في جزيرة العرب : شمالها الخاضع لجلالة الملك عبد العزيز بن سعود ، وجنوبها الخاضع لجلالة الامام يحيى . فتلك الديار ستشعر – في القريب العاجل – بحاجتها الى التاريخ الشمسي ، واذا هي أصرّت على أن لا تذعن لهذه الحاجة وجدت نفسها في وقت من الأوقات تجاه ضرورة لا مناص منها وهي استعمال التاريخ الافرنجي الذي تستعمله البلاد الاسلامية الأخرى إما مرغمة عليه أو بتأثير الغفلة . اذن فلا مخرج من ذلك الا بأن يكون لنا تاريخ شمسي يحفظ ذكرى ذلك الحادث الاعظم في تاريخ العرب والاسلام وهو حادث (الهجرة) الذي نعتبره حجر الاساس في كياننا الحاضر ، ولولاه لما كانت بين الشام والعراق وجزيرة العرب ومصر وبلاد المغرب هذه الرابطة القومية واللغويه ؛ ولما كانت بين جميع بلاد الشرق الاسلامي هذه الرابطة الروحية التي كتب الله لها النماء والبقاء الى أبد الآبدين

﴿ طريقة حسن وفقي بك ﴾

اميرُ الألاي حسن وفقي بك آل القاضي الدمشقي في مقدّمة القوّاد الذين أنجبتهم الجندية العثمانية تقوىً وحزماً واستقامة وفضلاً ، وهو الآن مديرُ الامن العامّ في المملكة الحجازية ، وعلى يده دخلت تلك المملكة في اتّحاد البريد الدّولي . وفيما هو عائد من اتمام هذه المهمة في سويسرا الى مركز عمله في الحجاز مرّ بالقاهرة ورأى أن يطبع في مطبعتنا كتاباً له في التقويم الشمسي الهجري اسمه

(تقويم المنهاج القويم) ، فكان ذلك باعثاً لي على كتابة هذا البحث

ان الطريقة التى سار عليها حسن وفقي بك في تقويمنا الشمسي قد توافرت فيها العناصر التى يجدر بالتقويم الكامل أن تتوافر فيه : فأحسَنَ اختيارَ الحادثة التاريخية التي يُشعر هذا التقويم بذكراها ، وأحسنَ اختيار الزمن الفلكي الذي تبتديء منه السنة ، وأحسنَ اختيار أسماء الاشهر ، وأحسنَ تنظيم مقادير هذه الأشهر ، فجاء تقويمنا الشمسي ـ بحسب طريقة حسن بك ـ تقويماً عصرياً جامعاً لكل المزايا العلمية ، فضلاً عن كونه موافقاً لحاجتنا القومية وطاً نيتنا الملّية

أجمع أهل الملة منذ الصدر الاول الى هذا اليوم على أنه لم يكن في الامكان أبدعَ من اختيار حادثة الهجرة مبدءاً لتاريخنا . ولكن التقويم القمري كان من لوازمه التقيّد ببداية السنة القمرية فصارت بداية السنة الهجرية القمرية في المحرّم مع أن الهجرة بدأت في أواخر صفر وانتهت في أوائل ربيع الأول . أما تقويمنا الشمسي الذي اختار له حسن بك أشهراً مبتكرة كما سترى فاننا لسنا مقيدين فيه ببداية سنة معينة ، لذلك رأى حسن بك أن تكون بداية الشهر الاول من هذه السنة الشمسية الهجرية يوم تأسيس مسجد قُبا الذي نزلت فيه ـ على احدى الروايتين ـ آيةُ « لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التَّقْوىٰ مِن أوَّلِ يوم »

ومن الحقائق التاريخيه التي لاغبار عليها قطّ أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ لما قَدِم المدينةَ مهاجراً من مكة ـ كان وصوله الى قُبا في ظاهر المدينة ظهرَ يومِ الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢م [1] . وفي اليوم التالي (الثلاثاء

(١) يوم ٨ ربيع الاول من السنة الاولى للهجرة يوافق يوم ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م في تقويم يوليوس قيصر الذي أقره مجمع نيقية Concile de Nice سنة ٣٢٥ م . لكن تقويم يوليوس مبني على أساس أن ايام السنة ٣٦٥ يوما في كل ثلاث سنين وفي الرابعة ٣٦٦ يوما ، أي على اعتبار أن السنة مؤلفة من ٣٦٥ر٢٥ يوماً ، وهذا خطأ صوابه أن السنة ٣٦٥ر٢٤٢٢١٦ ، فسنة يوليوس تزيد على المقدار الحقيقي بكسر مقداره ٠٠٧٧٨٤ر.

٩ ربيع الاول ، ٢١ سبتمبر) شَرَعَ النبي صلى الله عليه وسلم بتأسيس مسجد قُبا [1] * فيوم تأسيس هـذا المسجد الشريف (وهو في شهر سبتمبر كما علمتَ) هو الذي يقترح حسن وفقي بك ان يكون مبـدءاً للتاريخ الهجري الشمسي

لأن السنة تكون حينئذ بدأت من يوم هذا الحادث التاريخي ، لا من شهر سابق كما هو الحال في بداية سنتنا القمرية

ولان هذا الحادث وقع في زمن معين لا يتطرّق الشك الى صحته من الوجهة التاريخية بخلاف ماعليه الحال فى بعض التواريخ الشائعة الآن في الدنيا [2]

ولان تأسيس مسجد قبا كان — بدْءَه — بداية انقلاب تاريخي لا يشكّ في عظمته وخُطورته مُوافق ولا مُخالف

ولان الاحتفال بدخول السنة الهجرية الشمسية في كل عام مجدّدٌ لاحاديث الناس عن تاريخ ظهور النور والهدى من ربوع الحرمين الشريفين ، وانضوائهما الى لواء الرحمة والعدل والحق في آفاق المعمور

هذا فيما يتعلق بالحادثة التاريخية التى بني تقويمنا على التذكير بها . وأما الزمن

جزءاً من اليوم وفي الـ٦٢٢ سنة التي انقضت من الميلاد الى الهجرة ابتعد حسابهم عن الاعتدال الربيعي يومين و٣٠٧٩٥٦ر. جزءاً من اليوم أي يومين وثلث يوم تقريبا . ولم تنتبه أوربا الى تلافي هذا الغلط الا سنة ١٥٨٢ حيث بلغ الفرق نحو ١٠ أيام

(١) جاء في (باب الهجرة) من صحيح البخاري أن مسجد قبا هو المسجد الذي أسس على التقوى . وروى البخارى ثمة في حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم طفق ينقل اللبن مع الناس في بنيان هذا المسجد . ونقل رفاعة بك الطهطاوي في (نهاية الايجاز) عن (نفحة الحدائق والخمائل) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول من وضع حجراً في قبلة مسجد قبا ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه ، ثم أخذ الناس في البنيان

(٢) كان في استطاعة المسلمين ان يتخذوا مولد النبي صلى الله عليه وسلم مبدءاً لتاريخهم ، لاسيما وان مقدار عمره الشريف معروف عندهم ومنصوص عليه في صحيح البخاري ، لـكنهم مختلفون في تعيين يوم الولادة مع يقينهم في تعيين سنتها ، فاجتنبوا التاريخ بالولادة بسبب ذلك الاختلاف في تعيين اليوم. وقد نبه أبو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٠) الى أن ذلك من أسباب الترجيح في اختيار الهجرة مبدءاً للتاريخ

الفلكي الذي تبتديء السنة منه فان من محاسن الاتفاق شروعَ النبي صلى الله عليه وسلم بتأسيس مسجد قبا عند دخول الشمس في برج الميزان حيث يكون طولها ١٨٠ درجة ، وهو وقت الانتقال من موسم القيظ الى فصل الخريف . ويقول حسن بك ان لذلك محاسنَ عظمى ، وفيه تسهيل المعاملات واستقرار الميزانيات الحكومية والفردية

واختار حسن بك لشهور السنة الشمسية أسماء كانت العرب في الأزمنة القديمة تسميها - أو تسمي مواسمها - بها . وهذه الشهور أكثر من غيرها انطباقاً على بروج الفلك ، فهي أشهر تسير مع الطبيعة في آن واحد . ولما كانت بداية سنتنا الشمسية هي بداية فصل الخريف فقد استحسن حسن بك أن يستعير للشهر الأول اسم « خَرْفيّ » وهو اسم لمطر الخريف كما انه صيغة نسبٍ الى الخريف

الشهر الثاني « وَسْميّ » قال في لسان العرب : وهو مطر يكون بعد الخرفي

والشهر الثالث « بَرْك » وهو صدرُ الشتاء كما في لسان العرب

والشهر الرابع « شِيبان » والخامس « مِلْحان » . قال في لسان العرب : وشِيبان ومِلحان شهرا قماح وهما أشدُّ شهور الشتاء برداً ، وهما اللذان يقول من لا يعرفهما : كانون وكانون . قال الكميت :

إذا أمستِ الآفاقُ غُبْراً جُنوبُها بشِيبانَ أو مِلحان واليومُ أشْهبُ

أي من الثلج ، وانما سميا بذلك لابيضاض الأرض بما عليها من الثلج والصقيع

والسادس « رُنَة » قال في لسان العرب : اسمٌ لجمادى الآخرة لشدّة برده

والسابع « رِبْعيّ » جاء في اللسان أنه يتبع الوَلْيَ وهذا بعد الوسميّ الوَسْميُّ بعد الخرفي

والثامن « الدَّفَئِيّ » قال في اللسان انه مطر يكون بعد الربيع قبل الصيف

والتاسع « ناتِق » كان يُطلق على رمضان ، ورمضان من الصيف زمنَ النسيء

والعاشر « ناجر » والحادي عشر « آجِر » . جاء في لسان العرب : وشهرا

ناجر وآجر أشدُّ ما يكون من الحرّ

والثاني عشر «بخباخ» أخذه المؤلف من قول العرب : بَخْبِخوا عنكم من الظهيرة أي أبرِدوا ، وتكون الشمس في هذا الشهر ببرج السنبلة

أما تنظيم مقادير هذه الاشهر فانه في غاية الحُسْن ويمتاز على مثله في السنين الأخرى من شمسية وقمرية . والواقع أن أكثر الناس لاتحيط ذاكرتهم بعدد أيام الاشهر الشمسية المستعملة الآن ، فاذا قيل أغسطس أو يونيو يتردد أكثر الناس في معرفة أيها ٣٠ يوماً وأيها ٣١ . أما في طريقة حسن وفقي بك فان السبعة الاشهر الأولى كل منها ٣٠ يوماً على التعاقب ، والخمسة الاشهر الاخيرة كل منها ٣١ يوماً على التعاقب ، وفي عام الكبيس تكون الستة الأولى ٣٠ والستة الاخيرة ٣١ ، وإنما اختار المؤلف زيادة اليوم لأشهر النصف الثاني من السنة لان هذا النصف الثاني يتألف من الربيع والصيف ، والشمس تبقى في بروجهما أكثر من بقائها في بروج النصف الاول الذي هو الخريف والشتاء . قال حسن بك وهذا الترتيب في مقادير الاشهر هو اللائق بالسنة الشمسية لان الناس لايجدون صعوبة في معرفة أيام الاشهر هل هي ثلاثون أو واحد وثلاثون

***

وبعدُ فان الحكومة العثمانية لم توفَّق الى العمل بمعارف وزيريها جودت باشا ومختار باشا في اتخاذ تقويم هجري شمسي يفي بحاجتها وحاجة المسلمين ، فقام الكماليون على أنقاضها واتَّخذوا من التاريخ الافرنجي تقويماً رسمياً لدولتهم ، فعسى أنّ مافاتَ الحكومةَ العثمانية وهي في زمن الشيخوخة تتلافاه حكومة الملك الموفَّق الامام عبد العزيز آل سعود وهي في طور الشباب ، وانها ان فَعَلَتْ ، وأصبح اقتراحُ حسن وفقي بك معمولاً به في مالية الحجاز وغيرها ، فان التاريخ سيسجّل هذه الحسنة في طليعة حسناتها . وأكبر الظنّ فيها أنها فاعلة ان شاء الله

أيها العرب!

أيُّها العــرْبُ زاحموا إنّ للمجد مُزْدَحَمْ
فُرَصٌ لا تفتْــكمُ ولَــكم فُتْنَنا وكم
المصلّي مَن اغتنى والمجــلّي من اغتنم
نَــدَمٌ لا يفيدنا يومَ ينتابُنا الندم
اترُكوها لياليــاً نِعَما كنّ أم نِقَم
واطلبوها أمانيـاً طالبُ العدل ما ظَـلم
وسـواء لمن سعى حَدُثَ العهدُ أم قدُم
أيقظوا العزمَ واجهدوا عاشقُ المجــد لم يَنَم
إنما المجــد حصة والمعـالي لمن عـزَم
لم تَسُد أمةٌ إذا لم يسُدْ عزمُها الخَذِم(١)
ليتَ شُـبّاننا دَرَوا مادَرَى الشائخُ الهرم
منهمُ العزمُ والمِضا لُ ومن شِيبنا الحِكم
من أبَى أنْ يسوده ظالم ليس يحترِم
شاورَ الرأيَ وانتضى فاصلَ العزم واحتكم

* * *

عاونوها بــلادكم حيث لا عونَ يتّهم
وارحموها نفوسكم رحم اللهُ من رَحِم
عبس الدهر فارقبوا لــكم الدهرَ يبتسمْ

الكاظمي

---

(١) الخذم : السريع القطع

المشتغلون بدرس الآثار اليمانية

من محاضرات العلامة كارلو نلّينو في الجامعة المصرية

يوسف هاليفي ـ بلاد الجوف ونجران والاخدود ـ سيكفريد لانجر
المعينيون في العلا ـ استدراك

يوسف هاليفي Joseph Halevy

نتكلم الآن عن رجل كان له فضل كبير في إماطة اللثام عن دقائق اللغة الحِمْيَرية ، وكشفِ كثير من الكتابات والتواريخ التي كانت مجهولة ، حتى تمَّ له الفوز . هذا الرجل هو العلاّمة يوسف هاليفي ، وهو إسرائيلي كان يقيم أولاً في البلاد العثمانية ، ثم انتقل الى فرنسا حيث صار من الاساتذة هناك

وقبل الكلام عليه نذكر شيئاً كان قائمًا في ذلك الوقت على قدم وساق :

في منتصف القرن التاسع عشر أخذ المجمع العلمي في برلين يهتمّ بحركة جمع الكتابات اللاتينية القديمة المبعثرة في أوربا وآسيا وإفريقية ، وسمَّى هذا المجموع المشتمل على مجلدات كثيرة ضخمة باسم Carpus inscriptionum Latinarum

وفي عام ١٨٦٥ أراد مجمع العلوم بباريس أن يجاريَ المجمع الألماني ، فعرض على وزرة المعارف الفرنسية إنشاء مجموع الكتابات السامية ، وسمَّوه Carpus inscriptionum Semiticarum وقسموه أربعة أقسام كبيرة :

أولها للكتابات الفينيقية ،

والثاني للكتابات باللغات الآرامية ،

والثالث للكتابات العربية ،

والرابع للكتابات الحِمْيَرية ؛

ولم يذكروا في تقريرهم المرفوع لوزارة المعارف إلا الحِمْيَرية في عنوان

القسم الرابع ، لأنه حتى ذلك الحين لم يكن قد عُرف غيرها من لغات بلاد العرب الجنوبية ، مثل السَّبَإِية والمعينية

فقبلت الوزارة المشروع ، وقرر المجمع العلمي الباريسي المذكور إرسال هاليفي لجمع هذه الكتابات الحِمْيَرية ، فسافر من باريس سنة ١٨٦٩ ونزل عدن ومنها رَحَل الى لَحْجٍ ولكنه لم يجد فيها كتابات ، فلما صفرت يده هناك كرَّ راجعاً إلى الحُدَيدة ومنها دخل اليمن حتى بلغ صنعاء فلبث فيها مدة ينقّب عن الكتابات الاثرية لكنه لم يصل الى شيء كثير لقلة مافي صنعاء من ذلك ، والذي فيها من الكتابات الاثرية موجود في أماكن مرتفعة لايوصَل اليها ، وبعضها في مثل المساجد التي لايدخلها الأجنبي الا بأذن خاص يحصل عليه بصعوبة

قال الاستاذ نَلّينو : وقد سمعت أن في أحد مساجد صنعاء كتابات قديمة جداً لكن من المحال أن ينالها إلا مُسلم . وفضلاً عن صعوبة نسخ الكتابات الموجودة في المساجد فان أهل صنعاء استعملوا الاحجار القديمة في بناء دورهم فتشوّهت حروفها

أخذ هاليفي يجول في نواحي صنعاء ، ولاقى في ذلك مصاعبَ جمة اتت بفائدة قليلة ، لانه لم يجد من الكتابات الا بضع قطع عليها آيات أو سور من القرآن . ومن الممكن العثور على بقايا كتابات وأحجار أثرية إذا أمكن الحفر هناك ، لاننا نعرف ان (غُمْدان) كان في صنعاء ، وهو قصر لملوك صنعاء قبيل ظهور الاسلام ، فلما كان عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفّان (رضي الله عنه) أمر بهدمه ، ومما نُقل الينا من وصف هذا القصر العظيم - على ماورد في الكتب القديمة - أنه قصر ذو عشرين سقفاً ، غرفاً بعضها فوق بعض ، وكل الألواح من المرمر الأبيض مدفونة تحت الارض » . هذا معنى ما قاله الهَمْداني صاحب كتاب (الإكليل) ، وهو كتاب مقسَّم إلى عشره أقسام لم يصل الى أيدينا منها

إلا الثامن والتاسع ، ولم يطبع منهما الا نبذ نشرها الاستاذ مولر D. H. Müller

ولنأخذ الآن في هاليفي فانه بعد إقامته في صنعاء مدة أراد السفر الى بلاد (الجوف) وهي في شمال صنعاء ، ولم يكن أحد من قبله قد سافر اليها . وبلاد الجوف هذه كانت في نظر أهل صنعاء مقبرة لكل داخل فيها ولا سيما اذا كان من الاجانب . وليتمكّن هاليفي من دخول الجوف تزيَّى بزيّ يهود القدس ، فسهل عليه الامر ، خصوصاً وهو في الواقع يهودي واسمه من أسماء اليهود المعروفة وقد حصل هاليفي من حاخام صنعاء على رسائل وصاة الى اليهود المقيمين في الجوف ومعلوم أن النصارى يكاد لايكون لهم وجود في اليمن ، أما اليهود فانهم قدماء فيها وبقوا بعد الاسلام . وهم في غاية المهانة والصَّغار ، وأهل اليمن يسخرون منهم ويعبثون بهم ، وغاية ماهنالك أنهم مرخَّصٌ لهم بالتجوّل في أنحاء اليمن ، فبدأ هاليفي رحلته مستصحباً نحَّاساً يهودياً يُدعى (حاييم حَبْشوش) وهو من اليهود الاصليين فأمكنه بذلك أن يتجول بسهولة ، ومع ذلك فقد لقي غير مرة أخطاراً عظيمة كادت تودي بحياته . ولم يكن هاليفي يتمكن من نسخ الكتابات إلا خفية ، فكان يضع في كمه القلم والقرطاس حتى إذا رأى كتابة أخذ في نسخها الى أن يلوح له شبح انسان يخفق من بعيد فيتظاهر بالنوم ، وكان لذلك ينتهز وقت انشغال الناس بالصلاة فينسخ الكتابات ، وعلَّم صاحبه اليهوديَّ الحروف الحِمْيَرية ليساعده على النسخ

ومن العجيب في سلوك هاليفي أنه لم يذكر لنا شيئاً عن هذا اليهودي في الرسالة التي ألّفها عن رحلته هذه ، ولم يتعرض لطرفٍ من هذه الصحبة وما حصل عليه فيها من مساعدة ، ولا ندري ماذا كان غرضه من كتمان ذلك ، فبقي أمر هذه الصحبة خفيًّا حتى ارتحل العلاّمة غْلَيْزَر Glaser الى اليمن بعد خمسة عشر عاماً فوقف على جلية الامر . وانما ذكرتُ ذلك لأنه ظهرت لنا أشياء

عجيبة في كتابات هاليڤي : فقد كان بعضها منسوخاً بدقة وإحسان ، وبعضها ظاهر عليه أثر الغفلة وأخطاؤه بيّنة . واتضح بعد التدقيق والبحث أن هناك قطعاً كثيرة يكمّل بعضها بعضاً ، والواقع أنها قطعة كبيرة قد جزّئت . والسرّ في ذلك هو أن حبشوش اليهودي - على ما فيه من جشع وغدر - كان أجيراً ينال الاجر على قدر ماينسخ ، وكان هاليڤي يعطيه على القطعة الكبيرة مثل الاجر الذي يعطيه اياه على القطعة الصغيرة ، فكان حبشوش إذا رأى كتابة مطوّلة جداً يقسمها حين نَسخها الى أقسام استكثاراً للاجر بتكثير عدد الكتابات

﴿ بلاد الجوف - نجران - الأُخدود ﴾

الجوف مكان في غاية الاهمية ، لانه كان الجزء الاوسط من (مملكة مَعِين) التي لم يعرف أحد عنها شيئاً قبل وصول هاليڤي اليها وتدوينه ماشاهده فيها برسالته عن هذه الرحلة . وقد وصف هاليڤي في هذه الرسالة القسم المحصَّن من مدينة (معين) فقال :

« هو كائن على تلّ طوله نحو ٢٨٠ متراً وعرضه نحو ٢٤٠ متراً . أما السور الذي كان في أسفل التل فليس منه الآن إلا أجزاء في الجهة الشمالية ، وله بابان متقابلان : أحدهما في الجهة الشرقية ، والآخر في الجهة الغربية ، وهما لايزالان في أحسن حالة ، وكذلك الابراج القريبة منهما لا تزال في حالة جيدة . وهي كبيرة ضخمة شاهقة فاخرة المنظر . وهذه الابنية من حجارة منحوتة مربعة يلتصق بعضها ببعض بدون ملاط ولا جير ، ومع ذلك يراها الرائي كأنها حَجَر واحد ، وعلى أكثرها كتابات منقوشة يبلغ طول بعضها مقداراً عجيباً . أما في الداخل فأكثر هذه الآثار خرائب عبث البدو بها وحاولوا الاقامة في وسطها ، وقدبنوا بحجارتها القديمة مسجداً أيضاً »

وبعد أن قضى هاليڤي في بلاد الجوف ما أراد ارتحل الى الشمال ، وفي يونيو سنة ١٨٧٠ وصل الى (الخلاف) وهي قرية في واد متسع كثير الخير اسمه (وادي نَجْران) كانت فيه مدينة نجران العظيمة المشهورة عند مؤرخي اليونان القدماء ، وتحيط بالخلاف مياه جارية ينبت على حافاتها الشجر النضر

ومن خرائب الخلاف بقعة يسمونها مدينة (الأُخْدد) ويظنون أنها الموضع الذي أُشير اليه في سورة البروج من القرآن العزيز « والسَّماءِ ذاتِ البُروجِ واليومِ المَوْعودِ وشاهِدٍ ومَشْهود قُتِلَ أصحابُ الأُخدود والنارِ ذاتِ الوَقُود إذ هُم عليها قُعُود وهُم على ما يفعلون بالمؤمنين شُهود » . ولا شك أن تلك النواحي تتضمَّن عدداً كثيراً جداً من الآثار والكتابات المهمة العظيمة الفائدة ، ولكن هاليڤي كان عنها في شغل بالتواري عن أعين سكان البلاد والانضواء الى بيوت اليهود ، لأن أهالي تلك الجهة من الاسماعيليه (الباطنية) المتعصبين اسمهم (بنويام) وهم يكفّرون كل من خالف نحلتهم من المسلمين وغير المسلمين

وفي عودة هاليڤي الى صنعاء عثر في (براقش) وغيرها من القرى التي في طريقه على خرائب وكتابات فنسخ بعضها . وفي أغسطس سنة ١٨٧٠ وصل الى (مارب) فمنعه أهلها من النسخ . ثم مرَّ على الخرائب التي سماها أَرْنود Arnaud (١) (الخربة) والصحيح أنها (صِرْواحُ (٢)) وهي من المدن الكبرى في مملكة (سَبَأ) ، وفيها كتابات ذات قيمة عظيمة وفائدة كبيرة يقول عنها هاليڤي انه لم يرَ كمثلها طولاً في الكتابات الاخرى

ومع أن الظروف لم تكن مسعفة لهاليڤي فانه جمع ٦٨٦ كتابة فكان له الفضل الاكبر في كشف الكتابة الحميرية لكثرة مانقله منها . وهو الذى

(١) لا « اورنود Ornaud » كما جاء في ص ٥٠٦ و ٥٠٧ من الجزء الماضي ، وقد نبهنا الاستاذ نلينو الى ذلك فشكرا له

(٢) لا « سرواح » كما جاء في ص ٥٠٧ . وهذه أيضا مما نبهنا الاستاذ اليه

اكتشف آثار مملكة معين التي لم يذكرها العرب ولا اليونان ولا الرومان في كتبهم القديمة . واعتمد هاليفي على هذه الكتابات في تأليف كتاب في الصرف والنحو بلغة حِمْيَرَ وسَبَإٍ ومَعين ونشرها في المجلة الاسيوية Journal Asiatique سنة ١٨٧٣ . ومع كثرة الاغلاط في النسخ التي أتى بها لانها لم تُنقل بطريقة مطَّردة مطمئنة ومع ما كان من أمر اليهودي حبشوش الذي غش صاحبه في كثير من أعماله ، فان العلم باللغة الحميرية تقدم برحلة هاليفي خطوات واسعة فأُزيح النقاب عن أشياء كانت مكنونة في طيّات الغيب ، وتبين أن ذلك القسم الجنوبي من بلاد العرب كانت توجد فيه حضارة قديمة وممالك لم يرد ذكرها في كتب العرب واليونان والرومان . والحقُّ ان مساعي هاليفي كانت خير مساعد لفهم كل ماعُرف عن اليمن حتى ذلك الوقت ، فازداد علماء المشرقيّات شوقا الى مواصلة التنقيب عن أحوال اليمن ، لولا اضطراب تلك الديار بالعداء الذي كان قائما بين الاهالي والترك وحذر اليمانيين من الاجانب ولا سيما الفرنجة منهم ، فكان ذلك مما منع البعثات من زيارة اليمن زمنا طويلا

لانجر Siegfried Langer

بعد هاليفي بنحو ١٢ سنة حاول سِيگْفريد لانْجَر النمسوي التوغلَ في بلاد اليمن ، فهمَّ بما عزم عليه سنة ١٨٨٢ ، غير أنه لم يتمكن من التوغل في (الجوف) ، بل سافر من الحديدة الى صنعاء مارًّا في طريقه ببلدة (بيت الفقيه) و (ظوران) و (ضاف) . ولما وصل الى صنعاء لم يتمكن من الاقامة بها لأن الوالي التركي أجبره على الرجوع حالا الى الحديدة ، ومع ذلك فقد نسخ ٢٢ كتابة بينها خمس وجدها في (ضاف) . وهذه الصدمة لم تثن من عزم لانجر فحاولِ الدخول الى اليمن مرة ثانية من جهة عدن ، فلما كان في

وادي بنا على مسافة ٩٠ كيلو متراً من عدن اعترضه قطاع الطرق فقتلوه طمعاً بالمال ، وهو ثاني رجل مات ضحية البحث عن آثار اليمن

وبعد هـذا الرجل لم تصل الى أوربا من اليمن كتابات وآثار ، اللهم الا ما كان الاهالى يجدونه فيبيعونه للتجار ؛ من ذلك ألواح من الحجر أو البرنز ، ومباخر من الفخار ، وقطع تماثيل ولا سيما رءوس من المرمر . ومن المتاحف التي اقتنت هذه الآثار متحف قصر چينيلي في القسطنطينية ، وأغلب هـذه الاشياء لا تُعرف البقعة التي استُخرجت منها ، وهذا مما يقلل من أهميتها بالنسبة الى علم الآثار

﴿ المعينيون في العلا ﴾

من الجدير بالذكر أن ٦٩ كتابة باللغة المعينية ظهرت في أرض نازحة عن اليمن ، اكتشفها ونَسَخَها يوليوس أوتينغ Julius Euting عام ١٨٨٣ ، وهي منقوشة على الصخور فى قرية (العُلا) في القسم الشمالى من الحجاز بين المدينة وحدود الشام (فلسطين) ، وعلى مسافة غير بعيدة منها (مدائن صالح) واسمها القديم (الحِجْر) ويقول أهل تلك الجهات ان المغاور التى في الصخور كانت تسكنها ثمود ، وانها وطن النبى صالح (عليه السلام) . ولا شك أن هذه الجهة كانت بلاد ثمود ، ويظهر ذلك من الآثار المكتوبة بلغتهم وبلغة الانباط

وكان غريبا وجود كتابات معينية في هذه الجهة البعيدة عن مملكة معين غير أن وجودها فيها قد دلّنا على أن جالية كبيرة من تجار معين أقامت مدة طويلة في نواحي العُلا ، وذلك في مدة تسعة ملوك من ملوك معين مذكورين في هذه الكتابات التى كان أصحابها يبنون بروجا وحصونا للاعتصام بها ، ويبنون هياكل يعبدون فيها آلهة معين

﴿ استدراك ﴾

بدأنا في الجزء الماضي بنشر المعلومات القيّمة التي يلقيها العلاّمة المحقق الاستاذ كارلو نالينو C. A. Nallino [1] على طلبة الجامعة ، واعتمدنا في نشرها على المذكرات التي يكتبها صديقنا السيد محمود محمدشاكر سماعا من الاستاذ ولما اطلع الاستاذ على ما نشر من محاضراته في الزهراء وقع ذلك منه موقع الرضا ، وكلّف نفسه مهمة الاطلاع على ما سننشره قبل نشره تفاديًا من وقوع الخطأ في الأعلام وغيرها و كتب لنا بخطه استدراكا لما وقع من ذلك فيما نشر في الجزء الماضي ولم يطلع عليه قبل نشره

ويرى الاستاذ أن الغرض من هذه المحاضرات ذكر الذين اكتشفوا كتابات قديمة في اليمن وليس الغرض منها ذكر جميع روّاد اليمن ، لذلك أهمل ذكر الذين توغلوا في تلك البلاد لأغراض جغرافية وعلمية أخرى مع مالهم من فضل

ومما نبّهنا الاستاذ الى تصحيحه اسم لودريكو ڤارتتينا الذي مضى في موضعين من ص ٥٠٢ وصوابه لُودُ ڤيكودي ڤارتيما Ludovico di Vartema والذي سَجَنه ليس أحد أمراء عدن بل أحد امراء اليمن وهو سلطان مدينة على ثماني مراحل من عدن اسمها Rhada ويظن الاستاذ أنها (رَداع) الواقعة شرقي ذمار

وجاء في ص ٥٠٤ سطر ١٢ و ١٥ وفي الحاشية أيضًا اسم (نيبهر) والصواب (سِيتزِن) . وفي سطر ١٥ « لم يكتب . . . عن اليمن » والصواب « لم يكتشف . . . في اليمن »

وفي ص ٥٠٥ سطر ١١ « خرائط متقنة الصنع ملوّنة رسومها باللون الاحمر » والصواب « خطوط غير منقوشة بل مرسومة على الحجر باللون الاحمر »

وفي ص ٥٠٥ ـ ٥٠٦ الصواب : « اثنتان منها كاد لا يكون فيهما شيء من

(١) وردحرف C في الجزء الماضي برسم E خطأ فليصحح

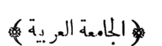
التلف أو النقص ، وقد نسخها كلها وأرسلها الى أوربا فاستفاد من الكاملتين منها العلامة . . . »

وفي ص ٥٠٨ سطر ١ ـ ٢ « في العربيـة . . . بالعربية » والصواب « في الخط الحبشي . . . بالحبشية » . ولم يقتصر فرنل في ذلك الكتاب على اثبات معنى الحروف ، بل اجتهد أيضاً في فهم شيء من لغة تلك الكتابات

وفي سطر ١١ « وألف فيه كتاباً » والصواب « وألف فيه ثلاث مقالات »

وفي سطر ١٣ « ١٨٧٦ » والصواب « ١٨٦٧ » . وكذلك في الموضع الاول من السطر ١٥ « سنة ١٨٧٠ » وصوابه « ١٨٦٧ »

وفي ص ٥٠٩ سطر ٤ « بامام اليمن » والصواب « بوالي اليمن التركي »



﴿ الجامعة العربية ﴾

واجب العربي في كل منطقة

اجتمع صاحب جريدة الكرمل والاستاذ السيد عبد الله مخلص بالمستشرق مستر جب Gibb وكان مما قاله لهما : « من واجب طلاب الجامعة العربية في كل منطقة أن يعملوا لهـا في مناطقهم : بالسعي لاصلاح الأخلاق ، وتحسين الحـالة الاجتماعية ، والنهضة الاقتصادية ، وتكوين رأي عربيّ عامّ ، كما يسعى من يريد أن يبني بيتاً لاعداد جميع مواد البنـاء . حينئذ يصير من المستطاع بنـاء الجامعة العربية . ويجب أن تعتمدوا في جميع ذلك على أنفسكم »



الدواة

يا دواةُ اجعلي مِدادَكِ ورداً لوُفود الأقلام حيناً فحينا
وليكنْ كالزمان حالاً وحالاً تارةً آسِناً وأُخرى مَعينا
أكرمي العلمَ، وامنحي خادميه ماءكِ الغاليَ النفيسَ الثمينا
وابذُلي الصافيَ المطهَّرَ منه لهُداةِ السَّرائر المرشدينا
وإذا الظلمُ والظلام استعانا يومَ نحسٍ بأجهل الجاهلينا
واستمدَّا من الشرور مِداداً فاجعليه مِن قسمةِ الظالمينا
واقذفي في النقطة التي بات فيها غضبُ القاهر المُذِلِّ كَمينا
ليراعِ امرئٍ اذا خطَّ سطراً نبذ الحقَّ وارتضى المَيْنَ دينا
واذا كان فيكِ نقطةُ سُوءٍ كُوِّنَتْ من خَبائثٍ تكوينا
فاجعليها قِسطَ الذين استباحوا في السياساتِ حُرمةَ الاضعفينا
وإذا خِفتِ أن يكون من الصخر جلاميدُ ترجم السامعينا
فابخَلي بالمِداد بُخلاً وإن أُعطيتِ فيه المِئينَ ثم المئينا
فاذا أعوَزَ المدادُ طبيباً يصفُ الداءَ دائباً مستعينا
فامنحيه المرادَ منّا وعرفاً واستطيبي مَعونةَ المحسنينا
وإذا مُهجةُ الحمائم أسدتْ نقطةً سِرَّها الزكيَّ المصونا
فاجعليها على المودّات وقفاً وَهَبيها رسائلَ الشيّقينا
فاذا لم تكنْ بقلبكِ إلاَّ ما أعدَّ الاخلاصُ للمخلصينا
فاجعليه حظّي لا كتبَ منه شَرْحَ حالي لسيّد المرسلينا

اسماعيل صبري باشا

ابن المقفع

من محاضرات العلاّمة الشيخ أحمد الاسكندري بدار العلوم

منشأ ابن المقفع ومرباه ـ تصرفه وعمله ـ مقتله
عقيدته ـ علمه وذكاؤه ـ أخلاقه

هو أبو محمد عبد الله بن المقفَّع : أحدُ فحول البـلاغة ، وثاني اثنين مهَّدا للكتّاب طريقَ الترسُّل ، ورفعا لهم مَعالم صناعة الانشاء ؛ أولهما عبد الحميـد ابن يحيى

منشؤه ومرباه

كان عبد الله من أبناء الفُرْس الناشئين بين أحيـاء العرب ، وأصل أهله من خوز مدينة من كُوَر فارس . ولد في العُشر الاوّل من القرن الثـانى . ونشأ بالبصرة وكان والده مجوسيًا يتولّى خَراج فارس للحجّاج بن يوسف الثقفي على رواية أو لخالد القسري على أخرى وهي أقربهما من الصحة ، فاتّهم في خيانة فضربه الحجاج ـ أو يوسف بن عمر بن هبيرة والي العراق بعد خالد ـ ضرباً تقفَّعت منه يده (أي تشنَّجت) فلقّب بالمقفَّع وغلب على اسمه دازَوَيْهِ ولقبـه المبـارك . وقيل في تسميته غير ذلك . وبقى ابنُه على دينـه أكثر عمره وكان يسمي (روزبه) ويكنى بأبي عمرو ، ثم أسلم في كهولته على يد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس وسمي عبدَ الله وكنى أبا محمد

وإذ كان أبوه من عمال الخراج وكتّاب الدواوين ، والدولةُ حينئذ عربية محضة ، أخذه بتعليم صناعته واستكمال عَتادها واستيفاء أداتهـا : بالتفوق فى العربية والفارسية ، فقد كان منتهى شرف الفارسي فى مُلك بني أمية أن يكون كاتباً أو مترجماً أو عالماً ، فلم يبلغ روزبة سنَّ الشبيبة حتى جمع كل هذه الخصال بأمور تهيأت له ـ فوق ذكائه المفرط وسلامة ذوقه ـ :

منها أنه نشأ بالبصرة ، وهي ما علمت حلبة العرب وعش الفقهاء والرواة والمحدّثين وأصحاب اللغة وحاضرة البر والبحر وقرارة المرْبَد منتدى البلغاء والخطباء والشعراء

ومنها نشأته في ولاء آل الاهتم بيت الخطابة ومعدِن الفصاحة ، حيث نشأ خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة الاهتميان

ومنها ملازمته لعبد الحميد ، فاقتبس كلٌّ من صاحبه خَصلة كانت لقاحاً لكتابته ، فكما اقتبس عبد الحميد من فارسية ابن المقفع تهويلَ الأوصاف وتفخيم الثناء والتحميد وتطويل الجمل ودقة التصور والخيال ، اقتبس ابنُ المقفع من عبد الحميد توضيحَ المعاني وجزالة اللفظ ولطف الاشارة والازدواج وطلاقة القول وصناعة الرسائل المسهبة التي ورثها عبدُ الحميد من استاذه سالم مولى هشام ابن عبد الملك . ويظهر أن صداقتهما كانت منذ أيام الصبا إذ نشأ كلاهما بالعراق ، لأن عبد الحميد من أهل الانبار ، ثم استمرت الصحبة حتى فرَّق الموت بينهما

ومنها عنايته بالرواية ، والأخذ عن الأعراب الذين كانوا يفِدون على البصرة ، ولا سيما أبي الجاموس ثور بن يزيد ، وهو أعرابي كان كثير الانتجاع لآل سليمان بن علي وتخرَّج عليه ابن المقفع في الفصاحة وصحة اللسان

تصرفه وعمله

ولما استحكمتْ مِرَّته وذاع فضله ، استكتبَه في عصر بني أمية داود بن عمر بن هبيرة ، ثم كتب فى زمن بني العباس لعيسى بن علي في ولايته على كرمان ، وعلى يديه أسلم : جاء اليه يوماً وقال له « قد دخل الاسلام في قلبي ، وأريد أن أسلم على يدك » فقال عيسى « ليكنْ ذلك بمحضر من القوّاد ووجوه الناس ، فاذا كان الغد فاحضر » وحضر طعامَ عيسى عشيةً فجلس ابنُ المقفَّع يأكل ويزمزم على عادة المجوس ، فقال له عيسى « اتزمزم وأنت على دين الاسلام ؟ »

فقال « أكره أن أبيتَ على غير دين » ، فلما أصبح أسلم وغيّر اسمه وكنيته . وروى الجاحظ أن اسماعيل بن علي ألزمه بعضَ بنيه ليعلمه . ثم كان في خدمة سليمان بن علي أيام ولايته على البصرة والبحرين وعُمان ، ثم اتصل بأبي جعفر المنصور بالأنبار فترجم له كتاب كليلة ودمنة وكُتبَ آداب الفرس وبعضَ كتب اليونان المترجمة من قبل الى الفارسية

مقتله

لما امتنع عبدُ الله بن علي من بيعة المنصور ، وانهزم من أبي مسلم الخراساني ، لجأ هو وأصحابه الى أخيه سليمان والى البصرة واختفى عنده مدة حتى عزله المنصور وولى مكانه سفيان بن معاوية المهلَّبي ، فتوارى عبدُ الله خوفاً على نفسه ، فعلم المنصور ذلك فعزم على سليمان وأخيه عيسى أن يحضرا بعبد الله اليه بالحيرة على أن يأخذا له من شروط الأمان ماشاءا . فتقدَّما الى ابن المقفع بكتابة شرط الأمان ليوقّع عليه المنصور ، فتشدَّد فيه وتصعب ، وكان مما كتب « ومتى غدر أميرُ المؤمنين بعمّه عبدالله فنساؤه طَوالق ودوابُّه حُبُس وعبيده أحرار والمسلمون في حِلّ من بيعته » فاشتدَّ ذلك على المنصور ، وخاصةً أمرُ البيعة ، وحقدَها عليه . ويقال إنه كتب الى سفيان بقتله خفية بعد حادثة الأمان بأربع سنين خشية غضب عمه . ويقال انه بعد عزل سليمان عن البصرة بسفيان كان ابن المقفع يستخفُّ به ويقع فيه وينال منه . فبعث به سليمان ذات مرة الى سفيان فتلكَّأ عليه خوف أن يلحقه أذى من سفيان ، فأقنعه أن ذلك لا يكون لمكانه من قرابة الخليفة ، فامتثل ودخل دارَه ولم يخرج منها ، فهاج ذلك سليمانَ وعيسى ، وخاصماه الى المنصور وأحضرا الشهود الذين شاهدوه قد دخل دارَه ولم يخرج ، فقال المنصور للشهود أرأيتم ان قتلتُ سفيانَ به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت ــ وأشار الى بيت خلفه ــ وخاطبكم ماتروني صانعاً بكم : أأقتلكم بسفيان؟

فرجعوا كلهم عن الشهادة ، وأضرب سليان وعيسى عن ذكره لانقطاع حجتهما وهيبةً من المنصور . والمشهور أن سفيان قطعه إرْبا إرْبا وحرقه في داره وذرى رماده في بطيحة البصرة كي لا تبقى له رمة اذا بُحثت داره ، وقال : ليس عليَّ في هذه المَثْلَة بك حرَج ، لانك زنديق وقد افسدت الناس * والمعقول أن كتابة الأمان لم تكن السبب الحقيقي فى مقتله ، لان المنصور أمضى هذا الامان وأقرَّه ولم يردَّه ، فكيف يقبله ويقتل كاتبه وهو ليس إلا خادماً مأموراً من سادته . وانما قتله سفيان لوقيعته فيه . ولان المنصور كان قد شرع يفتك بالزنادقة فانتهز سفيان الفرصة فاغتاله سنة ١٤٢ ، وثبت عند المنصور زَيغه فتراخى فى المطالبة بدمه

مقيدته

يَتهَّم كثير من أهل الأخبار ابنَ المقفع في إسلامه ، كأنهم رأوا أنه رغب بذلك في دنيا يحصّلها من دولة بني هاشم ، وان اتصاله بسليان وعيسى عَمَّي المنصور وكتابتَه لهما وتوليَه باسلامه لهما أطمعَه في ذلك ، ولهم فى زعمهم عدَّة شُبَه:

منها أن أكثر كتب المبتدعة من الثَّنَوية — كالمانوية والمزْدَكية والمرْقونية وغيرهم ممن كان يطلق عليهم اسم زنادقة — ترجمها ابنُ المقفع الى العربية كما ترجم بعض كتب فى المنطق والفلسفة اليونانية كانت نقلت قبلُ إلى اللسان الفارسي أواخرَ الدولة الساسانية ، ولم تكن العرب لذلك العهد نقَلت شيئاً منها الى لسانها ، روى جعفر بن سليمان عن المهدي أنه قال : ما وجدتُ كتابَ زندقة الا وأصله ابنُ المقفع

ومنهـا أنه كان أحدَ بضعةَ عشر رجلا لا يكادون يفترقون : يتنادمون ، ويتهاجون هزلا وعمداً ، وكلهم متَّهم في دينه وقرينُ المرء صورة منه ، وأولئك هم : والِبَةُ بن الحباب ، ومطيع بن اياس ، ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالى ،

وحفص بن أبي وردة ، ويونس بن أبي فروة ، وحماد عجرد ، وعلي بن الخليل ، وحماد ابن ليلي الراوية ، وابن الزبرقان ، وجميل بن محفوظ ، وبشار بن برد ، وأبان اللاحقي.

ومنها أنه رثى يحيى بن زياد ـ وكان رأساً في الزندقة ـ بالأبيات الآتية .

وقال الاخفش : والصحيح أنه رثى ابن أبي العوجاء ، وهو زنديق كان يضع الحديث . روى الطبري أنه لما قدمه محمد بن سليمان بن علي والي الكوفة للقتل قال :

« أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرّم فيها الحلال وأحلل فيها الحرام . والله لقد فطّرتكم في يوم صومكم وصوّمتكم في يوم فطركم »

والابيات هي :

رُزِئنا أبا عمرو ولا حَيَّ مثله ... فلله ريب الحادثات بمن وقعْ
لئن تكُ قد فارقْتَنا وتركتنا ... ذوي خَلَّة ما في انسدادٍ لها طمع
لقد جرَّ نفعاً فقدُنا لك أننا ... أمنَّا على كل الرزايا من الجزع

ونقول : ذكرَ الطبرى قتلَ ابن أبي العوجاء في حوادث سنة ١٥٥ وابن المقفع قتل سنة ١٤٢ أو سنة ١٤٣ على المشهور أو قبل ذلك على الراجح والمعقول لان وفاة سليمان بن علي وهو من المطالبين بدم ابن المقفع كانت فى سنة ١٤٢ ؛ ويرى ده سامى Le Baron Silvestre de Sacy أنها كانت سنة ١٣٩

ومنها أنه ليلة بيَّت الاسلام تعشَّى عشيتها عند عيسى بن علي فأخذ يزمزم على الطعام كالمجوس ، فلو كان قلبه منشرحاً للاسلام معتقداً بطلان ما كان فيه لما زمزم ، وإلا كان عبثاً وعَنتاً . ويلحق بهذه الشبهة أن ابن شَبَّة قال : حدثنى من سمع ابن المقفع وقد مر على بيت نار للمجوس بعد أن اسلم فلمحه وتمثَّل :

يا بيتَ عاتكةَ التى أتعزَّلُ ... حذَرَ العِدَى وبك الفؤادُ موكَّل

إني لامنحكَ الصدودَ ، وانني قَسَماً اليك مع الصدود لأَمْيَل

نقول : إن هذه الشبه محتملةُ الصدق كما انها محتملة البطلان ، اذ يجوز أن هذه الكتب ترجمها قبل إظهارِه الاسلامفانتشرت في أيدي الزنادقة وكانت سبباً في ضلال كثير من الناس . وانَّ تصادُق مختلفي المذاهب والاعتقاد ورثاء بعضهم لبعض كثيرٌ فاش ، وخصوصا اذا جمعتهم صناعة : فقد رثى الشريف الرضيُّ أبا اسحاق الصابي ، ورثى ثابتُ بن هرون الرَّقي النصراني أبا الطيب المتنبيء . وان كان اعتقادُنا أن كثيراً من أمثال ابن المقفع من أبناء الفرس تظاهروا بالاسلام : إما لاصابة غرض معاشي أو سياسي من الدولة ، وإما لنكايةٍ في الاسلام وتضليلٍ لاهله . وحوادثُ التاريخ ، وكتب الديانات شواهد عدل على أعمالهم

علمه وذكاؤه

المشهور أن ابن المقفع كان نادرة في الذكاء ، غاية في جمع علوم اللغة والحكمة وتاريخ الفرس . ويقال انه لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ، ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ، الا أنه لم يكن كيّسا حازما . وكان الخليل بن أحمد يحبُّ أن يرى ابن المقفع وهو يحب أن يرى الخليل ؛ فجمعهما بعض الكبراء ، فمكثا يتحادثان ثلاثة أيام ثم افترقا ؛ فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ فقال : ما رأيت مثله ، وعلمُه أكثر من عقله . وقيل لعبد الله : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : ما رأيت مثله ، وعقلُه أكثر من علمه . فقال بعضهم في ذلك : صدقا فان عقل الخليل أدَّاه الى أن مات أزهدَ الناس ، وانّ نقص عقل ابن المقفع أدَّاه الى أن كتب أمانَ عبد الله بن علي بصورة أفضت الى قتله

كان فى سائر أحواله متأدبا متعففا ، قليل الاختلاط الا بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لاصحابه . كتب اليه يحيى بن زياد ـ قبل مصادقته له ـ يلتمس اليه معاقدة الاخاء والاجتماع على المودَّة والصفاء ، فأخَّر جوابه . فكتب اليه كتاباً آخر يستريثه ، فكتب اليه عبد الله « ان الاخاء رقّ ، فكرهتُ أن أملّكك رقّي قبل أن أعرف حق كنهك »

ومن وفائه ما حكي أنه لما قُتل مروان بن محمد استخفى عبدُ الحميد ابن يحيى عند ابن المقفع ، فغمز عليه ، ففاجأهما الطلب وهما فى بيت واحد ، فقيل : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل منهما : أنا . خوفا على صاحبه . ثم عُرف عبد الحميد بأمارات فيه فأخذ

٢ — خواطر وأفكار

لوح قبر امرأة

من القرن الرابع الهجري

قرأتُ في مجلة الزهراء الزاهرة (م ٣ ص٣١٣) الكتابة التاريخية المنقولة عن قبر طفل من القرن الثالث الهجري ، فذكَّرني بلوح قبرٍ يرجع الى القرن الرابع كنتُ عثرت عليه في مدينة الرملة البيضاء في مكان يسميه أهلها السندريّة، وهو من الرخام ، وقَطْعُهُ يدلّ علي كبر حجمه وأنه أحد أركان قبر يُظَنّ أنه كان في مقبرة الرملة وأنّه كان مؤلفاً من أربعة ألواح كالذي اكتشف في الفسطاط . وهذا اللوح الذي نُقرت الكتابة فيه نقراً بعد أن تُرك له في جوانبه الأربعة شبهُ اطار جميل فيه من بديع الصنعة مايجلب الروعة . وهذا نصّ الكتابة الكوفية بدون اعجام :

١ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ الله لا اله الا هو الحي القيوم
٣ لا تأخذه سنة ولا نوم له ما
٤ في السموات وما في الارض
٥ من ذا الذي يشفع عنده الا با
٦ ذنه يعلم مابين أيديهم وما
٧ خلفهم ولا يحيطون بشيء من
٨ علمه الا بما شاء وسع كرسيه
٩ السموات والارض ولا يؤوده
١٠ حفظهما وهو العلي العظيم
١١ هذا قبر عائشة ابنت معقل بن
١٢ أحمد بن محمد بن نصر النداف
١٣ توفيت يوم الاثنين النصف من
١٤ جمادي الاولى سنة احدى عشرة
١٥ وثلاث مائة رحمها الله

وعلى ذكر اهتمام مصلحة الآثار العربية بمصر بمثل هذه الآثار القيّمة أذكر للمتحف الاسلامي ودار الآثار الفلسطينية نقيضَ اهتمامهما بمثل هذه الشؤن . فقد كنت أخبرت الصديق الاستاذ عادل جبر مدير المتحف ودار كتب المسجد الاقصى بذلك اللوح وأنه يجدر بنا أن يكون بين تلك الآثار المعدودة الضئيلة التي جُمعت في إحدى زوايا المسجد الاقصى وسُميت باسم (المتحف الاسلامي) فأظهر اهتمامه به ، ثم عُدت فسألته بعد مدّة فأجابني بان المجلس الاسلامي قد كتب الى مأمور أوقاف يافا التي تجاورها الرملة بارسال ذلك اللوح ولمّا يرسله

وبعد هذا الحديث بشهور شافهتُ الدكتور ماير مساعد مدير دار الآثار الفلسطينية وقلت له : انّ جلب هذا اللوح الى دار الآثار لايكلّفها الاّ أجر النقل من الرملة الى بيت المقدس ، وهوشيء زهيد اذا قيس بقيمة اللوح الأثريّة فألفيته عديم العناية بذلك ، وقد اعتذر بعدم وجود مخصّص لمثل هذه النفقات ! فاستنكرت هذا أكثر من استنكاري اهمال دوائر الوقف

والذي أعلمه أنّي فارقتُ بيت المقدس قبل عامين ونصف ولم يكن اللوح قد جيء به الى المتحف الاسلامي أو دار الآثار

والمؤسف أن يضيع مثل هذه الآثار الصناعيّة الدقيقة بين الامهال والاهمال

حيفا عبد الله مخلص

غفرتنا . . .

تنجو الممالكُ ما نجا استقلالُها فاذا اضمحلَّ أعارها اضمحلالا
ما قام شَعبٌ نام عنه وُلاتُه واستشعروا التفريطَ والإهمالا

***

إيهاً ولاةَ الشرق ، إن وراءكم قوماً يوالون المغار عِجالا
سدُّوا الفضاء ، وإنني لإخالهم جناً بأرض الشرق أو أغوالا
وكأنَّ ذا القرنين عُوجل سَدُّه وأراد ربُّك أن يَحول ، فحالا
لا يَشبعون ، ولا يزال طعامُهم شَعباً أشلَّ ، وأمةً مِكسالا !

***

تأبىٰ الطبيعةُ أن تُصافحَ أمةً ترضى الهوانَ وتألف الإذلالا
حيرىٰ بمضطرب الحياة يروقها ألاَّ تزالَ على الشعوب عيالا
ورهاءَ تخذُل من يقوم بنصرها وتظلُّ تنصرُ دونه الخذّالا
وإذا أهابَ بها الهداةُ رأيتَها تَعصي الهداةَ وتتبع الضُلاّلا
تسعىٰ الشعوبُ، ونحن في غفلاتنا نأبى الفعال ونُكثرُ الأقوالا
رُكبوا متُونَ العاصِفات، وشأننا أن نركب الأوهام والآمالا[1]

***

يا باعثَ الموتىٰ ليوم مَعادها تَنسابُ من أجداثها أرسالا
أعدِ الحيـاةَ لأمةٍ أودَت بها غَفلاتُها ، فثوَت سنينَ طِوالا

---

(١) المجددون في اليابان ـ مثلا ـ بدأوا بالتجديد من دولاب الماكنات وانشاء أفران الفحم الحجري في المصانع وتأليف شركات للبواخر ، أما المجددون عندنا فبدأوا بالتجديد من كتاب الشيخ علي عبد الرازق وكتاب طه حسين وقرار جمعية الاطباء الخاص بلبس البرنيطة فسبحان الموفق . . .

وأضيء لها سُبُل النجاة ليهتدي من زاغ عن وضح الطريق ومالا
وتولَّها بالصالحات ، واقهـا منك الأمان ، ووَقِّها الأوجالا
وامنُنْ عليها من لَدُنْكَ بقوَّة تُوهي القيودَ وتَصدَع الأغلالا
لا تجعلنَّا في المهانة آيةً تخزي الوجوه ، وفي الجمود مِثالا
واجمع على صِدق الاخاء فضاضنا .فلقد تفرَّق يمنةً وشمالا
أودَى بنا بين الشعوب تباغُضٌ صَدَع القلوب ومزَّق الأوصالا
تستفحلُ النكبات بين ظهورنا ويزيد مُعضل دائنا استفحالا
نلهو ونلعب جاهلين ، وإنني لأرى حيـاة الجاهلين مُحالا

***

لهفي على الشرق الحزين وأمةٍ لا تبتغي عزًّا ولا استقلالا
اللهُ يحكم في الممالك وحدَه ويصرّف الأقدار والآجالا

أحمد محرَّم

﴿ تأثير العربية على العبرية ﴾

كان صديقنا السيد عبد الله مخلص يذكر لبعض الافاضل بمدينة حيفا قولاً للاستاذ مرغليوث عما كان للعربية من التأثير في العبرية ، وكان أحد أفاضـل المستشرقين يسمع هذا القول ، فأيَّد نظرية مرغليوث وقال :

« ان شريعة اليهود الدينية المسماة (شولخان آروخ) أو (المـائدة المعدة) كتبت في الاصل بالعربية والعالم الشهير ميمون الذي جمع كل الشرائع اليهودية وضعها في ٩ مجلدات ضخمة : وفيها صور الايمـان الثلاثة عشر التي يجب على كل يهودي أن يذكرها في صلاته كل صباح ، وكانت كلها مكتوبة في الاصل بالعربية . ثم ان كتاب (دليل المحتار) العبري كتب أيضاً في الاساس بالعربية»

وضع الكلمات في غير مواضعها

من أوضح الأدلة على عبث فريق من حَمَلَةِ القلم باصول اللغة ، وجهلهم أسرارها وضْعُهُم كثيراً من الكلمات في غير مواضعها ، واستعمالهم اياها فيما ينافي معناها الأصليّ . ولا يخفى على متبحّرٍ في العربية أنّ هنالك طائفةً من المفردات والجمل انما تستعمل في أغراض خاصة ولا يجوز أن تكون عامة الاستعمال

من ذلك قولهم في جماعة من السيّاح قدموا الى مدينة : « أخذوا يَجُوسون خِلاَلَ ديارها » يريدون أنّ السياح أخذوا يجولون في شوارعها وأحيائها . فهذه الجملة لا تستعمل الا في الغارات والحروب ، وفي كتبِ اللغة « جاسوا خلال الديار والبيوت جوساً وجَوَساناً : تردّدوا وطافوا بينها في الغارة »

فالذين يطوفون بين البيوت في الغارة انما يقصدون أن يوقعوا بمن يلقون من سكانها أو يأسروهم أو يسلبوهم أشياءهم ، والسياح لا يريدون شيئاً من ذلك

ومن ذلك إطلاقهم لفظة (قاموس) على كل كتاب جمع مفردات اللغة ؛ فلسان العرب عندهم قاموس وتاج العروس قاموس ومحيط المحيط قاموس وصحاح الجوهريّ قاموس ، مع أن القاموس في اللغة هو البحر أو وسطه أو أبعد مكانٍ فيهِ غوراً . وهو اسم كتابٍ بعينه ألّفه الفيروزابادي وسماه (القاموس) لكثرة ما جمع من مفردات اللغة تشبيهاً له بالبحر . وعلى هذا لا يجوز أن يسمى كل كتاب في اللغة قاموساً

ومن ذلك استعمالهم لفظة (آل) وهي الأهل لكل من الناس مع أن هذه اللفظة إنما تستعمل لذوي الشرف والرتبة العالية فتقول مثلا « آلُ النبيّ وآل الخليفة » ونحو ذلك ولا يجوز أن تقول « آل البيطار وآل الاسكاف »

ومنه أنهم ينعتون بالأديب من يكون قد أدرك بعض الشيء من الأدب وهم في ذلك مخطئون فالأديب هو من حذق جميع فنون الأدب وتضلَّع منها

ومنه قولهم « أصبح فلان من كثرة الدَّين في مأزقٍ حرج » ولا تستعمل هذه الكلمة (مأزق) الا في الحرب ومثلها (مأقط)

واستعمالهم (الصحيفة) بمعنى الصفحة وانما هي الورقة بوجهيها فكلٌّ من الوجهين صفحة

وقولهم « أسدٌ كاسر » ولفظة كاسر مما توصف به الطير كقولك « نَسر كاسر » وهي من كسرَ الطائر جناحيه اذا ضمهما يريد الوقوع

وقولهم « بلغني نبأَ عزمك على زيارتي » والنبأ وان كان بمعنى الخبر لا يستعمل الا فيما كان له شأن خطير ، وفي الكتاب الكريم « عمَّ يتَسَاءلون عن النبَأِ العظيم . . . »

وقولهم « طرقوه صباحاً » والطروق هو الاتيان في الليل خاصةً

وقولهم « فلانٌ كهلٌ في الستين من عمره » وهذا خطأ لأن الكهولة من السنة الحادية والثلاثين الى السنة الحادية والخمسين ، وقيل بل من الرابعة والثلاثين الى الحادية والخمسين

وتسميتهم الوالي (حاكما) والحاكم في الأصل هو القاضي

وتسميتهم كل عمل يتولاَّه المرء للدولة (وظيفة) والوظيفة في الأصل هي ما يُعَيَّنُ من طعام ورزق ونحو ذلك

وقولهم « اعتدى فلان على عمه » يعنون بعمه أبا امرأته ، والوجه أن يقال « اعتدى فلان على حميه » لأن العم هو أخو الأب لا أبو الزوجة

وتسميتهم من يكتب الجريدة (محرّراً) مع ان المحرر هو الذي ينظر فيما يُكتَب أو يؤَلَّف فيقوّمه ويصلحه ويهذّبه وينسقه

وقولهم « مدّوا أياديهم » والصواب « أيديهم » لأن اليد اذا عني بها الجارحة ُجمعت على أيدٍ . وأما الأيادي فجمع اليد المقصود بها النعمة ، يقال « هم قوم بعض الأيادي » أي ينعمون على الناس . ولا يجوز أن توضع احدى اللفظتين موضع الاخرى

واستعمالهم لفظة (سائر) بمعنى جميع فيقولون « ذلك أمرٌ يعلمه سائر الناس» أي جميعهم مع أنها بمعنى بقية كقولك « الملوك أعلى منزلة من سائر الناس » أي من بقيتهم

وقولهم « سررت برؤيا تلك الحفلة الحافلة » والصواب برؤية لأن الرؤيا تستعمل لما يُرى في النوم خاصة

ومن الكلمات التي يضعونها في غير مواضعها (طِيلة) بكسر الطاء وإسكان الياء وفتح اللام وهي بمعنى عُمْر فيستعملونها بمعنى طول فيقولون « أقام بيننا طِيلة السنة » و « قضى عندنا طيلة الشهر » يريدون طول السنة وطول الشهر

وما وجدت كاتباً رزقه الله ذوقاً سليما من المتأخرين ولا واحداً من المتقدمين على الاطلاق يستعمل طيلة حتى بمعناها الأصليّ لسخافتها وكونها من الألفاظ التي لا تجري على لسانٍ فصيحٍ ، فما حجة الذين يستعملونها بغير معناها على سخافتها ـ وبذلك يتبعون الخطأ اللغويّ خطأً بيانياً

وانك لتجد معظم كتاب المجلات والجرائد العربية مشغوفين (بطيلة) جدّ الشغف فتكاد تراها في كل سطرٍ بل في كل فقرةٍ مما يكتبون . . . فكأنها العامرية التي ذكرها الشاعر في قوله :

لا تقلْ دارُها بشرقيّ نجدٍ كلُّ نجدٍ للعامرية دارُ
ولها منزلٌ على كل ماءٍ وعلى كل دِمنةٍ آثارُ

***

من دواعي الأسف أنَّ اللفظ أسرعُ ما يكون علوقًا بأقلام فريق من الكتّاب ودورانًا على ألسنتهم ورسوخًا في أذهانهم اذا كان سخيفًا موضوعًا في غير موضعه مثل (طيلة) أو كان منافيًا لاصول اللغة وقواعد العربية . وانك لو حاولت اقناعهم بأن يستبدلوا به لفظًا صحيحاً فصيحاً لكنت كمن يحاول أن يزيل سوادَ الزنجيّ بالماء ، أو أن يجعل العجوز الدميمة فتاة حسناء

أمين ناصر الدين

كفر متى ــ لبنان صاحب جريدة الصفا

﴿ بقيَّةُ قلم ﴾

أهدى الاستاذ العلامة السيد محمد الخضر حسين التونسي بقية القلم الذي ألف به كتابه في الرد على طه حسين الى خزانة الاستاذ العلامة الجليل صاحب السعادة احمد تيمور باشا ، وأرسل معه بطاقة كتب فيها ما يلي :

كان هذا القلم آخرَ أقلامٍ ثلاثة حرَّرتُ بها نقضَ كتاب « في الشعر الجاهلي » . وقد رأيتُ أن اهديَ هذه البقية منه الى خزانة صاحب السعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا ، وقلتُ على لسان القلم هذه الابيات :

سَفكتْ دمي في الطِرْس أنملُ كاتبٍ وطوَتْنيَ المبْراةُ إلا ما ترىٰ
ناضلتُ عن حقّ يحاولُ ذو هوًى تصويرَه للناس شيئًا مُنكرا
لا تضربوا وجهَ الثرىٰ ببقيّةٍ منّي كما تُرمىٰ النَّواةُ وتُزْدَرىٰ
فخزانةُ الاستاذ تيمور ازدهتْ بحلًى من العرفان تبهرُ منظرا
فأنا الشهيدُ ، وتلك جنّاتُ الهدىٰ لا أبتغي بسوَى ذراها مظهر

حامد البقار

إنهضْ ! فشعبكَ للبسالةِ حامدُ … شعبٌ بذمّته مآثرٌ ومحامد
إنهضْ زعيمَ الريف بعدزعيمه … يهوي زعيمٌ حين يصعدُ صاعدُ
صدقت نُبوءةُ مَنْ أحبَّ فخاركم … حبيّ (١) فما سكنَ العدوُّ الشاردُ
لكم البقاءُ مجدَّداً ومكرَّراً … وله المصائبُ والغرورُ البائدُ!
إنّ الأُلى أحْيَوْا بكمْ ميثاقهم … علموا بأنّ المجدَ إرثٌ خالدُ
مَضَت القرون وما انقضى إلهامُهم … أو انّه بعد التأمل عائدُ
وكأنّ شعري نفْحة مِنْ سِرّه … وثبتْ وإنْ جهلَ الجبانُ الجامدُ
وأنا الذي يجري لمطمحهِ دمي … ولهُ بهِ حقٌّ وأصلٌ واحدُ (٢)
وأنا الذي لولا بلادٌ كوّنتْ … نفسي لسار لكم فؤادي الجاهدُ
فلوطني روحي وكلُّ جوارحي … ولكُمْ حنيني والشعورُ الماجد
يكفي لنا النَّسبُ العتيدُ مجمّعاً … فجميعنا صيدٌ رماهُ الصائدُ !
بعض الجوابِ وكم يثيرمشاعري … هذا اللَّهيبُ تذوب منه قصائدُ !
ياليتها كانت قنابلَ قوّةٍ … يشقى العدوُّ بها ويَفنى الكائدُ !
قمتم فكنتمْ كالاذانِ لنهضةٍ … فاعتزّ مغلوب وهمَّ الراقدُ
ودعا الدعيُّ بأن تناثر فرقدٌ (٣) … ماذا أصابَ وفي الجموع فراقدُ ؟!
إثأرْ لشعبكَ ما استطعتَ فانّه … ثأرٌ له المجدُ المؤثّل شاهدُ
ولو انَّ بين المسلمين طوائفاً … غفلت ، كأنّ المسلمين أباعدُ !

(١) راجع قصيدة « الأسد الأسير ـ عبد الكريم » في الزهراء ٢ : ١٦٤
(٢) اشارة الى مافي نسب اسرته من دم اندلسي
(٣) يشير الى تسليم عبد الكريم . ودعا : نادى

فاذا عثرتم لم يفتكم لَوْمُهُمْ — واذا انتصرتمْ لم يفتكم جاحدُ
عذراً فقد عبثَ الدخيلُ بنُبلِهم — وكأنَّهمْ في العربِ عضوٌ فاسدٌ !
عُذْراً وصَبراً ثم جُهْداً آخراً — فلكُمْ من الحق العظيم مُساعدُ
ولسوف يتبعُكُمْ تآزرُ عصْبَةٍ — فلكمْ بذِتْهِمَ الشعوبِ شدائد

ابو شادي



﴿ أحدث طابعة ﴾

اُنشئتْ أخيراً ـ في القسم الشرقي من لندن ـ دارٌ فخمة سمَّوها (دار نور تكليف) لتكون فيها ادارة جريدة (ديلي ميل) ومطبعتها ، وقد جُهزت المطبعة بطابعة هي أكبر وأحدث طابعة في العالم كله . ومما وُصفتْ به أنها تطبع في الساعة الواحدة ٧٥٦ ألف نسخة من جريدة ديلي ميل وتطويها وتَعُدُّ نسخها وتنقلها في طريق خاصّ الى موقف السيارات المُعدَّة لحملها الى محطات السكك الحديدية . والى جانب هذه الطابعة ٤٢ آلة تنطلق بلمسة اصبع فتدور بسرعة مدهشة . وتتغذَّى الطابعة بملفّات الورق المرصوفة في أماكن منها غير ظاهرة ، كما تتغذَّى ما كينة الخياطة بالخيوط من أداة مخبوءة في داخلها . وفي الطابعة أدوات تتناول بنفسها ملفّات الورق الضخمة فكلما انتهى ورق ملف حلّ محله أخوه

وتدار الطابعة بثمانية عشر محرّكاً قوة كل منها ١٠٠ حصان

أما بناء (دار نور تكليف) فمن أعجب المباني وأمتنها ، وقد حفروا فيه ٣١٥٠٠ ياردة مكعبة ليتمكنوا من جعل الطابعة تحت مستوى طريق المدينة بستة وثلاثين قدماً ، فبلغ ما ارتفع من الاتربة ٢٤ ألف طن و ٤٨٠ طناً

اثمان المطبوعات القديمة

ذكّرني ما قرأته في مجلة الزهراء (٣ : ٤٠١) عن توراة غوتنبرغ وثمنها بما في مذكراتي من هذا القبيل فجمعته بهذه العجالة تفكهة للمطالعين الكرام

ان نسخة التوراة التى طبعها غوتمبرغ باللاتينية[1] في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد بيعت نسخة منها سنة ١٨٢٢ بقيمة ١٢٨ ليرة انكليزية ، وسنة ١٨٤١ بيعت تلك النسخة بثمن ١٩٠ ليرة وسنة ١٨٨٤ بقيمة ثلاثة آلاف وتسعمائة ليرة[2] . وقدر ثمنها سنة ١٨٩٧ بأربعة آلاف ليرة

وسنة ١٨٨٨ بيعت نسخة اخرى منها بنحو ٢٦٥٠ ليرة

وسنة ١٨٩٩ بيعت نسخة ثانية لها بقيمة ٢٥٩٠ ليرة

ومنذ بضع سنين بيعت نسخة بعشرة آلاف ليرة وهو أكبر ثمن لها

ومن قديم المطبوعات كتاب المزامير طبعه فُسْت وشيفر على جلد عجل سنة ١٤٥٧ ، وهو أول كتاب أثبت فيه تاريخ طبعه ، ولم يبق منه الاّ نسخة ثانية فى خزانة كتب البندقية الملكية لان نسخته الاولى اشتراها لويس الثامن عشر ملك فرنسا بقيمة اثنى عشر الف فرنك

وأما طبعة المزامير سنة ١٤٥٩ فلم يبق منها الا اثنتا عشرة نسخة ، بيعت احداها سنة ١٨٨١ بقيمة ١٢٣ الف فرنك و ٧٥٠ فرنكا ، واشترى المسيو باير من فرنكفرت نسخة ثانية بثمانين الف مارك أى مائة الف فرنك

واكتشفت النسخة الثالثة عشرة في خزانة أحد قصور كارنثية في النمسة عرضت للمزايدة واغفل ثمنها وبيعها . فلعلها هي التى بيعت الآن بخمسة وخمسين.

---

(١) وهذه النسخة تعرف بطبعة الاثنين والاربعين سطراً لان كل صفحة منها كانت مؤلفة من هذه السطور ، وهى مطبوعة بالحروف المدنية لاول عهد الطباعة

(٢) وقد نسبت الى مازرين الكردينال الذي وجدت في خزانته بباريس في أواسط القرن الثامن عشر ، ولم يبق من نسخها الا ١٨ كتابا

ألف ليرة كما ذكرته المجلة

وسنة ١٨٩٦ بيع في لندن كتاب المزامير البنديكتينية الموجودة في دير القديس يعقوب في متز بقيمة خمسة آلاف ومائتين وست وخمسين ليرة . وليس لهذه المزامير إلا ثلاث نسخ من سنة ١٦٥٩ فهي أندر من التوراة المازارينية التى طبعت سنة ١٤٥٥

وسنة ١٩٠١ بيع بالمزاد العلني في لندن كتاب (الملك) المطبوع سنة ١٤٨٧ بقيمة الف وخمسمائة وخمسين ليرة . وبيعت خزانة الدوق (دفون شير) بخمسة ملايين فرنك وفيها كتب كثيرة من أول عهد الطباعة ، منها نسخة من رواية (هملت) لشكسبير الانكليزى تقدّر بنصف مليون فرنك

وفي سنة ١٩٠٥ بيعت نسخة من كتاب (الاقتداء بالمسيح) المطبوعة في أوغسبرج سنة ١٤٧١ بنحو ثلاثة آلاف فرنك وعدد صفحاتها لا يزيد على ٧٦ صفحة وقطعها كبير بحرف غوطي

وفي خزانة جامعة برنستن (أمريكة) نسخة من الطبعة الاولى من ديوان ڤرجيل كبير شعراء الرومان طبعت في رومية سنة ١٤٦٩ وهي أثمن كتب الخزانة التى يبلغ عددها نصف مليون مجلد أما ثمن الديوان فعظيم

وسنة ١٩٠٦ بيعت نسخة من أشعار شكسبير الشاعر الانكليزي المعروف وهي الطبعة الاولى في انثرس بقيمة ٣٦٠٠ ليرة انكليزية . ونسخة ثانية من الطبعة نفسها بقيمة ٢٤٠٠ ليرة . ونسخة ثالثة منها بقيمة ١٥٥٠ ليرة . ونسخة من مؤلفاته المطبوعة بأيامه سنة ١٦٢٢ بستمائة وتسعين ليرة

وبيع في أوائل القرن العشرين للميلاد كتاب صفحاته ٦٤ بمبلغ خمسة عشر الف فرنك وهو مجموع أشعار شيلي الشاعر الانكليزي وشقيقته في سنة ١٨١٠ وهذا الكتاب لم يطبع منه في تلك السنة الا مائة نسخة فنفدت كلها ولم يبق

منها الا نسختان ابتاعهما المستر (ويز) من المولعين بالحرص على الكتب النادرة فالاولى ابتاعها سنة ١٨٩٨ بقيمة ثلاثة عشر الفاً والثانية ابتاعها بالقيمة المذكورة وبيعت ثلاثة دفاتر علق عليها الشاعر شبلي هذا ملاحظاته بقيمة ثلاثة آلاف ليرة

وابتاع المسيو بارسون من أهل لندن كتاب (هوراس) في علم التمثيل للمسيو كورناي من مشاهير كتبة فرنسة المطبوع أول طبعة سنة ١٦٣٧ بقيمة الف ومائة وأربعين ليرة فرنسية . وبيعت نسخة ثانية من هذه الطبعة غير كاملة بمبلغ ٤٨٥ ليرة

وسنة ١٩٢٠ بيعت نسخة قديمة من كتاب شكسبير وهي مجموعة رتبها توماس بافير سنة ١٦١٩ وطبعها على نفقته وليم جا كرد ، وهي تشتمل على تسع روايات لشكسبير بقطع صغير جداً يمكن وضعها بجيبك لأن طولها سبع قراريط وعرضها خمس ورُبع وسمكها نصف قيراط فقط . ولم يعلم الباحثون أن لها نسخة ثانية أما ثمنها فعشرون الف ليرة انكليزية

وفي آذار سنة ١٩٢٤ بيعت في باريس نسخة من كتاب (دون كيشوت) المطبوع سنة ١٧٨٠ بمبلغ مائة وخمسة وستين ليرة انكليزية ونسخة من مؤلفات موليير مطبوعة سنة ١٧٣٤ بمبلغ مائة وخمسة وخمسين ليرة

وبيعت نسخة من الطبعة الاولى من قصيدة (الفردوس المفقود) لملتن الشاعر الانكليزي الشهير بمبلغ ٥٥٥ ليرة وعليها توقيعه

وابتاع أحد الأمريكيين انجيلاً من طبع غوتمبرغ بأربعة وأربعين الف ليرة انكليزية وهو ثمن نادر

وقيل ان أثمن كتاب فى الدنيا من مخطوطات اليوم نسخة من القرآن الشريف أهداها أمير الافغان الى شاه العجم وجلدها من الذهب الخالص بصفاقة قيراطين ونصف مرصعة بنحو ١٦٧ لؤلؤة و ١٢١ ياقوتة و ١٠٩ من الحجارة الكريمة الاخرى ، وتبلغ قيمتها أربعمائة الف ريال

*
* *

هذه لمعة عن المغالاة بالكتب عند الاوروبيين والمنافسة باقتنائها والسخاء بأثمانها الفاحشة

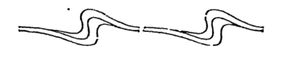
وكان للقدماء مثل هذه المغالاة حتى قبل ان بطليموس يورجيتس جلب كتب أوربيدس وسوفوقليس واسكيلوس ونسخها وأرسل النسخ الى أصحاب الكتب الاصلية وأرسل لهم معها مالاً يساوي ثلاثة آلاف ليرة انكليزية وحفظ الاصل في خزانة كتبه في الاسكندرية المشهورة . وهكذا كان البطالسة يجلبون الكتب ويرسلون نسخها لاصحابها مع مال ويحفظون الاصل عندهم

ولما ألف أبو الفرج الاصبهاني كتاب (الاغاني) في خمسين سنة وكتب منه نسخة واحدة بخطه أهداهُ الى سيف الدولة بن حمدان حاكم حلب فانفذ له ألف دينار . فقال الصاحب بن عباد : لقد قصَّر سيف الدولة ، وانه ليستحق أضعافها . وبيعت مسودة الاغاني في سوق بغداد بأربعة آلاف درهم

وكان أبو الدر ياقوت الملكي الخطاط الشهير مغرماً بنسخ الصحاح للجوهري فكتب منه نسخاً كثيرة كل نسخة في مجلد واحد رأى ابن خلكان منها عدة نسخ وكل نسخة تباع بمائة دينار . وكان أبو محمد عبيد الله الورّاق نَسْخه في غاية الجودة ينسخ كل خمسين ورقة بدينار . الى كثير من أمثال هؤلاء

فهل نحرص نحن على حفظ آثار أسلافنا ومخطوطاتهم ؟

زحلة عيسى إسكندر المعلوف



الامالي والنوادر — للقالي

هما شيء واحد

كنتُ حققت أنهما شيء واحد بعد أن اطلعت على الطبعة الاولى منه ، وذكرت ذلك في كتابي (اقليد الخزانة [1]) . ولكن لما رأيت أن ناشري الطبعة الثانية لم ينتبهوا لهذا كسلفهم ، فعدّوا الأماليَّ والذيل والنوادر كتباً ثلاثة برأسها ، ظننتُ أن هذه السطور لاتخلو عن الفائدة ، على أن صنيعهم هذا قد أوقع في الوهم كلَّ من كتب عن الكتاب شيئاً :

(١) فالذي قاله ابن خلدون في مقدمته عن دواوين الادب الاربعة — ومنها النوادر — كيف ينطبق على هذه الاوراق العديدة التي سماها الناشر بآخر الأمالي « النوادر » مع أن ابن خلدون قرنه بالكامل والبيان والتبيين ، وكلاهما في جزءين

(٢) قول ابن حزم الشهير الذي أورده كل من ترجم القالي ، وجدتُه في رسالته التي كتبها في عدّ مفاخر الاندلسيين [2] ، ونصّه « وكتاب النوادر ... وهو مُبارٍ للكتاب الكامل لابي العباس المبرّد . ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبرا ، فان كتاب أبي علي لأكثر لغة وشعراً » . فهذه الـ ٦٨ صفحات التي ألحقوها بآخر الامالي كيف تبارى من الكامل (طبعة ليبسك) ٧٩٦ صفحات أو تبرُّ عليها

---

(١) هو فهرس حافل لما تضمنته خزانة الادب للبغدادي من الكتب الجليلة ذوات الخطوط المنسوبة ، مفيد للغاية . وهو لايزال مختفياً من غواة العلم — مع نجاز طبعه — بما يتعمده بعض أساتذة جامعة بنجاب من الاذى لمؤلفه سدد الله خطاه

(٢) وهذه الرسالة في الجزء الثاني من (نفح الطيب) . وما ورد فيها عن كتاب النوادر في ص ١٣٢

(٣) كل حوالات (للنوادر) توجد في (الامالي) كما يتضح لمن يتصفح اقليدنا. ولكن أذكر لغيرهم عدة من حوالات النوادر من تآليف الاندلسيين، فهو أقوم بكتاب بلادهم علماً وضبطا:

الاقتضاب لابن السيد (ص ٢١١) يروي عن (النوادر) بيتاً لاسحاق الموصلي:

له خفقانٌ يرفَع الجَيب كالشَّجا ... يُقطّع أزرارَ الجِربّان ثائرُه

وهو في (الامالي) ٢ : ٦٠ من الطبعة الثانية

الاقتضاب (ص ١٠٧ و ٢٩٢) يروي عن النوادر بيتاً من كلمة:

فقالوا قد جزعتَ فقلتُ كلاً ... وهل يبكي من الطرب الجليدُ

وهي في (الامالي) ١ : ٥٠

الروض الأُنُف للسهيلي (١ : ١٥٠) يروي قول النسابة ليزيد بن شيبان «شأمَتْنا مُشامةَ الذئب» وهو في (الامالي) ٢ : ٢٩٧ في حديث طويل

الف با لابن الشيخ (١ : ٢٧١) يروي بيتي عبد بني الحسحاس:

أشعارُ عبدِ بني الحَسْحاس قُمْنَ له ... عنـد الفَخار مَقام الاصل والوَرِقِ

وهما في (الامالي) ٢ : ٨٨

الف با أيضاً (١ : ٤١٢) يروي بيتَ مسكين الداريّ، وهو في (الامالي) ١ : ٤٥

نفح الطيب (١ : ٢٩٠ مصر) يروي عن (النوادر) حكاية الرشيد مع جارية له، وهي في (الامالي) ١ : ٢٢٥

(٤) قال ياقوت في معجم الادباء في ترجمة القاليّ وهو يسرد تآليفه: «كتاب الاماليّ معروف بين الناس كثير الفوائد غاية في معناه، قال أبو محمد ابن حزم: كتاب نوادر أبي علي الخ» فياقوت يرى أنهما شيء واحد

(٥) لم يذكر أحد ممن ترجم له في عداد كتبه كتابَ (النوادر) مُفرَزاً عن ذكر (الأماليّ) بفَصْلِ بعضِ تآليفه بينهما [١] ، بل كتبوا عن آخرهم (كتاب الأماليّ والنوادر)، فظنَّ من لم يعرف الحال أن النوادر شيء آخر وهذا هو مصدر الوهم . ومن هنا وهم من صحَّحه كمن طالعه ، فصحِّحْ ماجاء في الزهراء (٣ : ٧٣ و ٤٥٤) ومقدمةَ التنبيه ص ١١

(٦) وهاك نصًّا في ذلك لابي بكر ابن خير (فهرسة ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥) :

« كتاب النوادر لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي حدثني به الشيخ (ثم سرد عدّة من أسانيده إلى المؤلف في صفحتين ثم قال) وهـذا الـكتاب أمالِ أملى جله [٢] أبو عليّ رحمه الله في الأخمسة بالزهراء على بني الملوك وغيرهم من أهل قرطبة . ثم زاد فيه فبلغ ستة عشر جزءاً للعامَّة . ثم زاد فيه فبلَّغه عشرين جزءا لأمير المؤمنين الخ * كتاب ذيل النوادر لأبي عليّ البغدادي وهو أربعة أجزاء وصل بها النوادر . حدثني به شيوخي المتقدم ذكرهم (رح) بالأسانيد المسطورة في النوادر قبلُ إلا أني لم أقرأه عليهـم ولا سمعته وإنمـا أرويه عنهم إجازة »

(٧) ذكر المستر كرينكو في فهرسته ص ١ للطبعة الأولى من الأمالي أنه عارض الكتاب على نسخة الأمالي بدار الـكتب الوطنية بباريس (No. 4236 Supplement 1935) وهذه النسخة بعينها يدعوها المستشرق آلوارد في مقدمة الأصمعيات ص (xxviii) كتاب النوادر للقاليّ

(٨) في مقدمة اللآلي (الزهراء ٣ : ٤٥٤) هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التي أملاها أبو علي الخ

---

(١) وذكر ابن خلكان في ترجمة القالي معظم تآليفه وفيها (الامالي) بدون ذكر النوادر ، فلو كان النوادر كتابا برأسه لم يضرب ابن خلكان عنه صفحاً . وجاء في (البغية) للسيوطي : « الامالي ـ النوادر » كأنه يسرد تآليفه سرداً ، وهو وهم من الناسخ

(٢) في الاصل « أحلى حبله »

﴿الذيل والصلة﴾

أظن أن الناسخ يكون كتب على الجزء الثالث «ذيل الأماليّ والنوادر» ثم يكون ترك صلة الذيل غفلا فزعم من جاء بعده أن الأول منهما هو الذيل والغفل هو النوادر . والصواب أن هذا الذي دعوه النوادر هو صلة ذيل الأماليّ كما قد دعاه بهذا الاسم البغدادي في الخزانة (١ : ١٠) وكما هو ظاهر من كلام ابن خير المارّ آنفا . ويدلّ لذلك أن ابن الشيخ أورد مجلس صفة الأسد عن ذيل الأمالي في ألف باء له (١ : ٣٨٣) والمجلس يوجد في هذا الذي دعوه النوادر ص ١٨٠ فظهر أن هذا المدعوَّ النوادرَ صلة لذيل الأماليّ لا غيرُ

﴿اللآلىء﴾

هو شرح على كتاب الأماليّ والنوادر للبكري وكان أستاذي الشيخ العلامة محمد طيّب المكّيّ المرحوم ذكر لي أنه رآه يباع بمكة وأظن الموجود بخزانة الشيخ ماجد الكردي هو هذه النسخة[1] . فهذا الشرح يدعونه تارةً شرح الامالي وأخرى شرح النوادر وهاك جدولاً لذلك :

دعاؤه شرح الأمالي	دعاؤه شرح النوادر
ـ النسخة الخطية الموصوفة بالزهراء ٣ : ٤٥٣	ـ البكري نفسه في التنبيه ص ٢٣ (ومحشّى الاصل أيضاً) وفي مقدمة اللآلى
ـ الخزانة ١ : ١٠ ، ١٤٤ ، ٣٠٦	

(١) الزهراء ـ تمكنا من استعارة نسخة الصديق الفاضل الشيخ ماجد الكردي بهمة الصديقين الكريمين الشيخ كامل القصاب و السيد رشدي ملحس فنقلنا صورتها بالتصوير الشمسي وأعدنا الاصل الى مكة المكرمة

دعاؤه شرح الأمالي

٥٣٩ ـ ٢ : ٢١١، ٢٢٤، ٣٢٥، ٥١٩، إلى غيرها وهي كثيرة راجع الإقليد

ـ النفح ليدن ٢ : ١٢٤

ـ فهرست ابن خير طبع سَرَقُسْطة ص ٣٢٦

دعاؤه شرح النوادر

ـ الصفدي في الوافي

ـ ابن الشيخ ١ : ٤١٢ روى أولاً عن النوادر بيت مسكين (الأمالي ١ : ٤٥) ثم قال « قال أبو عبيد البكري في شرح الأمالي، المسمى باللآلي » فهو يرى النوادر بعينه الأمالي واللآلي شرحاً على النوادر، على أنه والأماليَ واحدٌ

ـ الخزانة راجع الإقليد والحوالات كثيرة

ـ الترجمة بآخر الجزء الأول من معجم ما استعجم ص ٤٤٥

﴿ التنبيه للبكري ﴾

دعاه ابن خير ص ٣٢٥ كتاب التنبيه على أوهامَ أبي علي رح في كتاب النوادر الخ ومعلوم أن التنبيه لم يتعرض لشيء من أغلاط هذا الكتاب (صلة الذيل) المدعو النوادرَ أصلاً

عبد العزيز الميمني

خادم العلم بجامعة عليكره الاسلامية (الهند)

حركة النشر والتأليف

﴿أدب وتاريخ﴾

مطبعة دار الكتب المصرية ، المكتبة السلفية : ٣٤٠ ص جاير ، ثمنه ١٥ قرشا

هو عنوان كتب أربعة من مؤلفات الاستاذ المفضال الدكتور محمد صبري أستاذ التاريخ الحديث بدار العلوم : أحدها كتابه عن البارودي ، والثاني كتابه عن اسماعيل صبري ، والثالث كتابه في تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا ، والرابع فصول له طريفة وابحاث ظريفة جمعت بين صحة التفكير وجودة التعبير . قال المؤلف في مقدمة مجموعته « ان هذه الكتب والفصول ظهرت في أزمنة مختلفة فضممت شتاتها في سفر واحد أقدّمه اليوم للقراء ، تنطوي كلها على غرض واحد ، وهو صورة من نفس كاتبها ، مصرية في سمتها ونزعتها »

الاستاذ صبري من أنصار الادب الجديد ، لكنه — كما يقول هو عن نفسه — ليس « من أصحاب الفلسفات والطيارات الذين تتجلّى العجمة والركاكة في أساليبهم » بل هو من الداعين الى الرجوع « باللغة الى ذلك النبع الاول ولن يمنعنا ذلك من انتقاء اللفظ الذي يلائم العصر ، ويجرى في سلك الكلام لا نافراً ولا حوشياً »

ومجموعة (أدب وتاريخ) التي نشرها الاستاذ صبرى الآن مبنية على هذه النظرية في التجديد ، وبرى فيها — مع محمود سامي باشا البارودي رحمه الله — أن الكاتب والشاعر في طور التكوّن لابد أن يرجع الى القديم يقتله بحثاً ثم ينحت بعد ذلك من صخره دميةً ساحرة

وفي الكتابين الاوّلين — عن البارودى واسماعيل صبرى — تحليلٌ لشاعرية

هذين الشاعرين العظيمين وترجمةُ فلسفية لنفسيهما وتدرّجِ الأدب العربي الحديث في سلّم التجديد على أيديهما . وهو درس لايجوز للشابّ المشتغل بالآداب العربية أن يفوته إطالة النظر فيه

وأما الكتاب الثالث الخاص بتاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا فهو موجز أبان عن مقدرة الاستاذ صبرى في القوة على التحصيل ، وبيان المعنى الواسع بالكلام القليل ، فأغنى القارئ العربي عن قراءة المجلّدات الكثيرة للوصول الى ما يجب عليه أن يعرفه من تاريخ دور عظيم في حياة الامة الايطالية الناهضة التي يجب على شباب الشرق العربي أن يكون لهم من حركتها الاستقلالية قدوة حسنة فيما هم بسبيله من المطالبة بحقهم في الحياة

و (الفصول) التي يتألف منها الكتاب الرابع في هذا المجموعة من خير ما كتبه هذا الصديق الضليع ، لانك تجد فيها ذوب قلبه بل مرآة نفسه

وقد لبست كتب صبرى من حلّة الطبع في هذه المرّة ما يجدر أن تتحلى به هذه المجموعة النفيسة

﴿ السائح الممتاز ﴾

أصدرت جريدة (السائح) الغراء جزءاً ممتازا طبعته على ورق جيد في ١١٢ صفحة كبيرة يحتوي مقالات وأناشيدَ طريفة لادبائنا في أمريكا وهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وايليا أبو ماضي ووليم كاتسفليس وندرة حداد ورشيد أيوب والدكتور فيليب حتّي وحبيب كاتبة ونسيب عريضة وعبد المسيح حداد صاحب السائح وأمين مشرق وأنطون بلان وانطونيوس بشير . ويدل هذا الجزء على ذوق لطيف وحسن اقتباس من الآداب الافرنجية

﴿ الجغرافيا العسكرية ﴾

مطبعة دار السلام في بغداد ٭ ٢٥٦ ص جاير

هو الكتاب الاول من نوعه في اللغة العربية ألفه حضرة العالم الفاضل أمير الألاي السيد طه بك الهاشمي من كبار رجال الجيش العراقي ومدرس الجغرافيا العسكرية وتاريخ الحرب في مدرسة بغداد العسكرية · وهذا الكتاب في جزءين صدر الآن أولهما خاصاً بالابحاث العامة في هذا الفن كالابحاث الجيولوجية والاتنوغرافية ، ومصطلحات علم سوق الجيش ، والعوارض الجغرافية والاوصاف الارضية . وسيكون الجزء الثاني خاصاً بجغرافية العراق العسكرية

ان مكتبة كل أمة تتكوّن من مجهودات الاخصائيين من رجالها ، وعنايتهم باكمال الناقص وايجاد المعدوم ، وللسيد طه الهاشمي الفضل في وضع الكتاب الاول باللغة العربية في الجغرافيا العسكرية معتمداً في ذلك على معارفه الخاصة وعلى أمهات هذا العلم في الانكليزية والفرنسوية والتركية ، فابتدأه بتمهيد في الجغرافيا عامة وموضع الجغرافيا العسكرية منها ، وعقد بابا لخلق الارض وتكوّن قشرتها وتطور الحياة فيها وجغرافية الارض في الدور الحجري وحالة الانسان يومئذ ثم افتراقه الى أجناس وانطلاق ألسنة هذه الاجناس باللغات الاولى وكيف تشعبت هذه اللغات . وعقد بابا لمصطلحات سوق الجيش ، وبابا للعوارض الطبيعية والاوصاف الارضية ، وبابا للعوارض الاصطناعية كسكك الحديد والموانئ والقلاع والمناطق المحصنة الى غير ذلك مما لا بد من معرفته لمن يريد درس الجغرافيا العسكرية لمملكة من الممالك . ومتى صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب خاصاً بجغرافية العراق العسكرية كان القارئ قد حصل من الجزء الاول على كل المعارف التي تؤهله لفهم هذا العلم وادراك دقائقه . فنشكر السيد الهاشمي عمله المبرور

﴿ دفع شبهة التشبيه ـ لابن الجوزي ﴾

مطبعة الترقي بدمشق ، المكتبة السلفية بالقاهرة : ٨٤ص بقطع الزهراء ، ثمنه ٥ قروش

افترق المسلمون في مسألة الصفات الالهية الى فرقتين كل منهما على حق : إحداهما تثبت ماورد في بعض نصوص الشرع من ذلك غير محاولة تحريف كلمة عما وضعت له في صريح اللغة ولاتعطيلها ، مع التشدد في نفي جميع شوائب التمثيل والتشبيه عملاً بقوله تعالى « ليس كمثله شيء » وهومذهب السلف والثانية تذهب الى تأويل الاستواء بالاستيلاء ، واليد بالنعمة أو المقدرة ، والأعين بالحفظ والرعاية . قال الشيخ طاهر في الجواهر الكلامية « وذلك لتوهم كثير منهم أنها إن لم تؤوّل وتُصرَف عن ظاهرها أوهمت التشبيه . وقد اتفق الفريقان على أن المشبّه ضال . وغيرهم يقولون : انما توهم التشبيه لو لم يدلّ العقل والنقل على التنزيه ، فمن شبَّه فمن نفسه أُتى »

ولأجل هؤلاء الذين أُتوا من قِبَل أنفسهم ووقعوا في شبهة التشبيه ألَّف الامام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الحنبلي رحمه الله كتابه هذا دافعاً هذه الشبهة ومبرّئاً مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه من كل مايُشعر بها أو يدنو من رائحتها

وقد نشر هذا الكتاب وعلّق عليه صديقنا الفاضل السيد حُسام الدين القدسي الدمشقي . فجاء حسن الوضع والطبع . ونحن نعتقد أن أئمة المسلمين وفحول علمائهم كلهم الى خير فيما ذهبوا اليه ، واذا نُسب الى أحد منهم كابن قتيبة أو غيره ما يخالف ذلك فيجب على من ينقل ذلك أن يبحث عنه في كتبهم لا فيما يقوله عنهم معاصروهم ومقلّدو أولئك المعاصرين . فليحذر المتسرّعون في النقل أن يشتركوا في اتهام العلماء بما لم يقولوه فيكون لهم نصيب من الاثم

﴿حكومة العراق﴾

المطبعة السلفية ومكتبتها : ٣٩ ص بقطع الزهراء ، ثمنه ٥ قروش

هو موضوع سياسي اجتماعي عن مملكة العراق والانتداب فيها وفي سوريا وفلسطين ، كتبه الباحث الامريكي مستر كوينسي رايت على أثر زيارة قام بها الى العراق وبلاد الشرق الادنى في العام الماضي ونشره في مجلة العلوم السياسية الامريكية . وقد عُني بنقله الى العربية صديقنا الفاضل الاستاذ السيد اكرم الركابي وأضاف اليه بعض التعليقات على المواضع التي تلقاها المؤلف من وجهة نظر الذين اتصل بهم في العراق من العمال البريطانيين

وفي الكتاب – على صغر حجمه – حقائق لاغنى عن معرفتها لكل من يهمه معرفة حالة العراق خاصة والشرق العربي عامة . فنلفت اليه الانظار

﴿پول دى سويف﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية : ٨٢ ص جاير ، ثمنها قرشان

هي رواية تمثل الحالة النفسية والاخلاقية التي كان عليها الفرنسويون عندما اقتحم الالمانيون بلادهم في حرب السبعين ، فاتحين منتصرين . ترجمها من اللغة الفرنسوية الاستاذ توفيق افندى عبد الله وهي جيدة الطبع والورق كسائر مطبوعات المطبعة العصرية

﴿النفس الحائرة﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية : ٢٤٨ ص جاير ، ثمنها ٦ قروش

رواية اجتماعية خلقية غرامية بقلم الاستاذ فريد حبيش رمى فيها الى عرض عادات وتقاليد وأخلاق ، مع التنويه بالحسن منها والحض على التمسك به ، واستهجان الذميم والحث على اجتنابه ، محاولا تدوين أساليب حياة الناس في مصر في أواخر القرن الماضي وصدر هذا القرن

﴿ فلسفة ابن رشد ﴾

المطبعة الرحمانية ، المكتبة السلفية : ١٤٣ ص ، ثمنه ٥ قروش

أعاد محمود افندي على صبيح طبع هذا الكتاب الذي يحتوي على كتابي (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) و (الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة) كلاهما من مؤلفات القاضي محمد بن أحمد بن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ . يليهما فصول لشيخ الاسلام ابن تيمية أوردها في كتاب (الجمع بين العقل والنقل) رداً على بعض الابحاث التي تضمنها كتاب (الكشف عن مناهج الادلة) لابن رشد . وقد وضع الطابع الى جانب كل فقرة منها رقم الصفحة التي يوجد فيها البحث المردود عليه من كتاب ابن رشد . وهذه الطبعة جيدة الحروف والورق

﴿ ارشاد السالك في الزيادة على ألفية ابن مالك ﴾

المطبعة الادبية في حماه * ٦٠ ص جابر

هي أرجوزة نظمها حضرة الفاضل السيد احمد السمان الحموي وضمنها زيادات على قسم النحو من ألفية ابن مالك مقتبساً هذه الزيادات من أمهات كتب النحو . فنرجو لها الرواج

﴿ مروضة الاسود ﴾

المطبعة العصرية ، المكتبة السلفية : ١٥١ ص

رواية تاريخية أدبية هي من آخر ما ترجمه الكاتب الروائي الشهير طانيوس افندي عبده قبل وفاته. وقد اشتهرت الروايات التي ترجمها هذا الكاتب بطلاوة انشائها وحسن سبكها والعناية بانتقاء موضوعها . فنلفت اليها أنظار المولعين بقراءة القصص

أنباء اجتماعية

﴿ ميناء الطور ﴾

قررت الحكومة المصرية انفاق ٣٥ ألف جنيه على بناء مرفأ في الطور تفادياً من المتاعب التي يلقاها الحجاج بركوب الزوارق بين البواخر والبر

﴿ بنك مصر ﴾

بلغ صافي ربح بنك مصر في السنة الماضية ١١٧٥٤٧ جنيهاً يقابلها ١٠٨٣٧٥ في السنة التي قبلها . ورأس مال هذا البنك ٧٢٠ ألف جنيه ممثلة في ١٨٠ ألف سهم قيمة كل سهم الاسمية أربعة جنيهات . وقد ارتفعت قيمة السهم الحقيقية الى خمسة جنيهات ونصف حتى ٦ جنيهات حسب السعر المتداول في سوق الاوراق المالية

وبلغ عدد موظفي البنك ٥١١ وكانوا في السنة السابقة ٤٥٥

﴿ اليهود في فلسطين ﴾

دخل فلسطين في السنة الماضية ١٣٠٥٦ يهودياً وخرج منها ٧٣٤٠ لأنهم لم يجدوا فيها مرتزقاً

﴿ الجرائم في بلاد العرب ﴾

قال المستر كراين في محاضرة القاها في القاهرة على أثر عودته من بلاد العرب :

« في وسعي ان اجاهر بأن البلاد الخاضعة لسلطان ابن السعود لا تعرف الآن للجرائم اسما. وقد استردت الطرق الامان الذي كان مخيما عليها من عدة قرون ، والقوافل وجماعات الحجاج والتجار تنتقل من مكان الى آخر بدون أن تخشى اعتداء أو تحسب حسابا للعصابات التي اعتادت غزو القبائل وسلبها . . . ليحيى ابن السعود »

﴿ الدكتور شهبندر ﴾

تقول صحف العراق ان السلطة الفرنسوية أبلغت دولتي أميركا وانكلترا أن تجول الدكتور عبدالرحمن شهبندر في البلاد التي يكثر فيها المهاجرون السوريون ينجم عنه اطالة أمد الثورة ، ولذلك ألحت عليهما في منعه من دخول الديار الامريكية ومصر وغيرهما من مهاجر السوريين ، فاجابتا الى ذلك

أوقاف الحرمين فى المغرب

يخدم السياسة الفرنسوية فى المغرب رجل جزائري معروف بالذكاء والنشاط، وهو السيد قدور بن غبريط. وقد عرفته معرفة شخصية عند وفوده من قبل الحكومة الفرنسوية على مكة أثناء الحرب العظمى، فعرفت فيه الرجل الخاص كل الاخلاص للسلطة التي يخدمها. وهو اليوم قائم بأعمال متعددة منها رئاسة جمعية رسمية اسمها (جمعية الحرمين الشريفين) وهي تسعى لوضع اليد على أوقاف الحرمين الشريفين فى المغرب - الأدنى والاوسط والاقصى - واستثمارها فى أعمال تهواها الحكومة الفرنسوية، كانشاء فنادق فى الحجاز ينزلها المغاربة وتدار بيد القنصلية الفرنسوية فى جدة وتكون نواة لمصالح تعمل فرنسا على حمايتها في تلك الديار، كما كانت تهتم بحماية المدارس والمعاهد المنسوبة الى فرانسا في الديار الشامية قبل الحرب العظمى. وقد رأينا التونسيين معارضين لهذا المشروع كل المعارضة وحجتهم أن هذه الاوقاف حبست لنفع الحرمين وأهلها، ولم تحبس على التونسيين وسائر المغاربة ولا على إقامة فنادق لهم. وكنت قرأت في جريدة (النهضة) التونسيه مقالة افتتاحية فى هذا الموضوع استحسنت فيها عمل الفنادق لكنها أشارت بعملها من جانب الحكومة أو باعانات من الاهالي. أما أوقاف الحرمين فهي كجميع المسلمين ترى أنه لا يجوز أن يصرف فرنك واحد منها الا فيما وقفت عليه حسب شروط الواقفين

تشجيع النساجين

خصصت وزارة المعارف المصرية عشرة آلاف جنيه في الميزانية الجديدة لشراء خيوط توزع على النساجين في مصر بأسعار معتدلة تشجعهم على الاشتغال بهذه الصناعة

المعارف في مصر

في مصر نحو مليوني ولد لا يتعلم منهم في الوقت الحاضر سوى ٣٥٠ ألفاً. وتنوي الحكومة المصرية أن تؤسس ٦٥٠٠ مدرسة ابتدائية في خلال ١٤ سنة، ومتى انقضت هذه المدة وتم تأسيس هذه المدارس يصبح التعليم الزاميا ومجانياً



ج ١٠ م ٣ القاهرة ذو الحجة ١٣٤٥

شعرنا وشاعرنا

ــ بمناسبة أسبوع شوقي ــ

الأدب الناعس ــ الشعر والشاعر فى المثل الأعلى ــ أول عهدى بالشوقيات
شوقى وشوقياته ــ ترجمة الشعر ــ هل الفن للفن ، أم للفضيلة والخير؟
الاصلاح الذى نحتاج اليه فى شعرنا

﴿ الأدبُ الناعِس ﴾

ما برِحَ الأدبُ العربي يسير في طريقه ناعساً ، والشعرُ في نظر قرائنا بمنزلة الكماليات ؛ حتى اصطدَم بجيْئة (تاغور) الى مصر ؛ فكان الأدبُ والشعر حديثَ الناس ، وكانتِ الموازنةُ بين آثار هذا الشاعر البنْغاليّ وبين شعرِنا العصريّ باعثةً على التفكير فيما بلغ اليه شعرُنا وما يحتاج اليه من إصلاح . ثم جاء (أسبوع شوقي) بعد (زيارة تاغور) ، فاتّسع الوقتُ للكلام على الشعر والشاعر بما لم يسبق له مثيل ، منذ عهد طويل

نعم ، إن الفرصة أتيحت لادبائنا وكبار كتّابنا أن يقفوا من حياتنا الأدبية موقف الجدّ ، فيطيلوا النظر فيها بتُؤَدَةٍ وتدبّرٍ وإنصاف ، ويفكّروا في المرحلة التي قطعها الأدب العربيّ في هذا العصر ، والوقتِ الذي صرفناه للوصول اليها ، والاتّجاهِ الذي يتقدّم شعرُنا نحوَه ، وما هي مَواطِن الضَّعْف فيه وما هي

بواعثُ هذا الضعف وما هو المخرج منه . وكان من حقّ شوقي ـ وقد أقمنا له أسبوعاً ـ أن يكون فرسانُ هذا الميدان كلهم في الحلْبة فلا يبقى واحدٌ منهم غريباً عنها . ثم يتولّى كلٌّ رجل منهم ناحيةً من نواحي شوقي ، وشعر شوقي ، وبيئةِ شوقي ، فيوفّيها حقّها من النظر ، ويُفضي الى شباب هـذه الامة وأهل الذوق الأدبيّ فيها بنتيجة درسه المستفيض : إما في حفَلات « الاسبوع » وقد اتسعتْ للكلام على المأمون والمستشرقين والجمعية الأثرية المصرية ، وإمّا في الصحف وقد فتحتْ صدرها للتحامل على شوقي بظلم ، وللثناء عليه بأقلامٍ لا يطمع بعضُ أصحابها بأكثر من أن يفرحوا برؤية أسمائهم مطبوعة في الصحف السيّارة . كل هـذا كان يجب أن يكون ، بل بعض ما كان يجب أن يكون ، لولا أننا أمة ما زالتْ تلعب ، وما زال أبناؤها يقيسون المصلحة العـامة بمقياس الهوى ، ويزِنون الحقائق بميزان الأوهام . لذلك كان أدبُنا بين حالتين : أن يسير ناعساً قبل الصدمتين الأخيرتين ، ثم أن يضيع بعدهما صوابُ القول فيه فيطغى عليه إغراقٌ في الذمّ لا حدَّ له وإغراقٌ في الثناء لا حدَّ له . . .

﴿ الشعرُ والشاعر ﴾

« والمثل الأعلى الذي نطمع أن يصلا اليه »

إنَّ الأدب العربيّ يطمعُ بشاعرٍ لم يُخلَق بعدُ ، ولعلّهُ خُلِق ولكنّ عِبءَ الشهرة ووباءَها لم يُنيخا بأثقالهما على صدره فيمنعانِه من المُضيّ في طريق المهمّة المحفوظة له في تاريخ اللغة العربية ، لغةِ الخلود

إن الأدب العربيّ يطمع بشاعرٍ قامت أعلامُ الفضيلة ومَعالم الايمان حول الحرَم الذي يسكنه فؤاده ، فلا سبيلَ تسلُكه الاغراضُ الصغيرة الى هـذا الحرَم ، ولا منفذَ يدخل منه الهوىٰ الى ذلك الفؤاد

إن الأدب العربيّ يطمع بشاعرٍ له من قُوىٰ النفس ما يَقوىٰ به على

النفس فيَحُول بينها وبين أن تنحطّ الى غِمار أهل هذه الدُنيا الدنيئة ويمنعها من أن تستأسر للشهوات الأدبية والمادية ، ويرتفع بها غيرَ بعيد حتى تُشرف على آلام الفَرد وآماله ، وعلى أمراض الجماعة وينابيع قوّتها ، ويكون له من دقّة الحسّ مايسمع به نابضَ الحياة في مجالي الطبيعة ويلمح بدائع ألوانها وأسرار أشكالها

ان الأدب العربي يطمع بشاعر يخترق ببصيرته حُجبَ الماضي ، حتى يتراءى له ما خفي على التاريخ من أدوار هذه اللغة العجيبة التي عرفَ الناسُ شبابَها ولم يعرفوا طُفولتها . ثم يرتفع بهذه المعرفة حتى يشهد أمجادَ الناطقين بالضاد في تلك الأدوار ، أيامَ كانت ألسنتهم تدور باختراع صِيغَها وتقسيم أوضاعها ، وتتفنّن بتنظيم لآلئها واشتقاق بدائعها ، وتتحرّى المناسبات العجيبة للتوفيق بين المعاني والألفاظ الدالّة عليها . فاذا انتقشت صورة ذلك الماضي النبيل على صفحة قلب الشاعر وفى تلافيف دماغه وامتزجت بجملة نفسه ، تحوّل عنه الى المستقبل ، فتجلَّى له الافق الأقصى الذي يَتوقَّع أن تبلغهُ - بل الذي يجب أن تبلغهُ - هذه اللغةُ القدسية والشعوبُ الأمينة على بدائعها . ومتى كَشَفَتْ له ملائكةُ الشِعر حُجبَ الغيب عن ماضي هذه القومية ومستقبلها فَنِيَ فيها وصار لسانَها الناطق بامجادها ، والقائد الداعيَ الى وصْل ما بين ذلك الماضي وهذا الآتي بما يرشد اليه من الأسباب التي تُهيئ الناطقين بالضاد لأن يكونوا لذلك أهلاً

إن صحافتنا تقوم اليومَ بمهمَّة الشعراء الذين يقولون ما لايفعلون ، وتؤدّي عملهم على أتمّ وجه ، وتتقلَّب مع مقتضيات الدنيا وشهواتها وأهوائها بين كل صبح ومساء ، حتى اكتفينا بهذا الضرب من الشعر ، وبتنا في حاجة الى الشاعر المفقود ، الى الشاعر الذي يؤْمِن بما يقول ، ويُفيض الايمانَ على قلبه إلهامٌ

تقتبسه مَداركه من ظلمات الحاجة الانسانية ، وتنتزعه عزائمه من أنياب الفاقة القومية ، ثم تُرسلانه نوراً باهراً تبصر به الأمةُ سبيلها الى الخير ، وغذاءً شهياً تَقوى به على بلوغ مَطمحها المتواري وراء الآفاق

ترى هل وُلد الشاعر الذي يحمل لواء الناطقين بالضاد الى ميدان الكفاح ؟ وإذا كان قد ولد فهل هو يُعدّ نفسه لهذه القيادة المقدّسة ، ويجهّز شاعريته بالاخلاق التي تؤهله ليكون « شاعر المستقبل » ؟

إن العربية وأهلها ينتظران . . .

انهما ينتظران ، ولكن يجب أن يكون انتظارُهما انتظارَ حركة وحياة ، لا انتظارَ سَكينة وانتحار ، فالنبوغ لايكون إلا في البيئة الصالحة له . ألم يقل الاستاذ النَّشاشيبي يومَ خَطبَ في (العربية وشاعرها الأكبر) : ان « مِن سنن الله ومن دَساتير الطبيعة ألاّ يفاجيء نابغةٌ أو عظيم ـ فما قُدّرَ له أن ينبغ أو يعظُم فيه ـ قومَهُ مُفاجأة دون أن يستعدُّوا له ، إذ النابغة في شيء مّا إنما هو جوهر أمّته ولا يخلُص خيرٌ إلا من خير ، وما حدَث كونٌ عن عدم » . فلولا وجود شوقي اليوم ماطمعنا في قرب ظهور الشاعر الذي ننشده ، ولولا تقدُّم البارودي وصبري لما تأهّلَت الأمةُ العربية الآن لقراءة الشوقيات

﴿ أول عهدي بالشوقيات ﴾

لستُ أذكر على التحقيق في أيّ عام عرفتُ شعر شوقي للمرّة الأولى ، ولعل ذلك قبلَ نحو ربع قرن : فقد كنتُ غلاماً حديث السنّ أدرس في بداية القسم الثانوي من مدرسة الحكومة العثمانية بدمشق يومَ وصلَت الطبعة الاولى من الشوقيّات الى مكتبة ابن هاشم في باب البريد ووصلَتْ معها نسخٌ من كتاب « السفَر الى المؤتمر » للأستاذ أحمد زكي باشا فاقتنيتُهما وسهرتُ أتلو الشوقيات الى الصباح : على نور مصباح البترول تارة ، وتحت أشعةَّ البدر تارةٍ أخرى ،

مبتهجاً بأن يكون في العربيـة شعرٌ كذلك الشعر ، ولم أكن أعلم قبل تلك الليلة أن في لغتنا شعراً غير قصائد المدح والهجو التي كان الناظمون ينظمونهـا في مدينتنا ، فانصرفتُ الى درس الأدب التركي و كنتُ مشغوفاً بمـا يكتبه أدباء مجلة (ثروت فنون) : فِكْرَتْ ، وجَناب ، وخالد ضيا ، ومحمدرءوف ، وناظم ، وسُعاد ، وحكمت ، وجاهد ، وفائق عالي . وشيوخ هذه الطبقة : كمال ، وحامد ، وأكرم . وكنتُ في رُفقةٍ نستحي أن تكون لهؤلاء قطعة شعرية أو فقرة أدبيـة ليس لنا بها سابق علم

ولشعراء الترك وأدبائهم حرمةٌ عنـد شبابهم وسائر قرّائهم لم أرَ مثلها لشعرائنا وأدبائنا عند شبابنا وسائر قرّائنا . فاذا نبغ الرجـلُ فيهم صارت له في قومه مكانة لا يطمع بمثلها وزير ولا سريّ ، ولو كان النابغُ لا يجد ما يجدّد به طربوشه مرة في كل سنتين . فلمـا اكتشفتُ أنا ورُفقتي كنزَ الشوقيات عكفنا عليه نختار في مجموعاتٍ لنـا بعضَ تلك البدائع نكتبها بخطوط جميـلة ، ويُعنى بعضُنا بتصوير مدلولاتهـا : فاذا كتبنا ميميّته في زيارة الامبراطور غليوم قبرَ صلاح الدين صوَّرنا الى جانب القصيدة قبةَ صلاح الدين ، واذا كتبنا موشّحة « البُسْفور كأنّك تراه » ملأنا الصفحات اليسرى من مجموعاتنا بالمشـاهد الموصوفة في تلك القطعة الشعرية والى يمينها الأبيات الخاصّة بهـا . وانما ننسخ هذه القصائد بالخطوط الجميلة ونزيّنها بالصور لنعرب عن عنايتنا بهـا ، وإلا فقد غدت محفوظة في الصـدور ، وبتنا ولشوقي في قلوبنـا حرمة كالحرمة التي كنا نشعر بها نحو أدباء اللغة التركية ، أضف اليها عصبية اللغة ، وان وراء هـذا لأمراً عظيما

وانتقلتُ الى بيروت ثم الى القسطنطينية أنا وأخي الشهيـد الامير عارف الشهابي ثم طوّح بي الدهر الى اليمن ، فكانت الرسائل غادية ورائحـة بيننا وبين

بقية الرفقة : صلاح الدين القاسمي والشهيد صالح قنباز رحمة الله عليهما ورشدي الحكيم الأديب الضليع ولطفي الحفّاو الوزير الدمشقي المعتقل الآن في لبنان وسامي العظم رئيس ديوان الرسائل بوزارة العدلية وغيرهم . أتدري ماذا تحمل هذه الرسائل ؟ ان أهم شيء فيها نسخةُ ماتنشره الصحف والمجلات من شعرٍ جديد لشوقي ومطران والكاظمي والرافعي والكاشف والرصافي ومحرّم ، فان هذا الجديدمن الشعر لم يكن يجوز أن يتأخر البريد يوماً واحداً عن حمله الى كل واحدمن أولئك الرفقة تحت أية سماء كانوا

إذاً فانا صديق قديم للشوقيات ، ومن حقّ قرّائي عليَّ أن أتحدَّث معهم عنها بمناسبة (أسبوع شوقي) الذي ماجت القاهرة بحفلاتهفيأوائل الشهر الماضي

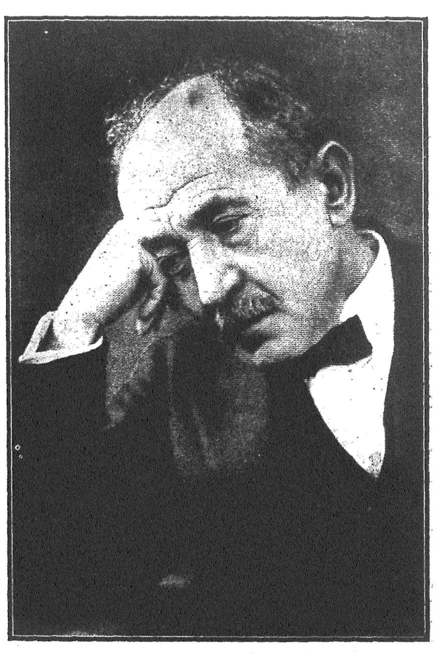
﴿ شوقي وشوقيّاته ﴾

جلا شِعرُه للنـاس مِرآةَ عصرِه ومرآةَ ماضي الشعرِ من عهد تُبَّعِ
يجيء لنا آناً باحمـدَ ماثلا وآونةً بالبحتريّ المرصع
ويَشأُو رُقىٰ هِيكو ، ويأتي نسيبُه لنا من ليالي (ألفِريدَ) بأربع
حافظ

شوقي ابن البيئة التي أوجدتْه ، والعوامل التى كوَّنته ، والدواعي التى أخـذت بيده فسيَّرته . ولا ريب أنَّ مواهبَه واجتهـاده ساعدا تلك البيئة والعوامل والدواعي إلى أقصى مَدًى يستطيعه الشاعر المحفوف بظروفه ، فكان لنا منه صاحبُ الشوقيّات بكلّ مالها وما عليها

قالوا ان الشطر الاعظم من قريضه مدحٌ ورثاء ، وعدُّوا ذلك منه إسرافا ، وودُّوا لو كان في مكان تلك القصائد من الشوقيات نظراتٌ الى دخائل الحيـاة المصرية تشفّ عن فرط إحساسه الشعري ، ومشاركته لطبقات الأمة في آلامها وآمالها

وقالوا إن ارادته لم تكن بيده ، وإنما كانت شاعريته تتأثَّر بعوامل السياسة وميول أهلها ، لقربه من المسرح الذي تشتبك فيه أصول تلك العوامل وأسبابُها . ورتَّبوا على هذا أنه لم يكن ثابتاً على المبدإ وأنه كانت تنقصه الشجاعة الادبية



« شوقي : آخر صورة له »

وقالوا انه اصطنع الشعرَ للذَّته ، فلم يغترف من طبائع الاشياء وأوضاع الناس في الحياة غَرفة شاملة يتذوّق بها حاجةَ عصره ، ولم يستغلَّ موهبته استغلالا جيّد المحصول عامّ النفع ؛ لذلك كان شعره كماليا للامّة

لقد قالوا مثل هذا القول وأكثروا منه ؛ وأنا لم أجدْ فيما قالوه نقداً لشعر شوقي ، وانما وجدتهم يريدون من شوقي لو كان عاش في غير البيئة التى عاش فيها ، وكان ابنَ عواملَ أخرى غير العوامل التى كان تحت تأثيرها ، وأنْ لو انقاد لغير الدواعي التى انقاد لها . أما وقد شاءت الاقدارُ لشوقي أن تكون تلك بيئته ، فان الأدب العربيَّ لم يكن يطمع باحسن مما أحسن به هذا الشاعر العبقريُّ الى أدب لغته ، حتى تبوَّأ منه المكانة التي رفعته الشوقيات اليها وضَمِنَتْ له بها الخلود

اتفقَت الكلمة على أن نفسيَّة شوقي ترجع الى أصولٍ متغايرة ، وعناصرَ مُتباينة . وتلك نتيجة طبيعيَّة لتباين العناصر التي تكوَّن منها شوقي ، ولتغايُر الاصول التي امتصَّت منها شاعريته غِذاءها . ألم يقل لنا عن نفسه انه مزيج جنسيّات متعدّدة ؟ ألم تتناوب تكوينَ ثقافته مدينتا القاهرة وباريس ؟ أليس رفيقَ المتنبي وهيكو منذ أربعين عاماً ؟ ألم يعش في بلد تنوَّعت فيه السلطات والازياء والاحكام ؟ أليس إذا أراد أن يعتزَّ بأمجاد التاريخ جعل يتنقَّل بين أهل الجنان الاندلسية من بني عبد شمس ، وبين ذكريات الفراعنة في أُنس الوجود ، وبين ما يشكره الكماليون اليوم من محامد آل عثمان ؟ أليس هو القائل لرجال الازهر :

يا فتيةَ المعمور سار حديثُكم ندّاً بأفواه الركاب وعنبرا
المعهدُ القدميُّ كان نَديُّه قطباً لدائرة البلاد ومحورا
وُلدتْ قضيتُها على محرابه وحبَتْ به طفلاً وشبَّت مُعصرا

هزُّوا القُرى من كهفها ورقيمها   أنتم لعمرُ الله أعصابُ القُرى

بينما هو القائل فيهم :

إذا عرض الجديد لهم تولَّوا   كذي رَمد على الضوء امتناعا

أليس يرى من الكياسة أن لاينسى نصيبَ الصليب من الاشادة بالذكر كلما طلع الهلال بأفق من آفاق شعره ؟ أليس هو الذي نادى الساقي في عيد الفطر وكان يستطيع أن يناديه قبل العيد ، لكنه لم يفعل . وكان يستطيع أن لايناديه قط ، ولكنه لم يفعل أيضاً . ولو فعل إحداهما لكان معارضاً لمقتضى تلك الأصول المتغايرة والعناصر المتباينة

إن الشوقيّات نِتاج هذه الاصول والعناصر ، وقد استطاع شوقي بكياسته ودَهائه وعبقريته أن يوفّق بينها بما يبلغه جهد الشاعر العظيم ، فاذا ابتسم للوردة بنشيد من أناشيد الطرب ادَّخر لاشواكها صيحة من صيحات الغضب يرسلها يوم تدعو الظروف الى إرسالها ؛ وفي كل غُصن من شجرة الحياة وردٌ وشوكٌ ، وفي كل يوم من أيام هذا الكون نورٌ وظلامٌ ، وللناس من دهرهم ابتسامةٌ وازْوِرار .
وهل رأيتَ شيئاً تغنَّى شوقي بمَحامده كما تغنَّى بمحامد الخلافة الاسلامية وقوَّتها من عهد العمرين عليهما رضوان الله الى يوم خاطب الطاغية عبد الحميد بقوله :

وهابَ العِدى فيه خلافتكَ التي   لهم مأربٌ فيها ولله مأربُ

فلما أبلغهم مصطفى كمال مأربَهم فيها متقرباً بذلك اليهم ، وظاناً ـ وبعضُ الظن إثم ـ أنه يحملهم بعمله على تغيير رأيهم في قومه ؛ لم تضنَّ عبقريَّة شاعرنا العظيم بقولٍ جميل يرسله في الناس استحساناً لما كان ؛ فراح الناسُ يحفظون شعرَه الثاني كما حفظوا شعرَه الاوَّل ؛ افتتاناً بجمال بيانه الساحر ، وإنَّ من البيان لسِحرا

لقد كان صديقى الأستاذ أنطون بك الجميّل وفيّاً للأدب بما اعتذر به لهذه

الصفحات المتباينة من الشوقيات ، ولقد والله ذكّر الناس بكثير من الحقائق ، ولكن العذرَ الشامل لما مضى وما سيأتي من أمثال ذلك إنما هو اختلافُ الاصول وتباين العناصر ، وشوقي لم يَعْدُ سُننَ الطبيعة فيما يتركه من آثار ذلك في الشوقيات ، وله المقدرة النادرة في تحويل الوجهة كلّما قضتْ عليه المواقف بتحويل مَراميه . وتلك من مزايا شاعرية شوقي التي لم أرَهم يفطنون لها

وفيما خلا هذا فشوقي شاعر الوصف الذي ضنَّ علينا الزمانُ بمثله منذ ألف سنة ، ويقولون ان أدب اللغة الفرنسوية أمدَّه بثروته ، وأباح له مروجَ جنّته ؛ ولكن هل ضنّت الآداب الأفرنجية بكنوزها وفراديسها على المئات بل الألوف من متعلمينا ؟ أليس ذلك مباحاً لهم ، ونرى أثره اكثر ظهوراً فيما يكتبون ؟ والحقُّ أن شوقي يملك بكل جدارة واستحقاق جميع ما في شعره من لآلىء ، لأنها تأنس بمواضعها من شعره ، وتظهر فيه بما هي أهل له من رونق وجمال ، بينما هي في كثير من الشعر تبدو كالجواهر التي تستعيرها الغادة الفقيرة لتتجمَّل بها ليلة عرسها

أقول قولي هذا ولا أجهل ما أشار اليه الرصافي والزيّات والشيخ عباس الجمل من طغيان المعاني على ألفاظها في بعض شعر شوقي ، بحيث سهر الناس حائرين في تعليلها وتأويلها ، بينما شوقي يقول مع أبي الطيب :

أنام مِلْءَ جُفوني عن شواردها ويَسهر الخلقُ جرّاها ويختصمُ

أما ما يؤاخذونه به من ضعف بعض مطالعه فهو عندي دليل قوة لا دليل ضعف لأن من دأب الجواد الكريم أن تزداد همّته كلّما بعُدَ الشوط بما لم يكن يظهر عليه في البداية . ويظن الأستاذ جبر ضُومط أن شوقي اذا ترك نفسَه على سجيّتها أشدُّ منه إذا تعمَّل ، بينما الأستاذ الزيات يقول ان شوقي قد يعفي طبعه أحياناً فيرسل الشعر كما يجيء من غير تنوّق فيه ولا تنقيح فيأتي بما لا يتَّفق مع

فضله . وأظنهما مُصيبَين جميعاً لأن كلاً منهما يتكلم من ناحية ، وبين الوجهتين فرق دقيق ، إذ التنقيح غير التعمّل ، وقلّما انتبه الناس الى هذا الفرق

ويرى الرصافي أن أرقى شعر شوقي ما قاله في الدور الأخير رغم تقدّمه في السنّ ، فهو يتفق في هذا مع شوقي فيما يراه من أن أجود قصائده نونية « توت عنخ أمون » ، ولعلّ لقرّاء الشوقيات رأياً غير رأي شوقي في خير ما قاله من القصائد

﴿ ترجمة الشعر ﴾

ذهب الاستاذ المازني الى ان مقياس جودة الشعر عنده « أن الجيّد في لغة جيّدٌ في سواها » . وفي صدق هذه القضية نظر لأن الشعر في لغة اذا نقل الى لغة أخرى فان الذي ينتقل الى اللغة الاجنبية انما هو عنصر واحدمن عناصر الجمال في القطعة الشعرية وهو المعنى ، وتبقى عناصر أخرى كانت تبعث الروعة والاعجاب في نفوس قراء الشعر بلغته الاصلية وهي مما لايمكن نقله ، لانها ترجع الى روابط خاصة بين تلك اللغة وعقلية أهلها ، كما ترجع الى ملابسات لاتعدو أبناء اللغة الاولى ، كلاشارة الى مَثل خاص بهم دون غيرهم أو الى حادثة لها في قرارة نفوسهم ذكريات لايشعر بها غيرهم . ولعلّ شعر الحكمة والتصوّف ـ كشعر المعرّي والخيّام وتاغور ـ هو بعد الشعر القصصي أكثر من غيره احتفاظاً بجماله اذا نقل من لغة الى لغة ، ومع ذلك فان تاغور يرى أن قوة البيان لاتكون واحدة في اللغتين المنقول منها والمنقول اليها ، لأن لكل كلمة جوّاً خاصاً بها في لغتها ، واذا أمكن ترجمة تلك الكلمة فان هذا الجو لا يترجم واذا كان المترَجم شعراً فان موسيقى الشعر بلغته الاصلية لا تنقل بالترجمة الى لغة أخرى ، حتى لو كان مترجمها باللغة الثانية هو صاحب الشعر باللغة الاولى . يقول هذا الكلام تاغور الذي عانى هذه الصناعة وتولّى بنفسه نقل شعره الى

اللغة الانكليزية التي أجمع كل الذين سمعوه يتكلم بها أنه يجيدها إجادة لامطمع لاحد بالزيادة عليها

وأذكر أنني لما كنت في القسطنطينية كتب الاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعي الى ابن عم له هناك ملحاً في أن يحملني على ترجمة شيء من الشعر التركي الحديث ليطّلع على أساليب القوم ومَناحيهم ، فكنتُ آخذُ المقطوعة البديعة جداً من المقطوعات الشعرية التي كنا نقرأها بشغف ، فأترجمها محتفظاً بأدقّ ما فيها من المعاني ، ثم أعلّق عليها بذكر ما يلابسها من نكات يعرفها القاريء التركي دون غيره ، فاذا أعدتُ النظر فيها وقارنتها بالاصل أجد من الظلم العظيم لصاحبها أن أرضى لشاعريته بالصورة التي ستنتقش في ذهن الاستاذ الرافعي عند قراءته ما أترجمه من شعر ذلك الشاعر . ولما كتبتُ مقالة « الادب التركي في ثلاثة أدوار » في الجزء الرابع من هذه السنة عاد فطلب اليَّ أن أترجم شيئاً من شعر عبد الحق حامد ، فوجدتني لا أزال الآن على رأيي الذي كنت عليه لما كنت في القسطنطينية . ومع ذلك فان الاستاذ كرد علي يقول انهم جرّبوا ترجمة « دمشقيةً شوقي » بالفرنسية فأُعجبوا بها ، ولست أدري الى أي حدّ تقيّدوا بأغراض شوقي ومعانيه عند نقلها

﴿ هل الفنُّ للفنّ ، أم الفنُّ للفضيلة والخير ؟ ﴾

زعم المشتغلون بتعريف الفنّ فيما مضي أن الغاية منه « التعبير عن الجمال » . ثم بدت لهم حقيقة رائعة وهي أن الجمال عند قوم قد يكون قُبحاً عند آخرين ، فما تراه الغادة اليوم جمالا في شَعرها كانت تعتبره أمُّها قبل عشر سنين في منتهى القبح ، وما تعتبره المرأة الصومالية جمالا تتحدَّثُ عنه المرأة الايطالية بتنقص وازدراء

وزعم آخرون أن غاية الفنّ تقليدُ الطبيعة ، ولقد خُدِعتُ بهذا المذهب

في طفولتي فقلت :

كأنّما الطيرُ فوقَ الطِرْسِ ينظرُ لي شَزْراً يقبّح ما في الطرس من فِكَرِ
يقول : سُخطاً لشعر رام قائلُه وصفَ الجمال فلم يرسُمْه كالصُوَرِ

فهل يرى القارئ أن الصورة الشمسية لمشهد من مَشاهد الطبيعة تعدُّ قطعة من القطع الفنية ؟ الواقع انه لا يراها كذلك

وذهب إيبولِتْ تِنْ الى أن الغرض الذى يرمي اليه الفنّ بيانُ الصفة المتمازة في طبائع الاشياء ، ثم يكون ما بعدها من الصفات ـ سواء كان من لوازمها أو من الصفات المشتركة ـ تبعاً لتلك الصفة الممتازة . وهذا كلام حسن ، لكنه يصبغ الفنّ بصبغة علمية ، لأنه ينكر شخصية المتفنّن وما لها من أثر جوهري في أسلوب البيان أو طريقة الاداء

وقد انتبهَ الى ذلك إميلْ زُولا فقال في حدّ الفن : هو الطبيعة منظوراً اليها من مِزاج المتفنّن . فالمتفنّن لا يعبّر عن الحياة وعن الطبيعة بحقيقتها الواقعة ، كما كنتُ أظنُّ أيامَ الصبا ، بل يعبّر عنها كما يرتسمان في مزاجه ؛ ومن هنا كان لشخصية المتفنّن والعناصر التي يتكوّن منها إيمانه وتفكيره وحُكمه دخلٌ عظيم في قيمة الآثار الفنية التي تصدر عنه الى الناس

ولكن هل يجوز أن يكون مزاج المتفنّن طليقاً من كل قيد ، أم تشمله القاعدة التي تجعل للحرّيات حدوداً ؟ أو بتعبير آخر : هل يستوي الشاعر الذي يقف مواهبه لخير الجماعة والشاعر الذي لا يبالي بما يصدر عن مواهبه من خير أو شر ؟ والمشتغلون بالأدب اصطلحوا على أن يتساءلوا في هذه القضية : هلِ الفن للفن ، أم الفنّ للفضيلة والخير ؟

هنا أمران يجب أن يلاحظهما كل من يخوض في هذا الحديث :

الاوّل : أن الشاعر وكل متفنّن هل يعيش لنفسه أم للجماعة ؟ واذا كان

يعيش للجماعة هل يريد أن يكون فيها كالكوكايين يلذّ ويؤذي ، أم يريد أن يكون كالوردة يلذّ وينفع ؟

الثاني : هل الاعتبارات الادبية واحدة في كل أمة ، أم أن الآداب للأمم كالغذاء للافراد فما يُتسامح به في الأمة القوية ربما كان وبالاً على الأمة الضعيفة

الذي أفهمه أنا هو أن هذا الشرق يجب أن ينتفض من سِنَة الكرى التي امتلأت بها عيناه ، وأن يقتصد في الوقت فيتخذ من كل قوّة مَدَداً لحياته : وما دام الشعر قوّة ذات سلطان على النفوس فيجب أن تنصرف هذه القوة للجدّ لا للهزل ، وللعمل لا للكسل ، وللرجولة لا للتخنّث ، ولتوجيه القوى القومية الى آفاق المجد وتحويلها عن جوّ الفناء الضائعة فيه الآن تحت سقوف القهاوي والملاهي ...

لقد سئمت النفوس كتابَ حَلبة الكميت وديوان رامي ، فغذّوها بمثل شعر كپلنغ الانكليزي ومحمد أمين التركي

ان أمم الشرق في خطر ، فدَعونا من هذيان الفنّ للفنّ فيما لايتفق مع الفضائل الفردية والقومية

ان الشاعر لايعيش لنفسه بل يعيش لقومه . وهذه الشعوب الناطقة بالضاد أحوج الى شاعر يأخذ بأيديها الى معترَك الحياة وميدان العمل ، منها الى شاعر يأخذ بشبانها وشاباّتها الى باب الحانة بأحابيل الغزَل

اذا كانت أمم الغرب آمنة بأساطيلها وجيوشها وجامعاتها ومصانعها ومصارفها من الاخطار القومية والعلمية والاقتصادية ، وعندها متّسع من الوقت تتمتع فيه بالفن الذي صيغ للفنّ ، فنحن معاشر الشعوب الناطقة بالضاد موجودون في وسط حريقة ، فهل يشعر بذلك شعراؤنا ؟

﴿ الاصلاح الذي نحتاج اليه في شعرنا ﴾

أما الاسلوب والديباجة فيجب أن يبقيا عربيين كما كان ينظم بشّار والبحتري والشريف الرضي ، وكما كان ينثُر عبد الحميد وابن المقفَّع والجاحظ . وكما لايجوز أن تمتدَّ اليدُ الآثمة بالتشويه الى الفن الذي أُبدِعتْ به جبهةُ الحمراء وأقواسها ونقوشها ، ومَعالم مسجد السلطان حسن ودقائقُه وبدائعه ؛ كذلك أسلوب العربية الصحيحة الخالد بالقرآن يجب أن يبقى مابقي القرآن . وأما فيما عدا ذلك فكما يجوز لنا أن ننشيء وراء مثل جبهة الحمراء غرفاً مهندسة بأنفع أساليب الهندسة الاقتصادية التي وصلت الى معرفتها مَدارك البشر ؛ كذلك يجوز لنا أن نعدّل بعض نظرياتنا في الشعر ، ما قضتْ بذلك حياتُه وحياة الامة به

ويحسُن بنا بعد الآن أن نعتبر القطعة الشعرية بمجموعها كُلاًّ مؤلَّفاً من عناصرَ لايتمُّ إلاّ بها . أي أننا يجب أن نعدِل عن نظريتنا القديمة التي تعتبر البيت كُلاًّ مستقلاً ويصبح الكلّ في نظرنا هو القطعة بمجموعها . وهذا لايمنع أن تتخلَّل القطعةَ أبياتٌ استطرادية يكون الواحد منها مَضربَ المثل يتحدَّث الناسُ به في مقام الاستشهاد لحقائق الحياة ، وآيةً في الحكمة ترتلها الألسنة في مواقف العظة والاعتبار

وما دمنا قد اعتبرنا القطعة الشعرية كلاًّ مؤلفاً من عناصر لايتمّ إلا بها فمن مقتضى ذلك أن يجتنب الشاعر هذه الاستطرادات في القصيدة الواحدة ، وألا يتنقَّل فيها من موضوع الى موضوع آخر ليس من جنسه ، وأن نُعرِض الى الأبد عن تقديم النسيب بين يدي الأغراض الأخرى التي هي مقصودة بالقصيدة دونه . ومن مقتضى اعتبار القطعة بمجموعها كلاًّ أن يُعنى الشاعر بمَغْرِبها عنايتَه بمطلعها ، فيفرغ في البيت الاخير من القوة ما يبقى رنينُه في النفس

طويلاً ، كما يكون لتلك الضربة الشديدة التي ينتهي بها الدور في موسيقى الجيش

ومما يحسُن ملاحظته أن يكون حجم القطعة الشعرية متناسباً مع ما يحتمله موضوعها ، فقد تكفي السبعة الابيات ليؤدّي بها الشاعر كلَّ غرضه ، ويحيط فيها بما أراده ، وتكون لها عند قرائها من الحرمة والمكانة ما للقصيدة الكبرى

وقد كان شوقي أول من جرَّب الشعر التمثيلي في رواية (على بك) قبل خمسة وثلاثين عاماً ، ونظم القصيدة الكبرى غير مرة . لكن هذا النوع من النظم المطوَّل يجب أن تتداوله الاقلام الكثيرة وتتعاون عليه ؛ ويجب أن يسعفه المسرح ويوالي التجربة فيه ، ويحتاج الى أن تكون في الشباب روح أدبية تتلقَّى ثمراته باقبال ليوالي كُفاتها عملهم بنشاط . وفي القصيدة الكبرى ، وفي الملحمة ، يحسن تنويع الموضوعات والتنقّل فيها . ويحسُن تنويع الوزن والقافية على ماتقتضيه المعاني ، وعلى ما تقتضيه موسيقى تلك المعاني : من أوزان تلائم الروح الهادئة ، الى أوزان تسعف النفس الهائجة ، الى نغمة لائقة بمقام الحزن ، الى رنّة تكمل معنى الابتهاج ؛ وكذلك الامر في القوافي

وبعدُ فقد كان أشرفَ ينابيع الشعر التي شرب منها شوقي وغير شوقي من شعرائنا ينبوعان : الطبيعة والتاريخ . وأبدع مظاهر شعره وشعرهم الوصف . وما دمنا نتكلَّم في الاصلاح والتجديد فيجدُر بنا أن نلتمس من شعرائنا ـ وفي أيديهم مفاتيح القلوب ـ أن ينتقلوا بنا الى أدبٍ آخر غير أدبنا الحاضر ، إلى أدب التوحيد الذي تشترك فيه الشعوب القارئة لهذا الشعر ، والى أدب الحياة الذي تعرف به هذه الجماعات طريق القوّة ، والى أدب التقوى الذي نخرج به من رذيلة الضعف ونبرأ به الى الانسانية من جريمة الخنوع . نريد أن نحيا وتمنعنا أدواء في الشعر علاجها ، ونريد أن نسير وفي الصدور رهبة لا تزيلها غير صرخات الشعراء تهيب بنا الى ميادين الشرف

ان الغرب لما أراد أن يملك رقاب الشعوب التي تقرأ شعركم يا شعراء العربية استهواها بملاهيه وزخارفه وأهوائه وموبقاته . ولا خلاص لهذا الشرق العربي من شراك الغرب إلا اذا عدل أهله عن تلك الزخارف والموبقات الى ما في الغرب من صناعة ونظام ومعرفة ، وهل من قوة تستطيع تحويلنا عن ذاك الى هذا أشد تأثيراً من المدرسة للبنين والبنات ، ومن قوة الشعر للفتيان والفتيات ؟

ان الشاعر ترجمان الالهام ، ولا يكون الشاعر صادقا فيما يترجم عنه من مُلهَمات الطبيعة والفضيلة والحياة إلا إذا كان متّصفاً بما يدعو اليه من صفاتٍ ومَحامدَ وأخلاق . هو قائد الامة وحامل رايتها الى المطمح الأقصى في الأغراضَ القومية ، وإلى المثَل الاعلىٰ في الفضائل الانسانية ؛ ولا يستطيع الشاعرُ خوضَ غمار المعركة في هذه القيادة إلا اذا كان مؤمناً بما ينطق به من إرشاد ، وعاملا بما يتغنّى بذكره من مَبادئ ، وصادقا فيما يأمر به من معروف وينهى عنه من منكر . أما الكلام الجميل الذي يصدر عن اللسان فيمرّ بالآذان ضيفاً ثم يذهب طنينه مع موجات الريح ، وأما الكلام الصادر من القلب فهو الذي يملأ القلب ويسكن في قرارة النفس ، وذلك هو الشعر ، وصاحبه هو الشاعر !...

محب الدين الخطيب

﴿أمرانِ لا ثالثَ لهما﴾

ان القائمين باحياء اللغة العربية بين أمرين : إما أن يضربوا بالمُضَريَّة الفصحىٰ عرضَ الحائط ويقولوا لا شأن لنا فيها ، ثم يعمدوا الى اللغة العامية فيرفعونها الى مقامها ؛ وإما أن يتكلوا بعد الله على أنفسهم ثم يرفعوا من شأن اللغة الفصحىٰ فقط باتخاذ الأساليب الآيلة الى قتل اللغة العامية

هذان الأمران لا ثالث لهما

بيروت عبد الله البانى

وادى موسى

تلك القبورُ وماثِل الاطلالِ صُحفٌ منشَّرة وذكرٌ عالِ
للنفس بينهما ، وحولَ حِماهما ، عِظةٌ ومَسْرح عِبرة وجلال
ان ناح مُرتجزُ السحاب عليهما فاستسقِ صَيِّب دمعك الهطّال
هي سِلْع ، والبَتْراء ترجمة اسمها نَسجتْ عليه عناكبُ الاهمال
وأدال منه ومن مَعاهد أنسها زمنٌ يروِّع كلَّ ناعم بال
فإذا العرُوبة هُجنةٌ ممسوخة واذا المنازل والديار خوال

***

وادٍ تحفُّ به الشوامخ مُمعنٌ في السفح أربدُ قالِصُ السربال
يندسّ آونة ويسنح تارة بين الهضاب ، ومن وراء جبال
متعرِّج يلتفّ غيرَ معرِّج ويجول حين يَهيم كل مَجال
فلو ان مرتاعًا يروغ مشرَّداً ما كان أعجبَ منه في الإيغال
متجاوبُ الاصداء تسمَع ـ كأنما أصغيتَ ـ فيه هَماهمَ الاغوال
إن صرَّحتْ باليأس منه أمدَّها أملٌ على الأيام ليس بسال
شقّ الاديم الى الصميم مهرولاً ينحطُّ بين حُزونة ورمال
ذكر القطينَ فجدَّ يهبط خلفهم يتقحَّم الغمَرات غير مبال
قد كان منتجعَ العفاة ، ولم يزل بعدَ العفاء مَحطَّ كل رحال
لمشمِّرٍ بين البلاد ، مخبِّرٍ نبأ العباد ، وسائحٍ جوّال

***

قلقُ المجاز كأن كل طِمِرَّة سُرُح اليدين عليه ذات شِكال
غبرت تعضُّ على الشكيم تغيّظًا وتدِبُّ بين تعسُّف وخَبال

تترقّب القدَرَ المُتاح تلفتاً فتغصّ حين تهم بالتصْهال
وَيهولها الأملُ السحيق كأنها تجتاز فوق مزالق الاجيال

* * *

أشرفتُ منه على العصور تمثّلتْ ومشيتُ بين هدًى وبين ضلال
وشققتُ جيبَ الارض من أطرافها حتى انتهيت اليه نِضْوَ كلال
وشهدتُ فيه مدينة منحوتة في الصخر تحتَ مُشيَّد التمثال
موصولة حُجراتها بفِنائها نقراً على عمدٍ لهن طِوال
لبستْ إياةَ الشمس في ألوانها وزهتْ بأبرع زُخرُف وصِقال
والقصرُ نحوَ القصر ينظر شاخصاً نظرَ المدلَّه مؤْذِنًا بزِيال
إن وَرَّع العبرات(١) جاش أتيُّها وهمتْ سِجالٌ منه بعد سجال
ومغارةٍ وقفتْ حِيالَ مغارة ومُدرَّجٍ في إثرِ آخرَ تال
يتشعَّث الدرَج الشتيتُ خِلالها كخطوط أعسرَ أو دبيب نمال

* * *

بلد كان يداً دحتْه، فخرٌّ من قُلَل الجبال ممزَّقَ الاوصالِ
فبنا الصخور على الصخور تحطَّمتْ وهناك منه حقيقة كخيال
أو كالطلاسم فوق مُهْرَقِ ساحرٍ في كل زاوية خبيئة حال
موتٌ تطوف به الحياة، وموقفٌ خشعتْ لديه طوارقُ الأهوال
تمضي القرون على القرون كأنها ـ وقد انحدرنَ اليه ـ بضعُ ليال
فانظر الى الامصار كيف تنكَّرتْ والى القضاء يصول كلَّ مَصال
والى الأنام تلفُّهم أكفانُهم بعد الجهاد ونضرة الآمال
وافزعْ الى الملك المهيمن فوقهم فالعلم ملَّ تنطُّسَ الجهّال

(١) كفكفها

وجدال دجال، وسخف موسوس يتشدقان بطائش الأقوال

* * *

سبحان من يهب الحياة تبرعاً من قبل أي رضا وأي سؤال
متصرف في الكون غير مفرط يبني الجديد من القديم البالي
كتب الخلود على الوجود، فلم يكن في الموت غير تحول الاشكال

فؤاد الخطيب

الذين زعموا . . .

مقلدة الانشاء الغربي، أو أولئك الذين زعموا أنهم مجددون - وكل جديدهم ما قد علمت - فاولئك قوم منا قد شقيت بهم لغتنا أيما شقاء، وكانوا عليها حرباً وشراً مستطيرا . وانما هم أناس عاجزون، سقام العزمات، يؤثرون الخمول والكسل على النصب والعمل؛ إذا اعترضتهم في دراسة لغتهم صعوبة ناءوا عنها بجنوبهم، ونابذوها وخاصموها، وراحوا يكتبونها - إذا ما جارت الاقضية فجعلت في أيديهم أقلاماً وبين أيديهم طروساً - بما سنح لهم وعرض من اللفظ والتركيب أيّاً كان وكيفما كان، عجزاً وجهلا واستهانة . ومن أحسن ما قيل في وصف أولئك النفر المستضعفين العجيب أمرهم، تلك المحاضرة، بل ذلك الكتاب النفيس «في اللغة العربية» لناسج بردته الأديب الكبير والكاتب القدير السيد إسعاف النشاشيبي خطيب فلسطين وأديبها . لقد والله أبان وفصل، وجال في كتابه جولة شاك موجوع، ينفث نفث مصدور، فلم يدع ولم يذر . وليقرأه كل ذي غيرة من أهل الحفائظ للعصبية واللغة العربية . كبت الله خاذليها، وأيد بروحه ناصريها

أحمد أبو الخضر منسي

مصر وأمريكا

قبل ألوف السنين

المستر ألفرد دي بري ـ المدرّس الآن بمدرسة بنى سويف الأميرية ـ ذو خبرة واسعة بأحوال أمريكا الوسطى ، لانه جاب بقاعا عظيمة منها بوظيفة مستشار نباتي للرئيس دياز . وهو يقول انه رأى أثناء سياحاته أن وجه الشبه عظيم جداً بين المدنية القديمة في أواسط أمريكا وبين المدنية المصرية ، وفي اعتقاده أن أول مكتشف للقارّة الأمريكية من أهل القارّات الاخرى انما كان رجلا مصريا ، ويخيّل اليه أن قاربا مصريا خرج من سواحل مصر قبل بضعة ألوف من السنين فجرفه التيار حتى بلغ به شواطيء أمريكا الوسطى ، كما قذف الموجُ سنة ١٥٠٠ م سفينة كابرال البرتغالي أثناء قيامه برحلة الى الهند فرمته العواصف على شواطيء البرازيل على غير قصد منه ، وبذا استولى البرتغاليون على مستعمرة فخمة

ويؤكد الاستاذ دي بري أن التشابه المشاهد الآن في أمريكا الوسطى بين آثار حضارتها القديمة وبين حضارة الفراعنة في مصر لا بدَّ أن يكون نتيجة حادث قديم وقع قبل آلاف من السنين لسفينة مصرية طوَّحت بها الأقدار فألقتها في تلك الديار وقام ركّابها بوظيفة الأساتذة لسكان البلاد التي آوتهم وأنقذتهم من بين براثن الامواج

وان سكان أمريكا الوسطى ما برحوا يقومون منذ عهد طويل بحفلات سنوية يخلّدون بها ذكرى ذلك المعلّم المجهول

التمثيل عند الفاطميين

اطلعت على ما نشر في «الزهراء» الغراء [(١)] من اكتشاف تمثال مغنية عربية في أطلال الفسطاط، وما لاحظه مسيو فييت مدير دار الآثار في أصل هذا التمثال. ثم قرأت بسرور ما كتبه صديقي العلامة السيد عبد الله مخلص [(٢)]. ولي كلمة مستعجلة في شأن هذا التمثال، وان لم أره ولم أطلع على صورته

وذلك أنه يوجد بدار الآثار التونسية (المتحف العلوي في باردو) لوح رخامي وقع العثور عليه بمدينة المهدية منذ خمسة أو ستة أعوام طوله ٥٣ سنتيمتر وعرضه ٣٦ سنتيمتر عليه صورتان بارزتان تمثل الأولى (جهة اليمين) أميراً عربياً متربعاً وعليه نوع حلة على زنديها توشيح طرز جميل، وعلى رأسه تاج مرصع باليواقيت يتفرع من أعلاه الى ثلاثة فروع مثلثة الشكل وهو مُغاير لما عُرف من التيجان عند الافرنج قديماً وحديثاً، وفي وسط الأمير نطاق محلّىً أيضاً بالجواهر، وبيده اليمنى كأس بلور، ولجانبه صورة مغنيَّة متربعة أيضاً وبيديها مزمار طويل تنفخ فيه. واليك صورة ذلك اللوح كما ترى في الصفحة التالية

لكن ـ ويا للأسف ـ لحق هذا اللوحَ إفسادٌ وتكسير من بعض الجهلاء غيّر ذات الأمير حتى صار من الصعب اثبات الأوصاف وشمائل الوجه، ومهما يكن فان ما بقي سالماً منه يفيدنا كثيراً عن هيئة الجوس واللباس وخصوصاً عن التاج العربي، وسأعود اليه

وأول ما تبادر لذهني عند رؤية هـذا اللوح الرخامي أنه راجع الى العصر الفاطمي الزاهر بافريقية، ويؤيد ما خطر ببالي أدلةٌ عديدة: منهـا أن الفاطميين

(١) مجلة الزهراء ج ٥ م٣ ص ٣٤١ (٢) الزهراء ج ٨ م ٣ ص ٥٢٧

كانوا مولعين بوضع الصور المجسّمة للانسان والحيوان في قصورهم المتعددة بالقطر الافريقي (كقصور المنصورية حذو القيروان ، وسردانية حذوها أيضاً ، وقصور المهدية – وهي عاصمتهم التي أنشأوها من أصلها وفيها ظهرت قوة سلطانهم وزخارف الفن المختص بدولتهم – ومنها شكل لباس الامير ورسم الطرز ولا سيما التاج الموضوع على رأسه . وقد أثبت لنا التاريخ والأدب معاً حمل الفاطميين التاج ، حينما لم ينصا على أن غيرهم من امراء أفريقية لبسوه

وقد شاركني في هذا الفكر – من ارجاع رسم اللوح الى العصر الفاطمي الافريقي – جناب مسيو جورج مرسي مدرّس الآثار الاسلامية بكلية الجزائر فانه لما رأى للمرة الاولى تلك الصورة حكم عليها بديهة بكونها فاطمية كما يقتضيه الذوق والصنعة واللباس



لوح رخامي به صورة أحد الامراء الفاطميين (ولعله المعز لدين الله)
محفوظ في دار الآثار العربية في باردو (تونس)

ثم لاح لي بعد التأمل ملياً في هذا اللوح أنه ربما يمثل صورة الأمير المعز

لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين وواسطة عقد بيتهم (وهو أبو تميم معدّ بن المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدي ـ ولد بالمهدية سنة ٣١٧ وبويع بالخلافة في منصورية القيروان سنة ٣٤١ وفتح مصر سنة ٣٥٨ ومات بها سنة ٣٦٥) وانما وقع الأمير المعز ببالي لاشتهاره بحمل التاج في المواكب الرسمية حتى صار به ينعت ويلقب ، نكتفي للدلالة بما وصفه به أديبا إفريقية المشهوران : على بن محمد الايادي التونسي ، ومحمد بن هانىء المهدوي المشهور بالأندلسي

قال الاول من قصيدة يمدح بها المعز ويصف قصر البحر بالمنصورية (١) :

اذا بث فيها الليلُ أشخاصَ نجمه رأيتَ وجوهَ الزنج بالنار تُحرَقُ
وانْ صافحتْها الشمس لاحتْ كأنها فِرِنْدٌ على تاج المعزّ ورَونَق

وأما محمد بن هانيء فكاد أن لا يمدح المعزّ بقصيدة الا ويذكره فيها بلبس التاج ، فمن ذلك قوله (٢) :

مُبينٌ بعقد التاج ما أنتَ بالغ وميقاتُ ملك الخافقين المؤرّخُ

وقوله (٣) :

بُهتوا فهم يتوهمونك بارزاً التاج مؤتلفاً عليك لموحا

وقوله (٤) :

وعند ذي التاج بيض المكرُمات وما عندي له غيرُ تمجيدٍ وتحميد

وقوله في رائيته المشهورة (٥) :

فجرّدَ ذو التاج المقاديرَ دونها كما جُرّدَتْ بيضٌ مضاربها حمرُ

وقوله من أخرى (٦) :

(١) زهر الآداب للحصري (بهامش العقد الفريد) طبع مصر ١٣١٦ ج ١ ص ١٩٩ ـ وبالطبعة الثانية ج ١ : ١٧٣ (٢) ديوان ابن هانىء الاندلسي طبع بيروت ١٣٢٦ ص ٤٤ (٣) ديوان ص ٣٥ (٤) ص ٤٥ (٥) ص ٨٨ (٦) ص ١٣٩

وأن لا إمام غير ذي التاج يلتقي عليهم هوادي مجده والحوارك

وفيها أيضاً [١] :

أبعد التماعي التاج ملء محاجري يلوك أديمي من فم الدهر لائك

وقوله بمناسبة موكب عيد الفطر [٢]

وعلى أمير المؤمنين غمامة نشأت تظلل تاجه تظليلا

وفي القصيدة نفسها [٣] :

كتب الفرند عليه بعض صفاتكم فعرفت فيه التاج والاكليلا

ومنها أيضاً [٤] :

أمتوج الخلفاء حاكمهم وان كان القضاء بما تشاء كفيلا

وقوله من قصيد أرسل به من إفريقية الى المعز بمصر [٥] :

ولا التمتع التاج المفصّل نظمه على ملك منه أجل وأعظم

وفي القصيد عينه [٦] :

ولم يلبس التيجان للجهة التي أراد بها الأملاك من كل جهضم

وله في أول ما مدح به المعز [٧] :

هذا معدّ والخلائق كلها هذا المعز متوّجاً والدينُ

على أنه لو أحببنا استقصاء كل ماجاء في ذكر لبس المعز للتاج واختصاصه بحمله لطال بنا النقل ، ولذا نكتفي بما أوردنا لاثبات ما أردنا . وفوق كل ذي علم عليم

تونس : غرة شوال ١٣٤٥ حسن حسني عبد الوهاب

(١) ص ١٤٢ (٢) ص ١٥٥ (٣) ص ١٥٧ (٤) ص ١٥٩ (٥) ص ١٨٨
(٦) ص ١٩١ (٧) ص ٢١٢

ربيع البائس

بكى شجوه ، ثم انثنى يندب الحمى وبالسفح من جنب الحمى كم مفارق
تأرّج كافوراً وتذكر مغرما أطافت به من ذلك الربيع نفحة
من الشوق للروض الذي قد تنمنما نسيم اذا ما هبّ أوقد جذوة
درار هفت شوقا اليه من السما كأن زهور الروض في جنباته
عيونا أفاقت بعد ما كنّ نوّما تلاحظ من وردٍ ورندٍ ونرجس
فيبعث أنس السامعين مرنّما يقرّ بعين العندليب جمالها
فتنسج فوق العاصي درعاً مرقما (١) تثير تباشير الربيع يد الصبا

* * *

عهاد الحيا تروي النوادي والدّمى سقى عهد أنس فيه عشنا بغبطة
ألمّ بها عادي الشقا وتجهّما فكم غادة بعد الترفه والمنى
كما ينثني لدن الغصون تنعما يظللها الغضّ الوريف وتنثني
فأصبح يبكي - بعد ما نكبت - دما وكان منى نفس المحب وصالها

* * *

لما علق الولهان كحلا ولا لمى ولو يعلم الولهان غاية أمره
شدا ، ويقاسي للبعاد التألما يهيجه الطير المغرد كلما
يقاسمنا - في العيش - بؤسى وأنعما وحبب ذا المغنى الى القلب أنه

حماه

عمر يحيى

(١) العاصي : نهر حماه

القومية في الادب والتاريخ

كان أدباء الألمان ومؤرّخوهم وفلاسفتهم في بروسيا في القرن الثامن عشر يُشيدون بذكر العظمة القومية ، ويتعهّدون الشعورَ الوطنيَّ في كتاباتهم . فلما حاول نابليون إخضاعَهم في أوائل القرن التاسع عشر انقلبت الفكرة الكامنة في النفوس ، الفكرة الحيَّة المنتجة وليدة آدابهم القومية ، الى قوَّة خارجية منظمة انتفضَت فُجاءةً فأخرجت الأجنبي من الديار ، وأحاطت استقلال بروسيا وعظمة ألمانيا بسياج متين

إن الآداب القومية الصحيحة ، من تاريخ وبيان وفلسفة ، يجب أن تكون رسولَ الفكرة الوطنية الى النفوس ، بشرط أن لا تتبذَّل في السياسة ، وأن تصون نفسها عن الامتهان وخدمة الأغراض ، وأن تروَّى فيها شهوات العُلى ، وأن يتنفَّس المظلوم في أفيائها ، وأن تكون له مصدرَ قوّة وإلهام ، تردُّه الى العزم إذا أصابه ضعفٌ أو خَوَر ، وتَعصمه باليقين إذا جَنح الى اليأس والاستسلام ، وتتعهّده إذا عزَّ المعين ، وتحدوه في الطريق المأمون الى غاية المراد البعيد

ادب وتاريخ محمد صبري

﴿ دار الحزن ﴾

انما الدنيا شُجونٌ تلتقي وحَزِينٌ يتأسَّى بحزينْ
ضَحِكُ الدنيا احتشادٌ للبكا وأغانيها مُعَدّاتُ الأنين

شوقي

المشتغلون بدرس الآثار اليمانية

﴿ من محاضرات العلامة كارلو نالينو في الجامعة المصرية ﴾

﴿ إدْوَرْد گلازر Edward Glaser ﴾

ورحلاته الأربع الى اليمن

وُلد گلازر سنة ١٨٥٥ في قرية صغيرة من بوهميا التي كانت تابعة للنمسا ، وهي الآن من بلاد تشيكوسلوفاكيا . ولما بلغ ١٦ عاماً اطلع اتفاقاً — وهوَ في أحد المقاهي — على جزء من مجلة جغرافية شهرية فيه بحث عن سياحات ليڤينگسْتُن في جنوب إفريقية ، فكان لذلك اثر عظيم في قلبه ، أثار فيه الميل الى السفر في الأقطار المجهولة . والتحق بمدرسة الهندسة في مدينة براگا Praga ليتعلم ما لا بدَّ له منه عند رسم الخرائط ، كالفلك والمساحة . وابتدأ حينذاك بتعلّم العربية . وبعد أن نال شهادته انتقل الى ڤينة وصار فيها معاونًا في المرصد ، وثابر على درس العربية في أحد المعاهد العليا بڤينة . وتعرَّف ثمة بالاستاذ مولر D.H. Muller وكان يُعنى بالكتابات الحِميرية ، فحثّه على السفر الى اليمن . وليتقدمَ في تعلم العربية ومعرفة أحوال الشرق قَبِلَ وظيفة مؤدّب في القنصلية النمسوية بتونس ليتأهب للدرس

(١) وفي سنة ١٨٨٢ ارتحل الى الاسكندرية ومكث في مصر تسعة أشهر ، ثم توجه الى الحديدة فوصلها في شهر اكتوبر من تلك السنة . أما نفقات السفر فقام بها گلازر بمعونة استاذه الذي جمع له ١٢٠ جنيهاً مصريا ، وساعده المجمع

العلمي الباريسي بمبلغ ٢٣١ جنيهاً بشرط أن تكون نتيجة أبحاثه ملكاً للمجمع المذكور. وهذه هي رحلته الاولى. فخرج من الحديدة قاصداً صنعاء ولبث فيها سنة دون أن يحصل على إذن بالدخول الى جهات أخرى من أرض اليمن ، لأن الوالي التركي لم يشأ أن يأذن له الا اذا تلقى فرماناً سلطانياً بذلك . وعلى كل حال فقد استفاد گلازر مدة إقامته في صنعاء شيئاً كثيراً عن أحوال اليمن ، فلما جاء الفرمان وفيه الاذن بسفره الى (هَمْدان) ذات الشهرة العلمية قديماً ، والى (أرْحَب) ، وهما من البلاد الواقعة في شمالي صنعاء ، أعدَّ هذا الباحث عدَّته ورحل اليهما فعثر على كتابات بالقَلَم السَّبَأي فنَسَخها ، وقد نشر المجمع العلمي الباريسي أكثرها ، غير أن النسخ كان لا يخلو من أغلاط . هذه هي الرحلة الاولى لـگلازر

(٢) وقام برحلة ثانية عام ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦ ابتدأها ببلاد واقعة في جنوب الخط الواصل بين الحديدة وصنعاء ولا سيما نواحي (ظفار) التي كانت عاصمة حِمْيَر قبيل الاسلام فجلب ١٢٥ كتابة بعضها أحجار موجودة الآن بمتحف لندن . وجمع أكثر من ٢٥٠ مخطوطة عربية قديمة من مؤلفات الزيديين وهي الآن في دار الكتب ببرلين . وهذه الكتب ذات أهمية لانها تساعد على معرفة مذاهب الزيديين والمعتزلة في العقائد والفقه

(٣) وكانت رحلته الثالثة من أكتوبر سنة ١٨٨٧ الى سبتمبر سنة ١٨٨٨ فابتدأها من عدن متوجهاً الى صنعاء ماراً في طريقه على (تعزّ) و (إبّ) و (العُدَين) والجزء الجنوبي من تهامة . ولما بلغ صنعاء تجهز لزيارة خرائب (مارب) فوصل اليها بعد (ارنود) و (هاليفي) إلا أن (هاليفي) لم يتمكن من الاقامة بها غير ساعة واحدة لأنهم لم يسمحوا له بذلك . والسفر الى هذه الجهة كان ولا يزال محفوفاً بالخطر ؛ حتى ان الترك الذين كانوا قائمين بأمر اليمن لم يكونوا

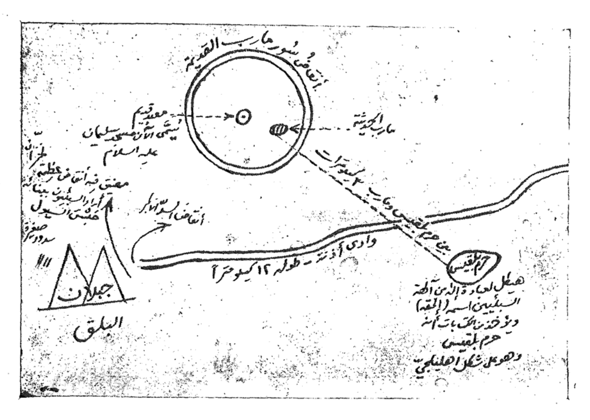
يتمكنون من الدخول اليها ، لأن البدو لا يمكنون (الأجانب) من ذلك على الاطلاق . وقد تمكن گلازر من هذه الرحلة بصفة غريبة ، وذلك أنه اتفق مع الوالي التركي على أن يقول گلازر لامير مارب أنه يريد البحث عن إمكان ترميم سدّ مارب وإعادته الى ما كان عليه قبل الاسلام ، لتحيى به الأراضي وتسهل الزراعة . ولكن مع هذا التدبير ما استطاع گلازر أن يقيم هناك لولا عون السيد محمد بن عبد الله المرْوَعي من (آل الاهدل) السادة الحسينية[1] الكثيري النفوذ في بلاد اليمن . ويقول الاستاذ أحمد زكي باشا انه ما تمكن من رؤية أشياء كثيرة في رحلته الى اليمن الا بأنه مسلم من السادة الحسينية . فلما فهم السيد محمد بن عبد الله الاهدل حُسنَ غرض گلازر أعانه عليه وأمدّه مع علمه بأنه نصراني. ارتحل السيد وأمير مارب وگلازر من صَنعاء في نصف الليل ، لئلا يعلم أحد بأنه سافر معهما ، وكان يلبس لباس فقيه ، فكان أمير مارب يحسب أنه فقيه مسلم ولولا ذلك لما أمكنه السفر أو الاستمرار . وكانت رحلته هذه محفوفة بالمشقَّة إذ كان الاهالي يطلبون منه فى بعض الاحيان أن يكون اماماً للجماعة ، وألحوا عليه مرة أن يخطبهم فكان يقول لهم « أنا مديّن » والمديّن عندهم لا يتقدمُ للامامة وأحياناً يقول « أنا لا اقدّم نفسي على سيّد حسيني »

﴿ گلازر في مارب ﴾

مكث گلازر في مارب مدة شهر نسخ في أثنائه كتابات كثيرة طويلة مفيدة جداً . وقد سُمح له بأن ينزع الرمل والتراب الذي يغطي الكتابات ، فعثر على كتابات مطوّلة جدّاً لم يُسمع بمثلها من قبل

وخرائب مارب متسعة جداً ، وهاك رسمها :

(١) ان أهل اليمن وحضرموت يطلقون لقب « السيد » على الذى ينتسب الى سيدنا الحسين بن على بن ابى طالب ، ولقب « الشريف » على من ينتسب الى سيدنا الحسن



خرائب مارب ، وأنقاض السد

وقد وجد گلازر على السدّ الكبير ـ المبين في الرسم ـ كتابتين طويلتين ذات مائة سطر جاء فيها : إن شرحبئيل يعفر ملك سبأ رمَّم هذا السد سنة ٥٦٥ (والمرجَّح أن عدد ٥٦٥ منسوب الى تاريخ ابتدأ سنة ١١٨ قبل الميلاد ، فتاريخه اذن هو سنة ٤٤٧ بعد الميلاد)

ووجد كتابة أخرى ذات ١٣٦ سطراً وضعها أبرهة الحبشي سنة ٦٥٨ (أي سنة ٥٣٩ بعد الميلاد) وأبرهة هذا كان واليًا على اليمن من قبل النجاشي . وهاتان الكتابتان مهمتان من الجهة التاريخيه ، فان فيهما شيئًا كثيراً عن تاريخ اليمن وأحوالها

ولما عثر گلازر على هذه النفائس أراد الارتحال الى بلاد الجوف الواقعة شمالي مارب حتى نجران ، غير أن قلة المال اضطرته للرجوع الى صنعاء حيث

وصل ومعه ٦٣٢ كتابة بالسبئية والمعينية . ومن هذه الكتابات الكتابة التي ذكرنا في الكلام على رحلة هاليفي أنها موجودة في سور صرواح العاصمة الاولى لمملكة سبَأ وتتضمن ألف كلمة ، وهي أطول ما وجد بالسبئية حتى الآن . وهنا تنتهي رحلة گلازر الثالثة الى بلاد اليمن

(٤) أما الرحلة الرابعة فكانت من سنة ١٨٩٢ الى ١٨٩٤ . فقد سافر من عدن ماراً بتعزّ ثم بصنعاء . فلما بلغ صنعاء لم يقدر على السفر أكثر من ذلك بسبب الفتن التي قامت بين القبائل داخل اليمن ، فأقام في صنعاء مدة سنتين اخترع في أثنائهما وسيلة مضمونة للحصول على نسخ صحيحة من الكتابات ، مستعملاً في ذلك بعض الأعراب

كان روّاد الآثار اليمانية ـ حتى ذلك الحين ـ ينسخون الكتابات بأيديهم لأن آلات التصوير كانت نادرة ، ويصعب استعمالها في بلاد العرب ، فكان ما ينسخونه عرضة لاخطاء كثيرة في النقل . فعلّم گلازر البدوَ نقل الكتابة الحجرية بما يسمى بالفرنسية Estampage وذلك بأن يبلّوا ورق النشاف ويضعوه على الحجر المكتوب ويلمسوه بالاصابع أو بفرشة ليّنة ويضغط ثم يرفع وقد انطبعت عليه الكتابة كالأصل . وبهذه الطريقة نقل له الأعراب كثيراً من الكتابات ، منها كتابات سبق لهاليفي نقلها غير أنها لم تكن صحيحة فنقلت لگلازر نقلا صحيحاً . وبلغ ما نقل لگلازر بهذه الطريقة ١٠٠ كتابة بلغة قتابان فيما بين مارب وشبوة Sabota ، وشبوة هذه مذكورة في كتب العرب وذكرها بلينوس باللاتينية ، وتقع على منتصف الخط الواصل بين ساحل البحر الأحمر أمام جزيرة كَمَران ومصبّ وادي المسيلة في المحيط الهندي على عرض صنعاء . وهذه الكتابات هي التي أظهرت وجود مملكة قتابان

ونقل گلازر في هذه الرحلة بعض الأحجار المنقوشة وباعها لمتحف فيينّة

ونقل نقوشاً حِمْيَرية وآثاراً أخرى . وبالجملة فقد جمع في أسفاره كلها نحو ألفي كتابة ، ولم تزل تُكشف بعد گلازر كتابات أخرى ، غير أنها قليلة جداً بالنسبة الى ما نقله هو.

وقبل ترك هذا الباب ـ باب روّاد اليمن الباحثين عن الكتابات القديمة ـ نذكر شهيرَين من روّادها : بُرْخارْدت Herrmann Burchardt الالماني وبنزوني Gaetano Benzoni الايطالي ، فقد رادا معاً بلاد اليمن لجمع الكتابات ، وابتدءا سفرهما من الحا ، ولما وصلا قريباً من (إبّ) قتلهما البدو في دسمبر سنة ١٩٠٩ ، وكان برخاردت قد أرسل قبل ذلك الى أوروبا كتابات أخذها بالفطوغراف

من تلك الآونة جعل أهل اليمن هذه الكتابات القديمة متجراً ، فينقلونها من مكانها الاصلي ثم يبيعونها ، فتضيع قيمتها الأثرية بجهل موضعها الاول . ونظن أنهم يحاولون حفر الارض لاستخراج مافيها ، وهذا مضر جداً لان الحفريات التي يعملها من ليس له المام بالحفر تأتي بضرر ، إذ من شروط الحفريات العلمية أن يوصف بكل دقة ماوجد في كل طبقة من طبقات الارض ، وأن لاتخلط ذخائر طبقة بذخائر أخرى ، فتندثر الدلائل على ترتيبها التاريخي.

ومن البدو من لايعرف غرض علماء المشرقيات من جمع هذه الكتابات فيخربونها ، كما حصل في آثار (خرائب سَدُوس) وهي في الجانب الجنوبي من نجد ، وفيها عمائر ذات كتابات بلغة لم تعرف الى الآن ولا استطاع أحد أن ينسخها . قال السيد محمود شكري الالوسي في تاريخ نجد[1] « ان في مقاطعة العارض من بلاد نجد بلد سدوس ، وفي قربها أبنية قديمة يُظن أنها من آثار حِمْيَر وأبنية التبابعة . نقل لي بعض الثقات من أهل نجد أن في جملة هذه الابنية

(١) ص ٢٦ طبعة المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣

شاخصاً كالمنارة ، وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في الجدران ، فلما رأى أهل قرية سدوس اختلاف بعض السياحين من الأفرنج اليها هدموها مخافة التداخل معهم »

﴿ أنباء عن الكتب ﴾

* لابي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري كتاب في أخبار الوزراء والكتّاب في الدولة الاسلامية من صدر الاسلام الى آخر خلافة عبد الله المأمون امير المؤمنين . والمعروف من هذا الكتاب نسخة واحدة مخطوطة في مكتبة ڤينة عاصمة البلاد النمسوية وهي نسخة قديمة جيدة تقع في ٤٠٨ صفحات . وقد عُني بطبع هذا الكتاب النفيس المستشرق الفاضل هنْس . ف . مْزيك ـ Hans V. Mzik طبعة مطابقة للاصل خطّاً وصورة . فنشكر له هذه الخدمة

* نشر زنانيري باشا كتابا له بالفرنسوية جاء في نحو ٣٠٠ صفحة سماه (روايات) تضمن بلغة رشيقة مهذَّبة قصصاً مختارة من آداب العرب وتاريخهم أفرغها في صور من جمال الوصف بعثت فيها الحياة فجعلت القارىء كأنه يشهد بيئة تلك القصص ويعيش فيها

* للكاتب المدقق أنطون افندي إلياس أحد أدباء العرب في الأرجنتين كتاب باللغة الاسپانية ذكر فيه الكلمات الاسپانية الكثيرة التي من أصل عربي ، وقد أدّى به البحث الى الحكم بأن العربية أقدم لغة حية . وقد أرجع كثيراً من الكلمات الانكليزية واللاتينية واليونانية وغيرها الى أصلها العربي وبرهن على أنها ليس لها في غير العربية تحليل ولا تركيب . فهي في غير العربية غريبة وفي العربية ذات نسب وسلالة . نقل هذا رصيفنا صاحب مجلة (الشمس) الذي يعرف الأسپانية معرفة جيدة ويؤكد أن نصفها من أصل عربي

الدقائق

« يا هاجراتي بلا عتابْ ولا رُجوعْ
ياطائراتٍ الى السَّحَابْ طَيْرَ الجزُوعْ
أنتُنَّ بَعْضي فأيُّ ذَنْبٍ يُشْجي القريبْ ؟
الهجرُ قاسٍ وأيُّ صَعْبٍ كَهجْرِ الحبيبْ ! »
قُلْنَ الدقيقاتُ الحسَانْ : « أنتَ المُسيءْ
ضَيَّعْتَنَا ضَيْعَ الهوَانْ لَسْنَا نَفِيءْ
ما مَرَّ لن يأتي وإنْ صَافَى الزَّمَنْ
سِيَّانِ تلهو أو تَئِنْ لن تُؤْتَمَنْ
لم تَدْرِ ما مَعْنَى الحياةْ حتى المَشيبْ
أنفقتَها دونَ انتباهْ مثلَ الجنيبْ
والآن ما تبغي وقدْ ولَّى الغِنَى ؟
هيهات يُرْجَى المُفْتَقَدْ يا مَنْ جَنَى !
لو كنتَ قدَّرْتَ الوُجودْ تقــــــديرَنا
ما لُمْتَنَا لَوْمَ الجحُودْ أو خُنتَنَا . . ! »

***

إحرصْ على النفع الأتمْ مِن الدقيقهْ
إنْ تَنْسَهَا تَنْسَ الأهمْ بل الحقيقهْ
ما العُمْرُ الاَّ جَمْعُها أو ضَيْعُهـــا
ما النُّجحُ الا نَفْعُها لا دَفْعُهـــا !

أبو شادي

رأي في الاخطل

قرأتُ في السياسة الاسبوعية رأي الدكتور طه حسين في الاخطل ، فرأيت أن أبدي بعض ملاحظات على محاضرته تتلخص فيما يأتي :

إن أهم شيء يجب أن نبني عليه حكمنا فى شعر الاخطل هو نشأته الشعرية الاولى ، فلا نصرانيته ولا قوميته أثرا في شعره . نشأ وشعر الحطيئة الجزْل الرصين يملأ طباق الجزيرة العربية ، ويتحاكم الاشرافُ الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من أجله ، ويقف حسّان موقف الخبير فيكون لحكمه أثره في كل حفل وناد . ومَن الحطيئة ؟ هو أول شاعر امتهن الشعر بعد الاعشى ، وجعله وسيلة لكسب الرزق وسد العوَز ، وكان يكفيه من القصيدة التي تسير سير المثل مَلْء بطنه وريٌّ كبده . كل هذا والاخطل مقتَّر عليه ، تسومه زوج أبيه سوء العذاب ، وتريه الهوان ألوانا ، حتى اذا ضاقت به الارض بما رحبت فرَّ لايلوي على شيء ، وقد امتلأ قلبه حقداً على عشيرته وبغضاً لاهله . وثارت نفسه ، وسمع ورأى أثر شعر الحطيئة في نفوس قوم ورثوا حبَّ المدح وخوف الذم . وما هي الا أبيات من الشعر يقولها حتى تدرّ له أخلاف الرزق ، ويثأر لنفسه من الانسانية التي ضنت عليه حتى بالكفاف من القوت . ونفس الشاعر دائماً حساسة ثائرة ، ولهذا كانت باكورةُ شعره مقطوعة هجا بها شيخاً من أشياخ قبيلته ، فنبذ من رهطه وطرح ، وأصبحت الهوّة بينه وبين قومه سحيقة

اعتمد الاخطل على شعره وتحيَّن الفرص ليدخل به مدخلا يرضيه بعد ان جردته الايام من حمية الجاهلية فهو لايأبه لقبيلته التي طحنتها الحروب ، ولا يرجو لها عزاً بعد ذل ولا نهوضاً بعد خمول ، ولولا أنه هو الذي ابتدأ جريراً وذم قومه بشعره الذي يقول فيه :

وأقسم المجدُ حقاً لايحالفهم حتى يحالف بطنَ الراحة الشعرُ

ماردّ عليه جرير بقوله :

والتغلبي اذا تنحنح للقِرى   حك استه وتمثل الامثالا

لانه يعرف منزلة قومه في نفسه ، ولكنها عادة الشعراء يرمي أحدهم صاحبه بالحجر الذي رمي به. ومن هنا تعلم أنه لم يدخل قصور بني أمية لينتفع به قومه ، لانهم لاحظ لهم في ملك بني أمية وهم على نصرانيتهم ، وما كان لبني أمية أن تتحبب اليهم وتخشى بأسهم بعد أن شتت شملهم وفرق جمهم ورحلوا إلى أطراف الجزيرة وبعدوا عن الاسلام وأهله . وكيف يهب معاوية لسانه للنعمان بن بشير وفيهم بقية من قوة أولهم به اتصال سياسي ، ومعاوية من تعرف غير ثابت في ملكه يتودد الى من يأنس فيهم العزم من العرب ، ويسع جفاءهم بحلمه ، وشدتهم بلينه . ولكن هناك أسباب مهدت للاخطل أن يكون شاعر بني أمية دون جرير والفرزدق ، وكلاهما فحل مثله ومن ورائه قومه ينصرونه ويعزونه . ولا بأس من ذكر شيء عن كل واحد منهم على حدة لنتبين الحقيقة :

﴿ ١ – الفرزدق ﴾

ان شرف بيت الفرزْدق سما به عن مدح بني أمية ، وان مدَحهم ببيت من قصيدة فمدحه لقومه كان في عشرين منها . ومن أجل ذلك لم يكن شاعرَ بني أمية ولم يشأ أن يكون شاعر بني أمية . قال صاحب الاغاني : دخل النصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق ، فاستنشد الفرزدقَ وهو يرى انه سينشده مديحاً له ، فأنشده قوله يفتخر :

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم   لها ترةً من جذبها بالعصائب
سروا يركبون الريح وهي تلفهم   على شعب الاكوار من كل جانب
اذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها   وقد خصرت أيديهم نار غالب

فغاظ سليمان وكلح في وجهه ، وقال لنصيب : قم فأنشد مولاك ويلك !

فقام نصيب فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

قفوا خبروني عن سليمان انني   لمعروفه من أهل ودّان طالبُ

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان : أحسنت والله يانصيب . وأمر له بجائزة ، ولم يصنع ذلك بالفرزدق . فقال الفرزدق — وقد خرج من عنده — :

وخير الشعر أكرمه رجالا   وشر الشعر ماقال العبيد

﴿ ٢ — جرير ﴾

كان في بيت جرير بقية من شرف ، إلا أنه كان مدّاحا يتكسب بشعره ، ولم يتح له ان يكون شاعر الخلفاء . وللسياسة في ذلك أثرها الذي لاينكر ، لان جريراً من تميم العراق وأهل العراق هم الذين نصروا علياً وشايعوه ، فكان لجرير ان يتحامى بني أمية ، وكان لبني أمية أن تقصي جريرا . فولى وجهه شطر الحجاج بن يوسف يمدحه فيجزل له العطاء ، حتى علم بذلك عبد الملك فغضب وطلبه ، فأرسله الحجاج مع ابنه محمد خوفا عليه ولما مثل بين يدي عبد الملك وأنشده :

أتصحوا أم فؤادك غير صاحٍ ؟

قال له : بل فؤادك ثكلتك أمك ! وتغير عليه ، لولا أنه قال :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راحِ

ومع ذلك لم يجزل له العطاء ، وأمر الاخطل بركوب ظهره في حضرته . ولا أدري أي شيء سوغ لعبد الملك ذلك على اسلام جرير ووقاره ! ولعل الذي سوغ ذلك هو الذي سوغ دخول الاخطل عليه وهو ثمل ، والصليب في عنقه ، وجمرة الاسلام لاتزال متقدة ، وملك بني أمية لم يوطد بعد . ولكنها السياسة والمحافظة على الملك ، وكما يقولون « مادخلت السياسة شيئاً الا أفسدته » . هجا الاخطل جريراً بعد ذلك وهجاه جرير وأقذع ، فضم الاخطل اليه الفرزدق

والبعيث والراعي وغيرهم وجعلوا يناهضون جريرا ويناهضهم حتى قهرهم، وكان على عبد الملك بعد هذا الفوز أن يضم اليه جريراً و يتخذ من سلاسة شعره وسهولته صحيفة يومية تناضل عنه وتنشر أخباره . ولكنه لم يفعل خشية بني عبد شمس الذين نقموا على الخليفة الوليد بن يزيد لانه طرب عندما غناه يونس الكاتب بيتاً من الشعر في مدح المصعب بن الزبير وهو :

ان يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من عيشنا مانرجى

ولم يغفروا له ذلك ، مع أنهم غفروا له كل شيء حتى التهتك والاستهتار في الملذات . ومن هنا تعلم ان العصبية كانت في بني عبد شمس بالغة منتهاها

﴿٣ ـ الاخطل﴾

شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية وقال فيها شعراً كثيراً، كقصيدته التي يقول في مطلعها :

آب ليلي بهموم وفكر من حبيب هاج حزني والسهر

وعرف ذلك الناس وتناقلوا شعر عبد الرحمن ، فغضب يزيد ولم يجد من يهجو ابن شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ابن عمه عبد الرحمن بن الحكم ، فأوعز اليه ان يهجوه فهجاه وردَّ عليه ابن حسان . ولما كثر التهاجي بينهما والفحشا وخاف معاوية الفضيحة وأن تنتقض عليه الانصار، كتب الى سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط . كل هذا والاخطل يرقبهما من كثب ، ويريد ان يهيء لنفسه سبيلا يصل به الى مجالس بني أمية ليكون شاعرهم الذي يناضل عنهم . فتطوع وهجا الانصار جميعاً ومدح بني أمية ، فرحب به معاوية سراً ، خصوصاً وانه لاشاغل له في ذلك الوقت الا التمهيد لبيعة يزيد من بعده ، ومعاوية رجل داهية يستفيد كما يقولون من الظروف فعهد الى يزيد بضم الاخطل اليه وتقريب مجلسه بعد أن أمره بالسعي لدى النعمان

ابن بشير في العفو عنه . ومن ذلك الوقت كان الاخطل شاعر بني أمية ولسانَ حالهم لا لسان حال العصر ، ولم يسر شعره كما سار شعر جرير ولم يروه الاحكماء الشعر ، أما غيرهم فانهم أنفوا منه لنصرانيته ولانه المعبر عن آراء الفئة المعتدية – كما يسمونها – ولأنهم لايطربون له . واذا أردنا أن نرى حقيقة عصر بني أمية من خلال الشعر فما علينا الا أن نعرض شعر جرير شاعر الدهماء والامراء ، وشعر الفرزدق شاعر الشيعة والقومية ، وشعر الاخطل شاعر الحكومة ، ثم يكون لنا الحكم الصائب بعد ذلك . لأنه لايمكنك أن تعتمد على صحيفة يومية واحدة في تحقيق خبر من الاخبار فان لكل صحيفة هوى تغير من أجله الحقائق ؛ والاديب من حصل على الحقيقة من مجموعها وتناقض آرائها . وهذا لايمنعنا من أن نذكر لكل واحد منهم قيمة شعره الفنية وميزته الخاصة به ، ونكون محقين اذا قلنا ان شعر جرير أسْيَر وأمثل ، وشعر الفرزدق أجزل وافخم ، وشعر الاخطل أمتن وأرصن . ولولا انهم تكسبوا جميعاً بالشعر مانزل خيالهم الى سماء الدنيا وصب في هذا القالب الحسي الذي نراه

بورسعيد عبد القادر عاشور

﴿ مقالات الزهراء ﴾

لدينا مقالات وقصائد كثيرة بأقلام طائفة من كبار أهل الفضل اضطررنا الى تأخيرها من هذا الجزء رغم زيادتنا في حجمه ، لأن الفهرسة السنوية أخذت منه جانباً غير يسير . ومن هذه المقالات المتأخرة بحث عن (شجرة الرضوان) للاستاذ الشيخ عز الدين الفلاروي عضو المجمع العلمي الاسلامي بفتنة (الهند) وبحث في (معلقة لبيد) للاستاذ السيد بدر الدين العلوي ، ومقالتان للاستاذ الشيخ عبد العزيز الميمني احداهما عن الطبعة الجديدة لكتاب (الاغاني) والثانية عن (الربيع بن ضبيع الفزاري) منقولة من كتاب التيجان لابن هشام ، ومقالة للاستاذ اسكندر افندي المعلوف عن (الرسائل الصلاحية والشعر الصلاحي) الى غير ذلك من نفثات اقلام الكتاب والشعراء وموعدنا بنشرها الآتي القريب ان شاء الله

ذكرى شهداء العرب

هبَّ والليلُ غُدَا فيَّ الجناح   باكياً يشكو بأحشاه جراحْ
كلَّما صعَّد أنفاساً وناحْ   وخز القلبَ وأصلاه ضرامْ
كالسهامْ

رقد الناسُ وناجى وشكا   والدجى فيه مثارات البكا
يتعالىٰ صوتهُ مرتبكا   وسوى رجعِ الصدى مامن مجيبْ
للكئيبْ

هبْ ليَ اللهمَّ صبراً وجلَدْ   وله . إذْ قد وهىٰ منا الجسد
قد تقلبنا على نار الكَمَدْ   نتلظَّى حرقاً في حرقِ
في رَهَقِ

نزلت فيناٰ وفي أمتنا   بعد عزٍّ كان في دولتنا
نُوَبٌ لم تُبْقِ من همتناٰ   وهي لو حلّت على طودٍ لَهَارْ
في اندثارْ

أين مجدٌ أثّلَتْهُ الخلفاءْ   والمُعَاوِيُّونَ أقمارُ السماءْ؟
قد تلاشَى معَ ذرّات الهواءْ   مُذْ تساهَلْناٰ وسلمنا الزمامْ
للأعجامْ

كلُّ ما حلَّ بجسم العَرَبِ   من هُزالٍ منهكٍ أو وَصَبِ
لم يكن إلا بسعيِ الأجنبي   غير أن العُرْبَ لم يعتبروا
ويذكروا . . .

كل مَنْ جاءَ يحيّي بابتسامْ   وهو لايبطن إلا الانتقامْ
حسبوه صادقاً يرعى الزمامْ   ثم ولَّوهُ فأصمى وغَدَرْ
دون حَذَرْ

ليس يرعى العُرْبَ غيرُ العربي أنبياً كان أم غير نبي !
وَخَئون من بني قومي غبي استُ أرضَى عنه «كسرى» بَدَلا
كلا ولا . . .

فعل « الفُرْس » بنا ما فعلوا و « بنو جنكيزَ » كم قد قَتَلُوا
من رجالٍ بهمُ المستقبل كان يزهو مثلما تزهو ذُكاءْ
في السماء

من يَرُم يُحصي رزاياهم كتابْ ضاق ذَرْعاً بالذي رامَ وخابْ
إن أذاقونا بما جاءوا عذابْ فسنُصليهم بما نأتي سعيرْ
وثبورْ

إنما الحرب كما قيل سجالْ وحياة الناس في الكون جدالْ
والليالي بالأعاجيب ثقالْ ليس يدري الناس مايأتي غدُ
ثم بَعْدُ

***

شُهداءَ العُرْب عنوانَ الكرامْ رحمةُ الله عليكم وسلامْ
إن رقدتم تحت أطباق الرِجامْ فلقد خلدتُمُ ذكراً جميلْ
لايزول

قد تركتم سيرةً في الآخرينْ هي نورٌ وهدى للعالَمينْ
يُدْلِجُ الساري على فجر مُبِين من سناها في الليالي الداجياتْ
القاتماتْ

قد رأيتم عيشة الاذلال عارْ وأبيتم أن يسومونا الصَّغارْ
فاشْتريتم بالدم الغالي الفخارْ وبعثتم أمةً بعد المماتْ
للحياةْ

كتب التاريخ في الفخر كتابْ أنتمُ الطُغرىٰ به في كلِ بابْ

كل سطر خطَّه فصل الخطابْ يتجلَّى فيه صـدقُ المرسلينْ
في الغابرينْ
إن شعبـاً أنتمُ بعضُ بَنيهْ لهوَ شعب حازم الرأي نَبيهْ
لن يهونَ الدهرَ للخطب الكريهْ ويرى في الهون عاراً أيَّ عارْ
وشَنَارْ

***

ياشبـابَ اليوم أبطـال الغدِ من بني يَعْرُبَ أهل السُؤْدَدِ
أخلصوا في السعي والمعتقد وانْهجوا نهجَ الكرام الشهداءْ
في الفداءْ
وَحِّدُوا الرأيَ وسيروا أُمَمَا وانشروا العلم وجارُوا الأُمَمَا
إن بالعلم تنالونَ السما وكنوزاً تحت أطباق الثَرَى
لن تحصرا
ليس أهل الغرب أرقى فِكَرَا إنما جَدُّوا فنالوا الوَطَرا
وركدنا فرجعنا القهقرى ليس للانسان الا ما سعى
وانتفعا
حطِّموا القيد وثوروا للتراتْ فالى كم نرتضي الضيم حيـاة ؟
أحياة هـذه أم ذي ممـاتْ كل يوم نبأ يكسو البلادْ
ثوبَ حِدَادْ
« جلّق» ترْهَقُ بالبيض الرقاق وزكيُّ الدم في « الريف » يُراق
مثلما أُهْرِيقَ في أرض العراق وبلادُ العرْب للمستعمِرِيْن
لا تستكين

بغداد : ٤ ذي القعدة ١٣٤٥ . محمد بهجة الأثري

النجوم الزاهرة

قرأت في الزهراء (م ٣ ص ٤٠٠) خبرَ عزم دار الكتب المصرية على طبع « كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردي فسُررت جداً بهذا الخبر الذي بتُّ أرجو تحقيقه في القريب العاجل ؟ لان الجزءين الاولين من طبعة لَيدن صارا أندر من الكبريت الأحمر ، ولأن الاجزاء الأخرى التي أتمّ طبعها المستشرق الاميركي وليم بوبر ليست متناسقة متتابعة بل انّ الذي طبعه هو بقية الجزء الثاني وبعض الجزء الثالث الذي ينتهي باخبار سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) ثم الجزء السادس الذي يبتدىء من ٨٠١ هـ (١٣٩٨م) وينتهي في أواخر سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) ثم القسم الاول من الجزء السابع ويبتدىء من آخر ٨٤١ هـ الى ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) فبقية الجزء الثالث والجزءان الرابع والخامس لم تطبع بعد ولعله لم تصل يده اليها ، والقسم الاخير من الجزء السادس الذي طبعه هو القسم الأول من الجزء السابع . أقول ذلك لانّني كنت اطّلعت على هذا الجزء في المكتبة الخنبليّة المعروفة بمكتبة عائلة قطينة [1] ونقلت عنه ما كتب بأوله وآخره وهي نسخة خزائنية جميلة الخطّ نسخت قبل

(١) عائلة قطينة من العائلات المعروفة فى بيت المقدس ، ومكتبتها هذه كانت موقوفة على الطالبين قبل ثلاثين عاما ، وكان مكانها في سوق خان الزيت ، الا أنه بعد وفاة المشتغلين بالعلم من هذه العائلة نقلت الكتب الى دارهم . وقد زرتها منذ ثلاثة أعوام بعد سعي طويل فألفيت الكتب في كوخٍ خشبيٍّ حقير قد سُقف بألواح التوتيا ، والشمس تفعل في الكتب فعلها . وفي جملة الكتب التي اطلعت عليها بها جزء من تذكرة الصلاح الصفدي ، وكتاب اتحاف اخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا وتحفة الابرار فى الكلام على الاشجار ، وغيرها من الكتب القيمة . ويخشى ان تصيب هذه الكتب جائحة فتذهب طعمة النار

ولا أذكر ان أحداً جاء على وصف هذه المكتبة ، سوى أن العلامة الجليل سعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا قد ذكرها في عرض كلامه على نوادر الكتب المخطوطة في المقال الممتع الذى نشره فى مجلة الهلال (م ٢٨ ص ٣٢٤) فقال « وفى قطين بالقدس غنية الطلاب في الرمي بالنشّاب » وقد قال لي أحد المستشرقين : ان هذه المكتبة معروفة لدى الغربيين بكتبها الفلكية الكثيرة

وفاة مؤلفها ، وقد جاء في أولها :

« الجزء السابع من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تأليف الاستاذ العلامة فريد عصره ووحيد دهره ثقة المخبرين وعمدة المؤرخين حاوي فضيلتي السيف والقلم جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن المقر المرحوم تغري بردي كافل مملكتي (؟) الشامية والحلبية . رحمه الله وأبقى سلفه آمين »

وفي آخرها :

« انتهى الجزء السابع من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة على يد الفقير علي المرزوقي في سادس عشري ذي الحجة الحرام سنة احدى وستين وثمانمائة »

وأوّل هذا الجزء « ذكر سفر السلطان الملك الاشرف برسباي الى آمد » في حين أنّ هذه العبارة قد ابتدأ بها ناشر الكتاب القسمَ الخامس من الجزء السادس وفي نسخة الحنبلية هي أول الجزء السابع كما رأيت ، وعلى هذا الوجه فقد ابتدأ الناشر الجزء السابع بسلطنة الملك العزيز يوسف بن السلطان الاشرف برسباي الدقماقي في آخر سنة ٨٤١ هـ ووصل فيه الى سنة ٨٥٦ هـ .

وأذكر ان الدكتور أولبرايت الاميركي كان بعث يسألني عن الاجزاء المخطوطة الموجودة من هذا الكتاب في فلسطين فذكرت له ذلك الجزء اذ لم أطّلع على سواه في دور الكتب العامة والخاصّة في فلسطين

وقد كان يوسف أفندي اليان سركيس كتب لي من القاهرة أن بعض أجزاء النجوم الزاهرة المخطوطة الناقصة من طبعة بوبر محفوظة في الخزانة التيمورية التي أصبحت بفضل صاحبها العلامة الجليل تغنينا عن دور الكتب الغربيـة البعيدة عنا بما استنسخ لها من المخطوطات النادرة وبما تحتويه من الاصول الخطية الكثيرة ، مما بتنا نرجو معه إتمام طبع هذا الكتاب طبعة كاملة كما أقر ذلك مجلس دار الكتب المصرية وسعادة الباشا من أعضائه ، فتعم فائدة الكتاب ويمكن للراغبين اقتناؤه ، لانّ طبعته الاوربية الناقصة غالية الثمن ولا يستطيع أكثر القراء الحصول عليها

بارك الله في دار الكتب المصريّة وبارك لنا في مصر أمّ البلاد العربيّة وإمامها المقتدى ومثلها الاعلى

عبد الله مخلص

اليد العضو ـ تجمع على أياد

جاء في مجلة الزهراء الزاهرة (٣ : ٥٨٤) من مقال للشاعر الكبير والفاضل الجليل للاستاذ أمين بك ناصر الدين مانصه :

« وقولهم (مدّوا أياديهم) والصواب (أيديهم) لأن اليد اذا عُني بها الجارحة جمعت على أيدٍ ، وأما الايادي فجمع اليد المقصود بها النعمة »

أقول : هذا الذي نبه اليه الاستاذ هو رأي صلاح الدين الصفدي ، وبنى عليه إنكار ما يكتبه الناس في قولهم « الملوك يقبّل الايادي الكريمة » . والواقع أن جمع اليد ـ بمعنى الجارحة ـ على أيادٍ واردٌ في أشعار العرب . قال أبو علي القالي في أمالية (١ : ١٥١ طبعة سنة ١٣٤٤) أنشد أبو زيد :

طوال الايادي والحَوادِي كأنها سَماحيجُ قُبٌّ طار عنها نُسالُها

قال : الحوادي الأرجل التي تحدو الايدي وتتلوها . انتهى

وأورده أبو عبيد البكري في التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه(ص ٥٤) فقال : وهذا البيت حجة في جمع اليد العضو على أيادٍ ، وكذلك بيت القُحَيف :

ومن أعجب الدنيا اليَّ زجاجةٌ تَظلُّ أيادي المنتَشين بها قُتلا

وفي كتاب النوادر فى اللغة لابي زيد الانصارى (ص ٥٦) : قال رجل من عبد شمس جاهليٌّ :

أمّا واحداً فكفاك مثلي فمن ليدٍ تطاوحها الايادى

قال أبو زيد : تطاوحها الايادي أي ترامي بها . والايادي جمع يد . وطاح الشيء ذهب . أي أكفيك واحداً ، فاذا كثرت الايادي فلا طاقة لي بها . اه

وجعل صاحب اللسان « الايادي » جمع « أيد » فقال : وقد جمعت الايدي في الشعر على أيادٍ . قال جندل بن المثنى الطهوي :

كأنه بالصَحْصَحان الانْجَلِ قُطنٌ سُخامٌ بأيادي غُزّلِ

وهو جمع الجمع ، مثل أكرع وأكارع . ونقل عن ابن سيده أيضاً أن

الايادي جمع الجمع قال : وانشد أبو الخطّاب :

ساءها ما تأملت في أيادينا وإشناقها الى الاعناقِ .

وإنما انقل عن ابن جني أن أكثر ماتستعمل الايادي في النعم لافي الاعضاء وأودّ قبل الانتهاء من هذه الكلمة أن أشكر للاستاذ أمين بك عنايته بهذه اللغة وغيرته عليها . جزاه الله خيراً   محمد المكي بن الحسين

المدنيات الثلاث

خطب الفاضل الشهير المسيو توسين فى حفلة كبرى اقيمت فى باريس ـ احتفالا بشاعرية شوقى ـ فقال :

« ان الحرب العامة اثبتت فسادَ نظريات الغرب ، وأوضحت كَونَ المدنية المبنية على المادة وحدها قاصرة عن الوفاء بحاجة الانسانية »

ثم قال «ان أمراض المدنية الغربية الحادثة قد بدأت تسري الى الشرق» . وأورد مثلا على ذلك صنيعُ انقرة التي نقضت التقاليد ، ومرقت من الديانة ، مع أن هاتين هما البنيان فى عظمة تركيا السابقة »

فاجابه كاتبنا الاكبر الامير شكيب ارسلان بقوله :

« لستُ متفقاً مع المسيو توسين فى كل ماذكره عن مدنية الغرب ، فالشرق مديون للغرب بكثير من أسباب المدنية ، لاسيما فيما يتعلق بالرفه وتدبير المنزل ونظام الاجتماع وفنون الصناعة وجرّ الاثقال . كما أن الغرب مديون للشرق بمبادىء الانسانية العليا

« وبالاجمال المدنيّات ثلاث :

احداها تكاد تكون روحية صرفة ، وهي (مدنية الصين والهند)

والثانية تغلب عليها المادية الصرفة ، وهي (مدنية أوروبا وأمريكا)

والثالثة وسط بين الاثنتين ، وهى (المدنية الاسلامية) . فالواجب أن يُستفاد من المدنيات الثلاث ليؤخذ من ذلك مجموع لاشكَّ أنه يكون فى تحقيقه سعادةُ المجتمع البشري »

فكان لكلام الامير تاثير عميق فى نفوس علية الفرنسيين، ووافقوا جميعاً على انه الحق

لولا تجلد شارل مارتل

شبلي بك ملاط من أشعر مسيحيي لبنان ان لم يكن أشعرهم ، وقد أنشد في مهرجان تكريم شوقي بك قصيدة رائعة قال فيها :

مَن للزمان بمثل فضل محمد ... وعدالةٍ كعدالة الخطّاب
رفعَ الرسولُ عمادَ أمةِ يعرُبٍ ... وأعزها بالآل والأصحاب
غشت الفتوحُ وصفّقت راياتها ... في الشرق فوق أباطح وهضاب
وتغلغلت في الغرب طائرةً على ... أكتاف صقرٍ جارح وعقاب
لولا تجلّد (شرْل مرْتلَ) خيمتْ ... في قلبه بسُرادقٍ وقباب[1]
ولكانَ صار الغربُ أندلساً به ... شوقي يقول سَواحراً وسَوابي

* * *

حيّ الجزيرةَ في مسارحها وما ... في الريف من ريّ ومن إخصاب
واسمعْ فديتك نبرةً مصريةً ... عربيةً في منطقٍ خلاب
واستنشد القرآنَ قوماً جوّدوا ... منه بآيٍ في النفوس عذاب
واقرأ به فُصحى اللغات مُدِلّةً ... في المشرقين بجوهر الاحساب
أخذت قريشُ بجزلها وبكت بها ... غرناطةٌ في رقةٍ وعتاب
لولا يدُ الاسلام لم تسلم بما ... فيها من الأخلاق والآداب
ولو ارعوى من صدّ عنها زاهداً ... مُتغللا بعنا يكب الأسباب
لأريته عندَ العياء خطاءه ... وأريته عند البيان صوابي
من لم يصُنْ لغة الجدود فليس من ... قوميّة تنميه في الأنساب

(١) يشير الى الملحمة الكبرى بين العرب والافرنج فى (بواتيه) بفرنسا ، وقد أراد الله أن يقطع شارل مارتل على العرب خط تبسطهم بالفتح الاسلامي فى أوربا بما أبداه من تجلد وصبر . ويعد بعض المنصفين من الافرنج انكسار العرب يومئذ نكبة على الحضارة ، ولو انتصروا لجاءت الحضارة الحالية قبل مائتي سنة من أوانها ، وكانت تكون بأسلوب أفضل وأسعد

الصوفي

هذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ ، وقيل كان في زمن التابعين . ونقل عن الحسن البصرى أنه قال : رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً ، فلم يأخذ وقال : معي أربعة دوانيق ، يكفيني ما معي . ويشيد هذا ما روي عن سفيان أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء . وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما . وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة ، لانهم كانوا في زمن رسول الله ﷺ يسمون الرجل صحابياً لشرف صُحبته ولكون الاشارة اليها أولى من كل اشارة . وبعد انقراض عهد رسول الله سمي من أخذ منهم العلم تابعياً . ثم لما تقادم زمانُ الرسالة وبُعد عهد النبوة واختلفت الآراء وتنوعت الانحاء وتفرد كل ذي رأي برأيه ، وكدّر شربَ العلوم شَوبُ الاهوية ، وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين ، وغلبت الجهالات وكثُف حجابها ، وكثرت العادات وتملكت أربابها ، وتزخرفت الدنيا وكثرت خطّابُها ، تفردت طائفة بأعمالٍ صالحة وأحوال سنيَّة وصدقٍ في العزيمة وقوةٍ في الدين وزهدٍ فى الدنيا ، واغتنموا العُزلة والوحدةَ واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى ـ أسوة بأهل الصُّفّة ـ تاركين للاسباب متبتلين الى رب الارباب ، فأثمر لهم صالحُ الاعمال سنيَّ الاحوال ، وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم ، وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان . قال حارثة « أصبحت مؤمناً حقاً » حيث كوشف برتبة فى الايمان غير ما يتعاهدها . فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدونها ، فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير الى معان يعرفونها وتُعرب عن أحوال يجدونها ، فأخذ ذلك الخلفُ من السلف ، حتى صار ذلك رسما مستمراً وخبراً مستقراً فى كل عصر وزمان وظهر اسم «الصوفية»

بينهم وتسموا به وتكلم الناس فى معناه وفي معنى التصوف ، فكلٌّ عبر بما وقع له . وقد سئل أبو محمد الجريري عن التصوف فقال « الدخول فى كل خُلق سَنِيّ والخروجُ من كل خلق دنيّ » وهذا معنى التحلية والتخلية فى كتب الصوفية ، فالسَّنِيّ أي الرفيع كالوَرَع والزهد والتوكل والرضا والتفويض ونحوها ، والدنى كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن ونحوها . فاذا عرف هذا المعنى فى التصوف من حصول الاخلاق وتبديلها واعتبرت حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر . وقال أيضا « التصوف مراقبة الاحوال ولزوم الادب » بيانه ن السالك مبتدىء ومُنْتَهٍ : فالمبتديء يراقب أعماله لتقع على وجهها ، والمنتهي صار شغله المراقبة لاحوال قلبه التى ينشئها الحق فيه من الطرب والهرب واللهب أو المحبة والشوق وغيرها من أحوال قلبه ، فهو يتأدب فى كل حال مع ربه بما يليق به . وقال أبو حفص الحداد : التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل حال أدب ، ولكل مقام أدب . فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول وقال أبو محمد المرعشي : سئل شيخي عن التصوف فقال : سمعت الجنيد وقد سئل عنه فقال « هو أن يميتك الحق عنك ، ويحييك به » يعنى أن يميتك الحق عن نظرك لنفسك ويحييك بذكره ومناجاته والاشتغال بما يرد منه عليك . وهذا أ كمل درجات التصوف . وسئل عمر بن عثمان المكى عن التصوف فقال « أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت » أي أن يكون العبد مشتغلا بما هو أولى به عند الله فى ذلك الوقت . فالصوفي من كان ملازماً لما هو أولى به فى وقته من أعماله وأخلاقه وأحواله وسائر ما يتقرب به الى ربه . وسئل سمنون عن التصوف فقال « أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء » أي أن تتبرأ من الاملاك والدعاوى ، وأن لا يملكك شيء من الشهوات التى توقفك عن شغلك

بمولاك فتكون عاملا متبرئاً . وسئل بعضهم عن التصوف فقال « تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقةُ الاخلاق الطبيعية ، واخمادُ الصفات البشرية ، ومجانبةُ الدواعي النفسانية ، ومنازلةُ الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية واتباعُ الرسول في الشريعة » وسئل رُوَيْم عن التصوف فقال « استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد » وهذا يكون بالفناء عن سائر مرادات النفس في مراداته تعالى . وسئل أبو الحسين النوري : ما التصوف ؟ فقال « ترك كل حَظٍّ للنفس » وسئل الجنيد عن التصوف فقال « هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة » أي أن تكون مع الله في سائر أعمالك وأخلاقك وأحوالك وغيرها بلا علاقة وحظ من حب وسكون الى غيره ، بل ترى جميع ما أنت فيه فضلا من ربك عليك . وقال أيضاً « التصوف ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع » يعني أنه ذكر مع اجتماع الهمة مع الله وحضور قلب ومراقبة له تعالى بان لا يحدّث الذاكر نفسه بغير ما هو فيه ، لان الذاكر مع الغفلة مذموم ووجدٌ مع استماع لان الوجد الصحيح ما كان عن سماع صحيح محرك للقلوب بأن يكون سنده كتاب الله أو سنة رسوله أو نحوهما من المواعظ المؤثرة . وعمل مع اتباع للسنة لان كل عمل أو حال أو مقام خلا عن اتباعها فهو معرض للابتداع فالصوفي من اجتمعت فيه هذه الاوصاف . وقال أيضاً « التصوف عنوة لا صلح فيها » أي جد وتعب لا صلح لاهله فيها مع أنفسهم لكمال مجاهدتهم في التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل ، اذ الصوفي قائم على نفسه دائما بالمجاهدة ، لا يغفل عنها ولا يسمح لها بشيء من أعمالها الى حين وفاتها . وقال أيضاً : ما أخذنا التصوف من القيل والقال ، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات . وقال أيضاً : هم — أي الصوفية — أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم . وذلك لاتحاد مقصودهم ورفعة مرامهم فبما اتّسموا به من

صفاتهم وأخلاقهم . وقال معروف الكرخي « التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق » اذ أن من عرف الله وعلم أنه لا ضارّ ولا نافع ولا معطيَ ولا مانع غيره اشتغل بما يقربه اليه من الحقائق ، فيلزم من ذلك اعراضه عما في أيدي الخلائق حتى لا يعتمد الا على الله . وقال الاستاذ أبو سهل الصعلوكي « التصوف الاعراض عن الاعتراض » أي الاعتراض على الاقدار الجارية والمقدَّرات التي لا تلائم حظ النفس . فالصوفي لا يلتفت اليها ويعرض عنها علماً منه بأن الحق تعالى أرحم به وأعلم بمصلحته . وقال أبو يعقوب المزابلي التصوف حال تضمحل فيها معالم الانسانية ، أي يذهب فيها معالم الانسانية بأن يكمل استغراق صاحبه بالله بحيث يغفل عن غيره حتى عن نفسه . وقال الكتاني « التصوف خُلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء » وقال أبو علي الرُّوذباري « التصوف الاناخةُ على باب الحبيب وان طرد عنه » وقال أيضا « صفوة القرب بعد كدورة البعد » يعني أن صفوة القرب - وهي لذة العبد بطاعة الله ودوام مراقبته لمولاه - تكون بعد كدورة البعد وهي جده في الطاعات ومعالجة أخلاقه الذميمة لينتقل منها الى الحميدة . وقال الشبلي « التصوف الجلوس مع الله بلا همّ » وذلك لأجل أن من قوي زهده وتوكله ورضاه كان مع الله بلا هم في امر آخرته ودنياه ، لعلمه بحسن اختيار ربه له . وقال ايضا « هو العصمة عن رؤية الكون » أي العالَم المشاهد بأن يحفظه الله عن رؤية ذلك رؤية استحسان له ومحبة وسكون اليه لا رؤية علم . وقال أيضاً « التصوف برقة محرقة » يعني أن الصوفي لما فرغ من مجاهداته صار قلبه محلا لطروق الاحوال فهو في دوام الخوف والقلق بحسب ما يطرق قلبه من الحق وينشئه فيه من الأحوال الغالبة . وقال المزين « التصوف الانقياد للحق » أي سرعة قبول العبد له والرجوع اليه وتحمل أعبائه من غير كلفة . وقال بعضهم : هو اسم جامد وقع على كل من اجتمع قلبه

وقت ذكره، وتفرق في أحوال أسباب فكره، وتزايدت أشواقه عند السماع وخفيت حقائقه عند الاجتماع. وقال محمد بن علي القصاب «التصوف اخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام» يعني من حيث انها طريق الوصول الى الحق تعالى ظهرت في زمان كريم من رجل كريم سبقت له العناية من الحق تعالى حيث اختاره لها مع قوم كرام لحفظهم اياها من الضياع. وقال بعضهم «التصوف اوله علم، واوسطه عمل، وآخره موهبة من الله تعالى» وقيل «التصوف كف فارغ وقلب طيب» وذلك من اجل انه يدل على كمال زهده وتوكله ورضاه بما اجراه عليه مولاه. وقيل «التصوف ترك التصرف» وقيل «هو ترك الاختيار» ويقال هو حفظ حواسك ومراعاة انفاسك، او الجد في السلوك الى ملك الملوك، أو الاكباب على العمل والاعراض عن العلل

القدس خليل الخالدي

﴿ كتب أهديت الينا ـ سنصفها في الجزء الآتي ﴾

* الاعلام (معجم تراجم) للاستاذ السيد خير الدين الزركلي
* بدائع الفوائد لابن القيم
* الجزء السادس من المجموع الفقهي للنووي
* حديث النفس (مجموعة شعرية) للسيد علي بك جلال الحسيني
* ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكار للناصري
* الطبعة الجديدة من سيرة (خديجة أم المؤمنين) للشهيد الزهراوي
* عشرة أيام في السودان للدكتور هيكل، والزنبقة الحمراء لاناتول فرانس
* نبية لبنان لرصيفنا نقولا افندى الحداد

وكتب أخرى كثيرة غير ذلك

الغريب في العيد

تباريح الحنين الى حمـايا أثارت لاعجاتِ أسى حشايا
وذكري حلو عيشي قرب أهلي رمت في مهجتي تلك البلايا
أتى العيدُ السعيدُ فكلُّ شخص سـعيدٌ فيه قـد أمِنَ الرزايا
فمن بنتٍ تشـاطر والدَيْهـا هناءهمـا ، وتـلهو والصبايا
ومن شـيخ يضم صِغارَ بيت يبثّهمُ من الوجد البقـايا
سـوى ناء تقاذفه شـجون وقـد كـادت تعانقه المنايا

***

نأيتُ فنازعَ القلبَ التياحٌ وبرَّح بِي ـ أيا صحبي ـ جوايا
وخَوْدُ الحيّ أضناها بعادي تقولُ : متى يعاودني فتايا ؟
وجاذَبَها لذكرايَ التصابي وجاذبني لذكراها صبايا
وآضت تلكم النغمات حزنا وقد كانت تُرَدّدُ لي هوايا
وما سكنت مع الافراح نفسي فَبُحَّ الصوتُ ثم كَسَرْتُ نايا
وكيف تقرُّ نفس في سرور اذا كانت مقسمةً شـظايا

***

ولو لا أنَّ لي في الشـام صحبا لهم في قومهم غرُّ السجـايا
ولو لا أنَّ لي أملاً أُرَجي به نفعا لأوطـانٍ ضحايا
لغادرتُ الشآمَ وعفت عيشي بها وظللت أشدو في حمايا

دمشق أبو سلمى

حركة النشر والتأليف

﴿ سيرة عمر بن عبد العزيز ـ لابن عبد الحكم ﴾

المطبعة الرحمانية ، المكتبة السلفية : ١٩٨ ص بقطع الزهراء ، ثمنها ٧ قروش

مرّ بي منذ بضع سنوات صديقي الاستاذ السيد أحمد عبيد صاحب المكتبة العربية بدمشق والقاهرة فرآني منكبًا على خدمة كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ استعداداً لاصدار طبعة منه معتنىً بها في يوم مّا ، فلما رأى ما أعانيه في البحث والمراجعة ، وقارن ذلك بما يكون له من قيمة تجارية تافهة قال لي : ان خدمة الأدب الصادقة في هذه الديار اذا لم يكن لها دافع معنوي فان تجارة الكتب لا تشجع على تحسين كتبنا العربية التى تبرز للناس من تحت أيدي الشرقيين . وقد ظهر لي الآن أن الله ابتلى هذا الصديق في هذه السنة بدافع معنوي يدفعه الى هذا العناء الذي ليس له نتيجة تجارية توازنه . فقد أخرج لنا طبعة من سيرة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم حوت كل صفات الامانة العلمية والعناية الادبية . فقد كان بين يديه نسخة قديمة من هذا الكتاب لكنها محرّفة تحريفًا لاحدّ له فأتى بصورة فتوغرافية لنسخة أخرى في مكتبة باريس الاهلية ، ولم يكتف بذلك بل كان يرجع الى كتب التاريخ والأدب لتصحيح كل فقرة وردت في الكتاب حتى جاء مما ترضى به الامانة

وأبو محمد عبد الله بن عبد الحكم (١٥٥ ـ ٢١٤) مؤلف هذه السيرة معاصر للامام الشافعي ومن تلاميذ الامام مالك ، وتلقّى مافي السيرة من الاخبار عنه وعن الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وتلك الطبقة . فالكتاب من كتب الصدر الاول ومن أوثق كتب التاريخ . وقد طبعته المكتبة العربية طبعًا أنيقا بحروف جميلة على ورق جيد ، وقدّم له السيد أحمد عبيد مقدمة مهمة وألحق به فهارس نافعة جزاه الله خير الجزاء

﴿ صيد الخاطر لابن الجوزي ﴾

مطبعة الشرق ، المكتبة السلفية : ٤٥٦ ص ، ثمنه ١٥ قرشا

قال المؤلف العظيم أبو الفرج بن الجوزي فى صدر كتابه هذا :

« لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها ، ثم تعرض عنها فتذهب ، كان أَوْلىٰ الامور حفظ مايخطر لكيلا يُنسى . وقد قال عليه الصلاة والسلام : قيّدوا العلم بالكتابة . وكم قد خطر لي شيء فأتشاغل عن اثباته فتذهب ، فأتأسف عليه . ورأيت من نفسي انني كلما فتحت بصر التفكر سنح له من عجائب الغيب مالم يكن في حساب ، فانثال عليه من كثيب التفهيم ما لا يجوز التفريط فيه . فجعلت هذا الكتاب رقيباً لصيد الخاطر »

إذن فهذا الكتاب مذكرة للخواطر العلمية التى كانت تخطر في بال ابن الجوزي . وهي غير مرتبة بنظام ، ولكنه يفتتح كل خاطر من خواطره بكلمة « فصل » ويذكر مايفتح الله به عليه من فكرة هي بنت ساعتها في الاخلاق أوالحكمة أوعادات الناس ، وهو ينظر الى كل ذلك من جهة مشربه الاسلامي الذي يرجع الى ينبوع الكتاب والسنة ، وفيه من الخواطر الصافية العجب العجاب

وقد نشر هذا الكتاب أمين افندي الخانجي الكتبي الشهير واعتمد فيه على نسختين احداهما فى خزانة احمد طلعت بك من أعيان القاهرة والثانية في دار الكتب المصرية . فنشكر له هذا العمل المفيد

﴿ عدة الاديب ﴾

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي سبق لنا الكلام على جزئه الاول في ص ٥٣٩ من هذه السنة ، وفيه صفوة المختار من شعر الشعراء وخطب الخطباء ومنشآت المنشئين مما يحسن بالنشء العربي استظهاره . فنشكر لمؤلفَيه الاستاذين الضليعين السيد سليم الجندي والسيد محمد الداودي صنيعهما الحسن

﴿ ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل ﴾

مطبعة البلاغ في كلكتة * ١٠٣ ص بقطع الزهراء

أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني (٢٥٤ — ٣٢٢) من كبار رجال العلم والقلم، ومن مفاخر المعتزلة في عصره . وتفسيره (جامع التأويل) في أربعة عشر مجلداً فُقد في جملة ما فقد من كتب الصدر الاول ، فندبت جمعية دار المصنفين رجلا من رجالها وهو الاستاذ الفاضل الشيخ سعيد الانصاري الى التقاط النقول المنقولة عن تفسير أبي مسلم في تفسير الفخر الرازي ، فأخذ الاستاذ هذه المهمة على عاتقه وجرّد كل تلك النقول من مواضعها وجعلها في جزء لطيف مرتب على ترتيب سور كتاب الله الحكيم ، فشكراً له ولهذه الجمعية المباركة التي نلفت أنظار القراء الى ما كتبناه عنها في باب الانباء العلمية من هذا الجزء

﴿ تهذيب الاسماء واللغات للنووي ــ قسم الاسماء ﴾

ادارة الطباعة المنيرية ــ المطبعة السلفية : جزءان ٧٣٠ ص ، ثمنهما ٣٥ قرشا

(تهذيب الاسماء واللغات) للنووي قسمان : الاول معجم لاسماء الرجال والنساء الذين ذكرهم فقهاء الشافعية في الكتب الستة الشهيرة ــ مختصر المزني ، وكتابي الشيرازي : المهذب والتنبيه ، وكتابي الغزالي : الوسيط والوجيز ، والروضة الذي اختصره النووي من شرح الوجيز لابي القاسم الرافعي ــ وقد عني في هذا القسم بضبط هذه الاسماء نصاً وذكر من تراجمهم ما يهمّ الفقهاء ورجال الحديث ، فيذكر مكانة المترجم في العلم ومبلغ الثقة به ومن أخذ هو العلم عنهم ومن أخذوا العلم عنه

أما القسم الثاني فمعجم لغوي للكلمات الواردة في تلك الكتب الستة . وفي آخر كل حرف يأتي بأسماء الاماكن التي من ذلك الحرف

وكان القسم الاول الخاص بأسماء الرجال والنساء طبع في غوتنغن بعناية العلامة وستنفلد الالماني سنة ١٨٤٢ ــ ١٨٤٧ . وقد أعاد طبعه الآن صديقنا

الاستاذ الشيخ محمد منير مقابلا على النسخة الخطية التى فى الخزانة التيمورية العامرة فجاء جميل الطبع حسن الورق واقعاً فى جزءين يتضمنان ٨٤٣ اسما . وبهما تمّ قسم الاسماء . وفي عزم الناشر أن يطبع القسم الثانى أيضاً الخاص باللغات . وبذلك يتم الكتاب ان شاء الله

وكان أهل العلم يلتمسون طبعة العلامة وستنفلد باغلى الاثمان فلا يجدونها لبعد عهد طبعها ، فأصبح الكتاب الآن سهل التناول. جزى الله الناشر خيرا

﴿ شعراء العرب فى العصر الحاضر ﴾

تكلمنا في ص ٧٨ من هذه السنة على الكراسة الاولى التي أصدرها من هذا الكتاب مؤلفه المستشرق الفاضل الاستاذ . ج كامبفماير G. Kampffmeyer استاذ اللغة العربيـة فى المعهد الشرقي من جامعة برلين . وقد جاءتنا أخـيراً الكراسة الثانية منه محتوية على تراجم أربعة من الشعراء ومختار من أشعارهم وهم الاستاذ السيد محمد البزم الشاعر الدمشقي المعروف الذي نشرنا له فى العام الماضي (ص ٤٨٦) قصيدة « الذكريات » ، وصديقنا الاستاذ السيد محمد الشريقي الذي نشرنا له فى العام الماضي (ص ٣٠٠) قصيدة « الوطن العربي » ، والأستاذ السيد محمد سليمان الاحمد المعروف في عالم الادب باسم (بدوي الجبل) وقدذ كرنا ديوانه في السـنة الاولى من الزهراء (ص ٥٤١) . وختم الاستاذ كامبفماير كراسته الثانية بالـكلام على شوقي بك وشعره وروايته التمثيلية (علي بك) التي أشرنا اليها في مقالنا الافتتاحي

﴿ معرض الافكار الشرقية ﴾

هي كراسة من كتاب آخر للاستاذ الدكتور . ج . كامبفماير وصف فيـها بعض الكتب الشرقية التى أهديت اليه . وغرضه من هذا الكتاب أن يقف الراغبون في معرفة الشرق من الالمـان على مجرى الافكار الحديثة عند أبناء العربية ويعرفوا اتجاه نهضتهم . وهذه الكراسة في ٤٠ صفحة

﴿ مباحث في التعبئة — للهاشمي ﴾

مطبعة دار السلام ببغداد : ثلاثة أجزاء ٣٧٠ ص

مابرح الاستاذ المفضال السيد طه الهاشمي رئيس أركان حرب الجيش العراقي سابقا يعمل على خدمة المكتبة العربية باهدائها طريف الابحاث التي تمس الحاجة اليها وليس عندنا ما علأ فراغها . وقد وصفنا في العام الماضي (ص ١٢٩) كتابه نهضة اليابان . وتكلمنا في هذه السنة (ص ٥٩٩) على كتابه في الجغرافيا العسكرية . وبين أيدينا الآن كتاب (مباحث في التعبئة) ، وقد وصل الينا منه ثلاثة أجزاء : اثنان منها عنوانهما (كتاب السلاح) وهما يبحثان في خواص الصنوف العسكرية والاسلحة النارية . فالاول خاص بالخيالة وراكبي الدراجات ورجال الهندسة والمشاة والرشاشات والدخان . والثاني للمدفعية والغازات السامة وقد عني طه بك في هذا الكتاب بذكر النضال المستمر بين أسلحة الهجوم ووسائل الدفاع ، وما كانت عليه الحال من ذلك عند بداية الحرب العظمى ، وما استفاده علم التعبئة من تلك الحرب بما اخترع فيها من أدوات ووسائل . فجاء الكتاب موافقاً لاحدث ماوصل اليه هذا العلم الذي اعتمد فيه المؤلف على خبرته الشخصية نظرياً وعملياً وضم الى ذلك ما اطلع عليه في أحدث الكتب الانكليزية والفرنسوية والالمانية والتركية . ومن مجموع ذلك تتلخص الدروس التي القاها على تلاميذه طلبة المدرسة العسكرية في بغداد

والثالث من الاجزاء الثلاثة التي أهداها الينا هو القسم الاول من الخدمة السفرية ، وهو خاص بالاستخبار والاستطلاع والاوامر . وهذه المواضيع القاها على تلاميذه في الصف الثاني من المدرسة العسكرية . ووعد بان يكمل كتاب الخدمة السفرية بجزئين آخرين

ولما كان أكثر رجال الجيش في الشرق الادنى ممن تعلموا علومهم العسكرية

في مدارس تركيا فقد ألحق المؤلف باجزاء كتابه جداول في الاصطلاحات العسكرية العربية وما يقابلها في اللغتين التركية والانكليزية . فشكراً له

﴿ درر الحكام شرح مجلة الاحكام ﴾

مطبعة الحقوق، يافا ، المكتبة السلفية بالقاهرة : ٣ أجزاء ٧٢١ص ، ثمنه ١٢٠ قرشا

وفينا الكلام على الجزء الاول من هذا الكتاب في السنة الثانية من الزهراء (ص ١٣١) ووصفنا الجزء الثاني في هذا العام(ص ٤١٠) وجاءنا الآن الجزء الثالث منه خاصا بكتاب الكفالة . وقد شرح فيه العلامة فقيه الديار التركية علي حيدر افندي المواد الواردة عن ذلك في مجلة الاحكام العدلية التي لاتزالُ الى اليوم القانون المدني المستمد من الشرع الاسلامي في ديار الشام والعراق لتمسك الشعب الاسلامي باحكامها وائتلافه ذلك منذ أربعة عشر قرنا ، ولان المجلة حسنة التنسيق والتبويب كأتقن الكتب القانونية . وان مترجمها رصيفنا الاستاذ القانوني السيد فهمي الحسيني صاحب مجلة الحقوق يعنى بترجمة هذا الشرح عناية تامة ، ويطبعه بحروف جميلة على ورق جيد

﴿ الفتح ﴾

صحيفة اسبوعية تُعنىٰ بنشر الانباء والآراء عن العالم الاسلامي ، وبيان محاسن الاسلام ، ودحض مايرميه به شانئوه . اصدرها منشيء مجلة (الزهراء)، ومرَّ عليها عام كامل كانت فيه موضع ثقة حُماة الحقيقة الاسلامية في جميع أنحاء المعمور . ويتولَّى كتابة مقالتها الافتتاحية صديقنا الاستاذ الكاتب الاصلاحي المشهور فضيلة الشيخ عبد الباقي سرور نعيم وهو من خيرة علماء الازهر . وقد دخلت صحيفة (الفتح) في عامها الثاني وكل جزء منها في ١٦ صفحة ضعف حجم صفحات الزهراء . وكانت قيمة الاشتراك السنوي فيها ٦٠ قرشا في المملكة المصرية وجنيها في الخارج فانزلناها الى نصف ذلك ، فهي من أول السنة الثانية ٣٠ قرشا في مصر والسودان و٥٠ قرشاً في سائر البلاد

﴿ نبراس المعقول في تحقيق القياس عند علماء الاصول ﴾

مطبعة التضامن الاخوي ، المكتبة السلفية : الجزء الاول ٣٩٠ ص ، ثمنه ١٠ قروش .

ان مبحث القياس هو الشطر الاعظم من علم أصول الفقه ، وطلبة العلوم الشرعية في الازهر وسائر المعاهد الاسلامية في الديار المصرية يدرسون اصول الفقه من شرح الامام الاسنوي على المنهاج للامام البيضاوي . وقد رأى فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عيسى منون شيخ رواق الشوام بالازهر ومدرس علم أصول الفقه لطلاب شهادة العالمية فيه أن متن المنهاج بلغ من الايجاز الى حد الالغاز ، ولشرحه ظهر واضح وبطن حارت النظار في أدراكه ، وهما مع ذلك لم يستوعبا مباحث القياس ولا مسائله المهمات ، فجنح الى التوسع في موضوع القياس خاصة فحقق مسائله وحررها وخرّجها من أصولها ونقحها ورجع في نقل المذاهب الى كتبها غير متقيد بالمنهاج وشرحه . فجاء كتابه من أنفع الكتب الاصولية للطلاب مع حسن تبويب وتنسيق . وقد صدر منه الجزء الاول وفيه بيان معنى القياس وتعريفه وذلك في ٤٣ صفحة ثم اثبات حجية القياس والكلام على مذاهب العلماء في ذلك وهذا البحث في ١٦٠ صفحة ، وبعده الكلام على أركان القياس في ١٨٠ صفحة . وسيكون الجزء الثاني خاصاً باقسام القياس والمسائل المتعلقة به . أما الجزء الاول الذي هو بين أيدينا الآن فمطبوع بحروف حسنة على ورق جيد فنلفت اليه الانظار

﴿ غادة الكاميليا ﴾

هي قصة ألفها اسكندر دياس الصغير سنة ١٨٤٨ وحوّلها الى رواية تمثيلية سنة ١٨٥٢ وهي من الكتب التي اتسعت بها شهرة هذا الروائي الفرنسي . وغرضه منها اقناع القارىء ان من النساء الساقطات من تكون فيها عاطفة مروءة تسمو بها الى ان تصدر عنها أعمال حميدة قد لا تصدر عن غير الساقطات . وقد ترجم هذه الرواية التمثيلية الاستاذ نقولا بسترس ، ونشرتها رصيفتنا مجلة (مينرڤا) وقدمتها هدية لمشتركيها

أنباء اجتماعية

الزهراء

تعجلنا بشهري العطلة في هذا العام فقدمناهما على الجزء الاخير ، وكنا في السنتين السابقتين نؤخرهما ، والنتيجة واحدة

وقد اخترنا لهدية هذه السنة كتابا في تاريخ آخر دول العرب في الاندلس بقلم وزير من وزرائها وهو لسان الدين بن الخطيب أما الكتاب فهو (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) وقد وجدنا منه نسختين خطيتين نظنهما الوحيدتين في الدنيا : احداهما بعث بها الينا أحد أفاضل قراء الزهراء في المغرب الاقصى ، والثانية موجودة في خزانة قصر الاسكوريال باسپانيا ، فلما علم العلامة الجليل سعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا بعزمنا على طبع هذا التاريخ بعث في طلب صورة فطوغرافية من مخطوطة الاسكوريال ، ووضعها حفظه الله تحت تصرف مجلة الزهراء الى ان ننتهي من نقلها ومعارضتها بالمخطوطة المغربية . ولما كانت هذه المعارضة على النسختين تأخذ جانباً من الوقت فسنقدم لقرائنا هذا الكتاب مطبوعا في زمن قريب ان شاء الله . ونذكر حضرات المشتركين الذين تأخروا الى الآن في تسديد ماعليهم للمجلة أن يتفضلوا بذلك مشكورين ، فانهم أكرم من أن يحتاجوا الى تذكير بمثل هذا الامر

المجمع العراقي

نشرنا (في ص ٢٢٦ و ٤٣٤ من هذه السنة) خبر تأسيس مجمع عراقي . وجاء اخيرا في أنباء بغداد أن وزارة المعارف رأت أن تقتصد ماخصصته للمجمع في ميزانيتها وهو عشرة آلاف روبية فكتبت الى كل عضو من أعضائه تلتمس منه ان يعمل للوطن بغير أجرة ، فكان ذلك آخر العهد بهذا المجمع الماسوف عليه وعلى ما كان ينتظر من خدمته للغتنا وآدابنا

العربية في ايران

اقترح وزير مصر المفوض في ايران على حكومته انشاء مدرسة عربية في طهران لنشر لغة الضاد في تلك الديار فرأت وزارة المعارف المصرية الاكتفاء بتعيين مدرسين مصريين لتعليم العربية في المدارس الفارسية

﴿ دار المصنفين بالهند ﴾

ينقص المسلمين في أقطار المعمور أن تكون لهم (تشكيلات) تنظّم مساعيهم وتوحّد غايتهم وتوزّع الواجبات بينهم ، وكل عاقل حكيم من أبناء الملة الاسلامية رفيق بها كان أولُ مافكر فيه العمل لسدّ هذا النقص

ومن حكماء المسلمين الاستاذ الامام الشيخ شبلي النعماني الذي كان من أهم مآثره تأسيسه (دار المصنفين) في بلدته (أعظم گره) في الهند ، والتفاف تلاميذه حوله وهم من جلة العلماء ، واتجاههم للعمل العلمي المثمر . فلما توفاه الله عام ١٣٣٢ خلف وراءه رجالا تعمل فبدلا من ان يموت عمله نما وعظم ، فانشأ مريدوه جمعية دار المصنفين انشاء عظيما وأقاموا لها الابنية الشامخة وجهزوها بدار كتب جامعة وبمطبعة راقية ، وساعدهم امراء المسلمين وسراتهم بما تقر به الاعين

ورئيس هذه الجمعية الآن صديقنا وأخونا في الله والمشرب العلامة السيد سليمان الندوي أحد كبار رجال الهند وموضع ثقة أهلها ، وهو يصدر في الهند أخت الزهراء نعني مجلة (معارف) الغراء باللغة الاوردية ، وله من المؤلفات التي نشرتها دار المصنفين كتاب (أرض القرآن) وأربع مجلدات من (السيرة النبوية) التي بدأبها الامام شبلي النعماني ، و (ملاحظات) على محاضرات جويدي في أدبيات الجغرافيا والتاريخ عند العرب

ونشرت هذه الجمعية رد مؤسسها رحمه الله على كتاب تاريخ التمدن الاسلامي لزيدان ، وطبعت الملتقط من تفسير أبي مسلم الاصفهاني الذي تكلمنا عليه في هذا الجزء . ومن أعمالها الاجزاء المتعددة التي الفها الشيخ عبد الحميد الفراهي في التفسير . وطبعت أخيراً في مطبعتنا السلفية كتاباً من أجل الكتب وأحفلها بالتحقيق ، وهو كتاب (أبو العلاء وما اليه) من مصنفات العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي من مدرسي الجامعة الاسلامية بعليكرة وألحق به رسالة الملائكة لابي العلاء بتحقيق وتصحيح بلغا الغاية ، ومعهما فائت شعر أبي العلاء المعري مما تفرق في الكتب ولم يوجد في دواوينه . فجمعية (دار المصنفين) بجهودها المتواصلة ومجلتها الحافلة تعد من أشرف وأنفع الجمعيات

معهدان للتاريخ والجغرافيا

يعلم ولاة الامور في تركيا الآن أن علمي التاريخ والجغرافيا أساسان متينان في بناء العقيدة القومية، ولذلك قرروا إنشاء معهد لكل منهما يتألف من الاخصائيين الاتراك المعروفين بمتانة عقيدتهم القومية. وسيؤلفون في خلال عشرة أعوام الى خمسة عشر عاماً كتابين في تاريخ الترك وجغرافية بلادهم مؤيدين بالمستندات التاريخية الى أقصى حد ممكن. وأجيز للمعهدين أن يستعينا بالاخصائيين الاجانب الذين يتوسمون بهم المساعدة على اتمام هذا العمل العلمي القومي

طوابع الملك فؤاد

قال مستر ملفيل يصف اهتمام الملك فؤاد بطوابع البريد: ان مجموعته مؤلفة من أربعين مجلداً، وقد ابتاع سنة ١٩١٩ مجموعة ألبرت عيد بأربعة آلاف جنيه وفيها معظم الطوابع النادرة من الطوابع المصرية. واشترى مرة طابعاً واحداً بنصف مليون فرنك. واشترى مجموعة بديعة من الطوابع السورية كانت عند السيد محمد القصاب نجل الاستاذ الشيخ كامل القصاب بألف وخمسمائة جنيه.

حج هذا العام

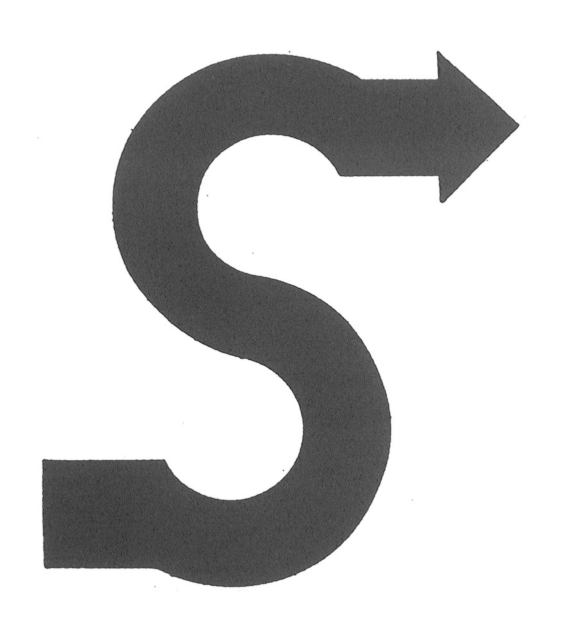
شهد موقف عرفة في هذا العام ٢٥٠ ألف مسلم ثلثهم من العرب والثلثان من سائر الامم. وامتاز هذا الموسم بكثرة عدد العلماء الذين شهدوه ولا سيما من مصر والهند. وأجمعت الكلمة على أن حكومة الحجاز الحاضرة حققت شيئين هما أول مايطلب من كل حكومة تحترم نفسها: أحدهما الأمن، والثاني العدل. ومتى استطاعت أن تبلغ هذا المبلغ في الاستعداد العسكري الحديث، وفي المعارف الجامعة بين هداية الاسلام ووسائل القوة العصرية تصبح محل رجاء المسلمين جميعاً

مؤتمر علم طبقات الارض

ابتدأ انعقاد مؤتمر علم طبقات الارض بمدينة وشنطن في اليوم الثالث من عيد الاضحى، وانتهاؤه يوم ٢٢ من ذي الحجة. وندبت الحكومة المصرية الاستاذ محمود بك اباظه مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة ليمثلها في ذلك المؤتمر. ووضعت الحكومة الامريكية قطاراً خاصاً تحت تصرف المؤتمر ليطوف باعضائه جميع بلدان الولايات المتحدة

﴿ تم المجلد الثالث من مجلة الزهراء لسنة ١٣٤٥ ﴾

« والحمد لله رب العالمين »



Suite sur une autre bobine

NF Z 43-120-6